ـــلة وليـــلة

اعني

الف ليلة وليلة

يُدعى عموما

مّما يتضمّن الفُكاهة ويورث الطرب

طبعه كاملاً مكمّلا

سكرتو الدولة الانجريزية

الممالك الهندية

اربع مجلدات

منقولا من نسخة كُتِبتْ بالديار المصرية

م مجر طرنر مكان الذي طبع شاهنامه

التاسعة بعد الثلثين من المائة

...ب الف ليلة وليلة

كتاب الف ليلة و ليلة

حكاية ملك شهريار و اخيه

الحمد لله رب العالمين و الصلوة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد صلّى اللّه عليه وسلّم صلوة و سلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين وبعدُ فان سِيَر الاولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الانسان العِبَرَ التي حصلت لغيره فيعتبِر ويطالعَ حديث الامم السالفة و ما جرى لهم فينزجِر فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة للقوم الآخرين فمن ذلك العبر الحكايات التي تسمى الفَ ليلة و ليلة و ما فيها من السِيَر الجليلة و الامثال فقد حكي (و الله اعلم بغيبه و احكم واعز واكرم و الطف وارحم) فيما مضى وتقدم وسلف من احاديث الامم انه كان

في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك من ملوك بني ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند واعوان وخَدم وحشم وكان له ولدان احدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بَطَلين وكان الاكبر افرسَ من الاصغر وقد ملك البلاد وحكم بالعدل في الرعيّة واحبّوه اهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان اخوه الصغير اسمه الملك شاهزمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزالا مستمرَّين في بلادهما وكل واحد في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة فعند ذلك اشتاق الملك الكبير الى اخيه الصغير فامر وزيره ان يسافر الى عند اخيه ويحضرَ به فاجابه بالسمع والطاعة وسافر الى ان وصل بالسلامة ودخل الى عند اخيه وبلّغه السلام واعلمه ان اخاه مشتاق اليه وقصدَه يزورُه فاجابه بالسمع والطاعة وتجهّز للسفر واخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه واعوانه واقام وزيره حاكما في بلاده وخرج طالبا بلاد اخيه فلما كان في نصف الليل تذكّر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبدا اسود من بعض العبيد فلما رأى هذا الامر اسودّت الدنيا في وجهه وقال في نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وانا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه الملعونة لما اغيب عند اخي مدةً ثم انه سحب سيفه وضرب الاثنين وقتلهما في الفراش ورجع من وقته وساعته وامر بالرحيل وسار الى ان وصل الى مدينة اخيه فلما قَرُب مدينتهْ ارسل المبشرين الى اخيه بقدومه فخرج اليه ولاقاه وسلّم عليه وفرح به غاية الفرح وزيّن له المدينة وجلس معه يتحدث وينشرح فتذكّر الملك شاهزمان ما كان من امر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفرّ لونه وضعف جسمه فلما رآه اخوه على هذه الحالة ظن في نفسه ان ذلك بسبب مفارقته

بلادهٖ وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم انه في بعض الايام قال له يا اخي انّي أُراك قد ضعف جسمك واصفرّ لونك فقال له يا اخي انا في باطني جُرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال له انّي اريد ان تسافر معي الى الصيد والقنص لعلّ ان ينشرح خاطرك فابى ذلك فسافر اخوه وحده الى الصيد وكان في قصر الملك شبابيك تطلّ على بستان اخيه فنظر واذا بباب القصر انفتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة اخيه تمشي بينهم وهي بديعة الحسن والجمال حتى وصلوا الى فَسقيّة وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع العبيد واذا بامرأة الملك صاحت يا مسعود فجاءها عبد اسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك الجواري فعلوا بهم العبيد ولم يزالوا في بَوس وعناق ونَيك ورِحاق حتى ولّى النهار فلما رأى ذلك اخو الملك قال في نفسه والله ان بليّتي اخفّ من هذه البليّة وقد انفكّ ما عنده من الغَيْر والغم وقال هذا اعظم مما جرى لي ولم يزل في اكل وشرب وبعد هذا جاء اخوه من السفر فسلّما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى اخيه الملك شاهزمان رآه رُدّ له لونه واحمرّ وجهه وصار يأكل بنهجه بعد ما كان قليل الاكل فقال له اخوه الملك الكبير يا اخي كنت أُراك مصفرّ اللون والوجه والآن قد ردّ اليك لونك فاخبرني بحالك فقال له اما تغير لوني فاذكره لك واعفُ عني من اخباري لك بردّ لوني فقال له اخبرني اولا بتغير لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا اخي اعلم انّي لما ارسلتَ وزيرك اليّ يطلبني للحضور بين يديك جهّزتُ حالي وقد برزت برّمدينتي ثم انّي تذكرت الخَرَزة التي اعطيتها لك في قصري فرجعت الى قصري فوجدت زوجتي معها عبد اسود وهو نائم في فراشي فقتلتهما وجئت اليك وانا متفكر في هذا الامر فهذا سبب تغير لوني وضعفي واما ردّ لوني فاعف عني ان اذكره لك فلما سمع

اخوه كلامه قال له اقسمت عليك بالله الّا ما اخبرتني عن ردّ لونك فاخبرهَ
جميع ماراٰه فقال شهريار لاخيه شاهزمان مرادي انظر بعيني فقال له اخوه
شاهزمان اِجْعَل اَنك مسافر للصيد و القنص و اختفِ عندي و انت تشاهد
ذلك و تتحققه عياناً فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر
و الخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه جلس في الخيام و قال
لغلمانه لا يدخل عليّ احد ثم انه تنكّر و خرج مختفيا الى القصر الذي
فيه اخوه و جلس في الشُبّاك المطل على البستان ساعة من الزمان الا
والجواري و ستّهم دخلوا مع العبيد و فعلوا كما قال اخوه الى اذان
العصر قال فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من راسه وقال
لاخيه شاهزمان قم بنا نسافِر على حالنا ولا لنا حاجة بالملك حتى ننظر
احداً جرى له مثلنا و الا موتنا خير من حياتنا قال ثم انهما خرجا من
باب سِرّ القصر مسافرين اياماً وليالي الى ان وصلا الى شجرة في وسط
مَرْجة و عينِ ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين و جلسا
يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد
هاج و صعد منه عمود اسود صاعدا الى السماء وهو قاصد تلك
المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا و طلعا الى اعلى الشجرة وكانت عالية
ينظران ما ذا يكون الخبر واذا بجنّي طويل القامة عريض الهامة واسع
الصدر وعلى راسه صندوق فطلع الى البرّ واتى الى الشجرة التي هما فوقها
وجلس تحتها وفتح الصندوق واخرج منه عُلْبة ثم فتحها فخرجت منها
صبية بقامة هيفاء بهيّة كانها شمس مضيئة كما قال و احسن الشاعر عُطَيّة

اَشْرَقَتْ فِي الدُّجى فَلَاحَ النَّهَارْ   وَ اَنَارَتْ مِنْ فَوْقِهَا الاَشْجَارْ
مِنْ سَنَاهَا الشُّمُوسُ تُشْرِقُ لَمَّا   تَتَجَلّى وَ تَبْدُو تَخْجَلُ الاَقْمَارْ

تَسْجُدُ الْكَائِنَاتُ بَيْنَ يَدَيْهَا ‏ حِينَ تَبْدُو وَتَهْتِكُ الْأَسْتَارْ
وَإِذَا أَوْمَضَتْ بُرُوقُ حِمَاهَا ‏ أَهْطَلَتْ بِالْمَدَامِعِ الْأَمْطَارْ

قال فلما نظر اليها الجنّي قال يا ستّ الحرائر يا من قد اختطفتك ليلة عرسكِ اريد انام قليلا ثم ان الجنّي جعل راسه على رُكبة الصبية و نام فرفعت الصبية راسها الى اعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فشالت راس الجنّي من على ركبتها ووضعتها على الارض و وقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلِا ولا تخافا من العفريت فقالا لها بالله عليكِ اُعفي عنا من هذا الامر فقالت لهما ان لم تَنزلا نبّهت عليكما العفريت يقتلكما شرّ قتلة فخافا و نزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصَعَا رصَعا عنيفا و إلا انبّه لكما العفريت فمن خوفه قال الملك شهريار لاخيه الملك شاهزمان يا اخي افعل ما امرتك به فقال لم افعل افعل انت قبلي و اخذا يتغامزان على نيكها فقالت لهما ما لي اراكما تتغامزان فان لم تتقدما و تفعلا نبّهت لكما العفريت فمن خوفهما من الجنّي استقفاها الاثنان فلما فرغا قالت لهما افيقا واخرجت لهما من جيبها كيسا و اخرجت لهما منه عِقْدا فيه خمسمائة و سبعين خاتما فقالت لهما اَ تدرون ما هؤلاء فقالا لا ندري فقالت لهما اصحاب الخواتم كلهم ناكوني على قَرْن هذا العفريت فاعطياني خاتميكما الاثنين الاخوين فاعطاها من ايديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم انه وضعني في علبة و جعل العلبة داخل الصندوق و رمى على الصندوق سبعة اقفال جليّ وجعلني في قاع البحر العجّاج المتلاطم بالامواج و لم يعلم ان المرأة منا اذا ارادت شيأ لم يغلبها شيء كما قال بعضهم

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى النِّسَاءِ وَلَا تَثِقْ بِعُهُودِهِنْ
فَرِضَاؤُهُنَّ وَسُخْطُهُنَّ مُعَلَّقٌ بِفُرُوجِهِنْ
يُبْدِينَ وُدًّا كَاذِبًا وَ الْغَدْرُ حَشْوُ ثِيَابِهِنْ
بِحَدِيثِ يُوسُفَ فَاعْتَبِرْ مُتَحَذِّرًا بَعْضَ خُدُوعِهِنْ
أَوَمَا تَرَى لِأَبِيكَ آدَمْ خُرُوجُهُ مِنْ أَجْلِهِنْ

وقال بعضهم

وَيْكَ إِنَّ الْمَلَامَ يَقْوِي الْمَلُومَا لَيْسَ جُرْمِي كَمَا نَشَأْتُ عَظِيمَا
إِنْ أَكُنْ عَاشِقًا فَلَمْ آتِ إِلَّا مَا أَتَتْهُ الرِّجَالُ قَبْلِي قَدِيمَا
إِنَّمَا يَكْثُرُ التَّعَجُّبُ مِمَّنْ كَانَ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ سَلِيمَا

فلما سمعا الملكان منها هذا الكلام تعجبا غاية العجب وقال بعضهما بعضاً اذا كان هذا عفريتاً وجرى له اعظم مما جرى علينا وهذا شيء لم يجرِ لاحد ثم انهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا الى مدينة الملك شهريار فدخل قصره ورمى عنق زوجته والجواري والعبيد وكان الملك شهريار كل ليلة يأخذ بنتا بكرا يأخذ وجهها ثم يقتلها مدة ثلث سنوات فضجّ الناس وهربوا ببناتهم ولم يُبقِ في تلك المدينة بنتا تتحمل الوطي ثم ان الملك امر الوزير ان يأتيه ببنتٍ على جري عادته فخرج الوزير وفتّش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو مغبون مقهور خائف على نفسه من الملك قال وكان وزير الملك له بنتان الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضين قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لابيها ما لي اراك مغبونا حامل الهمّ والاحزان وقد قال بعضهم في المعنى

قُلْ لِمَنْ يَحْمِلُ هَمًّا إِنَّ هَمًّا لاَ يَدُومْ
مِثْلُ مَا تَفْنَى الْمَسَرَّة هَكَذَا تَفْنَى الْهُمُومْ

قال فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا ابتِ زوّجني هذا الملكَ فاما ان اعيش واما ان اكون فديً لاولاد المسلمين وخلاصهم من بين يديه فقال لها بالله عليك لا تخاطري بنفسك ابدا فقالت له لابد من ذلك فقال اخشى عليك ان يتم لك ما تم على الحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذي جرى لهما

حكاية الثور مع الحمار

قال اعلمي يا ابنتي انه كان لبعض التجّار اموال ومواش وكان له زوجة واولاد وكان الله تعالى اعطاه معرفة لغات الالسُن الحيوانات والطيور وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده في داره حمار وثور فاتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفي معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفي بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان في بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيّا لك ذلك انا تعبان وانت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمك وفي بعض الاوقات يركبك ويرجع وانا دائماً للحرث والطحين فقال له الحمار لمَّا تخرج الى الغيط ويجعلون على رقبتك النير فارقد ولو ضربوك لا تقم وقم وارقد ولمَّا يرجعون بك ويضعون لك الفول فلا تأكله كانك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوماً او يومين او ثلثة فتستريح من التعب والجهد قال وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السوّاق الى الثور بعشائه اكل منه شيأ يسيرا

فاصبح السوّاق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فحزن عليه و قال
هذا سبب انه ما قدر امس يشتغل ثم جاء الى التاجر و قال له يا مولاي
ان الثور مقصّر لم ياكل هذه الليلة العلف و لا ذاق منه شيأ و قد عرف
التاجر الامر فقال امض و خذ الحمار و حرّثه مكانه اليوم كله قال فلما
رجع آخر النهار بعد ما حرثه اليوم كله شكره الثور على تفضلاته الذي
اراحه من التعب في ذلك اليوم فلم يردّ عليه الحمار جوابا و ندم شدة
الندم فلما كان ثاني يوم جاء الزرّاع و اخذ الحمار و حرثه الى آخر النهار
فما رجع الحمار الا مسلوخ الرقبة ميتا من التعب فتامله الثور فشكره
و مدحه فقال له الحمار كنت قاعداً بطولي فما خلّاني فضولي ثم قال
اعلم اني لك ناصح و قد سمعت استاذنا يقول ان لم يقم الثور من
موضعه اعطوه للجزّار يذبحه و يعمل جلده قطعاً و انا خائف عليك
و قد نصحتك و السلام قال فلما سمع الثور كلام الحمار شكره و قال
بكرة اسرحُ معهم ثم ان الثور اكل علفه بتمامه حتى لحس المِذْوَد
بلسانه وكل ذلك و صاحبهم يسمع كلامهم فلما طلع النهار خرج التاجر
و زوجته الى دار البقر و جلسا فجاء السواق و اخذ الثور و خرج فلما
رأى الثور استاذه طرطر ذُيله و ضرط و برطع فضحك التاجر حتى استلقى
على قفاه فقالت له زوجته من اي شيء تضحك فقال لها سرّ رأيته و سمعته
ولا اقدر ابوح به فاموت فقالت له لابد ان تخبرني به و بسبب ضحكك
ولو كنت تموت فقال لها ما اقدر ان اُبِيْح به خوفا من الموت فقالت
له انت ما تضحك الا عَلَيَّ ثم انها لم تزل تُلحّ عليه و تَلجّ عليه الى ان غلب
منها و ضجر فاحضر اولاده و ارسل احضر القاضي والشهود و اراد ان يوصي
و يبيح لها بالسرّ و يموت لانه كان يحبّها محبّة عظيمة وهي بنت عمه
و ام اولاده وقد كان عمّر من العمر مائة و عشرين سنة ثم انه ارسل احضر

جميع اهلها واهل جارته وقال لهم علي حكاية وانه متى قال لاحد على سرّه مات فقال لها جميع من حضرهما بالّله عليكِ اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجكِ ابو اولادكِ فقالت لهم ما ارجع عنه حتى يقول لي وادعه يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجّه الى دار الدواب يتوضى و يرجع يقول لهم و يموت وكان عنده ديك و تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي و يسبّ الديك ويقول له انت فرحان واستاذنا رائح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر فاعاد الكلب على الديك القصة فقال الديك و اللّه ان استاذنا قليل العقل ان لي خمسين زوجة اراضي هذه و اصالح هذه و استاذنا ما له الا فرد زوجة ولا يعرف يسُوس امره معها ما له ما يأخذ لها من عيدان التوت ويدخل الى خزانة ويضربها حتى تموت او تتوب و لا تعود تسأله عن شيء قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب قال الوزير لابنته شهرزاد افعل معك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له و ما فعل قال دخل بها الى الخزانة ثم بعد ما قطع عليها من عيدان التوت وخبّأهم داخل الخزانة دخل الخزانة وقال لها تعالى حتى اقول لك داخل الخزانة و اموت ولا ينظرني احد فدخلت معه ثم انه قفل باب الخزانة عليها ونزل عليها بالضرب الى ان اغمي عليها فقالت له تبتُ ثم انها باست يديه و رجليه و تابت وخرجت هي و اياه و فرحوا الجماعة واهلها وقعدوا في اسرّ الاحوال الى الممات قال فلما سمعت ابنة الوزير مقالة ابيها قالت له لابد من ذلك فجهّزَها وطلع الى الملك شهريار وكانت قد اوصت اختها الصغيرةَ وقالت لها اذا توجهتُ عند الملك اُرسل اطلبك فاذا جئتِ الى عندي و رأيتِ الملك قضى حاجته منّي تقولي يا اختي حدّثيني حديثا وكلاما نقطع به الليل والسَهَر وانا احدّثكِ حديثا

يكون فيه ان شاء اللّه تعالى الخلاصُ ثم ان اباها الوزيرَ طلع بها الى الملك
فلما رآه فرح وقال اتيت بحاجتي فقال نعم واراد ان يدخل عليها فبكت
فقال لها ما لكِ فقالت ايّها الملك انّ لي اختا صغيرة واريد ان اودّعها
فارسل الملك اليها فجاءت الى اختها وعانقتها وجلست تحت السرير
فقام الملك واخذ بكارتها وجلسوا يتحدّثون فقالت لها اختها الصغيرة
باللّه عليكِ يا اختي حدّثينا حديثا نقطع به سهَر ليلتنا فقالت حبّاً و
كرامة ان اذن لي الملك المهذّب فلما سمع الملك منهما ذلك وكان
قَلِقاً فرح لسماع الحديث فاذن لـــــــهـــــــا

حكاية التاجر والجنّي

الليلة الاولى قالت شهرزاد حكي ايّها الملك السعيد انه كان تاجر من
بعض التجّار وكان كثيرَ المال والمعاملات في البلاد فركب يوما وخرج
يطالب في بعض البلاد فطلع عليه الحرّ فجلس تحت شجرة وحطّ يده
في خُرجه فاخرج كِسْرة وتمرة فاكل الكسرة والتمرة فلما فرغ من اكل
التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف مسلول
فدنى من التاجر وقال له قم حتى اقتلك مثل ماقتلتَ ولدي فقال له
التاجر كيف قتلتُ ولدك قال له لمّا اكلت التمرةَ ورميت نواتها جاءت
النواة في صدر ولدي وكان كما مشى فمات من ساعته فقال التاجر
انا للّه وانا اليه راجعون لا حولَ ولا قوة الا بالله العلى العظيم ان كنتُ
قتلتُه فما قتلته الّا خطأً مني اُريد ان تعفو عني فقال الجنى لابد لي من
قتلك ثم انه جذبه وبطحه على الارض ورفع السيف ليضربه فبكى التاجر
وقال فوضت امري الى الله وانشد يـــــــقـــــــول

اَلدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا اَمْنٌ وَذَا جَــذَرُ وَالْعَيْش شَطْرَانِ ذَا صَفْوٌ وَذَا كَدَرُ
قُلْ لِلَّذِي بِصُـرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ الاَّ مَنْ لَهُ خَطَرُ
اَمَا تَرَى الرِّيحَ اِنْ هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا فَلَيْسَ تَعصِفُ الاَّ مَاهُوَ الـشَّجَرُ
وَمَا تَرِي الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِاَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ
فَاِنْ يَكُنْ عَبَثَتْ اَيدِي الزَّمَانِ بِنَا وَنَالَنَا مِنْ تَمَادِي بُوْسِهِ الضَّرَرُ
فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَـهَـا وَلَيْسَ يُكْسَفُ الاَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَكَمْ عَلَى الْاَرْضِ مِنْ خَضْرَا وَيَابِسَةٍ وَلَيْـسَ يُرْجَـمُ الاَّ مَا لَهُ ثَـمَـرُ
اَحْسَنْتَ ظَنَّـكَ بِالْاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ وَلَمْ تَخَفْ سُوْءَ مَا يَاتِي بِهِ الْـقَدَرُ

فلما فرغ التاجر من شعره قال له الجني اقصر كلامك والله لابد لي من قتلك فقال التاجر اعلم ايّها العفريت انّي عليَّ دَيْن ولي مال كثير واولاد وزوجة ورُهون فدعني اروح الى بيتي واوصل كل ذي حق حقه واعود اليك على راس سنة ولك عليّ عهد الله وميثاقه انّي اعود اليك تفعل بي ما تريد واللّهُ على ما اقول وكيل فاستوثق منه الجنّي واطلقه فرجع الى بلده وقضى جميعَ تعلقاته واوصل الحقوق الى اهلها واعلم زوجته واولاده واوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم انه قام وتوضّأ واخذ كفنه تحت ابطه وودّع اهله وجيرانه وجميع اقاربه وخرج رغماً عن انفه فاقاموا عليه العياطَ والصراخَ فتمشّى الى ان وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم راس السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما جرى له واذا قد اقبل عليه شيخ كبير ومعه غزالة مسلسلة فسلّم على ذلك التاجر وحيّاه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وانت منفرد وهو ماوى الجان فاخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا اخي ما دِينك الّا دِين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت

بالابَر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس الى جانبه وقال
و اللّه يا اخي لا ابرَح من عندك حتى انظرَ ما يجري لك مع ذلك
العفريت ثم انه جلس عنده فَهُمْ في الحديث واذا قد ادرَك ذلك التاجرَ
الخوفُ و الفزعُ والغمّ الشديد و الفكر المزيد و صاحب الغزالة بجانبه واذا
قد اقبل عليهما شيخ ثان معه كلبان فسلّم عليهما والكلبان اسودان من
الكلاب السَّلوقيّة فسألهم بعد السلام عليهم واستخبرهم وقال لهم
ما سبب جلوسكم في هذا المكان وهو ماوى الجانّ فاخبروه بالقصّة من اولها
الى آخرها فما استقرّ بهم الجلوس حتى اقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة
زُرْزُورِيّة فسلّم عليهم وسألهم عن جلوسهم في ذلك المكان فاخبروه
بالقصّة من اولها الى آخرها وليس في الاعادة افادة يا سادة فجلس عندهم
واذا بغبرة قد اقبلت و زوبعةٍ عظيمة من وسط تلك البرّيّة فانكشفت الغبرة
واذا به ذلك الجنّي وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فاتى اليهم
وجذب ذلك التاجر بيده من بينهم و قال له قم حتى اقتلك مثل
ماقتلتَ ولدي وحُشَاشة كبدي ثم انتحب ذلك التاجرُ وبكى وقامت الشيوخ
الثلثة بالبكاء والعويل والنحيب فانتبذ منهم الشيخ الاول وهو صاحب
الغزالة وقبّل يد ذلك العفريت وقال له ايّها الجنّي وتاج ملوك الجان
اذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة تهب لي ثلث دم
هذا التاجر فقال نعم ايها الشيخ اذا حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة
وهبت لك ثلث دمه فقال الشيخ اعلم ايّها العفريت ان هذه الغزالة
هي بنت عمّي ولحمي ودمي وكنت تزوّجت بها وهي صغيرة السنّ
و اقمت معها نحو ثلثين سنة فلم ارزق منها بولد فاخذتُ لي سرّيّة
فرُزِقت منها بولد ذكر كانّه البدر اذا بدا بعيون وحواجب كاملة فكبر
وانتشأ و صار ابن خمسة عشر سنة فعرضت لي سفرة الى بعض المدائن

فسافرت بمتجرٍ عظيم و كانت بنت عمي هذه الغزالة تعلّمت السحر و الكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا و تلك الجارية امّه بقرة وسلّمتهم الى الراعي وجئت انا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وامّه فقالت لي امرأتك ماتت و ابنك هرب و لم اعلم اين راح فجلست مدة سنة و انا حزين القلب باكي العين الى ان جاء عيد اللّه الاكبر فارسلتُ للراعي وامَرتهُ ان يحضر لي بقرة سمينة فحضر ببقرة سمينة و هي جاريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمّرت اذيالي واخذت السكّين بيدي واردت ان اذبحها فصاحت وولولت وبكت فتعجبتُ انا منه واخذتني الرأفة فوقفت عنها وقلت للراعي ايتني بغيرها فصاحت ابنة عمي هذه اذبحها فما عندي احسن و لا اسمن منها فتقدمت اليها لاذبحها فصاحت فقمت وامرت ذلك الراعي بذبحها وسلخها نذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما و لا لحما غير جلد و عظم فندمتُ على ذبحها حيث لا ينفعني الندم و اعطيتها للراعي و قلت له ايتِني بعجل سمين فاتاني بولدي فلما رأني ذلك العجل قطع حبله و جاءني و تمرّغ عليّ وولول وبكى فاخذتني الرافة عليه فقلت للراعي ايتِني ببقرة و دع هذا فصاحت عليّ بنت عمّي هذه الغزالة وقالت لابدّ لك من ذبح هذا العجل في هذا اليوم فانّه يوم شريف مبارك لا يذبح فيه الاّ الشيءُ المليح و ليس عندنا بين العجول اسمن منه و لا احسن منه فقلت لها انظري كيف كان حال البقرة التى ذبحت بامرك فيها نحن طلعنا منها خائبين و ما انتفعنا منها بشيءٍ اصلا وندمتُ غاية الندم على ذبحها والآن لا اقبل منك كلاماً في ذبح هذا العجل هذه المرة فقالت لي و اللّه العظيم الرحمن الرحيم لابدّ لك من ذبحه في هذا اليوم الشريف وان لم تذبحه فما انت زوجي و لا انا زوجتك فلما سمعت منها هذا الكلام الصعب و لم اعلم بمقصدها تقدمتُ الى

العجل واخذتُ بيدي السكّين فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما احسن حديثك و اطيبه واللّه واعذبه فقالت لها واين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة ان عشتُ وابقاني الملك فقال الملك في نفسه واللّه ما اقتلها حتى اسمع بقيّة حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولّى وعزل الى آخر النهار ولم يأمر الوزير بشيءٍ من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب وانفض الديوان و دخل الملك شهريار الى قصره

فلما كانت الليلة الثانية قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختي اتمّي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجنّي قالت حبّا وكرامة ان اذن لي الملك فقال الملك احكي فقالت بلغني ايها الملك السعيد و الولي الرشيد انه لما اراد ان يذبح العجل حنّ قلبه و قال للراعي ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والشيخ يحكي الى الجني والجني يتعجب من ذلك الكلام العجيب قال صاحب الغزالة يا سيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمّي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح العجل فانه سمين فلم يهون عليّ ان اذبحه وامرت الراعي ان يأخذه فاخذه وتوجه به ففي ثاني اليوم انا جالس واذا بالراعي مقبل الى عندي وقال يا سيدي اقول لك شيًا تسرّ به ولي البشارة فقلت نعم فقال ايها التاجر ان لي بنتا وكانت تعلّمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كان بالامس واعطيتنى العجل دخلتُ عليها فنظرتْ اليه بنتي وغطّت وجهها و بكت ثم انها ضحكت وقالت يا ابت أَبخس قدري عندك حتى انك تُدخل عليّ الرجال الاجانب فقلتُ لها واين الرجال الاجانب ولما ذا بكيتِ وضحكتِ فقالت لي ان هذا العجل الذي معك ابن استاذنا وهو مسحور وقد

سحرته زوجة ابيه هو وامّه فهذا سبب ضحكي واما سبب بكائي فمن اجل
امّه كيف ذبحها ابوه فتعجبتُ من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع
الصباح حتى جئتُ اليك اعلمك فلما سمعت ايّها الجني هذا الكلام من
الراعي خرجت معه وانا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور
الذي حصل لي الى ان اتيت الى داره فترحّبت بي ابنة الراعي وقبّلت
يدي ثم ان العجل جاء اليَّ وتمرّغ عليَّ فقلت لابنة الراعي أحق ما تقوليه
عن ذلك العجل قالت نعم يا سيدي انه ابنك وحُشاشة كبدِك فقلت لها
ايّتها الصبيّة ان انت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد ابيك من المواشي
والاموال فتبسمت وقالت يا سيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين
الاول ان تزوّجَني به والثاني ان اسحر من سحرته واحبسها والّا فلستُ
آمناً من مكرها فلما سمعت ايّها الجني كلام بنت الراعي فقلت ولك
فوق ما طلبت جميع ما تحت يد ابيك من الأَنْعام والاموال واما بنت
عمّي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي اخذت طاسة وملأتها ماءا ثم
انها عزمت عليها ورشّت به العجل وقالت له ان كنتَ عجلا وانت على
خلقة الله تعالى دُم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورا فعُد الى
خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض وصار انسانا فوقعت عليه
وقلت له بالله عليك احكِ عليّ ما صنعت بك بنت عمّي وبأمّك فحكى
عليَّ ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد بعث الله لك من خلّصك وخلّص
حقك ثم اني ايّها الجني زوّجت ابنة الراعي به ثم انها سحرت ابنة عمّي
هذه الغزالة وقالت لي هذه صورة جميلة ليست بصورة وحشية يكره النظر
اليها ثم ان بنت الراعي اقامت عندنا اياما ولياليي وليالي واياما حتى
اختارها الله اليه وبعد ان توفيت سافر ابني الى بلاد الهند وهي بلاد هذا
الرجل الذي جرى لك معه ما جرى فعند ذلك اخذت الغزالة بنت عمّي

وسرتُ بها من بلد الى بلد ابُصِر خبر ولدي حتى ساقتني المقادير الى هذا المكان ورأيت التاجر جالسا يبكي و هذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبتُ لك ثلث دمه فعند ذلك تقدّم الشيخ الثاني صاحب الكلبين السلوقيين وقال للجني ان حكيتُ لك ما جرى لي مع اخويَّ هذين الكلبين و رايتها اغرب حكاية واعجب تهب لي ثلث ذنبه فقال له ان كانت حكايتك اعجب واغرب فلك ذلك فقال له الشيخ اعلم يا سيد ملوك الجان ان هذين الكلبين اخوتي و انا ثالثهم ومات والدي وخلّف لنا ثلثة آلاف دينار ففتحت انا دكانا ابيع فيه و اشتري و كذلك الاخوان كلواحد فتح دكاناً فما قعدت كثيرا الا و اخي الكبير احد هولاء الكلبين باع متاع دكانه بالف دينار و اشترى بضائع و مَتْجِرا و سافر فغاب عنّا سنة كاملة و انا يوما في دكاني اذ وقف عليّ سائل فقلت يفتح اللّه فقال لي وقد بكى ما بقيتَ تعرفني فحققته واذا به اخي فقمتُ ورحّبت به و طلعتُ به الى الدكان فسألته عن حاله فاجابني لا تسأل لان المال مال و الحال حال فقمت ادخلته الحمام و البسته بِذلة من ملابسي واطلعته عندي ثم كشفت حسابي وبيع دكاني فوجدت قد كسبت الف دينار و راس مالي الفي دينار فقسمته بين اخي وبيني وقلت له احسب انك ما سافرت و لا تغرّبت فا خذها وهو فرحان و فتح له دكانًا وقمتُ اياماً و ليالِي ثم بعد ذلك قام اخي الثاني وهو الكلب الآخر باع ماكان عنده و جميع ماله واراد السفر فمنعناه فلم يمتنع فاشترى تجارة وسافر مع الاسفار وغاب عنّا سنة كاملة ثم انه اتاني كما اتى اخوه الكبير فقلت له يا اخي اَمَا نصحتك بان لا تسافر فبكى وقال يا اخي هذا مقدّر وها انا فقير لم املك الدرهم الفرد عريان ما عليّ القميص فاخذته ايّها الجنى و ادخلته الحمام و البسته بذلة جديدة من ملابسي و جئت به الى دكاني فاكلنا و شربنا وبعده قلت له يا اخي اعمل حساب

دكاني في كل راس سنة مرة و الذي اراه زائدا هو بيني و بينك فقمتُ ايها العفريت و عملت حساب دكاني فرأيت الفي دينار فحمدت الباري سبحانه وتعالى فاعطيت اخي الفا وبقي معي الف فقام اخي وفتح دكانًا وقعدنا جملة ايام ثم بعد مدة قاموا عليّ اخوتي و ارادوا ان اسافر و ايّاهم فلم افعل و قلت لهم ايش كسبتم انتم في سفركم حتى اكسب انا فما سمعت منهم واقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري وهم يعرضون عليّ السفر كل سنة و انا لا ارضى حتى مضت لنا ستّة سنين فانعمتُ لهم بالسفر و قلت لهم يا اخوتي ها انا مسافر معكم و لٰكن هاتوا لكَيْ ننظر ايش معكم من المال فلم اجد معهم شيأ بل ودروا كل شيأ لانهم كانوا متعكفين على الاكل و الشرب و الملذذات فما كلمتهم ولا قلت لهم شيأ بل قمت عملت حساب دكاني وخلّيت ما عندي من المال و كل ما كان عندي من البضائع فوجدت معي ستّة آلاف دينار ففرحت وقمت قسمتها نصفين و قلت لهم هذه ثلثة آلاف دينار لي ولكم لكي نتاجر بها وقمت دفنت الثلثة آلاف دينار الاخرى احتمالاً ان يجري عليّ ما جرى عليهم فاجيُ ابُقى ثلثة آلاف دينار نفتح بها دكاكيننا و ارتضوا كلهم فاعطيتُ كلواحد الف دينار وبقي لي مثلهم الف دينار فتحوّجنا البضائع الواجبة وجهّزنا المسفر و اكرينا مركبا و نقلنا فيه حوايجنا و سافرنا اول يوم و ثاني يوم مدة شهر كامل فدخلنا مدينة ومعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير و اردنا نسافر فوجدنا على شاطي البحر جارية عليها خِلقة مقطّعة فقبّلت يدي وقالت يا سيدي هل فيك حسنة و معروف اجازيك عليهما قلت نعم اني احبّ الحسنة والمعروف و ان لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوّجني و خذني بلادك فاني قد وهبت نفسي لك فافعل معي معروفا واما انا ممن يُفعل معه المعروف والحسنة واجازيك عليهما ولا يغُرّنّك حالي فلما سمعت

كلامها حنّ لها قلبي لامرٍ يريده الله عزّ و جلّ فاخذتُها و كسوتها و فرشتُ
لها في المركب فرشا حسنا و اقبلت عليها و اكرمتها و سافرنا و قد احبّها قلبي
محبّة عظيمة و صرت لا افارقها ليلا و لا نهارا و اشتغلتُ بها عن اخوتي فغاروا
منّي و حسدوني على مالي و كثرة بضاعتي فَسهرت عيونهم في المال
جميعه فتحدّثوا في قتلي و اخذ مالي و قالوا نقتل اخانا و يصير المال
جميعه لنا و زيّن لهم الشيطان اعمالهم و خلّوني و انا نائم بجانب زوجتي
و حملوني و زوجتي و رمونا في البحر فلما استيقظت زوجتي و قد
انتفضت فصارت عفريتة و حملتني و طلعتني على جزيرة و غابت عنّي
قليلا و عادت عند الصباح و قالت ها انا جاريتك انا التي حملتك و نجّيتك
من القتل باذن الله تعالى واعلم اني جنيّة رأيتك فحبّك قلبي لله و انا
مومنة بالله و رسوله (صلى الله عليه و سلّم) فجئتك بالذي رأيتني فيه
فتزوّجتَ بي و ها انا قد نجّيتك من الغرق و قد غضبتُ على اخوتك
ولابدّ ان اقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت و شكرتها على فعلها وقلت
لها اما هلاك اخوتي فلا ثم حكيت لها على ما جرى لي معهم من اوّل
الزمان الى آخره فلما عرَفَتْ قالت انا في هذه الليلة اطير اليهم واُغرِق
مركبهم و اهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلي فان المثل يقال يا
محسن لمن اساءَ كفى المسيء فعلُه وهما اخوتي على كل حال قالت و الله
لابدّ لي من قتلهم فتدخّلتُ عليها ثم انها حملتني و طارت فوضعتني
على سطح داري ففتحت الابواب و اخرجت الذي خبّيته تحت الارض
وفتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس و اشتريت بضائع فلما كان العشاء
رجعت الى بيتي فوجدتُ هذين الكلبين مربوطين في داري فلما رأوني
قاموا اليّ وبكوا و تعلقوا بي فلم اشعر الّا و زوجتي قالت هولاء اخوتك فقلت
و من فعل بهم هذا الفعل قالت انا ارسلت الى اختي ففعلت بهم ذلك

و ما يتخلّصوا الّا بعد عشر سنوات فجيت و انا سائر اليها تخلّصهم بعد ان
اقامتهم عشر سنوات في هذه الحال فرأيت هذا الفتى فاخبرني بما جرى
له فاردت ان لا ابرح حتى انظر ما يجري بينك و بينه و هذه قصّتي
فقال الجني انها حكاية عجيبة و قد وهبت لك ثُلْث دمه و جنايته قال
الشيخ الثالث صاحب البغلة انا احكي لك حكاية اعجب من الاثنين و
تهب لي باقي دمه و جنايته ايّها الجني قال نعم فقال الشيخ ايّها السلطان
و رئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي فسافرتُ و غبتُ عنها سنة
كاملة ثم قضيت سفري و جيت اليها في الليل فرأيت عبدا اسود راقدا معها
في الفراش و هم في كلام و غنج وضحك و بوس و هراش فلما رأتني عجلت
و قامت اليّ بكوز فيه ماء فتكلّمت عليه و رشّتني و قالت اخرج من هذه
الصورة الى صورة كلب فصرتُ في الحال كلباً فطردتني من البيت فخرجت
من الباب و لم ازل اسير حتى وصلتُ الى دكان جزّار فتقدمت و صرت آكلُ
من العظام فلما رآني صاحب الدكان اخذني و دخل بي بيته فلما رأتني
بنت الجزّار غطّت وجهها منّي و قالت تجيّ لنا برجل و تدخل به علينا فقال
ابوها اين الرجل قالت هذا الكلب رجل سحرته امرأته و انا اقدر اخلّصه
فلما سمع ابوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلّصيه فاخذت كوزا فيه
ماء و تكلّمت عليه و رشّت عليّ منه قليلا و قالت اخرج من هذه الصورة
الى صورتك الاولى فعدتُ الى صورتي الاولى فقبّلت يدها و قلت لها
اريد ان تسحري زوجتي كما سحرتني فاعطتني قليلا من الماء و قالت اذا
رأيتها نائمة رُشّ هذا الماء عليها و تكلم معها بكلام اردته فانها تصير
بما انت طالب فاخذت الماء و دخلت الى زوجتي فوجدتها نائمة
فرشّيت عليها الماء و قلت اخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت
في الحال بغلة و هي هذه التي تنظرها بعينك ايّها السلطان و رئيس

ملوك الجان وقال لها صحيح فهزّت راسها وقالت بالاشارة يعني إيْ والله هذا حديثي وما جرى لي فلما فرغ من حديثه اهتزّ الجني من الطرب ووهب له ثلث دمه فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختي ما احلى حديثك واطيبه والذّه واعذبه فقالت واين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة ان عشتُ وابقاني الملك فقال الملك والله لا اقتلها حتى اسمع بقيّة حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك محل حكمه وطلع العسكر والوزير واحتبك الديوان فحكم الملك وولّى وعزل ونهى وامر الى آخر النهار فانفضّ الديوان فدخل الملك شهريار الى قصره فلما اقبل الليل قضى حاجته من بنت الوزير

فلما كانت الليلة الثالثة قالت لها اختها دنيازاد يا اختي اتمّي لنا حديثك فقالت حبّا وكرامة بلغني ايّها الملك السعيد ان الشيخ الثالث قال للجني حكاية اعجب من الحكايتين فتعجب الجني غاية العجب واهتزّ من الطرب وقال قد وهبت لك باقي جنايته واطلقته لكم فاقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنّوه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذا باعجب من حكاية الصيّاد

حكاية الصيّاد

قال وكيف ذلك قالت بلغني ايّها الملك السعيد انه كان رجلا صيّادا وكان طاعنا في السن وله زوجة وثلثة اولاد وهو فقير الحال وكان من عادته انه يرمي شَبكته كل يوم اربع مرّات لا غير ثم انه خرج يوما من بعض الايام في وقت الظهر واتى الى شاطي البحر وحطّ مِقْطفه وشمّر قميصه

و خاض في البحر و طرح شبكته و صبر الى ان استقرت في الماء و جمع خيطانها فوجدها ثقلت فجذبها فلم يقدر على ذلك فجاء بالطرف للبر و دقّ وتدا و ربطها و تعرّى و غطس في الماء حول الشبكة و مازال يعاقر حتى اطلعها ففرح و طلع و لبس ثيابه و اتى الى الشبكة فوجد فيها حماراً ميّتا و قد خرق الشبكة فلما رأى ذلك حزن و قال لا حول و لا قوة الاّ باللّه العليّ العظيم ثم ان الصياد قال ان هذا الرزق عجيب و انشد يقول

يَا خَائِضًا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَ الْهَلَكَهْ ... اَقْصِرْ عَنَاكَ فَلَيْسَ الرِزْقُ بِالْحَرَكَه
اَ مَا تَرَى الْبَحْرَ وَ الصَّيَّادَ مُنْتَصِبًا ... لِرِزْقِهِ وَ نُجُومُ اللَّيْلِ مُحْتَبِكَهْ
قَدْ خَاضَ فِي وَسْطِهِ وَ الْمَوْجُ يَلْطِمُهُ ... وَ عَيْنُهُ لَمْ تَزَلْ فِي كَلْكَلِ الشَّبَكَهْ
حَتَّى اِذَا بَاتَ مَسْرُورًا بِلَيْلَتِهِ ... بِالْحُوتِ قَدْ شَقَّ سَفُّودُ الرَّدَى حَنَكَهْ
اِبْتَاعَهُ مِنْهُ مَنْ قَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ ... سَالِمْ مِنَ الْبَرْدِ فِي خَيْرٍ مِنَ الْبَرَكَهْ
سُبْحَانَ رَبِّي يُعْطِي ذَا وَ يَحْرِمُ ذَا ... هٰذَا يَصِيدُ وَ هٰذَا يَاكُلُ السَّمَكَهْ

ثم قال هَيَّا لا بد من كرامة ان شاء الله تعالى و انشد يقول

وَ اِذَا بُلِيْتَ بِعُسْرَةٍ فَالْبَسْ لَهَا ... صَبْرَ الْكَرِيْمِ فَاِنَّ ذٰلِكَ اَحْزَمُ
لَا تَشْكُوَنَّ اِلَى الْعِبَادِ فَاِنَّمَا ... تَشْكُوا الرَّحِيْمَ اِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

ثم خلصه من الشبكة و عصرها فلما فرغ من عصرها نشرها و خاض البحر و قال بسم اللّه و طرحها و صبر عليها حتى استقرت فثقلت و رسخت اكثر من الاول فظن انه سمك فربط الشبكة و تعرى و نزل و غطس الى ان خلصها و عاقر الى ان طلعها على البرّ فوجد فيها زيرا كبيرا و هو ملآنٌ رمل وطين فلما رأى ذلك تاسّف و انشد يقول

يَا حُرْقَةَ الدَّهْرِ كُفِّي ‏ ‏ اِنْ لَمْ تَكُفِّي فَعِفِّي
خَرَجْتُ اَطْلُبُ رِزْقِي ‏ ‏ وَجَدتُ رِزْقِي تُوُفِّي
كَمْ جَاهِلٍ فِي الثُّرَيَّا ‏ ‏ وَعَالِمٍ فِي الثَّرَا مُخْفِي

ثم انه رمى الزير و عصر شبكته و نظفها و استغفر اللّه تعالى و عاد الى البحر ثالث مرة و رمى الشبكة و صبر عليها حتى استقرت و جذبها فوجد فيها شقافا و قوارير و عظاما فاغتاظ جدا و بكى و انشد يقول

هُوَ الرِّزقُ لاَ حَلٌّ لَدَيكَ وَلاَ رَبطُ ‏ ‏ وَلاَ اَدَبٌ يُعطِيكَ رِزقًا وَلاَ خَطُّ
وَلاَ الحَظُّ وَ الاَرزَاقُ اِلاَّ مُقَسَّمٌ ‏ ‏ فَاَرضٌ بِهَا خِصبٌ وَاَرضٌ بِهَا قَحطُ
تَحُطُّ صُرُوفُ الدَّهرِ كُلَّ مُهَذَّبٍ ‏ ‏ وَتَرفَعُ مَن لاَ يَستَحِقُّ لَهُ الحَطُّ
فَيَا مَوتُ زُر اِنَّ الحَيٰوةَ ذَمِيمَةٌ ‏ ‏ اِذَا انحَطَّتِ البَازَاتُ وَارتَفَعَ البَطُّ
فَلاَ عَجَبًا اِن كُنتَ عَايَنتَ فَاضِلاً ‏ ‏ فَقِيرًا وَ ذَا نَقصٍ بِدَولَتِهِ يَسطُو
فَطَيرٌ يَطُوفُ الاَرضَ شَرقًا وَ مَغرِبًا ‏ ‏ وَآخَرُ يُعطَى الطَّيِّبَاتِ وَلاَ يَخطُو

ثم انه رفع راسه الى السماء و قال اللهمّ انك تعلم اني لم ارم شبكتي كل يوم الا اربع مرّات و قد رميت ثلاثا و لم يأتني شيء فارزقني اللهمّ في هذه المرة برزقي ثم انه سمّى اللّه و رمى الشبكة فى البحر و صبر الى ان استقرت و جذبها فلم يطق جذبها و اذا بها اشتبكت في الارض فقال لا حول و لا قوة الّا باللّه ثم انشد

اُفٍّ لِلدُّنيَا اِذَا كَانَت كَذَا ‏ ‏ اَنَا فِيهَا فِي بَلاَءٍ وَاَذَى
اِن صَفَا عَيشُ امرِئٍ فِي صُبحِهَا ‏ ‏ جَرَّعَتهُ مُمسِيًا كَاسَ الرَّدَى
وَلَقَد كُنتُ اِذَا مَا قِيلَ مَن ‏ ‏ اَنعَمُ العَالَمِ عَيشًا قِيلَ ذَا

و تعرى و غطس عليها و صار يجاهد فيها الى ان طلعت على البرّ و فتح
الشبكة فوجد فيها قمقم نحاس اصفر ملآن و فمه مختوم برصاص عليه
طبع خاتم سيّدنا سليمان بن داؤد عليهما السلام فلما رآه الصياد فرح
وقال هذا ابيعه في سوق النحاس فانه يساوي عشرة دنانير ذهب ثم انه
حرّكه فوجده ثقيلا و وجده مسدودا فقال في نفسه يا ترى ايش في هذا ٥
القمقم افتحه و انظر ما فيه و بعده ابيعه ثم انه اخرج سكّينا و عالج في
الرصاص الى ان فكّه من القمقم و حطّه الى جانب الارض وهزّه لينكب ما
فيه فلم ينزل منه شيٌ فتعجب غاية العجب ثم انه خرج من القمقم دخان
صعد الى عنان السماء و مشى على وجه الارض و بعد ذلك تكامل
الدخان و اجتمع والتمّ و انتفض فصار عفريتا راسه في السحاب ورجلاه ١٠
في التراب براس كالقبّة بايدٍ كالمداري برجلين كالسواري بفم كالمغار
و اسنان كالحجارة و مناخير كالابريق و عينين كانهما سراجين اعبس
اغلس فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبّكت اسنانه
و نشف ريقه و عمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا اللّه
سليمان نبيّ اللّه ثم قال العفريت يا نبيّ اللّه لا تقتلني فاني لا عدت ١٥
اخالف لك قولا و لا اعصي لك امرا فقال له الصياد ايّها المارد تقول
سليمان نبيّ اللّه وسليمان مات من مدة الف و ثمانمأية سنة و نحن
في آخر الزمان فما قصّتك و ما حديثك و ما سبب دخولك في هذا
القمقم قال فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا اللّه ابشر يا صياد
فقال الصياد بما ذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة شر قتلة قال ٢٠
الصياد تستاهل على هذه البشارة يا قيّم العفاريت بزوال الستر عنك يا
بعيد لايّ شيٍ تقتلني وايّ شيٍ يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم
ونجّيتك من قرار البحر و طلعت بك الى البرّ فقال العفريت تمنّ عليّ

ايّ موتة تموت بها و ايّ قتلة تقتل بها فقال الصياد ما ذنبي و ما جزائي
منك قال العفريت اسمع حكايتي يا صياد قال الصياد قل و اوجز في الكلام
فان روحي وصلت الى انفي فقال اعلم يا صياد اني من الجن المارقين
و قد عصيت سليمان بن داوُد عليهما السلام انا و صخر الجني فارسل
لي وزيره اصف بن برخيا فاتى بي كرها و قادني و انا ذليل على رغم انفي
و اوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ منّي و اعرض عليّ الايمان
و الدخول تحت طاعته فابيت فدعا بهذا القمقم و حبسني فيه و ختم عليّ
بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم و امر الجنّ فاحتملوني و القوني في وسط
البحر فاقمت مائة عام و قلت في قلبي كل من خلصني اغنيته الى الابد
فمرّت مائة عام و لم يخلصني احد و دخلت عليّ مائة اخرى فقلت كل
من خلصني فتحت له كنوز الارض فما خلصني احد فمرّ عليّ اربعمائة
عام أُخر فقلت كل من خلصني اقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني احد
فغضبت غضبا شديدا و قلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة
قتلته و منّيته كيف يموت و ها انت قد خلصتني و منّيتك كيف تموت
فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا للّه العجب انا ما جئْت اخلصك الا
في هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلي يعف اللّه عن
قتلك و لا تهلكني يسلّط اللّه عليك من يهلكك فقال المارد لابد من
قتلك فتمنّ عليّ ايّ موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع
العفريت و قال اعف عني اكراماً لما اعتقتك فقال العفريت و انا ما اقتلك
الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت اصنع معك مليحاً
تقابلني بالقبيح و لكن لم يكذب المثل حيث قال هذا الشعر

فَعَلْنَا جَمِيلاً قَابَلُونَا بِضِدِّهِ وَهٰذَا لَعَمْرِي مِنْ فِعَالِ الْفَوَاجِرِ
وَمَنْ يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ مَعَ غَيْرِ اَهْلِهِ يُجَازَى كَمَا جُوزِي مُجِيرُ اُمِّ عَامِرِ

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطل فلابدّ من موتك فقال الصياد
هذا جنيّ و انا انسيّ وقد اعطاني اللّه عقلا كاملا و ها انا ادبّر في هلاكه
بحيلتي وبعقلي وهو يدبّر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت لابدّ من قتلي 5
قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان بن داود
عليهما السلام اسألك عن شيءٍ وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت
لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب و اهتزّ وقال له سل و اوجز فقال له
انت كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك
كلّك فقال له العفريت و انت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا ١٥
اصدقك ابدا حتى انظرك بعيني فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة قالت لها اختها اتمّي لنا حديثك ان
كنت غير نايمة فقالت بلغني ايّها الملك السعيد ان الصياد قال للعفريت
لا اصدّقك ابدا حتى انظرك بعيني فح قد انتفض العفريت وصار دخانا على
البحر واجتمع ودخل القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم
و اذا بالصياد اسرع و اخذ سدادة الرصاص المختومة و طبعها على فم
القمقم و نادى على العفريت و قال له تمنّ عليَّ ايّ موتة تموتها و اللّه
لارمينّك في هذا البحر وابني لى هنا بيتا وكل من اتى هنا امنعه ان
يصطاد و اقول له هنا عفريت كل من طلع به يمنّيه كيف يموت وكيف يقتله
فلما سمع العفريت كلام الصياد و رأي نفسه محبوسا واراد الخروج فلم يقدر
و منعه خاتم سليمان وعلم ان الصياد تحايل عليه فقال انا كنت امزح

معك فقال له الصياد تكذب يا احقر العفاريت و انذرها و اصغرها ثم ان
الصياد اخرج القمقم الى جانب البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد
ايْ ايْ و رقّ المارد كلامه و تخضّع وقال ما تريد تصنع بي يا صياد قال القيك
في البحر ان كنت اقمت فيه الفا و ثمانماية سنة فانا اخليك تمكث فيه
الى ان تقوم الساعة انا ما قلت لك ابقني يبقك اللّه و لا تقتلني يقتلك
اللّه فابيت قولي و ما اردت الّا ان تغدر بي فارماك اللّه في يدي فغدرت
بك فقال العفريت افتح لي حتى احسن اليك فقال له الصياد تكذب يا
ملعون انا مثلي و مثلك مثل وزير الملك يونان و الحكيم دوبان فقال
العفريت و ما وزير الملك يونان و الحكيم دوبان و ما قصّتهما فقال الصياد
اعلم ايها الـــــــعـــــــفـــــــريت

حكاية وزير الملك يونان

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر و الاوان في مدينة الفرس و ارض
رومان ملك يقال له يونان وكان ذو مال و جنود و هيبة و اعوان من سائر
الاجناس وكان في جسده برص وقد اعيى الاطباء و الحكماء فيه و شرب ادوية
و سفوفا ودهانا فلم ينفعه من ذلك شيٌ و ما احد من الاطباء قدر ان يبرئه
و كان قد دخل الى مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن
يقال له الحكيم دوبان و كان قد قرأ الكتب اليونانية و الفارسية و الرومية
و العربية و السريانية و علم الطب و النجوم وعلم تاسيس حكمتها و قواعد
امورها و منفعتها و مضرّتها و علم جميع النباتات و الحشائش و الاعشاب
المضرّة و النافعة و علم الفلاسفة و حاز جميع العلوم الطبيّة و غيرها ثم ان
الحكيم لما دخل المدينة و اقام بها ايّاما قلائل سمع خبر الملك وما جرى له
في بدنه من البرص الذي ابتلاه اللّه به و قد عجزت عن مداواته الاطباء

و اهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما اصبح الصباح و اضاء
بنوره ولاح لبس الحكيم افخر ثيابه ودخل على الملك يونان و قبّل الارض
بين يديه و دعا له بدوام العزّ والنعم واحسن ما به تكلم واعلمه بنفسه فقال
ايّها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك و انّ كثيرا من
الاطباء ما عرفوا الحيلة في ذهابه وها انا اداويك ايّها الملك و لا اسقيك
دواءا ولا ادهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف
تفعل فوالله ان ابرأتني اغنيك لولد الولد و انعم عليك و كلما تمنّيته
فهو لك وتكون نديمي و حبيبي ثم انه اخلع عليه واحسن اليه وقال له
تبرئني من هذا المرض بلا دواء و لا دهان قال نعم ابرئك فتعجب
الملك غاية العجب ثم قال له ايّها الحكيم الذي ذكرته لي يكون
في ايّ الاوقات وايّ الايّام فاسرع يا ولدي قال له سمعا وطاعة يكون غدا
ثم نزل الى المدينة و اكرى له بيتا و حطّ فيه كتبه و ادويته وعقاقيره
ثم استخرج الادوية و العقاقير وجعله جوكانا وجوّفه وعمل له قبضة
وصنع له اكرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك
في اليوم الثاني ودخل عليه وقبّل الارض بين يديه و امره ان يركب
الى الميدان و ان يلعب بالاكرة و الصولجان وكان معه الامراء والحجّاب
والوزراء و ارباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتى دخل
عليه الحكيم دوبان وناوله الجوكان و قال له خذ هذا الجوكان واقبض
عليه مثل هذه القبضة و سوّق في الميدان وتمطأ جيّدا و اضرب الاكرة
حتى يعرق كفك و جسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في جسدك
فاذا فرغت وحاق الدواء فيك فارجع الى قصرك و ادخل بعد ذلك الحمام
و اغتسل ونم فقد برئت و السلام فعند ذلك اخذ الملك يونان الجوكان
من الحكيم ومسكه بيده و ركب الجواد و رمى الاكرة بين يديه و ساق

خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وقد قبض كفه على قبضة الجوكان ومازال يضرب الاكرة و يسوق خلفها و يضربها حتى عرق كفه و سائر بدنه و سرت الدواء من القبضة و عرف الحكيم دوبان ان الدواء سرى في جسده فامره بالرجوع الى قصره و دخول الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته و امران يخلوا له الحمام فاخلوه له وتسارعت اليه الفرّاشين وتسابقت المماليک و عبّوا للملک قماشه و دخل الحمام واغتسل غسلا جيّدا ولبس ثيابه من داخل الحمام و خرج منه و ركب الى قصره و نام فيه هذا ما كان من امر الملک يونان و اما ماكان من امر الحكيم دوبان فانه رجع الى داره وبات فلما اصبح الصباح طلع الى الملک و استاذن عليه فامره بالدخول فدخل و قبّل الارض بين يديه و اشار الى الملک بهذه الابيات و انشد مترنّما يقول

سَمَتِ الْفَضَائِلُ اِذْ دُعِيتَ لَهَا اَبَا … وَ اِذَا دُعِيْ يَوْمًا سِوَاکَ لَهَا اَبَى

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الَّذِيْ اَنْوَارُهُ … تَمْحُو مِنَ الْخَطْبِ الْجَسِيمِ غَيَاهِبَا

مَازَالَ وَجْهُکَ مُشْرِقًا مُتَهَلِّلًا … اِذْ لَمْ يَزَلْ وَجْهُ الزَّمَانِ مُغَضَّبَا

اَوْلَيْتَنِي مِنْ فَضْلِکَ الْمِنَنَ الَّتِي … فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّحَابِ مَعَ الرُّبَا

وَ رَمَيْتَ مَالَکَ بِالنَّدَا فِي مَهْلِکٍ … حَتَّى بَلَغْتَ مِنَ الْمَعَالِي مَارِبَا

فلما فرغ من شعره نهض الملک قائما على قدميه و اعتنقه و اجلسه بجنبه و اخلع عليه الخلع السنيّة وكان الملک لما خرج من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيأ من البرص وصار جسده نقيّا مثل الفضّة البيضاء ففرح الملک غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما اصبح الصباح و دخل الي الديوان و جلس على سرير ملكه قامت اليه الحجّاب و اكابر الدّولة و دخل عليه الحكيم دوبان فلما رآه قام اليه مسرعا و اجلسه بجانبه

واذا بموائد الطعام الفاخرة وضعت فاكل صحبه و ما زال عنده ينادمه طول
نهاره فلما اقبل الليل اعطى الحكيم دوبان الفين دينارا غير الخلع و
الانعام و اركبه جواده فانصرف الى داره و الملك يونان يتعجب من صنعه
و يقول هذا داواني من ظاهر جسدى ولا دهنني بدهان فو الله ما هذه
الّا حكمة بالغة فيجب لهذا الرجل الانعام و الاكرام واتخذه جليسا و انيساً
مدى الزمان و بات الملك يونان مسرورا فرحان بصحة جسمه و خلاصه
من مرضه فلما اصبح خرج الملك يونان و جلس على كرسيّه و وقفت
ارباب دولته و جلست الامراء و الوزراء عن يمينه و يساره فعند ذلك طلب
الملك يونان الحكيم دوبان فدخل عليه وقبّل الارض بين يديه فقام له
الملك واجلسه بجانبه و اكل معه و حيّاه و اخلع عليه واعطاه و لم يزل
يحدّثه الى ان اقبل الليل فرسم له بخمس خلع و الف دينار ثم انصرف
الحكيم الى داره و هو شاكر من الملك فلما اصبح الصباح خرج الملك الى
الديوان وقد احدقت به الامراء و الوزراء و الحجّاب قال الراوي وكان
للملك وزير بشع المنظر نحس ليم بخيل حسود و هو يحبّ الحسد
فلما رأي الوزيرُ الملكَ قرّب الحكيم دوبان واعطاه هذا الانعام حسده
الوزير و اضمر له الشرّ كما قيل في المعنى ما خلا جسد من حسد و قالوا
الظلم كمين في النفس القوة تظهره و الضعف يخفيه ثم ان الوزير تقدم
الى الملك يونان و قبّل الارض بين يديه و قال له يا ملك العصر
والاوان انت الذي نشأتُ في احسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فان
اخفيتها منك اكون ابن زنا فان امرتني ان ابديها ابديتُها لك فقال
الملك و قد ازعجه كلام الوزير و ما نصيحتك فقال ايها الملك الجليل قالت
القدماء من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب و قد رأيت الملك
على غير صواب و قد انعم على عدوّه وعلى من يطلب زوال ملكه و قد

خلفها حتى لحقها و ضربها بقوة و قد قبض كفّه على قبضة الجوكان و مازال يضرب الاكرة و يسوق خلفها و يضربها حتى عرق كفه و سائر بدنه و سرت الدواء من القبضة و عرف الحكيم دوبان ان الدواء سرى في جسده فامره بالرجوع الى قصره و دخول الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته و امر ان يخلوا له الحمام فاخلوه له و تسارعت اليه الفرّاشين و تسابقت المماليك و عبّوا للملك قماشه و دخل الحمام و اغتسل غسلا جيّدا و لبس ثيابه من داخل الحمام و خرج منه و ركب الى قصره و نام فيه هذا ما كان من امر الملك يونان و اما ما كان من امر الحكيم دوبان فانه رجع الى داره و بات فلما اصبح الصباح طلع الى الملك و استاذن عليه فامره بالدخول فدخل و قبّل الارض بين يديه و اشار الى الملك بهذه الابيات و انشد مترنّما يـــــقـــــول

سَمَتِ الْفَضَائِلُ إِذْ دُعِيتَ لَهَا أَبَا ... وَ إِذَا دُعِي يَوْمًا سِوَاكَ لَهَا أَبَى
يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الَّذِي أَنْوَارُهُ ... تَمْحُو مِنَ الْخَطْبِ الْجَسِيمِ غَيَاهِبَا
مَازَالَ وَجْهُكَ مُشْرِقًا مُتَهَلِّلاً ... إِذْ لَمْ يَزَلْ وَجْهُ الزَّمَانِ مُغَضَّبَا
أَوْلَيْتَنِي مِنْ فَضْلِكَ الْمِنَنَ الَّتِي ... فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّحَابِ مَعَ الرُّبَا
وَ رَمَيْتَ مَالَكَ بِالنَّدَا فِي مَهْلَكٍ ... حَتَّى بَلَغْتَ مِنَ الْمَعَالِي مَأْرَبَا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه و اعتنقه و اجلسه بجنبه و اخلع عليه الخلع السنيّة و كان الملك لما خرج من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيا من البرص و صار جسده نقيّا مثل الفضّة البيضاء ففرح الملك غاية الفرح و اتسع صدره و انشرح فلما اصبح الصباح و دخل الي الديوان و جلس على سرير ملكه قامت اليه الحجّاب و اكابر الدّولة و دخل عليه الحكيم دوبان فلما راه قام اليه مسرعا و اجلسه بجانبه

و اذا بموائد الطعام الفاخرة وضعت فاكل صحبه و ما زال عنده ينادمه طول نهاره فلما اقبل الليل اعطى الحكيم دوبان الفين دينارا غير الخلع و الانعام و اركبه جواده فانصرف الى داره و الملك يونان يتعجب من صنعه و يقول هذا داواني من ظاهر جسدى ولا دهنني بدهان فو الله ما هذه الّا حكمة بالغة فيجب لهذا الرجل الانعام و الاكرام و اتخذه جليسا و انيساً مدى الزمان و بات الملك يونان مسرورا فرحان بصحة جسمه و خلاصه من مرضه فلما اصبح خرج الملك يونان و جلس على كرسيّه و وقفت ارباب دولته و جلست الامراء و الوزراء عن يمينه و يساره فعند ذلك طلب الملك يونان الحكيم دوبان فدخل عليه وقبّل الارض بين يديه فقام له الملك واجلسه بجانبه و اكل معه و حيّاه و اخلع عليه واعطاه و لم يزل يحدّثه الى ان اقبل الليل فرسم له بخمس خلع و الف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره و هو شاكر من الملك فلما اصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد احدقت به الامراء و الوزراء و الحجّاب قال الراوي وكان للملك وزير بشع المنظر نحس ليم بخيل حسود و هو يحبّ الحسد فلما رأي الوزير الملك قرّب الحكيم دوبان واعطاه هذا الانعام حسده الوزير و اضمر له الشرّ كما قيل في المعنى ما خلا جسد من حسد وقالوا الظلم كمين في النفس القوة تظهره و الضعف يخفيه ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان و قبّل الارض بين يديه و قال له يا ملك العصر والاوان انت الذي نشأتُ في احسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فان اخفيتها منك اكون ابن زنا فان امرتني ان ابديها ابديتُها لك فقال الملك و قد ازعجه كلام الوزير و ما نصيحتك فقال ايها الملك الجليل قالت القدماء من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب و قد رأيت الملك على غير صواب و قد انعم على عدوّه وعلى من يطلب زوال ملكه و قد

احسن اليه واكرمه غاية الاكرام وقرّبه غاية القرب وانا اخشي علي الملك
فقال له الملك وقد انزعج وتغيّر لونه عمن ترعم والي من تشير
قال له الوزير ان كنت نايما استيقظ فانا اشير الي الحكيم دوبان فقال الملك
ويلك هذا صديقي وهو اعز الناس عندي لانه داواني بشيٍ قبضته بيدي
وابرأني من مرضي الذي عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله في هذا
الزمان ولا في الدنيا غربا ولا شرقا وانت تقول عنه هذا المقال وانا من
اليوم ارتب له الرواتب والجرايات واعمل له في كل شهر الف دينار
ولو قاسمته في ملكي لكان قليلا وما اظنّ انك تقول ذلك الّا حسدا كما
بلغني عن الملك السندباد فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
فلما كانت الليلة الخامسة قالت لها اختها اتمي لنا حديثك
ان كنت غير نايمة فقالت بلغني ايّها الملك السعيد ان الملك يونان
قال لوزيره ايّها الوزير انت داخلك الحسد من اجل هذا الحكيم وتريد
قتله وبعد ذلك اندم كما ندم الملك السندباد علي قتل الباز فقال
الوزير العفو يا ملك الزمان وكيف كان ذلك فقال الملك

حكاية الملك السندباد

حكي والله اعلم انه كان ملك من ملوك الفرس وكان يحبّ الفرح
والتنزّه والصيد والقنص وكان مربّي باز لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان
طول الليل شائله علي يده واذا طلع الي الصيد يأخذه معه وعامل له
طاسة من الذهب معلّقة في رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا
بامير الرُخّه يقول يا ملك الزمان هذا اوان الخروج للصيد فامر الملك
بالخروج واخذ الباز علي يده وساروا الي ان وصلوا الي وادٍ وضربوا
حلقة الصيد واذا بغزالة وقعت في حلقة الصيد فقال الملك كل من

نطّت الغزالة فوق دماغه قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد و اذا بالغزالة
دخلت لبيت الملك و ثبتت على رجليها و حطّت يديها على صدرها
كانها تبوس الارض للملك فطاطاء الملك للغزالة ففرّت من فوق دماغه
راحت للبرّ فظل الملك رأى العسكر يتغامزون عليه فقال يا وزير ما ذا يقول
العسكر فقال يقولون انك قلت كل من نطّت الغزالة فوق راسه يقتل
فقال الملك و حيات راسي لاتّبعها حتى اجي بها فطلع الملك تابع
الغزالة و لم يزل وراءها الى جبل من الجبال فارادت ان تعبر الغار
فسيّب الباز وراءها فصار يلطشها في عينيها الى ان اعماها و دوّخها
فسحب الملك دبّوساً و ضربها قلبها و نزل ذبحها و سلخها و علّقها في
قربوس السرج وكانت ساعة قيالة وكانت الغابة مُقفِرة لم يوجد فيها
ماء فعطش الملك و عطش الحصان فدوّر الملك فرأى شجرة نازلا منها
ماء مثل السَمْن وكان الملك لابسَ كفوف من جلد السرادق فاخذ
الطاسة من رقبة الباز وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه و اذا
بالباز لطس الطاسة قلبها فاخذ الطاسة ثانيا واخذ النفط النازلة حتى
ملأها و ظن انّ الباز عطشان فوضعها قدامه فلطسها قلبها فانقبض
الملك من الباز وقام ثالث مرة وملاء الطاسة وقدّمها للحصان فقلبها
الباز بجناحه فقال الملك اللّه يخيبك يا ايشم الطيور احرمتني من الشرب
واحرمت نفسك واحرمت الحصان و ضرب الباز بالسيف رمى اجنحته
فصار الطير يقيم راسه و يقول بالاشارة انظر الذي فوق الشجرة فقام
الملك عينُه فرأى فوق الشجرة فرخ آفة وهذا سمّها فندم الملك على
قصّ اجنحة الباز وقام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة الى ان وصل
الى الوطَاق بمتاعه فاعطى الغزالة الى الطبّاخ وقال له خذ شوّها وجلس
الملك على الكرسي والبا زُ على يده فشهق الباز مات فصرخ الملك حزنا

وأَسَفا على قتل الباز وكونه خلّصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلامَ الملك يونان قال له ايّها الملك العظيم الشان وما الذي فعله من الضرورة ولا رأيت منه سوءا وانما افعل هذا شفقة عليك ولاجل ان تعلم صحة ذلك والّا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك قال الملك يونان وكيف كان ذلك

حكاية الوزير المحتال

فقال الوزير اعلم ايها الملك ان وزيرا كان لبعض الملوك وكان له ولد مولع بالصيد والقنص وكان معه وزير لابيه قد امَرَه ابوه الملكُ ان يكون معه اينما توجه وقد كان يوما من بعض الايام خرج الولد الى الصيد والقنص وخرج معه وزير ابيه فسارا جميعا فنظروا الى وحشي كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحشي فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحشي في البرّية لا يعرف اين يروح ولا اين يسير واذا بجارية على راس الطريق وهي تبكي فقال لها ابن الملك من انت قالت انا بنت ملك من ملوك الهند وكنت في البرّية فادركني النعاس فوقعت من على الدابّة ولم اعلم بنفسي فصرت منقطعة حائرةً فلما سمع ابن الملك كلامها رثى لحالها وحملها على ظهر دابّته واردفها وسار حتى مرّ بخرابة فقالت له الجارية يا سيدي اريد ان ازيل ضرورة فانزلها الى الخرابة فعوّقت فاستبطأها فدخل خلفها وهو لا يعلم بها فاذا هي غولة وهي تقول لاولادها يا اولادي قد اتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ايتينا به يا امّنا حتى نرعاه في بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم ايقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولة

فرأته كالخائف الوجل و هو يرتعد فقالت له ما بالك خائف فقال ان لي عدوّا و انا خائف منه فقالت الغولة انك تقول انا ابن ملك قال لها نعم قالت له ما لك لا تدفع لعدوّك شيأ من المال ترضيه به فقال لها انه لا يرضى بمال الّا بالروح و انا خائف منه و انا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم استعن بالله فانه يكفيك شرّه و شرّ ما تخاف منه فرفع ابن الملك راسه الى السماء و قال يا من يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء اللهمّ انصرني على عدوّي و اصرفه عنّي انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه و انصرف ابن الملك الى ابيه و حدّثه بحديث الوزير فادعى الملك بالوزير و قتله و انت ايها الملك متى امنت لهذا الحكيم قتلك شرّ القتلات الذي قد احسنت اليه و قرّبته منك يعمل على هلاكك ا ما ترى انه ابرأك من المرض من ظاهر الجسد بشيٍ مسكته بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشيٍ تمسكه ايضا فقال الملك يونان صدقت يا وزير و قد يكون كما ذكرت ايّها الوزير الناصح و ان هذا الحكيم اتى جاسوسا في طلب هلاكي و ان يكن ابرأني بشيٍ مسكته بيدي يقدر ان يهلكني بشيٍ اشمّه ثم ان الملك يونان قال لوزيره ايّها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل خلفه في هذا الوقت وَ اطلُبه فانِ حضر فاضرب عنقه فتكفي شرّه و تستريح منه و اغدر به قبل ان يغدر بك فقال الملك يونان صدقتَ ايّها الوزير ثم ان الملك ارسل الى الحكيم فحضر و هو فرحان و لا يعلم ما قدّره الرحمٰن كما قال بعضهم في المعنى

يَا خَائِفًا مِنْ دَهْرِهِ كُنْ آمِناً   سَلِّمْ أُمُورَكَ لِلَّذِي مَدَّ الثَّرَا

إِنَّ المُقَدَّرَ كَائِنٌ يَا سَيِّدِي ۔ فَلَكَ الأَمَانُ مِنَ الَّذِي مَا قُدِّرَا

فلما دخل الحكيم على الملک انشد يقول

إِذَا لَمْ أَقُمْ فِي بَعْضِ حَقِّكَ بِالشُّكْرِ ۔ فَقُلْ لِي لِمَنْ أَعْدَدْتُ نَظْمِي أَوْ نَثْرِي
لَقَدْ جُدْتَ لِي قَبْلَ السُّؤَالِ بِأَنْعُمٍ ۔ أَتَتْنِي بِلَا مَطْلٍ لَدَيْكَ وَلَا عُذْرِ
فَمَا لِيَ لَا أُعْطِي ثَنَاءَكَ حَقَّهُ ۔ وَأُثْنِي عَلَى جَدْوَاكَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
سَأَذْكُرُ مَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ صَنَائِعٍ ۔ يَخِفُّ بِهَا هَمِّي وَإِنْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي

و ايضا في المعنى

كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضًا ۔ وَكِلِ الأُمُورَ عَلَى القَضَا
وَابْشِرْ بِخَيْرٍ عَاجِلٍ ۔ تَنْسَى بِهِ مَا قَدْ مَضَى
فَلَرُبَّ أَمْرٍ مُتْعِبٍ ۔ لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ رِضَا
اَللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۔ فَلَا تَكُنْ مُتَعَرِّضَا

و قال ايضا في المعنى

سَلِّمْ أُمُورَكَ لِلَّطِيفِ الْعَالِمِ ۔ وَأَرِحْ فُؤَادَكَ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَمَا تَشَا ۔ بَلْ مَا يَشَاءُ اللّٰهُ أَحْكَمُ حَاكِمِ

و قال ايضا فى المعنى

طِبْ وَانْشَرِحْ وَانْسَ الهُمُومَ جَمِيعَهَا ۔ إِنَّ الهُمُومَ تُزِيلُ لُبَّ الحَازِمِ
لَا يَنْفَعُ التَّدْبِيرُ عَبْدًا عَاجِزًا ۔ فَاتْرُكْهُ تَسْلَمْ فِي نَعِيمٍ دَائِمِ

فقال الملک للحكيم دوبان ا تعلم لما ذا احضرتک فقال الحكيم لا يعلم الغيب الّا اللّٰه تعالى فقال له الملک احضرتک لاقتلک و اعدم

روحك فتعجب الحكيم دوبان من تلك المقالة غاية العجب و قال ايّها الملك لما ذا تقتلني و ايّ ذنب بدأ منّي فقال له الملك قد قيل لي انك جاسوس و قد اتيت تقتلني و ها انا اقتلك قبل ان تقتلني ثم ان الملك صاح على السياف و قال له اضرب رقبة هذا الغدّار و ارحنا من شرّه فقال الحكيم للملك ابقني يبقك الله و لا تقتلني يقتلك الله ثم انه كرّر عليه القول مثل ما قلت لك ايّها العفريت و انت لا تدعني الاّ تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم دوبان انيّ لا آمن الاّ ان اقتلك فانك ابرأتني بشيٍ مسكته بيدي فلا آمن ان تقتلني بشيٍ اشمّه او غير ذلك فقال الحكيم ايّها الملك هذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لابدّ من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله لا محالة بكى و تأسف على ما صنع من الجميل مع غير اهله كما قال في المعنى

إِنَّ مَيْمُونَةَ لَا عَقْلَ لَهَا ثِقَهْ وَأَبُوهَا مِنْ ذَوِي الْعَقْلِ خُلِقْ
مَا مَشَى فِي يَابِسٍ أَوْ زَلَقْ مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ الَّا زَلِقْ

و بعد ذلك تقدّم السيّاف و عصب عينيه و اشهر سيفه و قال اذن و الحكيم يبكي و يقول للملك ابقني يبقك الله و لا تقتلني يقتلك الله و انشد يـــــــقــــــــول

نَصَحْتُ فَلَمْ أُفْلِحْ وَخَانُوا فَأَفْلَحُوا وَ أَوْرَثَنِي نُصْحِي لِدَارِ هَوَانِ
فَإِنْ عِشْتُ لَمْ أَنْصَحْ وَإِنْ مِتُّ فَالْعَنُوا ذَوِي النُّصْحِ مِنْ بَعْدِي بِكُلِّ لِسَانِ

ثم ان الحكيم قال للملك هذا جزائي منك تجازيني مجازاة

التمساح فقال الملك و ما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني
ان اقولها و انا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يبقك الله ثم ان
الحكيم بكى بكاءا شديدا فقام بعض خواص الملك و قال ايّها الملك
هَبْ لي دمَ هذا الحكيم لاننا ما رأينا فعل معك ذنبا و ما رأيناه
الّا ابرأك من مرضك الذي اعيى الاطبّاء و الحكماءُ فقال لهم الملك
لم تعرفوا سببَ قتلي هذا الحكيمَ و ذلك لانّي ان ابقيته فانا هالك
لا محالة و من ابرأني من المرض الذي كان بي بشيءٍ مسكتُه بيدي
فيمكن ان يقتلني بشيءٍ اشمّه فانا اخاف ان يقتلني و ياخذ علىّ
البِرْطِيلَ لانه جاسوس و ما جاء الا ليقتلني فلابدّ من قتله و بعد
ذلك آمن على نفسي فقال الحكيم ابقني يُبقِك الله و لا تقتلني
يقتلك الله فلما تحقق الحكيم ايّها العفريت ان الملك قاتله لا محالة
قال له ايّها الملك ان كان و لابدّ من قتلي فامهلني ان انزل الى
داري و اوصي اهلي و جيراني يدفنوني و ابرئُ نفسي و اَهَبُ كتب
الطب و عندي كتاب خاص الخاص اهديه لك هدية تدّخره في
خزانتك فقال الملك للحكيم و ما في ذلك الكتاب قال فيه شيٌ لا
يحصى و اقلّ ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت راسي و فتحت ثلث
ورقات و تقرأ ثلثة اسطر من الصفحة التي على يسارك فان الراس
يكلمك و يجاوبك بجميع ما سألته عنه فتعجب الملك غاية العجب
و اهتزّ من الطرب و قال له ايّها الحكيم اذا قطعت راسك تُكلّمني
قال نعم ايّها الملك فقال الملك هذا امر عجيب ثم ان الملك
ارسله في الترسيم فنزل الحكيم الى داره و قضى اشغاله في ذلك
اليوم و في اليوم الثاني طلع الحكيم الى الديوان و طلعت الامراء و
الوزراء و الحجّاب و النوّاب و ارباب الدولة جميعا و صار الديوان

كزهر البستان و اذا بالحكيم طلع للديوان و وقف قدام الملك في الترسيم و معه كتاب عتيق و مُكحُلة فيها ذَرور و جلَس و قال ايتوني بطبق فاتوه بطبق و كبّ فيه الذرور و فرشه و قال ايّها الملك خذ هذا الكتاب و لا تفتحه حتى تقطع راسي فاذا قطعته فاجعله في ذلك الطبق و امر بكبسه على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فانّ دمه ينقطع ثم افتح الكتاب ثم انّ الملك امر بضرب رقبته فاخذ الكتاب منه و قام السيّاف و ضرب رقبته فطاح الراس في وسط الطبق و كبسه على الذرور فانقطع دمه ففتح الحكيم دوبان عينيه و قال افتح الكتاب ايّها الملك ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحطّ اصبعَه في فمه و عمل ريقه و فتح اول ورقة و الثانية و الثالثة و الورق ما ينفتح الّا بجهد ففتح الملك ستّة اوراق و نظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك ايّها الحكيم ما فيه شئ مكتوب فقال الحكيم افتح زيادة على ذلك ففتح ثلثة اخر فما كان الا قليل من الزمان الّا و الدواء حاق فيه لوقته و ساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك تزعزع الملك و صاح و قال حاق فيّ الدواء و انشد الحكيم دوبان يقول

تَحَكَّمُوا وَ اسْتَطَالُوا فِي تَحَكُّمِهِمْ وَعَنْ قَلِيلٍ كَانَ الْحُكْمُ لَمْ يَكُنِ
لَوْ اَنْصَفُوا اُنْصِفُوا لٰكِنْ بَغَوْا فَبَغَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِالْاَحْزَانِ وَالْمِحَنِ
وَاَصْبَحُوْا وَ لِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُهُمْ هٰذَا بِذَاكَ وَلَا عَتْبٌ عَلَى الزَّمَنِ

قال فلما فرغ راس الحكيم كلامه سقط الملك من وقته ميّتا فاعلم ايّها العفريت انه لو ابقى الملك يونان الحكيم دوبان لابقاه اللّه و لٰكن ابى و طلب قتله فقتله اللّه و انت ايّها العفريت لو ابقيتني

لابقاك الله فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة قالت لها اختها دنيازاد اتمي لنا حديثك فقالت ان اذن لي الملك فقال لها قولي قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصياد قال للعفريت لو ابقيتني كنت ابقيتك لكن ما اردت الا قتلي فها انا اقتلك بحبسك في هذا القمقم و القيك في هذا البحر فصرخ المارد و قال بالله عليك ايها الصياد لا تفعل و ابقني انت و لا تواخذني بعملي فاذا كنت انا مُسِيًأ كن انتَ محسنا و ني الامثال السايرة يا مُحسنُ لمن اسَاء كفى المسئُ فعلُه و لا تعمل كما عَلِمتْ أُمامةُ مع عَاتِكة فقال الصياد و ما عملت امامة مع عاتكة فقال العفريت ما هذا وقت حديث و انا في هذا السجن حتى تطلقني و انا احدثك به فقال الصياد خل عنك هذا الكلام لا بد من القائك في البحر و لا سبيل الى اخراجك ابدا فاني كنت اتدخل عليك و اتضرع اليك و انت لا تريد الا قتلي بغير ذنب استوجبه منك و لا فعلت معك سوأ ابدا و اني ما فعلت معك الا خيرا لكوني اخرجتك من السجن فلما فعلت معي ذلك علمت انك ردي الفعل و اعلم اني اذا رميتك في هذا البحر لاجل كل من طلعك يرميك ثاني مرة أُخبره بما جرى لي معك و احذره و تقيم في هذا البحر الى اخر الزمان حتى تهلك قال له العفريت اطلقني فهذا وقت المرؤة و انا اعاهدك لم اعص عليك ابدا و انفعك بشئ يغنيك قال فاخذ عليه الصياد العهدَ انه اذا اطلقه لا يُوذيه الا انه يعمل معه الجميل فلما استوثق منه و حلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد القمقم فتصاعد الدخان حتى خرج و تكامل فصار عفريتا سويا فرفص القمقم رماه في البحر فلما راه الصياد رمى القمقم فى

البَحْر ايقن بالهلاك و شرشر في ثيابه و قال هذه ليست علامة خير ثم انه قوّي قلبه و قال ايها العفريت قال الله تعالى و اُوْفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا و انت قد عاهدتني و حلفت انك لم تغدرني يغدرك الله فانه غيور يمهل و لا يهمل و انا قلت لك مثل ما قال الحكيم دوبان للملك يونان ابقني يبقك الله فضحك العفريت و مشى قدامه و قال ايها الصياد اتبعني فمشى الصياد وراءه و هو لم يصدق بالنجاة و مشى الى ان خرجوا الى ظاهر المدينة و طلع الى جبل و نزل الى بريّة متّسعة و اذا هما ببركة ماء فنزل في وسطها و قال للصياد اتبعني فتبعه الى وسط البركة فوقف العفريت و امر الصياد ان يطرح الشبكة و يصطاد فنظر الصياد الى البركة فرأى فيها السمك الملونَ الابيضَ و الاحمرَ و الازرقَ و الاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه اخرج شبكته و طرحها و جذبها فوجد فيها اربع سمكاتٍ كلٌّ بِلونٍ فلما رأهم الصياد فرح فقال له العفريت ادخُلْ بهم الى السلطان و قدّمهم اليه فانه يعطيك ما يغنيك و بالله اقبل عذري فانني في هذا الوقت لم اعرف طريقا و انا في هذا البحر مدة الف و ثمانماية عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا في هذه الساعة و لا تصطاد من هذه البركة الا مرة واحدة كل يوم و ودعه و قال له لا توحّشني الله ثم دق الارض برجله فانشقت الارض و بلعته و مضى الصياد الى المدينة و هو متعجب مما جرى له مع العفريت و كيف كان ثم اخذ السمك و دخل الى منزله و اخذ ماجورا ثم ملأه ماءا و حط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور في الماء و حمل الماجور فوق راسه و قصد به قصر الملك كما امره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك و قدم له السمك فتعجب الملك غاية

العجب من ذلك السمك الذي قدمه الصياد و لا راي ني عمره صفته و لا شكله فقال الملك اعطوا هذه السمك للجارية الطباخة قال و كانت هذه الجارية اهداها له ملك الروم منذ ثلثة ايام و هو لم يجربها في طبيخ فامر الوزير ان تَقْلِيهم فقال لها يا جارية الملك يقول لك ما نَبْتَليكِ يا دمعتي الا لشدتي فَرِّجينا اليومَ على صنعتك و حسن طبيخك و ان السلطان اتى له واحد بهدية و رجع الوزير بعد ما اوصاها و امره ان يَعطي الصياد اربعماية دينار فاعطاه الوزيرُ اياها فاخذها في حَجْرِه و راح يجري الى بيته و هو يقع و يقوم و يعثر و يظن ان ذلك مناما ثم اشترى لعياله ما يحتاجون اليه و دخل على زوجته و هو فرحان مسرور هذا ما كان من امر الصياد و امّا ما كان من امر الجارية فانها اخذت السمك و نظفتها و نصبت الطاجنَ ثم انها ارخت السمك فما هو الا استوي وجهه و قلبته على الوجه الثاني و اذا بحائط المطبخ قد انشق و خرجت منه صبية مليحة القد اسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف و هي لابسة كوفية حرير بهداب ازرق و في اذنيها حَلَق و في معاصمها زوج اساور و في اصابعها خواتم بالفصوص الجواهر الثمينة و في يدها قضيب من الخَيْزُران فغرزت القضيبَ في الطاجن و قالت يا سمك انت على العهد مقيم فلما رأت الجارية ذلك غُشِيَ عليها و الصبية اعادت القول ثانيا و ثالثا و السمك شالوا رؤسهم من الطاجن و قالوا بلسان فصيح نعم نعم ثم انشد يـــــقـــــول

اِنْ عُدتِ عُدْنَا وَاِنْ وَافَيْتِ وَافَيْنَا   وَاِنْ هَجَرْتِي فَانَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

فعند ذلك اَقْلَبت الصبية الطاجن و خرجت من موضع ما اتت و

التحم الحائط كما كان ثم افاقت الجارية من غشوتها فرأت الاربع
سمكات محروقين مثل الفحم الاسود فقالت من اول غزواته انكسرت
عصاته و وقعت على الارض مَغْشياً عليها و فيما هي على هذا الحال
اذ جاء الوزير فراها الدَّردبيس لا تعرف السبت من الخميس فحركها
برجله فافاقت و بكت و اعلمت الوزير بالقصه و بالذي جرى فتعجب
الوزير و قال ما هذا الا امر عجيب ثم انه ارسل خلف الصياد فاتوا
به فصرخ عليه الوزير و قال له ايها الصياد جئ لنا باربع سمكات
مثل الذي جئت بها فخرج الصياد الى البركة و طرح الشبكة جذبها
و اذا باربع سمكات مثلهم فاخذهم و جابهم الى الوزير فدخل
بهم الوزير الى الجارية و قال لها قومي اقليهم قدامي حتى أرى
هذه القضية فقامت الجارية و اصلحتهم و علقت الطاجن و طرحتهم
فيه فما استقر السمك في الطاجن الا و الحائط قد انشق و الصبية
ظهرت و هي في هيئتها الاولى و في يدها القضيب فغرزته في
الطاجن و قالت يا سمك يا سمك انتم على العهد القديم مقيم و
اذا بالسمك الجميع قد شالوا رؤسهم و قالوا هذا البيت السابق وهو

اِنْ عُدتِّ عُدْنَا وَاِنْ وَافَيتِ وَافَيْنَا وَاِنْ هَجَرْتُمْ فَاِنَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة قالت بلغني ايها الملك السعيد
انه لما تكلم السمك و قلبت الصبية الطاجن بالقضيب و خرجت من
موضع ما جاءت و التحم الحائط فعند ذلك قام الوزير و قال هذا
امر لا يجب اخفاؤه على الملك ثم انه تقدم الى الملك و اخبره
بالقصة و بما شاهده قدامه فقال الملك لا بد اني انظر بعيني فارسل

خلف الصياد و امره ان ياتي باربع سمكات مثل الأُول ثم انه رسم عليه ثلثة ثم ان الصياد نزل و اتى له بالسمك في الحال فامر الملك ان يعطوه اربعمائةُ دينار ثم التفت الملك الى الوزير و قال له قم انت و اقل السمك هنا قدامي فقال الوزير سمعا و طاعة فاحضر الطاجن و هيّأْ السمك و ركب الطاجن على النار و رمى فيه السمك و اذا بالحائط قد انشق و خرج منه عبد اسود كانه طَوْد من الاطواد او من بقية قوم عاد و في يده فرع من شجرة خضراء و قال بكلام مزعج يا سمك يا سمك انتم على العهد القديم مقيمين و السمك شالوا روسهم من الطاجن و قالوا نعم نعم نحن على العهد

اِنْ عُدتَّ عُدْنَا وَاِنْ وَافَيْتَ وَافَيْنَا وَاِنْ هَجَرْتُمْ فَاِنَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

و اقبل العبد على الطاجن و قلبه بالغصن الذي في يده و خرج من موضع ما اتى فنظر الوزير و الملك الى السمك فراُوه صار مثل الفحم فاندهل الملك و قال هذا امر لا يمكن السكوت عنه و ان هذا السمك له شان فامر الملك باحضار الصياد فلما حضر قال له الملك ويلك من اين هذا السمك فقال له من بركة بين اربع جبال تحت هذا الجبل الذي بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد و قال مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان و امر بخروج العسكر و ركوب الجيش من وقته و الصياد معه قدامه يلعن العفريت الى ان طلعوا الجبل و نزلوا الى برية متسعة لم يروها مدة عمرهم و السلطان و جميع العسكر يتعجبون فنظروا تلك البرية و البركة في وسطها بين اربع جبال و السمك فيها اربعة الوان احمر و ابيض و اصفر و ازرق فوقف الملك

و تعجب و قال للعسكر و لمن حضر هل احد منكم رأى هذه البركة فقالوا ابدا يا ملك الزمان مدة عمرنا فسألوا من الطاعنين في السن فقالوا عمرنا ما رأينا هذه البركة في هذا المكان فقال الملك و الله لا ادخل مدينتي و لا اجلس على تخت ملكي حتى اعرف امر هذه البركة و هذا السمك ثم امر الناس بالنزول حول هذه الجبال ثم دعى بالوزير و كان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فحضر بين يديه فقال له اني احببت ان اعمل شيأ و اخبرك به و خطر ببالي ان انفرد بنفسي في هذه الليلة و ابحث عن خبر هذه البركة و هذا السمك فاجلس انت على باب خيمتي و قل للامراء و الوزراء و الحجاب و النواب و كل من سأل عني ان السلطان متوعّك و امرني ان لا أُعطي احدا دُستورا بالدخول عليه و لا تعلم احدا بقصدي فما قدر الوزير ان يخالفه ثم ان الملك غير حِليته و تقلد بسيفه و تسلق من على واحد من الجبال و مشى بقية ليلة الى الصباح ثم مشى يومه كله و قد اشتد عليه الحر بمشيه يومه و ليلته ثم مشى الليلة الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعيد ففرح و قال لعلّي اجد من يخبرني بقضية البركة و السمك فتقرب فوجد قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد و بابه فردة مفتوحة و فردة مغلوقة ففرح الملك و وقف على الباب و دق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا و ثالثا فلم يسمع جوابا فدق دقا مزعجا فلم يجبه احد فقال لا شك انه خال فشجع نفسه و دخل من باب القصر الى دهليز و صرخ و قال يا اهل القصر رجل غريب و عابر سبيل هل عندكم شيء من الزاد و اعاد القول ثانيا و ثالثا فلم يسمع جوابا فقوى نفسه و ثبّت جَنانه و دخل من الدهليز الى وسط القصر فلم

يجد فيه احدا غير انه مفروش بالحرير و الاقطاع المكوكبة و الستائر المرخاة و في وسط القصر رحبة و اربعة اواوين و مصطبة و ايوان قبال ايوان و شاذروان و فسقية عليها اربع سباع من الذهب الاحمر تلقي الماء من افواهها كالدر و الجوهر و دائر القصر طيور و على القصر شبكة من الذهب تمنعهم من الطلوع و لم ير احدا فتعجب الملك و تاسف لكونه لم ير احدا يستخبر منه عن تلك البرية و البركة و السمك و الجبال و القصر ثم جلس بين الابواب يتفكر و اذا هو بانين من كبد حزين و هو يترنم و يقول شعر

أَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْكِ وَقَدْ ظَهَرْ وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَرْ
يَا دَهْرُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَرْ هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَرْ
مَا تَرْحَمُونَ عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ فِي شَرْعِ الْهَوَى وَغَنِيَّ قَوْمٍ اِفْتَقَرْ
كُنَّا نَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْكُمُ لٰكِنْ اِذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ
مَا حِيلَةُ الرَّامِي اِذَا الْتَقَتِ الْعِدَا فَأَرَادَ يَرْمِي السَّهْمَ فَانْقَطَعَ الْوَتَرْ
وَاِذَا تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَى الْفَتَى أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَضَا وَمِنَ الْقَدَرْ

فلما سمع السلطان الانين نهض قائما و تبع الحس فوجد سترا مرخًى على باب مجلس فشال الستر فرأي خلفه شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع و هو شاب مليح بقد رجيح و لسان فصيح و جبين ازهر و خد احمر و شامة على كرسي خده كقرص عنبر كما قال الشاعر

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ تُمْسِي الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

ففرح الملك حين رآه و سلم عليه و الصبي جالس و عليه قباء
حرير بطرائز من الذهب المصري و فوق راسه تاج مكلل بالجواهر
و لكنه عليه اثر الحزن فسلم عليه الملك فرد عليه با حسن سلام و
قال يا سيدي انت اعز من القيام و لي المعذرة فقال الملك قد
عذرتك ايها الفتى و انا ضيف عندك و اتيتك في حاجة مهمة
اريد تخبرني عن هذه البركة و عن هذا السمك و عن هذا القصر
و عن سبب وحدتك فيه و سبب بكاك فلما سمع الشاب هذا
الكلام نزلت دموعه على خدوده و بكى بكاءا شديدا حتى غرق صدره
ثم انشا يـــــــــقـــــــــول

قُولُوْا لِمَنْ نَاوَمَ الْاَيَّامُ لَهُ رَامَتْ كَمْ اَقْعَدَتْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ كَمْ قَامَتْ
اِنْ كُنْتَ نِمْتَ فَعَيْنُ اللّٰهِ مَا نَامَتْ لِمَنْ صَفَا الْوَقْتُ وَ الدُّنْيَا لِمَنْ دَامَتْ

ثم تنفس تنفس الصعداء و انـــــــــشـــــــــد

سَلِّمِ الْاَمْرَ اِلَى رَبِّ الْبَشَرْ وَ اتْرُكِ الْهَمَّ وَ دَعْ عَنْكَ الْفِكَرْ
لَا تَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَ قَدَرْ

فتعجب الملك و قال له ما يبكيك ايها الشاب فقال كيف لا ابكي
و هذه حالتي و مد يده الى اذياله فرفعها و اذا هو نصفه التحتاني
حجر الى قدميه و من سرته الى شعر راسه بشر فلما رأى الملك
الشاب بهذه الحالة حزن حزنا عظيما و تأسف و تاوه و قال يا فتى
لقد زدتني هما على همي كنت اطلب السمك و خبره و صرت
الآن اسال عن خبره و خبرك فلا حول و لا قوة الا بالله العلي
العظيم عجل علي يا فتى ببثّ الحديث فقال اعطني سمعك و

بصرك فقال الملك ان سمعي و بصري حاضر **فقال الشاب** ان لهذا
السمك و لي امر عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة
لمن اعتبر فقال الملك وكيف ذلك فقال يا سيدي اعلم ان والدي
كان ملك هذه المدينة و كان اسمه محمود صاحب الجزائر السود
و هو في هذه الجبال الاربعة فاقام في الملك سبعين عاما ثم تُوُفّيَ
والدي و تسلطنت بعده و تزوجت بابنة عمي و كانت تحبني محبة
عظيمة بحيث اني اذا غبت عنها لا تاكل و لا تشرب حتى تراني
عندها فقعدتْ في صحبتي خمس سنين الى يوم من بعض الايام
راحت الى الحمام فامرت الطباخ ان يسرع لنا في شيٍّ و يجهز لنا
عشاءا و طعاما ثم دخلت هذا القصر و نمت موضع ما ننام و امرت
جاريتين ان تجلس عندي واحدة على راسي و الثانية عند رجلاي
و قد تشوشت لغيابها و لم ياخذني نوم غير ان عيني مغمضة و
نفسي يقظانة فسمعت الجارية التي عند راسي تقول للتي عند
رجلاي يا مسعودة مسكين سيدنا و مسكين شبابه و يا خَسارتَه مع
ستنا الملعونة القحبة فقالت لها نعم لعن الله النساء الخائنات
الزانيات ولكن مثل سيدنا و شبابه لا يصلح لهذه القحبة كل ليلة
تنام برا فقالت التى عند راسي سيدنا ابكم مطعوم لم يسأل عنها
فقالت الاخرى ويلك هو سيدنا عنده علم او هي تخليه في اختياره
الَاَ تعمل له في قدح الشراب الذي تشربه كل ليلة قبل المنام و تضع
فيه البنج فينام و لم يشعر بما يجري و لم يعلم اين تذهب و لا
اين تروح فبعد ما تسقيه الشراب تلبس اثوابها و تعطرت و تخرج
من عنده تغيب الى الفجر و تاتي اليه و تُبَخّر عند انفه بشيءٍ
فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجواري صار الضياء في وجهي

ظلاما و ما صدقت ان الليل اقبل فجاءت بنت عمي من الحمام
فمدينا السماط وَ اكلنا و جلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعت
بالشراب الذي اشربه عند المنام فناولتني الكاس فاهرقتها و جعلت
اني اشربه مثل عادتي و دلقته في جيبي و رقدت في الوقت و
الساعة و صرت اُخطر كاني نائْم و اذا هي قالت نم ليلتك لا تقم
ابدا و الله كرهتك وكرهت صورتك و ملّت نفسي من عشرتك و لا
ادري متى يقبض الله روحك ثم قامت و لبست افخر ثيابها و
تبخرت و اخذت سيفي و تقلدت به و فتحت ابواب القصر و خرجت
فقمت و تبعتها حتى خرجت من القصر و شقت في اسواق المدينة
الى ان انتهت الى باب المدينه فتكلمت بكلام لا افهمه فتساقطت
الاقفال و انفتح الباب و خرجت و انا خلفها و هي لا تشعر حتى
انتهت الى بين الكيمان و اتت الى خص فيه قبة مبنية بطوب و لها
باب فدخلت و تسلقت انا على سطح القبة و اشرفت عليهم و اذا
ببنت عمي قد دخلت على عبد اسود له شفة كالقطا و شفة كالوطا
و شفة تلقط الرمل على الحصا و هو مبتلىً و راقد على قش قَصَب
لابسٌ هدمة و شراميط خلقة فقبلت الارض بين يديه فشال ذلك
العبد راسه اليها و قال لها ويلكي ايش كان قعادك الى هذه الساعة
كانوا عندنا بنوا اعمامنا السودان و شربوا الشراب و صار كل واحد
بصبيته و انا ما رضيت اشرب من شانك فقالت يا سيدي و حبيبي و
قرة عيني ما تعلم اني متزوجة بابن عمي و انا اكره صورته و ابغض
صحبته و لولا اني اخشى على خاطرك ما كنت تركت الشمس تطلع
الا و مدينته خراب يزعق فيها البوم و الغراب و ياويها الثعالب و
الدياب و انقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبي يا

ملعونة و انا احلف و حق فتوة السودان و لا تظني مروتنا مروة
البيضان من هذا اليوم ان بقيتي تقعدي الى هذا الوقت لا
اصاحبك و لا الزق جسدي على جسدك يا ملعونة تلعبي نبا شقف
لكف نحن على شهوتك يا منتنة يا كلبة يا اخس البضيان قال فلما
سمعت كلامه و انا انظر و ارى و اسمع ما جرى بينهما صارت الدنيا
في وجهي ظلاما و ما عرفت روحي في اي موضع انا و بنت عمي
واقفة تبكي عليه و تتذلل له و تقول للعبد يا حبيبي و ثمرة فوادي
اذا غضبت علي من يبقيبي و اذا طردتنى من يُوويني يا حبيبي يا
نور عيني و مازالت تبكي و تتضرع له حتى رضي عليها ففرحت و
قامت و قلعت ثيابها و لباسها و قالت يا سيدي ما عندك ما تأكل
جاريتك فقال لها اِكشفي اللقن تحته عظام فيرانٍ مطبوخة فكليها
و قومي لهذه القوارة فيها بقية مِزار فاشربيها فقامت و اكلت و
شربت و غسلت يديها و فمها و جاءت رقدت مع العبد على قش
القصب و تعرت و دخلت معه تحت الهُدمة و الشراميط فلما نظرتُ
الى هذه الفعال التي فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من
على القبة و دخلت و اخذت السيف الذي جاءت به بنت عمي و
سحبت و هممت ان اقتل الاثنين فضربت العبد اولا على رقبته
فظننت انه قد قضي عليه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المـــــــــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة قالت بلغني ايها الملك السعيد
ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لاجل ان اقطع راسه
لم اقطع الوريدين بل قطعت الحلقوم و الجلد و اللحم فظننت اني
قتلته فشخر شَخِيراً عاليا فتحركت بنت عمي فرجعت الى خلفي و

رديت السيف الى موضعه و اتيت الى المدينة و دخلت القصر و
رقدت في فراشي الى الصباح و اذا بنت عمي جاءت و نبهتني و اذا
بها قطعت شعرها و لبست ثياب الحزن و قالت يا ابن عمي لا
تعارضني فيما افعل فانه بلغني ان والدتي توفيت و ان والدي قتل
في الجهاد و اخوتي احدهم مات ملسوعا و الآخر مات مُرتديا
فيحق لي ان ابكي و احزنَ فلما سمعت كلامها سكتت عنها و قلت
اِفعلي ما بدا لك فاني لم اخالفك فقعدت في حزن و بكىً و عديد
سنة كاملة من الحول الى الحول و بعد السنة قالت لي اريد ان تبني
لي في قصرك مدفنا مثل القبة و افرده للحزن و اسميه بيت الاحزان
فقلت لها اِفْعَلي ما بدا لك فبنت لها بيتا للحزن و بنت في وسطه
قبة و مدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد و انزلته فيه و هو بقي لا
ينفعها ابدا بنافعة لٰكن يشرب الشراب و من يوم جرحته ما تكلم
لان اجله ما فرغ و صارت كل يوم تاتيه بكرة و عشيا تنزل الى القبة
و تبكي و تعدد عليه و تسقيه الشراب و المساليق بكرة و عشية و
لم تَزَل على هذا الحال الى ثاني سنة و انا اطول روحي عليها و لا
التفت اليها الى يوم من الايام دخلت عليها على غفلة منها فوجدتها
تبكي و تقول لما تغيبت عن ناظري يا نزهة خاطري حدثني يا
روحي كلمني يا حبيبي و انشدت تقول شعر

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي فِي الْهَوىٰ اِنْ سَلَوْتُمُ ... فُؤَادِيْ وَ قَلْبِـي لاَ يُحِبُّ سِوَاكُمُ
خُذُوا عَظْمِي وَ الرُّوحَ اَيْنَ سَرَيْتُمْ ... وَ اَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِيْ حِذَاكُمُ
وَ نَادُوْا بِاسْمِي عِنْدَ قَبْرِيْ يُجِيبُكُمْ ... اَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ اِصْغَا صَدَاكُمُ

ثم انشدت و هي تبكي

فَيَوْمُ الاَمَانِي يَوْمُ فَوْزِي بِقُرْبِكُمْ وَ يَوْمُ الْمَنَايَا يَوْمُ اِعْرَاضِكُمْ عَنِّي
اِذَا بِتُّ مَرْعُوبًا اُهَدَّدُ بِالرَّدَى فَوَصْلُكُمْ عِنْدِي اَلَذُّ مِنَ الاَمْنِ

ثم قلت و انـــــــشـــــــدت

لَوْ اَنَّنِي اَصْبَحْتُ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ وَكَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا وَ مُلْكُ الاَكَاسِرَةْ
لَمَا سَوِيَتْ عِنْدِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ اِذَا لَمْ تَكُنْ عَيْنِي لِشَخْصِكَ نَاظِرَةْ

قال صاحب الحديث فلما فرغت من كلامها و بكائها قلت لها يا بنت عمي يكفيكي من الحزن فما يغنيكي من البكاء ما بقي ينفع قالت لا تتعرض لي فيما اعمله و ان اعترضت لي قتلت نفسي فسكتت عنها و سلمت اليها حالها فلم تزل في حزن و بكاء و تعديد سنة اخرى و بعد السنة الثالثة دخلت يوما من الايام و انا مغتاظ لحادث عرض لي و قد طال بي هذا العناء الشديد فوجدتها نحو الضريح داخل القبة و هي تقول يا سيدي لا اسمع منك و لا كلمة و احدة يا سيدي لما لا ترد عليّ جوابا ثم انشدت تـــقـــول

يَا قَبْرُ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ اَمْ زَالَ مِنْكَ ضِيَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ
يَا قَبْرُ مَا اَنْتَ لِي اَرْضٌ وَلَا فَلَكٌ فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ

فلما سمعت كلامها و شعرها ازددت غيظا على غيظى و قلت اواه الى كم ذا الحزن و انشدت اقـــــــول

يَا قَبْرُ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَسَاخِمُهُ اَمْ زَالَ مِنْكَ ضِيَاكَ الْمَنْظَرُ الْقَذَرُ
يَا قَبْرُ مَا اَنْتَ لَا حَوْضٌ وَ لَا قِدْرٌ فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الْفَحْمُ وَ الْكَدَرُ

فلما سمعت كلامي وثبت قايمة و قالت ويلك يا كلب انت الذي فعلت معي هذا الفعل و جرحت معشوق قلبي و اوجعتني و شبابه و له ثلث سنين لا هو ميت و لا هو حي فقلت لها يا اقذر القحبات و اوسخ المنيوكات العشاقات العبيد المبرطلات نعم انا فعلت ذلك ثم اني اخذت سيفي و جردته في كفي و صوبت عليها لاقتلها فلما سعمت كلامي و رأتنى مصمِما على قتلها ضحكت و قالت تخساً يا كلب هيهات ان يرجع ما فات او تجيُ الاموات لقد امكنني الله بمن فعل بي هذا و كانت في قلبي منه نار لا تطفى و لهيب لا يخفى ثم وقفت على قدميها و تكلمت بكلام لا افهمه و قالت اخرج بسحري نصفك حجر و نصفك بشر ثم اني صرت كما ترى و بقيت لا اقوم و لا اقعد و لا انا ميت و لا انا حي فلما صرت هكذا سحرت المدينة و ما فيها من الاسواق و الغيطان و كانت مدينتنا اربعة صنوف مسلمين و نصارى و يهود و مجوس فسحرتهم سمكا فالابيض المسلمون و الاحمر المجوس و الازرق النصارى و الاصفر اليهود و سحرت الجزاير الاربع اربعة جبال محيطة بالبركة ثم انها كل يوم تضربني و تعذبني بالسوط مایة ضربة حتى يسيل دمي و تنهري اكتافي ثم تلبسني ثوب شعر صفة اللباس على نصفي الفوقاني و تلبسني هذه الثياب الفاخرة من فوق ثم ان الشاب بكى و انشد يقول

صَبرًا لِحُكْمِكَ يَا اِلهِي وَ الْقَضَا ... اَنَا صَابِرٌ اِنْ كَانَ فِيهِ لَكَ الرِّضَا
جَارُوا عَلَينَا وَ اعْتَدَوْا وَ تَجَبَّرُوا ... فَلَعَلَّنِي الْفِرْدَوْسُ اَنْ تَتَعَوَّضَا
قَدْ ضِقْتُ بِالْاَمْرِ الَّذِي قَدْ نَالَنِي ... فَوَسِيلَتِي بِالْمُصْطَفى وَ الْمُرْتَضى

قال فعند ذلك التفت الملك الى الشاب و قال ايها الشاب زدتني
هما على همي بعد ان فرجت عني غمي و لكن يا فتى اين هي و
اين المدفن الذي فيه العبد المجروح فقال الشاب ان العبد في
القبة في مدفنه راقد و هي في ذلك المجلس الذي يحاذي الباب
تجيء مرة في كل يوم عند ما تطلع الشمس فاول ما تجيء تاتي الي
و تجردني من اثوابي و تضربني بالسوط مائة جلدة و انا ابكي و اصيح
و لا لي حركة ادفعها عن نفسي ثم بعد ان تعاقبني تنزل للعبد
بالشراب و المسلوقة تسقيه و غدا من باكر تجيء قال الملك و الله يا
فتى لافعلن معك معروفا اذكر به و يورخونه الى آخر الزمان ثم جلس
الملك يتحدث معه الى ان اقبل الليل و ناما فقام الملك في وقت
السحر و تجرد من اثوابه و سل سيفه و نهض الى المحل الذي فيه
العبد فنظر الى الشمع و القناديل و بخورات و ادهان و سار يقصد
العبد حتى اتاه و ضربه ضربة فقتله و حمله على ظهره و رماه في بير
كانت في القصر ثم نزل و التف باثواب العبد و رقد داخل الضريح و
السيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة اتت الملعونة الساحرة فاول
ما دخلت جردت ابن عمها من ثيابه و اخذت سوطا و ضربته فقال
اواه يكفيني ما انا فيه يا بنت عمي ارحميني يا بنت عمي فقالت
كنت انت رحمتني و ابقيت لي معشوقي و ضربت حتى تعبت و سال
الدم من جنوبه ثم البسته اللباس الشعراني و القماش من فوقه ثم
نزلت الى العبد و معها قدح الشراب و طاسة مسلوقة و نزلت في
القبة و بكت و ولولت و قالت يا سيدي كلمني يا سيدي حدثني و
انشدت تقول هذه الابيات

حَتّى مَتى هَذَا الصُّدُودُ وَذَا الْجَفَا ‏ ‏ أَ وَمَا جَرىٰ مِنْ أَدْمُعِـي مَاقَدْ كَفَا
فَلَكَمْ تُطِيلُ الْهَجْرَ لِي مُتَعَمِّدًا ‏ ‏ إِنْ كَانَ قَصْدُكَ حَاسِدِي فَقَد اِشْتَفىٰ

ثم انها بكت و قالت يا سيدي كلمني و حدثني و الملك خفض صوته و عقد لسانه و تكلم بكلام السودان و قال اواه اواه لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح و غُشي عليها ثم انها استفاقت و قالت يا سيدي هو صحيح و الملك اضعف صوته و قال يا ملعونة انتي تستاهلي من يكلمك و يحدثك قالت ما سببه قال سببه انك بطول النهار تعاقبي زوجك و هو يستغيث و احرمني النوم من العشا الى الصباح و يتضرع و يدعو علي و عليكي و قد اتلقني و اضرني و لو لا هذا لكنت تعافيت فهذا الذي منعني عن جوابك فقالت عن اذنك اخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه و ريحينا فقالت سمعا و طاعة و قامت و خرجت من القبة الى القصر و اخذت طاسة و ملأتها ماءا و تكلمت عليها بكلام فغلَت الطاسة و بقبقت و صارت تغلي كما يغلي القدر على النار و طرشته بها و قالت بحق ما تلوته و تلته ان كنت صرت هكذا بسحري و مكري فاخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى و اذا بالشاب انتفض و قام على قدميه و فرح بخلاصه و قال اشهد ان لا اله الّا الله و اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قالت له اخرج و لا ترجع الى هنا و الا قتلتك و صرخت في وجهه فخرج من بين يديها و عادت الى القبة و نزلت و قالت يا سيدي اخرج لي حتى انظر الى صورتك الجميلة فقال لها الملك بكلام ضعيف ايش عملتي ارحتيني من الفرع و لم تريحيني من الاصل فقالت يا حبيبي

يا سويدي ما هو الاصل قال ويلا لك يا ملعونة اهل هذه المدينة
و الاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل تشيل السمك رؤسها و
تستغيث و تدعوا عليَّ و عليكي فهو سبب منع عافيتي فروحي خلصيهم
عاجلا و تعالي خذي بيدي و اتيميني فقد توجهتْ لي العافية فلما
سمعت كلام الملك و هي تظنه العبد و هي فرحانة فقالت يا سيدي
على راسي و عيني بسم الله ثم نهضت و قامت و هي مسرورة تجري
و خرجت الى البركة و اخذت من مائها قليلا فادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المـــــــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة قالت بلغني ايها الملك السعيد
ان الصبية الساحرة لما اخذت من ماء البركة و تكلمت عليه بكلام
لا يفهم تراقصت السمك و شالت رؤسها و قامت فى الحال و انفك عن
اهل المدينة السحر و صارت المدينة عامرة و البياعون تبيع و تشتري
و صار كل واحد في صناعته و رجعت الجزائر كما كانت ثم ان الصبية
الساحرة جاءت الى الملك فى الحال و قالت له يا حبيبي ناولني يدك
الكريمة و تم فقال الملك بكلام خفي تقربي مني فدنت حتى التصقت
و الملك سل سيفه في يده و ضربها في صدرها فخرج السيف يلمع
من ظهرها ثم ضربها شقها نصفين و رميها على الارض شطرين و
خرج فوجد الشاب المسحور واقفا في انتظاره فهناه بالسلامة و قبل
يده و شكره فقال له الملك انت تقعد في مدينتك او تجيُ معي
الى مدينتي فقال الشاب يا ملك الزمان ا تدري ما بينك و بين
مدينتك فقال الملك يومان و نصف فعند ذلك قال له الشاب ايها
الملك ان كنت نائما استيقظ ان بينك و بين مدينتك سنة كاملة
للمجدّ المسافر و ما اتيت في يومين و نصف الا لان المدينة كانت

مسحورة و انا ايها الملك لا افارقك لحظة عين ففرح الملك ثم قال
الحمد لله الذي من علي بك و انت ولدي لاني طول عمري لم
ارزق ولدا ثم تعانقا و فرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى
القصر و امر الملك الذي كان مسحورا ارباب دولته ان يتجهزوا للسفر
و يهيوا اسبابه و جميع ما يحتاج اليه الحال فشرعوا بالتجهيز مدة
عشرة ايام و خرج هو و السلطان و قلبه ملتهب على مدينته كيف
يغيب عنها ثم انهم سافروا و معه خمسين مملوكا و هدايا عظيمة
و ما زالوا مسافرين ليلا و نهارا سنة كاملة و كتب الله لهم بالسلامة
حتى و صلوا الى المدينه و ارسلوا اعلموا الوزير بوصول السلطان و
سلامته فخرج الوزير و العساكر بعد ما قَطَعوا الاياس من الملك فاقبل
العسكر و قبلوا الارض بين يديه و هنوه بالسلامة فدخل و جلس
على الكرسي فاقبل الوزير عليه فاعلمه بكل ما جرى على الشاب فلما
سمع الوزير ما جرى على الشاب هناه بالسلامة و استقر الحال فانعم
السلطان على ناس كثير و قال الملك للوزير عليَّ بالصياد الذي كان
اتانا بالسمك فارسل الى الصياد الذي كان سببا لخلاص اهل المدينة
فاحضر و اخلع عليه و سأله عن حاله و هل له اولاد فاخبره ان له
بنتين و ولد فارسل الملك احضرهم و تزوج ببنت و اعطى الشاب
البنت الاخرى و جعل الولد خازندار ثم قلد الوزير و ارسله سلطانا
الى مدينة الشاب التي هي الجزائر السود و ارسل معه خمسين
مملوكا الذين جاؤا معه و اعطاه من الخلع لساير الامراء فقبل الوزير
يديه و خرج و سافر في وقته و ساعته و استقر السلطان و الشاب و
الصياد قد صار اغنى اهل زمانه و اولاده صارت زوجات الملوك الى
ان اتاهم الممات و ما هذا باعجب مما جرى للحـــمـــال

حكاية الحمال و الثلث بنات

فانه كان رجل من الحمالين في مدينة بغداد و كان عزبا فبينما هو في بعض الايام واقف فى السوق متكيا على قفصه اذ وقفت عليه امراة ملتفة بازار مَوْصِلي بحرير بخف مزركش بحاشية قصب و بشريط لاعب فوقفت و شالت شعريتها فبان من تحتها عيون سود بهدب اجفان ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف فالتفتت الى الحمال و قالت بكلام عذب فصيح هات قفصك و اتبعني فما صدق الحمال في الكلام حتى اخذ القفص و اسرع و قال يا نهار السعادة يا نهار التوفيق و تبعها الى ان وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصراني فاعطته دينارا و اخذت منه مروقة زيتونية فحطتها فى القفص و قالت شل و اتبعني فقال الحمال هذا و الله نهار مبارك و نهار سعيد بالقبول فشال القفص و تبعها فوقفت على دكان فكهاني و اشترت منه تفاحا شاميا و سفرجلا عثمانيا و خوخا علمانيا و ياسمينا و نوفرا شاميا و خيارا اقلاميا و ليمونا مراييا و نارنجا سلطانيا و مرسينا ريحانيا و تمرحنا و اقحوانا و شقايق النعمان و بنفسجا و جلنارا و نسرينا و حطت الجميع في قفص الحمال و قالت شل فشال و تبعها فوقفت على الجزار و قالت له اقطع عشرة ارطال لحم فقطع لها و اعطته الثمن و لفته في قرطاس موز و جعلته في القفص و قالت شل يا حمال فشال و تبعها فاتت الصبية و وقفت على النقلي و اخذت منه قلب فستق ما يصلح للمنقل و زبيب تهامي و قلب لوز و قالت للحمال شل و اتبعني فشال القفص و تبعها الى ان وقفت على دكان الحلواني و اشترت طبقا و عبت فيه من جميع ما عنده من مشبك و قطايف

بالمسك محشية و صابونية و اقراص ليمونيه وميمونيه و امشاط زينب
و اصابع و لقيمات القاضي و اخذت من جميع اصناف الحلاوة في
طبق و حطته في القفص فقال لها الحمال كنتي اعلميني لاتيت معي
الكريش تحمل عليه هذه الخوشكات فتبسمت و ضربت بيدها على
قفاه و قالت له اَسرِع في مشيك و خل عنك الكلام الكثير و اجرك
حاصل ان شاء الله تعالى ثم وقفت على العطار و اخذت منه عشرة
امواه ماء ورد و ماء زهر و ماء نوفر و ماء خلاف و اخذت ابلوجين
سكر و اخذت قزيز ماء ورد ممسك و حصا لبان ذكر و عودا و عنبرا
و مسكا و اخذت شمعا اسكندرانيا و حطت الجميع فى القفص و
قالت شل قفصك و اتبعني فشال القفص و تبعها به الى ان اتت الى
دار مليحة و قدامها رحبة فسيحة عالية البنيان مشيدة الاركان بابها
بدرفتين من الآبنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية
على الباب و ادارت النقاب عن وجهها و دقت دقا لطيفا و الحمال
واقف وراءها و هو لم يزل يتفكر في حسنها و جمالها و اذا بالباب قد
انفتح و تشرعت الدرفتين فنظر الحمال الى من فتح لها الباب و اذا
بها خماسية القد بارزة النهد ذات حسن و جمال و بهاء و كمال و
قد و اعتدال بجبين ازهر و خد احمر و عيون تحاكي المها و الغزلان
و حواجب مثل قوس هلال شعبان و خدود مثل شقايِق النعمان و
فم كخاتم سليمان و شفيهات حمر كالمرجان و سنينات كاللؤلو المنضد
و الاقحوان و عنق كانه للمغزلان و صدر كانه شاذروان و نهدين كانهما
فحلي رمان و بطن مدبج و سرة تسع اوقية من دهن البان كما قال
فيها الـــــــــــــــــشـــــــــــــــــاعر

أُنْظُرْ إلى شَمْسِ القُصُورِ وَبَدْرِهَا وَ إلى خِزَامَتِهَا وَبَهْجَةِ زَهْرِهَا
لَمْ تَلْقِ عَيْنُكَ أَبْيَضًا فِي أَسْوَدٍ جَمَعَ الْجَمَالَ كَوَجْهِهَا مَعْ شَعْرِهَا
مُحْمَرَّةُ الْوَجَنَاتِ يُخْبِرُ حُسْنُهَا عَنْ اِسْمِهَا اِنْ لَمْ يُحِطْ بِخَبْرِهَا
وَ تَمَايَلَتْ فَضَحِكْتُ مِنْ أَرْدَافِهَا عَجَبًا وَ لَكِنِّي بَكَيْتُ لِخَصْرِهَا

قال فلما نظر الحمال اليها سلب عقله و لبه و كاد القفص ان يقع من على راسه ثم قال ما رأيت عمري ابرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة الخوشكاشة ادخلي من الباب وحطي عن هذا الحمال المسكين فدخلت الخوشكاشة و وراءها البوابة و الحمال و مشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مهندسية مليحة ذات تراكيب و عقودات وكُشك و سدلات و خرسانات و خزاين عليها ستور مرخيات و في وسط القاعه بركة كبيرة ملآنةً ماءا و فيها شختور و في صدر القاعة سرير من العرعر مرصع بالجوهر مرخىً عليه ناموسية اطلس احمر ازرارها لُؤلُؤ قدر البندق و اكبر و برزت من داخلها صبية بطلعة مضيّة و بهجة رضيه و اخلاق فيلسوفيه بخلقة قمرية و عيون بابلية و قسي حواجب محنية و قامة الفية و نكهت عنبريه و شفيفات عقيقية سكرية و وجه يخجل نوره الشمس المضيّة و هي كانها بعض الكواكب العلوية او قبة من الذهب مبنية او عروسة مجلية او لَيَّة عربية كما قال فيها الشاعر حيث قـــــال

كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحِ
وَطُرَّةٍ كَاللَّيْلِ مَسْبُولَةٍ وَبَهْجَةٍ تُخْجِلُ ضَوْءَ الصَّبَاحِ

قال فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير و خطرت مهلا الى ان صارت في وسط القاعة عند اخواتها و قالت ما وقوفكم حطوا عن راس

هذا المسكين الحمال فجاءت الخوشكاشة من قدام و البوابة من خلف و ساعدتهم الثالثة و حطوا القفص عن الحمال و افرغوا ما في القفص و وضعوا كل شئ في محله و اعطوا الحمال دينارين و قالوا له توجه يا حمال فنظر الى الصبايا و ما هم فيه من الحسن و الطبايع الحسان فما نظر احسن منهم و ما عندهم رجال و نظر ما عندهم من الشراب و الفواكه و المشمومات و غير ذلك فتعجب غاية العجب و توقف عن الخروج فقالت له الصبية ما لك لِمَ لا تروح انت كانك استقليت الاجرة ثم التفتت الى اختها و قالت لها اعطيه دينارا آخر فقال الحمال و الله يا ستي ما استقليت الاجرة و اجرتي ما تساوي درهمين و انما اشتغل قلبي و سري بكم و كيف انتم وحدكم ما عندكم رجال و لا احد يونسكم و انتم تعرفون ان المادُبة لا تقف الا على اربعة و ما لكم رابع و ما يطيب لعب النساء الا بالرجال كما قيل شــــــــعــــــــر

أَ مَا تَرَى أَرْبَعًا لِلَّهْوِ قد جُمِعَتْ جُنْكٌ وَ عُودٌ وَ قَانُونٌ وَ مِزْمَارُ
وَ وَافَقَتْهَا مِنَ الْمَشْمُومِ أَرْبَعَةٌ وَرْدٌ وَ آسٌ وَ مَنْثُورٌ وَ نُوَّارُ
و لَيْسَ يَحْسُنُ ذَا الَّا بِأَرْبَعَةٍ خَمْرٌ وَ رَوْضٌ وَ مَعْشُوقٌ وَ دِينَارُ

و انتم ثلثة و تحتاجون الى رابع و يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا و للاسرار كاتما فلما سمعوا كلامه اعجبهم و ضحكوا عليه و قالوا و من لنا بذلك و نحن بنات نخاف نودع السر لمن لا يحفظه و قد قرأنا في بعض الاخبار ما قاله ابن الثمام شــــــــعــــــــر

صُنِ السِّرَّ جَهْدَكَ وَلَا تُودِعْهُ فَمَنْ اَوْدَعَ السِّرَّ قَدْ ضَيَّعَهْ

فَصَدْرُكَ بِسِرِّكَ إِنْ لَمْ يَسَعْ فَكَيْفَ يَسَعْ صَدْرُ مُسْتَوْدَعِهْ

و فيه قال ابونواس و اجـــــــاد

مَنْ أَطْلَعَ النَّاسَ عَلَى سِرِّهِ اِسْتَوْجَبَ الْكَيَّةَ فِي جَبْهَتِهْ

فقال الحمال فلما سمع كلامهم و حياتكم اني رجل عاقل امين قرأت الكتب و طالعت التواريخ اظهر الجميل و اخفي القبيح و الشاعر يقول في كلامه وانـــــــشـــــــد

مَا يَكْتُمُ السِّرَّ الاَّ كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ
اَلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَ الْبَابُ مَخْتُومُ

فلما سمعوا البنات الشعر و النظام و ما ابداه قلن له انت تعلم اننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجارفنا به فنحن ما ندعك تجلس عندنا و تصير نديمنا و تشرف على وجوهنا الصباح الملاح حتى توزن جملة من المال ا ما سمعت صاحب المثل و قد قال محبة بلا حبه ما تساوي حبه فقالت البوابة معك شيء يا حبيبي انت شيء ما معك شيء روح بلا شيء فقالت الخوشكاشة يا اخوتي كفوا عنه فو الله ما قصر اليوم معنا و لو كان غيره ما طول روحه معنا و مهما جاء عليه انا اوزنه عنه ففرح الحمال و قبل الارض و شكر فقالت صاحبة السرير و الله ما ندعك تجلس عندنا الا بشرط و هو ان لا يسأل عما لا يعنيه و ان تفاضل يضرب فقال الحمال رضيت يا ستي على الراس و العين و ها انا بلا لسان فقامت الخوشكاشة و شدت وسطها و صفت القناني و روقت المدام و عملت الخضرة على جانب

الجرة و احضرت ما يحتاجون اليه ثم قدّمت المدام و جلست هي و اختاها و جلس الحمال بينهن و هو يظن انه في المنام ثم قدمت باطية المدام و ملأت اول قدح و شربته و الثاني و الثالث ثم ملات و ناولت اختها الاخرى ثم ملأت و ناولت الحمال و قالت

اِشْرَبْ هَنِيًّا مُمَتَّعًا بِالْعَوَافِي اِنَّ هَذَا الشُّرْبَ لِلدَّاءِ شَافِي

فاخذ الكاس بيده و خدم و شكر و انشد يقول شعر

مَا تُشْرَبُ الْكَاسُ اِلَّا مَعْ اَخِي ثِقَةٍ وَ طَاهِرِ الْاَصْلِ مَنْسُوبًا اِلَى السَّلَفِ
فَالرَّاحُ كَالرِّيحِ اِنْ هَبَّتْ عَلَى عِطْرٍ طَابَتْ وَ تُنْتِنُ اِنْ مَرَّتْ عَلَى الْجِيَفِ

ثم قال

لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ اِلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَاٍ يَحْكِيكَ فِي رِقَّةِ الْمَعْنَى وَ يَحْكِيهَا

ثم انه بعد انشاده قبل ايديهم و شرب و سكر و تمايل و انشد يقول شعر

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعُنْقُودِ
فَاسْقِنِيهَا فِدًى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَ طَارِفِي وَ تَلِيدِي

ثم ملأت القدح و ناولتها لاختها الوسطى فاخذتها من يدها و شكرتها و شربت ثم ملأت و ناولت لصاحبة السرير و ملأت كاسا اخرى و ناولتها الحمال فقبل الارض بين يديها و شكر و شرب و انشد يقول شعر

هَاتِهَا بِاللّٰهِ هَاتِ مِنْ كُؤُوسٍ مُتْرَعَاتِ
وَاسْقِنِي مِنْهَا بِكَاسٍ اِنَّهَا مَاءُ الْحَيٰوةِ

ثم تقدم الى صاحبة المحل و قال يا ستي انا عبدك و مملوكك و خدامك و انشد يقـــــول

عَلَى الْبَابِ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكِ وَاقِفٌ بِجُودِكِ وَالْاِحْسَانِ مَا زَالَ مُعْتَرِفْ
اَ يَدْخُلُ يَا ذَاتَ الْمَحَاسِنِ كَيْ يَرىٰ جَمَالَكِ اِنِّيْ وَ الْهَوىٰ غَيرُ مُنْصَرِفْ

فقالت له طب نفسا و اشرب هنيا و عافية تجري مجاري الصحة فاخذ الكاس و قبل يدها و ترنم و انشد يقـــــول

نَاوَلْتُهَا شِبْهَ خَدَّيْهَا مُعَتَّقَةً صِرْفًا كَاَنَّ سَنَاهَا ضَوْءُ مِقْبَاسِ
فَقَبَّلَتْهَا وَ قَالَتْ وَ هِيَ ضَاحِكَةٌ فَكَيْفَ تَسْقِي خُدُودَ النَّاسِ لِلنَّاسِ
قُلْتُ اشْرِبِي فَهِيَ مِنْ دَمْعِي وَحُمْرَتُهَا دَمِي وَ طَابَخَهَا فِي الْكَاسِ اَنْفَاسِي

فقالت مجيبة عليه شـــــعـــــر

اِنْ كُنْتَ يَا صَاحِ مِنْ اَجْلِي بَكَيْتَ دَمًا هَاتِ اسْقِنِيهَا عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ

قال فاخذت الصبية القدح و شربته و نزلت عند اختها و ما زالوا يشربون و الحمال في وسطهم و هم في رقص و ضحك و غناء و اشعار و موشحات و صار الحمال معهم في هراش و بوس و عض و فرك و جس و لمس و خراع و هذه تلقمه و هذه تلكمه و هذه تلطمه و هذه بالمشموم بخدمه و هو معهم في الذ عيش كانه قاعد في الجنة بين حور العين و لم يزالوا كذلك حتى لعبت الخمرة في روسهم و

عقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة و تجردت من اثوابها
و صارت عريانة و ارخت شعرها عليها سترا و ارمت نفسها في البحرة
و لعبت في الماء و بطبطت و تفلت و اخذت الماء في فمها و مجت
على الحمال ثم غسلت اعضاها و بين افخاذها ثم طلعت من الماء و
رمت روحها في حجر الحمال و قالت له يا سيدي يا حبيبي ايش اسم
هذا و اشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت ايه اَ ما تستحي
و مسكته من رقبته و صارت تصكه فقال فرجك فصكته ثانيا على قفاه
وقالت وا اى وا قبيح ما تستحي فقال كسك فقالت ايه انت ما تستحي
على عرضك ثم لكمته بيدها و ضربته فقال الحمال زنبورك فنزلت عليه
الكبرى بالضرب و قالت له لا تقل كذا فصار الحمال كلما قال باسم
زادوه ضربا و لم يكن الا ان ذاب قفاه من الصك و جعلوه اضحوكة
بينهم الى ان قال و ما اسمه عندكن فقالت حبق الجسور فقال
الحمال الحمد لله على السلامة طيب يا حبق الجسور ثم انهم دوروا
الكاس و الطاس و قامت الثانية و خلعت ثيابها و رمت نفسها في
حجر الحمال و اومت الى حرها و قالت يا نور عيني ما اسم هذا قال
فرجك قالت اَ ما يقبح عليك و صكته ضربة رنت بها القاعة فقالت له
يوه يوه اَ ما تستحي فقال حبق الجسور فقالت لا و الضرب و الصك
على قفاه و هو يقول رحمك كسك فرجك ندولك و هن يقلن لا
لا فقال حبق الجسور فالثلثة ضحكوا حتى تقلبوا على قفاهم و نزلوا
دكا في رقبته و قلن لا ما هو اسمه كذا قال يا اخوتي ما اسمه قلن
السمسم المقشور ثم لبست الجارية قماشها و جلسوا يتنادمون و
الحمال يتاوه من رقبته و اكتافه فدارت الكاس بينهم ساعة ثم قامت
الكبيرة مليحتهم و تجردت من ثيابها فمسك الحمال رقبته بيده و

مرجها و قال في سبيل الله رقبتي و اكتافي ثم تعرت الصبية و القت
نفسها في البركة ثم غطست و لعبت و اغتسلت فنظر الحمال اليها
عريانة كانها فلقه قمر بوجه كالبدر اذا بدر و الصبح اذا اسفر و نظر
الى قدها و نهدها و الى تلك الارداف الثقال التي ترجرج و هي
عريانة كما خلقها ربها فقال اه اه و انشد يخاطبـــــــبهـــــا

إِنْ قِسْتُ قَدَّكَ بِالْغُصْنِ الرَّطِيبِ فَقَدْ حَمَّلْتُ قَلْبِيَ أَوْزَاراً وَ عُدْوَانَا
فَالْغُصْنُ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاهُ مُكْتَسِيًا وَأَنْتِ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاكِ عُرْيَانَا

فلما سمعت الصبية الابيات طلعت من البركة و جاءت و قعدت
في حجره و اشارت الى هنها و قالت يا سويدي ايش اسم هذا قال
حبق الجسور قالت ذه ذه قال سمسم المقشور قالت اوه قال رحمك قالت
يو يو ما تستحي و سكته في قفاه و صار كلما قال لها اسمه كذا تسكه و
تقول لا لا الى ان قال يا اخوتي و ما اسمه فقالت خان ابومنصور
فقال الحمد لله على السلامة ها ها يا خان ابومنصور و قامت
الصبية و لبست ثيابها و عادوا الى ما كانوا عليه فدارت الكاس بينهم
ساعة ثم قام الحمال و خلع ثيابه و نزل في البحرة و راوه عائما في
الماء و غسل تحت لحيته و ابطه مثل ما غسلن ثم طلع و رمى نفسه
في حجر الست و رمى ذراعيه في حجر البوابة و رمى رجليه و سيقانه
في حجر الخشكاشة ثم اومى الى ذكره و قال يا ستاتي ما اسم هذا
فضحكوا الكل على كلامه حتى انقلبوا على قفاهم و قالت الواحدة
زبك قال لا و اخذ من كل واحدة عضة قالوا ايرك قال لا و اخذ من
كل واحدة حضنا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
فلما كانت الليلة العاشرة قالت لها اختها دنيازاد اتمي لنا

حديثك قالت حبا و كرامة بلغني ايها الملك السعيد ان البنات
مازالوا يقولون للحمال زبك ايرك خازوقك و هو يبوس و يعض و
يعنق الى ان اشتفى قلبه منهن و هم يتضاحكون الى ان قالوا له يا
اخينا ما اسمه قال ما تعرفون ما اسمه قلن لا قال هذا البغل
الكسور يرعي حبق الجسور و يسفّ السمسم المقشور و يبات في خان
ابومنصور فضحكوا حتى انقلبوا على قفاهم و عادوا الى منادمتهم و
لم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل عليهم فقالوا للحمال بسم الله
يا سيدي قم و البس زرموجتك و توجه و ورينا عرض اكتافك
فقال الحمال و الله خروج الروح اهون من خروجي من عندكم
دعونا نصل الليل بالنهار و غداة كل منا يروح الى حال سبيله
فقالت الخشكاشة بحياتي عليكم دعوه ينام عندنا نضحك عليه فمن بقي
يعيش حتى نجتمع على مثل هذا فانه خليع ظريف فقالوا ما تبات
عندنا الا بشرط ان تدخل تحت الحكم و مهما رأيت لاتسأل عنه و لا
عن سببه فقال نعم فقالوا قم و اقرأ الكتابة الذي على الباب فقام
الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب من يتكلم فيما لا يعنيه
يسمع ما لا يرضيه فقال الحمال اشهدوا على اني لا اتكلم فيما لا
يعنيني ثم قامت الخوشكاشة و جهزت لهم ماكولا فاكلوا ثم اوقدوا
الشموع و القناديل و غرسوا في الشموع العنبر و العود و قعدوا
على الشراب بمذاكرة الاحباب و قد غيروا ذلك المقام بغيره و صفوا
فاكهة طرية وكذلك المشروب و لا زالوا في اكل و شرب و منادمة و
نقل و ضحك و خداع ساعة من الزمان و اذا هم بالباب يدق فلم
ينخرم نظامهم و اذا بواحدة منهم انفردت على الباب ثم عادت و
قالت قد كمل صفانا في تلك الليلة قالوا و ما ذلك قالت على الباب

ثلثة اعجام قرندلية محلوقين الذقون و الروس والحواجب و هم
الثلثة عور بالعين الشمال و هذا من اعجب الاتفاق و هم كما قد
حضروا من السفر الآن و حالة السفر ظاهرة عليهم و قد وصلوا الى
بغداد و هذا اول دخولهم بلدنا و اما سبب دق الباب فانهم لم
يجدوا موضعا يباتوا فيه فقالوا عسى صاحب هذه الدار يعطينا مفتاح
الاسطبل او خرابة نبات فيها الليلة فقد ادركهم المسا و هم غرباء
ما يعرفون احدا يلتجئون اليه و يا اخوتي لكل واحد منهم شكل و
صورة مضحكة فلم تزل تتلطف بهم حتى قالوا لها دعيهم يدخلوا و
اشرطي عليهم لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم
ففرحت و راحت ثم عادت و معها الثلثة عور محلّقين الذقون و
الشوارب فسلموا و خدموا و تاخروا فقاموا لهم البنات و رحبوا و هنأوا
بالسلامة و تعدوهم فنظروا القرندلية الى محل ظريف و مقام نظيف
منظوم بخضرة و شموع توقد و بخور تصاعد و نقل و فواكه و مدام
و ثلث بنات ابكار فقالوا جميعهم و الله طيب ثم التفتوا الى الحمال
فوجدوه جذلان تعبان سكران فلما عاينوه ظنوا انه منهم و قالوا هو
قرندلي مثلنا و هو غريب او عرب فلما سمع الحمال هذه الكلام
قام و حملق عينيه لهم و قال لهم اقعدوا بلا فضول ا ما قرأتم ما
على الباب و ما بالفقراء انتم كما وردتم علينا تطلقوا لسانكم فينا
قالوا نحن نقول نستغفر الله يا فقير راسنا بين يديك فضحكوا البنات
و قاموا اصلحوا بين القرندلية و الحمال و قدموا للقرندلية الاكل
فاكلوا ثم جلسوا يتنادمون و البوابة تسقيهم و دار الكاس بينهم فقال
الحمال للقرندلية و انتم يا اخواتنا ما معكم حكاية او نادرة تحكوها لنا
فدبت عندهم الحرارة و طلبوا آلات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا

و عودا و جنكا اعجميا فقاموا القرندلية فاصلحوا الآلات و اخذ واحد منهم الدف و الآخر العود و الآخر الجنك و ضربوا بها و غنوا و البنات صرخت حتى صار لهم حس عال فهم كذلك و اذا بالباب يطرق فقامت البوابة تبصر خبر الباب قالت شهرزاد ايها الملك و كان السبب لدق الباب ان تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد يتفرج و يسمع ما يتجدد من الاخبار هو و جعفر وزيرة و مسرور سياف نِقْمته و كان من عادته يتنكر في صفة التجار فلما نزل تلك الليلة و شق المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا الآلات و الغنا فقال الخليفة لجعفر اشتهي ان ندخل الى هذه الدار و نسمع هذه الاصوات و نرى اصحابها فقال جعفر يا امير المؤمنين هولاء قوم قد دخل السكر فيهم و نخشى ان يصيبنا منهم شر فقال لابد من دخولي و اريدك ان تحتال حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا و طاعة ثم تقدم جعفر و طرق الباب فخرجت البوابة و فتحت الباب فتقدم جعفر و قبل الارض و قال يا ستي نحن ناس تجار من طبريه و لنا في بغداد عشرة ايام و بعنا تجارتنا و نحن نازلين في خان التجار و عزم علينا تاجر في هذه الليلة فدخلنا عنده و قدم لنا طعاما فاكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة فاذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل و نحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيه فلعل من صدقاتكم ان تدخلونا هذه الليلة عندكم نبات و لكم الثواب فنظرت البوابة اليهم و هم متقمشين كالتجار و عليهم الحشمة فدخلت لاخوتها و قالت بحديث جعفر و تأسفوا عليهم و قالوا لها دعيهم يدخلون فردت و فتحت لهم الباب فقالوا لها ندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة و جعفر و مسرور فلما راؤهم البنات قاموا لهم و اجلسوهم و خدموهم و قالوا

مرحبا و اهلا بالضيوف و لنا عليكم شرط فقالوا و ما هو قالوا لا تتكلموا فيما لا يعنيكم تسمعوا ما لا يرضيكم فقالوا نعم ثم انهم جلسوا للشراب و المنادمة فنظر الخليفة الى الثلثة القرندلية فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب من ذلك و نظر الى البنات و ما هم فيه من الحسن و الجمال فتحير و تعجب و اخذوا في المنادمة و الحديث فقالوا للخليفة اشرب فقال انا عازم على الحج فقامت البوابة و قدمت شفرة مزركشة و اقعدت عليها باطية صينية و قلبت فيها ماء خلاف و ادخلت فيها جمحة ثلج و ابلوج سكر فشكرها الخليفة و قال في نفسه و الله لاجزيها في غداة غد على فعلها من الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت الست و خدمتهم و اخذت بيد الخشكاشة و قالت يا اختي قومي نقضي دَيننا فقالت الاختان نعم فعند ذلك قامت البوابة قدامهم و ذلك بعد ان عزلت المقام و رمت القشور و غيرت البخور و عزلت وسط القاعة و اطلعت القرندلية الى جانب الايوان على صفة و اخذت الخليفة و جعفرا و مسرورا الى جانب القصر على صفة و صرخت على الحمال و قالت ما قل مودتك انت ما انت غريب انت من اهل الدار فقام الحمال و شد وسطه و قال ما تريدي فقالت قف مكانك ثم قامت الخشكاشة و نصبت في وسط القاعه كرسيا و فتحت خوشكانة و قالت للحمال ساعدني فرأى كلبتين سودا في رقابهم جنازير فقالت للحمال خذهم فاخذهم الحمال و خرج بهم الى وسط القاعة فقامت الصبية صاحبة المنزل و شمرت عن معصمها و اخذت سوطا و قالت للحمال قدم كلبة منهم فقدمها و جرها في الجنزير و الكلبة تبكي و تحركت راسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على راسها و الكلبة تصرخ و لا زالت تضربها

حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها و ضمت الكلبة لصدرها و مسحت دموع الكلبة بيدها و باست راسها ثم قالت للحمال خذيها و هات الثانية فجابها و فعلت بها مثل ما فعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة و ضاق صدره و عيي صبره ليعرف خبر هٰذين الكلبين فغمز جعفر فالتفت له و قال بالاشارة اسكت ثم التفتت الصبية للبوابة فقالت لها قومي اقضي ما عليكي فقالت نعم ثم انها قامت و صعدت على السرير و هو من العرعر مصفح بصفايح الذهب و الفضة ثم قالت للبوابة و الخشكاشة هاتوا ما عندكم فقامت و جلست على كرسي بجانبها و اما الخشكاشة فانها دخلت مخدعا و خرجت و معها كيس اطلس بشراريط خضر و بشمستين ذهب و وقفت قدام الصبية صاحبة المنزل و نقضت الكيس فاخرجت منه عود غناء فاصلحت اوتاره و شدت ملاويه و اصلحته اصلاحا جيدا وانشدت تقول هذه الابيات

أَنْتُمْ مُرَادِي وَ قَصْدِي	وَ وَصْلُكُمْ يَا أَحِبَّتِي
فِيهِ النَّعِيمُ الدَّائِمْ	وَ الْبُعْدُ عَنْكُمْ نَارْ
بِكُمْ جُنُونِي وَ فِيكُمْ	تَوَلُّهِي طُولَ الزَّمَانْ
وَ مَا عَلَيَّ إِذَا مَا	أَحْبَبْتُكُمْ مِنْ عَارْ
تَهَتَّكَتْ أَسْتَارِي	لَمَّا انْشَغَفْتُ بِحُبِّكُمْ
وَ الْحُبُّ مَازَالَ يَهْتِكُ	وَ يَفْضَحُ الْأَسْتَارْ
ثَوْبُ الضَّنَا قَدْ لَبِسْتُهُ	فَبَانَ عُذْرِي وَ اتَّضَحْ
مِنْ أَجْلِ ذَا فِي غَرَامِي	قَلْبِي بِكُمْ يَخْتَارْ
جَرَتْ دُمُوعِي تَجْرِي	فَبَانَ سِرِّي وَ اشْتَهَرْ

لَمَّا فَشَتْ أَسْرَارِي بِدَمْعِيَ الْمِهْدَارْ

دَاوُوا شَدَائِدَ أَمْرَاضِي وَ أَنْتُمُ الدَّاءَ وَ الدَّوَا

وَ مَنْ دَوَاهُ مَعْكُمْ دَامَتْ بِهِ الْأَضْرَارْ

ضَيَا جُفُونِكْ ضَنَى لِي قَتْلِي بِسَيْفِ صَبَابَتِي

وَكَمْ بِسَيْفِ الْمَحَبَّة قَدْ مَاتَتِ الْأَخْيَارْ

لَا أَنْتَهِي عَنْ غَرَامِي وَ لَا أَمِيلُ لِسَلْوَتِي

فَالْحُبُّ طِبِّي شَرْعِي زَيْنِي فِي السِّرِّ وَ الْإِجْهَارْ

يَا سَعْدَ عَيْنٍ تَمَلَّتْ مِنْكُمْ وَ فَازَتْ بِالنَّظَرْ

نَعَمْ وَ قَدْ صَارَ قَلْبِي مُولَهًا مُخْتَارْ

قال فلما سمعت الصبية ذلك القصيد الرباعي قالت اه اه اه ثم شقت اثوابها و وقعت على الارض مغشيا عليها فراي الخليفة ضرب المقارع و الكسارات فتعجب غاية العجب فقامت البوابة و رشت الماء عليها و اتت لها ببدلة سنية و البستها فلما عاينوا الجماعة ذلك تكدر خاطرهم و لم يعلموا القصة و لا الخبر فعند ذلك قال الخليفة لجعفر ما تنظر الى هذه الصبية وكيف عليها و هذا الضرب فانا لا اقدر اسكت الا ان وقفت على حقيقة الحال و خبر هذه الصبية و خبر الكلبتين السود فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا اننا لم نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قالت بالله يا اختي اوفيني و اتيني فقالت الخوشكاشة حبا و كرامة و اخذت العود و اسندته الى نهديها وجسته باناملها و انشدت تـــقـــول

إِنْ شَكَوْنَا بُعْداً فَمَا ذَا نَقُولُ أَوْ بَلَغْنَا شَوْقاً فَأَيْنَ السَّبِيلُ

اَوْ بَعَثْنَا رُسْلًا تُتَرجِمُ عَنَّا مَا يُؤَدِّيْ شَكْوَى الْمُحِبِّ رَسُولُ
اَوْ صَبَرْنَا فَمَا بَقِيَ الْمُحِبُّ بَعْدَ فَقْدِ الاَحْبَابِ الَّا قَلِيلُ
لَيْسَ اِلَّا تَاَسُّفًا ثُمَّ حُزْنًا وَ دُمُوعًا عَلَى الْخُدُودِ تَسِيلُ
اَيُّهَا الْغَائِبِينَ عَنْ شَخْصِ عَيْنِي وَ هُمْ فِي الْفُؤَادِ مِنِّي حُلُولُ
اَ تَرَاكُمْ فَهَلْ عَلِمْتُمْ بِعَهْدِيْ فَهُوَ طُولُ الْمَاءِ لَيْسَ يَطُولُ
اَمْ تَنَاسَيْتُمُ عَلَى الْعَبْدِ صَبًّا يَشْتَفِي فِيكُمُ الْبُكَا وَ النُّحُولُ
آه اِنْ ضَمَّنَا وَ اِيَّاكُمْ الْحُبُّ فَلِيْ مَعَكُمْ عِتَابٌ يَطُولُ

قال فلما سمعت القصيدة الثانية صرخت و قالت و الله طيب و حطت يدها و شقت اثوابها كما فعلت الاولى ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فقامت الخشكاشة و البستها بدلة ثانية بعد ان رشت عليها الماء فقامت و جلست ثم قالت لاختها الخشكاشة زيديني و اوفي ديني فما بقي غير هذا الصوت فاحضرت الخشكاشة العود و انشدت تقول هذه الابيات شعر

حَتَّى مَتَى هٰذَا الصُّدُودُ وَ ذَا الْجَفَا اَ فَمَا جَرَى مِنْ اَدْمُعِيْ مَا قَدْ كَفَا
وَ لَكَمْ تُطِيلُ الْهَجْرَ لِي مُتَعَمِّدًا اِنْ كَانَ قَصْدُكَ حَاسِدِيْ فَقَدِ اشْتَفَى
لَوْ اَنْصَفَ الدَّهْرُ الْخَؤُنُ لِعَاشِقٍ مَا بَاتَ سَهْرًا فِيْ هَوَاهَا مُدْنَفَا
رِفْقًا عَلَيَّ فَقَدْ اَضَرَّ بِيَ الْجَفَا يَا مَالِكِي مَا آنَ اَنْ تَتَعَطَّفَا
فَلِمَنْ اُبِيحُ صَبَابَتِي يَا قَاتِلِي يَا خَيْبَةَ الشَّاكِي اِذَا قَلَّ الْوَفَا
وَ يَزِيدُ وَجْدِي فِيكُمْ وَ عَبْرَتِي وَ يَطُولُ اَيَّامُ الصُّدُودِ فَيَتْلَفَا
يَا مُسْلِمِينَ خُذُوا بِثَارِ مُتَيَّمٍ اَلِفَ السُّهَادَ وَ رَبْعُ صَبْرِهِ قَدْ عَفَا
اَ يَحِلُّ فِي شَرْعِ الْهَوَى يَا مُنْيَتِي بُعْدِيْ وَ غَيْرِيْ بِالْوِصَالِ مُشَرَّفَا
وَ لِاَيِّ ذَنْبٍ بِالْجِوَارِ تَلَذُّذًا كَمْ جُهْدَ مَنْ اَهْوَاهُ اَنْ يَتَكَلَّفَا

قال فلما سمعت الصبية الثالثة قصيدتها صرخت وحطت يدها في اثوابها و شقتها الى الذيل و وقعت على الارض مغشيا عليها ثالث مرة فبان ضرب القارع فقالت القرندلية ليتنا لما دخلنا هذه الدار و كنا نمنا على الكيمان فقد تعكر مقامنا بشيء يقطع القلب فالتفت الخليفة اليهم و قال لهم لِمَ ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة ما انتم من هذا البيت قالوا لا و لا راينا هذا الموضع الا في هذه الساعة فتعجب و قال فيكون الرجل الذي عندكم يعرف خبرهم ثم غمز الحمال و سألوه عن الاحوال فقال الحمال و الله العظيم كلنا بالهوى سوي و انا نشوا بغداد و عمري ما دخلت هذه الدار الا في هذا النهار و كان تعادي عندهم عجب فقالوا و الله حسبنا انك منهم و الآن نراك نظيرنا ثم ان الخليفة قال نحن سبعة رجال و هم ثلثة نساء ليس لهم رابع فاسألوهم عن حالهم فان لم يجيبونا طوعا اجابونا كرها و اتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا راي دعوهم فنحن ضيوف عندهم و شرطوا علينا شرطا و قد قبلنا شرطهم كما علمتم فالاولى سُكاتنا عن هذا الامر و قد بقي من الليل القليل وكل منا يمضي الى حال سبيله ثم غمز الخليفة و قال له ما بقي الا ساعة و في غد نحضرهم بين يديك و تسألهم عن قصتهم فرفع الخليفة راسه و صرخ مغضبا و قال ما بقي لي صبر عن خبرهم فدع القرندلية يسألوهم فقال جعفر ما هذا برايي فتفاوضوا في الكلام وكثر بينهم القال و القيل فيمن يسألهم قبل قالوا الحمال فقالت لهم الصبية يا جماعة لاي شيء تفوشوا فقام الحمال لصاحبة البيت و قال لها يا ستي ان هولاء الجماعة يحبون ان تحدثيهم بخبر الكلبتين و ما قصتهم و كيف انت تعاقبيهم و تعودي تبكي و تبوسهم و اخبرهم عن اختك

و ضربها بالمقارع مثل الرجال و هذا سوالهم لك و السلام فقالت الصبية صاحبة المكان للضيوف صحيح ما يقول عنكم فقالوا الجميع نعم الا جعفر فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت و الله لقد اذيتموني يا ضيوفنا الاذية البالغة و تقدم لنا اننا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه و ما كفاكم اننا ادخلناكم منزلنا و اطعمناكم زادنا و ما لكم ذنب الذنب لمن اوصلكم الينا ثم شمرت عن معصمها و ضربت الارض ثلث ضربات و قالت عجلوا و اذا بباب خرستانة قد فتح و خرج منه سبع عبيد و بايديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هولاء الكثيرين الكلام و اربطوا بعضهم ببعض ففعلوا و قالوا ايها المخدرة ارسمي لنا بضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى اسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال يا ستر الله يا ستي لا تقتليني بذنب غيري و الجميع اخطأوا و دخلوا في الذنب الا انا و الله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هولاء القرندلية الذين لو دخلوا مدينة عامرة اخربوها ثم يقول شعـــر

مَا اَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّمَا مِنْ غَيْرِ ذِيْ نَاصِرِ
بِحُرْمَةِ الْوُدِّ الَّذِيْ بَيْنَنَا لَا تُفْسِدِ الْاَوَّلَ بِالْآخِرِ

فلما فرغ الحمال من شعره ضحكت الصبية و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الحادية عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية لما ضحكت من غيظها اقبلت على الجماعة و قالت اخبروني بخبركم فما بقي من اعماركم الا ساعة و لو لا انتم عزيزين او اكابر قومكم او حكاما لما كنتم تجاريتم فقال الخليفة ويلك

يا جعفر اخبرها بنا و الا قتلنا غلطا و حسن لها القول قبل ان يحل بنا المكروه فقال جعفر من بعض ما تستاهل فزعق عليه الخليفة و قال الهذل له وقت و الجد له وقت هذا و الصبية اقبلت على القرندلية و قالت لهم انتم اخوة قالوا لا و الله ما نحن الا فقراء و اعجام فقالت لواحد منهم انت ولدت اعور قال لا و الله انا قد جرى لي حديث عجيب و امر غريب لما قلعت عيني و لي حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لصارت عبرة لمن اعتبر قال و سألت الثاني و الثالث فقالوا مثل الاول و قالوا و الله يا مولاتنا كل واحد منا من بلد و ابن ملك و حاكم على بلاد و عباد فالتفتت الصبية لهم و قالت كل واحد منكم يحكي علي حكايته و ما سبب مجيئه الى عندنا يملّس على راسه و يروح الى حال سبيله فاول ما تقدم الحمال فقال يا ستي انا رجل حمال حملتني هذه الخوشكاشة و جاءت بي من بيت النباذ الى دكان الجزار و من دكان الجزار الى الفاكهاني و من عنده الى النقلي و من النقلي الى الحلواني و العطار و منه الى هنا و جرى لي معكم ما جرى و هذا حديثي و السلام فضحك الصبية و قالت له ملس على راسك و رح فقال و الله ما اروح حتى اسمع حديث رفقائي فتقدم القرندلي الاول و قال لها يا ستي اعلمي ان سبب حلق ذقني و قلع عيني ان والدي كان ملك و له اخ و كان اخوه ملك في مدينة اخرى و اتفق ان امي ولدتني و ولد ابن عمي في يوم واحد و مضت سنين و اعوام و ايام حتى كبرنا وكنت ازور عمي في كل قليل و اقعد عنده اشهرا عديدة فاكرمني ابن عمي غاية الاكرام و ذبح لي الاغنام و روق لي المدام و جلسنا للشراب فلما تحكم الشراب منا قال لي ابن عمي يا ابن عمي لي

اليك حاجة مهمة و اريد ان لا تخالفني فيما اريد ان افعله فقلت
له حبا و كرامة فاستوثق مني بالايمان العظام و نهض من وقته و
ساعته و غاب قليلا و عاد و خلفه امراة متّزرة مطيبة و عليها من
الحلل ما يساوي مبلغا عظيما فالتفت الي و المرأة خلفه و قال خذ
هذه المرأة و اسبقني على الجبانة الفلانية و وصفها لي فعرفتها و
قال لي ادخل بها الى التربة و انتظر لي هناك فلم يمكنني المخالفة
و لم اقدر ارد سواله لاجل اليمين الذي حلفته فاخذت المراة و سرت
الى ان دخلت التربة انا و اياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن
عمي و معه طاسة فيها ماء و كيس فيه جبس و قدوم ثم انه اخذ
القدوم و جاء الى قبر في وسط التربة ففكه و نقل احجاره الى ناحية
التربة ثم بحث بالقدوم في ارض القبر ثم انكشف عن طابق حديد
قدر الباب الصغير في الارض فشاله فبان من تحته سلم معقود ثم
التفت الى المراة و قال لها دونك و ما تختاري فنزلت المرأة من
ذلك السلم فالتفت الي و قال يا ابن عمي تمام المعروف اذا نزلت
انا في ذلك الموضع رد الطابق و رد عليه التراب كما كان على
الطابق و هذا تمام المعروف و هذا الجبس الذي في الكيس و هذا
الماء الذي في الطاسة اعجن به الجبس و لبس القبر كما كان اولا
في دائر الاحجار حتى لا يراها احد و يقول هذا فتح جديد و بطنه
عتيق لان لي سنة كاملة و انا اعمل فيه و ما يعلم بي الا الله و
هذه حاجتي اليك ثم قال لي لا اوحش الله منك يا ابن عمي ثم
نزل في السلم فلما غاب عن عيني قمت و رديت الطابق و فعلت
ما امرني به و بقي القبر كما كان و انا في خمار سكران و رجعت الى
قصر عمي و كان عمي في الصيد و القنص فنمت تلك الليلة فلما

اصبح الصباح تفكرت الليلة الماضية و ما جرى فيها على ابن عمي
و ندمت حيث لا ينفع الندم على ما فعلت معه و طاوعته فظننت
انه كان مناما فاخذت اسأل عن ابن عمي فما كان احد يجيبني
عنه فخرجت الى المقابر و الجبانة و فتشت على التربة فلم اعرفها و
لم ازل ادور تربة تربة و قبرا قبرا حتى اقبل الليل و لم اهتد عليها
فرجعت الى القصر و لم اكل و لم اشرب و قد اشتغل خاطري بابن
عمي بحيث لا اعلم له حالا فاغتميت غما شديدا فنمت ليلتي و
بت مهموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة و انا افكر فيما
فعله ابن عمي و ندمت على سماعي منه و قد درت في الترب
جمعيا فلم اعرف تلك التربة و ذلك القبر فندمت على ذلك و دمت
على هذا الحال سبعة ايام فلم اعرف لها طريقا فزاد بي الوسواس
حتى كدت ان اجن فلم اجد فرجا دون ان سافرت و رجعت الى
ابي فساعة وصولي الى مدينة ابي نهض جماعة على باب المدينة
و كتفوني فتعجبت كل العجب و انا ابن سلطان المدينة و هم خدم
ابي و غلماني فلحقني منهم خوف زائد فقلت في نفسي يا ترى
ما جرى على والدي و اسأل الذين مسكوني عن سبب ذلك فلم
يردوا على جوابا فبعد حين قال لي بعضهم و كان خادما عندي ان
اباك قد غدر به الزمان و خامر عليه العساكر و قتله الوزير و قعد
مكانه و نحن نترقب لك بامره فاخذوني و انا غائب عن الدنيا من
هذه الاخبار التي سمعتها عن ابي فلما تمثلت بين يديه و كان
بيني و بين الوزير عداوة قديمة و سبب تلك العداوة كنت مولعا
بضرب قوس البندق و اذا انا يوما من الايام واقف على سطح قصري
و اذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير و كان واقفا فاردت ان اضرب

الطير و اذا بالبندقة اخطأت و حطت في عين الوزير قلعتها بالقضاء و القدر كما قيل في بعض الامثال الماضية شعر

مَشَيْنَاهَا خُطاً كُتِبَتْ عَلَيْنَا و مَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطاً مَشَاهَا
وَ مَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

قال القرندلي فلما انقلعت عين الوزير لم يقدر يتكلم لان والدي كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بيني و بينه فلما وقفت قدامه و انا مكتف امر بضرب عنقي فقلت له باي ذنب تقتلني فقال اي ذنب اعظم من هذا و اشار الى عينه المقلوعة فقلت له هذا فعلته خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فانا افعله عمدا ثم قال قدموه فقدموني بين يديه فمد اصبعه في عيني اليمنى قلعها فصرت من ذلك الوقت اعور كما تروني ثم كتفني و حطني في صندوق و قال للسياف تسلم هذا و اشهر حُسامك و خذه و اذهب به الى بر المدينه و اقتله و دع الوحوش و الطيور تاكله فخرج بي السياف و سار حتى خرج من المدينة الى وسط البرية و اخرجني من الصندوق و انا مكتف اليدين مغلول الرجلين و اراد ان يعصب عيني و يقتلني بعد ذلك فبكيت بكاءا شديدا حتى ابكيته و نظرت اليه و انشدت اقول هذا الابيات شعر

حَسِبْتُكُم دِرْعاً حَصِيناً لِتَمْنَعُوا سِهَامَ الْعِدَا عَنِّي فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا
وَكُنْتُ أَرْتَجِيكُم عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ إِذَا أَعْوَزَتْ أَيْدِي الْيَمِينِ شِمَالَهَا
دَعُوا قِصَّةَ الْعُذَّالِ عَنِّي بِمَعْزَلٍ وَ خَلُّوا الْعِدَا يَرْمُوا عَلَيَّ نِبَالَهَا
إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَحْرِسُونِي مِنَ الْعِدَا فَكُنْتُمْ سَكَتُّمْ لَا عَلَيَّ وَ لَا لَهَا

و قال ايضا شعر

وَ إِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمْ دُرُوعًا فَكَانُوهَا وَ لٰكِنْ لِلْأَعَادِي
وَ خِلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا وَ لٰكِنْ فِي فُؤَادِي

فلما سمع السياف شعري و كان سياف ابي و لي عليه الاحسان قال يا سيدي كيف افعل و انا عبد مامور ثم قال لي فز بعمرك و لا تعد الى هذه الارض فتهلك و تهلكني معك كما قال بعضهم شعر

وَ نَفْسَكَ فُزْ بِهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَ خَلِّي الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَ نَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يَعِيشُ بِدَارِ ذُلٍّ وَ أَرْضُ اللّٰهِ وَاسِعَةٌ فَلَاهَا
وَ لَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ خَلَاهَا
وَ مَا غَلُظَتْ رِقَابُ الْأُسْدِ حَتَّى بِأَنْفُسِهَا تَوَلَّتْ مِنْ عَنَاهَا

فقبلت يديه و ما صدقت بالنجاة و هان علي قلع عيني بنجاتي من القتل و سافرت حتى وصلت الى مدينة عمي فدخلت عليه و اعلمته بما جرى على والدي و بما جرى لي من قلع عيني فبكي بكاءا شديدا و قال لقد زدتني هما على همي و غما على غمي فان ابن عمك قد عدم و لا اعلم ما جرى عليه منذ ايام و لم يخبرني احد بخبره و بكي حتى اغمي عليه فحزنت عليه حزنا شديدا فاراد ان يحط على عيني دواء فراها صارت جوزة فارغة فقال يا ولدي بعينك و لا بروحك قال و لم يمكنني السكوت على ابن عمي الذي هو ولده فاعلمته بالذي جرى كله ففرح عمي بالذي قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه و قال قم ارني التربة فقلت و الله يا عمي لم اعرف مكانها لاني رحت بعد ذلك مرارا و فتشت عليها فلم اعرف مكانها

ثم اتيت انا وعمي الى الجبانة و نظرت يمينا و شمالا فعرفتها ففرحت انا و عمي فرحا شديدا و دخلت انا و اياه التربة و شلنا التراب و رفعنا الطابق و نزلت انا و عمي قدر خمسين درجة فلما وصلنا الى اخر سلم و اذا بدخان طلع علينا حتى غشى ابصارنا فقال عمي كلمة لا يخجل قائلها لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم ثم مشينا و اذا نحن بقاعة ملآنة دقيقا و من الحبوب و الماكول و غير ذلك و رأينا في وسط القاعة بشخانة مرخاة على سرير فنظر عمي الى السرير فوجد ابنه و المرأة التي قد نزلت معه صارا فحما اسود و هما متعانقين كانهما القيا في جب من نار فلما نظر عمي ذلك بزق في وجهه و قال تستاهل يا خنزير هذا عذاب الدنيا و بقي عذاب الآخرة اشد و اقوى و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القرندلي قال للصبية و الجماعة يسمعون و جعفر و الخليفة ثم ان القرندلي قال ان عمي ضرب ولده بالزربون و هو راقد فحم سود فتعجبت من فعله و حزنت على ابن عمي وكيف صار هو و الصبية فحما اسود فقلت بالله يا عمي زوّل عن قلبك غصة لقد اشتغل سري و خاطري و اغتميت بما قد جرى على ولدك وكيف بقي فحما اسود هو و الصبية و ما كفاهم ما هم فيه ضربته بالزربون فقال يا ابن اخي هذا ولدي من صغره مولع بحب اخته وكنت انهاه عنها و اقول دول صغار فلما كبرا و وقع بينهما القبيح و سمعت بذلك و لم اصدق فمسكته و زجرته زجرا بليغا و قالوا له الخدام الحذر من هذه الفعال القبيحة التي ما فعلها احد قبلك و لا بعدك و تبقي بين الملوك بالمعيرة و النقصان الى اخر الزمان و تشيع اخبارنا مع الركبان

و اياک ان تصدر منک هذه الفعال فاني اسخط عليک و اقتلک و حجبته عنها و حجبتها عنه و كانت الملعونة تحبه محبة عظيمة و قد تحكم الشيطان و زين لهما اعمالهما فلما رآني حجبته فعل هذه المكان الذي تحت الارض و سواه و نقل فيه الماكول كما تراه و استغفلني لما خرجت الى الصيد اتى هذا المكان فغار عليه الحق و عليها و احرقهما و عذاب الآخرة اشد و اقوى ثم بكى و بكيت معه و نظر الي و قال انت ولدي عوض عنه و تفكرت ساعة في الدنيا و حوادثها و كيف قتل الوزير والدي و جلس مكانه و قلع عيني و ما تم على ولد عمي من الحوادث الغريبة ثم بكيت و بكى عمي معي ثم اننا صعدنا و ردينا الطابق و التراب و عملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا حس طبول و بوقات و كوسات و رمح ابطال و زمجر رجال و قعقعة اللجم وصهيل خيل انطبقت الدنيا بالعُجاج و الغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا و لم تعرف الخبر فسألنا عن الخبر فقيل ان الوزير الذي اخذ مملكة ابيک جهز العساكر و جمع الجيوش و استخدم العربان و جاءنا بعساكر كعدد الرمال لا يحصى لهم عدد و لا يقوى لهم احد و قد هجموا المدينة على غفلة و اهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه المدينة فضل عمي و هربت انا بجانب المدينه و قلت انا متى وقعت في يده قتلک و تجددت علي الاحزان و تذكرت الحوادث التي حدثت لابي و عمي و كيف العمل فان ظهرت عرفوني اهل المدينة و عسكر ابي فيكون قتلي و هلاكي فما وجدت شيأً انجو به الا حلق ذقني و شواربي فحلقتها و غيرت اثوابي و خرجت من المدينة و قصدت هذه المدينة لعل احدا يوصلني الى امير المومنين و

و خليفة رب العالمين حتى احكي له و ابث قصتي و ما جرى لي
فوصلت هذه المدينة الليلة فوقفت حائرًا اين امضي و اذا بهذا
القرندلي واقف فسلمت عليه و قلت له غريب فقال و انا غريب
فبينما نحن كذلك و اذا برفيقنا هذا الثالث جاء الينا و سلم علينا و
قال لنا غريب فقلنا له و نحن غرباء فمشينا و قد هجم علينا الظلام
فساقنا القدر الى عندكم و هذا سبب حلق ذقني و شواربي و قلع
عيني فقالت الصبية ملس على راسك و رح فقال لها لا اروح حتى
اسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر و الله ما
رأيت و لا سمعت مثل الذي جرى لهذا القرندلي ثم تقدم القرندلي
الثاني و قبل الارض وقال يا ستي انا ما ولدت اعور و لي حكاية
عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر و هي
اني كنت ملك ابن ملك و قرأت القرآن على سبع روايات و قرأت
الكتب و عرضتها على مشايخ العلم و قرأت علم النجوم و كلام
الشعراء و اجتهدت في سائر العلوم حتى فقت اهل زماني و فاق
خطي على سائر الكتبة و شاع ذكري في سائر الاقاليم و البلدان و
عند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فارسل الى ابي يطلبني و
ارسل لابي هدايا و تحفا تصلح للملوك فجهزني ابي في ستة مراكب
و سرنا في البحر مدة شهر كامل فوصلنا الى البر و اخرجنا خيلا
كانت معنا في المركب و شدينا عشرة جمال هدايا و مشينا قليلا و
اذا انا بغبار قد علا و ثار حتى سد الاقطار و بعد ساعة من النهار
انكشف الغبار و بان من تحته خمسون فارسا ليوث عوابس بحديد
لوابس فتاملناهم و اذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا و نحن نفر
قليل و معنا عشرة اجمال هدايا لملك الهند دمجوا علينا و قدموا

السنان بين ايدينا فاشرنا اليهم بالاصابع و قلنا لهم نحن رسل ملك
الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا في ارضه و لا تحت حكمه
ثم انهم قتلوا بعض الغلمان و هرب الباقون و هربت انا بعد ان
انجرحت جرحا بليغة و اشتغلت عني العرب بالمال و الهدايا التي
كانت معنا فصرت لا ادري اين اذهب وكنت عزيزا فصرت ذليلا و
سرت الى ان اتيت راس الجبل فاويت الى مغارة الى ان طلع النهار
و لم ازل كذلك حتى وصلت الى مدينة امينة حصينة وَلّى عنها
الشتاء ببرده و اقبل عليها الربيع بورده و اطلعت ازهارها و تدفقت
انهارها وتغردت اطيارها كما قال فيها الشاعر حيث و صفها

مَدِينَةٌ مَا بِهَا لِسَاكِنِهَا مُرَوِّعٌ وَ الْأَمَانُ صَاحِبُهَا
كَأَنَّهَا جَنَّةٌ مُزَخْرَفَةٌ لِأَهْلِهَا قَدْ بَدَتْ عَجَائِبُهَا

قال ففرحت بوصولي اليها و قد تعبت من المشي و علاني الهم و
الاصفرار فتغيرت حالتي و لا ادري اين اسلك فاجتزت خياطا في
دكان فسلمت عليه فرد عليّ السلام و رحب بي و انبسط معي و
آنسني و سألني عن سبب غربتي فاخبرته بما جرى لي من اوله الى
آخره فاغتم لاجلي و قال يا فتى لا تظهر ما عندك فاني اخاف عليك
من ملك هذه المدينة و انه اكبر اعداء ابيك و له عنده ثار ثم
احضر لي ماكولا و مشروبا فاكلت و اكل معي و تحادثت معه في الليل
و افرد لي محلا الى جانب حانوته و اتاني بما احتاج اليه من فراش
و لحاف فاقمت عنده ثلثة ايام فقال لي ما تعرف صنعة تكتسب منها
فقلت له اني فقيه عالم كاتب حاسب خطاط فقال صنعتك كاسدة في
بلادنا و ما في مدينتنا من يعرف علما و لا كتابة غير الكسب فقلت

و الله لا ادري شيأ غير الذي ذكرته لك فقال شُد وسطك و خذ
فاسا و حبلا و احطتب من البرية حطبا تتقوت به الى ان يفرج
الله عنك و لا تعرفهم بنفسك يقتلوك ثم اشترى لي فاسا و حبلا
و سلمني الى بعض الحطابين و اوصاهم علي فخرجت معهم و
احتطبت نهاري كله فاتيت بحمل على راسي فبعته بنصف دينار
فاكلت ببعضه و ابقيت بعضه و دمت على هذا الحال مدة سنة فبعد
السنة اتيت يوما على عادتي الى البرية و استفرقت فيها فوجدت
غُوْطة اشجار فيها حطب كثير فدخلت الغوطة فوجدت اصل شجرة
غليظة فحفرت حولها و ازلت التراب عنها فعثرت الفاس في حلقة
نحاس فنظفت التراب و اذا هي في طابق خشب فكشفته فبان تحته
سلم فنزلت الى اسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا من
احسن البنيان مشيدة الاركان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي
عن القلب كل هم و غم و بليه كلامها يشفي الكروب و يترك العاقل
اللبيب مسلوب خماسية القد قاعدة النهد ناعمة الخد مشرقة اللون
مليحة الكون و قد اشرق وجهها في ليل الذوائب و لمع ثغرها
على صفحات الترائب كما قال فيها الشاعر

دُجُوجِيَّةُ ٱلْفَرْعَيْنِ مَهْضُومَةُ ٱلْحَشَا كَثِيبِيَّةُ ٱلْأَرْدَافِ بَانِيَّةُ ٱلْقَدِّ

و ايضا

أَرْبَعَةٌ مَا ٱجْتَمَعَتْ قَطُّ اذَا إِلَّا عَلَى مُهْجَتِي وَسَفْكِ دَمِي
ضَوْءُ جَبِينٍ وَ لَيْلُ طُرَّتِهِ وَوَرْدُ خَدٍّ وَ ضَوْءُ جِسْمِ

فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما ابدع فيها من الحسن و

الجمال فنظرت اليّ و قالت لي انت من تكون انسي ام جني فقلت
لها انسي فقالت و من اوصلك الى هذا المكان الذي لي فيه خمسة
و عشرين سنة ما رأيت فيه انسيا ابدا فقلت و قد وجدت لكلامها
عذوبة و قد اخذ بمجامع قلبي يا سيدتي اتا بي منازلي لذهاب
همي و غمي و حكيت لها ما جرى لي من الاول الى الآخر فصعب
عليها حالي و بكت و قالت انا الاخرى اعلمك بقصتي اعلم اني بنت
ملك افيتاموس صاحب جزيرة الابنوس وكان قد زوجني بابن عمي
فليلة زفافي ختطفني عفريت اسمه جرجيس بن رجموس ابن خالة
ابليس فطار بي ونزل في هذا المكان و نقل فيه كل ما احتاج اليه من
الحلل و الحلي و القماش و المتاع و الطعام و الشراب و غير ذلك
و في كل عشرة ايام ياتيني مرة ينام هنا ليلة ثم يروح لحال سبيله
لانه قد اخذني بغير رضىً من اهله و عاهد بي اذا عرض لي حاجة
ليلا او نهارا ان المس بيدي هذين السطرين المكتوبين على القبة
فما اشيل يدي الا و اراه عندي و له اليوم اربعة ايام و بقي له ستة
ايام حتى ياتي فهل لك ان تقيم عندي خمسة ايام و تنصرف قبل
مجيئه بيوم فقلت نعم يا حبذا ان صحت الاحلام ففرحت و نهضت
على اقدامها فمسكتني من يدي و ادخلتنى من باب مقنطر و انتهت
بي الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته قلعت ثيابي و قلعت ثيابها
فغسلت و خرجت فجلست على مرتبة و اجلستنى الى جانبها و اتت
بسكر ممسك و سقتني ثم قدمت لي ماكولا فاكلنا و تحادثنا ثم قالت
لي نم و استرح فانك تعبان فنمت يا سيدتي و قد نسيت ما
جرى لي و شكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت
لها و جلسنا نتحادث ساعة فقالت و الله كنت ضيقة الصدر و انا تحت

الارض وحدي و لم اجد من يحدثني خمسة و عشرين سنة فالحمد لله الذي ارسلك لي ثم قالت يا فتى هل لك في الشراب فقلت افعلي فعمدت الى خرستان و اخرجت شرابا عتيقا مختوما و نصبت خضرة فاخذتْ و انشدتْ تقول شـــــعـــــر

لَوْ عَلِمْنَا قُدُومَكُمْ لَنَشَرْنَا مُهْجَةَ الْقَلْبِ اَوْ سَوَادَ الْعُيُونِ
وَ فَرَشْنَا خُدُودَنَا لِلِقَاكُمْ لِيَكُونَ الْمَسِيرُ فَوْقَ الْجُفُونِ

فلما فرغت من شعرها شكرتها و قد تمكنت محبتها و قد ذهب همي و غمي و جلسنا في منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري و اصبحنا نصل السرور بالسرور الى وسط النهار فسكرت سكراً حتى غبت عن الوجود فقمت اتمائل يمينا و شمالا و قلت لها يا مليحة قومي اطلعك من تحت الارض و اريحك من هذا الجني فضحكت و قالت اقنع و اسكت ففي كل عشرة ايام يوم للعفريت و تسعة ايام لك فقلت و قد غلب علي السكر انا الساعة اكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب و دعي العفريت يجيء حتى اقتله فاني معوّد بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي اصفرت لونها و قالت لي بالله لا تفعل و انـــــشـــــدت

اِنَّ شَيْأً هَلَاكُ نَفْسِكَ فِيهِ يَنْبَغِي اَنْ تَصُونَ نَفْسَكَ عَنْهُ

ثم انشدت تقول شـــــعـــــر

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلاً بِحِيلَه سَابِقًا عِتَاقُ
اِصْبِرْ فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ وَ آخِرُ الصُّحْبَةِ الْفِرَاقُ

فلما فرغت من شعرها و لم التفت لكلامها و قد رفصت القبة رفصا

قويا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
فلما كانت الليلة الثالثة عشر قالت بلغني ايها الملك
السعيد ان القرندلي الثاني قال للصبية يا سيدتي لما رفصت القبة
رفصا قويا الا و الاقطار قد اظلمت و ارعدت و ابرقت و هزهزت
الارض و اطبقت الدنيا فطار الكسر من راسي و قلت لها ما الخبر
قالت العفريت قد وصل الينا ما حذرتك من هذا و الله لقد آذيتني
انج بنفسك و اطلع من المكان الذي جئت منه فمن شدة خوفي
نسيت مركوبي و فاسي فلما طلعت درجيتن و التفت لانظر و اذا
بالارض قد انشقت و طلع منها عفريت ذو منظر بشع و قال ما هذه
الزعجة التي ازعجتني بها ما مصيبتك فقالت ما اصابني شيء غير ان
صدري ضاق فاردت ان اشرب شرابا يشرح صدري فاستعلمت قليلا
و اردت ان اقضي شغلا فثقلت عليّ راسي فوقعت على القبة فقال لها
العفريت تكذبي يا قحبة و نظر في القصر يمينا و شمالا فرأى المركوب
و الفاس فقال لها ما هذا الا لبس الانس من جاء الى عندك
فقالت ما نظرت هذا الا الساعة كانهما تعلقا معك فقال العفريت
هذا كلام محال ما ينطل علي يا كورة ثم انه عراها وشبحها بين اربع
سكك و جعل يعاقبها و يقررها فما كان و لا هان عليّ ان اسمع
بكاها فطلعت من السلم و انا من الخوف ارجف فلما وصلت الى
اعلا الموضع و رديت الطابق كما كان و سترته بالتراب و ندمت
على ما فعلت غاية الندم و تذكرت الصبية و حسنها و كيف يعاقبها
هذا الملعون و كيف لها خمسة و عشرون سنة و ما جرى لها بسببي
و افتكرت ابي و مملكة و كيف صرت حطابا و بعد ان صفا الوقت
رجع تكدر عيشي فبكيت وقلت هذا البيت شعر

اِذَا مَا اَتَاکَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَ يَوْمًا تَرَى عُسْرًا

ثم مشيت الى ان اتيت رفيقي الخياط فلقيته من اجلي على مقالي النار و هو لي في الانتظار فقال اني بت البارحة قلبي عندک و خفت عليک من وحش و غيره فالحمد لله على سلامتک فشكرته على شفقته علي و دخلت خلوتي و جعلت اتفكر فيما جرى لي و لمت نفسي على كثرة فضولي و رفصي هذه القبة و انا في هذا الحساب و اذا بصديقي الخياط دخل علي و قال لي يا فتى برا شيخ عجمي يطلبک و معه فاسک و مركوب رجلک قد جاء بهما الى الخياطين و قال لهم انا خرجت وقت اذان الموذن الى صلوة الفجر فعثرت بهما و لم اعلم لمن هما دلوني على صاحبهما فدلوه الخياطين عليک و قد عرفوا فاسک وهو قاعد في دكاني فاخرج اليه و اشكره و خذ فاسک و ترجيلک فلما سمعت هذا الكلام اصفر لوني و تغير كوني فبينما انا كذلک و اذا بارض خلوتي انشقت و طلع منها العجمي و اذا هو العفريت و قد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشيء فاخذ الفاس و الترجيل و قال لها ان كنتُ جرجيس من ذرية ابليس فانا اجيء بصاحب هذا الفاس و الترجيل ثم جاء في هذه الحيلة الى الحطابين و دخل علي و لم يمهلني بل اختطفني و طار و علا بي و نزل و غاص في الارض و انا لا اعلم بنفسي ثم طلع بي القصر الذي كنت فيه فرأيت الصبية عريانة مشبوحة و الدم يسيل من اجنابها فذرقت عيناي بالدمع فاخذها العفريت و قال لها يا كورة ا ما هذا هو عشيقک فنظرت الي و قالت له لا اعرف هذا و لا رأيته الا في هذه الساعة فقال لها العفريت و هذه العقوبة و لم تقري فقالت ما رأيته عمري

و ما يحل من الله ان اكذب عليه فقال لها العفريت ان كنتي لم تعرفيه خذي هذا السيف و اضربي عنقه فاخذت السيف و جاءتني وقفت على راسي فاشرت لها بحاجبي و دمعي يجري على وجنتي ففهمت اشارتي و غمزتني و قالت فعلت بنا كل هذا فاشرت لها ان هذا وقت العفو و لسان حالي يقول

يُتَرْجِمُ طَرْفِي عَنْ لِسَانِي فَتَعْلَمُوا وَيُبْدِي الْهَوَى مَا فِي ضَمِيرِي أَكْتُمُ
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَالدُّمُوعُ سَوَاجِمُ خَرِسْتُ وَطَرْفِي عَنْكُمْ يَتَكَلَّمُ
تُشِيرُ فَأَدْرِي مَا تَقُولُ بِطَرْفِهَا وَأُومِي إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ فَتَفْهَمُ
حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الْحَوَائِجَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ

قال فلما فرغت من الشعر يا سيدتي رمت الصبية السيف من يدها و قالت كيف اضرب عنق من لا اعرفه و لا اساء علي ما يحل هذا في ديني و تاخرت فقال العفريت ما يهون عليكي قتل محبوبك كونه نام معك ليلة تقاسي هذه العقوبة و لا تقري عليه و بعد هذا لا يحن على الجنس الا الجنس ثم التفت الي العفريت و قال يا انسي و انت ما تعرف هذه فقلت و من تكون هذه و ما رأيتها قط الا في هذه الساعة قال فخذ هذا السيف و اضرب عنقها و انا اطلقك تروح و لا انكد عليك و اني اتحقق انك لا تعرفها ابدا فقلت نعم و اخذت السيف و تقدمت بنشاط و رفعت يدي فقالت لي بحاجبها اي ما قصرت معك ا هكذا تقابلني ففهمت ما قالت و اشرت اليها بعيني اني سانديك بروحي فكتب لسان حالنا حيث يقول

كَمْ عَاشِقٍ حَدَّثَ بِأَجْفَانِهِ مَعْشُوقَهُ بِالَّذِي أَضْمَرَا
أَوْحَى إِلَيْهِ لَحْظُهُ بِالْعَيْنِ أَنِّي عَلِمْتُ الَّذِي قَدْ جَرَى

فَمَا أَحْسَنَ اللَّحْظَ فِي وَجْهِهِ وَمَا أَرْشَقَ الطَّرْفُ إِذْ عَبَرَا
فَهٰذَا بِأَجْفَانِهِ كَاتِبٌ وَذَاكَ بِمُقْلَتِهِ قَدْ قَرَا

قال فهملت عيناي بالدموع و رميت السيف من يدي و قلت ايها العفريت الشديد و البطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل و دين ما استحلت ضرب عنقي فكيف يحل لي ان اضرب عنقها و لم ارها عمري فلا افعل ذلك ابدا و لو سقيت كاس الموت والردى فقال العفريت انتما تعرفا صنيعة بينكما انا اريكما عاقبة فعالكما فاخذ العفريت السيف و ضرب يد الصبية قطعها ثم ضرب الثانية قطعها فقطع اربعتها باربع ضربات و انا انظر و ايقنت بالموت و قد اشارت الي بعينها كالمودع ثم ان العفريت قال لها زنيتي بعينك و ضربها طير راسها ثم التفت الي و قال يا انسي نحن في شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها و هذه الصبية خطفتها ليلة عرسها و هي بنت اثنى عشر سنة و لم تعرف احدا غيري و كنت اجئ عندها في كل عشرة ايام ليلة واحدة و كنت اجئها فى زي رجل عجمي فلما تحققت انها خانتني قتلتها و اما انت فلم اتحقق انك خنتني فيها و لٰكن لابد اني ما اخليك في عافية فتمن على ففرحت يا سيدتي غاية الفرح و قلت و ما اتمناه عليك قال تمن على اي صورة اسحرك فيها اما صورة كلب او حمار او قرد فقلت و قد طمعت انه يعفو عني و الله ان عفوت عني يعف الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يوذك و تضرعت غاية التضرع و بقيت بين يديه و قلت له انا مظلوم فقال لا تطل علي الكلام ما يبعد علي قتلك و لٰكن اخيرك فقلت ايها العفريت ان العفو عني هو اليق بك فاعف عني كما عفا المحسود عن الحاسد

فقال العفريت و كيف كان ذلك فقلت زعموا ايها العفريت انه
كان رجلان في المدينة ساكنين فى بيتين بحائط واحد ملصقين و كان
واحدهما يحسد الآخر و يصيبه بعينه و يبالغ في اذيته و كل وقت
يحسده و زاد به حسده حتى انه قلل فى طعامه و لذيذ منامه
والمحسود لا يزداد الا خيرا و كلما تغلب فيه زاد و نما و ذكا فبلغ
المحسود حسدة جاره له و اذيته له فرحل من جواره و ابعد عن
ارضه و قال و الله لاهجرنّ الدنيا لاجله و سكن في مدينة اخرى
و اشترى له فيها ارضا و كان في تلك الارض بئر ساقية قديمة
و عمر له بها زاوية و اشترى له كل ما يحتاج اليها و عبد الله تعالى
فيها و اخلص عبادته و جاءته الفقراء و المساكين من كل جانب و
شاع خبره في تلك المدينة ثم اتصل خبره بجاره الحاسد له بما وصل
اليه من الخير و ساروا ايقصدون اليه اكابر المدينة فدخل الزاوية
فتلقاه الجار المحسود بالرحب و السعة و اكرمه غاية الاكرام فقال له
الحاسد لي معك كلام و هو سبب سفري اليك و اريد ابشرلك
فقم و امش معي في زاويتك فقام المحسود و اخذ بيد الحاسد و
تمشوا الى آخر الزاوية فقال الحاسد قل لفقرائك يدخلون الى خلواتهم
فانا ما اقول لك الا سرا بحيث لا احد يسمعنا فقال المحسود لفقرائه
ادخلوا الى خلواتكم ففعلوا كما امرهم به و مشى به قليلا الى ان
وصل به الى البئر القديم فدفع الحاسد المحسودَ فالقاه في البئر و لم
يعلم به احد و خرج و راح في سبيله و ظن انه قتله و كان البئر
مسكونا من الجن فالتقوه قليلا قليلا و اقعدوه على الصخرة و قال
بعضهم لبعض تعرفون من هذا قالوا لا قال قائل منهم هذا الرجل
المحسود الذي هرب من حاسده و سكن مدينتنا و انشأ هذه الزاوية

و آنسنا بذكره و قراءته و قد سافر له الحاسد حتى اجتمع به و تحيل
عليه حتى رماه عندكم و قد اتصل خبره في هذه الليلة الى سلطان
هذه المدينة و عزم على زيارته في غداة لاجل بنته فقال بعضهم و
ما الذي بابنته قال بها جنون و قد تولع بها جنون ميمون بن
دمدم و لو عرف دواءها لكان ابرأها و دواءها اهون ما يكون قال
بعضهم و ما دواءها قال القط الاسود الذي عنده في الزاوية في آخر
ذنبه نقطة بيضاء بقدر الدرهم يأخذ منها سبع شعرات من
الشعر الابيض فيبخرها بها فيروح المارد من على راسها و لا يعود
اليها ابدا و تبري لوقتها ايها العفريت هذا كله جرى و المحسود
يسمع فلما اصبح الصباح و طلع الفجر و لاح جاء الفقراء الى الشيخ
فوجدوه طالعا من البئر فعظم في اعينهم و لم يكن للمحسود دواء
الا القط الاسود فاخذ من النقطة البيضاء التي في ذنبه سبع
شعرات و شالهم معه و ما طلعت الشمس الا و الملك قد جاء في
عسكره فتدخل هو و اكابر دولته و امر بقية عسكره بالوقوف فلما دخل
الملك على المحسود رحب به و قربه و قال له اكاشفك على ما جئته
به قال نعم قال انك جئت تزورني و في نفسك تسئلني عن ابنتك
فقال الملك نعم ايها الشيخ الصالح فقال المحسود ارسل من يأتي
بها و ارجو انشأ الله تعالى تبرأ في هذه الساعة ففرح الملك و
ارسل خلف ابنته و جاؤا بها و هي مكتفة مغللة فاجلسها المحسود
و ستر عليها سترا و اخرج الشعر و بخرها به فصاح الذي كان على
راسها و مضى عنها و عقلت البنت على نفسها و سترت وجهها
فقالت ما هذه الاحوال و من جاءبي الى هذا المكان و فرح السلطان
فرحا ما عليه من مزيد و قبل عينيها و قبل يدى الشيخ المحسود ثم

انه التفت الى اكابر دولته و قال ما ذا تقولون ما يستأهل من شفا
ابنتي قالوا يتزوج بها قال صدقتم ثم زوجه بها و صار المحسود
صهر الملك و بعد قليل مات الوزير فقال من نعمل وزيرا فقالوا
صهرك فعملوا المحسود وزيراً و بعد قليل مات السطان قالوا من
نعمل ملكا قالوا الوزير فعملوا الوزير سلطانا و صار ملكا حاكما ففي
يوم من الايام ركب مركبه و كان الحاسد مارا في طريقه و اذا
بالمحسود بدست مملكته بين امرائه و وزرائه و ارباب دولته فوقعت
عينه على حاسده فالتفت الى بعض وزرائه فقال ايتني بذلك الرجل
و لا ترجفه فغاب و اتاه بالحاسد جاره فقال اعطوه الف مثقال من
خزانتي و عبوا له عشرين حملا من المتجر و ارسلوا معه حارسا
يوصله الى بلده ثم انه ودعه و انصرف عنه و لا عاتبه على ما فعل به
انظر ايها العفريت الى عفو المحسود الى الحاسد و كيف حسده
في البداية ثم اذاه و سافر له ثم بلغ به الى ان رماه في البئر و
اراد قتله و لم يقابله على اذاه بل صفح عنه و عفا له ثم بكيت
ابتها السيدة بين يديه البكاء الشديد الذي ما عليه من مزيد و

انشدت

وَهَبِ الْجُنَاةَ فَلَمْ تَزَلْ اَهْلُ النُّهى   يَهَبُونَ لِلْجَانِينَ مَا يَجْنُونَهُ
فَلَقَدْ حَوَيْتُ عَلَى الذُّنُوبِ بِاَسْرِهَا   فَاْحوِ مِنَ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ فُنُونَهُ
فَمَن اِبْتَغَى عَفْوَ الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ   فَلْيَعْفُ عَنْ ذَنْبِ الَّذِي هُوَ دُونَهُ

فقال العفريت اما ان اقتلك و اما العفو عنك فلا و لا بد ان
اسحرك ثم اقتلع بي من الارض و طار بي الى الجو حتى نظرت الى
الدنيا تحتي كانها قصعة في وسط الماء ثم حطني على جبل و اخذ

قليلا من التراب و همهم عليه و عزم و طرشني به و قال اخرج من
هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن مایة
سنة فلما رايت نفسي في هذه الصورة القبيحة بكيت على نفسي
و صبرت على جور الزمان و علمت ان الزمان ليس لاحد و قد
انحدرت من على الجبل الى اسفل فوجدت برا متسعا فسافرت مدة
الشهر فانتهى بي السير الى شاطي البحر المالح فوقفت ساعة و اذا انا
بمركب في وسط البحر و قد طاب ريحه وهو طالب البر فاختفيت خلف
صخرة على جانب البر و صبرت الى ان اتى المركب فنزلت فيه
فقال واحد من الركاب اخرجوا هذا المشوم عنا فقال الرئس نقتله و
قال الآخر اقتله بهذا السيف فمسكت ذيل الرئس و بكيت و سالت
دموعي فحن على الرئس و قال يا تجار هذا القرد قد استجار بي و
قد اجرته و هو في ذمامي فلا احد يعكر عليه و لا يشوش عليه ثم
ان الرئس صار يحسن الي و مهما تكلم به افهمه و اقضي حوائجه كلها
و اخدمه في المركب فحبني ثم ان المركب طاب له الريح مدة خمسين
يوما فرسينا على مدينة عظيمة و فيها عالم عظيم لا يحصى عددهم
الا الله فساعة وصولنا وقف مركبنا و اذا قد جاءت لنا مماليك من
جهة ملك المدينة فطلعوا الى مركبنا و هنوا التجار بالسلامة و قالوا
ملكنا يهنيكم بالسلامة و قد ارسل اليكم هذا الدرج الورق و كل واحد
منكم يكتب فيه سطراً واحدا فان الملك كان له وزير خطاط و قد
مات و اقسم السلطان و حلف الايمان العظام بان لا يوزر الا من
يكتب مثل خطه ثم ناول التجار درج ورق طوله عشرة اذرع في عرض
ذراع فكتب كل من كان يعرف الكتابة الى آخرهم فقمت و انا في
صورة القرد و خطفت الدرج من ايديهم فخافوا اني اقطعه فنهروني

فاشرت اليهم اني اكتب فاشار لهم الرئس خلوه
طردناه عنا و ان احسن الكتابة اتخذته ولدا فاني
منه ثم اني مسكت القلم و استمديت من الدواة
الرقاعي هذين البيتين شعر

لَقَدْ كَتَبَ الدَّهْرُ فَضْلَ الْكِرَامِ وَ فَضْلُكَ لِلْآن
فَلَا أَيْتَمَ اللّٰهُ مِنْكَ الْوَرٰى لِأَنَّكَ لِلْأَفـ

وكتبت بقلم الريحان شعر

لَهُ قَلَمٌ عَمَّ الْأَقَالِيمَ نَفْعُهُ وَ عَمَّ جَمِيعَ
فَمَا نِيلُ مِصْرٍ مِثْلَ نَائِلِكَ الَّذِي يَمُدُّ إِلَى الْأَمْصَا

وكتبت بقلم الثلث شعر

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفْنَى وَ يَبْقَى الدَّهْرَ مَ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيـ

وكتبت بقلم النسـ

وَلَمَّا نُبِّئْنَا بِالْفِرَاقِ وَ حَكَّمَتْ فِينَا بِذَاكَ
غَدَوْنَا لِأَفْوَاهِ الْمَحَابِرِ تَشْتَكِي أَلَمَ الْفِرَاقِ بِأَ

وكتبت بقلم الطومـ

إِنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَدُومُ لِوَاحِدٍ إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ

اذا فتحت دواة العز و النعم فاجعل مدادك من جود و من كرم
و اكتب بخير اذا ما كنت مقتدرا فقل نسبت بهذا النسب و القلم

ثم ناولتهم الدرج وكتبوا كل واحد سطرا ثم اخذوه و طلعوا به الى
الملك فلما نظر الملك الى الدرج فلم يعجبه خط احد الا خطي
فقال للجماعة توجهوا الى صاحب هذا الخط و اركبوه بغلة و هاتوه
بالنوبة و البسوه بدلة سنية و احضروه الى عندي فلما سمعوا كلام
الملك تبسموا فغضب الملك منهم و قال يا ملاعين اقول لكم على
امر تضحكون علي فقالوا ايها الملك ان لضحكنا سببا فقال و ما هو
فقالوا ايها الملك انت تامرنا اننا نحضر لك الذي كتب هذا الخط و
الحال ان الذي كتبه قرد و ليس هو آدمي و هو مع رئس المركب
فقال ا حقا ما تقولون قالوا ايوا و حق نعمتك فتعجب الملك من
كلامهم و اهتز من الطرب و قال اريد ان اشتري هذا القرد من
الرئس ثم بعث رسولا الى المركب و معه البغلة و البدلة و النوبة
و قال لابد ان تلبسوه هذه البدلة و تركبوه البغلة و تجيئو به في
المركب و تاتوا به فساروا الى المركب و اخذوني من الرئس و
البسوني البدلة و اركبوني البغلة فاندهش الخلائق و انقلبت المدينة
لاجلي و صاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك و لاقاني
قبلت الارض بين يديه ثلث مرات ثم امرني بالجلوس فجلست
على ركبتي فتعجبت الخلائق الحاضرين من ادبي و كان اكثرهم
تعجبا الملك ثم امر الملك الخلق بالانصراف فانصرفوا و لم يبق
الا انا و حضرة الملك و الطواشي و مملوك صغير ثم امر الملك
فقدموا سفرة الطعام و فيها ما هش و طار و تناكح في الاوكار من القطا
و السماني و سائر اصناف الطيور فاشار الملك الى ان اكل معه فقمت

و قبلت الارض بين يديه و جلست اكلت معه و قد انشالت السفرة فغسلت يدي سبع مرات و اخذت الدواة و القلم و كتبت اقول هذه الابيات شعر

عُجْ بِالْعَرارِيجِ فِي رَبْعِ السَّكَارِيجِ وَابْكِ لِفَقْدِ الْقَلَايَا وَ الطَّبَاهِيجِ
وَانْدُبْ بَنَاتَ الْقَطَا مَا زِلْتُ انْدُبُهَا مَعَ الْفِرَاخِ الْمُطَجَّنِ وَ الطَّبَاهِيجِ
يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى لَوْنَيْنِ مِنْ سَمَكٍ عَلَى رَغِيفٍ مِنَ الْخُبْزِ الْمَعَارِيجِ
لِلّٰهِ دَرُّ الشِّوَا مَا كَانَ اَطْيَبَهُ وَالدُّهْنُ يَغْمِسُ فِي خَلِّ الْمَكَارِيجِ
مَا هَزَّنِي الْجُوعُ اِلَّا بِتُّ مُعْتَكِفًا عَلَى الْهَرِيسَةِ فِي ضَوْءِ الدَّمَالِيجِ
نَبَّهْتُهُ عِنْدَ اَكْلٍ فِي فُكَاهَتِهِ عَلَى الْمَوَائِدِ اَصْنَافُ الدَّيَابِيجِ
يَا نَفْسُ صَبْرًا فَاِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ اِنْ ضَاقَ يَوْمًا اَتَانَا بِالتَّفَارِيجِ

ثم قمت و جلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته و قراه فتعجب و قال يا للعجب قرد و يكون عنده هذه الفصاحة و الخط و الله ان هذا من اعجب العجب ثم قدم للملك مشروب خاص في زجاج فشرب الملك ثم ناولني فقبلت الارض و شربت وكتبت عليه

اَحْرَقُونِي بِالنَّارِ يَسْتَنْطِقُونِي وَجَدُونِي عَلَى الْبَلَاءِ صَبُورًا
لِاَجْلِ هٰذَا حَمَلْتُ فَوْقَ الْاَيَادِي وَ لَثِمْتُ مِنَ الْمِلَاحِ الثُّغُورَا

و ايضا

هَتَفَ الصُّبْحُ بِالدُّجَى فَاسْقِنِيهَا خَمْرَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ سَفِيهَا
لَسْتُ اَدْرِي لِرِقَّةٍ وَ صَفَاءٍ هِيَ فِي كَاسِهَا اَمِ الْكَاسُ فِيهَا

قال فقرأ الملك الشعر فتحسر و قال لو كان هذا الادب في انسان لفاق اهل عصره و زمانه ثم قدم الملك رقعة شطرنج و قال هل لك

ان تلعب معي فاشرت براسي نعم و تقدمت و وضعت الشطرنج و لعبت معه مرتين و انا اغلبه فحار عقل الملك ثمّ و اخذت الدواة و القلم وكتبت على الرقعة هذين البيتين

جَيْشَانِ يَقْتَتِلَانِ طُولَ نَهَارِهِمْ وَ قِتَالُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ زَائِدْ
حَتَّى اِذَا جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْهِمُ نَامَا جَمِيعًا فِي فِرَاشٍ وَاحِدْ

قال فلما قرأ الملك هذين البيتين عجب و طرب و لحقه الانبهار و قال لخادمه امض الى ستك ست الحسن و قل لها كلمي الملك حتى تجيء تتفرج على هذا القرد العجيب فغاب الطواشي و عاد و معه الست فلما نظرت الي غطت وجهها و قالت يا ابي كيف طاب على قلبك ان ترسل خلفي تفرجني على الرجال فقال يا ست الحسن ما عندي سوى المملوك الصغير و المُقدِم الذي رباكي و انا ابوكي فمن من تغطي وجهك فقالت ان هذا القرد شاب ابن ملك و ابوه اسمه انتيماروس صاحب جزائر ابنوس و هو مسحور سحره العفريت جرجيس الذي هو من ذرية ابليس و قتل زوجته بنت ملك افتاموس و هذا الذي تزعم انه قرد هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته و نظر الي و قال احق ما تقول عنك فقلت براسي نعم و بكيت فقال لها الملك من اين عرفتي انه مسحور فقالت يا ابت كان عندي و انا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة فعلمتْني السحر و صناعته و قد حفظته و اتقنته و حفظت منه مائة و سبعين بابا من ابوابه اقل باب فيه اخلي حجارة مدينتك خلف جبل قاف و اجعلها لجة بحر و اجعل اهلها سمكا في وسطها فقال ابوها يا بنتي بحياتي خلصي لنا هذا الشاب حتى اجعله وزيري لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة

ثم اخذت بيدها سكينا و عملت دائرة و ادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر قالت بلغني ايها الملك
السعيد ان القرندلي قال للصبية يا ستي ثم ان بنت الملك اخذت
بيدها سكينا مكتوب عليها بالاسماء العبرانية و خطت بها دائرة وسط
القصر وكتبت عليها اسماء و طلسمات و عزمت و قرأت بكلام يفهم
وكلام لا يفهم فبعد ساعة اظلمت علينا الدنيا و اذا بالعفريت قد
تدلى علينا في صفته و هيئته له ايد كالمداري و ارجل كالسواري
و عينين مثل شعل النار ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا اهلا
بك و لا سهلا فانقلب العفريت في صورة اسد و قال لها يا خائنة
نقضت العهد و اليمين ا ما تحالفنا بان لا احد منا يتعرض للآخر
فقالت له يا لعين و مثلك له عندي يمين فقال العفريت خذي ما
جاك ثم فتح الاسد فمه و هجم على الصبية فاسرعت و اخذت شعرة
من شعرها و هزتها بيدها و همهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا
ماضيا و ضربت به ذلك الاسد فصار نصفين و انقلبت راسه عقربا
فانقلبت الصبية صارت حية عظيمة و همت على هذا اللعين و هو
في صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلبت العقرب عقابا فانقلبت
الحية نسرا و صارت وراء العقاب و طلبته ساعة زمانية فانقلبت العقاب
قطا اسود فانقلبت الصبية ذيبا ابلق فتقاتلا في القصر ساعة زمانية
فراى القط نفسه مغلوبا فانقلب و صار رمانة حمرة كبيرة و قعدت
الرمانة في وسط فسقية القصر فجاء اليها الذيب فارتفعت في الهواء
و وقعت على بلاط القصر فانكسرت و انتشر الحب كل حبة وحدها
و امتلأت ارض القصر حب رمان فانتفض الذيب و صار ديكا و التقط

ذلک الحب حتی لم يترک و لا حبة فبالامر المقدر تدارت حبة في جانب الفسقية فصار الديک يصيح و يرفرف باجنحته و يشير الينا بمنقاره و نحن لا نفهم ما يقول و صرخ علينا صرخة تخيل لنا ان القصر قد انقلب علينا و دار في ارض القصر كله فراى الحبة التي تدارت في جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها و اذا بالحبة زرقت في وسط الماء الذي في الفسقية صارت سمكة و غارت في قعر الماء فانقلب الديک حوتا كبيرا و نزل خلفها و غاب ساعة و اذا قد سمعنا صراخا علا و عياطا فارتجفنا فبعد ذلک طلع العفريت و هو شعلة نار يفتح فمه يخرج منه نار و من عينيه و انفه نار و دخان و خرجت الصبية و هي جمرة نار عظيمة فتقاتلا هي و اياه ساعة حتی انعقدت عليهما النيران و انحبس الدخان في القصر فخفينا و اردنا ان نغطس في الماء و خفنا علی انفسنا من الحريق و الهلاک فقال الملک لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله و انا اليه راجعون يا ليتنا ما كلفناها بذلک في خلاص هذا القرد حتی اننا اتعبناها هذا التعب العظيم مع هذا العفريت الملعون الذي ما تقدر عليه كل هذه العفاريت الموجودين في الدنيا و يا ليتنا ما عرفنا هذا القرد لا بارک الله فيه و لا في ساعته قصدنا ان نعمل معه جميلا لوجه الله تعالی و نخلصه من السحر فابتلينا بتعب القلب و انا يا ستي مربوط اللسان لم اقدر اتكلم معه بشيء ثم ما شعرنا الا و العفريت قد صرخ من تحت النيران و صار عندنا في الايوان و نفخ في وجوهنا بالنار فلحقته الصبية و نفخت فی وجهه فاصابنا الشرار منها و منه فاما شرارها فلم يوذنا و اما شراره فلحقني في عيني شرارة فاطمستها و انا في صورة القرد و لحق الملک شرارة منه في وجهه

احرقت نصف وجهه و ذقنه و حنكه التحتاني و اوقعت صف اسنانه التحتانية و وقعت شرارة في صدر الطواشي فاحترق و مات من وقته و ساعته فايقنا بالهلاک و ايسنا من الحيوة فبينما نحن كذلک و اذا بقائل يقول الله اكبر الله اكبر فتح و نصر و خذل من كفر بدين محمد القمر و اذا بها ببنت الملک قد احرقت العفريت و اذا به قد صار كوم رماد و جاءت الصبية الينا و قالت الحقوني بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ثم طرشتني بالماء و قالت اخلص بحق الحق و بحق اسم الله الاعظم الى صورتک الاولى قال فانتفضتُ فاذا انا بشر كما كنت و لكن راحت عيني فقالت الصبية النار النار يا والدي ما بقيت اعيش و ما انا معودة بقتال الجن و لو كان من الانس تقتله من زمان و ما تعبت الا وقت فرط الرمانة و لقط حبها و نسيت الحبة التي فيها روح الجني فلو لقطتها لمات من ساعته و لكن ما علمت بالقضا و القدر فاذا هو قد اتى و جرى لي معه حرب شديد تحت الارض و في الهواء و الماء و كلما افتح عليه بابا يفتح علي بابا الى ان فتح علي باب النار و قليل من يفتح عليه باب النار و هو ينجو منه و انما ساعدني عليه القدر حتى حرقته قبلي وكنت اعهد منه بدين الاسلام و اما انا ميتة فخليفتي الله عليكم ثم انها استغاثت و لم تزل تستغيث من النار فاذا شرار اسود قد طلع الى صدرها و طلع الى و جهها فلما وصل الى وجهها بكت و قالت اشهد ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها و اذا بها كوم رماد الى جانب كوم العفريت فحزنا عليها و تمنيت لو كنت مكانها و لا ارى ذلک الوجه المليح الذي يعمل في هذا الخير يصير رمادا لكن حكم الله لا يرد فلما

راى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته و لطم على وجهه و شق اثوابه و فعلتُ كما فعل و بكينا عليها فجاوأ الحجاب و ارباب الدولة فوجدوا السلطان في حالة العدم و كومين رمادا فتعجبوا و داروا حول الملك ساعة فلما افاق اخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم و صرخ النساء و الجواري و اقاموا العزاء سبعة ايام و قام الملك و امر ان يبني على رماد ابنته قبة عظيمة و اوقدوا فيها الشموع و القناديل و اما رماد العفريت فانهم ذروه في الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا اشرف منه على الموت و مدة مرضه شهر و اتت اليه العافية و نبتت لحيته فطلبني و قال لي يا فتى قد قضينا زماننا في اهنى عيش آمنين من نوائب الزمان حتى اقبلت علينا يا ليتنا ما كنا رأيناك و لا رأينا يوم طلعتك القبيحة فاحنّا صرنا في حالة العدم بسببك الاول عدمت ابنتي التي كانت تساوي مائة رجل و الثاني جرى لي من الحريق ما جرى و عدمت اضراسي و مات خادمي و قبل ذلك و بعده ما رأينا منك شيئا بل الكل من الله عليك و علينا و الحمد لله و انت الذي خلصتك ابنتي و اهلكت نفسها فاخرج يا ولدي من بلدي وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا و عليك فاخرج بسلام و ان عدت رأيتك قتلتك و صرخ عليّ فخرجت يا سيدي من عنده و ما اصدق بالنجاة و لا ادري اين اتوجه و خطر على قلبي ما جرى لي وكيف بخلوني في الطريق و سلامتي منهم و مشيت شهرا و دخلت في المدينة غريبا و اجتماعي بالخياط و اجتماعي بالصبية تحت الارض و خلاصي من العفريت بعد ان كان عازما على قتلي و ما عبر قلبي من المبتدأ و المنتهى فحمدت الله و قلت بعيني و لا

بروحي و دخلت الحمام قبل ان اخرج من المدينة و حلقت ذقني و لبست مسحا اسود و حجيت على راسي يا سيدتي و في كل يوم ابكي و انفكر المصائب التي جرت علي وقلع عيني وكل ما افتكر ما جرى لي ابكي و انشد و اقول هذه الابيات

تَحَيَّرْتُ وَالرَّحْمٰنِ لَا شَكَّ فِي أَمْرِي وَحَاطَتْ بِيَ الْأَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْجِزَ الصَّبْرُ مِنْ صَبْرِي وَأَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللّٰهُ مِنْ أَمْرِي
سَأَصْبِرُ مَغْلُوبًا وَلَمْ أَتَوَجَّعْ كَمَا يَصْبِرُ الظَّمْآنُ فِي الْوَادِي الْحَرِّ
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ الصَّبْرُ أَنَّنِي صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ
وَلَا شَيْءَ مِثْلَ الصَّبْرِ مُرٌّ وَإِنَّمَا أَمَرُّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ إِنْ خَانَنِي صَبْرِي
سَرَائِرُ سِرِّي تَرْجُمَانُ سَرِيرَتِي إِذَا كَانَ سِرُّ السِّرِّ سِرُّكَ فِي سِرِّي
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي لِلْجِبَالِ لَهُدِّمَتْ وَبِالنَّارِ أَطْفَاهَا وَبِالرِّيحِ لَمْ تَسْرِي
وَمَنْ قَالَ إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ حَلَاوَةٌ فَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

ثم سافرت الاقطار و وردت الامصار و قصدت دار السلام بغداد لعلي اتوصل الى امير المؤمنين و اخبره بما جرى لي فوصلت بغداد هذه الليلة فوجدت اخي هذا الاول واقفا حائرا فقلت السلام عليك و تحدثت معه و اذا باخينا الثالث قد اقبل علينا و قال السلام عليكم انا رجل غريب فقلنا له و نحن غرباء و قد وصلنا هذه الليلة المباركة فتمشينا نحن الثلاثة و ما فينا احد يعرف حكاية احد فساقتنا المقادير الى هذا الباب و دخلنا اليكم و هذا سبب حلق ذقني و شواربي و قلع عيني فقالت ان حكايتك غريبة ملس على راسك و اخرج الى حال سبيلك فقال لا اخرج حتى اسمع حديث رفقتي فتقدم القرندلي الثالث و قال ايها الست الجليلة ما قصتي مثل قصتهم بل قصتي

اعجب و اغرب و هي سبب لحلق ذقني و قلع عيني ان هولاء جاءهم
القضا و القدر و انا جلبت القضاء بيدي و الهم لروحي و ذلك اني
كنت ملكا ابن ملك و مات والدي و اخذت الملك من بعده و
حكمت و عدلت و احسنت للرعية و كان لي محبة في السفر في
المركب في البحر و كانت مدينتي على البحر و البحر متسع و حولنا
جزائر كثيرة عظيمة في وسط البحر و كان لي في البحر خمسون مركبا
للمتجر و خمسون مركبا اصغر للفرجة و مائة و خمسون قطعة معدة
للحرب و الجهاد فاردت ان اتفرج على الجزائر فنزلت في عشرة
مراكب و اخذت معي زاد شهر كامل و سافرت عشرين يوما فلما
كانت ليلة من الليالي هبت علينا رياح مختلفة و هاج البحر علينا
هيجات عظيمة و تلاطمت الامواج فايسنا من الحيوة و نزلت علينا
ظلمة شديدة و قلت ليس المخاطر بمحمود و لو سلم فدعونا الله
تعالى وابتهلنا اليه و لا زالت الارياح تختلف و الامواج تلتطم الى
ان انفجر الفجر فهدت الريح و صفا البحر و بعده اشرقت الشمس
ثم اننا اشرفنا على جزيرة و طلعنا على البر و طبخنا شيئا نأكله
فاكلنا ثم اخذنا راحة يومين و سافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا
المياه و على الرئس و استغرب الرئس البحر فقلنا للناظور اكشف
البحر و اطلع البطية فطلع المساري ثم نظر الناظور و قال للرئس
يا رئس رأيت عن يميني سمك على وجه الماء و نظرت الى وسط
البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح ساعة اسود و ساعة ابيض فلما
سمع الرئس كلام الناظور ضرب عمامته في الارض و نتف لحيته
و قال للناس ابشروا بهلاكنا نحن الجميع و لم يسلم منا احد و
شرع يبكي و نحن الجميع نبكي على انفسنا فقلت ايها الرئس

اخبرنا بما راى الناظور فقال يا سيدي اعلم اننا تهنا في يوم هاجت علينا الارياح و لا هدي الريح الا بكرة النهار و اقمنا يومين و تهنا في البحر و لنا تائهين احدى عشر يوما من تلك الليلة و لا لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدين و آخر النهار غدا نصل الى جبل حجر اسود و هو يسمى حجر المغناطيس و تجرنا المياه غصبا الى تحته فتنفخ المركب و يروح كل مسمار في المركب الى الجبل و يلتصق اليه لان الله تعالى ركب في حجر المغناطيس سرا و هو ان جميع الحديد يذهب اليه و في ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة على ذلك الجبل و مما يلي البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة اعمدة و فوق القبة فارس و فرس من النحاس و في يد ذلك الفارس رمح من النحاس معلق في صدره لوح من رصاص منقوش عليه اسماء و طلاسم فقال لي ايها الملك ما يهلك الناس الا الراكب على هذه الفرس و ما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من على تلك الفرس ثم انه يا سيدتي بكى الرئس بكاء شديدا فتحققنا اننا هالكين لا محالة و كل منا ودع صاحبه و وصى احتمالا ان يسلم فلم ننم تلك الليلة فلما جاء الصباح قربنا الى ذلك الجبل و ساقتنا المياه غصبا اليه فلما صارت المراكب تحته انفتحت و طلعت المسامير و كل حديد فيها طلب حجر المغناطيس و اشتبك فيه و عند آخر النهار درنا حوله فمنا من غرق و منا من نجا و اكثرنا غرق و الذين سلموا لم يعلموا بعضهم بعضا و انما توهتهم الامواج و اختلاف الرياح و اما انا يا سيدتي فنجاني الله تعالى لما يريد من شقاوتي و عذابي و بلوتي فطلعت على لوح من الالواح فضربته الريح فالتصق الى الجبل

فاصبت طريقا متطرقا الى اعلاه كهيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت
الله تعالى و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر قالت بلغني ايها الملك
السعيد ان القرندلي الثالث قال للصبية و الجماعة مكتفون و العبيد
واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله و دعوته و
ابتهلت اليه و تعلقت في النقر الذي فى الجبل و قد تسلقت فى
الجبل قليلا فاذن الله ان تسكت الريح في تلك الساعة و اعانني
على الطلوع فسلمت و طلعت على الجبل فلم يكن لي درب الا
القبة و فرحت بسلامتي غاية الفرح فدخلت القبة و توضأت و
صليت ركعتين شكرا لله على سلامتي ثم اني نمت تحت القبة
فسمعت في منامي قائلا يقول يا ابن خضيب اذا انتبهت من منامك
احفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس و ثلثة نشابات من رصاص
منقوشات عليها طلسمات فخذ القوس و النشاب و ارم الفارس الذي
على القبة و ارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس
يقع فى البحر و القوس يقع عندك فخذ القوس و ادفنه في موضع
القوس فاذا فعلت ذلك يطفو البحر و يعلو حتى يساوى الجبل و
يطلع عليه زورق فيه شخص نحاس غير الذي رميته يجئ اليك و في
يده مقذاف فاركب معه و لا تسم الله تعالى فانه يقذف و يسافر بك
مدة عشرة ايام الى ان يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك
تجد من يوصلك الى بلدك فهذا يتم لك اذا لم تسم الله ثم
استيقظت من نومي و قمت بنشاط و فعلت مثلما قال الهاتف و ضربت
الفارس ارميته فوقع فى البحر و وقع القوس عندي فاخذت القوس
و دفنته فهاج البحر و علا حتى ساوى الجبل و ساواني فلم البث

غير ساعة حتى رأيت زورقا في وسط البحر قاصدا الي فحمدت الله
تعالى فلما وصل الي الزورق فوجدت فيه شخصا من النحاس في
صدره لوحا من الرصاص منقوش باسماء و طلسمات فطلعت فى
الزورق و انا ساكت و لا اتكلم فقذف الشخص اول يوم و الثاني
و الثالث الى تمام العشرة ايام فنظرت و رأيت جزائر السلامة ففرحت
فرحا عظيما و من شدة فرحي ذكرت الله و سميت و هللت وكبرت
فلما فعلت ذلك قذفني الزورق فى البحر ثم رجع و انقلب فى البحر
فكنت اعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل فخذلت سواعدي
وكلت أكتافي و تعبت بقيت فى الهلكات ثم تشهدت و ايقنت بالموت
فهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني
و قذفتني قذفة صرت فوق البر بما يريد الله فطلعت البر و عصرت
ثيابي و نشفتها و نشرتها على الارض و بت فلما اصبحت لبست
اثوابي و قمت انظر اين امشي فوجدت غوطة فجئتها و درت حولها
فوجدت الموضع الذي انا فيه جزيرة صغيرة و البحر محيط بها فقلت
كلما اخلص من بلية اقع في اعظم منها فبينما انا متفكر في امري وانا
اتمنى الموت و اذا نظرت من بعيد مركبا فيه ناس قاصدا الى
الجزيرة التي انا فيها فقمت و قعدت على شجرة و اذا بالمركب قد
التصق و طلع الى البر منه عشرة عبيد و معهم مساحي و مشوا الى
ان وصلوا الى وسط الجزيرة فحفروا في الارض وكشفوا عن طابق فشالوا
الطابق و فتحوا بابه ثم عادوا الى المركب و نقلوا منها خبزا و دقيقا
و سمنا و عسلا و اغناما و آلات ما يحتاج الساكن و العبيد طالعين
نازلين الى المركب و هم يحولون من المركب و ينزلون الى ان
نقلوا جميع ما فى المركب الى الحفرة ثم بعد ذلك طلع العبيد و

معهم ثياب احسن ما يكون و في وسطهم شيخ كبير قد ابقى ما بقي
و عركه الدهر و استبقى كانه مفني ملقى في خرقة زرقة تمر فيها
الارياح غربا وشرقا كما قال فيه الشاعـــــــــــــــــــــــــــــــر

قد ارعش الدهر ايّ رعش و الدهر ذو قوة و بطش
قد كنت امشي و لست اعيى و اليوم اعيى و لست امشي

و يد الشيخ في يد صبي و هو قد افرغ في قالب الجمال و البهاء و
الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال و هو كالقضيب الرطيب يسحر
كل قلب بجماله و يسلب كل لب بدلاله كما قال فيه الشاعر حيث
يـــــــــــــــــــــــقـــــــــــــــــــــــــول

جئ بالحسن كي يقايسه فنكس الحسنُ راسه خجلا
فقيل ياحسن هل رأيت كذا فقال اما كذا رأيت فلا

فيا سيدتي لم يزالوا ماشين حتى اتوا الى الطابق و نزلوا الجميع فى
الطابق و غابوا ساعة او اكثر ثم طلعوا العبيد و الشيخ و لم يطلع
الصبي معهم ثم ردوا باب الطابق كما كان و نزلوا فى المركب و غابوا
عن عيني فلما توجهوا قمت و نزلت من على الشجرة و مشيت الى
موضع الردم و نبشت التراب و نقلته و طولت روحي حتى شلت
جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب وسع فلقة حجر الطاحون
فشلتها فبان من تحتها سلم حجر عقد فتعجبت لذلك و نزلت فى
السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت بنيانا نظيفا مفروشا بانواع
البسط و الحرير و الصبي جالس على مرتبة عالية متكئ على مدورة في
يده مروحة و بين يديه مشموم و رياحين و هو وحده فلما رآني اصفر

لونه فسلمت عليه و قلت له طمن روحك و هد روعك لا باس
عليك انا انسي مثلك ابن ملك ساقتني المقادير اليك أونسك على
وحدتك فما قصتك و ما حكايتك حتى سكنت تحت الارض وحدك
فلما تحقق اني من جنسه فرح و رد لونه و قربني اليه و قال يا اخي
قصتي عجيبة و ذلك ان والدي تاجر جوهري له تجارة و عبيد و
مماليك تجار يسافرون له فى المراكب بالتجارات الى اقصى البلاد و
لهم جمالات و اموال متسعة و لم يرزق ولدا قط فرأى في منامه انه
يرزق ولدا في عمره قصر فاصبح والدي في صريخ و بكاء فلما كانت
الليلة القابلة علقت والدتي بي فارخ تاريخ حبلها و انقضت ايامها
فولدتني ففرح والدي و اولم الولائم و اطعم الفقراء و المساكين
لكونه رزق بي في آخر عمره فجمع المنجمين و اهل التقاويم و حكماء
الزمان و اصحاب التواريخ و المواليد فكشفوا الى ميلادي و قالوا له
ولدك يعيش خمسة عشر سنة و عليه قطع فيها ان سلم منها عاش
زمانا طويلا و سبب موته ان في بحر الهلكات جبل المغناطيس عليه
فارس و فرس من نحاس و الفارس في صدره لوح من رصاص متى وقع
الفارس من على فرسه بعد خمسين يوما يموت ولدك و قاتله هو
الذي يرمى الفارس ملك اسمه عجيب بن خصيب فاغتم ابي غما
شديدا ثم انه رباني و احسن تربيتى الى ان بلغت خمسة عشر سنة
و من مدة عشرة ايام جاء لابي الخبر ان الفارس وقع فى البحر و الدي
رماه اسمه عجيب بن الملك خصيب فخاف علي ابي من القتل
فنقلني الى هذا المكان و هذه قصتي و سبب وحدتي فلما سمعت
قصته تعجبت وَقلت في نفسي انا الذي عملت هذا كله و انا و الله
لا اقتله ابدا ثم قلت يا مولاي كفيت الداء و الردى و ان شاء الله

تعالى لا ترى هما و لا غما و لا تشويشا و انا اقعد عندك و
اخدمك و ارجع الى حال سبيلي بعد ان أونسك في هذه الايام
توصلني الى بعض المماليك اسافر معهم الى بلادي و جلست احدثه
الى الليل فقمت و اوقدت شمعة كبيرة و عمرت القناديل و
جلسنا بعد ان مدينا شيئا من الاكل فاكلنا و قمت مديت شيئا من
الحلاوة فتحلينا و جلسنا نحدث بعضنا حتى ذهب من الليل اكثره
فنام فغطيته و قمت انا نمت فلما اصبحت قمت و سخنت قليلا من
الماء و نبهته برفق فاستيقظ فاتيته بالماء المسخن فغسل وجهه و
قال جزيت خيرا يا فتى و الله متى سلمت من الذي انا فيه و
من الذي اسمه عجيب بن خصيب خليت ابي يكافئك و اما اذا مت
فالسلام مني عليك فقلت له لا كان يوما يصيبك فيه شر و جعل الله
يومي قبل يومك ثم قدمت شيئا من الاكل فاكلنا و عملت له بخورا
فطاب و صنعت له منقلة و لعبت انا و اياه ثم اكلنا شيئا من الحلاوة
و لعبنا الى الليل فقمت اوقدت المصابيح و قدمت شيئا من الاكل
و قعدت احدثه الى ان بقي شيء قليل من الليل فنام و غطيته و
نمت و لم ازل يا سيدتي اياما و ليالي و بقي له في قلبي محبة
و سلوت همي و قلت في نفسي كذب المنجمون و الله لا اقتله و
لم ازل اخدمه و انادمه و احادثه الى تسعة و ثلثين يوما و ليلة
الاربعين فرح الصبي و قال يا اخي الحمد لله الذي نجاني من
الموت و هذا ببركتك و بركة قدومك و اسأل الله ان يردك الى
بلدك و لكن يا اخي اريد ان تسخن لي ماء اغتسل و اغسل جسدي
فقلت حبا و كرامة و سخنت له ماء بكثرة و دخلت به عليه و غسلت
جسده غسلا جيدا بدقاق و دلكته و خدمته و غيرت له اثوابه و

فرشت تحته فرشا عاليا فجاء الصبى و استلقى عليه و نام من الاستحمام
و قال يا اخي اقطع لنا بطيخة و ذوب بها سكرنبات فدخلت الخزانة
فلقيت بطيخة مليحة و وجدتها في طبق فكلمته و قلت يا سيدي
ما عندك سكين فقال ها هي فوق رأسي على هذه الصفة العالية
فقمت و انا مستعجل فاخذت السكين و مسكتها من نصالها و رجعت
الى خلفي فعثرت رجلي و انبطشت على الصبي و السكين في يدي
فاسرعت السكين بماكتب فى الازل وانغرزت في قلب الصبي فمات
من ساعته فلما قضى نحبه و علمت اني قتلته صرخت صرخة عظيمة
و لطمت على وجهي و شقيت اثوابي و قلت انا لله و انا اليه راجعون
يا مسلمون هذا الصبي بقي له من القطع الذي خبروا به المنجمون
و الحكماء الى الاربعين يوما ليلة واحدة وكان اجل هذا المليح على
يدي فيا ليتني من قبل لم اقطع هذه البطيخة ما هذا الا مصائب و
غصص و لكن ليقضي الله امرا كان مفعولا و ادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر قال بلغني ايها الملك

السعيد ان عجيب قال للصبية فلما تيقنت اني قتلته قمت و طلعت
من السلم و رديت التراب و نظرت بعيني الى البحر فرأيت المركب
تشق البحر طالبة البر فخفت و قلت الساعة يجيئون يصيبون ولدهم
مقتولا فيعرفون اني قتلته فيقتلوني لامحالة فعمدت الى شجرة عالية
وطلعتها و استترت باوراقها فما استقريت فوق الشجرة الا و قد طلع
العبيد و طلع معهم الشيخ الكبير ابو الصبي فجاوءا الى الموضع و
ازالوا التراب فوجدوا الطابق فنزلوا فوجدوا الصبي نائما و وجهه يضيء
من اثر الحمام و هو لابس ثيابا نظافا و السكين مغروزة في صدره

فصرخوا و بكوا و لطموا على وجوههم و دعوا بالويل و الثبور و غشي
على الشيخ ساعة طويلة ثم ان العبيد ظنوا ان الشيخ بعد ولده لا يعيش
و لفوا الصبي في اثوابه و ارخوا عليه ملاءة من الحرير و طلعوا الى
المركب و طلع الشيخ خلفهم فنظر ولده ممدودا فوقع على الارض
و اخذ التراب على رأسه و لطم وجهه و نتف لحيته و تفكر في قتل
ولده فزاد بكاوه و غشي فطلع عبد منهم فجاء بمقطع حرير و مدوا
الشيخ على المقعد و جلسوا عند رأسه هذا كله و انا فى الشجرة فوق
رؤسهم انظر ما يجرى وقد شاب قلبي قبل ان يشيب رأسي بما قاسيت
من الهموم و الاحزان و انشدت اقـــــــــــــــول

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم امر تساء به صباحا فتأتيك المسرة بالعشى
وكم يسر اتى من بعد عسر ففرج كربة القلب الشجى

يا سيدتي و لم يزل الشيخ في غشوته الى ان قرب المغرب ثم
استفاق و نظر الى ولده و ما جرى له و الذي خاف منه وقع فيه و
لطم و جهه و رأسه و انشد هذه الابـــــــــيـــــــــات

القلب من فرقة الاحباب منصدع ا ما دموعي مـن الآماق تنهمـل
شط المرام بهم بعدا فوا اسفي ما حيلتي فيهم ما القول ما العمل
فليتني ما كنت نظر تهم ابدا ما حيلتي سادتي ضاقت بى السبل
كيف السلو بسلوان و قد لعبت نار الهوي بفوادي و هي تشتعل
يا ليت لويممت ذات المنون بهم بينى و بينهم ما ليس ينفصل
سألتك الله يا واشي فكن مهلا فجمع شملي بهم مازال مشتمل

ما كان احسننا و الدار تجمعنا و نحن في غبطة و العيش متصل
حتى رمينا بسهم البين فرقنا من ذا الذي لسهام البين يحتمل
اذ صابنا في عزيز القوم صايبة فريد عصر غدا بالحسن مكتمل
انشدته و لسان الحال يسبقني يا ليت يا ولدي ما قد اتى الاجل
كيف السبيل الى لقياك من عجل نفديك يا ولدي بالروح لو قبل
ان قلت شمس فان الشمس غاربة او قلت بدر فان البدر قد افل
لهفي عليك من الايام يا اسفي ما عنك بد فمن ذا عنك يشتغل
ابوك اضحى به شوقا اليك و ما حل الممات بكم ضاقت بي الحيل
عين الحواسد فينا اليوم قد وقعت يلقون ما صنعوا يا بئس ما فعلوا

ثم شهق شهقة فارقت روحه جسده فصرخوا العبيد وا سيداه و اخذوا التراب على رؤسهم و زادوا فى البكاء و طلعوا لسيدهم فى المركب الى جانب ولده و ارخوا قلع المركب فغابوا عن عيني فنزلت من فوق الشجرة و نزلت الطابق و تفكرت الشاب فرأيت بعض حوائجه فانشدت اقول شـــــــعـــــــرا

ارى آثارهم فاذوب شوقا وا سكب في مواطنهم دموعي
و اسأل من قضى بالبعد عنهم يمن على يوما بالرجوع

ثم اني يا سيدتي خرجت من الطابق و كنت بالنهار اطوف فى الجزيرة و بالليل انزل القاعة فاقمت على ذلك شهرا و انا انظر الى طرف الجزيرة التي من ناحية الغرب و هو كل ما مر يوم من الايام ينشف البحر الى ان قل الماء من جهة الغرب و انقطع تياره فلما كمل الشهر نشف البحر من تلك الناحية ففرحت و ايقنت

بالسلامة و قمت خضت ما بقي من البحر و طلعت الى البر الاصيل فلقيت كيمان رمل تغوص رجل الجمل فيها الى الركب فقويت روحي و قطعت الرمل و اذا انا بنار تلوح من بعيد وهي تشتعل اشتعالا قويا فقصدتها لعلي اجد فرجا و انشدت اقول شعرا

عسى و لعل الدهر يلوي عنانه و يأتي بخير و الزمان غيور
ويسعف آمالى و يقضي حوائجي و تحدث من بعد الامور امور

ثم اني قصدت النار فلما قربت اليها و اذا بقصر بابه من النحاس الاصفر فلما اشرقت عليه الشمس اضاء من بعيد يرى كأنه نار ففرحت برؤيته و جلست مقابلا بابه فلم يستقر لي الجلوس حتى اقبل عشرة شباب لابسين الاثواب المفتخرة و معهم شيخ كبير الا ان الشباب عور بالعين اليمنى فتعجبت بصفتهم و اتفاقهم في عورهم فلما رأوني سلموا علي و سألوني عن حالي و قصتي فحكيت لهم على ما جرى لي و ما تم لي من المصائب فتعجبوا لحديثي و اخذوني و اطلعوني القصر فرأيت في دائر القصر عشرة تخوت و كل تخت فراشه و لحافه ازرق و في وسط تلك التخوت تخت صغير و هو مثلهم كلما عليه ازرق فلما دخلنا طلع كل شاب على تخته و طلع الشيخ على ذلك التخت الصغير الذي في وسط التخوت و قال يا فتى اجلس في هذا القصر و لا تسأل عن احوالنا و لا عن عور اعيننا ثم قام الشيخ و قدم لكل واحد طعاما في اناء و شرابا في اناء و قدم لي كذلك و بعد ذلك جلسوا يسألوني عن احوالي و ماجرى لي و انا اخبرهم الى ان ذهب اكثر الليل فقال الشباب ايها الشيخ ما تقدم لنا راتبنا فقد جاء وقته فقال حبا وكرامة ثم قام و دخل الى مخدع فى القصر

و غاب و عاد و على راسه عشرة اطباق كل واحد مغطى بغطاء ازرق
فقدم لكل شاب طبقا ثم اوقد عشرة شموع و اغرز على كل طبق شمعة
ثم كشف الاغطية فبان من تحتها فى الاطباق رماد و دق فحم و سواد
القدر فشمر الجميع عن سواعدهم و بكوا و انتحبوا وسخموا وجوههم و
خبطوا اثوابهم و لطموا على وجوههم و دقوا على صدورهم و صاروا
يقولون كنا قاعدين بطولنا ما خلانا فضولنا و لم يزالوا على هذا الى
قرب الصبح فقام الشيخ و سخن لهم ماء فغسلوا وجوههم و لبسوا اثوابا
غير الاول فلما رأيت ذلك يا ستاه ذهب عقلي و حار فكري و اشتعل سرى
و نسيت ما جرى علي و لم استطع السكوت دون اني كلمتهم و سألتهم
و قلت لهم ايش اوجب هذا بعد انشراحنا و تعبنا و انتم بحمد الله
تعالى فيكم عقل تام و هذه الافعال لا يفعلها غير المجانين فاسألكم
باعز الاشياء عليكم الا ما قلتم بي خبركم و سبب قلع اعينكم و سخامة
و جوهكم بالرماد و السواد فالتفتوا و قالوا لي يا فتى لا يغرك شبابك
و اعدل عن سؤالك ثم قاموا و قمت معهم فقدم الشيخ شيئا من الماكول
فبعد ما اكلنا و انشالت الاواني قعدوا يتحدثون الى ان اقبل الليل
فقام الشيخ و اوقد الشموع و القناديل و قدم لنا الاكل و الشرب
فلما فرغنا قعدنا للمحادثة و المنادمة الى نصف الليل فقال الشباب
للشيخ هات لنا راتبنا فقد جاء وقت النوم فقام الشيخ و اتى
بالاطباق و فيهم الرمل الاسود ففعلوا مثل ما فعلوا اول ليلة و انا
قاعد عندهم على هذا الحال مدة شهر و هم كل ليلة يسخمون
وجوههم بالرماد و يغسلون وجوههم و يغيرون اثوابهم و انا اتعجب
من ذلك و ازداد وسواسي بحيث اني امتنعت من الاكل و الشرب
فقلت لهم ايها الفتيان ان لم تزيلوا همي و تخبروني عن سبب

تسخيم وجوهكم فقالوا كتمان سرنا اصلح فبقيت متحيرا في امورهم
و انا امتنع من الاكل و الشرب فقلت لهم لا بدان تخبروني ما
سبب ذلك فقالوا هذا فيه مشقة عليك لانك تبقى مثلنا فقال لابد
من ذلك و الا دعوني اسافر من عندكم الى اهلي و استريح من
نظري من هذه الاحوال و المثل يقول بعادي عنكم اجمل و احسن
عين لا تنظر قلب لا يحزن فعمدوا الى كبش ذبحوه و سلخوه و
قالوا لي خذ هذا الجلد معك و ادخل في هذا الجلد و خيطه
عليك فانه يأتيك طير اسمه الرخ و يشيلك و يحطك على جبل
فشق الجلد و تخرج منه فيخاف منك الطير فيروح و يخليك
فامش نصف نهار تلقي قدامك قصرا غريب الصفة فادخل فيه و قد
بلغت مُناك فدخولنا الى القصر هو سبب سخامة وجوهنا و قلع
عيوننا و اما نحن اذا حكينا لك يطول شرحنا فان كل واحد منا
جرت له حكاية في قلع عينه اليمنى ففرحت بذلك ثم فعلوا بي ما
قالوا و حملني الطير و حط بي على الجبل فخرجت من الجلد و
مشيت حتى دخلت القصر و اذا فيه اربعون جارية كالاقمار لا يشبع من
ينظر اليهم فلما رأوني قالوا كلهم اهلا و سهلا بك و مرحبا يا مولانا
و نحن لنا شهر في انتظارك فالحمد لله الذي اتانا لما يستحقنا و
نستحقه ثم انهم اجلسوني على مرتبة عالية و قالوا انت اليوم سيدنا
و الحاكم علينا و نحن جوارك و تحت طاعتك فأمر فينا بحكمك
فعجبت من احوالهن و اتوني بطعام فاكلت انا و اياهم و قدموا
لي الشراب و اجتمعن حولي وقاموا خمسة فرشوا حصيرة و رصوا
حولها من المشموم و الفواكه و النقل اشياء كثيرة و احضروا اليه
المدام فجلسنا للشراب و اخذوا عودا و غنوا عليه و دارت الكؤس

و الطاسات بيننا فدخل علي من الفرح ما انساني هموم الدنيا
جميعها و قلت هذا هو العيش ولازلت معهم حتى اتى وقت المنام
فقالوا خذ معك ما تختار منا تنام عندك فاخذت واحدة منهن
مليحة الوجه كحيلة الطرف دعجة الشعر فليجة الثغر كاملة الفنون
بحاجب مقرون كانها خوطان او قضيب ريحان تدهش و تحير
الخاطر كما قال فيها الشاعـــر

نشبه بالغصن الرطيب جهالــة و حاشا معاينها نشبه بالظبـى
من اين للظبي العزيز قوامهـا و مشربها المعسول طابت مشربا
واعينها النجل القواتل فى الهوى سبين القتيل المستهام المعذبا
صبوت اليها صبوة جاهليـة ولا عجب للمدنف الصب ان صبا

و انشدتها قول القائـــل

عيني لغير جمالكم لا تنـظـر و سواكم في خاطري لا يخطـر
و جميع فكري في هواكم سادتي و على محبتكم اموت و احشـر

فقمت و نمت ليلة معها ما رأيت احسن منها فلما اصبحت دخلن
بي الحمام فغسلوني و البسوني من افخر الثياب و قدموا لنا الاكل
فاكلنا و الشراب فشربنا و دارت الكوس بيننا الى المليل ثم اخترت
منهن واحدة مليحة الاوصاف لينة الاعطاف كما قال فيها الشاعر
حيث يـــــــــــــــــــــــــقــــــــــــــــــــــــــول

رأيت في صدرها حقان قد ختما بمسكة تمنـع العشاق ضمهمـا
تحرسهما بسهام من لواحظـهـا من يعتديها اصابته بسهمهما

فنمت عندها باجمل ليلة الى الصباح و بالاختصار يا سيدتاه اقمت
عندهن في ارغد عيش مدة سنة كاملة و في رأس السنة قلن لي ليتنا
ماعرفناك فان سمعت منا كان فيه صلاح حالك و صاروا يبكون
فتعجبت و قلت لهم ما الخبر فقالوا اننا نحن بنات ملوك و نحن
مجتمعين هنا مدة سنين نغيب اربعين يوما و نقعد سنة نأكل و
نشرب و نلذ و نطرب ثم نغيب و هذا دابنا و نخشي انك تخالفنا
بعد ان نغيب عنك فيما نامرك به فها نحن نسلم اليك مفاتيح
القصر و فيه اربعون خزانة فانت تفتح هذه التسعة و ثلثين بابا و
الحذر ان تفتح الباب الاربعين فتفارقنا فقلت لهم لا افتحه ان كان
فيه مفارقتكم ثم تقدمت منهن واحدة و عانقتني و بكت و قالت شعر

لئن ضمنا بعد التنائي تقرب تبسم وجه الدهر بعد قطوبه
و ان كحلت عيناي منكم بنظرة غفرت للدهري سالفات ذنوبه

ايضا و انشدت

و لما تدانت للفراق و قلبها حليفان يوما للصبابة و الوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

فلما رأيت بكاها قلت و الله لا افتحه ابدا و ودعتها و خرجوا ثم
طاروا فقعدت فى القصر وحدي و لما قرب المساء فتحت الخزانة
الاولى و دخلتها فوجدت فيها بيتا كأنه الجنة و فيه بستان اشجاره
مخضرة و ثماره يا نعة و اطياره صادحة و مياهه متدفقة فارتاح بها
خاطري و تمشيت بين الاشجار و شممت روائح الازهار و سمعت غناء
الاطيار و هي تسبح الواحد القهار و رأيت لون التفاح بين احمرار و

اصفرار كما قال الشـــــــــــاعر

تفاحة جمعت لونين خلقتها خد الحبيب و لون الهائم الوجل

ثم نظرت الى السفرجل و استروحت عرفه المزري برائحة المسك و العنبر و هو كما قال الشاعر و اخبر شـــــــــعـــــــــر

حاز السفرجل لذات الورى فغدا على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما و نشر المسك رائحة و التبر لونا و شكل البدر تدويرا

ثم نظرت الى برقوق يروق العين حسنه كأنه ياقوت مخلوق ثم خرجت من ذلك المكان و اغلقت باب الخزانة كما كان و لما كان الغد فتحت خزانة اخرى و دخلتها فوجدت فيها ميدانا كبيرا و فيه نخل كبير و نهر جار و اشجار الورد و الياسمين و البرد قوش و النسرين و النرجس و المنثور مفروشة بحافته و قد هبت الرياح على تلك الرياحين فانتشر ذلك الطيب يمينا و شمالا و حصل لي من ذلك الحبور التام ثم خرجت من ذلك المكان و اغلقت باب الخزانة كما كان ثم فتحت باب الخزانة الثالثة فرأيت فيه قاعة كبيرة مفروشة بالرخام الملون و المعادن المثمنة و الاحجار الفاخرة و فيها اقفاص من الصندل و العود فيها طيور تغني مثل الهزار و المطوق و الشحرور و القمري و النوبي المغرد فطاب قلبي من ذلك و انفرج همي و نمت في ذلك المكان الى الصباح ثم فتحت باب الخزانة الرابعة فوجدت فيها بيتا كبيرا و في ذلك البيت اربعين خزانة مفتحة الابواب فدخلت فيهم فرأيت من اللؤلؤ و الياقوت و الزبرجد و الزمرد و الجواهر النفيسة ما لا يوصف بلسان فاندهش عقلي من ذلك و قلت هذه الاشياء اظن انها لا توجد في خزانة

ملك من الملوك و انشرح حينئذ خاطري و زال همي فقلت
انا الآن ملك عصري و هذه الاموال من فضل الله عندي و
اربعون جارية تحت يدي و ما عندهم احد غيري و لم ازل
اتفرج من موضع الى موضع حتى مضت تسعة و ثلثون يوما و
قد فتحت في هذه المدة الخزائن كلها الا الخزانة التي منعوني
عن فتح بابها فبقي خاطري يا سيدتي مشتغلا بتلك الخزانة التي
هي تمام اربعين و حكم علي الشيطان لاجل شقاوتي بان افتحها
فلم اجد صبرا عن ذلك و لم يبق من الميعاد الا يوم واحد فقمت
الى الخزانة المذكورة و فتحت بابها و دخلت فوجدت فيها رائحة ذكية
لم استروح مثلها و خامرت عقلي تلك الرائحة فوقعت مغشيا على
مقدار ساعة ثم قويت قلبي و دخلت الخزانة فرأيت ارضها مفروشة
بالزعفران و قناديل من ذهب ومشموما يضوع نشر المسك و العنبر
منها وهي تتقد نورا و رأيت مبخرتين عظيمتين كل واحدة منهما
مملوة من العود و العنبر و المعسل و قد تعطر المكان من عرفهما و
نظرت يا سيدتي جوادا ادهم كسواد الليل اذا اظلم و قدامه معلف
من البلار الابيض فيه سمسم مقشور و معلف آخر مثله فيه ماء ورد
ممسك و الجواد مشدود ملجم و سرجه من الذهب الاحمر فلما
رأيته تعجبت منه و قلت في نفسي ان هذا لابد له من شان عظيم
و اضلني الشيطان فاخرجته و ركبته فلم يبرح من مكانه فرفسته
فلم يتحرك فاخذت المقرعة و ضربته بها فلما احس بالضربة
صهل صراخا بصوت كالرعد القاصف و فتح له جناحين فطار بي و
غاب عن الابصار في جو السماء ساعة ثم حطني على سطح و
انزلني و نشني بذيله على وجهي قلع عيني اليمنى و سيلها على

خدي و ذهب عني فنزلت من على السطح فوجدت العشرة
شباب العور فقالوا لي لا مرحبا بك و لا اهلا فقلت لهم ها انا قد
صرت واحدا مثلكم و اشتهي تعطوني طبقة السواد اسخم بها وجهي
و تقبلوني اجلس عندكم فقالوا و الله لا تجلس عندنا واخرج من هنا
فلما طردوني و ضاق لي الامر و افتكرت على ماجرى على ناصيتي
خرجت من عندهم حزين القلب باكي العين و قلت خفيفة كنت
قاعدا بطولي فما خلاني فضولي فحلقت ذقني و شواربي و طفت في
بلاد الله وكتب الله لي السلامة حتى و صلت الى بغداد في مساء
هذه الليلة فاجد هؤلاء الاثنين الواقفين حائرين فسلمت عليهم و
قلت انا غريب فقالوا و نحن ايضا غرباء و اتفقنا نحن الثلثة القرندلية
عور من اليمين و هذا يا سيدتي سبب حلق ذقني و قلع عيني
فقالت له ملس على رأسك و رح فقال و الله لا اروح حتى اسمع
قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة و جعفر و مسرور و
قالت لهم احكوا لي على خبركم فتقدم جعفر و حكى لها الحكاية التي
قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت و هبتكم لبعضكم
فخرجوا الى ان صاروا فى الزقاق فقال الخليفة للقرندلية يا جماعة
اين انتم قاصدين الآن و الفجر ما لاح فقالوا و الله يا سيدنا
لاندري الى اين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا و باتوا عندنا و
قال لجعفر خذهم و احضرهم لي غدا نورخ ما جرى فامتثل
جعفر ما امر له الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره و لم يعتره
منام في تلك الليلة فلما اصبح الصباح جلس على كرسي المملكة
و التفت الى جعفر بعد ان طلع ارباب الدولة و قال ائتني بالثلثة
صبايا و الكلبتين و القرندلية فنهض جعفر و احضرهم بين يديه

فادخل الصبايا تحت الاستار و التفت لهم جعفر و قال لهم قد
عفونا عنكم بما اسلفتم من الاحسان الينا و لم تعرفونا فها انا اعرفكم
انتم بين يدي الخامس من بنى العباس الهارون الرشيد اخ موسي
الهادي بن المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور بن محمد اخ
السفاح بن محمد فلا تخبروه الا حقا فلما سمعت الصبايا كلام
جعفر عن لسان امير المؤمنين تقدمت الكبيرة و قالت يا امير
المؤمنين لي حديث لو كتب بالابر على آماق البصر لصار عبرة
لمن اعتبر و نصيحة لمن ينتصح و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر قالت بلغني ايها الملك
السعيد انها لما تقدمت بين يدي امير المؤمنين قالت لي حديث
عجيب و هو ان هاتين الكلبتين السود اخواتي و نحن كنا ثلث اخوات
شقائق من ام و اب و ان هاتين البنتين الواحدة التي عليها اثر الضرب
و الاخرى الخوشكاشة من ام اخرى فلمامات و الدنا اخذ كل حصته
من الميراث و بعد ايام تُوفّيَتْ و الدتي و خلفت لنا ثلثة آلاف دينار
فاخذت كل بنت ميراثها الف دينار وكنت انا اصغرهم سنا فتجهزوا
اخواتي و تزوجت كل واحدة برجل و قعدوا مدة ثم ان كل واحد عبى
متجرا و اخذ كل واحد من زوجته الف دينار و سافروا مع بعض و
رموني فغابوا خمس سنين و ضيع ازواجهم المال و انكسروا و تركوهم
في بلاد الناس فبعد خمس سنين جاءتني الكبيرة في صفة شحاذة و عليها
ثياب مشرمطة و ازار وسخ قديم و هي فى انحس الاحوال فلما رأيتها
ذهلت عنها و لم اعرفها ثم انى لما عرفتها قلت لها ما هذا الحال
فقالت يا اختنا ما بقي الكلام يفيد و جرى القلم بما حكم فارسلتها الى

الحمام و البستها بدلة و قلت لها يا اختي انت عوض ابي و امي
و الارث الذي نابني معكم قد جعل الله فيه البركة و انا ازكي عليه
و احوالي جليلة و انا و انتم سواء و احسنت لها غاية الاحسان فقعدت
عندي مدة سنة كاملة و قد اشتغل خاطرنا على اختنا الاخرى فما
كان قليلا الا و جاءت بزي انجس ما جاءت به الاخت الكبيرة فعملت
معها اكثر ما عملت مع الاولى و بقي لهما مال من مالي ثم انهما
بعد مدة قالتالي يا اختاه انا نريد الزواج اذ ليس لنا صبر على القعود
بلا زوج فقلت لهم يا عيوني ما بقي في ازدواج خير و الآن الرجل
الجيد عزيز الوجود و لم ار فيما ذكرتم صلاحا و انتم جربتم الزواج
فلم يقبلوا كلامي و تزوجوا بغير رضائي فجهزتهم من مالي و سترتهم
و مضوا مع ازواجهم فقعدوا مدة يسيرة و لعبوا عليهم ازواجهم و
اخذوا ما كان معهم و سافروا و تركوهم فجاؤا عندي و هم خزايا و
اعتذروا و قالوالا تواخذينا فانت اصغر منا سنا و اكمل عقلا و مابقينا
نذكر الا زواج ابدا فاتخذينا جواري عندك ناكل لقمتنا فقلت مرحبا
بكم يا اخواتي ما عندي اعز منكم و قبلتهم و زدتهم اكراما و لم نزل
على هذه الحالة سنة كاملة فاردت ان اجهز لي مركبا الى البصرة
فجهزت مركبا كبيرا و حملت فيها البضائع و المتاجر و ما نحتاج
اليه في المركب و قلت يا اخواتي هل لكم ان تقعدوا فى المنزل
حتى اسافر و ارجع او تأتوا معي فقالوا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك
فاخذ تهما و كنت قسمت مالي نصفين اخذت النصف و النصف
الثاني اودعته وقلت ربما يصيب المركب شئ و يكون فى العمر مدة
فاذا رجعنا نجد شيئا ينفعنا و سافرنا اياما و ليالي فتاهت بنا المركب و
غفل الرئيس عن الطريق و دخل المركب بحرا غير البحر الذي نريده

و لم نعلم ذلك مدة وطابت لنا الريح عشرة ايام و بعد عشرة طلع
الناطور ينظر فقال البشارة و نزل و هو فرحان و قال رأيت صفة
مدينة و هي مثل الحمامة ففرحنا و ما مرت علينا ساعة من
النهار الا و قد لاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للرئيس ما اسم
هذه المدينة التي اشرفنا عليها فقال و الله لا اعلم و لا رأيتها قط
و لا سلكت عمري هذا البحر و لكن جاء الامر بسلامة فما بقي
الا ان تدخلوا هذه المدينة و انظروا بضائعكم فان حصل لكم بيع
بيعوا و تسوقوا مهما كان فيها و ان لم يحصل لكم بيع نرتاح
يومين و نتزود و نسافر فدخلنا المدينة و طلع الرئيس اليها و
غاب ساعة و اتى الينا و قال قوموا اطلعوا الى المدينة و تعجبوا
في صنع الله في خلقه و استعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فلما
اتيت الباب رأيت اناسا بايديهم عِصيّ على باب المدينة فدنوت
منهم و اذا هم مسخوطين و قد صاروا احجارا فدخلنا المدينة
فوجدنا كل من فيها مسخوطا احجارا سودا لا فيها ديار و لا نافخ
نار فاندهشنا من ذلك فشقينا الاسواق فوجدنا البضائع باقية و
الذهب و الفضة باقية على حالها ففرجنا و قلنا لعل ان يكون لهذا
شان فتفرقنا في شوارع المدينة و كل واحد اشتغل عن رفيقه
بالكسب و المال و القماش و اما انا فطلعت الى القلعة فوجدتها
محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاواني من الذهب و
الفضة فعند ذلك رأيت الملك جالسا و عنده حجابه و نوابه و وزراؤه
و عليه من الملابس شيء يحير فيه الفكر فلما قدمت الى الملك
وجدته جالسا على كرسي مرصع بالدر و الجوهر عليه بدلة من الذهب
و فيه كل جوهرة تضيء مثل النجمة و واقف حوله خمسون مملوكا

لابسين انواع الحرير و في ايديهم السيوف مجردة فلما نظرت ذلك
دهش عقلي ثم مشيت و دخلت قاعة الحريم فوجدت في حيطانها ستائر
من الحرير منقوشة بقضبان الذهب و وجدت الملكة نائمة و عليها
بدلة من اللؤلؤ الرطب و على رأسها تاج مكلل بانواع الفصوص و
في عنقها قلائد و عقود و جميع ما عليها من الملبوس و المصاغ
على حاله وهي مسخوطة حجرا اسود و وجدت بابا مفتوحا فصعدت
اليه و هو مكان بسبع درج فوجدته موضع مرخم مفروش بالبسط
المذهبة و وجدت فيه سريرا من العرعر مرصع بالدر والجوهر و
رمانين من الزمرد و عليه بشخانة مرخية منظومة باللؤلؤ و نظرت نورا
خارجا من باب البشخانة فطلعت فوقه فوجدت جوهرة قدر بيضة
الاوزة في صدر البشخانة على كرسي صغير و هو يوقد كالشمعة و نورها
ساطع و مفروش على ذلك السرير من انواع الحرير ما يحير الناظر
فلما نظرت ذلك تعجبت و رأيت في ذلك المكان شموعا موقدة
فقلت لابد ان احدا اوقد هذه الشموع ثم اني مشيت و دخلت
الى موضع غيره و صرت افتش و ادور في الاماكن و نسيت نفسي
مما لحقني من العجب من تلك الاحوال و غرقت فى فكري الى
ان دخل الليل فاردت الخروج فلم اعرف الباب و تهت فعدت الى
البشخانة التي فيها الشمع موقود و جلست على السرير و تغطيت بلحاف
بعد ان قرأت شيئا من القرآن و اردت النوم فلم استطع و لحقني
القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن لكنه
ضعيف الصوت ففرحت و تبعت الصوت الى ان جئت الى مخدع
فرأيت بابه مردودا ففتحت الباب و نظرت المكان فاذا هو معبد
و محراب و فيه قناديل معلقة موقودة و شمعتان وفيه سجادة مفروشة

و عليها شاب جالس حسن المنظر و قدامه ختمة مكرسة و هو يقرأ فتعجبت كيف هو سالم دون اهل المدينة فدخلت و سلمت عليه فرفع بصره و رد علي السلام فقلت له اسألك بحق ما تلوته من كتاب الله الا ما اجبتني عن سؤالي و الشاب ينظر الي و يتبسم وقال ايتها الامة اخبريني انت عن سبب دخولك هذا المكان و انا اخبرك بما جرى علي وعلى اهل هذه المدينة و سبب خلاصي فاخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم اني سألته عن خبر اهل هذه المدينة فقال امهليني يا اختي ثم طبق الختمة و شالها في كيس اطلس و اجلسني الى جانبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر اذا بدر حسن الاوصاف لين الاعطاف حسن المنظر كأنه قالب سكر معتدل القوام كما قيل فيه هذه الابيات

رصد المنجم ليلة فبدا له قد المليح يلوح في برديه
و اقامه زحلُ السوادَ بشعره وحباه لون المسك في صدغيه
و جرى من المريخ حمرة خده والقوس يرمي النبل من جفنيه
و عطارد اعطاه فرط ذكائه و ابى السها نظر الوشاة اليه
فبقى المنجم حائرا لما رأى و البدر باس الارض بين يديه

و قد البسه الله تعالى حلة الكمال و طرزها من عذاره بالبهاء و الجمال كما قال فيه الشاعر

قسما بنشوة جفنه و بخصره و باسهم قد راشها من سحره
و بلين عطفيه و مرهف لحظه و بياض غرته و اسود شعره
و بحاجب منع الكري عن ناظري وسطا على بنهيه و بامره
و بورد خديه و آس عذاره وعقيق مبسمه و لؤلؤ ثغره

و بجيده و بحسن قامته التي قد اطلعت رمانها في صدره
و بردفه المرتج في حركاته و سكونه و برقة في خصره
و حريرملمسه و خفة روحه و بما حواه من الجمال باسره
و بجود راحته و صدق لسانه و بطيب مولده و عالي قدره
ماالمسك ان عرفوه الاعرفه والريح عنبر نشرها من نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه مما حكته قلامة من ظفره

فنظرت له نظرة اعقبتني الف حسرة و تعلق قلبي بمحبته فقلت له يا مولاي اخبرني عن ما سألتك فقال سمعا و طاعة اعلمي يا امة الله ان هذه المدينة مدينة والدي و هو الملك الذي نظرتيه علي الكرسي و هو حجر اسود مسخوطا عليه و اما الملكة التي قد نظرتيها فى البشخانة فهي امي و جميع اهلها مجوس يعبدون النار دون الملك الجبار وكان يقسمون بالنار و النور و الظل و الحرور و الفلك الذي يدور و كان ابي ليس له ولد و رزق بي في آخر عمره فرباني حتى نشأت و قد سبقت لي السعادة و كان عندنا عجوز طاعنة فى السن مسلمة تؤمن بالله و رسوله في الباطن و توافق اهلي فى الظاهر و كان ابي يعتقد فيها بما يري عليها من الامانة و العفة و كان يكرمها و يزيد في اكرامها وكان يعتقد انها في دينه فلما كبرت سلمني ابي اليها و قال خذيه ربيه و علميه احوال ديننا و احسني تربيته و قومي بخدمته فاخذتني العجوز و علمتنى دين الاسلام من الوضوء و فرائض الوضوء و الصلوة و حفظتني القرآن و قالت لا تعبد سوى الله تعالى فلما تممت ذلك قالت لي يا ولدي اكتم هذا الامر عن ابيك و لا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه و لم ازل على هذا الحال مدة

ايام ثلائل و قد ماتت العجوز و زاد اهل المدينة في كفرهم و عتوهم و ضلالهم فبينما هم على ما هم فيه اذ سمعوا مناديا ينادي با على صوته مثل الرعد القاصف سمعه القريب و البعيد يقول يا اهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النيران و اعبدوا الله الملك الرحمن فحصل عند اهل المدينة فزع و اجتمعوا عند ابي و هو ملك المدينة و قالوا له ما هذا الصوت المزعج الذي سمعناه فادهشنا من شدة فزعه فقال لهم لا يهولنكم الصوت و لا يخوفكم و لا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول ابي و لم يزالوا مكبين على عبادة النار و زادوا في طغيانهم الى مدة سنة لميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوه و ثالثا على ثلث سنين في كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت و السخط من السماء بعد طلوع الفجر فسخطوا احجارا سودا و دوابهم و انعامهم و لم يسلم من اهل هذه المدينة غيرى و من يوم جرت هذه الحركة و انا على هذه الحالة في صلوة و صيام و تلاوة قرآن و قد عيل صبري من الوحدة و ما عندي من يونسني فعند ذلك قلت له و قد سلب لبي يا هذا الشاب هل لك ان تروح معي الى مدينة بغداد و تنظر الى العلماء و الفقهاء و تزداد علما و فهما و فقها و اعلم ان الجارية التي قدامك سيدة قومها و حاكمة على رجال و خدم و غلمان و عندي مركب موثوق بالمتجر و قد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان سببا في اطلاعنا على هذه الامور و كان النصيب في اجتماعنا و لم ازل احسن له التوجه و الاطفه و احايل عليه حتى قبل و انعم به و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى قال لي نعم فبت تلك الليلة تحت رجليه و انا لا اصدق ما انا فيه من الفرح فلما اصبح الصباح قمنا و دخلنا الى الخزائن و اخذنا ما خف حمله و غلا ثمنه و نزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد و الرئيس و هم يفتشون علي فلما راوني فرحوا و اخبرتهم بما رأيت و حكيت لهم على قصة الشاب و سبب سخط هذه المدينة و ما جرا لهم فتعجبوا من ذلك ولما راوني اخواتي هاتين الكلبتين و معي ذلك الشاب حسدوني عليه و صاروا في غيظ و اضمروا المكر ثم طلعنا المركب فرحين و نحن طائرين من الفرح بالكسب و اما فرحي اكثر كان بالشاب و اقمنا ننتظر الريح فطاب لنا الريح فا فردنا القلوع و سافرنا فقعدت اخواتي عندنا و صرنا نتحدث فقالتا لي يا اختنا ما تصنعين مع هذا الشاب الحسن فقلت لهم قصدي اتخذه بعلا ثم التفت اليه و اقبلت عليه و قلت يا سيدي قصدي اقول لك شيئا لاتخالفني فيه و هو انه اذا وصلنا الى بغداد مدينتنا فانا اقدم نفسي لك جارية برسم الحرم و تكون لي بعلا و اكون انا لك اهلا فقال سمعا و طاعة و التفت الى اخواتي و قلت لهم يكفيني هذا الشاب و كل من كسب شيئا فهوله فقلن لي نِعْم ما فعلت لكنهم اضمروالي الشر و لم نزل سائرين و طاب لنا الريح حتى خرجنا من بحر الخوف و دخلنا الامان و سافرنا اياما قلائل الى ان قربنا من مدينة البصرة و لاحت لنا اسوارها فادركنا المساء فلما اخذنا النوم قامت اخواتي و حملوني بفراشي و رموني فى البحر و كذلك فعلوا بالشاب و كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء و اما انا ليتني كنت غرقت معه و لكن

قدر الله اني كنت من السالمين فلما استقريت في البحر رزقني الله بقطعة خشب فركبتها و ضربتني الامواج الى ان رمتني على ساحل جزيرة فلم ازل امشي فى الجزيرة باقي ليلتي و لما اصبح الصباح رأيت طريقا مشى على قدر قدم ابن آدم متصلة من الجزيرة الى البر و قد طلعت الشمس فنشفت اثوابي فى الشمس و اكلت من ثمار الجزيرة و شربت من مائها و سرت فى الطريق و لم ازل سائرة الى ان قربت من البر و قد بقي بيني و بين المدينة ساعتين و اذا انا بحية عامدة علي و هي في غلظ النخلة تسعى سعيا مسرعا و قد اقبلت نحوي فرأيتها تاخذ يمينا و شمالا حتى وصلت عندي فاذا بلسانها قد تدلى على الارض مقدار شبر و تجرف التراب بطولها و خلفها ثعبان طاردها و هو طويل رقيق طول رمح و هي هاربة منه و تلتفت يمينا و شمالا و قد قبض ذنبها و سالت دمعها و قد تدلى لسانها من شدة الهرب فاخذتني الشفقة عليها فعمدت الى حجر والقيته على رأس الثعبان فمات من وقته ففتحت الحية جناحين و طارت فى الجو حتى غابت من عيني و جلست اتعجب من ذلك و قد تعبت و لحقني النعاس فنمت موضعي ساعة فلما افقت وجدت تحت رجلي جارية ومعها كلبتان و هي تكبس رجلي فاستحييت منها و قعدت جالسا و قلت لها يا اختي من تكوني فقالت ما اسرع ما نسيتِني انا الذي عملتِ معي الجميل و زرعتِ المعروف و قتلتِ عدوي فانا الحية التي خلصتِني من الثعبان فاني جنية و هذا الثعبان جني و هو عدوي و ما نجاتي منه الا بكِ فلما نجيتِني منه طرت فى الريح و رحت الى المركب التي رموك منها اخواتك فنقلت جميع ما فيها الى بيتك و غرقتها و اما اخواتك فجعلتهما كلبتين سودا فاني عرفت

جميع ما جرى لك معهم و اما الشاب فانه غرق ثم حملتني و الكلبتين و رمتنا فوق سطح داري فرأيت جميع ما كان فى المركب من الاموال في وسط بيتي و لم يضع منه شئ ثم ان الحية قالت لي و حق النقش الذي على خاتم سيدنا سليمان عليه السلام اذا لم تضربي كل واحدة منهن كل يوم ثلثمائة سوط جئت و جعلتك مثلهما فقلت سمعا و طاعة فلم ازل يا امير المؤمنين اضربهما ذلك الضرب و اشفق عليهما و هما يعرفان ان ما لي ذنب في ضربهما و يقبلان عذري و هذه قصتي و حكايتي قال صاحب الحكاية فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية و انت ما سبب الضرب الذي على جسدك فقالت يا امير المومنين اني كان لي والد فتوفي و خلف مالا كثيرا فاقمت بعده مدة يسيرة و تزوجت برجل اسعد اهل زمانه فاقمت معه سنة و مات فورثت منه ثمانين الف دينار ذهب و هي حصتي بالفريضة الشرعية و فقت في السعادة و شاع خبري فعملت عشر بدلات كل بدلة بالف دينار فبينما انا جالسة في يوم من الايام اذ دخلت علي عجوز بخد مشموط و حاجب ممقوط و عيون مفجرة و اسنان مكسرة و وجه انمش و لحظ اعمش و رأس مجصص و شعر اشهب و جسم اجرب و قد مائل و لون حائل و مخاط سائل كما قال فيها القائل شعر

عجوز النحس لا يرحم صباها و لا يغفر لها يوما تموت
تقود من السياسة الف بغل اذا نفروا بخيط العنكبوت

فلما دخلت العجوز سلمت علي و باست الارض بين يدي و قالت لي عندي بنت يتيمة و الليلة عملت عرسها و جلاها و نحن غرباء في

هذه المدينة ولا نعرف احدا من اهلها و قد انكسرت قلوبنا فاربحى الاجر و الثواب بانك تحضري جلاها حتى تسمعوا استات مدينتنا بانك حضرتي فيحضرن فتكوني جبرة خاطرها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى و بكت و قبلت رجلي و جعلت تقول هذه الابيات

حضوركم لنا شرف و نحن بذلك نعترف
فان غبتم عنا فلا عوض لنا و لا خلف

فاخذتنى الرحمة و الرأفة فقلت سمعا و طاعة و قلت لها انا اعمل معها شيء مع مشيئة الله تعالى و ما اجليها الا بحللي و مصاغي و تراكبي ففرحت العجوز و طأطأت على رجلي تقبلهم و قالت الله يجازيك خيرا و يجبر قلبك مثل ما جبرتِ قلبي و لكن سيدتي لا تكلفي خدمتك من هذا الوقت و لكن تجهزي للعشاء حتى اجيء آخذك و باست يدي و ذهبت فقمت عدلت نفسي و حالي و اذا بالعجوز قد اقبلت و قالت يا سيدتي ان ستات البلد قد حضرن و اخبرتهم بحضورك ففرحوا و هم في انتظارك متطلعين قدومك و تازرت فقمت و اخذت جواري معي و سرت حتى اتينا الى زقاق مكنوس مرشوش هب فيه النسيم و راق فقدمنا الى باب مقنطر بقبة من الرخام شديدة البنيان على باب القصر قد قام من التراب و تعلق بالسحاب مكتوب على الباب هذه الابيات شعر

انا دار بنيت للافراح طول دهري للبسط و الانشراح
و بوسطي فسقية تتدفق بمياه تزيل بالاتراح
و عليها من الشقيق زهور و رد آس و نرجس و اقاح

فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا و دخلنا فوجدنا دهليزا

مفروشا بالبسط و معلق فيه قناديل موقودة و شموع مصفوفة فيها الجواهر و المعادن فمشينا من الدهليز الى ان دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلق فيها القناديل موقودة و الشموع صفين و في صدر القاعة سرير من العرعر مرصع بالدر و الجوهر و عليه بشخانة اطلس مزرر و لم نشعر حتى خرجت صبية من البشخانة فنظرت اليها يا امير المؤمنين فاذا هي اكمل من البدر اذا بدر بجبين ازهر كالصبح اذا اسفر كما قال الشاعر حيث يقـــول

انت على القصرات القيصريات خود من الخفرات الكسرويات
تبدو دلائل خديها موردة ياحسن تلك الخدود العندميات
هيفاء فاترة الالحاظ ناعسة حازت من الحسن انواع الملاحات
كأن طرتها من فوق غرتها ليل الهموم علي صبح المسرات

فنزلت الصبية من البشخانة و قالت لي مرحبا و اهلا و سهلا بالاخت العزيزة الجليلة و الف مرحبا ثم انشدت تقول هذه الابـــيـــات

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم
وانشدت بلسان الحال قائلة اهلا و سهلا باهل الجود و الكرم

ثم جلست و قالت لي يا اختي ان لي اخا و قد رآك ني بعض الافراح و المواسم و هو شاب احسن مني و قد حبك قلبه حبا شديدا لانك حزت من الحسن و الجمال اوفى نصيب و سمع انك سيدة قومك و هو ايضا سيد قومه فاراد ان يصل حبله بحبلك و اعطى هذه الحيلة لاجل اجتماعي بك و يريد يتزوج بك بسنة الله و رسوله و ما في الحلال من عيب قالت فلما سمعت كلامها و رأيت نفسي

قد تجوبت فى الدار قلت للصبية سمعا و طاعة ففرحت و صفقت
على يديها و فتحت بابا و خرج منه شاب مليح الشباب نقي الاثواب
بقد و اعتدال و حسن و جمال و بهاء وكمال و رخيم الدلال بحاجب
كقوس نبال و عيون تختلس القلوب بالسحر الحلال كما قال فيه
بعض واصفيه شعر

له وجه كوجه الهلال و آثار السعادة كاللآلي

و ايضا لله در قائله شعر

تبارك بحسن تبارك الله جل الذي صاغه و سواه
قد حاز كل الجمال منفردا كل الورى في جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته اشهد ان لا مليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبي له و حببته فجلس بجانبي و تحدثت معه
ساعة ثم صفقت الصبية ثاني مرة و اذا بخرستان قد انفتح و خرج منه
قاض و معه اربع شهود فسلموا و جلسوا و كتبت الكتاب على الشاب و
انصرفوا فالتفت الشاب الي و قال لي ليلة مباركة ثم قال يا سيدتي اشرط
عليك شرطا فقلت يا سيدي و ما الشرط فقام و احضر لي مصحفا و قال
احلفي انك لاتنظري احدا غيري و لا تميلي اليه فحلفت على ذلك
ففرح فرحا شديدا و عانقني فاخذت محبته مجامع قلبي و قدموا لنا
السماط فاكلنا و شربنا حتى اكتفينا و دخل علينا فاخذني و دخل الى الفراش
ولم يزل في بوس و عناق الى الصباح و لم يزل على هذه الحالة مدة
شهر و نحن في هنأ و سرور و بعد الشهر استاذنته في اني اسير الى
السوق و اشتري بعض قماش فاذن لي فى الرواح فتزيرت و اخذت
العجوز معي و جارية و نزلت الى السوق فجلست على دكان شاب تاجر

تعرفه العجوز و قالت لي هذا ولد صغير مات ابوه و خلف له مالا كثيرا و عنده متجر عظيم و ما طلبتِه تجده و ما عند احد في السوق احسن من قماشه ثم قالت له هات اعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال سمعا و طاعة فشكرت فيه العجوز فقلت ما لنا حاجة بشكرك فيه و مرادنا ناخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فاخرج لنا ماطلبناه و اخرجنا له الدراهم فابى ان ياخذ شيئا و قال هذه ضيافتكم اليوم عندي فقالت العجوز ان لم تاخذ الدراهم و الا اعطيه قماشه فقال و الله لا آخذ منك شيئا و الجميع هدية من عندي في بوسة واحدة فانها عندي احسن من جميع ما في دكاني فقالت العجوز ما الذي يفيدك من البوسة ثم قالت يا بنتي سمعتِ ما قال هذا الشاب و ما يصيبك اذا اخذ منك بوسة و تاخذي ما تطلبيه فقلت لها انت ما تعرفي اني حالفة فقالت خليه يبوسك و انت ساكتة و لا عليكِ شيء و تا خذي هذه الدراهم و لا زالت تحسن لي هذا الامر حتى ادخلت راسي الجراب و رضيت بذلك ثم اني غطيت عيني و داريت بطرف ازاري من الناس و حط فمه تحت ازاري على خدي فلما باسني عضني عضة قوية قطع من خدي اللحمة فغشي علي ثم اخذتني العجوز في حضنها فلما افقت وجدت الدكان مقفولة و العجوز تظهر لي الحزن و تقول دفع الله ماكان اعظم ثم قالت لي قومي بنا الى البيت و شدي روحك لئلا تنفضحي فاذا وصلتِ الى البيت ارقدي و تضاعفي روحك مريضة و ارمي عليك الغطا و انا اجيء لك بدواء تداوي به هذه العضة فتبرئ سريعا فبعد ساعة قمت من مكاني و انا في غاية الفكر و اشتد بي الخوف و مشيت قليلا قليلا حتى وصلت البيت و صرت في حالة المرض فلما دخل الليل و اذا

بزوجي دخل و قال ما الذي اصابك يا سيدتي في هذه الخرجة
فقلت له ما انا طيبة وجع في راسي فنظر الي فاوقد شمعة و قرب مني
و قال ما هذا الجرح الذي في خدك و هو فى المكان الناعم فقلت
اني لما استاذ نتك و خرجت في هذا النهار اشتري القماش زاحمني
جمل حطب فشرمط نقابي و جرح خدي كما ترى فان المكان ضيق
في هذه المدينة فقال غدا اروح للحاكم و اقول له يشنق كل حطاب
فى المدينة فقلت بالله عليك لا تحتمل خطيئة احد فاني ركبت
حمارا فعثر بي فنزلت على الارض فصادفني عود خدش خدي و
جرحني فقال غدا اطلع لجعفر البر مكي و احكي له الحكاية فيقتل
كل حمار في هذه المدينة فقلت انت تضيع الناس كلهم بسببي و
هذا الذي جرى لى بقضاء الله و قدره فقال لابد من ذلك و لح علي
بالكلام و نهض قائما فنفرت منه و اغلظت كلامي عليه فعند ذلك يا
امير المؤمنين علم بحالى و قال خنتى اليمين و صاح صيحة عظيمة
فانفتح الباب و طلع منه سبع عبيد سود و امرهم فسحبوني من فرشي
و رموني وسط الدار و امر عبدا منهم ان يمسكني من اكتافي
و يجلس على راسي و امر الثاني ان يجلس على ركبتي و يمسك
رجلي و جاء الثالث و في يده سيف فقال له يا سيدي اضربها بالسيف
اقسمها نصفين و كل واحد ياخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة
يأكلها السمك و هذا جزاء من يخون الايمان و المودة و اشتد غضبه
و انشد يقول هذه الابيات

ان كان لي فيمن احب مشاركا منعت الهوى روحي ولوا تلفه وجدي
و قلت لها يا نفس موتي كريمة فلا خير في حب يكون على ضد

ثم قال للعبد اضربها يا سعد فلما تحقق العبد جلس علي و قال يا سيدتي اذكري الشهادة و ماكان لك من الحوائج اخبرينابه فان هذا آخر حيوتك فقلت له يا عبد الخير تمهل علي قليلا حتى اوصيك فرفعت راسي ونظرت الى حالي وكيف صرت في الذل بعد العز فجرت عبرتي و بكيت بكاءا شديدا فنظر الي بعين الغضب و انشد يقول

قل لمن مل وصلنا و جفانا و ارتضى في الهوى خليلا سوانا
بسنا منك قبل بسك منا الذي كان بيننا قد كفانا

فلما سمعته يا امير المومنين بكيت و نظرت اليه و انشدت اقول هذه الابيات شعر

اقمتم فراقي في الهوى و قعدتم و اسهرتم جفني القريح و نمتم
و الفيتم بين السهاد و ناظري فلا القلب يسلاكم و لا الدمع يكتم
و عاهدتموني انكم تحسنوا الوفا فلما تملكتم فوادي غدرتم
عشقتكم طفلا فلم ادر ما الهوى فلا تقتلوني انني متعلم
سالتكموا بالله ان مت فاكتبوا على لوح قبري ان هذا متيم
لعل شجيا عارفا لوعة الهوى يمر على قلب المحب فيرحم

فلما فرغت من شعري بكيت فلما سمع الشعر و نظر الى بكائي ازداد غيظا على غيظه و انشد يقول

تركت حبيب القلب لا عن ملالة و لكن جنى ذنبا يؤدي الى الترك
اراد شريكا فى المحبة بيننا و إيمان قلبي لا يميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت و تضرعت له و قلت في نفسي اخدعيه

بالكلام لعله يعتقني من القتل و لو كان يأخذ جميع ما املك ثم
شكوت اليه ما اجده و انشدت اقول هذه الابيات

و حقك لو انصفتني ما قتلتني ولكن حكم البين ما فيه منصف
و حملتني ثقل الغرام وانني لاعجز عن حمل القميص واضعف
و ما عجبي اتلاف روحي وانما عجبت لجسمي بعدكم كيف يعرف

فلما فرغت من شعري بكيت فنظرني و نهرني و شتمني و انشد
يقول هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا و اظهرتم الهجران ما هكذا كنا
سانترككم من حيث ما قد تركتموا و نصبر عنكم حتى صبركم عنا
و نشغل عنكم مثل شغلتم بغيرنا و نجعل قطع الوصل منكم ولا منا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد و قال له وسّطها و ريحنا منها
فليس لنا فيها فائدة فبينما نحن يا امير المؤمنين نتشاجر بالاشعار
و قد تحققت بالموت و ايست من الحيوة و سلمت امري لله تعالى
و اذا بالعجوز دخلت و رمت نفسها على اقدام الشاب و باستهم و
بكت و قالت يا ولدي بحق تربيتي لك و خدمتي تعفو عن هذه
الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك و انت شاب صغير اخاف
عليك ان تدخل في اثمها و قد قيل كل قاتل مقتول و ايش هذه
الوسخة اتركها عنك و عن بالك و قلبك ثم بكت و لم تزل تلح
عليه حتى رضي و قال عفوت عنها لكن لابد ان اعمل اثرا يصير
عليها بقية عمرها ثم امر العبيد فجذبوني و مددوني بعد ما جردوني
من اثوابي و جلست العبيد عليّ و قام الغلام و احضر قضيبا من

سفرجل و نزل به على جسدي بالضرب و لم يزل يضربني على
ظهري و اجنابي حتى غبت عن الوجود من شدة الضرب و قد ايست
من حيوتي فامر العبيد انه اذا دخل الليل يحملوني و ياخذوا العجوز
معهم تدلهم على البيت و يرموني في بيتي الذي كنت فيه سابقا
ففعلوا ما امرهم به سيدهم و رموني في بيتي و راحوا و لازلت انا
في غشوتي الا و الصباح قد لاح فلاطفت حالي فى المراهم و الادوية
و داويت جسمي و بقيت اضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما تري و
رقدت ضعيفة طريحة الفراش اداوي روحي اربعة اشهر حتى استفقت و
شفيت و جئت الى الدار التي جرى لي فيها ذلك الامر فوجدتها خرابا
و الزقاق مهدودا من اوله الى آخره و صارت الدار كيمانا و لم اعلم
خبرها فجئت الى اختي هذه التي من ابي فوجدت عندها هاتين
الكلبتين السود فسلمت عليها و اخبرتها بخبري و جميع حديثي
فقالت لي يا اختي من ذا الذي من نكبات الزمان سلم الحمد لله
الذي جاء الامر بسلامة و جعلت تــــقــــول

و ما الدهر الا هكذا فاصطبر به اذا رزيت بمال او فراق حبيب

ثم اخبرتني بخبرها و ما جرى لها مع اخواتها و ما قد صاروا اليه
فقعدت انا و هي لا نذكر خبر الزواج على السنتنا ثم صاحبتنا هذه
الصبية الخوشكاشة في كل يوم تخرج تشتري لنا ما نحتاج اليه
من المصالح في يومنا و ليلتنا و صرنا على هذه الحالة الى هذه
الليلة التي مضت فخرجت اختنا تشتري لنا شيئا على جري عادتها
فوقع لنا ما وقع بمجئ الحمال و هؤلاء الثلثة القرندلية فتحادثنا
معهم و ادخلناهم عندنا و اكرمناهم و لم يذهب من الليل برهة حتى

اجتمعنا بثلثة تجار محتشمين من الموصل و حكونا حكايتهم و تحادثنا معهم و كنا شرطنا عليهم شرطا فخالفونا فيه فاننا قابلناهم على مخالفتهم و استخبرناهم عما جرى لهم فحكوا لنا حكايتهم و ما جرى لهم فعفونا عنهم و انفصلوا عنا و ما نشعر اليوم حتى حضرنا بين يديك و هذه حكايتنا فتعجب الخليفة منها و جعل لها تاريخا في خزانته و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة امر ان تكتب هذه القصة في الدواوين و يجعلوها في خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندك خبر من العفريتة التي سحرت اخواتك قالت يا امير المؤمنين انها اعطتني شيأ من شعرها و قالت متى اردت حضوري فاحرقي من هذا الشعر شعرة فاحضر اليكِ عاجلا و لو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضري لي الشعر فاحضرته الصبية فاخذه الخليفة و حرقه فلما ظهرت رائحته اهتز القصر و سمعوا دويا و قرقعة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية زرعت معي جميلا و لا اقدر اكافيها عليه و هي انقذتني من الموت و قتلت عدوي و رأيت ما فعلتْ معها اخواتها فما رأيت الا اني انتقم منهم و اسحرهم كلابا بعد ان اردت قتلهم فخشيت ان يصعب عليها و الآن ان اردت خلاصهم يا امير المؤمنين اخلصهم كرامة لك و لها فاني من المسلمين فقال لها خلصيهم و بعد ذلك نشرع في امر الصبية المضروبة و نفحص عن حالها فاذا ظهرلي صدقها اخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا امير المؤمنين ها انا اخلصهم و ادلك على من فعل بهذه

الصبية و ظلمها و اخذ مالها و هو اقرب الناس اليك ثم ان العفريتة اخذت طاسة من الماء و عزمت عليها وتكلمت بكلام لا افهم و رشت وجه الكلبتين و قالت لهم عودوا الى صورتكم الاولى البشرية فعادوا الى صورتهم التي كانوا عليها ثم قالت العفريتة يا امير المؤمنين ان الذي ضرب الصبية ولدك الامين اخ المامون فانه كان يسمع بحسنها و جمالها و نصب عليها حيلة و تزوجها بالحلال و هو ماله ذنب في ضربها فانه اشترط عليها و حلفها ايمانا عظيمة ان لا تفعل شيئا و قد خانت اليمين فاراد قتلها فخاف الله تعالى فضربها هذا الضرب و اعادها الى مكانها و هذه قصة البنت الثانية والله اعلم فلما سمع الخليفة ذلك من كلام العفريتة و علم ضرب الصبية تعجب كل العجب و قال سبحان الله العلي العظيم الذي منّ عليّ بهذا و تخلص البنتين من السحر و العذاب و منّ عليّ بخبر هذه الصبية و الله لاعملن عملا يكتب بعدي ثم احضر ولده الامين بين يديه و ساله عن قصة الصبية الاولى فاخبره على وجه الحق ثم احضر القضاة و الشهود و احضر القرندلية الثلثة و احضر الصبية الاولى و اخواتها اللتين كانتا مسحورتين و زوج الثلث للثلثة القرندلية الذين اخبروا انهم كانوا ملوكا و عملهم حجابا عنده و اعطاهم ما يحتاجون اليه و اجرى لهم جرايات و انزلهم في قصر بغداد و رد الصبية المضروبة لولده الامين و جدد كتابه و اعطاها مالا كثيرا و امر ان تبنى الدار احسن ما كانت و اما الخليفة فقد تزوج بالخشكاشة و رقد في تلك الليلة معها فلما اصبح افرد لها بيتا وجوارى لخدمتها و رتب لها رواتب و جعل لها بيتا بسراريه فتعجب الناس من كرم الخليفة و سماحة نفسه و حكمته ثم امر الخليفة ان يورخوا

قصص هؤلاء جميعهم قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختاه و الله
هذه قصة جميلة لطيفة لا يسمع مثلها قط و لكن احكي لي قصة
اخري لنقضي ما بقي من سهر ليلتنا هذا قالت حبا وكرامة ان اذن
لي الملك فقال الملك قصي قصتك و اعجلي فقالت زعموا يا ملك
الزمان و صاحب العصر و الاوان ان الخليفة هارون الرشيد احضر ليلة
من الليالي وزيره جعفرا و قال له اريد ان انزل المدينة و
نسأل العامة عن احوال الحكام المتولين و كل من شكوا منه عزلناه
و من شكروا منه اوليناه فقال جعفر سمعا و طاعة فلما نزل
الخليفة و جعفر و مسرور و شقوا فى المدينة و مشوا فى الا سواق و
الشوارع فاجتازوا على زقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة و قفة و
في يده عصا و هو ماش على مهله ينشد و يـــــــقـــــــول

يقـولون لي انت بيـن الوري بعـلـمـك كالليـلـة المـقمره
فـقـلـت دعوني من اقوالـكم فلا عـلـم الا مـع المقـدره
فـلـو رهنوني و علمي معـي و كل الدفا تـرو المحـبـره
على قـوت يوم فرد الـرهان و ارموا الى القصـة المحـقـره
فا ما الفـقير و حال الـفـقـير و عـيـش الفقير فمـا اكـدره
و فى الصيف يعجز عن قوتـه و فى البرد يدفي على المجمره
تـقـوم عليه كلاب الـطـريق و كل لئـيـم بذا يـنـهـره
اذا ما شكـى حاله لامـرئ فما في البريـة من يعـذره
اذا كان هذا حيـوة الفقـيـر فاصلح ما كان فى المقـبـره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير و انظر

هذا الشعر فانه يدل على احتيابه ثم الخليفة تقدم اليه و قال له
ياشيخ ما صنعتك فقال يا سيدي انا صياد و عندى عيلة و خرجت من
بيتي من نصف النهار الى هذا الوقت لم يقسم الله شيئا اقوت به
عيالي و قد كرهت نفسي و تمنيت الموت فقال الخليفة هل لك ان
ترجع معنا البحر و تقف على شاطئ الدجلة و ترمي شبكتك على بختي
و مهما طلع اشتريه منك بمائة دينار ففرح لما سمع هذا الكلام و
قال على رأسي ارجع معكم ثم ان الصياد رجع معهم الى البحر و رمى
شبكته و صبر عليها ثم انه جذب الخيط و جر الشبكة اليه فطلع
فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه
فوجده ثقيلا فاعطى للصياد مائة دينار و انصرف و حمل الصندوق
مسرور مع الخليفة و طلعوا به الى القصر و اوقدوا الشموع و الصندوق
بين يدي الخليفة فتقدم جعفر و مسرور وكسروا الصندوق فوجدوا
فيه قفة خوص مخيطة بخيط صوف احمر فقطعوا القفة فرأوا فيها فردة
بساط فشالوا الفردة فوجدوا ازارا و وجدوا فيه صبية كأنها سبيكة فضة
مقتولة مقطعة فلما نظرها الخليفة تاسف و جرت دموعه على خده
و التفت الى جعفر و قال يا كلب الوزرا تقتل القتلى في زمني و يرموهم
فى البحر و يصيرون متعلقين بذمتي يوم القيامة و الله لابد ان
آخذ حق هذه الصبية ممن قتلها و لا قتلنه شرقتلة وقال لجعفر و
حق اتصال نسبى با لخليفة من بني العباس ان لم تاتني بالذى قتل
هذه لا نصفها منه شنقتك على باب قصري و اربعين من بني عمك
و اغتاظ الخليفة غيظا شديدا فخرج جعفر من بين يديه و قال له
امهلني ثلثة ايام قال امهلتك فنزل جعفر المدينة و هو حزين
و قال في نفسه من اين اعرف من قتل هذه الصبية حتى اني احضره

للخليفة و ان احضرت له غيره يصير متعلقا في ذمتي و لا ادري ما اصنع ثم ان جعفرا جلس في بيته ثلثة ايام و في اليوم الرابع ارسل الخليفة وراءه بعض الحجاب يطلبه فطلع اليه فقال الخليفة له اين قاتل الصبية قال جعفر يا امير المومنين انا كنت عريف القتلى حتى اعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة و امر بشنقه تحت قصره و امر مناديا ينادي في شوارع بغداد من اراد الفرجة على شنق جعفر البرمكي وزير الخليفة و شنق اربعين برمكيا من اولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج يتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات يتفرجون على شنق جعفر و اولاد عمه و لم يعلموا سبب شنقهم و نصبوا الخشب و اوقفوهم تحته لاجل الشنق و صاروا ينتظرون الاذن من الخليفة و كانت الاشارة هكذا و صار الخلق يتباكون على جعفر و اولاد عمه فبينما هم كذلك و اذا بشاب حسن الوجه نقي الاثواب بوجه اقمر و طرف احور و جبين ازهر و خد احمر و عذار اخضر و شامة كأنه قرص عنبر و مازال يفسح الناس الى ان وقف بين يدي جعفر فقال له سلامتك من هذه الوقفة يا سيد الامراء و كهف الفقراء الذي قتل القتيلة التي وجدتموها في الصندوق انا فاشنقني عنها و خذ حقها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب و ما ابداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه و حزن على الشاب فبينما هم في الكلام و اذا بشيخ كبير طاعن في السن يفسح الناس و يشق بين الخلائق الى ان وصل الى جعفر و الشاب فسلم عليهما فقال ايها الوزير و السيد الخطير لا تصدق كلام هذا الشاب فيما يقول فانه ما قتل الصبية الا انا فخذ حقها مني او اطالبك بين يدي الله تعالى ان لم تفعل فقال الشاب ايها الوزير هذا شيخ كبير خرفان لا يدري ما يقول و انا الذي قتلتها فخذ

حقها مني فقال الشيخ يا ولدي انت صغير تشتهي الدنيا و انا كبير شبعت من الدنيا و انا انديك بروحي و اندي الوزير و بني عمه و ما قتل الصبية الا انا فبالله عليك عجل بشنقي فلا حيوة لي بعدها فلما نظر الوزير الى ذلك تعجب و اخذ الشاب و الشيخ و طلع بهما الى الخليفة و قبل الارض و قال يا امير المؤمنين قد احضرنا قاتل الصبية فقال الخليفة اين هو فقال ان هذا الشاب يقول انه هو القاتل و هذا الشيخ يكذبه و يقول هو القاتل و ها هما بين يديك فنظر الخليفة الى الشيخ و الشاب و قال من فيكم قتل هذه الصبية فقال الشاب انا و قال الشيخ ما قتلها الا انا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين و اشنقهما فقال جعفر اذا كان احدهما قتل فشنق الثاني ظلم فقال الشاب و حق من رفع السماء و بسط الارض انا الذي قتلت الصبية و ادى امارة قتلتها و وصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة ان الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة من قصتهما و قال ما سبب قتلك لهذه الصبية بغير حق وايش سبب اقرارك بالقتل من غير ضرب و مجيئك بنفسك في هذا و تقول خذوا حقها مني فقال الشاب اعلم يا امير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتي و بنت عمي و هذا الشيخ ابوها و هو عمي و تزوجت بها و هي بكر فرزقني الله منها ثلثة اولاد ذكور و كانت تحبني و تخدمني و لم ار عليها سوءا و كنت انا ايضا احبها حبا عظيما الى ان كان اول هذا الشهر فمرضت مرضا شديدا فاحضرت لها الاطباء فتوجهت لها العافية قليلا قليلا فاردت ان ادخلها الحمام فقالت اني اريد شيئا قبل دخول الحمام فقد اشتهيته فقلت لها سمعا و طاعة و ما هو فقالت اني اشتهى تفاحة اشمها و اعض منها عضة فدخلت من ساعتي

٢

المدينة و فتشت على التفاح فلم اجده و لو كانت الواحدة بدينار
لاشتريتها فشق عليَّ ذلك وطلعت الى البيت و قلت لها يابنت عمي
والله مالقيت شيئا فتشوشت و هي ضعيفة و زاد عليها الضعف تلك
الليلة كثيرا فبت وانا متفكر فلما اصبح الصباح خرجت من بيتي و
درت على البساتين واحدا واحدا فلم اجده فيها فصادفني خَولي كبير
فسألته عن التفاح فقال يا ولدي هذا شيء قل ان يوجد و هو معدوم
ولا يوجد الا في بستان امير المؤمنين الذي فى البصرة و هو عند
الخَولي يدخره للخليفة فجئت الى البيت و قد حملتني محبتي لها
و مودتي على ان سافرت و هيأت لي نفسي و سافرت خمسة عشر
يوما ليلا و نهارا فى الذهاب والاياب و جئت لها ثلث تفاحات
اشتريتهم من خولي البصرة بثلثة دنانير و دخلت و ناولتهم لها فلم
تفرح بهم و تركتهم عن جانبها وكان قد زاد بها الضعف والحمى
ولم تزل في ضعفها الى ان مضى لها عشرة ايام وبعد ذلك عوفيت
فخرجت من البيت وذهبت الى دكاني و جلست في بيعي وشرائي
فبينما انا جالس وسط النهار واذا بعبد اسود فائت علي و في يده
تفاحة من تلك التفا حات الثلث يلعب بها فقلت له يا عبدالخير
من اين اخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك و قال اخذتها
من حبيبتي و انا كنت غائبا و جئت فوجدتها ضعيفة و عند ها
ثلث تفاحات قالت لي ان زوجي القرنان سافر من شانهم البصرة
اشتراهم بثلثة دنانير فاخذت منهم هذه التفاحة فلما سمعت يا
امير المؤمنين كلام العبد اسودت الدنيا في وجهي و قمت فقفلت
دكاني وجئت الى البيت و انا عادم العقل من شدة الغيظ و نظرت
الى التفاح فلم اجد الاّثنتين فقلت لها اين الثالثة فقالت لا ادري

و لا اعرف فتحققت قول العبد فقمت و اخذت سكينا و جئت من
خلفها و ما كلمتها حتى ركبت على صدرها و نحرتها بالسكين و قطعت
رأسها و حطيتها فى القفة بسرعة و غطيتها بالازار و خيطتها و
حطيت عليها شقة من البساط و انزلتها الصندوق و قفلته و حملتها
على بغلتي و رميتها فى الدجلة بيدي فبالله عليك يا امير المؤمنين
عجل بشنقي فاني خائف من مطالبتها لي يوم القيمة فاني لما
رميتها في بحر الدجلة و لم يعلم بها احد رجعت الى البيت وجدت
ولدى الكبير يبكي و لم يكن له علم بما فعلتُ في امه فقلت له ما
يبكيك يا ولدى فقال اني اخذت تفاحة من التفاح الذي عند امي
و نزلت بها الى الزقاق العب مع اخوتي و اذا بعبد اسود طويل
خطفها مني وقال لي هذه جاءتك من اين فقلت له هذه سافر لها
ابي و جاء بها من البصرة من اجل امي و هي ضعيفة و اشترى
ثلث تفاحات بثلثة دنانير ثم اخذها و لم يلتفت الي فعدت
له القول ثانيا و ثالثا و لم يلتفت الي و ضربني و راح بها فخفت
من امي تضربني من شان التفاحة فغبت انا و اخوتي من خوفها الى
ظاهر المدينة و قد امسى المساً علينا و انا خائف منها فبالله يا ابي
لا تقل لها شيئا تزداد ضعفا على ضعفها فلما سمعت كلام الولد علمت
ان العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي و تحققت
انها قتلت ظلما ثم اني بكيت بكاء شديدا و اذا بهذا الشيخ و هو
عمي والدها قد اقبل فاخبرته بما كان فجلس بجانبي و بكى و
لم نزل نبكي الى نصف الليل و اقمنا العزا خمسة ايام لهذا اليوم
و نحن نتأسف على قتلها ظلما و كل ذلك كان من تحت رأس
العبد و هذا سبب قتلها فبحرمة اجدادك عجل بقتلي فلا حيوة لي

بعدها و خذحقها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب و قال
والله لا اشنق الا العبد الملعون و لاَ عْمل عملا يشفى العليل
ويرضى الملك الجليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العشرون قالت بلغني ايها الملك السعيد

ان الخليفة حلف انه لا يشنق الا العبد فان الشاب معذور ثم ان
الخليفة التفت الى جعفر و قال له احضر لي هذا العبد الملعون
الذي جرت منه هذه القضية و ان لم تحضره فانت عوضه فنزل
جعفر يبكي و يقول حضر لي موتتين و لا كل مرة تسلم الجرة و
ليس في هذا الامر حيلة و الذي سلمني فى الاول يسلمني فى الثاني
و الله ما بقيت اخرج من بيتي ثلثة ايام و الحق يفعل ما يشاء ثم اقام
في بيته ثلثة ايام و في اليوم الرابع احضر القضاة و الشهود و ودع اولاده
وهو يبكي و اذا برسول الخليفة اتى اليه و قال له ان امير المؤمنين
في اشد ما يكون من الغضب و ارسل بطلبك و حلف انه لا يمر
هذا النهار الا و انت مشنوق فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى و بكوا
اولاده و عبيده مع كل من فى الدار فلما فرغ من التوديع تقدم
الى بنته الصغيرة ليو دعها و كان يحبها اكثر من اولاده جميعا
فضمها الى صدره و باسها و بكى على فراقها فوجد في جيبها شيئا
مكببا فقال لها ما الذي في جيبكِ فقالت له يا ابت تفاحة مكتوب
عليها اسم مولانا الخليفة جاء بها عبدنا ريحان و لها معي اربعة ايام
و ما اعطا هالي حتى اخذ مني دينارين فلما سمع جعفر بذلك
العبد و التفاحة فرح و حط يده في جيب ابنته و اخرج التفاحة
فعرفها وقال يا قريب الفرج ثم انه امر باحضار العبد فحضر فقال له
و يلك ريحان من اين لك هذه التفاحة فقال العبد و الله ياسيدي

ان كان الكذب انجا فالصدق انجا و انجا هذه التفاحة ما سرقتها لا من قصرك و لا من قصر الحضرة و لا من بستان امير المؤمنين و انما هذه من مدة خمسة ايام مشيت فدخلت الى بعض ازقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون و مع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه و ضربته فبكى و قال يا فتى هذه لامي وهي مريضة وقد اشتهت على ابي التفاحة فسافر الى البصرة وجاء لها ثلث تفاحات بثلثة دنانير فسرقتُ منهم واحدة العب بها ثم بكى فلم التفت اليه و اخذتُها و جئت هنا فاخذ تها ستي الصغيرة بدينارين ذهب و هذه حكايتي فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون ان الفتنة و قتل الصبية من عبده و حزن لنسبة العبد له و فرح لخلاص نفسه ثم انشد يقول شعرا

إِذَا جَاءَ ٱلْمُصِيْبَةُ فِيْ غُلَامٍ فَتَجْعَلْهُ لِنَفْسِكَ مِنْ فِدَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ خَدَمًا كَثِيْرًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

ثم انه مسك بيد العبد و طلع به للخليفة و حكى له قصته من اولها الى آخرها فتعجب الخليفة كل العجب و ضحك حتى انقلب و امران تورخ هذه الحكاية و تجعل سيرا بين الناس فقال لا تعجب يا امير المؤمنين من هذه القصة فماهي اعجب من حديث الوزير نور الدين علي المصري

حكاية الوزير نور الدين واخيه

و شمس الدين محمد اخيه فقال الخليفة هات و ما التي اعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا امير المؤمنين لا احدثك الا بشرط

ان تعتق عبدي من القتل فقال ان كان اعجب مما اتفق لنا وهبت دمه لك و ان لم يكن با عجب قتلت عبدك فقال جعفر اعلم يا امير المؤمنين انه كان في سالف الزمان بارض مصر سلطان صاحب عدل و امان يحب الفقراء و يجالس العلماء و له وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كانهما قمران لم يرُ مثلهما فى الحسن والجمال وكان اسم الكبير شمس الدين محمد و اسم الصغير نور الدين علي و كان الصغير اميز من الكبير فى الصباحة والملاحة حتى ان في بعض البلدان تسامعوا به فسافروا الى بلاده لاجل روٴية جماله فاتفق ان والدهم مات فحزن عليه السلطان و اقبل على الولدين و قربهما و اخلع عليهما و قال لهما انتم في مرتبة ابيكم فلا تكدر واخواطركم ففرحوا و قبلوا الارض بين يديه و عملوا العزا لابيهم الى اتمام شهر ثم دخلوا فى الوزارة و صار الحكم بايديهما كما كان بيد ابيهما وكان اذا اراد السلطان السفر يسافر واحد منهما فاتفق في ليلة من الليالي وكانت سفر الكبير مع السلطان فبينما هم يتحدثون اذ قال الكبير للصغير يا اخي قصدي ان اتزوج انا و انت في ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا اخي ما تريد فاني موافقك على ماتقول فاتفقوا على ذلك ثم ان الكبير قال لاخيه ان قدر الله و خطبنا بنتين و دخلنا في ليلة واحدة و وضعتا في يوم واحد وا راد الله وجاءت زوجتك بصبي و جاءت زوجتي ببنت نزوجهما لبعضهما و يصيرا اولاد عم فقال نور الدين يا اخي ما تاخذ من ولدي في مهر بنتك فقال آخذ من ولدك لبنتي ثلثة آلاف دينار و ثلث بساتين و ثلث ضياع و ان كتب الشاب بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر

بالشرط على ولدي اما تعلم اننا اخوة و نحن الاثنان بفضل الله وزراء
ونحن في مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدي
من غير مهر وان كان لابد من مهر فتجعل شيئا معلوما ليظهر للناس
فانك تعلم ان الذكر افضل من الانثى و ولدي ذكر و نذكربه بخلاف
ابنتك فقال و مالها فقال لا نذكربها بين الامراء و لكن انت تريد ان
تفعل معي كما فعل بعضهم قيل ان بعض الناس تدم على بعض
اصحابه فقصده في حاجة فقال بسم الله نقضي حاجتك و لكن غدا
فانشد في الجواب شـــــعـــــرا

اِذَا كَانَ فِي الْحَاجَاتِ مَهْلاً اِلَى غَدٍ فَذَاكَ يَكُوْنُ طَرْدًا لِمَنْ كَانَ عَارِفًا

فقال له شمس الدين اراك تقصر وتعمل بنتك افضل من ابني لاشك
انك ناقص عقل و لالك اخلاق تذكر شركة الوزارة وانا ما ادخلتك
معي في الوزارة الا شفقة عليك و تبقى تساعدني و تكون لي معينا
ولا اكسر بخاطرك و حيثما هذا القول قولك و الله لا ازوج بنتي
لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام اخيه اغتاظ
و قال و انا ما بقيت ازوج ابني ابنتك فقال شمس الدين انا لا
ارضاه لها بعلا و لولا اني في السفر لكنت عملت معك العبر و لكن
لما ارجع من سفري فرّج اريك ماتقتضي مروتي فلما سمع نورالدين
من اخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا و غاب عن الدنيا وكتم ما به
وبات كل واحد في ناحية فاما اصبح الصباح برز السلطان للسفر
و غدا في الجيزة و قصد الاهرام و صحبه الوزير شمس الدين و اما
ما كان من امر اخيه نور الدين فبات تلك الليلة في اشد ما يكون
من الغيظ فلما اصبح الصباح قام و صلى الصبح و عمد الى خزانته

واخذ منها خرجا صغيرا و ملأه ذهبا و تذكر قول اخيه و حقارته عنده فانشد و جعل يقول هذه الابيات

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ ۔ وَانْصَبْ فَانَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمَقَرِّ لِذِي عِزًّا وَ لَا أَرَبًا ۔ سِوَى الْعَنَا فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ ۔ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَالْبَدْرُ لَوْلَا أُفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ ۔ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ
وَالْأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا اقْتَنَصَتْ ۔ وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَالتِّبْرُ كَالتُّرْبِ مُلْقًى فِي مَعَادِنِهِ ۔ وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ ۔ وَإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَا زَادَ فِي الذَّهَبِ

فلما فرغ من شعره امر بعض غلمانه ان يشد له بغلة النوبة بسرجها المضرب وهي بغلة زرزورية عالية الظهر كأنها قبة مبنية سرجها ذهب و ركاباتها هندية عليها عَباءة كسروية و هي كأنها عروسة مجلية و امره ان يجعل عليها بساطا حريرا و سجادة و جعل الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام و العبيد قصدي اتفرج خارج المدينة واروح نواحي القليوبية و ابات ثلث ليال فلا احد منكم يتبعني فان عندي ضيق صدر وا سرع و ركب البغلة واخذ معه شيئا قليلا من الزاد و خرج من مصر و استقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخل على مدينة بلبيس فنزل عن بغلته و استراح وريَّح البغلة واخذ شيئا من الزاد فاكله و اخذ من بلبيس ما يأكله و ما يعلفه على بغلته و استقبل البر فما جاء عليه الليل حتى دخل بلدا يقال لها السعديه فبات بها واخرج شيئا اكله و حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط و نام في مكان البرية و الغيظ غالب عليه ثم انه

بات في ذلك المكان فلما اصبح الصباح ركب و سار يسوق البغلة الى
ان و صل الى مدينة حلب فنزل في بعض الخانات و اقام ثلثة ايام
حتى استراح وريح البغلة و شم الهواء ثم عزم على السفر و ركب بغلته
و خرج مسافرا لا يدري اين يذهب ولم يزل سائرا الى ان اقبل على
مدينة البصرة و لم يشعر بذلك حتى نزل الى الخان فانزل الخرج
عن البغلة و فرش السجادة و اعطى البغلة بعدتها للبواب يسيّرها
فاخذها و سيّرها فاتفق ان وزير البصرة جالس في شباك قصره
فنظر الى البغلة و نظر ما عليها من العدة المثمنة فظنها بغلة موكب
و مركوب وزراء او ملوك فتفكر في ذلك و حار عقله و قال لبعض
غلمانه ائتني بهذا البواب فذهب الغلام و اتى بالبواب للوزير فتقدم
البواب و باس الارض وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من يكن
صاحب هذه البغلة و ما صفاته فقال البواب يا سيدي صاحب هذه البغلة
شاب صغير ظريف الشمائل عليه هيبة ووقار من اولاد التجار فلما
سمع الوزير كلام البواب قام على حيله وركب و سار الى الخان
و دخل على الشاب فلما راى نور الدين الوزير قادم عليه قام على
حيله و لاقاه و سلم عليه فرحب به الوزير و نزل من على جواده و
احتضنه و اجلسه عنده و قال له يا ولدي من اين اقبلت وماذا تريد
فقال نور الدين يا مولاي اني قدمت من مدينة مصر و كنت
ابن وزير فيها وقد انتقل ابي الى رحمة الله تعالى و اخبره
بما جرى له من المبتدا الى المنتهى قال و قد عزمت على نفسي
اني لا اعود ابدا حتى اشق جميع المدن و البلدان فلما سمع
الوزير كلامه قال له ولدي لاتطاوع النفس فترميك في الهلاك فان
البلاد خراب و انا اخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه حمل

خرجه على بغلته و اخذ البساط و السجادة و اخذ نور الدين معه الى
بيته و انزله في مكان ظريف و اكرمه و احسن اليه و حبه حبا شديدا
و قال له يا ولدي انا بقيت رجلا كبيرا و لم يكن لي ولد ذكر و قد
رزقني الله بنتا تعادلك في الحسن ومنعت عنها خُطّاب كثير و قد وقع
حبك في قلبي فهل لك ان تقبل ابنتي جارية لخدمتك و تكون
لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع بك الى سلطان البصرة واقول له انه
ولد اخي و او صلك الى ان اجعلك وزيرة مكاني والزم انا بيتي
فاني بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام و زير البصرة اطرق
برأسه و قال سمعا و طاعة ففرح الوزير و امر غلمانه ان يضعوا له
طعاما و ان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة التي ترسم فيها اعراس الامراء
ثم جمع اصحابه و دعا اكابر الدولة و تجار البصرة فحضروا بين يديه
فقال لهم اني كان لي اخ و زير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين
و انا كما تعلمون رزقني الله بنتا و كان اخي اوصاني اني ازوج بنتي
لاحد اولاده فاجبته لذلك فلما استحق الزواج ارسل اليّ احد اولاده
و هو هذا الشاب الحاضر فلما جاءني جئت ان اكتب كتابه على بنتي
و يدخل بها عندي و هو اولى من الغريب و بعد ذلك ان شاء يقعد
عندي و ان شاء للسفر اسيّر هو و زوجته الى ابيه فقالوا جميعا
نِعْمَ ما رأيت و نظروا الى الشاب فلما رأوه اعجبهم فاحضر الوزير
الشهود و القضاة وكتبوا الكتاب و اطلقوا البخور و شربوا السكر و رشوا
الماء ورد و انصرفوا و اما الوزير فامر غلمانه ان يأخذوا نور الدين
و يدخلوا به الحمام و اعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه و ارسل
له المناشف و الطاسات و مجامر البخور و ما يحتاج اليه فلما خرج
و لبس البدلة صار كالبدر اذا بدر ليلة اربعة عشر فلما خرج من

الحمام ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يديه ورحب به وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفي غد اطلع بك الى السلطان وارجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من امر نور الدين واما ما كان من امر اخيه فانه غاب مع السلطان مدة في السفر ورجع فلم يجد اخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال انا رائح ناحية القليوبية اغيب يوما او يومين فان صدري ضاق ولا احد يتبعني ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش شمس الدين على فراق اخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال في نفسه ما هو الا مما نهرته في تلك الليلة اخذ على خاطره وخرج مسافرا فلا بد ان ارسل خلفه ثم طلع واعلم السلطان وكتب بطاقات وارسل البريد الى نوابه في جميع البلاد ونور الدين في مدة العشرين يوما التي غابوها قطع بلادا بعيدة ففتشوا ولم يقعوا له على خبر فرجعوا وايس شمس الدين من اخيه وقال لقد فرطت في اخي بكلامي له على زواج الاولاد قبل ذلك ان يكون وما كان ذلك الا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه ودخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه في خلقه وكان كما قالاه وحملوا النساء منهما وقد وضعت

زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى في مصر احسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لايرى في زمانه احسن منه كما قال فيه الشاعر

شعر

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ تَغْدُو الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

وقال آخر شعرا

اِنْ جِيءَ بِالْحُسْنِ كَيْ يُقَاسُ بِهِ يُنَكِّسُ الْحُسْنُ رَأْسَهُ خَجَلَا
اَوْ قِيلَ يَا حُسْنُ هَلْ رَأَيْتَ كَذَا فَقَالَ اَمَّا كَذَا رَأَيْتُ فَلَا

فسماه بدر الدين حسن و فرح به جده و زير البصرة و صنع الولائم و عمل اسمطا تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة اخذ معه نور الدين و طلع به الى السلطان فلما اقبل قدامه قبل الارض بين يديه وكان فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان وانشد يقول شعرا

دَامَتْ لَكَ الْاِنْعَامُ يَاسَيِّدِي وَدُمْتَ مَا دَامَ الدُّجَا وَالْفَجْرُ
يَا مَنْ اِذَا مَا ذُكِرَتْ هِمَّتُهُ رَقَصَ الزَّمَانُ وَصَفَّقَ الدَّهْرُ

فقام لهما السلطان و شكر نور الدين على ما قال و قال لوزيره من هذا الشاب فقال له الوزير قصته من اولها الى آخرها و قال له هذا ابن اخي فقال له وكيف يكون ابن اخيك و لم نسمع به فقال يا مولانا السلطان انه كان لي اخ وزير بالديار المصرية و قد مات و خلف ولدين فالكبير جلس مكان والده و زيرا و هذا ولده الصغير جاء عندي و حلفت اني لا ازوج بنتي الا له فلما جاء زوّجته بها وهو شاب و انا

بقيت شيخا كبيرا و قلّ سمعي و عجز تدبيري و القصد من مولانا السلطان ان يجعله في مرتبتي فانه ابن اخي و زوج ابنتي و هو اهل للوزارة لانه صاحب رأي و تدبير فنظر السلطان اليه فلاق بخاطره فانعم عليه بما اراده الوزير وقدمه فى الوزارة و امرله بخلعة عظيمة وامرله السلطان ببغلة من خاص مركوبه و عين له الرواتب والجوامك فقبّل نور الدين يد السلطان و نزل هو و صهره الى منزلهما و هم في غاية الفرح و قالوا هذا بكعب المولود حسن ثم ان نور الدين توجه ثاني يوم عند الملك و قبل الارض

وانشد يقول

سَعَادَاتٌ تُجَدِّدُ كُلَّ يَوْمٍ وَ اِقْبَالٌ عَلَى كَيْدِ الْحَسُوْدِ
فَمَا زَالَتْ لَكَ الْاَيَّامُ بِيْضٌ وَ اَيَّامُ الَّذِيْ عَادَاكَ سُوْدُ

فامره السلطان بالجلوس في مرتبة الوزارة فجلس و تعاطى امور خدمته و نظر بين الناس في امورهم و احكامهم كما جرت عادة الوزراء و صار السلطان ينظر اليه و يتعجب من امره و عقله و تدبيره و تصريفه فحبه و قربه اليه و لما انصرف الديوان نزل نور الدين الى بيته و حكى لصهره ما وقع ففرح و لم يزل نور الدين فى الوزارة حتى انه لا يفارق السلطان لا في ليل ولا في نهار و زاد له الجوامك والجرايات الى ان اتسع له الحال و صار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر و صار له عبيد و مماليك و عمّر املاكا كثيرة و دوا لب و بساتين و صار عمر ولده حسن اربع سنين فتوفي الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة و واراه فى التراب ثم اشتغل نور الدين بتربية ولده فلما اشتد و صار له من العمر سبع سنين

احضر له فقيها يقرئه في بيته و اوصاه بتعليمه وادبه و حسن تربيته فقرأه و حفظه فوائد فى العلم و عاد القرآن في مدة سنوات وما زال حسن يزداد جمالا وقدا و اعتدالا

كما قيل شعر

قَمَرٌ تَكَامَلَ فِي سَمَاءِ جَمَالِهِ وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ مِنْ شَقَائِقِ خَدِّهِ
مَلَكَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ فَكَأَنَّمَا حُسْنُ الْبَرِيَّةِ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِهِ

وقد رباه الفقيه في قصر ابيه و من حين نشأ لم يخرج من قصر الوزارة ففي يوم من بعض الايام اخذه والده الوزير نور الدين و البسه بدلة من افخر ملبوسه و ركبه بغلة من خيار بغاله و طلع به الى السلطان و دخل به عليه فنظر الملك بدر الدين حسن ابن الوزير نور الدين فاعجبه و حبه و اما اهل المملكة لما مر عليهم اول مرة و هو طالع مع ابيه الى الملك فانبهتوا من حسنه و جلسوا في طريقه ينتظرون عوده عليهم ليتفرجوا عليه و على حسنه و جماله و قده و اعتداله كما قيل فيه هذه الابيات شعر

رَصَدَ الْمُنَجِّمُ لَيْلَةً فَبَدَا لَهُ قَدُّ الْمَلِيحِ يَتِيهُ فِي بُرْدَيْهِ
وَ تَأَمَّلَ الْجَوْزَاءُ اِذْ نَشَرَتْ لَهُ حُسْنَ الْجَمَالِ يَلُوحُ مِنْ عِطْفَيْهِ
وَ اَتَى لَهُ زُحَلُ السَّوَادَ بِشَعْرِهِ وَحَبَاهُ لَوْنُ الْمِسْكِ فِي صُدْغَيْهِ
اَهْدَى لَهُ الْمِرِّيخُ حُمْرَةَ خَدِّهِ وَ الْقَوْسُ يَرْمِي النَّبْلَ مِنْ جَفْنَيْهِ
وَ عُطَارِدٌ اَعْطَاهُ فَرْطَ ذَكَائِهِ وَ اَبَا السُّهَا نَظَرَ الْوُشَاةِ اِلَيْهِ
فَبَقِي الْمُنَجِّمُ حَائِراً مِمَّا رَاٰى وَ سَعَى وَبَاسَ الْاَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ

فلما رآه السلطان انعم عليه و حبه و قال لابيه يا وزير لازم ولا بد انك دائما تُحضره معك فقال السمع و الطاعة و عاد الوزير بولده الى منزله و مازال كل يوم يطلع به الى السلطان الى ان بلغ الولد من العمر خمسة عشر سنة فضعف و الده نور الدين الوزير فاحضر ولده وقال يا ولدي اعلم ان الدنيا دار فناء و الآخرة دار بقاء و اريد ان اوصيك بعض وصايا فافهم ما اقول لك و اصغ ذهنك اليه و صار يوصيه على حسن عشرة الناس و التدبير ثم ان نور الدين تذكر اخاه و اوطانه و بلاده فبكى على فرقة الاحباب و مسح دموعه و انشد يقول شعرا

إِنْ شَكَوْنَا بُعْدًا فَمَا ذَا نَقُولُ ... أَوْ بَلَغْنَا شَوْقًا فَكَيْفَ السَّبِيلُ
أَوْ بَعَثْنَا رَسُولاً يُتَرْجِمُ عَنَّا ... مَا يُؤَدِّي شَكْوَى الْمُحِبِّ رَسُولُ
أَوْ صَبَرْنَا فَمَا بَقِي لِمُحِبٍّ ... بَعْدَ فَقْدِ الْأَحْبَابِ إِلَّا قَلِيلُ
لَيْسَ إِلَّا الْآنَ إِلَّا تَأَسُّفًا وَحَنِينًا ... وَدُمُوعًا عَلَى الْخَدِّ تَسِيلُ
أَيَا غَائِبِينَ عَنْ شَخْصِ عَيْنِي ... وَطَرْفِي وَهُمْ فِي فُؤَادِي حُلُولُ
أَتَرَاكُمْ أَنْتُمْ أَنَّ عَهْدِي ... عَلَى طُولِ الصُّدُودِ لَا يَحُولُ
أَمْ تَنَاسَيْتُمْ عَلَى الْبُعْدِ صَبًّا ... شَفَّهُ فِيكُمُ الْبُكَاءُ وَالنُّحُولُ
إِنَّا وَإِنْ ضَمَّنَا وَإِيَّاكُمُ الْحَيُّ ... لِي مَعَكُمْ هُنَاكَ عِتَابٌ يَطُولُ

فلما فرغ من انشاده و بكائه التفت الى ولده وقال له اعلم قبل ما اوصيك ان لك عم و هو وزير بمصر فارقته وخرجت على غير رضاه و القصد انك تأخذ درجا و تكتب فيه ما اقول لك فاخذ بدر الدين حسن درجا من الورق و صار يكتب فيه كما قال ابوه فاملاه ماجرى له من الاول الى الآخر وكتب له تاريخ زواجه و دخوله على بنت الوزير و تاريخ وصوله الى البصرة و اجتماعه بوزيرها وان عمره دون

الاربعين من يوم النزاع و هذا كتابي اليه والله خليفتي من
بعد ذلك عليه ثم طواها و ختمها وقال يا ولدي حسن احفظ الوصية
فان الرقعة فيها اصلك و حسبك و نسبك فان اصابك شيء من الامور
فاعمد الى مصر واسأل على عمك واستدل عليه و اعلمه اني مت
غريبا مشتاقا فاخذ بدرالدين حسن الرقعة و طواها و خيطها بين
البطانة و الظهارة و لف عليها شا شه و هو يبكي على ابيه و على
فراقه وهو صغير و قال نور الدين اني اوصيك بخمسة و صايا اولها
ان لاتعا شر احدا تسلم من شره فان السلامة فى العزلة ولا تخالطه
ولا تباشره فاني سمعت الشاعر يــــقــــول

مَافِي زَمَانِكَ مَنْ تَرْجُوْ مَوَدَّتَهُ وَلَا صَدِيقٌ اِذَا جَارَ الزَّمَانُ وَفِى
فَعِشْ فَرِيْدًا وَلَا تَرْكُنْ اِلَى اَحَدٍ فَقَدْ نَصَحْتُكَ فِيْمَا قُلْتُهُ وَكَفِى

الثانية يا ولدي لاتجور على احد يجور عليك الدهر فالدهر يوم لك
و يوم عليك الدنيا قرض بوفاء ولقد سمعت الشا عــر يقــول

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِامْرٍ تُرِيْدُهُ وَكُنْ رَاحِمًا لِلنَّاسِ تُدْعَى بِرَاحِمِ
فَمَا مِنْ يَدٍ اِلَّا يَدُ اللّٰهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٍ اِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

الوصية الثالثة الزم الصمت واشتغل بعيبك عن عيوب الناس فقد قيل
من لزم الصمت نجا و سمعت الشاعر يقول شــعــرا

اَلصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسُّكُوْتُ سَلَامَةٌ فَاِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِهْذَارًا
فَلَئِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوْتِكَ مَرَّةً فَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

الرابعة يا ولدي احذرك من شرب الخمر فان الخمر رأس كل فتنة

والخمر مذهب العقول الحذر الحذر من شرب الخمر لاني سمعت الشاعر يقول

تَرَكْتُ النَّبِيْذَ وَ شُرَّابَهُ وَ صِرْتُ حَدِيْثًا لِمَنْ عَابَهُ
شَرَابٌ يُضِلُّ سَبِيْلَ الهُدَى وَ يَفْتَحُ لِلشَّرِّ اَبْوَابَهُ

والخامسة يا ولدي صن مالك يصونك احفظ مالك يحفظك ولا تفرط في مالك تحتاج الى اقل الناس صن الدراهم فهي المراهم لاني سمعت بعضهم يقول

اِنْ قَلَّ مَالِي فَلَاخِلٌّ يُصَاحِبُنِي وَاِنْ زَادَ مَالِي فَكُلُّ النَّاسِ خُلَّانِي
فَكَمْ صَدِيْقٍ لِبَذْلِ الْمَالِ صَاحَبَنِي وَصَاحِبِي عِنْدَ فَقْدِ الْمَالِ خَلَّانِي

و مازال نور الدين يوصي بدر الدين حسن حتى طلعت روحه و اقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان و جميع الامراء و دفنوه و لم يزل بدر الدين على والده في حزن مدة شهرين و هو لم يركب و لم يطلع الديوان و لم يقابل السلطان فاغتاظ السلطان عليه فاقام مكانه بعض الحجاب واجلسه وزيرا وامره ان يختم على اماكن نور الدين وعلى ماله و عمارته و املاكه فنزل الوزير الجديد يختم عليه و يقبض على ولده بدر الدين حسن و يطلع به الى السلطان يعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير المتوفى فلما سمع بهذه القضية ساق جواده و اتى مسرعا الى بدر الدين حسن فوجده جالسا على باب داره و هو منكس الرأس حزين منكسر القلب فترجل له المملوك و قبلت يده وقال له ياسيدي و ابن سيدي العجل العجل قبل حلول الاجل

فار تجف حسن وقال ما الخبر قال السلطان غضب عليك ورسم بالحوطة عليك والبلاء يجيْ من خلفي اليك ففز بنفسك فقال له هل في الامر شيْ حتى ادخل الى بيتي اصحب شيئا من الدنيا استعين به على الغربة فقال المملوك يا سيدي قم الآن وخل عنك الدار فنهض وهو يقول شعرا

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا اِنْ خِفْتَ ضَيْمًا ۞ وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَاِنَّكَ وَاجِدٌ اَرْضًا بِاَرْضٍ ۞ وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
وَلَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ ۞ فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا
وَمَا غَلُظَتْ رِقَابُ الْاُسْدِ حَتَّى ۞ بِاَنْفُسِهَا تَوَلَّتْ مَا عَنَاهَا

فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج يمشي الى ان صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان ارسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى يختم على ماله واماكنه ويقبض على ولده بدر الدين حسن ويطلع به الى السلطان ليقتله فتاسف الناس على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج على رأسه ولم يعلم اين يذهب ولم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير على تربة والده فدخل المقبرة وشق بين القبور الى ان جلس الى قبر ابيه وارخى ذيل فرجيته من فوق راسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوبا عليها هذه الابيات

يَا مَنْ لَهُ وَجْهٌ شَرِيقٌ ۞ يَحْكِي الْكَوَاكِبَ وَالنَّدَا
لَازَالَ عِزُّكَ دَائِمًا ۞ وَعُلُوُّ مَجْدِكَ سَرْمَدَا

فبينما هو عند تربة ابيه اذ قدم عليه يهودي كانه صيرفي ومعه خرج فيه ذهب كثير فتقدم اليهودي الى حسن البصري وقال له

يا سيدي ما لي اراك متغيرا فقال له اني كنت نائما في هذه الساعة فرايت ابي يعاتبني على عدم زيارتي له فقمت وانا مرعوب وخفت ان يفوت النهار ولم ازُرْهُ فيكون صعبا عليَّ فقال له اليهودي يا سيدي اباك كان ارسل مراكب للتجارة و قدم منها البعض ومرادي اشتري منك وسق اول مركب قدم بهذا الالف دينار ذهب و اخرج اليهودي كيسا ملآن من الذهب و عد منه الف دينار و اعطاها الى حسن بن الوزير فقال اليهودي اكتب لي ورقة و اختمها فاخذ حسن بن الوزير ورقة وكتب فيها كاتِبُها حسن بن الوزير باع لاسحاق اليهودي جميع وسق اول مركب ابيه يدخل بالف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فاخذ اليهودي الورقة و صار حسن يبكي و يتذكر ماكان فيه من العز و ينشد و يقول شعرا

مَا بِالدَّارِ مُذْغِبْتُمْ يَا سَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مُذْغِبْتُمْ لَنَا جَارُ
وَلَا الْاَنِيسُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ اَعْهَدُهُ بِهَا اَنِيسِي وَلَا الْاَقْمَارُ اَقْمَارُ
غِبْتُمْ فَاَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِبُعْدِكُمُ وَاَظْلَمَتْ بَعْدَكُمْ رَحْبًا وَاَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا يُعْرَا مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ اَوْكَارُ
قَدْ قَلَّ صَبْرِي وَاَضْنِي بُعْدُكُمْ جَسَدِي وَكَمْ تَهَتَّكَ يَوْمَ الْبَيْنِ اَسْتَارُ
تَرَى تَعُودُ لَيَالِينَا الَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَهِدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

ثم بكى بكاء شديدا فدخل عليه الليل و اسند رأسه على قبر ابيه فادركه النوم و لم يزل نائما حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر و نام على ظهره و صار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقبرة عامرة من الجانّ المؤمنين فخرجت جنية فنظرت حسنً نائما فلما راته تعجبت من حسنه وجماله و قالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كانّه من ولدان

الجنة ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلم عليها فقالت له من اين انت قادم فقال من هنا فقالت له هل لك ان تروح معي حتى تنظر الى حُسن هذا الشاب النائم فى التربة فقال لها نعم فساروا حتى نزلوا على القبر فقالت هل رايت في عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له و لكن يا اختي ان اردتِ ان احدثكِ بما رايتُ قالت و ما هو فقال لها اني رايت مثل هذا الشاب في اقليم مصر وهي بنت الوزير شمس الدين و عمرها قريب من عشرين سنة ولها حسن و جمال و بهاء وكمال و قد و اعتدال فلما جاوزت هذا السن سمع بها السلطان بمصر فاحضر الوزير اباها و قال له اعلم ايها الوزير انه بلغني ان لك بنت و انا اريد اخطبها منك فقال له الوزير يا مولانا السلطان اقبل عذري و ارحم عبرتي فانك تعرف ان اخي نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم اين هو وكان شريكي فى الوزارة و اصل خروجه غضبان لاني جلست و اياه وحدثته على سبب الزواج و الاولاد فكان سببا لغيظه و انا حالف لازوج بنتي الا لابن اخي من يوم و لدتها امها نحو ثمانية عشر سنة و من مدة قريبة سمعت ان اخي تزوج بنت الوزير بتاع البصرة و جاء منها و لدا و لا ازوج بنتي الا له كرامة لاخي وارخت زواجي و حمل زوجتي و ولادة هذه البنت وهى على اسم ابن عمها و البنات لمولانا السلطان كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا و قال مثلي من يخطب من مثلك بنتا تمنّها و تحتج بحجة باردة و حيوة رأسي لا ازوجها الا لاقل خدمي رغما عن انفك وكان عند الملك سائس احدب بحدبة من قدام و حدبة من و راءها فامر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت

الوزير بالقهر و امران يدخل عليها في هذه الليلة و يعمل له زفة و قد تركته و هو بين مماليك السلطان وهم و اقدون الشموع حوله و يتمسخرون عليه على باب الحمام و اما بنت الوزير جالسة تبكي بين الدايات و المواشط و هي اشبه الناس بهذا الشاب و قد رسموا على ابيها حتى انه لايحضرها و ما رايت يا اختي او حش من هذا الاحدب و اما الصبية فهي احسن من هذا الشاب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــبــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجني لما حكي للجنية ان الملك كتب كتابها على السائس الاحدب وهي في غاية الحزن و لم اجد شبيها في الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب احسن اهل زمانه فردها العفريت و قال و الله يا اختي ان الصبية احسن من هذا و لكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما اخوات و اولاد عم ياخسار تها مع هذا الاحدب فقالت له ياخي دعنا ندخل تحته و نحمله و نروح به الى الصبية التي تقول عنها و ننظر من هو احسن فيهما فقال العفريت سمعا و طاعة هذا كلام صواب ولا هناك احسن من هذا الراي الذي تقوليه انا احمله ثم انه حمله و طاربه الى الجو و صارت العفريته في ركابه تحاذيه الى ان نزل به الى مدينة مصروحطه على مصطبة و نبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه علي قبر ابيه في ارض البصرة فنظر يمينا و شمالا لايجد نفسه الاني مدينة غير مدينة البصرة فاراد ان يعيط فوكزه العفريت وكان العفريت قداتى له بحلة فاخرة و البسه اياها و او قد له شمعة و قال له اعلم اني جبتك و انارائح اعمل معك شيئا لله فخذ هذه

الشمعة و امش الى ذلك الحمام واختلط بالناس، و لا تزل تمشي معهم الى ان تصل الى قاعة العروسة فاسبق و ادخل القاعة و لم تخش احدا و انت مثل ما دخلت فقف فوق يمين العريس الاحدب و كل ماجاءك المواشط و المغاني و الدايات حط يدك في جيبك تجده ملآن ذهب فاكمش و ارم لهم و لاتتوهم انك لاتدخل يدك الاتجده ملآن ذهب فنقّط كل من اتى اليك بالحفنة ولا تخش من شيءٍ و توكل على الذي خلقك فما هذا بحولك بل هذا بامر الله فلما سمع بدرالدين حسن من العفريت هذا الكلام قال يا تري ايش تكون هذه الصبية و ما سبب الاحسان ثم مشى و اوقد الشمعة وجاء الى الحمام فوجد الا حدب راكب الفرس فدخل بدرالدين حسن بين الناس و هو على تلك الحالة و الصورة الحسنة و كان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا فى الزينة وكلما و قفت المغاني و الناس ينقط و يحط يده في جيبه يلقاه ملآن ذهب فيكمش ويرمي فى الطار الذي فى المغنية فيملأ الطار دنانير فاخترعت عقول المغاني و تعجب الناس من حسنه و جماله و لم يزالوا على هذا الحال حتى و صلوا لبيت الوزير فردت الحجاب الناسَ ومنعوهم فقالت المغاني والله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه عمّرنا باحسانه و لا نجلي العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح و اجلسوه فوق عين العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقودة ضاربة لثام و هُن صفوف يمينا و شمالا من تحت المنصة الى صدر الايوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظرت النساء بدرالدين حسن و ما عليه من الحسن و الجمال

ووجهه يضيء كأنه الهلال فملن جميع النساء اليه فقالت المغاني للنساء
الحاضرات اعلمن ان هذا المليح مانقطنا الا بالذهب الاحمر فلا تقصرن
في خدمته و اطعنه فيما يقول قال فازدحمت النساء عليه بالشمع و
نظرن الى جماله و حسدنه على حسنه و صارت كل واحدة منهن
تودان تكون في حضنه ساعةاو سنة فارخين ماكان على و جوههن اما
غاب عنهن الالباب و قلن هنيأ لمن كان له او عليه ذلك الشاب ثم
دعون على ذلك السائس الاحدب و من كان لهسببا في زواجه هذه
المليحة و صرن كلما دعون لبدرالدين حسن دعون على ذلك
الاحدب ثم ان المغاني ضربن بالدفوف و زعقن بالمواصل و اقبلت
المواشط و بنت الوزير بينهن و قد طيبوها و عطروها و حسنوا
شعرها و بخروها والبسوها الحلي و الحلل من لباس الملوك الاكاسرة
و من جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر و فيه صور
الوحوش والطيور و هو مسبول عليها من فوق حوائجها و قلدوها
بعقد يمني يساوى الالوف و قد حوى كل فص جوهر ماحاز مثله تبّع
ولا قيصر و العروسة كانها البدر اذا بدا فى الليلة اربعة عشر و لما
اقبلت كانت كانها حورية فسبحان من خلقها بهية و احدقوا بها
النساء فصرن كالنجوم و هو بينهن كالقمر اذا انجلا عند الغيم وكان
بدرالدين حسن البصري جالسا و الناس ناظرون اليه فخطرت
العروسة و اقبلت و تمايلت فقام اليها السائس الاحدب ليقبلها
فاعرضت عنه و انفتلت حتى صارت قدام حسن بن عمها فضحكت
الناس فلما رأوها مالت الى نحوحسن بدرالدين ضجت الناس و صرخت
المغاني فحط يده في جيبه وكمش و رمى في طيران المغاني ففرحوا
و قالوا كنا نشتهي ان تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كلهمَ

احدقوا به وبقي السائس الاحدب وحده كانه قردو كلما اوقدوا
له الشمعة فلا يقدر ولا بقي له صوت وصار قاعدا في الظلام وينظر
في نفسه واما بدرالدين حسن فانه صار قدامه شموع في ايدي
الناس فلما نظر حسن الى العريس وحده في الظلام ونظر في نفسه
وهؤلاء الناس محدقين به وهذه الشموع الموقودة تحير وتعجب
فلما راى بدرالدين حسن ابنت عمه فرح واستبشر وقد نظر الى وجهها
وقد اشرق بالنور وازهر لاسيما وعليها تلك البدلة الاطلس
الاحمر فجلوها المواشط اول خلعة واخذ حسن الطلعة فتعاجبت
وتمايلت من الدلال واذهلت عقول النساء والرجال فكانت كما قال
فيها الشاعر المفضال شـــــــــعـــــــــرا

وَشَمْسٍ فِي قَضِيبٍ فِي كَثِيبٍ تَبَدَّتْ فِي قَمِيصٍ جُلَّنَارِ
سَقَتْنِي رِيقُ خَمْرَتِهَا وَجَادَتْ بِوَجْنَتِهَا فَاطْفَتْ جُلَّ نَارِ

وغيروا تلك البدلة والبسوها ثوبا ازرق فطلعت كالبدر اذا اشرق
ذات شعر فاحم وخدنا عم وثغر باسم ونهد قائم وهي رابية
الاطرف والمعاصم وجلوها الخلعه الثانية وكانت كما قال فيها اصحاب
الهمم العالية شـــــــــعـــــــــر

اَقْبَلَتْ فِي غُلَالَةٍ زُرْقَةٍ لَازَوَرْدِيَّةٍ كَلَوْنِ اَلسَّمَاءِ
فَتَامَّلْتُ فِي الْغُلَالَةِ مِنْهَا قَمَرُ الصَّيْفِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ

قال ثم غيروا تلك البدلة ببدلة غيرها ولثموها بفاضل شعرها و
ارخوا ذوائبها السود الطوال فاشبه سوادها وطولها ما اعتكر من الليالي
ورمت القلوب بسهام الحدق النافثة وجلوها الخلعه الثالثه كما

قال فيها القائل شعـــــــــــــــــــــــر

وَمُلثَّم بِالشَّعْرِ مِنْ فَوقِ وَجْنَتِهِ غَدَتْ فِتْنَةً شَبَّهْتُها بِجُماتِ
فَقُلتُ سَتَرْتَ الصُّبحَ بِاللَّيلِ قالَ لا وَلكِنْ سَتَرْتُ البَدْرَ بِالظُّلُماتِ

و جلوها الخلعه الرابعة فاقبلت كالشمس الطالعة و تمايلت من الدلال و تلفتت كتلفة الغزلان و رشقت القلوب من اجفانها بنبال كما قال فيها الواصف شعـــــــــــــــــــــــر

وَشَمْسُ حُسْنٍ بَدَتْ لِلنَّاسِ تَنظُرُها تَزْهُو بِحُسْنِ دَلالٍ زانَهُ خَفَرُ
مُذْ واجَهَتْ بِمُحَيَّاها وَمَبْسَمِها شَمْسَ النَّهارِ غَدَتْ بِالغَيْمِ تَسْتَتِرُ

قال و طلعت فى الخلعة الخامسة كالصبية الانيسة كانها قضيب بان او غزال عطشان و قد دبت عقاربها و ابدت عجائبها و هزت اردافها و اشهرت سوالفها كما قال فيها واصفها شعـــــــــــــــــــــــر

تَبَدَّتْ كَبَدْرِ التَّمِّ في لَيْلَةِ السَّعْدِ مُنَعَّمَةَ الأَطْرافِ مَمْشُوقَةَ القَدِّ
لَها مُقْلَةٌ تُسْبِي الأَنامَ بِحُسْنِها وَقَدْ حَكَتِ الياقُوتَ في حُمْرَةِ الخَدِّ
تَحَدَّرَ فَوقَ الرِّدْفِ أَسْوَدُ شَعْرِها فَإِيَّاكَ وَالحَيّاتِ مِنْ شَعْرِها الجَعْدِ
وَقَدْ لانَتِ الأَعْطافُ مِنْها وَقَلْبُها عَلى لِينِها أَقْسَى مِنَ الحَجَرِ الصَّلْدِ
وَتُرْسِلُ سَهْمَ اللَّحْظِ مِنْ فَوقِ حاجِبٍ يُصِيبُ وَلا يُخْطِي وَإِنْ كانَ مِنْ بُعْدِ
إِذا ما اعْتَنَقْنا وَالتَزَمْتُ وِشاحَها يُدافِعُنِي عَنْ ضَمِّها ذَلِكَ النَّهْدِ
فَيا حُسْنَها قَدْ فاقَ كُلَّ مَلاحَةٍ وَيا قَدَّها أَزْرَيْتَ بِالغُصْنِ المَلْدِ

قال وجلوها الخلعه السادسه في خلعة خضراء فازرت بقوامها الصعدة السمراء وفاقت بجمالها ملاح الآفاق وازهرت باشراق وجهها على بدر الاشراق

و نالت من الجمال اما نيها و سبت الغصون باينها و تثنيها وفتت الكبود بحسن معانيها كما قال فيها بعض واصفيها شعـــــــر

وَجَارِيَةٍ قَدْ اَدَّبَتْهَا الشَّطَارَهْ تَرَى الشَّمْسَ مِنْ خَدِّهَا مُسْتَعَارَهْ
اَتَتْ فِي قَمِيصٍ لَهَا اَخْضَرِ كَمَا سَتَرَ الْوَرَقُ بِالْجُلَّنَارَهْ
فَقُلْنَا لَهَا مَا اسْمُ ذَاكَ اللِّبَاسِ فَقَالَتْ كَلَامًا مَلِيحَ الْعِبَارَهْ
شَقَقْنَا مَرَائِرَ قَوْمٍ بِهِ فَنَحْنُ نُسَمِّيهِ شَقَّ الْمَرَارَهْ

وجلوها في الخلعة السابعة بين معصفر و مزعفر كما قال فيها بعض واصـــــفيـــــهـــــا

وَقَمِيصُ بَيْنَ مُزَعْفَرٍ وَمُعَصْفَرٍ وَمُعَنْبَرٍ وَمُمَسَّكٍ وَمُصَنْدَلِ
هَيْفَاءُ اِنْ قَالَ الشَّبَابُ لَهَا انْهَضِي قَالَتْ رَوَادِفُهَا اقْعُدِي وَتَمَهَّلِي
وَاِذَا سَأَلْتُ الْوَصْلَ قَالَ جَمَالُهَا جُودِي وَقَالَ دَلَالُهَا لَا تَفْعَلِي

و اما العروسة فانها لما فتحت عينها قالت اللهم اجعل هذا بعلي و ارحني من هذا السائس الاحدب وصاروا يجلوا العروسة الى آخر السبع خلع على بدرالدين حسن البصري و السائس الاحدب جالس وحده فلما فرغوا من ذلك اذنوا للناس بالانصرف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والاولاد و لم يبق الا بدرالدين حسن و السائس الاحدب ثم ان المواشط ادخلوا العروسة ليغير واما عليها من الحلي والحلل و يجعلوها للعريس فعند ذلك تقدم السائس الاحدب الى بدرالدين حسن و قال يا سيدي آنستنا الليلة و غمرتنا باحسانك فما تقوم تروح فقال بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يا بدرالدين فاذا خرج

الاحدب الى بيت الراحة ادخل انت و لا تتوقف واجلس في البشخانة
فاذا اقبلت العروسة فقل لها انا زوجك و الملك انما عمل هذه
الحيلة خوفا عليك من العين و هذا الذي رايته سائس من سيا سنا
ثم اقبِلْ عليها واكشفْ وجهها فنحن لحقتنا الغيرة من هذا الامر فبينما
بدرالدين يتحدث مع العفريت و اذا بالسائس خارج و دخل بيت
الراحة و قعد على الكرسي و طلع له العفريت من الحوض الذي فيه
الماء في صفة فأر و قال زيق فقال الاحدب ما حالك فكبر الفأر حتى
صار قطا و قال ميا ميا و كبر حتى صار كلبا و قال عوه عوه فلما نظر
السائس ذلك فزع وقال اخسأ يا مشوم و الكلب كبر و انتفخ حتى صار
جحشا ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق فانزعج فقال الحقوني يا اهل
البيت و اذا بالحمار كبر و صار قدر الجاموسة و سد عليه المكان وتكلم
بكلام ابن ادم و قال و يلك يا احدب يا انتن و السائس لحقته
البطن و قعد على الملاقي باثوابه و اشتبكت اسنانه بعضها ببعض
فقال له العفريت قد ضاقت عليك الدنيا و ما وجدت تتزوج الا
بمعشوقتي فسكت فقال له ردالجواب والا اسكنتك التراب فقال و الله
مالي ذنب الا انهم غصبوني و ما عرفت ان لها عشاق جواميس
ولكن انا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت اقسم عليك ان خرجت
هذا الوقت من هذا الموضع او تكلمت قبل ان تطلع الشمس قتلتك
فاذا طلعت الشمس اخرج الى حال سبيلك و لا تعد الى هذا البيت
ابدا ثم ان العفريت مسك السائس الاحدب و قلب رأسه في الملاقي
و جعله الى تحت و جعل رجليه الى فوق و قال له اخليك هنا انا
حارسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب و اما
ما كان من قصة بدرالدين حسن البصري فانه خلى الاحدب والعفريت

يتخاصمان و دخل البيت و جلس في وسط البشخانة و اذا بالعروسة
اقبلت و معها عجوز فوقفت في باب البيت و قالت يا ابا القوام قم
خذ وداعة الله ثم ولت العجوز و دخلت العروسة في داخل البشخانة
و كان اسمها ست الحُسن و قلبها مكسور و قالت و الله ما امكّنه من
نفسي ولو قتل روحي فلما دخلتْ الى داخل البشخانة نظرت بدرالدين
فقالت حبيبي الى هذا الوقت قاعد لقد قلت في نفسي لك و للسائس
الاحدب شركة فيَّ فقال بدر الدين حسن و ايش اوصل السائس
اليك و اين له ان يكون شريكي فيك فقالت و مَنْ زوجي انت او
هو قال بدر الدين ياست الحسن نحن ما عملنا هذا الا مسخرة
لضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغاني و اهلك بجلوكِ عليّ و ان
اباك اكتراه بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين و قدراح فلما
سمعت ست الحسن من بدرالدين ذلك الكلام تبسمت و فرحت
و ضحكت ضحكا لطيفا و قالت و الله لقد اطفأت ناري فبالله خذني
الى عندك و ضمني الى حضنك و كانت من غير لباس و كشفت ثوبها
الى رقبتها فبان كسها و ردفها فلما نظر بدر الدين ذلك تحركت
فيه الشهوة فقام و حل لباسه ثم الكيس الذهب الذي كان اخذه من
اليهودي الذي كان فيه الالف دينار لفه في سرواله وحطه تحت ذيل
الطَّراحة وقلع شاشه وعلقها على الكرسي وبقي بالقميص الرفيع وكان
القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته
اليها وجذبها بدرالدين وعانقها واخذ رجليها في وسطه ثم حط
الذخيرة فانطلق المدفع هدم البرج فوجدها درّة ما ثُقِبت ومطية
لغيرها ما رُكِبَتْ فزال بكارتها و تملّى بشبابها ثم سله منها و ردمه
فلما فرغ اعاده خمسة عشر مرة فعلقت منه فلما فرغ بدرالدين

وضع يده تحت راسها وكذلك الاخري ثم انهما تعانقا وناما متعانقين كما قال فيهما الشاعر هذه الابيات

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ كَلَامَ الحَاسِدِ ... لَيْسَ الحَسُودُ عَلَى الهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَنْ يَخْلُقَ الرَّحْمٰنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَا ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ
وَإِذَا تَأَلَّفَتِ القُلُوبُ مَعَ الهَوَى ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... نِعْمَ الصَّدِيقُ وَعِشْ بِذَاكَ الوَاحِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الهَوَى أَهْلَ الهَوَى ... هَلْ يَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ

هذا ما كان من امر بدر الدين حسن وست الحسن بنت عمه واما ما كان من امر العفريت فانه قال للعفريتة قومي وادخلي تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح لان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم واخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس وما زالت العفريتة طايرة به والعفريت يحاذيها فادركهم الصباح في اثناء الطريق وصاح المؤذنون بحي على الفلاح فاذن الله ملايكته ان ترمي العفريت بشهب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فنزلت ببدر الدين في موضع ما اخذت الشهب العفريت ولم تتعد به خوفا عليه وكان بالامر المقدر قد وصلوا دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من ابوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت ابواب المدينة وخرج الناس فنظروا شابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس وهو مما قاسى من السهر غرقان في النوم فلما راوه الناس قالوا يا بخت من كان هذا عنده الليلة ويا ليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر

مسكين اولاد الناس هذه الساعة خرج من الخمارة لبعض شغله فقوي
عليه السكر فتاه عن المكان الذي كان قاصده حتى وصل الى باب المدينة
فوجده مغلوقا فنام هنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهواء هَبّ
على بدر الدين رفع ذيله الى بطنه فبان من تحته بطن وسرة
محققة وسيقان وافخاذ مثل البلور فقال الناس والله طيب فانتبه
بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب و
قال انا فين يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم وما حكايتي معكم
فقالوا نحن رايناك عند اذان الصبح ملقى نائما ولا نعلم من امر
غير هذا فاين كنت نائما هذه الليلة فقال بدر الدين حسن والله يا
جماعة كنت نائما هذه الليلة في مصر فقال واحد انت تاكل حشيش
وقال بعضهم انت مجنون تكون بائتا في مصر وتصبح نائما في
مدينة دمشق فقال لهم والله يا جماعة الخير لم اكذب عليكم ابدا
وانا كنت البارحة بالليل في ديار مصر وفي النهار امس كنت بالبصرة
فقال واحد طيب وقال الآخر هذا الشاب مجنون وصفقوا عليه
بالكفوف وتحدثت الناس بعضهم مع بعض وقالوا يا خسارة شبابه
والله مافي جنونه شك ابدا ثم انهم قالوا له دبر بالك وارجع لعقلك
فقال بدر الدين حسن كنت البارحة عرس في ديار مصر فقالوا لعلك
حلمت ورايت هذا الذي تقول في المنام فتوهم حسن في نفسه
وقال لهم والله ما هذا منام ولا رايته في الاحلام الا اني رحت وقد
جلوا العروسة قدامي وكان الثالث الاحدب قاعدا والله يا اخي
ما هذا منام ولو كان مناما اين كان الكيس الذهب معي واين
شاشي وثيابي ولباسي ثم قام ودخل المدينة وشق شوارعها
واسواقها فازدحمت الناس عليه وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك

الطباخ رجلا شاطرا يعني حراميا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له
دكان طباخ وكان اهل دمشق كلهم يخافون منه ومن شدة باسه
فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه
فلما نظر طباخ الى بدرالدين حسن و نظر الى حسنه و جماله وقعت
في قلبه محبة فقال له من اين انت يافتى فاحك لي حكايتك
فانك صرت عندي اعز من روحي فحكى له ما جرى من المبتدا الى
المنتهى فقال له الطباخ يا سيدي بدرالدين اعلم ان هذا امر
عجيب و حديث غريب و لكن يا ولدي اكتم ما معك حتى يفرج
الله مابك و اقعد عندي في هذا المكان و ان مالي ولد واتخذك
ولدي فقال له بدر الدين نعم ياعم فعند ذلك نزل الطباخ الى
السوق و اشترى لبدرالدين اقمشة مفتخرة و البسها له و توجه و اياه
الى القاضي و اشهر على نفسه انه ولده و قد اشتهر بدر الدين حسن
في مدينة دمشق انه ولد الطباخ و قعد عنده فى الدكان يقبض
الدراهم و قد استقر حاله عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان
من امر بدر الدين حسن و ما جري له و اما ما كان من امرست
الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد
بدرالدين حسن فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة
و اذا بابيها قد دخل و هو مهموم مما جري عليه من السلطان و
كيف غصبه و زوج ابنته غصبا لاحد غلمانه و هو قطعة سائس احدب
و قال فى نفسه اقتل هذه البنت ان كانت مكّنت هذا الملعون من
نفسها فمشى الى ان وصل الى البشخانة ووقف على بابها و قال ياست الحسن
فقالت له لبّيك ياسيدي ثم انها خرجت وهي تتمايل من الفرح و
قبلت الارض و زاد وجهها نورا و جمالا بعناقها ذلك الغزال فلما نظرها

ابوها و هي بتلك الحالة قال لها يا ملعونة انت فرحانة بهذا السائس
فلما سمعت ست الحسن كلام و الدها تبسمت و قالت بالله يكفي
ما جرى امس و الناس يضحكون علي و يعايروني بهذا السائس
الذي ما يجيء في قلامة ظفر زوجي و الله ما بت طول عمري ليلة
احسن من ليلة البارحة فلا تهزأبي و تذكرلي ذلك الاحدب فلما
سمع و الدها كلامها امتزج بالغضب و ازرقت عيناه و قال لها ويلك
ايش هذا الكلام الذي تقوليه السائس الا حدب بات عندك فقالت
بالله عليك لا تذكره لعن الله اباه و لا تعمل مزاح فما كان السائس
الا مكري بعشرة دنانير و اخذ اجرته و راح و جئت انا و دخلت
البشخانة فنظرت زوجي قاعدا بعد ما جلوني عليه المغاني و نقط
بالذهب الاحمر حتى اغنى الفقرا الحاضرين و قدبت في حضن زوجي
الخفيف صاحب العيون السود و الحواجب المقرونة فلما سمع والدها
هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام و قال لها يا فاجرة ما هذا الذي
تقوليه اين عقلك فقالت له يا ابت لقد فتتت كبدي فبسك تتثاقل عَلَيَّ فهذا
زوجى الذي اخذ وجهي قد دخل الى بيت الراحة واني قد علقت منه
فقام والدها و هو متعجب و دخل الى بيت الخلاء فوجد السائس الاحدب
راسه مغروزة فى الملاقي ورجليه الى فوق فبهت فيه الوزير وقال ما هذا
الا هو الاحدب فقال له يا احدب فقال تغوم تغوم فظن الاحدب
انه مايكلمه الا العفريت فعيط عليه الوزير وقال تكلم و الا قطعت
راسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من
حين جعلتني في هذا المكان ما رفعت راسي فبالله عليك ارفق بي فلما
سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فانا ابو العروسة ما انا عفريت
فقال بسك فانت رايح تاخذ روحي فرُحْ الى حال سبيلك قبل ان

ياتيك الذي فعل معي هذه الفعال فانتم ما جبتم تزوجوني الا بمعشوقة الجواميس و معشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها و لعن من كان السبب فيها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السائس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة و يقول لعن الله من كان السبب فقال له الوزير قم و اخرج من هذا المكان فقال له انا مجنون اروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس اخرج و رح الى حال سبيلك فطلعت الشمس ام لا فاني لا اقدر اطلع من موضعي الا ان طلعت الشمس فعند ذلک قال الوزير من اتى بک الى هذا المكان فقال اني جئت البارحة الى هنا لاقضي حاجتى و ازيل ضرورتي و اذا بفارة طلع من وسط الماء و عيط وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة و قال لي كلام دخل في اذنى فخلّاني و راح لعن الله العروسة ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير و اخرجه من المرحاض فخرج و هو يجري وما صدق ان الشمس طلعت و طلع الى السلطان و اعلمه بما اتفق له مع العفريت و اما الوزير ابو العروسة فانه دخل البيت و هو حائر العقل في امر ابنته فقال يا بنتي اكشفي لي خبرک فقالت ان العريس الذي كنت انجلي عليه البارحة بات عندي و اخذ و جهي و علقت منه وان كنت لم تصدقني هذا شاشه بلفتّه على الكرسي و لباسه تحت الفرش و فيه شيٌ ملفوف و لم اعرف ما هو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل البشخانه فوجد شاش بدر الدين حسن بن اخيه ففي الحال اخذه في يده و قلبه و قال هذه عمامة وزراً لانها موصلية ثم نظر الى حرز

مخيط في طربوشه فاخذه و فتقه و اخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه الالف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي و اسم بدرالدين حسن بن نورالدين على المصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما افاق و علم مضمون القصة تعجب و قال لا اله الا الله القادر على كل شيءٍ وقال يا بنتي تعرفين من الذي اخذ و جهك قالت لا قال انه ابن اخي وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القصة ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبة و مكتوب فيها تاريخ بخط اخيه نورالدين المصري ابو بدرالدين حسن فلما نظرخط اخيه انشد وقال هذه الا بـيـات

أَرَي آثَارَهُمْ فَـأَذُوبُ شَـوْقاً وَأَسْكُبُ فِي مَوَاطِنِهِـمْ دُمُوعِي
وَأَسْأَلُ مَنْ بِفُرْقَتِهِـمْ رَمَانِي يَـمُـنُّ عَلَيَّ يَوماً بِالـرُّجُوعِ

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة و تاريخ دخوله و تاريخ مولد بدرالدين حسن و تاريخ عمره الى حين وفاته فتعجب و اهتز من الطرب و قابل ما جري لاخيه على ما جري له فوجده سواء بسواء وزواجه و زواج الآخر متوافقين تاريخا و الدخول و ولادة بدرالدين و بنته ست الحسن ايضا موافقا فاخذ الورقة وطلع بها الى السلطان واعلمه بما جري من اول الامر الى آخره فتعجب الملك وامر ان يؤرخ هذا الامر فى الحال ثم اقام الوزير ينتظر ابن اخيه ذلك اليوم فما اتى وثاني يوم و ثالث يوم الى سبعة ايام فما وقع له على خبر فقال و الله لاعملن عملا ما سبقني اليه احد فاخذ دواة و قلما وكتب في ورقة صورة نصب

البيت جميعه و ان الخشخانة موضع كذا و الستارة الفلانية موضع كذا
وجميع ما فى البيت ثم طوى الكتاب وامر بشيل الحوائج و اخذ الشاش
والطربوش و اخذ الفرجية و الكيس و شالهم عنده و قفلهم بقفل
من حديد وختم عليه الى ان يصل ابن اخيه حسن البصري و اما
بنت الوزير فتمت اشهرها و ولدت ولدا مثل القمر شبيه والده
فى الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته و كحلوا مقلته و سلموه
الى الدايات و سموه عجيبا فصار يومه بشهر . شهره بسنة فلما مر
عليه سبع سنين اعطاه لفقيه و وصاه ان يربيه و يقرئه و يحسن
تربيته فقام فى المكتب اربع سنوات فصار يقاتل اهل المكتب ويسبهم
و يقول لهم من فيكم مثلي انا ابن وزير مصر فقامت الاولاد
و اجتمعوا يشكون للعريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف
غدا لما يجيء اعلمكم شيئا تقولوه له فيتوب عن المجيء للمكتب وذلك
انه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله و قولوا لبعضكم بعضا والله ما يلعب
معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم امه و ابيه و من لم يعرف
اسم امه و ابيه فهو ابن حرام فلم يلعب معنا فلما اصبح الصباح
اتوا الى المكتب و حضر عجيب فاحاطت به الاولاد فقالوا نحن نلعب
لعبة و لكن ما يلعب معنا الا من يقول لنا على اسم امه و ابيه
فقالوا والله طيب فقال واحد منهم اسمي ماجد و امي علويه و
ابي عز الدين و قال الآخر مثل قوله و الآخر كذلك الى ان جاء الدور
الى عجيب فقال انا اسمي عجيب و امي ست الحسن و ابي شمس الدين
الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو ابوك فقال لهم عجيب
الوزير ابي حقيق فعند ذلك ضحكت عليه الأولاد و صفقوا عليه
و قالوا ما يعرف له اب قم من عندنا فلا يلعب معنا الا من يعرف

اسم ابيه وفي الحال تفرقت الاولاد من حوله وتضا حكوا عليه فضاق صدره
و انخنق بالبكاء فقال له العريف نعرف جدك الوزير ابو امك ست
الحسن لا ابوك واما ابوك فلا تعرفه انت ولا نحن لان السلطان كان
زوجها للاحدب السائس و جاءت الجن ناموا عندها ولا لك اب
يعرف ولا بقيت انت تقيس صغار المكتب دون ان تعرف لك
ابا و الابقيت بينهم ولدزنا الاترى ان ابن البياع يعرف بابيه
و انت جدك وزير مصر و اما ابوك فلا نعرفه و نحن نقول مالك
اب فاصح لعقلك فلما سمع من العريف و الاولاد هذا الكلام و
تعييرهم له قام من ساعته و دخل على والدته ست الحسن و شكى
لها و هو يبكي و منعه البكاء من الكلام فلما سمعت امه كلامه و بكاءه
التهب قلبها بالنار عليه و قالت يا ولدي ما الذي ابكاك فاحك لي
قصتك فحكى لها عجيب ما سمعه من الاولاد و من العريف ومن
هو يا والدتي ابي قالت له ابوك وزير مصر فقال لها لا تكذبي. عليّ
فان الوزير اباك انت لا انا فمن هو ابي فان لم تخبريني بالصحيح
و الا قتلت روحي بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر ابيه بكت
لذكر ولد عمها و تذكرت جلاها على بدر الدين حسن البصري
وماجري لها معه و انشدت تقول هذه الا بـــيـــات

أَقَامُوا الْوَجْدَ فِي قَلْبِي وَسَارُوا ۞ وَقَدْ شَطَّتْ بِمَنْ أَهْوَى الدِّيَارُ
وَبَانَ تَجَلُّدِي مِنْ حَيْثُ بَانُوا ۞ وَفَارَقَنِي وَعَزَّ الاِصْطِبَارُ
وَقَدْ سَارُوا سرى عَنِّي سُرُورِي ۞ وَقَدْ عدِمَ الْقَرَارُ فَلَا قَرَارُ
وَأَجْرَوْا بِالْفِرَاقِ دُمُوعَ عَيْنِي ۞ فَادْمُعُهَا بِبُعْدِهِمُ غِزَارُ
إِذَا مَا اشْتَقْتُ يَوْمًا أَنْ أَرَاهُمْ ۞ وَطَالَ بِهِمْ حَنِينٌ وَانْتِظَارُ

أُمَثِّلُ شَخْصَهُمْ فِي وَسْطِ قَلْبِي غَرَامٌ وَ اشْتِيَـــاقٌ وَ افْتِـكَارُ
أَيَا مَنْ ذِكْرُهُمْ أَضْحَى دِثَارِي كَمَـــا حُبَّـــا لَهُمْ هُوَلِي شِعَارُ
أَحِبَّتُنَا إِلَى كَمْ ذَا التَّمَـــادِي وَكَمْ هٰذَا التَّبَـــاعُدُ وَ النِّفَارُ

ثم بكت و صرخت و كذلك ولدها واذا بالوزير دخل عليهما فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه و قال ما يبكيكما فاخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر اخاه و ما اتفق له معه وما اتفق لابنته و لم يعلم ما في باطن الامر ففي الحال قام الوزير و مشى حتى طلع الى الديوان و دخل على الملك و اخبره بالقصة و طلب منه الاذن بالسفر الى الشرق و يعبر مدينة البصرة و يسأل عن ابن اخيه و طلب من السلطان ان يكتب له مراسيم لسائر البلاد ايّ موضع و جد فيه ابن اخيه يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرقّ له قلبه و كتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك الوزير و دعي للسلطان و ودعه و في الحال نزل وتجهز للسفر و اخذ مايحتاج اليه وبنته وولده عجيب و سافر اول يوم و ثاني يوم و ثالث يوم الى ان وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات اشجار و انهار كما قال فيهـــــا الشـــــاعـــــر

مِنْ بَعْدِ يَوْمِي فِي دِمِشْقَ وَلَيْلَتِي حَلَفَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا لَايَغْلِطُ
بِتْنَـا وَ جِنْحُ اللَّيْلِ فِي غَفَلَاتِهِ وَ الصُّبْحُ مُبْتَسِمٌ بِفَرْعٍ أَشْمَطُ
وَ الظِّلُّ فِي تِلْكَ الْغُصُونِ كَأَنَّهُ دُرٌّ يَصَـا فِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَ الطَّيْرُ تَقْرَأُ وَ الْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَ الرِّيحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يَنْقُطُ

فنزل الوزير في ميدان الحصى و نصب خيامه و قال لغلمانه ناخذ

الراحة هنا يومين فدخلت الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع و هذا يشتري و هذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني امية الذي ما فى الدنيا مثله وخرج عجيب هو وخادمه و دخلوا المدينة يتفرجون والخادم يمشي خلف عجيب بنبوت لو ضرب به جمل ما تار فلما نظر اهل دمشق الى عجيب و قده و اعتدا له و بهائه و جماله وهو غلام بديع الجمال رخيم الدلال الطف من نسيم الشمال و احلى من الماء الزلال للظمآن والذ من العافيه لصاحب السقام تبعه جم غفير تجري وراءه وتسبقه وتعدوا فى الطريق حتى يجيء عليهم و ينظروه الى ان كان بالامر المقدر وقف العبد على دكان ابيه بدر الدين حسن وكان قد طلع ذقنه و تكامل عقله في مدة الاثني عشر سنة وكان قد مات الطباخ واخذ بدر الدين حسن ماله و دكانه لانه اعترف عند القضاة والشهود انه ولده فلما كان ذلك اليوم وقف ولده والخادم عليه فنظر الى ولده عجيب فوجده في غاية الحسن فخفق فؤاده وحن الدم الى الدم و تعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلي وهاجت فيه المحبة الآلهية فنادى ولده عجيب وقال يا سيدي يا من ملك قلبي و فؤادي وحن اليه كبدي هل لك ان تدخل عندي و تجبر قلبي وتاكل من طعامي ثم دمعت عيناه بالدموع من غير اختياره و افتكر ماكان فيه و ماهو فيه تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام ابيه حن قلبه له و نظر الى الخادم و قال له ان هذا الطباخ حن قلبي له وكانه قد فارق ولدا له فادخل بنا عنده لنجبر قلبه و ناكل ضيافته لعل بفعلنا معه يجمع الله شملنا بابينا فلما سمع الخادم كلام عجيب قال والله طيب تبقي اولاد الوزير و تاكل في دكان الطباخ انا احجب الناس

عنك بهذه العصا خوفا من ان ينظروا اليك فما آمن ان تدخل الى الدكان ابدا فلما سمع بدرالدين حسن كلام الخادم تعجب و التفت الى الخادم و دموعه سالت علي خدوده فقال عجيب للخادم ان قلبي احبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلك التفت ابو عجيب للخادم و قال له يا كبير لايش ماتجبر خاطري و تدخل عندي يا من كانه قسطل اسود و قلبه ابيض يا من قال فيه بعض و اصفيه فضحك الخادم و قال ايش قلت فبالله قل و اوجز ففى الحال انشد بدرالدين حسن وجعل يقول هذه الابـــيـــات

لَوْلَا تَأَدُّبُهُ وَ حُسْنُ ثِقَاتِهِ ❊ مَا كَانَ فِي دَارِ الْمُلُوكِ مُحَكَّمَا
وَعَلَى الْحَرِيمِ فَيَالَهُ مِنْ خَادِمٍ ❊ مِنْ حُسْنِهِ خَدَمَتْهُ أَمْلَاكُ السَّمَا

فتعجب الخادم من هذا الكلام واخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف بدرالدين حسن زبدية حب رمان عالية وكانت بلوز و سكر فاكلوا سواء فقال لهم بدرالدين حسن آنستمونا فكلوا هنيأ مريئا ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال بدرالدين حسن يا ولدي على صغر سنك بليت بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم يا عم احترق قلبي بفراق الاحباب و هو والدي و قد خرجت انا و جدي نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملي و بكى بكاء شديدا فبكى والده لفراقه و بكاءه و تذكر فرقة الاحباب و بعده عن والده ووالدته فحزن له الخادم و اكلوا جميعا الى ان اكتفوا ثم بعد ذلك قاموا خرجوا من دكان بدرالدين حسن فحس ان روحه فارقت جسده و راحت معهم فما قدر يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان و تبعهم و هو لايعلم انه ولده و اسرع في مشيه حتى لحقهم قبل

ان يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشي و قال له مالك نقال بدرالدين حسن لما نزلتم من عندي حسيت ان روحي راحت معكم ولي حاجة في المدينة خارج الباب فاردت ان ارافقكم حتي اقضي حاجتي وارجع فغضب الطواشي و قال لعجيب كنت خائفا من هذا اكلنا لقمة كانت ميشومة و صار علينا مكرمة و هاهو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فلقي الطباخ خلفه فاغتاظ و احمر وجهه ثم قال للخادم دعه يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا و عرفنا انه تبعنا نطرده فاطرق راسه و مشى والخادم وراءه فتبعهم بدرالدين حسن الى ميدان الحصى وقربوا من الخيام فالتفتوا وراوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي ان يخبر جده فامتزج بالغضب لئلا يقول انه دخل دكان الطباخ و ان الطباخ تبعه فالتفت ووجد عينه في عينه وهو بقي جسد بلاروح فنظر عجيب ان عينه عين خائن اويكون ولدزنا فازداد غضبا فاخذ حجرا و ضرب به والده فوقع بدرالدين حسن مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب والخادم الى الخيام واما بدرالدين حسن فانه لما افاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته و عصب راسه و لام نفسه و قال انا ظالم الصبي غلقت دكاني وتبعته حتى ظن اني خائن فرجع الى دكانه وباع طعامه وصاريتشوق لوالدته التي فى البصرة و يبكي عليها وانشد يقـــــــــــول

لَاتَسْئَلِ الدَّهْرَ انْصَافًا فَتَظْلِمُهُ وَلَا تَلُمْهُ فَلَمْ يُخْلَقْ لِإِنْصَافِ
خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَابْقِ الْهَمَّ نَاحِيَةً لَا بُدَّ مِنْ كَدَرٍ فِيهِ وَمِنْ صَافِ

ثم ان بدرالدين حسن استمر يبيع في طعامه و اما الوزير عمه فانه

اقام في دمشق ثلثة ايام ثم رحل طالب حمص فدخل اليها و فتش في طريقه اينما حل و جهه في سيره الى ان وصل الى ديار بكر وماردين و الموصل ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخل بها فلما استقر بها المنزل دخل الى سلطانها و اجتمع به فاحترمه و اكرم منزله و ساله عن سبب مجيئه فاخبره بقصته و ان اخاه الوزير نورالدين علي فترحم عليه السلطان و قال له ايها الصاحب كان و زيري وكنت احبه كثيرا من مدة خمسة عشر سنة و مات وخلف ولدا وما اقام بعد موته الا شهرا واحدا ولقدناه و لم نطلع له على خبر غيران امه عندنا لانها بنت و زيري الكبير فلما سمع الوزير شمس‌الدين من الملك ان ام ابن اخيه طيبة فرح وقال ياملك اني اريدان اجتمع بها ففى الحال اذن له و دخل اليها في دار اخيه نورالدين فجال ببصره في نواحيها و قبل اعتابها و افتكر اخاه نورالدين علي و كيف مات غريبا فبكى و انشد يـــــــــقـــــــــول

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذَا الجِدَارِ وَذَا الجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... وَلٰكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة و باب مقوصر معقود بالحجر الصوان مجزع بانواع الرخام من سائر الالوان فمشى في نواحي الدار و نظرها و جال بطرفه فيها فوجد اسم اخيه نورالدين مكتوبا عليها بماء الذهب فاتى الى الاسم و قبله و بكى وتذكر فرقته فانشد يقول هذه الا بـــــــــيـــــــــات

أَسْتَخْبِرُ الشَّمْسَ عَنْكُمْ كُلَّمَا طَلَعَتْ ... وَأَسْأَلُ البَرْقَ عَنْكُمْ كُلَّمَا لَمَعَا
أَبِيتُ وَالشَّوْقُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي ... فِي رَاحَتَيْهِ وَلَا أَشْكُو لَهُ وَجَعَا

أَحبابُنا إنْ يكُنْ طالَ المَدا فكذا   فِراقُكُم قد قطعنا بعدكُم قطعا
فلو تمنُّوا على طرفي برؤيتكم   لكان أحسن إذ ما بيننا جمعا
لا تحسبُوا إنَّني بالغير مُشتغلٌ   إنَّ الفؤاد لحبِّ الغيرِ ما وسعا

ثم انه صار يمشي الى ان جاء الى قاعة زوجة اخيه ام بدرالدين حسن المصري وكانت في مدة غيبة ولدها لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها السنين عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا لاتنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الوزير الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر وتقول

باللهِ يا قبرُ هل زالت محاسِنُهُ   وهل تغيَّر ذاك المنظرُ النَّضِرُ
يا قبرُ ما أنتَ لا روضٌ ولا فلكٌ   فكيف يجمعُ فيكَ الغصنُ والقمرُ

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم واعلمها انه اخو زوجها ثم اخبرها بما جري وكشف لها عن القصة وان ابنها بدرالدين حسن بات عند ابنته ليلة كاملة من مدة عشر سنين وفقد عند الصباح وان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وانه حي ورات سلفها فعند ذلك قامت له ووقعت على اقدامه وقبلتها وانشدت تقول شعرا

للهِ درُّ مبشِّري بقدومهم   فلقد أتى بأطائبِ المسموعِ
لو كان يقنعُ بالخليع وهبتُهُ   قلبًا تقطَّع ساعة التوديعِ

ثم ان الوزير ارسل خلف عجيب يحضره فلما حضر قامت جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله يجمع شملنا وشملك بولدك ابن اخي فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت مصالحها وذخائرها وجواريها وفي الحال تجهزت وطلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحف الى سلطان مصر وسافر من وقته الى ان وصل الى مدينة دمشق فنزل في القانون وضرب الخيام وقال لمن معه نقيم بها جمعة الى ان نشتري للسلطان هدايا وتحف وقد خرج عجيب فقال للطواشي يا لايق انني اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى السوق ونعبر دمشق وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذي كنا قد اكلنا طعامه وشججنا رأسه وهو قد كان احسن الينا ونحن اسأناه فقال الطواشي سمعا وطاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة لوالده وفي الحال دخلوا الى المدينة وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى دكان الطباخ فوجده واقفا في الدكان وكان الوقت قريب العصر وقد وافق الامر انه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظر عجيب اليه حن له ونظر الى اثر الضربة بالحجر في جبينه فقال له السلام عليك يا هذا اعلم ان خاطري عندك فلما نظر اليه بدر الدين تقلقلت احشاؤه وخفق فؤاده واطرق برأسه الى الارض واراد ان يدير لسانه في فمه فما قدر ثم انه رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا وانشد يقول هذه الابيات

تَمَنَّيْتُ مَنْ أَهْوَى فَلَمَّا رَأَيْتُهُ ذَهَلْتُ فَلَمْ أَمْلِكْ لِسَانًا وَلَا طَرْفَا

وَ اَطْرَقْتُ اِجْلَالاً لَهُ وَ مَهَابَةً وَحَاوَلْتُ اَنْ اُخْفِيَ الَّذِي بِي فَلَمْ يَخْفَى
وَ قَدْ كَانَ عِنْدِي لِلْعِتَابِ دَفَاتِرٌ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا مَا نَطَقْتُ وَلَا حَرْفَا

ثم قال لهم اجبروا قلبي و كلوا من طعامي فوالله ما نظرت اليك الا خفق قلبي وما كنت تبعتك الاوانا في غير عقلي فقال عجيب والله انت محب لنا و نحن اكلنا عندك لقمة لزمتنا عقبها واردت تهتكنا و نحن لانا كل لك اكلا الا بشرط ان تحلف انك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا و الا لانعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون جمعة حتى ياخذ جدي هديا للملك فقال بدرالدين لكم ذلك فدخل عجيب والخادم الدكان فقدم لهم زبدية حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح بدرالدين و اكل معهم وهو باهت في وجهه وقد تعلق قلبه و جوارحه معه فقال له عجيب اعلم اني ما قلت انك عاشق ثقيل فحسبك تطيل النظر الى وجهي فلما سمع بدرالدين كلام ولده انشد يقول

لَكَ فِي الْقُلُوبِ سَرِيرَةٌ لَا تَظْهَرُ مَطْوِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ لَا تَنْشُرُ
يَافَاضِحَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ يُحْكِي الصَّبَاحَ الْمُسْفِرُ
فِي نُورِ وَجْهِكَ مَآرِبٌ لَاتَنْقَضِي وَ مَعَاهِدًا اَبَدًا تَزِيدُ وَ تَكْثُرُ
اَاَذُوبُ مِنْ حُرَقٍ وَوَجْهُكَ جَنَّتِي وَاَمُوتُ مِنْ ظَمَأٍ وَرِيقُكَ كَوْثَرُ

فصار بدرالدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطوا شي ساعة فاكلوا حتى اكتفوا و قاموا فقام حسن البصري وكب على ايديهما الماء و حل فوطة حرير من وسطه مسح ايديهم فيها و رش عليها الماورد من قمقم كان عنده و خرج من الدكان و عاد بقلة شربات ممزوجة بالماورد الممسك

و قدمها بين ايديهم و قال اتموا احسانكم فاخذ عجيب و شرب و
ناول الخادم و تنا ولوا حتى امتلأت بطونهم و شبعوا شبعا بخلاف عادتهم
ثم انصرفوا و اسرعوا في مشيهم حتى و صلوا الى خيامهم و دخل
عجيب على جدته ام والده بدرالدين حسن فقبلته و افتكرت ولدها
بدرالدين حسن فتنهدت و بكت ثم انها قالت شـــــعـــــر

قَدْ كُنتُ أَرْجُو بِأَنَّ الشَّمْلَ يَجْتَمِعُ   مَا كَانَ لِي فِي حَيُوتِي بَعْدَكُمْ طَمَعُ
أَقْسَمْتُ مَا فِي فُؤَادِيْ غَيْرَ حُبِّكُمْ   وَٱللهُ رَبِّيْ عَلَى ٱلْأَسْرَارِ مُطَّلِعُ

ثم قالت لعجيب يا ولدي اين كنت قال في مدينة دمشق فعند ذلك
قامت و قدمت له زبدية طعام حب رمان و كان قليل الحلاوة و قالت
للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم في نفسه و الله مالنا نفس ناكل
و جلس الخادم و اما عجيب فلما جلس كانت بطنه ملآنة مما اكل
و شرب فاخذ لقمة و غمسها في حب الرمان و اكل فوجده قليل
الحلاوه لانه كان شبعان فقال افوه ايش هذا الطعام الوحش فقالت
جدته يا ولدي تعيب على طبيخي و انا طبخته ولا يحسن احد الطبخ
مثلى الاوالدك بدرالدين حسن فقالت عجيب و الله ياستي ان طبيخك
هذا وحش نحن في هذه الساعة راينا فى المدينة طباخا طبخ حب
رمان رائحته ينفتح لها القلب و اما طعامه فانه يشتهي ان يوكل و اما
طعامك عنده فلا يساوي كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه
اغتاظت غيظا شديدا و نظرت الى الخادم و ادرك شهر زاد الصباح
فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه
اغتاظت ونظرت للخادم وقالت له ويلك انت افسدت ولدي لانك
دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشي وانكر وقال ما دخلنا
الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله الا دخلنا واكلنا وهوا حسن
من طعامك فقامت جدته واخبرت اخوزوجها واغرته على الخادم
فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لِمَ دخلت بولدي دكان الطباخ فخاف
الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب دخلنا واكلنا من حب الرمان حتى
شبعنا واسقانا الطباخ اقسما بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم و
ساله فانكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد وكل قدامنا
فعند ذلك تقدم الخادم واراد ان ياكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال
يا سيدي اني شبعان من البارحة فعرف الوزير انه اكل عند الطباخ
فامر العبيد ان يطرحوه فطرحوه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث
وقال يا سيدي لا تضربني وانا اقول لك الصحيح فتبطّل عنه الضرب
وقال له انطق بالحق فقال له اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ
حب الرمان فحط لنا منه والله ما اكلت عمري مثله ولا ذقت اوحش
من هذا الذي قدامنا فغضبت ام بدر الدين حسن وقالت لابد ان
تروح لهذا الطباخ وتجيب لنا زبدية حب رمان من الذي عنده وتريه
لسيدك حتى يقول ايهما احسن واطيب فقال الخادم نعم ففى الحال
اعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال
للطباخ نحن تراهنّا على طعامك في بيت سيدنا لان عندهم حب رمان
فهات لنا بهذا النصف دينار واجعل بالك فقد اكلنا الضرب الموجع على

طبيخك فضحك بدر الدين حسن وقال والله هذا الطعام ما يحسنه احد الا انا ووالدتي وهى الآن في بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية واخذها وختمها بالمسك والماورد فاخذ الخادم واسرع بها حتى وصل اليهم فاخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودة طبخها فعرفت طبّاخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير ثم رش عليها الماورد وبعد ساعة افاقت وقالت انكان ولدي فى الدنيا فما طبخ هذا حب الرمان الا هو وهو ولدي بدر الدين حسن لاشك فيه ولا محالة لان هذا طعام وما احد يطبخه غيره الا انا لاني علّمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه على رُوية ابن اخي اتري تجمع الايام شملنا به وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وخرج على الرجال الذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلا دكان الطباخ واهدموه وكتفوه بعمامته وجرّوه غصبا الى عندي من غير اذية تحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق واطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعهم على راسه بعد تقبيلهم وقال له واين هو غريمك قال رجل طباخ ففى الحال امر حجابه ان يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوه مهدوما وكل شيء فيه مكسور لانه لما توجه الى دار السعادة فعلوا جماعته ما امرهم به فقعدوا منتظرين مجئ الوزير من دار السعادة وبدر الدين حسن يقول يا ترى ايش راوا في حب الرمان حتى صار الى هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد اذن له في اخذ غريمه ويسافر به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فاحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر بدر الدين حسن الى عمه بكي بكاء شديدا وقال يا مولاي

ما ذنبي عندكم فقال له انت الذي طبخت حب الرمان قال نعم فانتم وجدتم فيه شيء يوجب ضرب الرقبة فقال الوزير احسن و اقل جزائك فقال له يا سيدي ماتعرّفني بذنبي فقال له الوزير نعم في هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان و قال هاتوا الجمال و اخذوا بدرالدين حسن معهم و ادخلوه في صندوق و قفل عليه و ساروا و لم يزالوا سائرين الى الليل فحطوا واكلوا شيئا من الطعام و اخرجوا بدرالدين اطعموه وعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك الى ان و صلوا الى قمرة فاخرجوا بدرالدين حسن من الصندوق و قال له الوزير انت الذي طبخت حب الرمان قال نعم يا سيدي فقال الوزير قيدوه فقيدوه و عادوا به الى الصندوق و ساروا الى ان وصلوا مصر و قد نزلوا فى الزيدانية فامر باخراج بدرالدين حسن من الصندوق و امر باحضار نجار و قال له اصنع لهذ العبة خشب فقال بدرالدين حسن وما تصنع بها فقال اشنقك عليها و اسمرك على اللعبة ثم ادور بك المدينة كلها فقال على اي شيء تفعل لي ذلك فقال الوزير على نحس طبيخك حب الرمان كيف طبخته و هو عاوز فلفل فقال له ولكونه عاوز فلفل تصنع معي هذا كله وما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني اكلة واحدة فقال الوزير عاوز فلفل وما جزاؤك الا القتل فتعجب بدرالدين و حزن على روحه فقال له الوزير فيما تفكر فقال له فى العقول القشروية التي مثل عقلك فانه لوكان عندك عقل ماكنت فعلت معي هذه الفعال فقال له الوزير يجب علينا ان نوذيك حتى لا تعود لمثله فقال بدرالدين حسن ان الذي فعلته معي اقل شيء فيه اذيتي فقال له لابد من شنقك كل هذا والنجار يصلح الخشب و هو ينظر ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل فاخذه عمه و رماه فى الصندوق

وقال في غد يكون الا مر وصبر عليه حتى عرف انه نام لقام و حمل
الصندوق و ركب وحطه قدامه و دخل المدينة وسار الى ان دخل
بيته ثم قال لا بنته ست الحسن الحمد لله الذي جمع شملك بابن
عمك قومي افرشى البيت مثل نصبته ليلة الجلاء فقاموا او قدوا الشموع
و قد اخرج الوزير الورقة المصورة التي كان صورها بنصبة البيت و
وضعوا كل شيءٍ مكانه حتى ان الرائي اذا راي ذلك لايشك في انها
ليلة الجلاء بعينها ثم امر الوزير ان يحطوا شاش بدرالدين حسن في
مكانه كما كان حطه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة
ثم ان الوزير امرا بنته ان تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء في الخلوة
و قال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولي له ابطات علي في عبورك
بيت الخلاء و دعيه يبات عندك وتحدثين معه الى النهار نكشف له هذا
التاريخ ثم ان الوزير اخرج بدرالدين من الصندوق بعد ان فك
القيد من رجليه و قلعه ما عليه و صار بقميص النوم و هو زفيع من
غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعلم فبالامر المقدر انقلب بدرالدين
تنبه فوجد نفسه في دهليز نور فقال في نفسه انا في اضغاث احلام
ثم قام بدرالدين تمشى قليلا الى باب ثانٍ و نظر و اذا هو فى البيت
الذي انجلت فيه عليه العروسة البشخانه و الكرسي ونظر عمامته
وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا و يوُخر اخرى و قال
انا نائم ام يقظان وصار يمسح جبينه و يقول و هو متعجب والله ان
هذا مكان العروسة التي انجلت علي فانا فين فاني كنت في صندوق
فبينما هو يخاطب نفسه و اذا بست الحسن رفعت ذيل البشخانة
و قالت له يا سيدي ما تدخل فانك ابطات في بيت الخلاء فلما سمع
كلامها و نظر الى وجهها ضحك و قال انني في اضغاث احلام ثم

دخل و تنهد و تفكر فيما جرى له و تحير في امره و اشكلت عليه
قضيته لما راى شاشه و سرواله و الكيس الذي فيه الالف دينار فقال
الله اعلم اني في اضغاث احلام فعند ذلك قالت له ست الحسن
مالك تتعجب و تبهت و قالت ما كنتَ كذا اول الليل فضحك و قال
كم لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حواليك انت خرجت
تقضي لك شغلا و ترجع فانت عدم عقلك فلما سمع بدرالدين ذلك
ضحك وقال صدقت ولكن لما خرجت من عندك نسيت روحي على بيت
الماء و حلمت اني كنت طباخا في دمشق و اقمت بها عشر سنين
وكاني جاء ني صغير وهو من اولاد الاكابر ومعه خادم ثم ان بدرالدين
حسن مس بيده على جبينه فراى الضرب عليه فقال و الله ياستي كانه
حق لانه ضربني على جبيني فشجه فكانه فى اليقظة ثم قال كانه من ساعة
ماتعانقت انا وانت ونمنا فكاني رايته في المنام و رايت كاني سافرت
الى دمشق بلا طربوش و لاسروال وعملت طباخا ثم بهت ساعة و قال
و الله كاني رايت اني طبخت حب رمان و فلفله قليل و الله ما كاني
الا نمت في بيت الماء و رايت هذا كله فى المنام فقالت له ست
الحسن بالله عليك و ايش رايت زيادة على ذلك فحكى لها فعند
ذلك قال بدرالدين حسن و الله لولا اني تنبهت لكانوا سمروني
على لعبة خشب فقالت له على ايش فقال على قلة فلفل حب الرمان و
كانهم خربوا دكاني وكسروا مواعيني وحطوني في صندوق و جاؤا
بالنجار يصنع لي خشبة لانهم ارادوا شنقي فالحمد لله الذي جرى لي
ذلك كله فى المنام و لا كان فى اليقظة فضحكت ست الحسن و ضمته
الى صدرها و ضمها الى صدره ثم تفكر ثم قال والله ما كانه الا فى
اليقظة فانا ما عرفت ايش القضية ثم انه نام و هو متحير في امره

تارة يقول انا حالم وتارة يقول انا في اليقظة و لازال كذلك الى الصباح فدخل عليه عمه شمس الدين الوزير فسلم عليه. فنظر له بدر الدين حسن و قال بالله ما انت الذي امرت بتكتيفي و تسميري وتخريب دكاني من شان حب الرمان لكونه عاوز فلفل فعند ذلك قال له الوزير اعلم يا ولدي انه ظهر الحق و بان ماهو مختفي انت ابن اخي و ما فعلت ذلك حتى تحققتُ انك الذي دخلت على بنتي ذاك الليلة و ما تحققت ذلك الا لكونك عرفت البيت و عرفت شاشك و سروا لك و ذهبك و الورقة التي بخطك والتي كتبها والدك اخي فاني ما رايتك قبل ذلك و ما كنت اعرفك و ان امك جبتها معي من البصرة ثم رمى نفسه عليه و بكى فلما سمع بدر الدين حسن من عمه هذا الكلام تعجب غاية العجب وعانق عمه و بكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدي ان سبب ذلك كله ماجرى بيني و بين والدك و حكى له على ماجرى بينه و بين اخيه و سبب سفر والده الى البصرة ثم ان الوزير ارسل خلف عجيب فلما رآه والده قال و هذا الذي ضربني بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه و انشد يقول شعـــــر

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلى تَفَرُّقِ شَمْلِنَا   قَدْرًا أَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِي
وَ نَذَرْتُ إِنْ عَادَ الزَّمَانُ يَلُمُّنَا   مَا عُدْتُّ أَذْكُرُ فُرْقَةً بِلِسَانِي
هَجَمَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّنِي   مِنْ عِظْمِ مَاقَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

فلما فرغ من شعره و اذا بوالدته اقبلت و رمت نفسها عليه و انشدت تقـــــول

إِذَا ٱلْتَقَيْنَا ٱشْتَكَيْنَا   مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ نَقُولُ

مَا هُوَ مَلِيحٌ الشَّكْوَى عَلَى لِسَانِ رَسُولْ

ثم ان والدته حكت له على ما وقع لها بعده و حكى لها على ما قاساه فشكروا الله تعالى على اجتماع شملهم ببعض ثم ان الوزير شمس الدين ذهب الى السلطان بعد وصوله بيومين فلما دخل عليه قبل الارض بين يديه و حياه بتحية الملوك ففرح به السلطان و بش في وجهه و ادناه اليه ثم استخبره عما راى في سفرته و جرى له في ذهابه فاخبره بالقصة من اولها الى آخرها فقال له السلطان الحمد لله على ظفرك بالمراد و رجوعك سالما الى الاهل و الا ولاد ولابد من ان ارى ابن اخيك حسن البصري فات به الى الديوان غدا فقال له شمس الدين يحضر عبدك غدا ان شاء الله تعالى ثم سلم عليه و خرج فلما رجع الى داره اخبر ابن اخيه باشتياق السلطان اليه فقال حسن البصري المملوك منقاد لامر مولاه و الحاصل انه ذهب الى حضرة السلطان مع عمه شمس الدين و لما حضر بين يديه حياه باكمل التحيات و افضلها و انشد يقول شعر

يُقَبِّلُ الْارْضَ مَنْ عَزَّتْ مَرَاتِبُهُ بِكُمْ وَ بِالنُّجْحِ قَدْ فَازَتْ مَطَالِبُهُ
أَنْتُمْ أُولُوا الْمَجْدِ يُحْظَى مَنْ يُؤَمِّلُكُمْ بِمَا بِهِ فِى الدُّنَا تَعْلُو مَنَاصِبُهُ

فتبسم السلطان و اشار اليه بالجلوس فجلس بقرب عمه شمس الدين ثم سأله الملك عن اسمه فقال له احقر عبيدك المعروف بحسن البصرى الداعي لك ليلا و نهارا فاعجب السلطان كلامه واراد ان يمتحنه فيما يظهر به شان علمه و ادبه فقال له هل تحفظ شيئا في وصف الخال قال نعم و انشد شعر

حَبِيبٌ كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِيهِ تَوَالَتْ عَبْرَتِي وَ عَلَا نَحِيبِي
لَهُ خَالٌ حَكَى حُسْنًا وَ لَوْنًا سَوَادَ العَيْنِ أَوْ حَبَّ القُلُوبِ

فاستحسن الملك البيتين و قال له هات غيرهما لله ابوك ولا فُضَّ فوك فانشد شعر

وَ نُقْطَةُ خَالٍ شَبَّهُوهَا بِحَبَّةٍ مِنَ المِسْكِ لَا تَعْجَبْ لِقَوْلِ الَّذِي شَبَّهْ
بَلِ اعْجَبْ لِوَجْهٍ قَدْ حَوَى الحُسْنَ كُلَّهُ وَمَا فَاتَهُ مِنْهُ الجَمِيعُ وَلَا حَبَّهْ

فاهتز الملك طربا و قال له زدني بارك الله في عمرك فانشد شعر

يَا مَنْ حَكَى الخَالَ عَلَى خَدِّهِ نُقْطَةَ مِسْكٍ فَوْقَ يَاقُوتَهْ
أَنْعِمْ بِوَصْلِي أَلَّا تَكُنْ قَاسِيًا يَا مُنْيَةَ القَلْبِ وَ يَا قُوتَهْ

فقال له الملك احسنت يا حسن واجدت كل الاجادة بيّن لنا كم للفظ الخال من معنى فى اللغة فقال له ايد الله الملك ثمانية و خمسون معنى و قيل خمسون فقال له صدقت ثم قال له الك علم بتفصيل الحسن قال نعم الصباحة فى الوجه الوضاءة فى البشرة الجمال فى الانف الحلاوة فى العينين الملاحة فى الفم الظرف فى اللسان الرشاقة فى القد اللباقة فى الشمائل كمال الحسن فى الشَعَرِ و قد جمع هذا كله الشهاب الحجازي في ابيات من بحر الرجز و هي هذه شعر

صَبَاحَةٌ لِلْوَجْهِ قُلْ وَالبَشَرَهْ لَهَا وَضَاءَةٌ فَكُنْ ذَا تَبْصِرَهْ
وَ بِالجَمَالِ الأَنْفُ حَقًّا يُوصَفُ وَ بِالحَلَاوَةِ العُيُونُ تُعْرَفُ
نَعَمْ وَ قَالُوا لِلْفَمِ المَلَاحَهْ فَافْهَمْهُ عَنِّي لَا عَدِمْتَ الرَّاحَهْ

وَ الظَّرْفُ فِي اللِّسَانِ وَ الرَّشَاقَة لِلْمَقَدّ وَ الشَّمَائِلُ اللَّبَاقَة
ثُمَّ كَمَالُ الحُسْنِ قَالُوا فِي الشَّعْر فَاصْغِ اِلَى نَظْمِي وَكُنْ مِمَّنْ عَذَر

فسر السلطان بكلامه و استأنس به ثم قال له ما معنى قولهم في المثل شريح ادهى من الثعلب فقال اعلم ايها الملك ايدك الله تعالى ان شريحا خرج ايام الطاعون الى النجف وكان اذا قام يصلي يجيئ ثعلب فيقف تجاهه و يحاكيه فيشغله عن صلوته فلما طال ذلك عليه نزع يوما قميصه فجعله على قصبة و اخرج كُمَّيْه و جعل عمامته عليها وشد وسطها و نصبها في محل صلوته فاقبل الثعلب على عادته فوقف با زائه و اتاه شريح من خلفه فاخذه فقيل ما قيل فلما سمع السلطان ما كشف عنه حسن البصري قال لعمه شمس الدين ان ابن اخيك هذا كامل في فن الادب ولا اظن ان مثله يوجد في مصر فقام حسن البصري و قبل الارض بين يديه و قعد قعود المملوك بين يدي مولاه ثم ان السلطان لما اطلع على حقيقة ماتحصل لحسن البصري من العلوم الادبية فرح فرحا عظيما و خلع عليه خلعة فاخرة و قلده امرا يستعين به على ما يصلح حاله ثم قام حسن البصري و قبل الارض بين يديه و دعاله بالعز الدائم واستأذنه للذهاب مع عمه الوزير شمس الدين فاذن له فخرج و اتى هو و عمه الى البيت فقدم لهما الطعام فاكلا ما يسر الله لهما ثم دخل حسن البصري بعد الفراغ من الطعام مجلس امرأته ست الحسن واخبرها بما اتفق له في حضرة السلطان فقالت له لابد من ان يجعلك نديما له و يوفر لك الصلات و الهبات و انت بفضل الله كالنير الاعظم تسطع انوار كمالك حيثما كنت في برا و بحر فقال لها اريد ان

اقول قصيدة في مدحه لتزداد محبتي في قلبه قالت له اصبت فيما نويت فجود الفكرة و تَأَنَّقْ فيما تقول وما اراه الا مقابلا لك بالقبول ثم انفرد حسن البصري ناحية و نمق ابياتا رشيقة المباني حسنة المعاني وهي هذه شعر

لِي هُمَامٌ قَدْ سَمَا اَوْجَ الْعُلَى ۞ وَهُوَ فِي نَهْجِ الْكِرَامِ الْغُرِّ سَالِكْ
اَمَّنَ الْاَقْطَارَ طُرًّا عَدْلُهُ ۞ وَعَلَى اَعْدَائِهِ سَدَّ الْمَسَالِكْ
ضَيْغَمٌ شَهْمٌ تَقِيٌّ اِنْ تَقُلْ ۞ مَلِكٌ اَوْ مَلَكٌ فَهُوَ كَذٰلِكْ
يَرْجِعُ الْعَافِي غَنِيًّا اِنْ تَرُمْ ۞ وَصْفَهُ تَعْجِزْ عَنْهُ فِي مَقَالِكْ
هُوَ صُبْحٌ مُسْفِرٌ يَوْمَ الْعَطَا ۞ وَهُوَ فِي يَوْمِ الْوَغَى كَاللَّيْلِ حَالِكْ
قَلَّدَ الْاَعْنَاقَ مِنَّا جُودُهُ ۞ وَهُوَ بِالْاِحْسَانِ لِلْاَحْرَارِ مَالِكْ
طَوَّلَ اللّٰهُ لَنَا فِي عُمْرِهِ ۞ وَوَقَاهُ شَرَّ اَحْدَاثِ الْمَهَالِكْ

فلما فرغ من تحريرها ارسل بها الى حضرة السلطان صحبة عبد من عبيد عمه الوزير شمس الدين فاطلع عليها الملك و سر خاطره بها و قرأها للحاضرين بين يديه فاثنوا عليه ثناء عظيما ثم استدعاه الى مجلسه فحضر فقال له الملك انت من هذا اليوم نديمي وقد عينت لك في كل شهر الف درهم مع ما قلدتك به سابقا فقام حسن البصري و قبل الارض بين يديه ثلث مرات و دعا له بدوام العز و طول البقاء ثم ان حسن البصري علا قدره و طار صيته في البلدان و بقي في اجمل حال و ارغد عيش مع عمه و اهله الى ان ادركته الوفاة فلما سمع القصة هرون الرشيد من لسان جعفر تعجب و قال ينبغي ان تكتب هذه الاحاديث بماء الذهب ثم اطلق العبد وامر بان يعين للشاب في كل شهر ما يطيب به عيشه ووهب سرية

من عنده و صار ممن ينادمه و ما هذا با عجب من حكاية الخياط
والاحدب واليهودي و الشاهد والنصراني و ما وقع لهم قال الملك
و كيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في
قديم الزمان و سالف العصر والاوان في مدينة الصين رجل خياط
مبسوط الامل يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته في ٥
بعض الاحيان يتفرجون على التفرجات فخرجوا يوما من اول النهار
ورجعوا آخره الى منزلهم عند المساء فوجدوا في طريقهم رجلا احدب
رؤيته تضحك المغبون وتزيل الهم عن المحزون فعند ذلك تقدم
الخياط و زوجته يتفرجون عليه ثم انهم عزموا عليه ان يروح معهم
الى بيتهم لينادمهم تلك الليلة فاجابهم ومشى معهم الى البيت ١٥
فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد اقبل فاشترى سمكا مقليا
وخبزا و ليمونا و عقيدا يحلو به واتى وحط السمك قدام الاحدب
واكلوا فاخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة و لقمتها للاحدب وسدت
فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الا دفعة واحدة في فرد نفس ولا امهلك
حتى تمضغها فبلعها وكانت فيها شوكة قوية فانشبكت في حلقه مع انقضاء ٥
اجله فمات و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما لقمت الاحدب
جزلة السمك مع انقضاء اجله مات لساعته فقال الخياط لاحول ولاقوة
الا بالله مسكين جاء موته الا هكذا على ايدينا فقالت المرأة و ما ٢٠
هذا التواني اما سمعت قول القـــــــائـــــل

مَالِي أُسَلِّي نَفْسِي بِالْمُحَالِ إِلى   لَمْ أَلْتَقِي مِنْ حَبِيبٍ يَحْمِلُ أَحْزَانِي

كَيْفَ ٱلْجُلُوس عَلى نَارٍ وَلَا خَمِدَتْ · إِنَّ ٱلْجُلُوسَ عَلَى ٱلنِّيْرَانِ خُسْرَانَ

فقال لها زوجها وما افعله قالت له قم و احمله في حضنك و انشر
عليه فوطة حريرو اخرج انا قدامك و انت و رائي في هذه الليلة
و قل هذا ولدي و هذه امه رايحين به الى الطبيب يراه فلما سمع
٥ الخياط هذا الكلام قام و حمل الاحدب في حضنه و زوجته تقول
يا ولدي سلامتك ايش يوجعك و هذا الجدري كان لك في اي مكان
فكل من رآهم يقول معهم طفل طرحان ولم يزالوا سائرين و هم
يسألون عن منزل الطبيب فدلوهم الى بيت طبيب يهودي فقرعوا
الباب فنزلت لهم جارية سوداء و فتحت الباب و نظرت و اذا بانسان
١٠ حامل صغير و امرأة معه فقالت الجارية ماخبرك فقالت امرأة الخياط
معنا صغير مرادنا ينظره الطبيب فخذي هذا الربع دينارو اعطيه
لسيدك و خليه ينزل يرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية
و دخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها اترك الاحدب هنا
و خلّنا نفوز بانفسنا فاوقفه الخياط و اسنده الى الحائط و خرج هو
١٥ و زوجته و اما الجارية فدخلت لليهودي و قالت له ان على الباب
رجل معه واحد ضعيف و معهم حرمة و قد اعطوني ربع دينار لك
تنزل تشوفه و تصف لهم ما يوافقه فلما راى اليهودي الربع دينار فرح
و قام عاجلا و نزل في الظلام فاول ماحط رجله عثر بالاحدب و هو
ميت فقال يا للعزير يا لموسى والعشر كلمات يا لهارون و يوشع بن
٢٠ نون كاني عثرت في هذا المريض فوقع الى اسفل فمات فكيف اخرج
بقتيل من بيتي فحمله وطلع به البيت و اعلم زوجته بذلك فقالت له
وما قعودك ان تعدت هنا الى طلوع النهار راحت ارواحنا انا و انت

نطلع به السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم وكان جاره رجلا شاهدا
مشرفا على مطبخ السلطان وهو كثير ما يأتي بالدهن الى بيته وتاكل
القطط والفيران وان طاب طرف ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح
ويجرونه وقد آذوه كثيرا في جميع ما يأتي به فطلع اليهودي و
زوجته وهم حاملين الاحدب وانزلوه بيديه ورجليه الى الارض ٥
وخلوه ملاصق الحائط وانزلوه وانصرفوا وما لحقوا ينزلون الاحدب
الا والشاهد جاء الى البيت وفتحه وطلع ومعه شمعة موقودة
فطلع في البيت فوجد ابن آدم واقفا في الزاوية تحت الباد هنج
فقال له الشاهد واه والله طيب ان الذي يسرق حوائجنا ما هو الا ابن آدم
فالتفت اليه وقال له هذا اللحم والدهن تاخذه انت وانا احسبه من القطط ١٠
والكلاب وانا قتلت قطط الحارة وكلابها ودخلت في خطيئتهم وانت
تنزل من السطوح ثم اخذ مطرقة عظيمة وهمز بها وصار عنده وضربه
على صدره فوجده مات فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن والليّة وكيف فرغت منية هذا
الرجل على يدي ثم نظر اليه فاذا هو احدب فقال ما يكفي انك احدب ١٥
حتى تصير حراميا وتسرق اللحم والدهن يا ستار استرني بسترك
الجميل ثم حمله على اكتافه ونزل به من بيته آخر الليل وما زال
به الى اول السوق فاوقفه بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وراح
واذا بنصراني سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له
سكره ان التسبيح قريب فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من ٢٠
الاحدب وجلس يبول قباله فلاحت منه التفاتة واذا بواحد واقف
وكان النصراني خطفوا عمامته في اول تلك الليلة فلما راى الاحدب
قائما اعتقد انه يريد يخطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على

و

رقبته موقع على الارض و صرخ النصراني على خفير السوق و نزل على
الاحدب من شده سكره و بقي يلكمه و يخنقه خنقا فجاء الخفير
فوجد النصراني بارك علي المسلم و هو يلكمه فقال له الخفير ماله هذا
فقال له النصراني هذا اراد ان يخطف عما متي فقال له الخفير قم عنه
فقام فتقدم اليه فوجده ميتا فقال الخفير و الله طيب نصراني يقتل
مسلما ثم مسك الخفير النصراني وكتفه و جاء به الى بيت الوالي
و النصراني يقول في نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا و ما
اسرع ما مات من لكمة و احدة فراحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان
السمسار و الاحدب و النصراني باتوا في بيت الوالي الى الصباح واصبح
الوالي طلع فامر بشنق القاتل و امر المشاعلي ان ينادي عليه و
نصب للنصراني خشبة و اوقفه تحتها وجاء المشاعلي رمى في رقبة النصراني
الحبل و اراد ان يعلقه و اذا بالشاهد قد شق بين الناس فراى النصراني و
هو رائح يشنق ففسح الناس وقال للمشاعلي لا تفعل انا الذي قتلته فقال
له الوالي لاي شيءٍ قتلته قال اني طلعت الليلة بيتي فرايته نزل من
الباد هنج و سرق رحلي فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته
وجئت الى السوق و اوقفته في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال الشاهد
ما كفاني اني قتلت مسلما حتى اقتل نصرانيا فلا تشنق غيري فلما
سمع الوالي كلام الشاهد اطلق النصراني السمسار و قال للمشاعلي
اشنق هذا باعترافه فاخذ الحبل من رقبة النصراني و وضعه في رقبة
الشاهد و اوقفه تحت الخشبة و اراد ان يعلقه و اذا باليهودي الطبيب قد
شق الناس و صرخ علي الناس و على المشاعلي وقال له لا تفعل ما
قتله الا انا في هذه الليلة كنت في بيتي و اذا برجل وامراة دقوا
الباب و معهم هذا الاحدب ضعيف فدفعوا للجارية ربع دينار

فما علمتني و اعطتني اياه و اما الرجل و المراة فادخلاه في البيت
و وضعاه علي السلم و ذهبا فنزلت لا نظره و انا في الظلام فعثرت
فيه فوقع من فوق السلم لا سفل فمات من وقته فحملته انا وزوجتي
ثم طلعنا به الى السطح و دار الشاهد هذا بجوار داري فارخينا هذا
الاحدب في الباد هنج بتاع الشاهد و هو ميت فلما طلع هذا الشاهد
و جده في بيته فاعتقد انه حرامي فضربه بمطرقة فوقع علي الارض
فاعتقد انه قتله فما كفاني قتلت مسلما بغير علمي و آخذ في ذمتي
مسلما آخر بعلمي فلما سمع الوالي كلام اليهودي قال للمشاعلي
اطلق الشاهد و اشنق اليهودي فاخذه المشاعلي و حط الحبل في
رقبته و اذا بالخياط شق الناس و قال للمشاعلي لاتفعل ما قتله الا انا
و ذلك اني كنت بالنهار اتفرج وجئت العشاء فلقيت هذا الاحدب
سكرانا ومعه دف وهو يغني بعزمه عليه فعزمت عليه وجبته الى بيتي
و اشتريت سمكا وقعدنا ناكل فاخذت زوجتي قطعة سمك و لقمة
ودستها في حنكه فَازْوَرَّ بعضه في حنكه فمات لوقته فاخذته انا وزوجتي
و جئنا به لبيت اليهودي فنزلت الجارية و فتحت لنا الباب فقلت لها
قولي لسيدك ان بالباب امراة و رجل و معهما ضعيف تعال انظره
و اعطيت لها ربع دينار فطلعت لسيدها وحملت انا الاحدب لرأس
السلم و اسندته ومضيت انا و زوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن
انه قتله ثم قال الخياط لليهودي صحيح قال نعم والتفت الخياط للوالي
و قال له اطلق اليهودي و اشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب
من امر هذا الاحدب و قال ان هذا امر يؤرخ فى الكتب ثم قال
للمشاعلي اطلق اليهودي و اشنق الخياط باعترافه فقدمه المشاعلي
و قال تعبنا نقدم هذا و نؤخر هذا ولايشنق واحد ثم وضع الحبل في

رقبة الخياط فهذا ما كان من امر هولاء واما ما كان من امرالاحدب
فقيل انه كان مسخرة للسلطـــان وكان لا يقدر يفارقه فلما سكر
الاحدب و غاب عنه تلك الليلة و ثاني يوم الى نصف النهار سال
عنـــه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالي و هو ميت
و امر بشنق قاتله فنزل الوالي يشنق القاتل فحضر ثاني و ثالث
وكل واحد يقول ما قتله الا انا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله
فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب و قال انزل الى الوالي
وائتني بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد المشاعلي رائح يشنق الخياط
فصرخ عليه الحـــاجب و قال لاتفعل و اعلم الوالي بقصة الملك
فاخذه و اخذ الاحدب معه محمولا والخياط و اليهودي والنصراني
والشاهد و طلعوا بالجميع فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الارض
و حكي له على ما جرى من الجميع وليس فى الاعادة افادة فلما سمع
الملك الحكاية تعجب و اخذه الطرب و امران يورخ ذلك بماء
الذهب و قال للحاضرين هل سمعتم باعجب من قصة هذا الاحدب
فعند ذلك تقدم النصراني و قال يـــا ملك الزمان ان اذنت لي
حدثتك بشيء جرى لى وهوا عجب واغرب واطرب من قصة الاحدب
فقال الملك حدثنا بما عندك فقال يا ملك الزمان اني لما دخلت
تلك الديار اتيت بمتجر واوقعني المقدور عندكم و اصل مولدي
بمصر و انا من قبطها و تربيت بها و كان والدي سِمْسَارا فلما
بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سِمْسَارا مكانه فبينما انا في
يوم من الايام قاعد واذا بشاب احسن ما يكون و عليه افخر ملبوس
و هو راكب حمارا فلما رآني سلم علي فقمت تعظيما له فاخرج
منديلا و فيه قدر سمسم و قال كم يســـاوي الاردب من هذا فقلت

له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكياليين واعمد الى باب النصر الى خان الجوالي تجدني فيه وتركني ومضى واعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة ندرت على المشترين فجاب كل اردب ماية وعشرون درهما فاخذت معي اربع تراسين ومضيت اليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام الى المخزن وفتحه حتى فرغ المخزن فكيلناه فجاء خمسين ارد بالخمسة آلاف درهم فقال الشاب لك في سمسرتك في كل اردب عشرة واقبض الثمن وخل لي عندك اربعة آلاف وخمسمائة درهم فاذا افرغ انا من بيع حواصلي اجيء لك آخذ المبلغ من عندك فقلت له نعم فقبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم الف درهم فغاب عني شهرا وجاء وقال لي اين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك ان تأكل عندنا شيأ فابى وقال احضر لي الدراهم حتى امضي واجيء آخذهم منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا وجاء وقال لي اين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك ان تاكل عندنا شيأ فابى وقال لي احضرلي الدراهم حتى امضي واجيء آخذهم منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا فقلت هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء راكبا على بغلة وعليه ثياب فاخرة وهو كالقمر ليلة البدر في تمامه وكانه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر وهو بخد احمر وجبين ازهر وشامة كانها قرص عنبر كما قيل فيه شعر

اَلْبَدْرُ وَالشَّمْسُ فِي بُرْجٍ قَدِ اجْتَمَعَا ... فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْإِقْبَالِ قَدْ طَلَعَا
وَقَدْ اَظْهَرَا حُسْنَهُمْ غَيْرَ النُّفُوسِ بِهِمْ ... فَيَا لَهُمْ عِنْدَ مَا دَاعِي السُّرُورِ دَعَا

بِالحُسْنِ وَالظَّرْفِ قَدْ تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ   وَزَانَهَا العَقْلُ وَالحَيَاءُ قَدْ بَرَعَا
تَبَارَكَ اللّٰهُ مَخْلُوقًا لَهُ عَجَبٌ   مَا شَاءَ رَبُّ العُلَا فِي خَلْقِهِ صَنَعَا

فلما رأيته قبلت يديه وقمت له ودعوت له وقلت له يا سيدي ما تقبض دراهمك فقال وايش العجلة حتى افرغ من مصالحي واخذها منك ثم ولى فقلت والله اذا جاء هذه المرة لابد ان اعزم عليه لكوني اتجرت في دراهمه وحصلت منها مالا كثيرا فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة افخر من الاولى فحلفت عليه ان ينزل عندي ويأكل ضيافتي فقال لي بشرط ان ما تنفقه علي يكون من مالي الذي عندك قلت نعم واجلسته ونزلت هيأت ما ينبغي من الاطعمة والاشربة وغير ذلك وجبت بين يديه وقلت بسم الله فتقدم للمائدة ومد يده الشمال واكل معي فتعجبت منه فلما فرغنا غسلت يده وناولته ما يمسح به يده وجلسنا للحديث بعد ما قدمت له شيأ من الحلوى فقلت يا سيدي فرج عني كربة لِمَ اكلت بيدك الشمال لعل في يدك شيأ يؤلمك فلما سمع كلامي انشد يقول شعر

خَلِيلَيَّ لَاتَسْأَلْ عَلى مَا بِمُهْجَتِي   مِنَ اللَّوْعَةِ الحَرَّا فَتُظْهِرَ اَسْقَامِي
وَمَا عَنْ رِضًى صَاحَبْتُ سَلْمَى بَدِيلَةً   بِلَيْلَى وَلٰكِنْ لِلضَّرُورَةِ اَحْكَامِ

واخرج يده من كمه واذا هي مقطوعة زند بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب ولا تقل في بالك اني اكلت معك بيدي الشمال عُجْبا ولكن لقطع اليمين سبب من العجب فقلت له وما سبب ذلك فقال اعلم اني من اولاد بغداد ووالدي من اكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون عن الديار المصرية فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي فاخذت

اموالا كثيرة و عبيت متجرا من قماش بغدادى وموصلي وسريت الكل
و سافرت من بغداد وكتب الله لي السلامة حتى دخلت مدينتكم
هذه ثم بكى و انشد يقول

قَدْ يَسْلَمُ الْمُطْمَسُ مِنْ حُفْرَةٍ وَيَقَعُ فِيهَا الْبَاصِرُ النَّاظِرُ
وَيَسْلَمُ الْجَاهِلُ مِنْ لَفْظَةٍ وَيَهْلِكُ فِيهَا الْعَالِمُ الْمَاهِرُ
وَيَعْسِرُ الْمُؤْمِنُ فِي رِزْقِهِ وَيُرْزَقُ الْكَافِرُ وَالْفَاجِرُ
مَا حِيلَةُ الْمَرْءِ وَمَا فِعْلُهُ هٰذَا الَّذِي قَدَّرَهُ الْقَادِرُ

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصرو نزلت القماش في خان مسرور
و فكيت احمالي و دخلتها و اعطيت الخادم دراهم يشتري لنا شيأ
ناكله و نمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين و رجعت بت ليلتي
فلما اصبحت فتحت فردة من القماش وقلت في نفسي اقوم اشق
بعض الاسواق وانظر الحال و اخذت بعض القماش و حملته لبعض
غلماني و سرت حتى و صلت قيصرية جرجس فاستقبلني السماسرة
وكانوا علموا بمجيئي فاخذوا مني القماش و نادوا عليه فلم يجب
رأس ماله فاغتميت لذلك فقال لي شيخ الدلالين ياسيدي اعرف
لك شيأ تستفيد منه تعمل ما يعمل التجار وتبيع متجرك الى اشهر
معلومة بكاتب وشاهد و صيرفي وتاخذ مالك كل يوم خميس و
اثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج
على مصر و نيلها فقلت هذا رأي سديد فاخذت معي الدلالين
و ذهبت الى الخان فاخذوا القماش الى القيصرية و بعته وكتبت عليهم
الثمن ورفعت الورقة للصيرفي و اخذت ورقة ورجعت الخان و اقمت
اياما كل يوم افطر على قدح شراب و احضر اللحم الضاني و الحلويات

شهرا ودخل الشهر الذى استحقيت فيه الجباية فبقيت كل يوم خميس
و اثنين ادخل القيصرية و اقعد على دكاكين التجار و يمضي الصيرفي
و الكاتب يجيبون الدراهم من التجار الى بعد العصر فاحسبها واختمها
و آخذها و انصرف الى الخان ففي يوم من الايام وكان يوم الاثنين
دخلت الحمام و خرجت الى الخان و دخلت موضعي و فطرت على
قدح الشراب و نمت و انتبهت فاكلت دجاجة و تعطرت و ذهبت لدكان
تاجر يقول له بدرالدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي
ساعة حتى قام السوق و اذا بامراة مياسة القوام و هي تتبختر في
مشيها جاءت بعصبة هائلة وروائح فائحة و رفعت الشعرية فنظرت الى
احداق سود فسلمت على بدرالدين فرد عليها السلام و وقف وتحدث
معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي فقالت لبدرالدين هل
عندك تفصيلة طرد وحش مقصب طرش فاخرج لها تفصيلة من التفاصيل
التي اشتراها مني فبايعته عليها بالف وما ئتين درهم فقالت
للتاجر آخذ التفصيلة و اذهب ارسل لك ثمنها فقال لها التاجر
لايمكن ياستي لان هذا صاحب القماش وله عليّ قسط فقالت ويلك
اني معودة آخذ منك كل قطعة قماش بجملة من الدراهم وافيدك
فيها فوق ماتريد و ارسل لك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر الى الثمن
في هذا اليوم فاخذت التفصيلة و رمت بها في صدره وقالت طائفتكم
لا تعرف لاحد قيمة و قامت مولية فحسبت بروحي راحت معها فقمت
و اوقفتها و قلت لها ياسيدتي تصدقي علي و ارجعي بخطواتك الكريمة
الي فرجعت و تبسمت و قالت لا جلك رجعت و قعدت قصادي
على الدكان فقلت لبدرالدين هذه التفصيلة كم شراؤها عليك قال الف
و مائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة اكتب لك

فيها ثمنها فاخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي و اعطيتها
التفصيلة و قلت لها خذي انت روحي وان شئت هاتي ثمنها بالسوق
الآتي و ان شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيرا ورزقك
مالي وجعلك بعلي فتقبل الله دعاءها ثم قلت لها يا سيدتي اجعلي
هذه التفصيلة لك و لك ايضا مثلها ودعيني انظر وجهك فلما رأيت
وجهها نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت لااملك
عقلي ثم ارخت الشعرية و اخذت التفصيلة وقالت ياسيدي لاتوحشني
و قدولت و قعدت انا في القيصرية الى بعد العصر وانا غائب العقل
وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ماحصل لي من الحب قمت وسألت
التاجر عنها فقال هذه صاحبة مال وهي بنت واحد امير مات والدها
و خلف مالاكثيرا فودعته و انصرفت و جئت للخان فقدم لي العشاء
فافتكرتها فلم آكل شيئا و نمت فلم يجئني نوم فسهرت الى الصباح
فقمت لبست بدلة غيرالتي كانت علي و شربت قدح شراب وفطرت
على شيءٍ قليل و جئت دكان التاجر فسلمت عليه و جلست عنده
فجاءت الصبية على عادتها وعليها بدلة افخر من الاولى ومعها جارية
و سلمت عليّ دون بدرالدين وقالت بلسان فصيح ما سمعت اعذب
ولااحلا منه ارسل معي من يقبض الالف والمائتين درهم ثمن
التفصيلة فقلت لها و ايش العجلة فقالت لاعدمناك وناولتني الثمن
و قعدت اتحدث و اياها فاومیت لها بالاشارة ففهمت اني اريد وصالها
فقامت على عجل منها و استوحشت مني وقلبي متعلق بها
وخرجت انا خارج السوق في اثرها واذا بجارية اتتني وقالت ياسيدي
كلم ستي فتعجبت وقلت مايعرفني هنا احد فقالت الجارية يا سيدي
ما اسرع مانسيتها ستي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان

تمشيت معها الى الصيرفي فلما راتني ازوتني لجانبها و قالت يا حبيبي وقعت بخاطري و تمكن حبك من قلبي ومن ساعة اني رايتك ماهنئ لي نوم ولا اكل ولاشرب فقلت لها عندي اضعاف ذلك و الحال يغني عن الشكوى فقالت ياحبيبي عندك والا عندي فقلت لها انا رجل غريب و مالي مكان يأ وبني الا الخان فان تصدقت فيكون عندك قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شئ الا ان كان في غد بعد الصلوة صل و اركب حمارك واسأل عن الجبانية فان و صلت فاسال عن قاعة بركات النقيب المعروف بابي شامة فاني ساكنة هناك و لاتبطئ فاني في انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا و جئت للخان الذي انا فيه و مضيت الليل سهران فما صدقت ان الفجر لاح فقمت و غيرت ملبوسي و تعطرت و تطيبت و اخذت معي خمسين دينارا في منديل و مشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بي الى الجبانية فمضى في لحظة فما اسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقري فقلت له ادخل الدرب و اسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا و قال انزل فقلت له امش قدامي الى القاعة و قلت له باكر تجيئني هنا و توديني فقال المكاري بسم الله فناولته ربع دينار ذهب فاخذه و انصرف فطرقت الباب فخرجتا لي صبيتين صغارا نهدا ابكارا كأنهن الا قمار فقالوا لي ادخل سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لفرحها بك فدخلت الى قاعة معلقة بسبعة ابواب و دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه الوان و به انهار دافقة و طيورها ناطقة و هي مبيضة ببياض سلطاني يرى الانسان وجهه فيها و سقفها مقربص بذهب وطرازات مكتوبة باللازورد قد حرت اوصافا حسنة و اضاءت للناظرين و ارضها مفروشة بالرخام المجزع و في وسطها فسقية و في

اركان تلك الفسقية طيور بالدر والجوهر مفروشة بالبسط و الحرير الملون و المراتب فلما دخلت جلست و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت و جلست لم اشعر الا والصبية قد اقبلت و عليها تاج مكلل بالدر والجوهر و هي منقشة مكتبة فلما رأتني تبسمت في وجهي وحضنتني و وضعتني على صدرها وجعلت فيها على فمي وجعلت تمص لساني و انا كذلك و قالت صحيح اتيت عندي فقلت لها انا عبدك فقالت اهلا و مرحبا والله من يوم رأيتك ما لذلي نوم ولا هنى لي طعام فقلت و انا كذلك ثم جلسنا نتحدث وانا مطرق براسي الى الارض حياء فما لبثت الا وقدمت لي سفرة من افخر الوان الاطعمة من سكباجه و قربوس مقلي منزل في عسل نحل و دجاج محشي فاكلت واياها و اكتفينا فقدموا لي الطشت والابريق فغسلت يدي ثم تطيبنا بالماورد الممسك ثم جلسنا نتحدث فانشدت تقول هذه الابيات

لَوْ عَلِمْنَا قُدُومَكُم لَنَشَرْنَا مُهْجَةَ الْقَلْبِ مَعَ سَوَادِ الْعُيُونْ
وَ فَرَشْنَا خُدُودَنَا لِلِقَاكُمْ لِيَكُونَ الْمَسِيرُ فَوقَ الْجُفُونْ

و هي تشكو اليّ مالاقت و انا اشكولها مالاقيت و تمكن حبها عندي و هان علي جميع المال ثم اخذنا نلعب و نتهارش و نتباوس الى ان اقبل الليل فقدموا لنا الجوار الطعام والمدام فاذا هي حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا و نمنا فنمت معها الى الصباح

ما رأيت عمري مثل هذه الليلة فلما اصبح الصباح قمت ورميت لها
تحت الفرش المنديل الذي فيه الدنانير و ودعتها وخرجت فبكت
و قالت يا سيدي متى ارى هذا الوجه الحسن فقلت لها اكون
عندك العشاء فلما خرجت اصبت الحمّار الذي جابني بالامس على الباب
ينتظرني فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت و اعطيت
الحمّار نصف دينار و قلت له تعــال وقت الغروب قال نعم ففطرت
و خرجت اطالب بثمن القمــاش ثم رجعت و قد عملت لها خروفا
مشويا و اخذت حلاوة ثم دعوت الحمّـال و وضعته له في المحمل
و اعطيته اجرته و رجعت في اشغالي الى الغروب فجاءني المكاري
وقت المغرب فاخذت خمسين دينارا و جعلتهم في منديل و دخلت
عندهم فوجدتهم مسحوا الرخام و جلوا النحاس و عمروا القناديل
واوقدوا الشموع و غرفوا الطعــام و روقوا الشراب فلما رأتني رمت
يديها على رقبتي و قالت اوحشتني ثم قدمت الموائد فاكلنا حتى اكتفينا
وشالت الجوار المائدة و قدمن المدام فلم نزل نشرب الى نصف الليل
فقمنا الى مجلس النوم فنمنا الى الصباح فقمت وناولتها الخمسين
دينارا على العادة و خرجت من عندها فوجدت الحمّار فركبت الى
خان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا و تحتهم
رز مفلفل و عملت قُلقاسا مقليا و اخذت فاكهة و نقلا و مشموما
و ارسلتهم و سرت الى البيت و اخذت خمسين دينارا في منديل
و خرجت ركبت مع الحمّار على العادة الى القاعة فدخلت فاكلنا و شربنا
و نمنا الى الصباح و قمت رميت لها المنديل و ركبت الى الخان
على العادة و لم ازل على تلك الحالة مدة الى ان بت و اصبحت لا
املك درهما ولا دينارا فقلت في نفسي كل هذا من فعل الشيطان

و انشدت اقول هذه الابيات

فَقْرُ الْغَنِيّ يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا اصْفِرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبْ
إِنْ غَابَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَ الْوَرَى وَإِنْ حَضَرَ فِي الحَيِّ مَالَهُ نَصِيبْ
يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا وَفِي الْفَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبْ
وَاللهِ مَا الْإِنْسَانُ بَيْنَ أَهْلِهِ إِذَا بُلِي بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبْ

فخرجت من الخان و مشيت بين القصرين و لا زلت امشي الى باب زويلة فوجدت الخلق في ازدحام و الباب مسدود من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جندى فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدي على جيبه فحسيت فوجدت صرة من داخل الجيب الذي يدي عليه فعلمت انها متصلة بتلك الصرة فاخذ تها من جيبه فحس الجندي بان جيبه خف فحط يده في جيبه فلم يجد شيئا والتفت نحوي وشال يده بالد بوس و ضربني على رأسي فسقطت الى الارض فاحاطوا بنا الناس و مسكوا لجام فرس الجندي و قالوا لاجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندي و قال هذا حرامي ملعون فعند ذلك استفقت و رأيت الناس يقولون هذا شاب مليح لم يأخذ شيئا فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القال و القيل و جذبوني الناس و ارادواخلاصي منه فبا لامر المقدر واذا بالوالي والمقدم والظلمة دخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين علي وعلى الجندي فقال الوالي ما الخبر فقال الجندي و الله يا خوند هذا حرامي وكان في جيبي كيس ازرق فيه عشرون دينارا فاخذه وانا فى الزحام فقال الوالي للجندي هل كان معك احد فقال الجندي لا فصرخ الوالي على المقدم فمسكني و قد زال الستر عني فقال له الوالي عره

فلما عروني و جدوا الكيس في ثيابي فلما و جدوا الكيس اخذه الو الي و فتحه وعدّه فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندي فغضب الو الي و عيط على المقدمين فقدموني بين يديه فقال لي يا صبي قل الحق انت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسي الى الارض و قلت انا ان قلت ما سرقت اخرجته و ان قلت سرقته وقعت في العناء فشلت رأسي فقلت نعم اخذته فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب و دعا با لشهود فحضر وا و شهدوا على منطقي هذا كله في باب زويلة فامر الوا لي المشا على فقطع يدي اليمين فرق قلب الجندي فشفع في و تركني الو الي و مضى و بقيت الناس حولي و سقوني قدح شراب و اما الجندي فانه اعطاني الكيس و قال انت شاب مليح ولا ينبغي ان تكون لصًّا ثم اني انشدت شعرا

وَ اللّهِ مَاكُنْتُ لِصًّا يا اَخَاثِقَةٍ وَ لاَ اَنَا سَارِقٌ يَا اَحْسَنَ النَّاسِ
لٰكِن رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ عَن عَجَلٍ فَزَادَ هَمِّي وَ وَسْوَاسِي وَ اِفْلاَسِي
وَ مَا رَمَيْتُ وَ لٰكِنَّ الاِلٰهُ رَمَى سَهْمًا فَطَيَّرَ تَاجَ المُلْكِ عَنْ رَاْسِي

فتركني الجندي وانصرف بعد ان اعطاني الكيس وانصرفت انا ولففت يدي في خرقة و ادخلتها عبي و قد تغيرت حالتي و اصفر لوني مما جرى علي فتمشيت الى القاعة وانا على غير استواء و رميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغيرا اللون فقالت لي ما وجعك و مالي ارى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي يوجعني و ما انا طيب فعند ذلك اغتاظت و تشوشت لاجلي و قالت لاتحرق قلبي يا سيدي اقعد و شل رأسك و حدثني بما قدتم لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت و قالت كأنك قد فرغ غرضك مني

فاني اراك بخلاف العادة فسكتُّ و صارت تحدثني و انا لا اجيبها حتى
انبل النايل فقدمت لي الطعام فامتنعت منه و خشيت ان تراني آكل
بيدي الشمال فقلت لا اشتهي ان آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما
تم لك اليوم و مالك مهموم و مكسور الخاطر و القلب فقلت الساعة
احدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك
فلا بد ان تشرب و تحدثني بخبرك فقلت لها لا بد ان احدثك قالت
نعم فقلت ان كان ولابد فاسقيني بيدك فملأت القدح و شربته و ملأته
و نا ولتني اياه فتنا ولته منها بيدي الشمال و فرت الدموع من جفني
فانشدت اقـــــــــــــول

اَذَا ارَادَ اللّٰـهُ اَمْرًا لِاِمْـــرِأٍ وَكَانَ ذَاعَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَـرْ
اَصَمَّ اُذْنَاهُ وَاعمى قَلْبَـــهُ وَسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَـرْ
حَتَّى اِذَا اَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَــهُ رَدَّ اِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَـبِـــرْ

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال و بكيت و صرخت
هي صرخة قوية و قالت ما سبب بكاءك احرقت قلبي و مالك تناولت
القدح بيدك الشمال فقلت لها ان في يدي حبة فقالت اخرجها
افقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها فلا تطيلي علي فما اخرج يدي
في تلك الســـاعة ثم شربت القدح و لم تزل تسقيني حتى غلب
علي السكر فنمت مكاني فابصرت يدي بـــلا كف ففتشتني فرأت
معى الكيس بالذهب فدخل عليها من الحزن مالا يدخل على احد
ولا زالت تتا لم بسببي الى الصباح فلما افقت من النوم وجدتهـــا
هيات لي مسلوقة و قدمتها فاذا هي اربعة اطيار دجاج و سقتني قدح
شراب فاكلت وشربت وحطيت الكيس واردت الخروج فقالت لي الى اين

رائح فقلت الى مكان اذهب اليه فقالت لا ترح اجلس فجلست فقالت
و بلغت محبتك ان صرفت جميع مالك وعدمت كفك اشهدك علي
والشاهد الله اني لا افارقك و ستری صحة قولي و ارسلت خلف الشهود
فحضروا فقالت لهم اكتبو اكتابي على هذا الشاب و اشهدوا اني
قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالی الذي
في هذا الصندوق و جميع ما عندي من العبيد والجوار لهذا الشاب
فشهدوا عليها و قبلت انا التمليك و انصرفوا بعد ما اخذوا الاجرة
واخذتني من يدي واوقفتني على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت
لي انظر الى الذي فی الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن منا ديل فقالت
هذا مالك الذي اخذته منك فكلما اعطيتني منديلا فيه خمسين دينارا
أولفه و ارميه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رجع اليك و انت
اليوم عزيز فقد جری عليك القضاء بسببي حتی علمت يمينك
و انا لا اقدرا كافئك ولو بذلت روحي لكان قليلا ولك الفضل ثم قالت
لي تسلم مالك فنقلت صندوقها الی صندوقي و جعلت مالي الی مالها
الذي كنت اعطيته لها و فرح قلبي و زال همي فقمت قبلتها
و شكرت لها فقالت لقد بذلت يدك في محبتي فكيف اقدر على
مكافاتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان قليلا وما اقوم بواجب
حقك علي ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها و صيغتها
و اسبابها بحجة و ما نامت تلك الليلة الا مهمومة من همي حتی
حكيت لها جميع ما وقع لي و بت معها و اقمنا اقل من شهر و قوي
بها الضعف و زاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما الا وهي
من اهل الآخرة فجهزتها و واريتها التراب و عملت لها ختمات
و تصدقت عليها بجملة من المال و نزلت من التربة فرايت لها مالا

جزيلا و املاكا وعقارات ومن جملة تلك المخازن مخزن السمسم
الذي بعت لك منه و ماكان اشتغالي عنك هذه المدة حتى بعت بقية
الحواصل و جميع ما فى المخازن والى الآن لم افرغ من قبض الثمن
وانك لا تخالفني فيما اقول لك عليه لاني اكلت زادك و قد وهبتك
ثمن السمسم الذي عندك فهذ اسبب قطع يميني و اكلي بيدي
الشمال فقلت له لقد احسنت و تفضلت فقال لي هل لك ان تسافر
معى الى بلادي فاني اشتريت متجرا مصريا و اسكندرانيا فهل لك
ان تصاحبني فقلت نعم و اوعدته على راس الشهر ثم بعت جميع
ما املك و اشتريت به متجرا آخر و سافرت انا والشاب الى هذه
البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجره و اشترى عوضه من بلادكم
و مضى الى ديار المصرية فكان قسمي انا في تعادي هذه الليلة حتى
حصل ما حصل لي في غربتي فهذا يـاملك الزمان ما هو اعجب
من حديث الا حدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم و ادرك
شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان ملك الصين لمـــا قال
لا بد من شنقكم فعند ذلك تقدم الشاهد لملك الصين و قال ان
اذنت لى حكيت لك حكاية اتفقت لى في تلك المدة قبل ان اجد
هذا الاحدب و ان كانت اعجب من حديثه تهب لنا ارواحنا فقال الملك
نعم فقال اعلم اني كنت فى الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة
و جمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرئون و فرغوا مد السماط فمن جملة ما
قدموا زيرباجة فتقدمنا ناكل من الزيرباجة فتاخر واحدمنا و امتنع

من الاكل منها فحلفنا عليه فاتسم هو ان لاياكل منها فالزمناه فقال لا تغصبوني فكفاني ماجرى لى من اكلها ثم انشد يقـــــول

خُذْ مِلْيكًا فَوقَ كَتْفِكَ وَ ارْتَحِلْ وَإِنْ يَطِبْ لَكَ ذٰلِكَ الْكُحْلَ اكْتَحِلْ

فلما فرغ قلنا له بالله عليك ما سبب امتنا عك من الاكل من الزيرباجه فقال انكان ولابدان آكل من هذه الزيرباجة فلا آكل منها الان اغسل يدي اربعين مرة بالصابون واربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسُعد جملتهم مائة وعشرون مرة فعند ذلك امر صاحب الدعوة غلمانه فاتوا بالماء وبالذي طلبه فغسل يديه كما ذكرنا وجاء الشاب وهو متكره وجلس ومد يده وهو مثل الخـــائف وغمس يده فى الزيرباجة وصار ياكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية العجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو ياكل باربع اصــابع فقلنا له بالله عليك مالابهامك هكذا هو خلقة الله ام اصابه حادث فقال يا اخواني وما هو هذا الابهام وحده ولكن ابهامي الاخرى ورجلاي الاثنين ولكن حتى تروا ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناه مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رايناه كذلك ازددنا عجبا وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك وسبب قطع ابهاميك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدي كان تاجرا من التجار الكبار وكان اكبر تجار مدينة بغداد على ايام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود وآلات الملاهي فلما مات لم يترك شيئا نهيانه وقد عملت له ختمات وحزنت عليه اياما وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الايسيرا ووجدت عليه ديونا فصبّرت اصحـــاب الديون وطيبت

خواطرهم و صرت ابيع و اشتري من الجمعة الى الجمعة و اعطي اصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى ان وفيت الديون و زدت على رأس مالي اياما ولياني فبينما انا في يوم من الايام جالس فما ادري الاوصبية لم ترعيني احسن منها عليها حلي وحلل راكبة بغلة و قد امها عبد وو راءها عبد فا وقفت البغلة على رأس القيصرية ودخلت و دخل خادم خلفها وقال يا ستي اخرجي ولا تعلمي احدا فتطلقي فينا النار ثم حجبها الخادم حتى نظرت الى دكاكين التجار فلم تجد احدا فتح دكانه غيري فتمشت والخادم خلفها وجلست على دكاني و سلمت علي فما سمعت احسن من حديثها ولا اعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فرايتها مثل القمر فنظرت لها نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها و جعلت اكرر النظر الى وجهها و انشدت اقول شعر

قُلْ لِلمَلِيحَةِ فِي الخِمَارِ الفاخِتِي ... اَلْمَوْتُ حَقًّا مِنْ عَذَابِكِ رَاحَتِي

جُودِي بِوَصْلٍ عَلَّنِي اُحْيِى بِهِ ... هَا قَدْ مَدَدْتُ اِلى نَوَالِكِ رَاحَتِي

فلما سمعت مني هذا الشعر اجابتني و هي تقول

عَلِمْتُ اصْطِبَارِي فِي الْهَوَى اَسْلاَكُم ... وَ اِنَّ فُؤَادِي لاَ يُحِبُّ سِوَاكُمُ

وَاِنْ نَظَرَتْ عَيْنِي اِلى غَيْرِ حُسْنِكُم ... فَلاَ سَرَّهَا بَعْدَ البِعَادِ لِقَاكُمُ

حَلَفْتُ يَمِينًا لَسْتُ اَسْلاَ هَوَاكُمُ ... وَ قَلْبِي حَزِينٌ مُعْجَبٌ بِلِقَاكُمُ

سَقَانِي الْهَوَى كَاسًا مِنَ الحُبِّ مُتْرَعًا ... فَيَالَيْتَهُ لَمَّا سَقَانِي سَقَاكُمُ

خُذُوا الجِسْمَ مِنِّي مَعَكُمْ اَيْنَ سِرْتُم ... وَ اَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِي حِذَاكُمُ

وَنَادُوا بِاِسْمِي عِنْدَ قَبْرِي يُجِيبُكُم ... اَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ وَقْعِ نِدَاكُمُ

فَلَوْقِيلَ لِي مَاذَا عَلَى اللهِ تَشْتَهِي ... لَقُلْتُ رِضَى الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رِضَاكُمُ

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى عندك تفاصيل ملاح فقلت ياستي
مملوكك فقير و لكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم و اجيب لك
ما تريدينه ثم تحدثت انا و اياها و انا غارق في بحر محبتها تائه
في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت و اخذت لها جميع
ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم ونا ولتهم للخادم فاخذهم
الخادم و خرجوا الى بر القيصرية فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكرلي
هي من اين و استحييت اني اذكر لها ذلك و التزمت التجار لي
بالثمن و استلمت الغرامة بخمسة آلاف درهم وجئت البيت و انا سكران
من محبتها فقدموا لي العشا فاكلت لقمة و تذكرت حسنها و جمالها
و اردت ان انام فلم يجئني نوم و لم ازل على هذه الحالة جمعة
فطالبوني التجار باموالهم فصبرتهم جمعة اخرى فبعد الجمعة الا وهي
اقبلت راكبة البغلة و معها خادم و عبدين فسلمت علي و قالت
يا سيدي ابطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفي و اقبض الثمن
فجاء الصيرفي و اخرج له الطواشي الثمن فقبضته و صرت
اتحدث انا و اياها الى ان فتح السوق فقالت خذلي كذا
وكذا فاخذت لها من التجار ما ارادت و اخذته و مضت
ولم تخاطبني في ثمنه فلما مضت ندمت على ذلك و كنت اخذت
الذي طلبته بالف دينار فلما غابت عن عيني قلت في نفسي ايش
هذه المحبة اعطتني خمسة الاف درهم واخذت شيئا بالف دينار
فحسبت بالفقر من مال التجار و قلت ان التجار لم يعرفوا الا انا فما
كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتني بحسنها و جمالها و رأتني صغيرا
فضحكت علي ولم اسالها عن منزلها ولم ازل في وسواس وطالت
غيبتها اكثر من شهر فطالبوني التجار و شددوا عليّ فقدمت عقاري

للمبيع و اضمرت على الهلاك ثم تعللت و انا متفكر فلم اشعر الا وهي
نازلة على باب السوق ودخلت علي فلما رايتها زالت الفكرة ونسيت
ما كنت فيه واقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الصيرفي
و اوزن ما لك فاعطتني ثمن ما اخذته بزيادة ثم انبسطت معي
في الكلام فكدت اموت فرحا و سرورا حتى قالت لي انت لك زوجة
فقلت لا اني لا اعرف امرأة قط ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت
خير ثم اني اخذت بعض الدنانير واعطيتها للخادم وسالته ان يتوسط
في الامر فضحك وقال هي عاشقة لك اكثر منك وما لها بالقماش
الذي اشترته منك حاجة و انما فعلت هذا لاجل محبتها لك فخاطبها بما
تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فراتني و انا اعطي الخادم الدنانير
فرجعتُ وجلستُ ثم قلت لها تصدقي على مملوكك و اسمحي له
فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فاجابت قولي و قالت للخادم
انت تأتي برسالتي و قال لي اعمل بما يقول لك الخادم عليه ثم قامت
و مضت و قمت سلمت التجار اموالهم و حصل لهم الربح الا انا حصل
لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم انم طول ليلتي فما كان الا
اياما قلائل وجاءني خادمها فاكرمته وسالته عنها فقال انها مريضة
فقلت للخادم اشرح لي امرها قال هذه الصبيه ربتها الست زُبَيْدَة
زوجة الخليفة هارون الرشيد وهي من جوارها وقد اشتهت على
سيدتها الخروج والدخول فوصلت حتى صارت قهرمانة ثم انها
حدثت الست بك وسالتها ان تزوجها بك فقالت الست لا افعل حتى
انظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوّجتك به ونحن نريد الساعة
ندخل بك الدار فان دخلت الدار وصلت تزويجك اياها و ان
كشف امرك ضربت رقبتك فما ذا تقول قلت لهم اروح معك واصبر

على الامر الذي حدثتني به فقال له الخادم اذا كان هذه الليلة فامض
الى المسجد وصل فيه و بت فيه وهذا المسجد الذي بنته الست
زبيدة على الدجلة فقلت حبا وكرامة فلما كان العشاء مضيت الى المسجد
و صليت فيه و بت فلما كان وقت السحر و اذا بخادمين اقبلا في
زورق و معهما صناديق فارغة فادخلوها المسجد و انصرفوا و تاخر واحد
منهم فتاملته فاذا هو الذي كان واسطة بيني و بينها فبعد
ساعة صعدت الينا الجارية صاحبتي فلما اقبلت قمت اليها و عانقتها
فقبلتني و بكت و تحدثنا ساعة فاخذتني و وضعتني في صندوق
و اغلقته علي و اقبلت بعد ذلك على الخادم ومعه شيء كثير من الامتعة
و جعلت تاخذ وتعبي في هذه الصناديق و تغلق واحدا بعد واحد
حتى عبت الجميع ثم وضعوهم في الزورق و اخذوا طالبين منزل
الست زبيدة فلحقني الفكر وقلت في نفسي لقد هلكت من اجل شهوتي
و هل تحصل او لا و جعلت ابكي و انا في الصندوق و ادعو الله
ان يخلصني مما انا فيه ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بالصناديق على
باب الخليفة و حملوا الصندوق الذي انا فيه من جملتهم فاجتازت
طائفة من الخدام الموكلين بالحريم واصحاب الستائر الى ان اتوا الى خادم
كبير فانتبه من النوم وصاح عليها وقال لها ايش في هذه الصناديق
قالت ملآنين امتعة للست زبيدة قال لها افتحي واحدا واحدا حتى
انظر ايش فيهم فقالت لاي شيء تفتحهم فصاح عليها وقال لاتطيلي لا بد
من فتح هذه الصناديق وقام قائما فاول ما بدأ بفتح الصندوق الذي
انا فيه فقدموه اليه فعند ذلك زال عقلي و بلت على نفسي من
خوفي و خرج بولي من خارج الصندوق فقالت للمقدم يا مقدم
اهلكتني و اهلكت نفسك و افسدت شيئا يساوي عشرة آلاف دينار فان

في هذا الصندوق ثياب ملونات و اربعة امنان من ماء زمزم و هذه
الساعة انفكت و جرت على الثياب التي فى الصندوق و الساعة تنفسخ
الو انها فقال لها الطوا شي خذي صناديقك و اذهبى الى لعنة الله
فحملت الخـدام صندوقي و اسرعوا وتلا حقت الصناديق بصندوقي
فبينما هم ذاهبين واذا جاء في اذني قائلا يقول ويلاه و يـلاه
الخليفة الخليفة فلما سمعت ذلك مت في جلدي وقلت كلمة لا يخجل
قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذه مصيبة عملتها بنفسي
فسمعت الخليفة يقول للجارية صاحبتي ويلك ايش في صناديقك هذه
فقالت في صناديقي ثياب الست زبيدة فقال افتحي لي ايا هم فلما سمعت
ذلك مت الموتة الكاملة وقلت في نفسي و الله ان هذا اليوم آخر
ايامي من الدنيا و ان سلمت من هذه فانا اتزوج بها ولا كلام وان
انكشف امري ضربت رقبتي وجعلت اقول اشهدان لا اله الا الله و ان
محمد ارسول الله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال اشهد ان لا اله
الا الله قال و سمعت الجارية تقول هذه الصناديق فيها وداعة وشيء
من الثياب للست زبيدة و تريدان لا يطلع عليها احد فقال الخليفة
لا بد من فتحهم و انظر ما فيهم ثم صرخ على الخدام وقال قدموا
الصناديق عندي فايقنت بالهلاك ولامحالة وغبت عن الدنيا فجعلت
الخدام يقدمون واحدا بعد واحد وهو يرى فيهم العطر والقماش
والثياب الفاخرة ولا زالوا يفتحون الصناديق وهو يرى ما فيهم
من الاثواب وغيرها حتى لم يبق الا الصندوق الذي انا فيه ومدوا

ايديهم ليفتحوه فاسرعت الجارية واتت للخليفة وقالت هذا الذي
تراه قدامك فهو قدام الست زبيده وهو الذي فيه سرها فلما سمع
كلامها امر بادخال الصناديق فاتوا الخدام وحملوني بالصندوق
الذي انا فيه ووضعوني في وسط القاعة بين الصناديق وكان نشف
ريقى فاخر جتني صاحبتي وقالت ما عليك بأس ولاخوف فاشرح
صدرك وطيب قلبك واجلس حتى تاتي الست زبيدة لعل ان يكون
لك نصيب فيّ فجلست ساعة واذا بعشرة جوار ابكار كانهن الاقمار
قدا قبلن واصطفين خمسة مقابلين لخمسة واذا بعشرين جارية اخرى
وهن نهد ابكار وبينهم الست زبيدة وهى لم تقدر تمشي مما عليها
من الحلي والحلل فلما اقبلت تفرقت الجوار من حواليها فاتيت انا
اليها وقبلت الارض بين يديها فاشارت لي بالجلوس فجلست بين
يديها ثم شرعت تسالنى وتسال عن نسبي فاجبتها عما سالتني عنه
ففرحت وقالت ما خابت تربيتنا فيك ايها الجارية ثم قالت
اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة الولد وهي وديعة الله عندك
فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجي ثم امرتنى ان اقيم عندهم
عشرة ايام فاقمت عندهم هذه المدة وانا لاارى الجارية الا ان
بعض الوصائف تاتينى بالغداء والعشاء وبعد هذه المدة شاورت الست
زبيدة الخليفة في زواج جاريتها فاذن لها وامر لها بعشرة آلاف
دينار فارسلت الست زبيدة خلف الشهود والقاضي وكتبوا كتابي
عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على
سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة ايام أُخر وبعد العشرين
يوما دخلت الجارية الحمام ثم انهم قدموا خونجه فيها طعام ومن
جملته خافقية زيرباجة محشية بالسكر وعليها الماورد الممسك وفيها

صدور الدجاج المحمرة و بقية الالوان ممايدهش العقول فوالله ما
امهلت دون ان بركت على الزيرباجة و اكلت منها بحسب الكفاية
و مسحت يدي و نسيت ان اغسلهما و تميت جالسا الى ان دخل الظلام
و اوقدت الشموع و اقبلت المغاني بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة
و ينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله و بعد ذلك اقبلوا بها وخففوا
ما عليها من الملبوس فلما خلوت معها في الفراش و عانقتها و انا
لم اصدق بوصالها ثم انها شمت في يدي رائحة الزيرباجة فلما شمت
الرائحة صرخت صرخة عظيمة فنزلت لها الجوار من كل جانب فارتجفت
و لم اعلم ما الخبر فقالت الجوار مالك يا اختنا فقالت لهن اخرجوا
هذا المجنون عني فانا احسب انه عاقل قلت لها و ما الذي ظهر لك
من جنوني فقالت يا مجنون لايش اكلت من الزيرباجة و لم تغسل يدك
فوالله لاجازيک على فعلك امثلك يدخل على مثلي ثم تناولت من
جانبها سوطا مضفورا و نزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت
انا من الدنيا من كثرة الضرب ثم انها قالت للجوار خذوه و امضوا به
الى متولى المدينة يقطع يده التي اكل بها الزيرباجة ولم يغسلها فلما
سمعت ذلك قلت لاحول ولا قوة الا بالله تقطع يدي من اجل اكل
الزيرباجة ولاغسلتها ندخلن عليها الجوار و قلن لها يا اختنا لا تواخذيه
بفعله هذه المرة فقالت و الله لا بدان اقطع شيئا من اطرافه ثم راحت
و غابت عشرة ايام و لم ارها و بعد العشرة ايام اقبلت علي و قالت
لي يا اسود الوجه انا اصلح لك كيف تاكل الزيرباجة ولم تغسل يدك
ثم صرخت على الجوار فكتفوني واخذت موسى ماضيا وقطعت ابهاماتي
كما ترون يا جماعة فغشي علي ثم ذرت عليه بالذرور فانقطع الدم
و جعلت اقول ما بقيت آكل الزيرباجة حتى اغسل يدي اربعين مرة

بالاشنان و اربعين مرة بالسُعد و اربعين مرة بالصابون فاخذت علي
ميثاقا اني لا آكل الزبرباجة حتى اغسل يدي كما ذكرت لكم فلما
جبتم بهذه الزيرباجة تغير لوني و قلت في نفسي هذه سبب قطع
ابهاماتي فلما غصبتم علي قلت لابد ان اوفي بما حلفت قال الحاضرون
فما الذي حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها و نمت
و اياها و قعدنا مدة و بعد المدة قالت ان دار الخلافة لا يحسن
مقامنا فيها وما دخل فيها غيرك وماذ خلت فيها الا بعناية الست زبيدة
وهي اعطتني خمسين الف دينار و قالت لي خذ هذه الدراهم واخرج
و اشتر لنا دارا فسيحة فخرجت و اشتريت دارا مليحة فسيحة و نقلت
جميع ما عندها في الدار من النعم وما ادخرته من الاموال و القماش
و التحف فهذا سبب قطع ابهاماتي فاكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى
مع الاحدب ماجرى و هذا سبب حديثي و السلام فقال الملك ما
هذا باعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب اعذب من
ذلك ولا بد من شنقكم انتم الجميع ثم ان اليهودي تقدم و قبل
الارض و قال يا ملك الزمان انا احدثك بحديث اعجب من حديث
الاحدب فقال ملك الصين هات ماعندك فقال اعجب ماجرى لي في
شبابي اني كنت في دمشق الشام و تعلمت فيها فبينما انا جالس
في يوم من الايام اذا تاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق وقال
كلم سيدي فخرجت له و توجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت
فرايت في صدر الايوان سريرا من المرمر مصفحا بصفائح الذهب وعليه
آدمي مريض راقد وهو شاب لم يرا حسن منه في الشباب فقعدت
عند راسه و دعوت له بالشفاء فاشار الي بعينه فقلت له ياسيدي ناولني
يدك بسلامتك فاخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك و قلت له

يا الله العجب هذا شاب مليح ومن بيت كبير و ناقص ادب هذا
هو العجب ثم جسيت مفاصله وكتبت له ورقة و قعدت اتردد عليه
مدة عشرة ايام حتى تعافى و دخل الحمام واغتسل و خرج فخلع
علي الصاحب خلعة مليحة و جعلني مباشرا عنده في المارستان الذي
بدمشق فلما دخلت معه الحمام وخليت له الحمام جميعه و دخلت
الخدم بالشاب و اخذوا ثيابه من داخل الحمام فلما تعرى رايت يده
اليمين قُطِعَتْ قريب العهد وهو سبب ضعفه فلما رايته اخذت اتعجب و
حزنت عليه و نظرت الى جسده فوجدت عليه آثار ضرب مقارع واستعمل
الادهان لاجل ذلك فتوسوست لذلك و بان في وجهي فنظر الي الشاب
و فهم عني الامر و قال لي يا حكيم الزمان لاتعجب من امري فسوف
احدثك بحديثي حتى نخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام واتينا
الى الدار و اكلنا الطعام و استرحنا فقال الشاب هل لك ان تتفرج في
الغرفة فقلت نعم فامر العبيد ان يطلعوا الفرش الى فوق وامرهم ان
يشووا خروفا و ان يا توا الينا بفاكهة فاتوا العبيد بالفاكهة فاكلنا و اكل
هو بيده الشمال فقلت له حدثني بحديثك فقال لي يا حكيم الزمان
اسمـــع ما جرى لي اعلـم انني من اولاد الموصل وكان لي والد
توفي والده و خلف عشرة اولاد ذكور من جملتهم والدي يا حكيم
وكان اكبرهم فكبر الجميع و تزوجوا و رزق والدي بي واما اخوته
التسعة فلم يرزقوا باولاد فكبرت انا و صرت بين اعمامي و هم فرحين
بي فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم في جامع
الموصل وكان يوم جمعة و والدي معنا و صلينا الجمعة و خرج الناس
جميعا و اما والدي و اعمامي فانهم قعدوا يتحدثون في عجائب البلاد
و غرائب المدن الى ان ذكروا مصر فقال اعمامي يقول المسافرون

ان ما على وجه الارض احسن من مصر و نيلها فلما سمعت هذا الكلام تشوقت الى مصر ثم قال و الدي من لا راى المصر ما راى الدنيا ترابها ذهب ونيلها عجب و نساؤها حور وبيوتها قصور وهوا وها معتدل يفوق عرفه الكبا ويخجل وكيف لا تكون كذلك وهي الدنيا و لله درّ من قال شعر

اَاَرْحَلُ عَنْ مِصْرٍ وَطِيْبِ نَعِيْمِهَا ... وَاَيُّ مَكَانٍ بَعْدَ هَالِيَ شَائِقُ
وَاَتْرُكُ اَوْطَانًا تَرَاهَا لِنَا شِقٍ ... هُوَ الطِّيْبُ لَامَا ضَمَّنَتْهُ الْمَفَارِقُ
وَكَيْفَ وَقَدْ اَضْحَتْ مِنَ الْحُسْنِ جَنَّةً ... زَرَابِيُّهَا مَبْثُوثَةٌ وَ النَّمَارِقُ
بِلَادٌ تَشُوقُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ بَهْجَةً ... وَ تَجْمَعُ مَا يَهْوَى تَقِيٌّ وَ فَاسِقُ
وَاِخْوَانُ صِدْقٍ يَجْمَعُ الْفَضْلُ شَمْلَهُمْ ... مَجَالِسُهُمْ مِمَّا حَوَوْهُ حَدَائِقُ
اَسُكَّانُ مِصْرٍ اِنْ قَضَى اللّٰهُ بِالنَّوَى ... فَثَمَّ عُهُودٌ بَيْنَنَا وَ مَوَاثِقُ
فَلَا تَذْكُرُوهَا لِلنَّسِيْمِ فَاِنَّهُ ... لِاَمْثَالِهَا مِنْ نَفْحَةِ الرَّوْضِ سَارِقُ

ثم قال والدي و لو رايتم رياضها بالا صائل و الظل عليها مائل لشاهدتم عجبا وملتم لها طربا قال و اخذوا يوصفون مصر ونيلها فلما فرغوا و سمعت انا هذه الاوصاف التي في مصر بقي خاطري فيها فلما فرغوا وقام كل واحد توجه الى منزله نمت تلك الليلة لم ياتني نوم من شغفي بهاو ما بقي يهنئ لي اكل ولا شرب فلما كان بعد ايام ثلاثة تجهز اعمامي الى مصر فبكيت على والدي حتى جهز لي متجرا ومضيت معهم و قال لهم لا تدعوه يدخل مصر و دعوه يبيع متجره بدمشق ثم سافرنا و ودعت والدي و خرجنا من الموصل و ما زلنا مسافرين حتى وصلنا حلب فاقمنا بها اياما ثم سافرنا الى ان وصلنا دمشق فرايناها مدينة ذات اشجار و انهار واثمار واطيار كانها جنة فيها

من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات ووقفوا اعمامي باعوا و اشتروا
وباعوا ايضا بضاعتي فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح وخلوني
اعمامي وتوجهوا الى مصر فقعدت بعدهم و مكثت في قاعة مليحة
البنيان يعجز عن وصفها اللسان آجرتها كل شهر دينارين فاقمت آكل
و اشرب حتى صرفت المال الذي معي ففي يوم من بعض الايام انا
قاعد على باب القاعة و اذا بصبية اقبلت وهي لابسة افخر الملابس
ما رأت عيني افخر منها فغمزت عليها فما تصرت حتي صارت داخل
الباب فلما دخلت دخلتُ انا معها فرددت الباب علي وعليها و كشفت
نقابها عن وجهها و قلعت ازارها فوجدتها بديعة في الجمال فتمكن
حبها من قلبي فقمت و جبت خونجه من اطيب الماكول و الفاكهة
وما يحتاج اليه المقام و اتيت به و اكلنا ولعبنا و بعد اللعب شربنا
حتى سكرنا فقمت و نمت معها في اطيب ليلة الى الصباح و اعطيت
لها عشرة دنانير فعبست وجهها وقطبت حاجبيها و زعلت و قالت
أُفٍّ لكم يامواصلة كانك تظن اني طامعة في مالك ثم اخرجت من جيب
قميصها خمسة عشر دينارا و خلت قدامي و قالت والله ان لم تاخذها
لم اعد اليك فقبلتها منها ثم قالت يا حبيبي انتظرني بعد ثلثة ايام
بين المغرب والعشاء اكون عندك وعَبِّ لنا بهذه الدنانير مثل هذا
و ودعتني وانصرفت فغاب عقلي معها فلما مضت الايام الثلثة اتت
و عليها من المزركش والحلي والحلل اعظم مما كان عليها اولا وكنت
عبيت لها المقام قبل ان تحضر ثم اكلنا و شربنا و نمنا مثل العادة
الى الصباح اعطتني خمسه عشر دنانير و واعدتني بعد ثلثة ايام تحضر
عندي ثم عبيت لها المقام وبعد ايام حضرت في قماش اعظم
من الاول والثاني ثم قالت يا سيدي ما انا مليحة فقلت إِيْ والله

فقالت هل تأذن لي ان اجيب معي صبية احسن مني واصغر سنا مني حتى تلعب معنا و تضحك و اياها و تنشرح قلبها لانها محزونة من زمان و قد سألتني ان تخرج معي وتبات معي فلما سمعت كلامها قلت اي والله ثم اننا سكرنا و نمنا الى الصباح فاخرجت لي خمسة عشرة دنانير و قالت زد لنا المقام لاجل الصبية التي تأتي معي ثم انها انصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها المقام على العادة فلما كان بعد المغرب و اذا بها اتت و معها واحدة ملفوفة بازار فدخلوا و جلسوا فلما رايتها انشدت شعر

مَا اَطْيَبَ وَقْتَنَا وَاهْنَى ۔ وَالْعَاذِلُ غَائِبٌ وَ غَافِل
عِشْقٌ وَ مَسَرَّةٌ وَ سُكْرٌ ۔ اَلْعَقْلُ بِبَعْضِ ذَاكَ زَائِل
وَالْبَدْرُ يَلُوحُ فِي قِنَاعٍ ۔ وَالْغُصْنُ يَمِيلُ فِي غَلَائِل
وَالْوَرْدُ عَلَى الْخُدُودِ غَضٌّ ۔ وَالنَّرْجِسُ فِي الْعُيُونِ ذَابِل
وَالْعَيْشُ كَمَا اُحِبُّ صَافٍ ۔ وَالْاُنْسُ بِمَنْ اُحِبُّ كَامِل

ففرحت و اوقدت الشمع والتقيتهم بالفرح و السرور فقاموا وخففوا ما عليهم من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرايتها كالبدر في تمامه فلم اراحسن منها فقمت وقدمت لهم الاكل والشرب فاكلنا و شربنا و صرت القم الصبية الجديدة واملاء لها القدح و اشرب معها فغارت الصبية الاولى في الباطن ثم قالت بالله هذه الصبية ما هي اظرف مني قلت اي والله قالت خاطري ان تنام معها قلت على راسي و عيني ثم قامت و فرشت لنا فقمت رحت للصبية و نمت الى وقت الصبح فتحركت فوجدت روحي في عرق عظيم فحسبت اني عرقان فقعدت انبه الصبية و هزيت اكتافها فتدحرجت راسها

من علا الوسادة فطار عقلي و صرخت و قلت يا جميل الستر سِتّرك
فوجدتها مذبوحة فنهضت على حيلي وقد اسودت الدنيا في عيني
و طلبت صاحبتي القديمة فلم اجدها فعلمت انها هي التي ذبحت
الصبية من غيرتها منها فقلت لاحول ولا قوة الابالله العلي العظيم
كيف يكون عملي فتفكرت ساعة و قمت قلعت ثيابي و حفرت
في وسط القاعة حفرة واخذت الصبية مع مصاغها و جعلتها في الحفرة
ورديت عليها التراب والرخام وغسلت ولبست ثيابا نظيفة واخذت
بقية مالي و خرجت من البيت وقفلته وجئت لصاحب القاعة وشجعت
نفسي ودفعت له اجرة سنة و قلت له انا مسافر الى اعمامي بمصر
ثم سافرت الى مصر واجتمعت باعمامي ففرحوا بي و وجدتهم
قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي ما سبب مجيئك فقلت لهم
اشتقت لكم و لم اعلمهم ان معي شيئا من مالي فاقمت عندهم سنة
و انا اتفرج على مصر و نيلها و حطيت يدي في بقية مالي و صرت
اصرف منه وآكل واشرب حتى قرب سفر اعمامي فهربت واختفيت منهم
ففتشوا علي فلم يسمعوا لي خبرا فقالوا يكون رجع الى دمشق فسافروا
و خرجت انا فاقمت بمصر ثلث سنين حتى لم يبق معي من المال شيءُ
و انا في كل سنة ارسل لصاحب القاعة الى دمشق اجرتها و بعد الثلث
سنين ضاق صدري و لم يبق معي الا اجرة السنة فقط ثم سافرت
الى ان وصلت الى دمشق و نزلت القاعة ففرح بي صاحبها و وجدت
المخازن مقفلة كما كانت ففتحتها واخرجت الحوائج التي فيها
فوجدت تحت الفراش الذي كنت نائما عليه تلك الليلة مع الصبية
التي ذبحت طوق ذهب مرصعا بجواهر فاخذته ومسحته من دم الصبية
المذبوحة وتاملته وبكيت ساعة ثم اقمت يومين و في اليوم الثالث

دخلت الحمام وغيرت اثوابي وانا ما معي من الدراهم شيء فجئت يوما الى السوق فوسوس لى الشيطان لاجل انفاذ القدر فاخذت عقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام واجلسني بجانب صاحب الدار وصبر حتى عمر السوق واخذه الدلال ونادى عليه خفية وانا لا اعلم واذا العقد مثمن جاب الفين دينارا فجاءني الدلال وقال هذا العقد عقد نحاس مصنوع صنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الف درهم فقلت له نعم هذا كنا صغناه لواحدة نضحك عليها به وورثته زوجتي فاردنا بيعه فرح اقبض الالف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما قال للدلال اقبض الالف درهم فلما سمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فمضى بالعقد الى كبير السوق واعطاه له فاخذ وتوجه الى الوالى وقال له ان هذا العقد سرق من عندي ووجدنا الحرامي لابس لبس اولاد التجار فما اشعر الا والظلمة احاطوابي واخذوني ودوني للوالى فسالني الوالى عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالى وقال ما هذا كلام الحق فلم ادر الا وانا تعريت من ثيابي وضربت بالمقارع على اجنابي فحرقني الضرب فقلت انا سرقته وقلت في نفسي الاحسن انك تقول انا سرقته ولا اقول ان صاحبته مقتولة عندي فيقتلوني فيها فكتبوا اني سرقته فقطعوا يدي وقلوها فى الزيت فغشي علي فسقوني الشراب حتى افقت فاخذت يدي وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيث ما جري لك هذا خلِّ القاعة وانظرلك موضعا آخر لانك متهم

بالحرام فقلت له سيدي اصبر علي يومين او ثلثة حتى انظرلي موضعا قال نعم و مضى و تركني فبقيت قاعدا ابكي و اقول كيف ارجع الى اهلي و انا مقطوع اليد و لم يعلموا اني بريءٌ فلعل الله يحدث بعد ذلك امرا و بكيت بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عني لحقني غم شديد فتشوشت يومين وفي اليوم الثالث ما ادري الا وصاحب القاعة جاءني و معه بعض الظلمة و كبير السوق فادعى اني سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلوني دون ان كتفوني ورموافي رقبتي جنزيرا وقالوا لي العقد الذي كان معك طلع لصاحب دمشق و وزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد عدم من عنده من مدة ثلث سنين مع ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم غطس قلبي و قلت راحت روحك لامحالة و الله لابد ان احكى للصاحب حكايتي فان شاء قتلني وان شاء عفا عني فلما و صلنا للصاحب او قفني بين يديه فلما رآني نظر الي بطرف عينه و قال للحاضرين لم قطعتم يده لان هذا الرجل مسكين وليس له ذنب وقد ظلمتموه بقطعكم يده فلما سمعت هذا الكلام قوي قلبي و طابت نفسي وقلت و الله ياسيدي لست بسارق و قد اتهمونى بهــذه التهمة العظيمــة و ضربوني بالمقارع في بطن السوق و حكموا علي بان اقر فكذبت على نفسي و اعترفت بالسرقة و انا بريئٌ منها فقال الصاحب لاباس عليك ثم رسم على كبيرالسوق وقال له اعط لهذا دية يده والا اشنقك و آخذ جميع مالك ثم صاح على المقدمين فاخذوه و جروه و بقيت انا و الصاحب ثم شالوا الجنزير من عنقي باذنه وحلوا كتافى فنظر الصاحب الي وقال يا ولدي اصدقني وحدثني كيف وصل اليك هذا العقد وقال شــ

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ اَنَّهُ اَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ

فقلت يا مولاي اقول لك الحق ثم حدثته على ماجرى لي مع الصبية الاولى وكيف جاءتني بالثانية وكيف ذبحتها من الغيرة و ذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز راسه وضرب يده اليمنى على اليسرى وحط منديله على وجهه و بكى ساعة وانشاء يقول شعر

اَرَي عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلُ

ثم اقبل علي وقال اعلم يا ولدي ان الصبية الكبيرة بنتي و كنت احجر عليها حجرا عظيما فلما بلغتْ ارسلتها مصر وتزوجت لولد عمها فمات فجاءتني وقد تعلمت القبح من اولاد مصر وجاءتك اربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة و الاثنان شقيقتان وكانتا تحبان لبعضهما بعضا فلما جرى للكبيرة ماجرى اخرجت سرها على اختها فطلبت الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسالتها عنها فوجدتها تبكي عليها و قالت لامها سرا بحضرتي على ماجرى من ذبحها لاختها و لم تزل تبكي و تقول والله لا ازال ابكي عليها حتى اموت وكان الامر كذلك فانظر يا ولدي ما جرى و انا اشتهي منك ان لا تخالفني فيما اقوله لك و هو اني ازوجك ابنتي الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما و هي بكر ولم آخذ منك مهرا واجعل لكما راتبا من عندي و تبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت نعم و من اين كنا حتى نصل الى ذلك فارسل في الحال للقاضي و الشهود و كتب كتابي و دخلت بها و اخذلي من كبير السوق مالا كثيرا وصرت عنده في اعز مكان و في هذا العام مات والدي فارسل الصاحب من عنده بريدا و اتاني بمالي الذي خلفه

والدي وانا اليوم في ارغد عيش فهذا سبب قطع يدي اليمين فتعجبت
منه واقمت عنده ثلثة ايام واعطاني مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت
الى بلدكم هذا فطابت لي المعيشة وجرى لي مع الاحدب ما جرى
فقال ملك الصين ما هذا باعجب من حديث الاحدب ولكن لابد لي
من شنقكم ولكن بقي الخياط الذي هو رأس كل خطيئة ثم قال يا خياط ان
حدثتني بشيء اعجب من حديث الاحدب وهبتكم ذنوبكم فعند ذلك
تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان ان اعجب ما جرى لي واتفق لي
بالامس انا كنت قبل ان اجتمع بالاحدب اول النهار في وليمة لبعض
اصحابي وجمع عنده نحو عشرين نفرا من اهل هذه المدينة وفينا
اصحاب صنايع خياطين وقزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت
الشمس مدلنا الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا
ومعه شاب غريب مليح من اهل بغداد وعلى ذلك الشاب احسن
ما يكون من الثياب والجمال غير انه اعرج فدخل علينا وسلم
فقمنا له فجاء يجلس فرأى فينا انسانا مزيّنا فامتنع من الجلوس
واراد ان يخرج من عندنا فمسكناه ومسك فيه صاحب المنزل وحلف
عليه وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاي لاتتعرض
لي بشيء فان سبب رجوعي هذا المزيّن النحس الذي قاعد فلما سمع منه
صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف هذا الشاب
من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم نظرنا له وقلنا له
احك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة جرى
لي مع هذا المزين مجرى في بغداد الذي هو بلدي وكان هو سبب عرجي
وكسر رجلي وحلفت اني ما بقيت اجالسه في مكان ولا في بلد
هو قاطن فيها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت في هذه

المدينة و انا الليلة لا ابات الا مسافرا فقلنا له بالله عليك احك لنا
حكايتك فقال الشاب و قد اصفر لون المزين يا جماعة اعلموا ان
والدي كان من اكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيري فلما
كبرت و بلغت مبلغ الرجال توفي والدي الى رحمه الله تعالى
وخلف لي مالا و خدما و حشما فصرت البس مليحا و آكل مليحا و كان
الله ابغضني في النساء ففي يوم من الايام انا ماشى في ازقة بغداد
و اذا بجماعة النسوة تعرضن لي في الطريق فهربت و دخلت زقاقا لا
ينفذ و ارتكنت في آخره على مِصْطَبة فلم اقعد غير ساعة و اذا بطاقة
قصر المكان الذي انا فيه فتحت و طلعت منها صبية كالبدر في تمامه
لم ار عمري مثلها و لها زرع تسقيه وهو على الطاقة فالتفتت يمينا
و شمالا و قفلت الطاقة و مضت فانطلقت في قلبي النار و اشتعل
خاطري بها و انقلبت البغضة محبة فلا زلت جالسا الى المغرب و انا
غائب عن الدنيا و اذا بقاضى المدينة راكب وقد امه عبيد و وراءه
خدم فنزل و دخل البيت الذى طلعت منه الصبية فعرفت انه ابوها
ثم اني جئت الى منزلي و انا مكروب و وقعت علي الفراش مهموما
فدخل علي جواري و قعدن حولى و لم يعرفن ما بي و انا لم اُبْدِ لهم
خطابا فبكين علي و تاسفن فدخلت علي عجوز فرانني فما خفي عليها
حالي فقعدت عند راسي ولا طفتني و قالت يا ولدي قل لي خبرك
و انا اكون سبب وصلتك فقلت لها حكايتي فقالت يا ولدي هذه بنت
قاضي بغداد وعليها الحجر والموضع الذي رايتها فيه طبقتها و ابوها له قاعة
كبيرة اسفل وهي جالسة وحدها و انا كثيرا ما ادخل لهم و لكن لم تعرف
وصالها الا مني فشد حيلك فشددت نفسي لما سمعت حديثها و فرحوا
اهلي في ذلك اليوم و اصبحت طيبا فمضت العجوز و رجعت و وجهها

متغير فقالت يا ولدي لا تسأل ما جرى لي منها لما قلت لها ذلك
و قالت لي ان لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكلام لا فعلن بك
ما تستحقين و لكن لابد ان ارجع لها ثاني مرة فلما سمعت ذلك
منها ازددت مرضا على مرضي فلما كان بعد ايام اتت العجوز
و قالت يا ولدي اريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت
روحي و قلت لها لك كل خير فقالت لما كان امس مضيت الى الصبية
فنظرتني و انا منكسرة الخاطر باكية العين فقالت يا خالتي مالي اراك
ضيقة الصدر فلما قالت لي ذلك بكيت و قلت لها ياستي اتيتك
من عند فتى يهواك و هو مشرف على الموت من اجلك فقالت
و قد رق قلبها و من اين يكون هذا الفتى الذي ذكرته قلت هو
ولدي و ثمرة فؤادي و رآك في الطاقة من ايام مضت وانت تسقي
زرعك و راى وجهك فهام بك عشقا و انا اول مرة اعلمته بما
جرى لي معك فزاد مرضه و لزم الوسادة و ما هو الا ميت لا محالة
فقالت و قد اصفر لونها هذا كله من اجلي قلت إيْ والله فماذا تريدين
قلت امضي اليه واقرئيه مني السلام و قولي ان عندي اضعاف ما عنده
فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلوة ياتي الى الدار فاذا جاء انا انزل وافتح
الباب و اطلعه عندي و اجتمع و اياه ساعة و يرجع قبل ان ياتي
ابي من الصلوة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت اجده من
الالم فطاب قلبي ورفعت لها ما كان علي من الثياب وانصرفت وقالت لي
طب قلبك فقلت لها لم يبق في شيء من الالم و تباشر اهل بيتي
و اصحابي لعافيتي و لم ازل كذلك الى يوم الجمعة و اذا بالعجوز
دخلت علي و سالتني عن حالي فاخبرتها اني بخير و عافية ثم لبست
ثيابي و تعطرت و بقيت انتظر الناس يدخلون الى الصلوة حتى

امضي اليهـــا فقالت العجوز ان معك في الوقت فسحة فلو مضيت
الى الحمام وازلت شعـــرك لاسيما من اثر المرض لكان في ذلك
صلاحا فقلت هو الصواب لكن احلق راسي و اعود ادخل الحمام
ثم ارسلت خلف المزين يحلق راسي وقلت للغلام امض الى السوق
و أتني بمزين يكون عاقلا و قليل الفضول لا يصدع راسي بكثرة كلامه
فمضى الغلام و اتى بهذا الشيخ السوء فلما دخل سلم علي فرددت
عليه السلام فقال اني اراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال
اذهب الله همك و غمك والباس و الاحزان عنك فقلت تقبل الله
منك فقال ابشر يا سيدي فقد جاءتك العافية تريد تقصير شعرك
او تخرج دما فانه ورد عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال من قصر
شعرة يوم الجمعة صرف عنه سبعين داء و روي عنه ايضا انه قال
من احتجم يوم الجمعة امن من ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له
دع عنك هذا الكلام وقم الساعة احلق لي راسي فاني رجل ضعيف فقام
ومد يده واخرج منديلا و فتحه واذا فيه اصطرلاب و هو سبع صفائح
مطعم بالفضة فاخذه ومضى الى وسط الدار و رفع راسه الى شعاع
الشمس و نظر مَليًا و قال لي اعلم انه مضى من يومنا هذا الذي هو يوم
الجمعة وهو يوم جمعة عاشر صفر سنة ثلث و خمسين و ستمائة
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام و سبع آلاف
و ثلثماية وعشـــرين من تاريخ الاسكندر والطالع في يومنا هذا
على ما اوجب علم الحساب من المريخ ثمان درج و ست دقايق
و اتفق انه قارنه عطارد و ذلك يدل على ان حلق الشعر طيب ودل
عندي انك تريد الاتصال بشخص و هو مسعود لكن بعده كلام يقع
وشي لا اذكره لك فقلت له والله لقد اضجرتني و صغرت روحي

و تَوَلَّتَ علي بفال غير مليح و انا ما طلبتک الا لتحلق راسي فقم واحلق
راسي ولا تطول معی الکلام فقال والله لو علمت بالذي رائح يجري لک
لم تعمل في هذا النهار شيئا و انا اشير عليک انک تعمل بالذي
اقول لک عليه في حساب الکواکب فقلت له والله اني ما رايت
مزينا له مهارة في علم النجوم سواک لکنی ادری و اعلم انک کثير
الخَرْ عبَلَاتِ و انا ما دعوتک الا لتزين راسي فجئتنی بهذ الکلام
الفاسد فقال المزين اتريد ازيد من هذا فقد مَنَّ الله عليک بمزين
منجم عالم بصنعة الکيمياء و السيمياء و النحو و الصرف و اللغة و علم
المعاني والبيان و علم المنطق والحساب و الهيئة والهندسة والفقه
والحديث و التفسير و قد قرأت الکتب و درستها و مارست الامور
و عرفتها و حفظت العلوم و اتقنتها و علمت الصنعة و احکمتها
و دبرت جميع الاشياء و رکبتها وکان والدک يحبنی لقلة فضولي
و لهذا خدمتی عليک فرض و انا قليل الفضول لا کما زعمت ولاجل
هذا اُدعی بالصامت الرزين وکان سبيلک ان تحمد الله ولا تخالفني
فاني ناصح لک و شفقان عليک و اودان اکون في خدمتک سنة کاملة
و تقوم بحقي ولا اريد منک اجرة علی ذلک فلما سمعت ذلک
منه قلت له انک قاتلي لا محالة في هذا اليوم و ادرک شهرزاد
الصباح فسکتت عن الکلام المباح

فلما کانت الليلة الموفية للثلثين

قالت بلغني ايها الملک السعيد ان الشاب قال له انک قاتلي في
هذا اليوم فقال يا سيدي انا الذي يسمونی الناس الصامت لقلة
کلامي دون اخوتي الستة لان اخي الکبير اسمه البقبوق و الثاني

الهدار و الثالث دقيق و الرابع اسمه الكوز الا سواني والخامس اسمه النشار و السادس اسمه شقاشق و السابع اسمه الصامت و هو انا فلما زاد علي هذا المزين بالكلام حسيت ان مرارتي انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار و دعه ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي بحلاقة راسي فقال هذا المزين حين سمع كلامي للغلام ايش هذا المقال يا مولاي والله لاآخذ منك اجرة حتى اخدمك ولا بد من خدمتك فانه واجب علي خدمتك و قضاء حاجتك ولا ابالي اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لاتعرف قدري انا اعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا من الاحسان لانه كان كريما والله لقد ارسل والدك خلفي يوما بمثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال لي اخرج لي دما فاخذت الاصطرلاب واخذت له الارتفاع فوجدت الطالع له نحسا واخراج الدم فيه صعب فاعلمته بذلك فامتثل امري وصبر فانشدت في مدحه

أَتَيْتُ إِلَى الْمَوْلَى لِإِنْقَاصِ الدَّمِ	فَلَمْ أَرَ وَقْتًا يَقْتَضِي صِحَّةَ الْجِسْمِ
جَلَسْتُ أُحَدِّثُهُ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ	وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشُرُ الْعِلْمَ مِنْ فَهْمِي
فَأَعْجَبَهُ مِنِّي السَّمَاعُ وَقَالَ لِي	تَجَاوَزْتَ حَدَّ الْفَهْمِ يَامَعْدِنَ الْعِلْمِ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْلَاكَ يَاسَيِّدَ الْوَرَى	أَفَضْتَ عَلَيَّ الْفَهْمَ مَا زَادَنِي فَهْمِي
كَأَنَّكَ رَبُّ الْفَضْلِ وَالْجُودِ وَالْعَطَا	وَكَنْزُ الْوَرَى فِي الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْحِلْمِ

فانطرب والدك وصاح للغلام وقال اعطه مائة وثلث دينار وخلعة فاعطاني جميع ذلك الى ان اتت ساعة حميدة واخرجت له فيها الدم ولا خالفني وشكرني وشكروني الجماعة الحاضرون فبعد خروج الدم ما امكنني السكوت حتى قلت له بالله يا مولاي

ما اوجب قولك للغلام اعطه مائة وثلث دنانير فقال دينار حق
النجامة و دينار حق المسامرة و دينار حق الحجامة والمائة دينار
والخلعة حق مدحك لي فقلت له لا رحم الله ابي الذي عرف مثلك
فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من
يغير ولا يتغير ما كنت اظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقال
الله في كتابه العزيز و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و انت
معذور على كل حال و ما ادري سبب عجلتك و انت تعلم ان اباك
وجدك ما كانا يفعلان شياً الا بمشورتي و قد قيل ان المستشار
موتمن وماخاب من استشار و قد قيل في بعض الامثال من لم يكن
له كبير فليس هو بكبير و قد قال الشاعر

إِذَا مَا عَزَمْتَ عَلى حَاجَةٍ   فَشَاوِرْ خَبِيْرًا وَلَا تَعْصِهِ

و ما تجد احدا اعرف مني في الامور و انا واقف على اقدامي
اخدمك و ما ضجرت منك فكيف ضجرت انت مني و انا اصبر
عليك لاجل ما لابيك علي من الفضل فقلت له و الله يا ذَنَب الحمار
لقد اطلت علي الخطاب و زدت علي في المقال و انا قصدي ان
تحلق راسي و تنصرف عني ثم انه قد بل راسي وقال لي قد علمت انه
دخلك الضجر مني لكن لا أواخذك لان عقلك ضعيف و انت
صبي و متى كنت بالامس كنت احملك على كتفي و امضي بك الى
المكتب فقلت له ياأخي بحق الله عليك اصبر علي حتى اقضي
شغلي و قم الى حال سبيلك ثم شققت اثوابي فلما رآني فعلت
ذلك اخذ الموسى و سنّه ولا زال يسنه حتى كاد عقلي يفارقني ثم
تقدم الى راسي و حلق منها بعضا ثم رفع يده و قال يا مولاي

العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن ثم انه انشد يقول

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِأَمْرٍ تُرِيدُهُ ۞ وَكُنْ رَاحِمًا لِلنَّاسِ تُبْلَى بِرَاحِمِ
وَمَا مِنْ يَدٍ اِلَّا يَدُ اللّٰهِ فَوْقَهَا ۞ وَلَا ظَالِمٍ اِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

ثم قال يا مولاي ما اظنك تعرف بمنزلتي فان يدي تقع على روس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي قال الشاعر شعر

جَمِيعُ الصَّنَائِعِ مِثْلُ الْعُقُودِ ۞ وَهٰذَا الْمُزَيِّنُ دَا رُالسُّلُوكِ
فَيَعْلُو عَلَى كُلِّ ذِي حِكْمَةٍ ۞ وَتَحْتَ يَدَيْهِ رُؤُسُ الْمُلُوكِ

فقلت له دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدري واشغلت خاطري فقال اظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلوة والسلام خير الامر ماكان فيه تانى وانا والله رابني امرك فاشتهي ان تعرفني ما تصلت عليه فاني اخشي ان يكون شيأ غير ذلك وقد بقي لوقت الصلوة ثلث ساعات ثم قال ما اريد ان اكون في شك من ذلك بل اريد اعرف الوقت على التحقيق لان الكلام اذا كان رجما بالغيب كان فيه عيب لاسيما لمثلي وقد ظهر واشتهر عند الناس فضلي فماينبغي لي ان اتكلم حدسا كما تتكلم عامة المنجمين ثم رمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى تحت الشمس ووقف مدة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلوة ثلث ساعات لاتزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فاخذ الموسى وسنّه كما فعل اولا وحلق بعض راسي وقال انا مهموم من عجلتك فلوا طلعتني على سببها لكان خيرالك لانك تعلم ان اباك وجدك ماكانا يفعلان شيئا الا بمشورتي فلما علمت ان مالي منه خلاص وقلت في نفسي جاء

وقت الصلوة واريدان امضي قبل ان تخرج الناس من الصلوة فان
تاخرت ساعة لادري اين السبيل الى الدخول اليها فقلت اوجز ودع عنك
هذا الكلام والفضول فاني اريدان امضي الى دعوة عند بعض اصحابي
فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة
حلفت على جماعة من اصد قائي ونسيت ان اهتم لهم في شيء
ياكلونه والساعة افتكرت وافضيحتاه منهم فقلت له لاتهتم بهذا الامر
بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب
فهولك ان انجزت امري وعجلت حلاقة راسي فقال جزاك الله خيرا
صف لي ما عندك لاضيافي حتى اعرفه فقلت عندي خمسة الوان
طعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال احضرهم لي
حتى انظر فاحضرت له ذلك جميعه فلما عاينه قال بقي الشراب
فقلت له عندي فقال احضره فاحضرته له قال لله درك ما اكرم نفسك
لكن بقي البخور والطيب فاحضرت له درجانية ند وعود وعنبر
ومسك يساوي خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق وضاق صدري
فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع راسي بحياة محمد صلى الله
عليه وسلم فقال المزين والله ما آخذه حتى ارى جميع ما فيه
فامرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده
وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج
حتى ضاق صدري ثم تقدم واخذ الموسى وحلق من راسي شيئا
يسيرا وانشد يقول

يَنْشُو الصَّغِيرُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ ‏ اِنَّ الْاُصُولَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ

وقال والله يا ولدي ما ادري اشكرك ام اشكر والدك لان

دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك و احسانك و ليس عندي من يستحق ذلك وانما عندي سادة محترمون مثل زنتوت الحمامي و صليع الفامي و سيلت الفوال و عكرشة البقال و حميد الزبال وسعيد الجمل وسويد العتال وابو مكارش البلان و قسيم الحارس وكريم السائس كل هوء لاء ما فيهم ثقيل و لا معربد ولا فضولي و لا منكد و لكل واحد من هؤلاء رقصة يرقصها وابيات ينشدها واحسن ما فيهم انهم مثل خادمك المملوك لا يعرفون كثرة الكلام ولا الفضول اما الحمامي فانه يغني على الدربلة شيأً مثل السحر و يقوم يرقص و يقول انارائح امي املى جرتي واما الفامي فانه يجئ بالمعرفة احسن من غيره و يرقص و يقول يا نائحة ياستي ماقصرتِ فما يخلي لاحد فؤادا من الضحك عليه و اما الزبال فانه يغني فيوقف الاطيار و يرقص و يقول الخبر عند زوجتي صار في صندوق وله مقدار وهو كيس خليع و في حسنه اقول

رُوحِي الْفِدَاءُ لِزَبَّالٍ شَغِفْتُ به   حُلْوُالشَّمَائِل يَحْكِي الْغُصْنَ مَيَّادَا
جَادَ الزَّمَانُ بِهِ لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ   وَالشَّوْقُ يَنقصُ مِنِّي كُلَّمَا زَادَا
اَضْرَمْتَ نَارَكَ فِي قَلْبِي فَجَاوَبَنِي   لَا غَرْوَاِنْ اَصْبَحَ الزَبَّالُ وَقَّادَا

و قد كمل في كلواحد من هؤلاء ما يلهي العقول من اللهو والمضحكة ثم قال و ليس الخبر كالعيان فان اخترت ان تحضر عندنا فان ذلك احب اليك و الينا و اترك رواحك الى اصدقائك الذين عَوَّلْتَ عليهم فان عليك اثر المرض وربما تمضي الى اقوام كثيرين الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم او يكون فيهم واحد فضولي يصدع رأسك وانت صغرت روحك من المرض فقلت له يكون

ذلک في غير هذا اليوم وضحکت من قلب الغيظ و قلت له اقض
شغلي و اسير انا في امان الله تعالى و تمضي انت الى اصحابک
فانهم ينتظرون قد ومک فقال يامولاي ما طلبت الا ان اعا شرک
بهولاء الا قوام الا کياس اولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولا کثير
الکلام فاني مذ نشأت ما اندراعا شر قط من يسال عمن لا يعنيه ولا اعاشر
الا من اکون مثلي قليل الکلام فانک لوعاشر تهم و رايتهم مرة
واحدة تترک جميع اصحابک فقلت له تمم الله بهم سرورک ولابدلي
ان احضر عندهم يوما من الايام فقال اردت ذلک في هذا اليوم فان
کنت قد عولت ان تمضي معي الى اصدقائي فدعني امضي بماتفضلت به
اليهم و ان کنت لا بدلک الرواح الى اصدقا ئک في هذا اليوم فانا
امضي بهذا الا کرام الذي اکرمتني به و ادعه عندا صحاب يا کلون
و يشربون ولا ينتظروني ثم اعود اليک و امضي معک الى اصدقائک
فليس بيني و بين اصدقاي حشمة تمنعني عن ترکهم و اعود اليک
عاجلا امضي معک اينما توجهت فقلت لا حول ولاقوة الا بالله العلي
العظيم امض انت الى اصدقائک وانشرح معهم و دعني امضي الى
اصدقاي و اکون معهم في هذا اليوم فانهم ينتظروني فقال المزين
لا ادعک تمضي وحدک فقلت له ان الموضع الذي امضي انااليه
لا يقدر احدان يدخل فيه غيري فقال اظنک اليوم في ميعاد و احدة
و الا کنت تاخذني معک و انا احق من جميع الناس و اسا عد ک
على ما تريد فاني اخاف ان تدخل على امراة اجنبية فتروح روحک
فان هذه مدينة بغداد لا يقدر احد يعمل فيها شيأ من هذه
الا شياء لا سيما في مثل هذا اليوم و هذا و الي بغداد صارم عظيم
فقلت ويلک ياشيخ السوء إنْقَلِعْ لايش هذا الکلام الذي تقابلني به فقال لي

يا بارد تقول لي ما استحيي وتخفي عنى وانا علمت هذا وتحققته وانما اطلب
اساعدك اليوم بنفسى قال فخشيت ان تسمع اهلي وجيراني بمقالة
المزين فسكتُّ سكوتا طويلا وادركنا وقت الصلوة وجاء وقت الخطبة
وقد فرغ حلق راسي فقلت له امض الى اصحابك بهذا الطعام والشراب
وانا انتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم ازل لهذا الملعون اداهنه
واخادعه لعله يمضي عني فقال لي انك تخادعني وتمضي وحدك
وترمي نفسك في مصيبة لاخلاص لك منها فالله الله لاترح حتى اعود
اليك وامضي معك حتى اعلم ما يتم من امرك فقلت له نعم لا تبطئْ
علي فاخذ جميع ما اعطيته له من الطعام والشراب وغيره وخرج
من عندي وسلمه هذا الملعون الى حمال ودّاه الى منزله واخفى
نفسه في بعض الازقات ثم قمت من ساعتي وقد سلم المؤذنون
فلبست ثيابي وخرجت وحدي واتيت الى الزقاق ووقفت
على البيت الذي رايت فيه الصبية فوجدت العجوز واقفة تنتظرني
فطلعت معها الى الطبقة التي فيها الجارية فلما دخلتها واذا
بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلوة ودخل القاعة واغلق الباب
فاشرفت انا من الطاق فرايت هذا المزين لعنة الله عليه قاعدا على
الباب فقلت من اين علم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة
لامر يريده الله من هتك ستري ان جارية صاحب الدار اذ نبت عنده
فضربها فصاحت فدخل عبده ليخلصها فضربه فصاح الآخر فاعتقد المزين
الملعون انه يضربني فصاح وخرق اثوابه وحثا التراب على رأسه
وبقي يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قُتل سيدي في بيت
القاضي ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس خلفه واعلم اهل
بيتي وغلماني فما دريت الا وهم اقبلوا مخرقين الثياب وحالين

شعورهم يصيحون و اسيداه و هذا المزين قد امهم مخرق الثياب
و هو يصيح والنـــاس معه قال ولم يزالوا اهلى يصرخون و هو
في اوائلهم يصرخ وهم يقولون و اقتيلاه واقتيلاه وهموا نحو الدار
الذي انا فيهـــا فسمع صاحب الدار الضجة و الصراخ على بابه فقال
لبعض غلمانه انظر ما الخبر فخرج الغلام و عاد الى سيده و قال
يا سيدى على الباب ازيد من عشرة آلاف نفس ما بين رجل و امرأة
و هم يصيحون و اقتيلاه و يشيرون الى دارنا فلما سمع القـــاضي
ذلك عظم عليه الامر فغضب و قام وخرج وفتح الباب فراى جمعا عظيما
فبهت و قال يا قوم ما القصة فقالوا له الغلمان يا ملعون يا كلب
يا خنزير انك قتلت سيدنا فقال يا قوم و ما الذي فعله سيدكم حتى
اقتله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـــلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القاضي قال للغلمان ما الذي
فعله سيدكم حتى اقتله و هذه داري بين ايديكم فقال له المزين
انت ضربته فى هذه الساعة بالمقارع و انا اسمع عياطه فقال
القاضي و ما الذي فعله حتى اقتله و من ادخله داري و من اين
الى اين فقال له المزين لاتكن شيخا نحسا و انا اعلم الحكاية
والحـال كله بنتك تعشقه و هو يعشقها فلما علمتَ انه قد دخل
دارك امرت غلمانك فضربوه و الله ما بيننا و بينك الا الخليفة او
تخرج لنا سيدنا يا خذه اهله من قبل ان ادخل و اخرجه من عندكم
و تخجل انت فقال له القاضي و قد التجم عن الكلام و تغمم بالحياء
من الناس ان كنت صادقا فادخل انت و اخرجه فهمـــز المزين

و دخل الدار فلما رايت المزين دخل طلبت طريقا للخروج والهروب
فلم اجددون اني رايت في الطبقة التي انا فيها صندوقا كبيرا فدخلت
فيه و رديت الغطاء علي و قطعت نفسي فدخل القاعة فلم يدخلها
الا ان رجع علي و اطلع على الموضع الذي انا فيـــه والتفت
يمينا و شمالا و تقدم للصندوق الذي انا فيه و حمله على راسه
فغاب رشدي ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركني جذبت نفسي
و فتحت الصندوق و رميت نفسي الى الارض فانكسرت رجلي و انفتح
الباب فشاهدت على الباب خلقا كثيرا وكان في كمي ذهبا كثيرا اعددته
لمثل هذا اليوم ومثل هذا الامر فجعلت انثر الذهب على الناس
ليشتغلوا به فاخذوه واشتغلوا به و صرت اجري في ازقة بغداد يمينا
و شما لا و هذا المزين الملعون خلفي واي مكان دخلت فيه يدخل
هذا المزين خلفي و هو يقول ارادوا يفجعوني في سيدي الحمد لله
الذي نصرني عليهم و خلص سيدي من ايديهم فما زلتَ يسوُني
تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الفعال فلولا منَّ الله عليك بي
ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي وقعت فيها وكانوا يرمونك
في مصيبة لا تخلص ابدا ؤكم تريد انا اعيش لك حتى اخلصك
والله لقد اهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد انك تروح وحدك
و لكن ما نوأخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول فقلت له
ما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورآي وتتكلم معي بمثل هذا
الكلام في الاسواق وكادت روحي تذهق مني من شدة غيظي منه
فدخلت دكانا في وسط السوق واستجرت بالحائك فمنعه عني
و جلست في مخزن وقلت في نفسي ما عدت اقدر افترق من هذا
المزين الملعون وهو يقيم عندي ليلا ونهارا ولا بقي فيّ رمق انظر الى

خلقته فارسلت في الوقت احضرت الشهود وكتبت وصية لاهلي و فرقت
مالي و عملت عليهم ناظرا و امرته ان يبيع الدار و العقارات ووصيته
بالكبار و الصغار و خرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى اتخلص من
هذا القواد و جئت سكنت في بلدكم ولي فيها مدة فلما عزمتم عليّ
فها انا جئت لكم فرايت هذا الملعون القواد عندكم في صدر المكان
فكيف يطيب قلبي و مقامي عندكم مع هذا و قد فعل بي هذه
الفعال و انكسرت رجلي بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما
سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احق ما قاله هذا الشاب عنك
فقال و الله انا فعلت معه ذلك بمعرفتي و عقلي و مروتي ولولا انا
لهلك و ما سبب نجاته الا انا و صار مليحا الذى اصاب في رجله
ولا اصاب فى روحه و لوكنت كثيرَ الكلام ما فعلت معه الجميل
وها انا اقول لكم حديثا جرى لى حتى تصدقوا اني قليل الكلام
وما عندي فضول من دون اخوتي الستة وذلك اني كنت
ببغداد على زمن المستنصر بالله ابن المستضئ بالله وكان
هو الخليفة يومئذ ببغداد وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس
العلماء والصالحين فاتفق له يوما انه غضب على عشر نفر فامر
المتولي ببغداد ان ياتيه بهم يوم عيد وكانوا لصوصا قطاعين
للطريق فخرج متولي البلد فاخذهم و نزل بهم في زورق
فنظرتهم انا فقلت ما اجتمعوا هؤلاء الا لوليمة و اظنهم يقطعون
نهارهم في هذا الزورق في اكل و شرب و ما يكون نديمهم غيري
فقمت يا جماعة من جملة مروتي ورزانة عقلي نزلت معهم في
الزورق واختلطت بهم فعبروا وقعدوا الى الجانب الآخر فجاءت له شرطية
و اعوان بالجنازير و رموهم في رقابهم و رموا في رقبتي جنزيرا من

جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروتي و قلة كلامي الذي سكتُّ
وما رضيت اتكلم فاخذونا بالجنازير وقدمونا بين يدي المستنصر بالله
اميرالمؤمنين فامر بضرب رقاب العشرة فتقدم السياف بعد ان اجلسنا
بين يديه في نطع الدم و جرد سيفه و ضرب رقبة واحد بعد واحد
الى ان ضرب رقبة العشرة فبقيت انا فنظرالخليفة فقال للسياف ما بالك
ضربت رقاب تسعة فقال السياف معاذالله ان تامر بضرب رقاب عشرة
فاضرب انا رقاب تسعة فقال له ما اظنك ضربت رقاب غير تسعة و
هذا الذي بين يديك هوالعاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة
قال فعدوهم فاذا هم عشرة فنظر الي الخليفة و قال ما حملك على
سكـــوتك في مثـــل هذا الوقت و كيف صرت مع اصحاب الدم
وما سبب هذا وانت شيخ كبيـــر و عقلك قليـــل فلما سمعت
خطاب اميرالمؤمنين قلت له اعلم يا اميرالمؤمنين اني انا الشيخ
الصامت و عندي من الحكمة شيٌ كثير و اما رزانة عقلي و جودة
فهمي و قلة كلامي لا نهاية لها و صنعتي مزين فلما كان نهار امس
من باكر النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم
ونزلت معهم وظننت انهم في وليمة فما كان غير ساعة الا حضرت
اليهم الاعوان و جعلوا في رقابهم الجنازير و جعلوا في رقبتي جنزيرا
من جملتهم فمن كثرة مروتي سكتُّ و لم اتكلم فما هي الامروة فساروا
بنا حتى اوقفونا بين يديك فامرت بضرب رقاب العشرة وبقيت انا بين
يدي السياف ولم اعرفكم بنفسي فما هي الا مروة عظيمة التى شاركتهم
فيها فى القتل ولكن طول دهري هكذا افعـل الجميـل مع الناس وهم
يكافئونني باوحش مكافات فلما سمع الخليفة كلامي وعلم اني كثير المروة
قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الاهوال

ضحک ضحکا شديدا حتى استلقى على قفاه فقال الخليفة لي ياصامت و اخوتک الستة مثلک فيهم الحكمة و العلم و قلة الكلام قلت لا عاشوا و لابقوا ان كانوا مثلي و لكن ذمّيتني يا امير المومنين ولاينبغي لک ان تقارن اخوتي بي لانهم من كثرة كلامهم و قلة مروتهم صار كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد اعور وواحدا فلج و واحد مقطوع الاذن و المنخر و واحد مقطوع الشفتين و واحد احدب و لاتحسب يا اميرالمؤمنين اني كثير الكلام ولا بد ان ابين لک و اني اعظم مروة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة و انا احكى لک اعلم يا اميرالمؤمنين ان الاول و هو الاحدب كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استاجرها من رجل كثير المال وكان ذلک الرجل ساكنا على الدكان و كان في اسفل دار الرجل طاحونا فبينما اخي الاحدب جالس في الدكان في بعض الا يام يخيط فرفع رأسه فرای امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار و هي تنظر الى الناس فلما رآها اخي تعلق قلبه بحبها و صار يومه ذلک ينظر اليها فبطل اخي خياطته الى وقت المساء فلما كان اليوم الثاني وقت الصباح فتح دكانه و قعد يخيط و هو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فرآها على تلک الحالة فازداد حبه لها و هيامه فيها و لما كان اليوم الثالث جلس في مكانه وهو ينظر اليها فراته الامرأة وعلمت انه قدصار اسيرا لحبها فضحكت في وجهه و ضحک في وجهها ثم انها غابت عليه و ارسلت جاريتها اليه ومعها بقشة فيها طاقة مشجر احمر فجاءت الجارية اليه و قالت له ستي تقرئک السلام وتقول لک فصل لها بيد الفضل قميصا من هذه الطاقة و خيط خياطة حسنة فقال لها سمعا وطاعة ثم انه فصل لها ثوبا

و اتم خياطته في ذلك اليوم فلما كان من الغد باكرته الجارية
و قالت له ستي تسلم عليك و تقول لك كيف كان مبيتك البارحة
فانها ماذا قت النوم من شغل قلبها لك ثم قدمت بين يديه طاقة
اطلس اصفر و قالت له تقول لك ستي فصل لها من هذه الطاقة
سروالين وخيطهما اليوم هذا فقال لها سمعا وطاعة سلمي عليها السلام
الكثير و قولي لها عبدك منقاد لامرك فا حكمي عليها بما شئت ثم
انه شرع فى التفصيل و اجتهد في خياطة السر و الين و بعد ساعة
تطلعت له من الشباك و سلمت عليه بالايماء وهى تارة تغض طرفها
و تارة تتبسم في وجهه و هو يظن انه سيظفر بها ثم انها غابت
عنه و جاءت الجارية اليه فسلم اليها السر و الين فا خذ تهما
وانصرفت و لما اقبل الليل انطرح على فراشه و بات يتقلب الى
الصباح فلما اصبح قام و جلس في مكانه فجاءت الجارية اليه و قالت
له ان مولاي يدعوك فلما سمع ذلك خاف خوفا عظيما فلما شعرت
الجارية بخوفه قالت له لاباس عليك ما هناك الاالخير فقد جعلت
ستي بينك و بين سيدي معرفة ففرح الرجل فرحا عظيما ثم ذهب
معها فلما دخل على سيدها زوج ستها قبل الارض فرد عليه السلام
ثم نا وله ثيابا كثيرة و قال له فصل لي من هذا و خيطه قميصا
فقال اخي سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا
الى وقت العشاء فلم يذق طعاما ثم قال له كم يكون لذلك اجرة فقال
له عشرون درهما فزعق زوجها على الجارية و قال هاتي عشرين
در هما فلم يتكلم اخي فاشارت اليه الصبية يعني لا تاخذ منه شيأ
فقال و الله ما آخذ منك شيأ واخذ الخياطة وخرج الى برّ
وكان اخي محتاجا الى فلس و بقي له ثلثة ايام لايا كل و لا يشرب الا

القليل من اجتهاده في تلك الخياطة التي لهم فاتت الجارية
وقالت له ايش عملت فقال فرغوا فاخذهم واتي اليهم بها وسلم
الى زوجها الثياب وانصرف من ساعته وكانت الصبية قد عرفت زوجها
بحال اخي واخي لا يعلم ذلك واتفقت هى و زوجها على استعمال
اخي فى الخياطة بلا شي ويضحكون عليه فلما اصبح الصباح اتى الى
الدكان فاتت اليه الجارية و قالت له كلم سيدي فذهب معها فلما
وصل اليه قال له اريد منك ان تفصل لي خمس فرجيات ففصل له
واخذ الثياب معه وانصرف ثم انه خيط تلك الفرجيات و مضى
بها اليه فاستحسن خياطته وادعى بكيس فيه دراهم ومديده فاشارت اليه
الصبية من خلف زوجها ان لاتاخذ شيئا فقال للرجل يا سيدي لاتعجل
فالزمان موائي و خرج من عنده و هو اذل من حمار وقد اجتمع
عليه خمسة اشياء عشق وافلاس وجوع وعري وتعب وانما هو يشجع
نفسه فلما فرغ اخي من جميع اشغالهم فبعد ذلك عملوا عليه حيلة
و زوجوه بجاريتهم و فى الليلة التى اراد ان يدخل عليها قالوا له
بت الليلة فى الطاحون الى غد يكون خيرا فا عتقد اخي انه صحيح
فبات فى الطاحون و حده وراح زوج الصبية غمز الطحّان عليه
حتى انه يدوره فى الطاحون فدخل عليه الطحّان نصف الليل و جعل
يقول هذا الثور بطل و وقف و لابقي يدور في هذه الليلة و القمح
عندنا كثير و نزل على الطاحون ملأ القادوس قمحا و قصد اخي
وكان في يده حبل فربط رقبته و قال هيّا دُر على القمح ما مرادك
الا تاكل تخراً و تبول ثم اخذ سوطا في يده و ضربه به واخي
يبكي و يصيح فلم يجد له مغيثا و القمح ينطحن الى قريب الصبح
فجاء صاحب الدار فراى اخي معلقا على الخشبة و مضى وجاءت الجارية

اليه باكر النهار و قالت له يعز علي ما جرى لك انا و ستي قد حملنا
همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب و التعب ثم ان اخي
اتى الى منزله و اذا بالمعلم الذي كتب الكتاب قد جاء و سلم عليه و قال
له حياك الله هذا وجه النعيم و الدلال و العناق من العشاء الي الصباح
فقال له اخي لا سلم الله الكاذب يا الف قرنان و الله ما جئت الا اطحن
موضع الثور الى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه اخي بما
وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها و لكن اذا شئت اغير لك ذلك
الكتاب فقال له انظر ان بقي لك حيلة اخرى ثم تركه واتى الى مكانه
ينظر احدا ياتي اليه بشغل يتقوت منه و اذا هو بالجارية قد اتت اليه
و قالت له كلم ستي فقال لها روحي يابنت الحلال ما بيني و بين ستك
معاملة فراحت الجارية واعلمت ستها بذلك فما درى اخي الا وهي قد
طلعت له من الروشن وهي تبكي و تقول لايش يا حبيبي ما بقي بيني
و بينك معاملة فلم يرد عليها جوابا فحلفت له ان جميع ما وقع له
في الطاحون لم يكن باختيارها وانها بريئة من ذلك الامر فلما نظر اخي الى
حسنها وجمالها و سمع لذيذ كلامها ذهب عنه ما حصل له و قبل عذرها
و فرح برؤيتها ثم سلم عليها و تحدث معها و جلس في خياطته
مدة فلما كان بعد ذلك جاءت له الجارية و قالت له تسلم عليك
ستي و تقول لك ان زوجها قد عزم انه يبيت عند اصدقائه الليلة
فاذا مضى هو عندهم تكون انت عندنا و تبيت مع ستي في الذ عيش
الى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في رجوعه عنك
فقالت دعني احتال عليه بحيلة اخرى و اشهره في هذه المدينة واخي
لا يعلم شيأ من كيد النساء فلما كان المساء جاءته الجارية و اخذت
اخي رجعت به فلما رات الصبية باخي قالت له والله يا سيدي اني

مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلي بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه
الاوحضر زوج الصبية من بيت هناك و قال لاخي و الله لا افارقك
الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه اخي فلم يسمعه بل حمله الى
الوالي فضربه بالسياط و ركبه جملا و دوره المدينة والناس ينادون
عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ونفي من المدينة فخرج
لا يدري اين يقصد فخفت انا فلحقته والتزمت به و رددته واجلسته
عندي الى الآن فضحك الخليفة من كلامي وقال احسنت يا صامت
يا قليل الكلام و امر لي بجائزة و انصراف فقلت لا اقبل شيأ منك
دون ان احكي لك ما وقع لبقية اخوتي ولا تحسب اني كثير الكلام
اعلم يا امير المومنين ان اخي الثاني كان اسمه بقباته وهو
المفلوج وقد وقع له في بعض الايام انه كان ماشيا الى حاجة له و اذا
هو بعجوز قد استقبلته و قالت له ايها الرجل قف قليلا حتى اعرض
عليك امرا فان اعجبك فاقضه لي واستخر الله فوقف اخي فقالت اقول لك
على شيء و ارشدك اليه ولا يكون كلامك كثيرا فقال لها اخي هاتي
كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة و روضة طيبة ماؤها يجري
و فاكهة و مدام و وجه مليح تعانقه من العشاء الى الصباح فان فعلت
ما اشير لك عليه رأيت الخير فلما سمع اخي كلامها قال لها ياستي
وكيف قصدتني بهذا الامر دون الخلق اجمعين فايش الذي اعجبك
مني فقالت لاخي ما قلت لك لاتكن كثير الكلام واسكت وامض معي
ثم ولت العجوز و اخي تابعها طمعا فيما و صفت له حتى دخلوا دارا
فسيحة كثيرة الخدم و صعدت به من ادنى الى اعلا فرأى قصرا
ظريفا فلما رآه اهل البيت قالوا له من الذي اوصلك الى هنا فقالت
لهم العجوز اسكتوا عنه ولا تكدروا اقلبه فانه صانع و نحن محتاجون

اليه ثم انها مشت به الى غرفة مزينة لم تر العيون احسن منها
فلما دخلوا الغرفة قامت النسوان ورحبن به واجلسنه بجنبهم فلم يلبث
اذ سمع جلبة عظيمة واذا بجوار قد اقبلن وفي وسطهن جارية
كالبدر في ليلة تمامه فمد اخي نظره اليها وقام قائما وخدمها
فرحبت به وامرته بالجلوس فجلس فاقبلت عليه وقالت له اعزك الله
هل فيك خير فقال اخي يا سيدتي الخير كله فيّ ثم امرت باحضار
الطعام فقدموا لها طعاما حسنا فجلست تاكل والجارية مع ذلك لاتهتدي
من الضحك واذا نظر اليها اخي تغيب الى جوارها كانها تضحك منهم
وتظهر لاخي المودة وتمزح معه واخى الحمار لا يفهم شياً ومن كثرة ما
غلب عليه الشوق يعتقد ان الجارية عاشقة عليه وانها تبلغه الى مناه
فلما فرغوا من الطعام قدموا المدام ثم حضرن عشر جوار كانهن اقمار
وبايديهن العيدان ذوات الاوتار فجعلن يغنين بكل صوت شجي
فغلب الطرب على اخى وتناول قدحا من يدها فشربه فقام لها قائما
ثم ان الصبية شربت قدحا فقال لها اخي صحة وخدمها ثم اسقته قدحا
فشرب وصفعته على رقبته فكلما راى اخي ذلك منها خرج في اشد
خروج فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعنى ارجع فرجع فامرته
الجارية بالجلوس فجلس وجلس ولم ينطق فعادت الصفع على قفاه
وما كفاها ذلك حتى امرت جوارها كلها ان يصفعوه وهو يقول للعجوز
ما رايت شياً احسن من هذا فتقول العجوز اي وحقك يا مولاتي
فصفعته الجوار الى ان اغمي عليه ثم قام اخى لقضاء حاجته فلحقته
العجوز ثم قالت له اصبر قليلا تبلغ ما تريد فقال لها اخى الى كم اصبر
وقد اغمي علي من الصفع فقالت له اذا سكرت بلغت مرادك فرجع
اخى الى مكانه وجلس فقامت الجوار عن آخرهم فامرتهم ان يبخروه

وان يرشوا على وجهه الماورد ففعلن ذلک وقالت له الصبية اعزک
الله قد دخلت منزلی وصبرت علی شرطي واي من خالفنی طردته ومن
صبر بلغ مراده فقال لها اخي يا سيدتي انا عبدک وفي طبقة يدک فقالت له
اعلم ان الله اشغفني بحب الطرب فمن اطاعنی نال مايريد ثم امرت
الجواران يغنين باصوات عالية حتی طرب المجلس ثم قالت لبعض الجوار
خذي سيدک واقضي حاجته وائتيني به فی الحال فاخذت الجارية اخی وهو
لايدري ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له اصبر ما بقي الا القليل
فراق وجهه فاقبل اخي علی الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغتَ
ماتريد فقال لها اعلميني ما ذا تريد تعمل هذه الجارية فقالت
العجوز ما ثَمَّ الا خيرا نديتک تريد تصبغ حواجبک و تقص سبالک
فقال اخي اما صبغ الحواجب فيزول بالغسل واما نتف السبال فهو
مما يُولم فقالت العجوز احذر تخالفها فهي قد تعلق قلبها بک فصبر
اخي حتی صبغت حواجبه ونتفت سباله و مضت الجارية الی سيدتها
واخبرتها فقالت لها بقي شيءٌ آخر وهو ان تحلقي ذقنه حتی يصير
امردا فجاءت الجارية و اخبرته بما امرت سيدتها به فقال لها اخي
الاحمق و كيف اعمل فی فضيحتي من الناس فقالت له العجوز انها
ما ارادت تفعل ذلک معک الا لتبقی امردا بلا ذقن ولا يبقی في
وجهک شيءٌ يشكها فانها صار لها في قلبها منک محبة عظيمة فاصبر
فقد بلغت المنا فصبر اخي و طاوع الجارية و حلق ذقنه و اخرجته
الصبية و اذا هو مخضوب الحاجبين مقصوص الشاربين محلوق الذقن
محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتی استلقت علی قفاها ثم قالت
يا سيدي لقد ملكتني بهذه الاخلاق الحسنة قلبي ثم حلفته بحياتها
ان يقوم ويرقص فقام ورقص فلــم تدع فی البيت مخدة حتی

ضربته بها وكذلك الجوار كلهم صاروا يضربونه بمثل نارنجة وليمونة و ترنجة الى ان سقط مغشيا عليه من الضرب و الصفع على قفاه و الرجم فقالت له العجوز الآن بلغت مرادك و اعلم ان ما بقي عليك من الضرب شيء و ما بقي الا شيأ واحدا و ذلك ان من عادتها اذا سكرت لاتمكّن احدا من نفسها حتى تقلع ثيابها و سراويلها و تبقى عريانة زلطا ثم تامرك بقلع ثيابك و تجري و هي تجري قدامك كانها هاربة منك و انت تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكّنك من نفسها ثم قالت له اقلع ثيابك فقام و هو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعا وبقي عريانا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اخ المزين لما قالت له العجوز اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود فقلع ثيابه وبقي عريانا فقالت الجارية لاخي قم الآن واجر واجري انا ايضا ثم تعرت هى ايضا قالت له ان اردت شيأ اتبعني فجرت قدامه فتبعها ثم جعلت تدخل من محل الى محل وتخرج الى الآخر واخي وراءها وقد غلب عليه الشوق و زُبّه قائم كانه مجنون ودخلت هي قدامه في مكان مظلم فدخل اخي ايضا وهو يجري وراءها فداس موضعا رقيقا فانخسف به فلا دري بنفسه الا وهو في وسط الزقاق وهو في سوق الجلادين وهم ينادون على الجلود ويشترون ويبيعون فلما رأوه على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن و الحواجب محمر الوجه صاحوا عليه وصفقوا عليه بايديهم و جعلوا يضربونه با لجلود وهو عريان حتى غشي عليه وحملوه على

حمار حتى ودوه الى الوالي فقال لهم الوالي ما هذا قالوا وقع
لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فصفعه مائة درة ثم نفاه
من بغداد وخرجت انا خلفه وادخلته المدينة سرا ثم رتبت له
ما يقتات به فلولا مروتي ماكنت احتمل مثله واما اخي الثالث فاسمه
فقيق وكان اعمى فساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب
طمعا ان يكلمه صاحبها فيسأ له شيأ فقال صاحب الدار من بالباب
فلم يكلمه احد فسمعه اخي يقول بصوت عالى من هذا فلم يكلمه
اخي وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ما تريد
فقال اخي شيأ لله تعالى فقال له انت ضرير قال له اخي نعم فقال له
ناولني يدك فناوله يده وهو يعتقد انه يعطيه شيأ فاخذ بيده
فادخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم الى سلم حتى وصل
الى اعلا سطوح واخي يقول انه يطعمه شيأ او يعطيه شيأ فلما
انتهى قال لاخي ما تريد يا ضرير قال اريد شيأ لله تعالى فقال له
يفتح الله عليك فقال له اخي ياهذا ما كنت تقول لي كذا وكذا
وانا اسفل فقال له يا سفلة لم لا تكلمني من اول مرة فقال له
اخي والساعة ما تريد تصنع بي فقال له ما عندي شيٌ اعطيه لك
قال له انزل بي الى السلالم فقال الطريق بين يديك فقام اخي
واقبل وما زال نازلا حتى بقي بينه وبين الباب عشرون درجة
فزلقت رجله فوقع الى الباب فانفتح رأسه فخرج وهو لا يدري اين
يذهب فلحقه بعض رفقته العميان فقالوا له ايش حصل لك اليوم
فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخوتي اريدان اخرج شيأ من
الدراهم التي بقيت معي وانفق على نفسي وكان صاحب الدار تابعه
وسامع كلامه واخي لايدري بالرجل ورفيقه فجاء اخي الى منزله

ودخل ودخل الرجل خلفه واخي لايشعر به وقعد اخي ينتظر
رفقاءه فلما دخلوا قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون
تبعنا احد غريب فلما سمع الرجل كلام اخي قام وتعلق بحبل
كان فى السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا واحدا ثم رجعوا
وجلسوا الى جانب اخي ثم اخرجوا الدراهم التى معهم وعدوها
فاذا هي اثنى عشر الف درهم فتركوها في زاوية البيت واخذ كل
واحد ما يحتاج اليه وطرحوا بقية الدراهم فى التراب ثم قدموا
بين ايديهم شيأ من الاكل وقعدوا ياكلون فسمع اخي الى جانبه
مضغا غريبا فقال لاصحابه معنا غريب ثم مد يده فتعلق بيده
يد الرجل صاحب الدار فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا
يا مسلمين دخل علينا لص يريدان ياخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق
كثير فاقبل الرجل وتعلق بهم وادعى عليهم مثلما ادعوا عليه وغمض
عينيه حتى كانه صار مثلهم لا يشك فيها احد وصاح يا مسلمين
انا بالله وبالسلطان انا بالله والوالي مع نصيحة فما شعر الا وقد
احاطوا بالجميع واخي معهم وساقوا الى بيت الوالي فاحضرهم
قدامه وقال ما خبركم فقال الرجل انظر ولا يبان لك شئ الا
بالعقوبة واول ما تبدأ ابدأبي وعاقبني ثم لهذا قائدي واومى بيده الى
اخي فمدوا ذلك الرجل وضربوه اربعمائة عصا على ثقبه فاوجعه الضرب
ففتح عينه الواحدة فلما زادوا عليه بالضرب فتح عينه الاخرى فقال له
الوالي ما هذه الفعال يا ملعون فقال اعطنى خاتم الامان نحن اربعة
نعمل ارواحنا عميان ونغير على الناس وندخل البيوت وننظر
النساء ونعمل في خسارتهم فاجتمع لنا مكسب عظيم وهو اثني
عشر الف درهم فقلت لرفقتى اعطوني حقي ثلثة آلاف فقاموا

وضربوني واخذوا مالي وانا مستجير بالله وبك وانا احق بقسمي وانااشتهي ان تعرف صدق قولي فاضرب كل واحد اكثر مما ضربتني فانه يفتح عينيه فعند ذلك امرالوالي بعقوبتهم واول مابدأ باخي فشدوه على سلم وقال لهم الوالي يا فسقة تجحدون نعمة الله وتدعون انكم عميان فقال اخي الله الله والله ما فينا بصير فضربوه حتى غشي عليه فقال الوالي دعوه حتى يفيق واعيدوا عليه الضرب ثاني مرة ثم امر بضرب اصحابه كل واحد اكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم والاجدد عليكم الضرب ثم قال الرجل للوالي ابعث معي من يا تيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون عيونهم ويخافون من فضيحة الناس فبعث الوالي اخذ المال واعطى للرجل منه ثلثة آلاف درهم قسمه على مازعم عنهم واخذ الباقي ونفى الوالي الثلثة وخرجت انا يا اميرالمؤمنين ولحقت اخي وسألته عن حاله فاخبرني بما ذكرته لك وادخلته المدينة سرا ورتبت له ما ياكل وما يشرب فى الخفية فضحك الخليفة من حكايتي وقال اعطوه جائزة ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيأً حتى ابين لاميرالمؤمنين ما جرى لاخوتي فانى قليل الكلام ثم قال واما اخى الرابع يا اميرالمؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم ويربى الكباش وكان يقصدونه الكبار واصحاب الاموال يشترون منه اللحم فكسب من ذلك مالا عظيما واقتنى الدواب والدور واقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو ذات يوم من بعض الايام عند دكانه اذوقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال اعطني بها لحما ودفع له الدراهم وانصرف واعطاه اللحم فتامل اخي في فضة الشيخ فرآى دراهمه بياضها ساطع فعزلها في ناحية وحدها واقام

الشيخ يتردد عليه خمسة اشهر و اخي يطرح دراهمه في صندوق
وحدها ثم اراد ان يخرجها ويشتري غنما ففتح الصندوق فرای جمیع
ما فيه ورق ابيض مقصص فلطم وجهه و صاح فاجتمع الناس عليه
فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه و قام اخي على عادته فذبح كبشا
و علقه داخل الدكان و قطع لحما و علقه خارج الدكان و صار اخي
يقول يا الله يجيء الشيخ النحس فما كانت ساعة الا و قد اقبل الشيخ
و معه الفضة فقام اخي و تعلق به و صار يزعق يا مسلمين الحقوني
و اسمعوا قصتي مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له الشيخ
ايما احب اليك تتنحى عني او افضحك بين الناس فقال له اخي باي
شئ تفضحني قال بانك تبيع لحم الناس بانه لحم غنم فقال له اخي
كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون الا الذي عنده رجل فى الدكان
معلق فقال له اخي ان كان الامر كما ذكرت فمالي ودمي حلال لك
فقال الشيخ يا معاشر الناس ان اردتم تحقيق قولي و صدقي ادخلوا
دكانه فهجم الناس على دكان اخي فراوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا
فلما راوا ذلك تعلقوا باخي و صاحوا عليه يا كافريا فاجر وصارا عز الناس
اليه يضربه و يلطمه و يقول له انت تطعمنا لحم بني آدم و لطمه
الشيخ على عينه قلعها و حملت الناس ذلك المذبوح الى صاحب
الشرطة فقال له الشيخ ايها الامير هذا الرجل يذبح الناس و يبيع
لحمهم على انه لحم غنم و قد اتيناك به فقم و اقض حق الله عزوجل
فدافع اخي عن نفسه فلم يسمع منه و امر بضربه خمسمائة عصا
و اخذوا جميع ماله و لولا المال لقتلوه فقام اخي هاجا على رأسه
حتى دخل مدينة كبيرة وكان احسن له ان يعمل اسكافيا ففتح دكانا
و قعد يعمل شيأ يتقوت به فخرج ذات يوم في حاجة فسمع حس

خيل فسأل عن ذلك فقيل له ان الملك خارج فى الصيد والقنص
فجعل اخي ينظر الى حسن الملك فوقعت عين الملك في عين اخي
فاطرق الملك برأسه و قال اعوذ بالله من شر هذا اليوم و اثنى عنان
فرسه و رجع فرجع جميع الغلمان ثم امر الغلمان فلحقوا اخي فضربوه
ضربا وجيعا حتى كاد ان يموت ولم يدر اخي ما السبب فرجع الى
موضعه و هو في حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك
وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه و قال له يا اخي
اعلم ان الملك لا يطيق ان ينظر الى اعور لا سيما انكان اعور
باليمنى فانه لا يعتقه دون قتله فلما سمع اخي ذلك الكلام عزم
على الهروب من تلك المدينة ثم قام و خرج منها و تحول الى
ناحية اخرى لم يكن بها احد يعرفه و اقام بها زمنا طويلا ثم بعد
ذلك تفكر اخي في امره و خرج يوما يتفرج فسمع حس خيل
خلفه فقال جاء امر الله فطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم نظر فاذا
بباب مغلوق فدفع ذلك الباب فوقع فدخل فراى دهليزا طويلا فدخل
اخي فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به و قالا لاخي الحمد لله
الذي امكننا منك يا عدو الله هذه ثلث ليال ما خليتنا ننام
ولا نهدي وقد اذقتنا الموت فقال اخي يا قوم ما امركم فقالوا
انت تغير علينا و تريد تفضحنا و تدبر الحيلة و تريد تذبح
صاحب البيت ما يكفيك انك افقرته واصحابك و لكن اخرج
لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة و فتشوه فوجدوا في وسطه سكينا
فقال يا قوم اتقوا الله في امري و اعلموا ان حديثي عجيب فقالوا
و ما حديثك فحدثهم بحديثه طمعا ان يطلقوه فما سمعوا من اخي
ما قال ولا التفتوا اليه و ضربوه و خرقوا اثوا به فوجدوا عليه اثر

الضرب بالمقارع على اجنا به فقالوا له يا ملعون هذا اثر الضرب
ثم احضروا اخي بين يدي الوالي فقال في نفسه قد وقعت بذنوبي
و ما يخلصني الا الله تعالى فقال الوالي لاخي يا فاجر ما حملك
على هذا الامر تدخل دارهم بالقتل فقال له اخي سألتك بالله ايها
الامير اسمع كلامي ولا تعجل علي فقال الوالي نسمع كلام لص قد افقر
الناس و عليه اثر الضرب في ظهره و قال له ما فعلوا بك هذا الامر
الا عن جرم عظيم فامر بضرب مائة سوط ثم ضرب اخي مائة
سوط ثم حملوه على جمل ونادوا عليه هذا جزاء واقل من اجزي
من يهجم بيوت الناس وامر باخراجه من المدينة وهاج اخي على
وجهه فلما سمعت به انا خرجت اليه واستخبرته فاخبرني بحديثه
وما جرى له ولا زلت معه دائرا وهم ينادون عليه حتى سيبوه
فاتيت اليه و اخذته و ادخلته المدينة سرا و رتبت له ما يا كل
وما يشرب و اما اخى الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا
امير المؤمنين وكان رجلا فقيرا وكان يسأل الناس ليلا و ينفق به
نهارا وكان والدنا شيخ كبير طاعن فى السن فاعتل و مات فخلف
لنا سبعمائة درهم فاخذ كل واحد منا مائة درهم و اما اخي الخامس
فانه لما اخذ حصته تحير و لم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك
اذ وقع فى خاطره انه ياخذ بها زجاجا من كل نوع و ينتفع بثمنه
فاشترى بالمائة الدرهم زجاجا وجعله فى طبق كبير وقعد فى موضع
يبيع فيه وبجانبه حائط فاسند ظهره اليه و قعد متفكرا فى نفسه
و قال ان رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم و انا ابيعه بمائتين
درهم ثم اشتري بمائتين درهم زجاجا و ابيعه باربعمائة درهم
ولا ازال ابيع و اشتري الى ان يبقى معي مال كثير فاشتري به من جميع

المتجر و الجواهر والعطر فاربح ربحا عظيما فبعد ذلك اشتري دارا حسنة
واشتري المماليك والخيل وسروج الذهب واكل واشرب و لا اخلي
مغنيا ولا مغنية فى المدينة حتى اجيبها عندي و اعمل ان شاء الله
تعالى رأس مالي مائة الف درهم هذا كله هو يحسب في نفسه وقفص
الزجاج مطروح قدامه ثم قال واذا صار مالي مائة الف درهم ابعث
الدلالات في خِطبة بنات الملوك والوزراء واخطب بنت الوزير فقد
بلغني انها كاملة فى الحسن بديعة فى الجمال وامهرها بالف دينار فان رضي
ابوها كان وان لم يرض اخذتها قهرا عن رغم انفه فان حصلت في داري
اشتري عشرة خدام صغار ثم اشتري لي كسوة من كساوي الملوك
و السلاطين و اصنع لي سرج ذهب وارصعه بالجواهر المثمنة ثم اركب
و معى المماليك يمشون حولي وقدامي و ادور المدينة و الناس
يسلمون علي و يدعون لي ثم ادخل على الوزير الذي هو ابو البنت
والمماليك خلفي و قدامي و عن يميني و عن شمالي فاذا رآني قام
الوزير الي قائما واقعدني مكانه و يقعد هو دوني لانه صهري ويكون
معي خادمين بكيسين في كل كيس الف دينار فاعطيه الالف مهر بنته
و اهدي له الف دينار اخرى حتى يعلم مروتي وكرمي وكبر نفسي
وصغر الدنيا في عيني واذا خاطبني بعشر كلمات اجبته بكلمتين ثم انصرف
الى داري فاذا جاء احد من جهة امرأتي و هبت له دراهم وخلعت
عليه خلعة وان جاءني بهدية رديتها عليه ولم اقبلها منه حتى يعلموا
اني عزيز النفس ولا اخلي نفسي الا في موضعها ثم اقدم اليهم با صلاح
شاني فاذا فعلوا ذلك امرتهم بزفافها و اصلح داري اصلاحا بينا فاذا
جاء وقت الجلاء لبست افخر ثيابي و قعدت في بدلة من الديباج
متكئا لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلي و رزانة فهمي و تكون

امرأتي قائمة قد امي كالبدر و هي في حليها وحللها و انا انظر اليها عُجبا وتيهـا حتى يقول جميع من حضر يا سيدي امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضرّبها القيام ثم يبوسون الارض قدامي مرارا فعند ذلك ارفع راسي و انظر اليها نظرة واحدة ثم اطرق براسي الى الارض فيمضون بها الى مجلس المنام واقوم انا واغير قماشي والبس احسن مما كان علي فاذا جاوًا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسألوني مرارا وانظر اليها ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثلثة و الثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اخ المزين قال ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم اني آ امر بعض الخدم ان يرمي كيسا فيه خمسمائة دينار فلما تحضرا دفعه للمواشط وآمرهم ان يدخلوني عليها فاذا دخلوا بها فلا انظر اليها ولا اكلمهـا احتقارالان يقال اني عزيز النفس و تجيء امها فتقبل راسي و يدي و تقول لي ياسيدي انظر جاريتك فانها تشتهي قربك فاجبر بخاطرها فلا ارد عليها جوابا فاذا رات ذلك مني قامت و باست رجلي مرارا ثم تقول ياسيدي ان بنتي صبية مليحة مارات رجلا فاذا رات منك هذا الانقبـاض انكسر خاطرها فمل اليها و كلمها ثم انها تقوم و تحضر لي قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تاخذ القدح فاذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي وانا على مدورة مزركش متكئ لا انظر اليها من كبر نفسي حتى تقول لي اني سلطان عظيم الشان فتقول لي يا سيدي بحق الله عليك لا ترد القدح من يد جاريتك فاني جاريتك فلا اكلمها فتلح علي و تقول

لابد من شربه و تقدمه الي فمي فانفض يدي في وجهها وارفسها برجلي و اعمل هكذا ثم رفس برجله فوقع الزجاج والقفص و كان في مكان مرتفع فنزل الى الارض فتكسر كل ما فيه فصاح اخي و قال هذا كله من كبر نفسي فعند ذلك يا اميرالمؤمنين لطم اخي على وجهه و خرق ثيابه و جعل يبكي و يلطم و الناس ينظرون اليه وهم رائحون الى صلوة الجمعة فمنهم من نظره ورحمه و منهم من لم يفكر فيه و اخي على تلك الحالة راح منه المال و الربح فاقام ساعة يبكي و اذا بامرأة حسنة ومعها عدة خدام وهي راكبة على بغلة بسرج ذهب يفوح المسك منها وهي ماشية الى صلوة الجمعة فلما نظرت الى الزجاجات وحال اخي و بكائه اخذها الحزن عليه ورق قلبها و سألت عن حاله فقيل انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فاصابه ماترين فنادت بعض الخدام و قالت له ادفع الذي معك لهذا المسكين فدفع له صرة و جد فيها خمسمائة دينار فلما وقعت في يده كاد ان يموت من شدة الفرح و اقبل اخي بالدعاء لها و عاد الى منزله غنيا و قعد متفكرا واذا بالباب يدق فقام و فتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له يا ولدي اعلم ان الصلوة قد قربت و انا بغير وضوء و احب ان توسع لي منزلك حتى اتوضأ فقال سمعا و طاعة ثم دخل اخي وامرها بالدخول فدخلت و دفع لها ابريقا تتوضأبه و جلس اخي و هو طائر من الفرح بالدنانير ثم صرها فى الهميان فلما فرغ من هذا و فرغت العجوز من الوضوء اقبلت الى الموضع الذي هو جالس فيه اخي و صلت ركعتين ثم دعت لاخى دعاء حسنا فشكرها على ذلك و مديده الى الدنانير و دفع لها دينارين و قال في نفسه هذه صدقة عني فلما رات الدنانير قالت يا سبحان الله لِمَ نظرت الي من حبك بسمة

الصعاليك خذ ما لك مالي به حاجة و اردده الى تلبك فان كنت
تريد الاجتماع من الذي اعطتك المال اجتمع لك معها و هي
صاحبتي فقال اخي يا امي كيف الحيلة اليها قالت يا ولدي انها
تميل الى رجل موسر فخذ جميع مالك معك و اتبعني لا دلك
على المراد فاذا اجتمعت بها فلا تخلي شيأ من الملاطفة و الكلام
الحسن الا و تفعله معها فانك تنال من جمالها و من ما لها جميع
ما تريد فاخذ اخي جميع الذهب وقام و مشى معها و هولا يصدق
فلم تزل هي تمشي و اخي تا بعها الى باب كبير ندقته فخرجت
جارية رومية ففتحت الباب ندخلت العجوز و امرت اخي بالدخول
معها فدخل الى دار كبيرة و مجلس كبير مفروش ارضه بالزوالي العجيبة
و ستور معلقة فجلس اخي و وضع الذهب بين يديه و وضع عمامته
على ركبته فلم يشعر الا و جارية اقبلت ما رات الراؤن احسن
منها وهي لا بسة افخر الملابس نقام اخي على قدميه فلما راته
ضحكت في وجهه و فرحت به و اشارت اليه بالجلوس ثم انها امرت
بالباب فاغلق ثم اقبلت علي اخي و اخذت يده و مضوا جميعا الى
ان اتوا الى حجرة منفردة فدخلاها و اذا هي مفروشة با نواع الديباج
فجلس اخي وجلست بجانبه ولا عبته ساعة ثم قامت وقالت له لا تبرح
من مكانك حتى اجي و غابت عن اخي ساعة فبينما هو كذلك اذ
دخل عليه عبد اسود عظيم الخلقة و معه سيف مجرد فقال له و يلك
ومن جاء بك الى هذا المكان و ما الذى تصنع ههنا فلما رآه لم يقدر
اخي ان يرد عليه جوابا و انعقد لسانه عن رد الجواب فاخذه و عراه
من اثوابه و لم يزل يضربه بالسيف سطحا الى ان سقط الى الارض مغشيا
عليه من شدة الضرب و اعتقد العبد النحس انه تضي عليه فسمعه

اخي يقول اين المملحة فاقبلت اليه جارية في يدها طبق كبير وفيه
ملح كثير ولم يزل العبد يحشو جراحات اخي وهو لا يتحرك
خيفة ان يعلم انه حي فيقتله ويروح روحه قال الراوي ثم
ان الجارية مضت وصاح العبد وقال ابن المسرديبة فجاءت العجوز الى
اخي وجرته من رجله الى سرداب فرمته فيه على جماعة قتلى فاقام
مقامه يومين كاملين وكان الله جعل الملح سبب حياته لانه قطع
الدم فراى اخي في نفسه القوة على الحركة فقام اخي من السرداب
وفتح طابقه وهو خائف وخرج الى بر واعطاه الله الستر فمشى
فى الظلام واختفى في ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت
الصباح خرجت تلك العجوز الملعونة فى طلب صيد آخر فخرج اخي
في اثرها وهي لا تعلم حتى اتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه
حتى برئ وهو يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تاخذ الناس
واحدا واحدا وتوديهم الى تلك الدار واخي لا ينطق بشيءٍ ثم
لما رجعت اليه روحه وقوته عمد الى خرقة وعمل منها كيسا وملأه
زجاجا وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه احد ولبس ثياب العجم
واخذ سيفا وجعله تحت ثيابه فلما راى العجوز قال لها بلسان
العجم يا عجوز انا رجل غريب وصلت اليوم الى هذا البلد ولا اعرف
احدا فهل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار وانا اهبك شياً منه
فقالت له العجوز لي ولد صيرفي وعنده سائر الموازين فامض معي
قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن ذهبك فقال اخي امشي قدامي
فسارت واخي خلفها حتى اتت الباب فدقته فخرجت الجارية بعينها
وفتحت الباب فضحكت العجوز في وجهها فقالت العجوز قد اتيتكم اليوم
بلحمة سمينة فاخذت الجارية بيد اخي وادخلته المنزل الذي دخل

اخي فيه سابقا و قعدت عنده ساعة و قامت و قالت لاخي لا تبرح
حتى ارجع اليك و راحت فلم يشعر اخي الا و العبد الملعون اقبل
و معه السيف المجرد و قال لاخي قم يا ملعون فقام اخي و تقدم
العبد امامه و اخي وراءه و مد يده الى سيفه الذي تحت ثيابه وضربه
العبد فاطاح رأسه عن بدنه و سحبه من رجله الى السرداب و نادى
اين المملحة فجاءت الجارية و معها الطبق الذي فيه الملح فلما رات
اخي والسيف بيده ولت هاربة فتبعها و ضربها اطاح راسها
ثم نادى اين العجوز فجاءت فقال لها اتعرفينني يا عجوز النحس
فقالت لا يامولاي فقال لها انا صاحب الدراهم التي جئت عندي و
توضأت عندي و صليت فيها و اوقعتني هنا فقالت اتق الله و تراجع
في امري فلم يلتفت اليها و ضربها حتى قطعها اربع قطع ثم
خرج في طلب الجارية فلما راته طار عقلها و قالت الامان
فامنها فقال لها ما الذي اوقعك عند هذا الاسود فقالت اني كنت
جارية لبعض التجار و كانت هذه العجوز تتردد علي فآنست بها
فقالت لي يوما من الايام ان عندنا فرح ماراى احد مثله وقد
اشتهيت ان تنظري اليه فقلت لها سمعا و طاعة ثم قمت و لبست
احسن ثيابي و مصاغي واخذت معي صرة فيها مائة دينار و مضيت
معها حتى ادخلتني هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الاوهذا الاسود
اخذني وانا على هذا الحال ثلث سنين بحيلة العجوز الملعونة فقال
لها اخي هل له في هذه الدار شئ فقالت عنده شئ كثير فان كنت
تقدر على نقله فانقله و استخر الله فقام اخي ومشى معها وفتحت له
صناديق فيها اكياس فبقي اخي متحيرا فقالت له الجارية امض الآن
ودعني هنا وهات من ينقل المال فخرج واكرى عشرة رجال وجاء

الى الباب فوجد مفتوحا ولاراى الجارية ولاالاكياس الاشيئا يسيرا غير
القماش فعلم ان الجارية خدعته فعند ذلك اخذ المال الذي بقي وفتح
الخزائن واخذ مافيها ولم يترك في الدار شياً وبات مسرورا فلما
اصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا تعلقوا به وقالوا له ان الوالي
يطلبك فاخذوه فتدخل اخي عليهم ليعبر الى بيته فلم يمهلوه بان
يرجع الى بيته فوعدهم بجملة من الدراهم فابوا ثم ربطوه بحبل ربطا
شديدا وراحوا به فوجدهم فى الطريق واحد من اصحابه فتعلق
اخي بذيله وتدخل عليه لكي يقف معه ويساعده على خلاصه من
ايديهم فوقف الرجل وسالهم عن قصته فقالوا له ان الوالي قدحكم
علينا بان نحضره بين يديه وها نحن ذاهبون به فالتمس لهم صاحب
اخي بان يخلصوه ويعطيهم خمس مائة دينار وقال لهم اذا رجعتم
الى الوالي فقولوا له مالقيناه فاعرضوا عن كلامه واخذوه مسحوبا على
وجهه حتى احضروه بين يدي الوالي فلما راى الوالي اخي قال له
من اين لك هذا القماش والمال فقال اخي اريد الامان فاعطاه
منديل الامان فحدثه بماجرى وماوقع له مع العجوز من الاول
الى الآخر وهروب الجارية ثم قال للوالي والذي اخذته خذ منه ماشئت
ودع لي ما اتقوت به فاخذ الوالي القماش والمال كله وخشي ان يبلغ
الخبر الى السلطان فاحضر اخي وقال له اخرج من هذه المدينة
والاشنقك فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه
اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا اذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه
واخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة سرا ورتبت له ما يا كل
وما يشرب واما اخي السادس يا اميرالمؤمنين وهو مقطوع
الشفتين فكان افتقر فخرج يوما يطلب شيئا يسدبه رمقه فبينما هوفي

بعض الطرق اذرای دارا حسنة و لها دهليز واسع مرتفع و على الباب
خدم و امر و نهي فسأل بعض من كان واقفا هناك فقال هي
لانسان من اولاد البرامكة فتقدم اخي الى البوابين وسالهم شيئا فقالوا
ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبنا فدخل الدهليز و مشى
فيه ساعة فوصل الى دار في غاية ما يكون من الملاحة و الظرف وفي
وسطها بستان مارای مثلها و ارضها مفروشة بالرخام وستورها معلقة
فبقي اخي متحيرا لا يدري اين يقصد فمضى نحو صدر المكان فرای
انسانا حسن الوجه و اللحية فلما رای اخي قام له ورحب به وساله
عن حاله فاخبره انه محتاج فلما سمع كلام اخي اظهر له غما شديدا
و مد يده الى ثيابه فخرقها وقال اكون انا ببلد وانت بها جائع
لاصبر لي على ذلك ووعده بكل خير فقال له لا بد ان تما لحني فقال
اخي يا سيدي ليس لي صبر و اني لشديد الجوع فصاح يا غلام هات
الطشت والابريق فقال له ياضيفي تقدم واغسل يدك فقام اخي
ليغسل يده فمارای طشتا ولاابريقا ثم انه اومى كانه يغسل يده ثم صاح
قدموا المائدة فلم يراخي شيئا ثم قال لاخي تفضل كل من هذا الطعام
ولا تستحي و اومى بيده كانه ياكل و صار الرجل يقول لاخي عجبا
لقلة اكلك لاتقصر في الاكل فاني اعلم ما انت عليه من الجوع
فجعل اخي يومي كانه ياكل و يقول لاخي كل وانظر الى حسن
هذا الخبز و بياضه واخي لايرى شيئا ثم ان اخي قال في نفسه هذا رجل
يحب ان يهزؤ بالناس فقال له اخي يا سيدي عمري ما رايت احسن
من بياضه ولا الذ منه فقال هذا خبزته جارية لي اشتريتها بخمسمائة
دينار ثم صاح صاحب الدار يا غلام قدم الهريسة اول الطعام واكثر عليها
الدهن ثم قال لاخي يا ضيفي بالله عليك هل رايت اطيب من هذه الهريسة

بحياتي كل و لا تستحي ثم قال يا غلام قدم لنا السكباج الذي فيه القطا المسمن ثم قال لاخي قم كل يا ضيفي فانك جائع ومحتاج لذلك فصار يدور حنكه و يمضغ واقبل الرجل يستدعي لونا بعد لون و لا يحضر شئ الا هو يامر اخي بالاكل ثم صاح يا غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق وقال لاخي وحياتك يا ضيفي هذه الفراريج قد سمنت بالفستق فكل مالا اكلت مثله قط فقال له اخي يا سيدي هذا طيب واقبل يومي بيده الى فم اخي كانه يلقمه وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخي وهو جائع فاشتد جوعه و هو بشهوة رغيف شعير ثم قال له هل رايت اطيب من ابازير هذه الاطعمة فقال اخي لا يا سيدي فقال جود الاكل ولا تستحي فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل شيلوا هذا و قدموا الحلاوات و قال له كل من هذا فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي خذ هذه القطيفة قبل ان ينزل منها الجلاب فقال اخي لاعدمتك يا سيدي و اقبل اخي يساله عن كثرة المسك الذي في القطائف فقال هذه عادتي يصنعون لي في كل قطيفة مثقالا من المسك و نصف مثقال من العنبر هذا كله و اخي يحرك راسه وفمه و يلعب باشداقه فقال لاخي كل من هذا اللوز ولاتستحي فقال له اخي ياسيدي قد اكتفيت و لم يبق لي قدرة آكل شياً فقال يا ضيفي ان اردت ان تأكل وتتفرج فالله الله لاتكن جائعا فقال له اخي يا سيدي من ياكل من هذه الالوان كلها كيف يكون جائعا ثم افتكر اخي في نفسه وقال لاعملن عملا اتوّبه عن هذه الفعال ثم قال الرجل قدموا لنا الشراب فحركوا ايديهم في الهواء حتى كانهم قدموا الشراب ثم ناوله القدح وقال خذ هذا القدح فان اعجبك فعرفني فقال له ياسيدي انه طيب الرائحة لكنني تعودت بشرب النبيذ العتيق الذي له عشرون سنة فقال له الرجل دق

هذا الباب فانك لا تقدر تشرب منه شيأ فقال يا سيدي من احسانك
و اومى اخي بيده كانه يشربه فقال له هنيئا وصحة ثم ان صاحب
البيت اومى وشرب ثم ناول اخي قدحا ثانيا فشربه واظهر انه سكر
وغافله اخي ورفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه فى رقبته
صفعة رن لها المكان ثم ثنّى عليه بصفعة ثانية ثم قال الرجل ما
هذا يا سفلة فقال يا سيدى عبدك انعمت عليه و ادخلته منزلك
واطعمته الزاد و اسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك وانت
اعلا من حمل جهله وعفو ذنبه فلما سمع كلام اخي ضحك ضحكا عاليا
ثم قال له ان لي زمانا طويلا اسخر بالناس و اتماجن على
الاصحاب فما رايت منهم من له طاقة وفطنة دخل معي في جميع
اموري غيرك و الآن فقد عفوت عنك فكن نديمى على الحقيقة
و لا تفارقني ابدا ثم امر باخراج عدة الوان الطعام المذكورة اولا
فاكل هو و اخي حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه
جوارى كانهن الاقمار فغنين بجميع الالحان وجميع الملاهى ثم قاما
و شربا حتى غلب عليهما السكر و استانس الرجل باخي حتى صار
كانه اخوه و احبه محبة عظيمة و خلع عليه فلما اصبح الصباح عادا
لمـا كانا عليـه من الاكل و الشـرب و لم يزالا كذلك مدة
عشرين سنة ثم ان الرجل مات و قبض السلطان علي ما له و ما
احتوى عليه اخي وصادره السلطان حتى خلاه فقيرا لايقدر على شيء
فخرج اخي هاربا علي وجهه فلما توسط الطريق خرج عليه العرب
فاسروه و اتوابه الى حيهم و صار الذى اسره يعذبه و يقول له اشتر
روحك مني بالاموال و الا اقتلك فجعل اخي يبكى و يقول و الله لا
املك شيئا و انا اسيرك فافعل ما شئت فاخرج البدوي سكينا و

قطع شفتي اخي وشدد عليه في المطالبة وكان له زوجة حسناء وكانت اذا
خرج البدوي تتعرض لاخي وتراوده وهو يمتنع منها فلما كان
يوما من الايام راودت اخي فقام ولا عبها واجلسها في حجره فبينما
هو كذلك واذا بزوجها دخل عليها فلما نظر الى اخي قال له ويلك
يا ملعون الآن تريد تفسد عليّ زوجتي واخرج سكينا وقطع ذكره
وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه فجاز عليه المسافرون
فعرفوه فاطعموه واسقوه واعلموني بخبره فجئت اليه وحملته ودخلت
به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها انا جئت عندك يا امير المومنين وخفت
ان ارجع قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائي ستة اخوة وانا اقوم بهم
فلما سمع امير المؤمنين قصتي وما اخبرت به عن اخوتي ضحك وقال
صدقت يا صامت انت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن اخرج
من هذه البلدة واسكن غيرها ثم نفاني بالترسيم علي حتى دخلت
البلاد وطفت الاقاليم الى ان سمعت بموته وخلافة غيره اتيت
المدينة فوجدت اخوتي قد ماتوا ووقعت عند هذا الشاب وفعلت
معه احسن الفعال ولولا انا لقتل وقد اتهمني بشيءٍ ما هو فيّ
وهذا يا جماعة ما نقل عني من الفضول باطل وانا لاجل هذا الشاب
طفت بلد انا كثير حتى وصلت الى هذه الارض وحصلته عندكم فهذا
يا جماعة الخير ما هو من مروتي فقال الخياط لملك الصين فلما
سمعنا قصة المزين وكثرة كلامه وان المزين ظلم مع هذا الشاب
اخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا نحن آمنين فاكلنا
وشربنا وتمت الوليمة الى ان اذن العصر فخرجت وجئت منزلي
فعبستْ زوجتي فقالت انت في حظك وانسك وانا محزونة ان
لم تخرجني وتفرجني بقية النهار قطعت حبلي ويصير سبب فراقي

منك فاخذتها و خرجت بها و تفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب و السكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

فعزمت عليه و خرجت اشتري سمكا مقليا و جلسنا ناكل ثم ان زوجتي اعطته لقمة وقطعة سمك و ادخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت و رميته في بيت هذا الطبيب اليهودي و تحايل الطبيب و رماه في بيت الشاهد و تحايل الشاهد و رماه في طريق النصراني السمسار و هذه قصتي وما لاقيت البارحة فما هي باعجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة هز رأسه طربا وابدى عجبا وقال هذه القصة التي جرت بين هذا الشاب و المزين الفضولي انها لاطرب و احسن من قصة الاحدب الاكذب ثم ان الملك امر بعض حجابه ان امضوا مع الخياط و احضروا المزين من الحبس واسمع كلامه ويكون سبب خلاصكم انتم الجميع و ندفن هذا الاحدب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الصين قال ايتوني بالمزين ويكون سبب خلاصكم و ندفن هذا الاحدب فان له من امس ميت و نعمل له ضريحا فما كان الا ساعة و الحاجب و الخياط مضوا الى الحبس و اخرجوا منه المزين و سار وابه الى ان وقفوا بين يدي هذا الملك فلما رآه و تامله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين اسود الوجه ابيض اللحية و الحواجب مقرطم الآذان طويل الانف في نفسه بلهان فضحك من رؤيته الملك و قال له يا صامت اريد ان

تحكي لي شياً من حكايتك فقال المزين يا ملك الزمان و ما قصة هذا النصراني و هذا اليهودي و هذا المسلم و هذا الاحدب الميت بينكم وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين و ما سوا لك عن هذا فقال سوالي عنهم حتى يعلم الملك اني ما انا فضولي و انا بريءٌ مما اتهموني به من كثرة الكلام و انا الذي اسمي الصامت وان لي نصيبا من اسمي كما قال الشاعر

وَقَلَّمَا اَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَالَقَبٍ اِلاَّ وَمَعْنَاهُ اِنْ فَتَّشْتَ فِيْ لَقَبِهْ

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب و ما جرى له وقت العشاء وما حكى النصراني و ما حكى اليهودي وما حكى الشاهد وما حكى الخياط وليس فى الا عادة افادة فحرك المزين راسه وقال والله ان هذا لعجب عجيب اكشفوا لي عن هذا لاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه و اخذ رأسه على حجره و نظر في وجهه و ضحك حتى انقلب على قفاه و قال لكل موتة عجب و موتة هذا الاحدب يجب ان تورخ بماء الذهب فبهتت الجماعة من كلام المزين و تعجب الملك من كلامه و قال مالك يا صامت احك لنا فقال المزين يا ملك الزمان وحق نعمتك الاحدب الا كذب فيه الروح ثم ان المزين اخرج من وسطه حرمدان و فتحه واخرج منه مكحلة فيها دهن و دهن به رقبة الاحدب و عروقها ثم اخرج كلبتين من حديد و نزل بهما في حلقه فطلع قطعة السمك بعظمها فلما طلع بها واذا هي مغموسة دما والاحدب عطس عطسة ثم نط ووقف على حيله وملس على وجهه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فتعجب الملك والحاضرون من الذي رأوه و عاينوه فضحك ملك الصين حتى غشي عليه وكذلك الحاضرون

وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رايت اعرب منها ثم ان السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر عمركم رايتم احدا يموت ثم يحيى ولولا رزقه الله بهذا المزين فانه كان سببا لحياته لكان يموت فقالوا والله ان هذا عجب عجيب ثم ان ملك الصين امران تورخ هذه القصة فارخوها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهودي والنصراني والشاهد كل واحد خلعة سنية وامرهم بالانصراف فانصرفوا ثم اقبل السلطان على الخيـــاط وخلع عليه خلعة سنية وجعله خياطه ورتب له الرواتب واصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وانعم على المزين وخلع عليه خلعة وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزلوا فى الذ عيش واهنـــاه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا باعجب من قصة الوزيرين وانيس الجليس قالت لها وكيف ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويحب الرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه شعــــــــــر

مَلِكٌ اِذَا جَالَتْ عَلَيْهِ مَوَاكِبٌ ... اَرَبَ الْعِدَاةَ بِكُلِّ عَضْبٍ اَنْتَرِى
وَيَخُطُّ خَطًّا فِى الصُّدُوْرِ اَذَا سَطَا ... يَوْمًا تَرَاهُ عَلَى الْفَوَارِسِ مُفْتَرِي

وكان يقال له الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيرين احدهما يقال له المعين بن ساوى والثاني يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان اكرم اهل زمانه حسن السيرة اجمعت القلوب على محبتـه واجمعت الناس على مشورته والكل يدعون له

بطول مدته لانه محض خير مزيل الشر والضير وكان الوزير
المعين بن ساوي يكره الناس ولا يحب الخير وكان محض سوء
كما قيل فيه شعر

لُذْ بِالْكِرَامِ بَنِى الْكِرَامِ فَإِنَّمَا تَلِدُ الْكِرَامُ بَنُوا الْكِرَامِ كِرَامًا
وَدَعِ اللِّئَامَ بَنِي اللِّئَامِ فَإِنَّمَا تَلِدُ اللِّئَامُ بَنُوا اللِّئَامِ لِئَامًا

قال وكان الناس على قدر محبتهم للفضل بن خاقان على قدر بغضهم
للمعين بن ساوى وبقدرة القادر ان الملك محمد بن سليمان
الزيني يوما من الايام قاعد على كرسي مملكته وحوله ارباب دولته
اذنادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له الملك اريد جارية لا يكون
في زمنها احسن منها تكون كاملة فى الجمال فائقة فى الاعتدال
حميدة الخصال فقالت ارباب الدولة هذه لاتوجد الا بعشرة آلاف دينار
فعند ذلك زعق السلطان على خازندار وقال احمل عشرة آلاف
دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار امر السلطان و
نزل الوزير بعد ما رسم له السلطان ان يعمد الى السوق كل يوم ويوصى
السماسرة على ما ذكرناه وان لاتباع جارية ثمنها فوق الالف دينار
حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضونها وكل
جارية وقعت لهم لم يعجبها الوزير ففي يوم من الايام واذا بالسمسار
اقبل الى دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا طالب المسير
لقصر الملك فدق في ركابه

وانشد يقول

يَا مَنْ أَعَادَ رُسُومَ الْمُلْكِ مَنْشُوراً أَنْتَ الْوَزِيرُ الَّذِي لَازِلْتَ مَسْرُوراً
أَحْيَيْتَ مَا مَاتَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ كَرَمٍ لَازَالَ سَعْيُكَ عِنْدَ اللّٰهِ مَشْكُوراً

ثم قال يا سيدي ان الذي سبق به المرسوم الكريم بطلبه قد حضر فقال له الوزير علي بها فغاب ساعة وحضر ومعه جارية رشيقة القد بارزة النهد بطرف كحيل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وثياب احسن ما يكون من الثياب ورضاب احلى من الجلاب وقوام اعدل من الغصون المائلة وكلام ارق من نسيم الاسحار كما قال فيها بعض واصفيها شعر

عَجِيبَةُ حُسْنٍ وَجْهُهَا بَدْرُ كَوْكَبِ عَزِيزَةُ قَوْمٍ مِن زَبِيبٍ وَرَبْرَبِ
عَطَاهَا اِلهُ الْعَرْشِ عِزاً وَرِفْعَةً وَظَرْفاً وَمَعْنًى ثُمَّ قَدّاً مُقَضَّبِ
لَهَا فِي سَمَاءِ الْوَجْهِ سَبعُ كَوَاكِبِ عَلَى الْخَدِّ حُرَّاسٌ عَلَى كُلِّ مَرْقَبِ
اِذَا رَامَ اِنْسَانٌ يُسَارِقُ نَظْرَةً شَيَاطِينُ لَفْظٍ اَحْرَقَتهُ بِكَوْكَبِ

فلما راها الوزير اعجبته غاية العجب ثم التفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة آلاف دينار لم تجي ثمن الفراريج التي اكلتها ولا الشرب ولا الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير واصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير علي بسيدها فاحضره في الوقت والساعة فاذا هو رجل عجمي قد ابقى ما ابقى وعاركه الدهر واستبقى كما قال الشاعر شعر

اَرْعَشَنِي الدَّهْرُ اَيَّ رَعْشٍ وَالدَّهْرُ ذُو قُوَّةٍ وَبَطْشِ
قَدْ كُنتُ اَمْشِي وَلَسْتُ اَعْيِى وَالْيَوْمَ اَعْيِى وَلَسْتُ اَمْشِي

فقال له الوزير ارضيت ان تاخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي والله لقد

قد متها للسلطان بلا شيٍّ كان واحبا شليّ فعند ذلك امر الوزير
باحضار الاموال فاحضرت فوزنت للعجمي واقبل النخاس على الوزير
وقال عن اذن مولانا الوزير اتكلم فقال الوزير هات ما عندك
فقال ان الرأي عندي ان لا تطلع بهذه الجارية للسلطان في هذا
اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهوى ودعكها السفر
ولكن خلها عندك في القصر عشرة ايام لما ترد الى حالها ثم ادخلها
الحمام والبسها احسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك
في ذلك الحظ الاوفر فتامل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فاتى
بها الى قصره واخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه
من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على ذلك وكان للوزير
الفضل بن خاقان ولد كانه البدر اذا بدر بوجه اقمر وخد احمر
عليه خال كنقطة عنبر بعذار اخضر كما قال فيه الشاعر ولاقصر شعر

قَمَــرٌ يُفَتِّكُ بِاللَّوَاحِظِ اِنْ رَنَا ۞ غُصْنٌ يُفَتِّتُ بِالْقَوَامِ اِذَا انْثَنَى
زِنْجِيُّ الذَّوَائِبِ عَسْجَدِيُّ لَوْنُهُ ۞ حُلْوُ الشَّمَائِلِ قَدُّهُ يَحْكِي الْقَنَا
يَا قَلْبَهُ الْقَاسِي وَرِقَّةَ خَصْرِهِ ۞ هَلَّا نُقِلْتَ اِلَى هُنَا مِنْ هٰهُنَا
لَوْ كَانَ رِقَّةُ خَصْرِهِ فِي قَلْبِهِ ۞ مَا جَارَ قَطُّ عَلَى الْمُحِبِّ وَلَا جَنَى
يَا عَاذِلِي فِي حُبِّهِ كُنْ عَاذِرِي ۞ مَنْ لِي بِجِسْمٍ قَدْ تَمَلَّكَهُ الضَّنَى
مَا الذَّنْبُ اِلَّا لِلْفُؤَادِ وَنَاظِرِي ۞ فَدَعِ الْمَلَامَ وَخَلِّنِي فِي ذَا الْعَنَا

وكان الصبي ما عرف قضية هذه الجارية وكان والده اوصاها
وقال لها يا بنتي اعلمي اني ما اشتريتك الا سُرِّيَّةً للملك محمد بن
سليمان الزيني وان لي ولدا ما خلى بصبية في الحارة الا فعل بها
فاجعلي بالك منه واحذري ان تريه وجهك او تسمعيه كلامك

فقالت له الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف فاتفق بالامر المقدر ان الجارية في يوم من الايام دخلت الحمام الذي في المنزل وقد غسلها بعض الجواري ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على الست زوجة الوزير فباست يدها فقالت لها نعيم يا انيس الجليس ايش حسن هذا الحمام فقالت يا ستي ما كنت محتاجة الا لحضورك فيه فعند ذلك قالت الست للجواري قوموا بنا الى الحمام قالوا سمعا وطاعة ونهضن والست بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التي فيها انيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكّنا احدا يدخل للجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما انيس الجليس قاعدة بالمقصورة واذا بابن الوزير الذي هو نور الدين علي قد دخل وسال عن امه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلن الحمام وقد سمعت الجارية انيس الجليس كلام نور الدين علي ابن الوزير وهي من داخل المقصورة فقالت في نفسها يا ترى ما شان هذا الصبي الذي قال لي الوزير عنه انه ما خلّى بصبية في الحارة الا فعل بها والله اني اشتهي ان انظره ثم انها نهضت على قدميها وهي من اثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى نور الدين علي فاذا هو صبي كالبدر في تمامه فاورثتها النظرة الف حسرة ولاحت من الصبي التفاتة فنظر الصبي اليها نظرة اورثته الف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الآخر فتقدم الصبي الى الجاريتين وعيط عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد تنظرانه وتنظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها انت التي اشتراك ابي لي فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبي اليها وكان في حال السكر واخذ رجليها وعملها في وسطه وهي شبكت يديها في عنقه واستقبلته ببوس وشهيق وغنج ومص لسانها

ومصت لسانه وازال بكارتها فلما راى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على
الجارية انيس الجليس صرختا وعيطتا وكان قد قضى الصبي حاجته
وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفرّ من الخوف عقب الفعل الذي فعله فلما
سمعت الست عياط الجاريتين نهضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر
منها وقالت ايش هذا العياط الذي فى الدار فلما قربت من الجاريتين
اللتين كانت اقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر
فلما رأتاها قالتا ان سيدي نورالدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل
على انيس الجليس وعانقها وما ندري ايش عمل بعد ذلك فلما
صيحنا عليك هرب فعند ذلك تقدمت الست الى انيس الجليس
وقالت لها ما الخبر فقالت يا سيدتي انا قاعدة واذا بصبي
جميل دخل علي وقال لي انت الذي اشتراك ابي لي فقلت نعم
والله ياسيدتي اعتقدت ان كلامه صحيح فعند ذلك اتى عندي
وعانقني فقالت الست كلمك شيئا بشيء غير ذلك قالت نعم
واخذ مني ثلث بوسات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت
ولطمت وجهها هي والجواري خوفا على نورالدين ان يذبحه ابوه
فبيناهم كذلك واذا بالوزير دخل وسال عن الخبر فقالت له زوجته احلف
ان ما قلته لك تسمعه قال نعم فاعادت عليه ما فعله ولده فحزن وخرق
ثيابه ولطم وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك
انا اعطيك من مالي عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه
اليها وقال لها ويلك انا مالي حاجة بثمنها ولكن خوفي ان
تروح روحي ومالي فقالت له ياسيدي وكيف ذلك قال لها اما
تعلمين ان وراءنا هذا العدو والذي يقال له المعين بن ساوى ومتى
سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته اما تعلمين ان وراءنا هذا العدو والذي يقال له المعين ابن ساوى ومتي سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وزيرك الذي تزعم انه يحبك اخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما راى احد مثلها فلما اعجبته قال لابنه خذها انت احق بها من السلطان فأخذها وازال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول هو للملك عن اذنك اهجم عليه وآتيك بها فيرسم له بذلك فيكبس الدار ويأخذ الجارية ويحضرها للسلطان ثم يسالها فما تقدر تنكر فيقول له ياسيدي تعلم اني ناصح لك ولكن مالي عندكم حظ فيمثل بي السلطان والناس كلهم يتفرجون علي فتروح روحي فقالت له زوجته لاتعلم احدا وهذا الامر حصل خفية وسلم امرك الى الله في هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير هذا ماكان من امر الوزير واما ما كان من امر نور الدين علي فخاف عاقبة الامر فبقي طول نهاره في البساتين وياتي آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ويروح الى البستان ولم يزل كذلك شهرا لا يُري وجهه لابيه فقالت امه لابيه يا سيدي هل نعدم الجارية ونعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هجّ منا قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء امسكه واصطلح انت واياه واعطه الجارية فهي تحبه وهو يحبها وانا اعطيك ثمنها فصبر الوزير الى الليل فلما اتى ولده امسكه واراد نحره فادركته امه وقالت له ايش تريد تفعل معه فقال لها اذبحه فقال الولد لابيه هل اهون

عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له ياولدي كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع ياوالدي ما قال الشاعر

هَبْنِي جَنَيْتُ فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ النُّهَى يَهَبُونَ لِلْجَانِي سَمَاحًا شَامِلَا
مَا ذَا عَسَى يَرْجُو عَدُوُّكَ وَهْوَ فِي دَرْكِ الْحَضِيضِ وَأَنْتَ أَعْلَى مَنْزِلَا

قال فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده فقال يا ولدي عفوت عنك وحن قلبه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يا والدي لو علمت انك تنصف انيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدي كيف لا انصفها قال له اوصيك يا ولدي انك لا تتزوج عليها ولا تضارها ولا تبيعها فقال له يا والدي انا احلف لك اني لا اتزوج عليها ولا ابيعها فحلف على ذلك ودخل على الجارية فاقام معها سنة وانسى الله تعالى الملك قصة الجارية واما المعين بن ساوى فبلغه الخبر لكنه لم يقدر يتكلم لمنزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة عبر الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فضر به الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده نور الدين علي فحضر فقال له ياولدي اعلم ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كأس الممات ثم انه انشد يقول شعر

أَنَا مَيِّتٌ فَجَلَّ مَنْ لَا يَمُوتُ وَتَحَقَّقْتُ أَنَّنِي سَأَمُوتُ
لَيْسَ مَلِكًا يَمُوتُ بِيَدِهِ مُلْكُ إِنَّمَا الْمُلْكُ مُلْكُ مَنْ لَا يَمُوتُ

ثم قال ياولدي ما لي عندك وصية الا تقوى الله وانظر في العواقب والوصية بالجارية انيس الجليس فقال له يا ابت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير والدعاء على المنابر فقال له ياولدي ارجو

من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين فكُتِبَ من اهل السعادة فعند ذلك انقلب القصر بالعياط واتصل الخبر بالسلطان وسمعت اهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكى عليه الصبيان في مكاتبها ونهض ولده نور الدين علي وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وارباب الدولة واهل المدينة وكان فيمن حضر الجنازة الوزير المعين ابن ساوى وانشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار شعر

يَوْمَ الْخَمِيسِ لَقَدْ فَارَقْتُ أَحْبَابِي ... وَغَسَّلُونِي عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْبَابِ
وَجَرَّدُونِي ثِيَابًا كُنْتُ لَابِسَهَا ... وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَثْوَابِي
وَحَمَّلُونِي عَلَى أَعْنَاقِ أَرْبَعَةٍ ... إِلَى الْمُصَلَّى وَبَعْضُ النَّاسِ صَلَّى بِي
صَلَّوْا عَلَيَّ صَلٰوةً لَا سُجُودَ لَهَا ... صَلَّى عَلَيَّ جَمِيعُ النَّاسِ أَصْحَابِي
وَشَيَّعُونِي إِلَى دَارٍ مُقَنْطَرَةٍ ... يَفْنَى الزَّمَانُ وَلَا يُفْتَحُ لَهَا بَابِي

ولما واراه التراب ورجعت الاهل والاصحاب رجع نور الدين وقد انتحب من البكاء ولسان الحال يقول هذه الابيات

هُمْ رَحَلُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ عَشِيَّةً ... فَوَدَّعْتُهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا وَوَدَّعُوا
فَلَمَّا تَوَلَّوْا رَاحَتِ النَّفْسُ مَعَهُمْ ... فَقُلْتُ ارْجِعِي قَالَتْ إِلَى أَيْنَ أَرْجِعُ
إِلَى جَسَدٍ مَا فِيهِ رُوحٌ وَلَا دَمٌ ... وَمَا فِيهِ إِلَّا أَعْظُمٌ تَتَقَعْقَعُ
وَعَيْنَايَ قَدْ أَعْمَاهُمَا شِدَّةُ الْبُكَا ... وَأُذْنِي غَدَتْ صَمَّاءَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ

قال ثم مكث شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو ذات يوم من الايام جالس في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض نور الدين علي وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده واصحابه قد دخل فقبل يد نور الدين وقال ياسيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الاولين والآخرين ياسيدي طب نفسا ودع

الحزن فعند ذلك نهض نور الدين الى القاعة التي للجلوس ونقل اليها ما يحتاجه واجتمع عليه اصحابه. واخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من اولاد التجار ثم انه اكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك جاء له وكيله وقال له ياسيدي نور الدين اما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولم يشعر والشاعر يقول

أَصُونُ دَرَاهِمِي وَأَذُبُّ عَنْهَا ... لِعِلْمِي أَنَّهَا سَيْفِي وَتُرْسِي
أُبَذِّلُهَا إِلَى أَعْدَى الأَعَادِي ... وَأُبْدِلُ فِي الوَرَى سَعْدِي بِنَحْسِي
فَآكُلُهَا وَأَشْرَبُهَا هَنِيئاً ... وَلاَ أَسْخُو إِلَى أَحَدٍ بِفَلْسِ
وَأَحْفَظُ دِرْهَمِي عَنْ كُلِّ شَخْصٍ ... لَئِيمِ الطَّبْعِ لاَ يَصْفُو لِأُنْسِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَوْلِي لِنَذْلٍ ... أَنِلْنِي دِرْهَماً لِغَدٍ بِخَمْسِ
فَيُعْرِضُ وَجْهَهُ وَيَصُدُّ عَنِّي ... فَتَبْقَى مِثْلَ نَفْسِ الكَلْبِ نَفْسِي
فَيَا ذُلَّ الرِّجَالِ بِغَيْرِ مَالٍ ... وَلَوْ كَانَتْ فَضَائِلُهُمْ كَشَمْسِ

ثم قال ياسيدي هذه النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع نور الدين علي من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا اسمع منه ولا كلمة فاني سمعت الشاعر يقول شعر

إِذَا مَا مَلَكْتُ المَالَ كَفِّي وَلَمْ أَجُدْ ... فَلاَ سَلِمَتْ كَفِّي وَلاَ نَهَضَتْ رِجْلِي
فَهَاتُوا بَخِيلاً نَالَ مَجْداً بِبُخْلِهِ ... وَهَاتُوا أَرُونِي بَاذِلاً مَاتَ بِالبَذْلِ

ثم قال اعلم ايها الوكيل انى اريد اذا فضل عندك قدر غدائي ان لاتحملني هم عشائي فولى من عنده الوكيل الى حال سبيله واقبل نورالدين علي على اللذات في اطيب عيش وماهو فيه وكل من

يقول له من ندمائه هذا الشى مليح يقول هو لك هبة ويقول الآخر يا سيدي الدار الفلانية مليحة يقول هي هبة لك و لم يزل نورالدين يعمل لهم اول النهار مقاما وفى آخر النهار مقاما الى ان مكث سنة على هذا الحال و بعد السنة فبينماهو قاعد و اذا بالجارية انيس الجليس تنشد شعر

اَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَ سَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدِرُ

فلما فرغت من شعرها و اذا بالباب يطرق فقام نورالدين فتبعه بعض جلسائه من غيران يعلم به فلما فتح الباب و جد وكيله فقال له نورالدين على ما الخبر فقال له يا سيدي الذي كنت اخاف عليك منه قد و قع قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقي تحت يدي شيءٌ يساوي درهما ولا اقل ولا اكثر و هذه الدفاتر موجودة بالمصروف الذى صرفته ودفاتر اصل مالك فلما سمع نورالدين علي هذا الكلام اطرق براسه الى الارض وقال لاحول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذي تبعه خفية خرج ليتسلل عليه ما قاله لهالوكيل رجع الى اصحابه وقال لهم انظروا ايش تعملون فان نورالدين علي افلس فلما رجع اليهم علي نورالدين تبين لهم الغم في وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى نورالدين علي وقال له ياسيدي عسى ان تاذن لي بالانصراف فقال نورالدين علي لماذا الانصراف اليوم فقال ان زوجتى تلدو لايمكنني ان اتخلف عنها واريد ان اذهب اليها وانظرها فاذن له و نهض آخر وقال له يا سيدي نورالدين اريد اليوم ان احضر عند اخي فانه يطاهر ولده وكل واحد صار يستأذنه بحيلة و يذهب الى حال

سبيله حتى انصرفوا كلهم و بقي نور الدين علي وحده فعند ذلك
دعى جاريته وقال لها يا انيس الجليس ما تنظرين ما حل بي
وحكى لها ما قال له الوكيل فقالت ياسيدي من منذ ليالي هممت
ان اقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد و تقول شعر

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ طُرًّا قَبْلَ أَنْ تَتَفَلَّتِ
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَا الشُّحُّ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ وَلَّتِ

فلما سمعتك تنشد هذه الابيات سكتُّ ولم ابد لك خطابا فقال لها
نورالدين على يا انيس الجليس انت تعرفين اني ما اوهبت مالي
الا على اصحابي وهم خلوني بلاشيٍ واظنهم لايتركونني من غير مواساة
فقالت له انيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال نورالدين فانا في
هذه الساعة اقوم واروح لهم واطرق ابوابهم لعل ان يحصل لي منهم شيٌ
فاجعله في يدي رأس مال واتاجر فيه واترك اللهو واللعب ثم انه نهض
من وقته وساعته ولا زال سائرا حتى اقبل على الزقاق الذي فيه اصحابه
العشرة وكانوا كلهم ساكنين في ذلك الزقاق فتقدم الى اول باب وطرقه
فخرجت له جارية وقالت له من انت فقال لها قولي لسيدك نورالدين علي
و اقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل يديك ومنتظر فضلك
فدخلت الجارية واعلمت سيدها فزعق عليها وقال لها ارجعي وقولي له
ماهو هنا فرجعت الجارية الى نورالدين وقالت له يا سيدي ان
سيدي ما هو هنا فتوجه نورالدين وقال في نفسه ان كان هذا
ولدزنا وانكر نفسه فغيره ما هو ولدزنا ثم تقدم الى باب الثاني وقال
كما قال اولا فانكر نفسه الآخر فعند ذلك انشد يقول شعر

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا وَقَفْتَ بِبَابِهِمْ مَنُّوا عَلَيْكَ بِأَنْعُمٍ وَشِوَاءِ

فلما فرغ من شعره قال و الله لا بد ان امتحنهم كلهم لعل يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع للدار على العشرة فما منهم من فتح الباب ولا راه نفسه ولا كسر في وجهه رغيفا فانشد يقـــــــول

اَلْمَرْأُ فِي زَمَنِ الْاِقْبَالِ كَالشَّجَرَةْ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا مَادَامَتِ الثَّمَرَةْ
حَتَّى اِذَا رَاحَ عَنْهَا حِمْلُهَا رَحَلُوا وَ خَلَّفُوهَا تُقَاسِي الْحَرَّ وَ الْغُبْرَةْ
تَبًّا لِاَبْنَاءِ هٰذَا الدَّهْرِ كُلِّـــهِــــمِ حَتَّى وَلَا وَاحِدٌ يَصْفُو مِنَ الْعَشَرَةْ

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدي انا ما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال والله ما فيهم من اراني وجهه ولا فيهم احد يعرف بي فقالت له يا سيدي بع من اثاث البيت وآنيته الى ان يدبر الله تعالى وانفِقْ اولا باول فباع الى ان باع جميع ما فى البيت وما بقي عنده شيء فعند ذلك نظر الى انيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدي عندي من الراي ان تقوم الساعة وتنزل بي الى السوق و تبيعني و انت تعلم ان والدك كان اشتراني بعشرة آلاف دينار فلعل الله ان يفتح عليك بقريب من هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا انيس الجليس والله ما يهون عليّ فراقك ساعة واحدة فقالت له والله يا سيدي ولا انا لكن للضرورة احكام كما قال الشـــــــــــــــــاعر

تُلْجِى الضَّرُورَاتُ فِى الْاُمُورِ اِلَى سُلُوكِ مَا لَا يَلِيـــقُ بِالْاَدَبِ
مَا حَامِلٌ نَفْسَهُ عَلَى سَبَـــبٍ اِلَّا لِاَمْرٍ يَلِيـــقُ بِالسَّبَـــبِ

فعند ذلك نهض على قدميه و اخذ انيس الجليس و دموعه تسيل على خده كالمطر ثم انشد بلسان الحال و قال شعـــــــــــرا

قِفُوا زَوِّدُونِي نَظْرَةً قَبْلَ بَيْنِكُـــمْ اُعَلِّلُ قَلْبًا كَادَ بِالْبَيْنِ يَتْلَـــفُ

فَانْ كُنْتُمو تَلْقَوْنَ فِي ذَاكَ كُلْفَةً دَعُونِي أَمُتْ وَجْدًا وَلَا تَتَكَلَّفُ

ثم مضى ونزل بها الى السوق وسلمها للدلال وقال له يا حاج حسن اعرف قدر ما تنادى عليه فقال الدلال يا سيدي نور الدين الا صول محفوظة ثم قال له هذه ما هي انيس الجليس التي كانت اشتراها والدك مني بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم ما اجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار و احتبك السوق بسائر اجناس الجواري من تركية و افرنجية و شركسية وحبشية و نوبية و تكرورية و رومية وتترية وجرجية وغير ذلك فلما نظرا لدلال الى السوق قد احتبك تقدم ونهض قائما وقال يا تجار يا ارباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة يا تجار معي هذه الدرة اليتيمة التي ما لها قيمة كم انادي عليها فقال واحد من التجار ناد باربعة آلاف دينار و خمسمائة ففتح بابها المنادي اربعة آلاف دينار و خمسمائة و هو يقول هذا الكلام و اذا بالوزير المعين ابن ساوى في السوق عابر فنظر الى نور الدين علي و اقفا في طرف السوق فقال في نفسه مابال ابن خاقان واقفا ههنا أَبَقِي مع هذا العلق شيٌ يشتري به الجواري ثم نظر بعينه فسمع المنادي وهو واقف ينادي في السوق والتجار حوله فقال الوزير في نفسه ما اظنه الا افلس و نزل بالجارية انيس الجليس ليبيعها ثم قال في نفسه يا بَرْدَها على قلبي ثم دعا المنادي فاقبل عليه و قبل الارض بين يديه فقال اني اريد هذه الجارية التي تنادي عليها فما امكنه المخالفة فقال له يا سيدي بسم الله ثم تقدم الجارية و اعرضها عليه فاعجبته فقال له يا حسن كم معك في هذه الجارية فقال له اربعة آلاف و خمسمائة دينار فُتح الباب قال المعين عليَّ اربعة

آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع التجار ذلك ما قدر واحد منهم ان يزود
درهما بل تاخروا لما يعلمون من ظلم الوزير ثم نظر المعين بن ساوى
الى الدلال و قال له ايش وقوفك رح وشاور عليّ باربعة آلاف دينار
ولك خمسمائة دينار فتقدم الدلال الي نور الدين و قال له يا سيدي
راحت الجارية عليك بلا شيءٍ فقال له وكيف قال له نحن فتحنا
بابها اربعة آلاف دينار وخمسمائه فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى
وعبر السوق فلما نظر الى الجارية اعجبته و قال لي شاور على اربعة آلاف
ولك خمسمائة وما اظنه الا عرف ان الجارية لك وان كان في هذه الساعة
يعطيك ثمنها يكون مليحا وانا اعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة
حوالة على بعض عماله ثم يرسل خلفك احدا ويقول لهم لا تعطوه
شيأ فكلما رحت تطالبهم يقولون الساعة نعطيك ويعملون هذا الامر
معك يوما بعد يوم وانت عزيز النفس وبعد ان يضجوا من طلبك
لهم يقولون ارنا الورقة فاذا اخذوا الورقة منك قطعوها ويروح
منك ثمن الجارية فلما سمع نور الدين علي من الدلال هذا الكلام
نظر اليه وقال له كيف يكون هذا العمل فقال له انا اشور عليك
بمشورة فان قبلت مني كان لك الحظ الاوفر قال وما هي قال تجيء
هذه الساعة الى عندي وانا واقف وسط السوق وتاخذ الجارية من يدي
وتلطمها وتقول لها يا كورة فديت يميني الذي حلفته ونزلت بك
السوق حيث حلفت عليك انه لابد من اخراجك الى السوق ومناداة
الدلال عليك فان فعلتَ ذلك ربما تنطلق عليه الحيلة وعلى الناس
ويعتقدون انك ما نزلت بها الى السوق الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا
هو الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء وسط السوق ومسك يد
الجارية واشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاى هذا مالكها

قد اقبل ثم جاء نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها
وقال لها ويلك ياكورة نزلت بك السوق لاجل فداء يميني روحي
الى البيت ولا تعودي تخالفيني ويلك انا محتاج الى ثمنك
حتى ابيعك انا لو بعت اثاث البيت جاء قدر ثمنك مرارا عديدة
فلما نظر المعين ابن ساوى الى نور الدين قال له ويلك هل بقي
عندك شيء يباع اويشترى ثم ان المعين بن ساوى اراد ان يبطش به
فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها
انا بين ايديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا انتم لقتلته ثم
اشار واكلهم الي نور الدين بعين الاشارة افتصل منه وقالوا ما احد منا
يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم نور الدين الى الوزير ابن ساوى
وكان نور الدين شجاعا وجذب الوزير من فوق سرجه ورماه على الارض
وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل يلطمه
ويلكمه فجاءت لكمة على اسنانه فاختضبت لحية الوزير بدمه وكان
مع الوزير عشرة مماليك فلما راوا سيدهم فعل به هذه الفعال
وضعوا ايديهم على مقابض سيوفهم واردوا ان يجردوها ويهجموا
على نور الدين علي ليقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا
وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا وقتا آخر فتصيرون مبغوضين
عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا اقبح الموتات
ومن الراى ان لا تدخلوا بينهما فلما فرغ نور الدين علي من ضرب
الوزير اخذ جاريته ومضى الى داره واما الوزير فمضى من ساعته
وبقي قماشه ثلثة الوان طين اسود ودم احمر ورماد فلما راى
نفسه على هذه الحالة اخذ برشا وجعله في رقبته واخذ في
يده عقد تين من خلفه سار الى ان وقف تحت القصر الذي فيه

السلطان و صاح يا ملك الزمان مظلوم مظلوم فاحضروه بين يديه فتامله و اذا به الوزير الكبير فقال له يا وزير من فعل بك هذه الفعال فبكى و انتحب و انشد يقول شعر

أَيَظْلِمُنِى الزَّمَانُ وَأَنْتَ فِيهِ وَتَأْكُلُنِى الذِّيَابُ وَأَنْتَ لَيْثُ
وَيُرْوَى مِنْ حِيَاضِكَ كُلُّ ظَامٍ وَأَظْمَأُ فِي حِمَاكَ وَأَنْتَ غَيْثُ

ثم قال يا سيدي كل من كان يحبك و يخدمك يجري عليه هكذا قال له السلطان ولك عجل و قل لي كيف جرى لك هذا و من فعل بك هذه الفعال و انت حرمتك من حرمتي فقال الوزير اعلم يا سيدي اني خرجت اليوم الى سوق الجواري على اني اشتري جارية طباخة فرايت فى السوق جارية ما رايت احسن طول عمري مثلها فاردت اشتريها لمولانا السلطان فسالت عنها الدلال وعن سيدها فقال الدلال انها لعلي بن الفضل بن خاقان وكان مولانا السلطان اعطى سابقاً لابيه عشرة آلاف دينار ليشتري بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فاعجبته فبخل بها على مولانا السلطان فاعطاها لولده فلما مات ابوه باع ابنه جميع ما عنده من الا ملاك و البساتين و الا واني حتى افلس فنزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها و سلمها للدلال فنادى عليها و تزايدت التجار فيها حتى وصلت ثمنها اربعة آلاف دينار فقلت لعقلي اشتري هذه لمولانا السلطان فان ثمنها فى الاصل كان من عنده فقلت يا ولدي خذ ثمنها مني اربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر الي و قال يا شيخ النحس انا ابيعها لليهود و النصارى ولا ابيعها لك فقلت انا ما اشتريها لنفسي و انما اشتريها لمولانا السلطان الذي هو ولي نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني

و رماني عـــن الجواد و انا شيخ كبير و ضربني بيده و لكمني حتى
تركني كما تراني و انا ما او تعني في هذا كله الا اني جئت اشتري
هذه الجارية لك ثم ان الوزير ارمى نفسه على الارض وجعل يبكي
و ير تعد فلما نظر السلطان الى حالته و سمع مقالته قام عرق الغضب
بين عينيه ثم التفت الى ارباب الدولة واذا بار بعين رجل ضاربين
سيوفا و تفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا الساعة الى دار علي
بن خاقان و انهبوها و اهدموها و ائتوني به و بالجـارية مكتفين
واسحبوهما على وجوههما واتوابهما بين يدي فقالوا له السمع والطاعة
ثم انهم لبسوا العدد ونزلوا و عولو على المسير الى دار علي نور الدين
وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان اولا من
مماليک الفضل بن خاقان والد علي نور الدين ثم انتقلت منزلته الى
ان عملـــه السلطان حاجبا عنده فلما سمع مرسوم السلطان وراى
الاعداء تجهزوا الى قتل ابن سيده ما هان عليه فغاب من قدام
السلطان وركب جواده وسار الى ان جاء الى بيت نور الدين علي
فطرق الباب فخرج له نور الدين فلما رآه عرفه فقال ياسيدي ما هذا
وقت سلام ولا كلام و اسمع ما قال الشـــــــــــــــــــاعر

وَنَفْسَکَ فُزْبِهَا اِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعِى مَنْ بَنَـــا هَا
فَاِنَّـکَ وَاجِدٌ اَرْضًـــا بِاَرْضٍ وَنَفْسَکَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَا هَا

فقال نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسک انت
و الجارية فان المعين بن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما في يده
قتلكما وقد سير لكما السلطان اربعين ضاربا بالسيف والراي عندي ان
تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى صولقه فوجد

فيه اربعين دينارا فاخذهم واعطاهم الى نور الدين وقال له ياسيدي خذ هذه وسافربهم ولو كان معي اكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية واعلمها بذلك فتخبلت يديها ثم خرج الاثنان فى الوقت الى ظاهر المدينة واسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والرئيس واقف في وسط المركب يقول من بقي له حاجة من زاده او من وداع اهله او من نسي حاجة فليات بها فاننا متوجهون فقال كلهم لم يبق لنا شغل يا رئيس فعند ذلك قال الرئيس لجماعته هيا حلوا الاطراف واقلعوا الاوتاد فقال نورالدين علي الى اين يارئيس فقال الى دار السلام بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرئيس لما قال لعلي نورالدين الى دار السلام مدينة بغداد فطلع نور الدين علي وطلعت الجارية معه وعوموا وارخوا القلوع فخرجت المركب كانها طير بجناحيه كما قال فيها بعضهم واحسن شعر

أُنْظُرْ الى مَرْكَبٍ يُسْبِيكَ مَنْظِرُهُ   تُسَابِقُ الرِّيْحَ فِي سَيْرٍ وَمَجْرَاءِ
كَانَّهُ طَائِرٌ قَدْ مَدَّ اَجْنِحَةً   اَتَى مِنَ الْجَوِّ مُنْقَضًّا عَلَى الْمَاءِ

قال فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ماجرى لهؤلاء واما ماجرى للمماليك فانهم جاؤا على بيت الوزير نورالدين علي فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا الاماكن فلم يقعوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال السلطان اطلبوهما

من اي مكان كانا فيه فقالوا السمع و الطاعة ثم نزل الوزير المعين
بن ساوى الى بيته وكان خلع عليه السلطان خلعة و اطمأن قلبه
وقال له السلطان ما ياخذ بثارك الا انا فدعى له بطول العمر والبقاء
ثم ان السلطان امر ان ينادي فى المدينة يا معاشر الناس كافة قد
امر مولانا السلطان ان من عثر بعلي نورالدين ابن خاقان وجاء به
الى السلطان خلع عليه خلعة واعطاه الف دينار ومن اخفاه اوعرف
مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجري له من النكال فوقع الطلب
على نورالدين علي فما وجد له حس ولا خبر فهذا ما كان من
امرهؤلاء و اما ما كان من امر نورالدين وجاريته فانهما وصلا
بالسلامة الى بغداد فقال الرئيس هذه بغداد وهي مدينة امينة قد
ولى عنها الشتاء ببرده و اقبل عليها فصل الربيع بورده و ازهرت
اشجارها وجرت انهارها فعند ذلك طلع نورالدين علي
و جاريته من المركب واعطى للرئيس خمسة دنانير وطلعا من المركب
و سارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجاءا الى مكان فوجداه
مكنوسا مرشوشا بمساطب طولانية و قواديس معلقة ملآنة بالماء وفوقه
مكعب من القصب بطول الزقاق و في صدر الزقاق باب بستان الا
انه مغلوق فقال نورالدين على للجارية و الله ان هذا محل مليح
فقالت ياسيدي اقعد بنا ساعة على هذه المساطب ناخذ لنا راحة
فطلعا وجلسا على المساطب ثم غسلا وجوههما و ايديهما وضربهما
الهواء فناما جلّ من لا ينام وكان هذا البستان يسمى بستان
النزهة و فيه قصر يقال له قصر الفرجة والتماثيل و هو للخليفة هارون
الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره ياتي الى هذا البستان والقصر
ويقعد فيه وكان القصر له ثمانون شُبَّاكا ومعلق فيها ثمانون قنديلا وفي

وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة امر الجواري
ان تفتح الشبابيك وامر باسحاق بن ابراهيم النديم والجواري
ان يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير
يقال له الشيخ ابراهيم وكان اذا خرج يقضي حاجته يجد المتفرجين
معهم القحاب فيغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء
عنده الخليفة في بعض الايام فاعلمه بذلك فقال الخليفة ايّ من
اصبته على باب البستان افعل معه ما اردت فلما كان ذلك اليوم
خرج الشيخ ابراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين
على باب البستان مغطيين بازار واحد فقال والله طيب هؤلاء ما عرفا
ان الخليفة اعطاني اذن ومرسوم ان كل من لقيته هنا اقتله ولكن
انا اضرب هذين ضربا شنيعا حتى لا يتقرب احد من باب البستان
وقطع جريدة خضراء وخرج الى عندهما وشال يده حتى بان
عن بياض ابطه واراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف
تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين او من ابناء السبيل
ورمتهما المقادير هنا فانا اكشف وجوههما وانظر اليهما فشال الازار
عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي ان اضربهما فغطى وجوههما
وتقدم لرجل نورالدين علي وجعل يكبسها ففتح عينه فوجد
عند رجليه شيخا كبيرا عليه هيبة ووقار فاستحى نورالدين علي ولمّ
رجليه وقعد على حيله واخذ يد الشيخ ابراهيم وباسها فقال الشيخ له
يا ولدي انت من اين فقال يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة
من عينيه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم اوصى على اكرام الغريب ثم قال له يا ولدي ما تقوم تعبر
الى البستان وتتفرج فيه وينشرح صدرك فقال له نورالدين يا سيدي

هذا البستان لمن قال يا ولدي هذا البستان ورثته من اهلي وما كان
قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا ان يطمئنــا و يعبرا البستان
فلما سمع نورالدين كلامه شكره و قام هو و جاريته والشيخ ابراهيم
قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان وايّ بستان بابه مقنطر كانه
ايوان عليه كروم و اعنابه مختلفة الالوان الاحمر كانه يا قوت والاسود
كانه آبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا و غير
صنوان و الاطيار علي الاغصان تغرد بالالحان و الهزار يرجع الافنـــان
والقمري قد ملأ بصوته المكان والشحرور في تغريده كانه انسان والفاخت
كانه شارب نشوان والاشجار قد كملت الاثمار من كل مأكول و من كل
فاكهة زوجان والمشمس ما بين كافوري ولوزي و خراسان والبرقوق
كانه لون الحسان والقراصية تقمع صفر الاسنان والتين قد فرق احمره
و ابيضه لونان و الزهر كانه اللؤلؤ و المرجان والورد يفضح بحمرته
خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت علق عليه بالليل النيران والآس
والمنثور والخدام مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع
الغمام و ضحك ثغر الاقحوان و صار النرجس ناظرا الي الورد بعيون
السودان والاترج كانه اكواب و الليمون كبنادق من ذهب و فرشت
الارض بالزهر من سائر الالوان و اقبل الربيع فاشرق ببهجته المكان والنهر
في خرير والطيــر في هدير والريح في صفير لاعتدال الزمان ثم دخل
بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فنظروا الي حسن تلك القاعة و تلك
الشموع المذكورة التي في تلك الشبابيك فتذكر نورالدين المقامات
التي مضت له فقال والله ان هذا مقام مليح ثم انهما جلسا فقدم لهما الشيخ
ابراهيم اكلا فاكلا كفايتهما ثم غسلا ايديهما وتقدم نورالدين الي شبّاك
من تلك الشبابيك و زعق علي جاريته فاتت اليه فصارا ينظران الي

الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت نورالدين الى الشيخ ابراهيم
وقال له يا شيخ ابراهيم ما عندك شيءٌ من الشراب لان الناس يشربون
بعد ان يا كلوا فاتاه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد عذب فقال له ياشيخ
ابراهيم ما هذا الشراب الذي اريده فقال له لعلك تريد الخمرة فقال
له نورالدين نعم فقال اعوذ بالله منها ان لي ثلثة عشر سنة ما فعلت
ذلك لان النبي صلى الله عليه و سلم لعن شاربه وعاصره و بائعه و
مبتاعه فقال له نورالدين اسمع مني كلمتين قال له قل فقال هذا
الحمار الملعون اذا لعن هل يصيبك من لعنته شيءٌ قال لا قال خذ هذا
الدينار و هذين الدرهمين و اركب هذا الحمار وقف الى بعيد
وايّ من وجدته يشترى فناد عليه و قل له خذ هذين الدرهمين
و اشتر لي بهذا الدينار خمرا و احمله على الحمار و لا تكن انت
حملته ولا اشتريته ولا اصابك منه شيءٌ فقال الشيخ ابراهيم و قد
ضحك من كلامه و الله يا ولدي ما رايت اظرف منك و لا احلى
من كلامك ثم ان الشيخ ابراهيم فعل ما قاله نورالدين فشكره على
ذلك و قال له نحن صرنا محسوبين عليك و ما عليك الا الموافقه
تحضر لنا ما نحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي هذا كراري قدامك
و هو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان
فيه فوق ما تريد فدخل نورالدين الحاصل فراى فيه اواني من
الذهب والفضة و البلور مرصعة با صناف الجواهر فاخرجها و رصّها
و سكب الخمرة فى البواطي و القناني و فرح بماراى و اندهش و اتى
لهما الشيخ ابراهيم بالفاكهة والمشموم ثم ان الشيخ راح و قعد
بعيد اعنهما فشربا و انبسطا و قد تحكم معهما الشراب و احمرت
خدودهما وتغازلت عيونهما و اسبلت شعورهما و تبدلت الوانهما

فقال الشيخ ابراهيم مالي انا قاعد بعيدا و مالي لا اقعد عندهما و ايّ وقت التقي في حضرتي مثل هذين الاثنين اللذين كانهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد في طرف الايوان فقال له نورالدين علي يا سيدي بحياتي عليك تقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم اليهما فملأ نورالدين قدحا و نظر الى الشيخ ابراهيم و قال له اشرب حتى تنظر ايش طعمه فقال الشيخ ابراهيم اعوذ بالله ان لي ثلثة عشرسنة ما فعلت شيئا من ذلك فتغافل عنه نورالدين و شرب القدح و رمى روحه على الارض و اظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه انيس الجليس و قالت له يا شيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها يا ستي ما له قالت دائما يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام و ابقى انا وحدي ما التقي لي نديما ينادمني على قدحي ولا من اغني له على قدحه فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت اعضاؤه و مالت نفسه من كلامها اليها وقال و الله ما هذا طيب ثم ان الجارية ملأت قدحا و نظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتي الا ما اخذته و شربته ولا ترده و اجبر قلبي فمد الشيخ ابراهيم يده و اخذ القدح و شربه و ملأت له ثانيا وجعلته على الشمعة و قالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا اقدران اشربه يكفيني الذي شربته فقالت له و الله لا بد منه فاخذ القدح و شربه ثم اعطته الثالث فاخذه و اراد ان يشربه واذا بنورالدين همّ و قعد على حيله و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نورالدين علي قام وقعد على

حيله فقال له يا شيخ ابراهيم ايش هذا انا ما حلفت عليك من ساعة فابيت و قلت انا لي ثلثة عشر سنة ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم و قد استحيى و الله مالي ذنب الا هي قالت لي فضحك نورالدين و قعدوا للمنادمه فالتفتت الجارية و قالت لسيدها سرا فيما بينهما يا سيدي اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى افرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقي سيدها و سيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم و قال لهما ايش هذه المعاشرة لعن الله من فيها بطنا في دورنا ما تسقيني يا اخي ايش هذا الحال يا مبارك فضحكا من كلامه حتى استلقيا على ظهورهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا في المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم واوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومي ولا توقدي الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها و ابتدأت من اول الشمع الى ان اوقدت الثمانين شمعة ثم قعدت و بعد ذلك قال نورالدين يا شيخ ابراهيم و انا ايش قسمي عندك اما تخليني اوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم و اوقد قنديلا واحدا ولا تتثاقل انت الآخر فقام و ابتدأ من اولها الى ان اوقد الثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم و قد غلب عليه السكر انتما اجرع مني ثم انه نهض على قدميه و فتح الشبابيك جميعا و جلس و اياهما يتنادمون ويتناشدون الاشعار و قد ارهج بهم المكان فقدر الله القادر على كل شيء وجعل لكل شيء له سببا ان الخليفة في تلك الساعة تفقد و نظر الى الشبابيك التي في ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر ضوء القنديل والشموع في البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة

فرای قصر البستان يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال عليّ بجعفر
البر مكي فما كان الاوقد حضر بين يدي اميرالمؤمنين فقال له يا كلب
الوزراء اتاخذ مني مدينة بغداد ولا تعلمني فقال له جعفر ايش هذا
الكلام فقال له لولا ان مدينة بغداد اخذت مني ما كان قصر التماثيل
يتوقد بالقناديل والشموع وانفتحت شبابيكه و يلك من الذي
يستجري يفعل هذه الفعال الا ان تكون اخذتَ الخلافة مني فقال
جعفر و قد ارتعدت فرائصه و من اخبرك بان قصر التماثيل موقود و
فتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة
ونظرنا حية البستان فوجد القصر يشتعل بالمصابيح في حندس الظلام
فاراد جعفر ان يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولي ربما يكون هذا الامر
باذنه لماراى فيه من المصلحة فقال يا امير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم
فى الجمعة التي مضت قال لي ياسيدي جعفر اني اشتهي ان افرح
اولادي في حياة اميرالمؤمنين وحياتك فقلت له و ايش تحتاج
فقال لي تاخذ لي مرسوما من الخليفة باني اطاهر اولادي فى القصر
فقلت له رح طاهرهم وانا اجتمع بالخليفة و اعلمه بذلك فراح من
عندي على هذا الحال و نسيت ان اعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان
لك عندي ذنب و احد فصار لك عندي ذنبان لانك اخطأت من
وجهين الوجه الاول انك ما اعلمتني بذلك والوجه الثاني انك ما
بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ما جاء اليك وقال لك هذا الكلام
الا تعريضا لطلب شيٍ من المال يستعين به فلا اعطيته شيأ ولا
اعلمتني فقال جعفر يا اميرالمؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائي
واجدادي ما اتم بقية ليلتي الا عنده فانه رجل صالح يقوم بالمشائخ
والفقراء و يعزمهم ويكونون مجتمعين عنده عسى دعوة واحد منهم

يحصل لنا بها خيرا فى الدنيا و الآخرة و في هذا الامر مصالح له بحضورى عنده و يفرح الشيخ ابراهيم فقال جعفر يا اميرالمؤمنين الوقت امسى و هم الساعة على فروغ فقال الخليفة لابد من الرواح عندهم فسكت جعفر و تحير و بقي لايدرى مايفعل فنهض الخليفة على قدميه وبقي جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم و مشوا الثلثة متنكرين و نزلوا من قصر الخلافة و جعلوا يشقون فى الازقات و هم في زي التجار الى ان و صلوا الى باب البستان المذكور فتقدم الخليفة فرای باب البستان مفتوحا فتعجب و قال انظر يا جعفر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هي عادته ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان و وقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفرا ريد ان اتسلل عليهم قبل ان اطلع لهم حتى انظر ايّ شيُ هم فيه و انظر الى المشائخ فاني الى الآن لم اسمع لهم حسا ولا فقيرا يذكرالله ثم ان الخليفة نظر فرای شجرة جوز عالية فقال يا جعفرا ريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك و انظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع الى ان طلع على الفرع الذي يقابل الشبّاك و قعد فوقه و نظر من شباك القصر فرای صبية وصبيا كانهما قمران سبحان من خلقهما وصوّرهما ورای الشيخ ابراهيم قاعدا وفي يده قدح وهو يقول يا ست الملاح الشرب بلا طرب ما هو فلاح فاني سمعت الشاعر يقول شعرا

أَدِرْهَا بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ وَخُذْهَا مِنْ يَدِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
وَلَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيرِ

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب

بين عينيه و نزل و قال يا جعفر انا ما رايت الصالحين على هذا
الحال ابدا فاطلع انت الآخر على هذه الشجرة و انظر لئلا تفوتك
بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام امير المؤمنين صار متحيرا في
امره و صعد الى اعلا الشجرة و اذا به نظر فراى نور الدين و الشيخ
ابراهيم و الجارية وكان الشيخ ابراهيم في يده القدح فلما عاين
جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ونزل و وقف بين يدي امير المؤمنين
فقال له الخليفة يا جعفر الحمد لله الذي جعلنا من المتبعين لظاهر
الشريعة فلم يقدر جعفر يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى
جعفر وقال يا تري من اوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن ادخلهم
قصري و لكن مثل حسن هذا الصبي و هذه الصبية ما رأت عيني
قط فقال جعفر وقد استرجى رضاء الخليفة هرون الرشيد صدقت يا
مولانا السلطان فقال يا جعفر اطلع بنا الى هذا الفرع الذي هو
مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة و نظرا هما فسمعا
الشيخ ابراهيم يقول يا سادتي قد تركت الوقار بشرب العقار ولا يلذ
ذلك الا بنغمات الاوتار فقالت له انيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله
لو كان عندنا شيء من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع
الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا
ترى ايش رائح يعمل فقال جعفر لا ادري فغاب الشيخ ابراهيم وعاد
ومعه عود فتاملة الخليفة فاذا هو عود ابي اسحاق القديم فقال الخليفة
والله ان غنت هذه الجارية وحشا لا صلبنكم كلكم وان غنت مليحا
فاني عفوت عنهم و اصلبك انت فقال جعفر اللهم اجعلها تغني
وحشا فقال الخليفة لاي شيء فقال لاجل ان تصلبنا كلنا نؤنس بعضنا
البعض فضحك الخليفة من كلامه ثم ان الجارية اخذت العود وافتقدته

و اصلحت او تاره و ضربت ضربا نتشوقت القلوب اليها ثم انشدت
وجعلت تقول شعـــــــــــــــــــــــرا

يَا نَاصِرِينَ مَسَاكِيْنًا مُحِبِّيْنَا نَارُالْمَحَبَّةِ وَ الْاَشْوَاقِ تَكْوِيْنَا
مَهْمَا فَعَلْتُمْ فَكُنَّا مُسْتَحِقِّيْنَا نَحْنُ اسْتَجَرْنَا بِكُمْ لَا تُشْمِتُوا فِينَا
فَاِنَّنَا اَهْلُ ذُلٍّ ثُمَّ مَسْكَنَةٍ مَهْمَا تَشَاءُوهُ فِيْنَا فَافْعَلُوا فِينَا
مَا الْفَخْرُ اَنْ تَقْتُلُونَا فِي مَنَازِلِكُمْ وَ اِنَّمَا خَوْفُنَا اَنْ تَا ثَمُوا فِينَا

نقال الخليفة و الله طيب يا جعفر عمري ماسمعت صوتا مطربا مثل
هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب
ثم نزل من فوق الشجرة هو و جعفر ثم التفت الى جعفر و قال اريد
ان اطلع واجلس عند هم واسمع الصبية تغني ندامي فقال يا اميرالمومنين
اذا طلعت عليهم ربما تكدروا واما الشيخ ابراهيم فيموت
من الخوف فقال الخليفة يا جعفرلا بد ان تعرفني ان اتحيل عليهم
بحيلة وادخل عليهم من غيران يشعروا بي ثم ان الخليفة وجعفر ذهبا
الى ناحية الدجلة و هما متفكر ان في هذا الامر واذا بصياد و اقف
يصطاد تحت شبابيک القصر وكان الخليفة سابقا زعق على الشيخ ابراهيم
وقال له ما هذا الحس الذي سمعته تحت شبابيک القصر فقال له الشيخ
ابراهيم صوت صيادين السمک فقال انزل وامنعهم من ذلک الموضع
فامتنعت الصيادون من ذلک الموضع فلما كانت تلک الليلة جاء صياد
سمک يسمى كريما وراى باب البستان مفتوحا فقال في نفسه هذا
وقت غفلة اغتنم في هذا الوقت صيد السمک ثم اخذ شبكته
و طرحها في البحر واذا بالخليفة و حده و اقف على راسه فعرفه
الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه يسميه باسمه

فلما راى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال و الله يا اميرالمؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم و لكن الفقر و العيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطد على اسمي فتقدم الصياد و قد فرح و طرح الشبكة و صبر حتى اخذت حدها و ثبتت فى القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من انواع السمك ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن و فيها من القَمْل المذنّب و قلع من على رأسه عمامة وكان لها ثلث سنين ما حلها الاكل ما راى خرقة خيطها عليها فلما قلع الجبة و العمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين سكندري و بعلبكي من حرير و ملوطة و فرجية ثم قال للصياد خذهم و البسهم ولبس الخليفة جبة الصياد و عمامته و ضرب له لثام ثم قال للصياد رح انت الى شغلك فقبل رجل الخليفة و شكره وجعل يقول شعـــــــــــــــرا

أَوْ لَيتَنِي نِعَمًى أَبُوحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الأُمُورِ بِأَسْرِهَا
فَلَأَ شْكُرَنَّكَ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ شَكَرَتْكَ مِنِّي أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا

فما فرغ الصياد من شعره حتى دب القَمْل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرميه ثم قال يا صياد ويلك ما هذا الا قَمل كثير في هذه الجبة فقال يا سيدي هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعــة لا تحس به و لا تفكر فيــه فضحك الخليفة وقال له ويلك انا اخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصيـــاد اني اشتهـي اقول لك كلاما فقال له قل ما عنـــدك فقال له خطر ببــالي يا اميرالمؤمنين لما اردت ان تتعلم الصيد لا جل ما يبقى في يدك صنعة تنفعك فينا سبك هذه الجبة

فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله ثم ان
الخليفة اخذ مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الخضرة واتى به
الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انه كريم الصياد فخاف
عليه وقال له ياكريم ايش جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة هذه
الليلة فى البستان ومتى رآك راحت رقبتك فلما سمع الخليفة كلام
جعفر ضحك فلما ضحك عرفه جعفر فقال له لعلك مولانا السلطان
فقال الخليفة نعم ياجعفر وانت وزيري وجئت انا واياك هنا
وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك
حتى ارجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى
باب القصر وطرقه طرقا خفيفا فقال نور الدين ياشيخ ابراهيم باب القصر
يدق فقال الشيخ ابراهيم من بالباب فقال له انا ياشيخ ابراهيم فقال
له من انت قال انا كريم الصياد وسمعت ان عندك اضيافا فجئت
اليك بشيء من السمك فانه مليح فلما سمع نور الدين سيرة السمك
فرح هو وجاريته وقالا ياسيدي افتح له ودعه يدخل لنا بالسمك
الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد
وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم اهلا باللص السارق المقامر تعال أرنا
السمك الذي معك فاراهم اياه فلما نظروه فاذا هو بالحيوة يتحرك
فقالت الجارية والله ياسيدي ان هذا السمك مليح ياليته مقلي
فقال الشيخ ابراهيم والله ياستي صدقتِ ثم انه قال للخليفة ياصياد
لايش ما جئت بهذا السمك مقليا قم الآن واقله لنا وهاته لنا
فقال الخليفة حاضر اقليه لكم واجيئه فقالوا له هيّا فقام الخليفة يجري
حتى وصل الى جعفر وقال له ياجعفر فقال نعم يا امير المؤمنين
خيرا فقال له طلبوا السمك مني مقليا فقال جعفر يا امير المؤمنين

هاته وانا اتليه لهم فقال الخليفة وتربة آبائي واجدادي ما يقليه
الا انا بيدي ثم ان الخليفة اتى الى خص الخولي وفتش فيه فوجد
كل ما يحتاجه فيه حتى الملح والزعفران والصعتر وغير ذلك
فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله
على ورق الموز واخذ من البستان نفيا وليمونا وطلع بالسمك
ووضعه بين ايديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم واكلوا
فلما فرغوا من الاكل غسلوا ايديهم فقال نور الدين والله ياصياد
اتيتنا بفضيلة مليحة في هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه
واخرج له ثلثة دنانير من الدنانير التي اعطاهم له سنجر وقت
خروجه للسفر وقال له يا صياد اعذرني فوالله لو عرفتني قبل الذي
حصل لي لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا على
حسب البركة ثم رماهم للخليفة فاخذهم الخليفة وباسهم وشالهم
وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهي تغني فقال
له الخليفة احسنت وتفضلت لكن مرادي من تفضلاتك العميمة ان
هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى اسمعها فقال نور الدين علي يا
انيس الجليس قالت نعم قال لها بحياتي غني لنا شيأ من شان خاطر
هذا الصياد لانه يريد ان يسمعك فلما سمعت الجارية كلام سيدها
اخذت العود وحركته بعد ان اصلحت اوتاره وانشدت تقول

وَ غَادَةٍ مَسَكَتْ لِلْعُودِ اَنْمُلُهَا ... فَعَادَتِ النَّفْسُ عِنْدَ الْجَسِّ تَخْتَلِسُ
غَنَّتْ فَاَبْرَتْ غِنَاهَا مَنْ بِهِ صَمَمٌ ... وَقَالَ اَحْسَنْتَ حَقًّا مَنْ بِهِ خَرَسُ

ثم انها ضربت ضربا بديعا الى ان اذهلت العقول وانشدت تقول هذه
الابيات شعر

وَلَقَدْ شُرِفْنَا اِذْ نَزَلْتُمْ اَرْضَنَا   وَمَحَا سَنَاكُمْ ظُلْمَةَ الدَّيْجُورِ
فَيَحِقُّ لِي اِنِّي اُخَلِّقُ مَنْزِلِي   بِالْمِسْكِ وَالْمَا وَرْدِ وَالْكَافُورِ

فعند ذلك اضطرب الخليفة و غلب عليه الوجد فلم يتمالك نفسه من شدة الطرب الى ان قال والله طيب والله طيب و الله طيب فقال نور الدين يا صياد هل اعجبتك الجارية فقال الخليفة اي والله فقال نور الدين هي هبة مني اليك هبة كريم لايرد في عطائه ولا يرجع في هبته ثم ان نور الدين نهض قائما على قد ميه واخذ ملوطة ورماها على الصياد وامره ان يخرج و يروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت له يا سيدي انت رائح بلا وداع ان كان ولابد فقف حتى اودعك واشرحُ حالي ثم انشدت وجعلت تقول هذه الابيات شعر

عِنْدِي مِنَ الشَّوْقِ وَالتِّذْكَارِ وَالْبُرَحَا   مَا صَيَّرَ الْجِسْمَ مِنْ فَرْطِ الضَّنَى شَبَحَا
اَحْبَابَنَا لَا تَقُولُوا لِي سَلَوْتُكُمُ   وَالْحَالُ بِالْحَالِ وَالتَّبْرِيحُ مَا بَرِحَا
لَوْ كَانَ يَسْبَحُ حَيٌّ فِي مَدَا مِعِهِ   لَكُنْتُ اَوَّلَ مَنْ فِي دَمْعِهِ سَبَحَا
يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي قَلْبِي مَحَبَّتُكُمْ   كَمَا تَحَكَّمَ مَزْجُ الْخَمْرِ بِالْقَدَحَا
هَذَا الْفِرَاقُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ اَحْذَرُهُ   يَا مَنْ هَوَاهُ بِقَلْبِي وَالْحَشَا مَزَحَا
يَا ابْنَ خَاقَانَ يَا سُؤْلِي وَيَا اَمَلِي   يَا مَنْ هَوَاهُ بِقَلْبِي قَطُّ مَا بَرِحَا
قَدْ كُنْتَ عَادَيْتَ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا   لِاَجْلِي وَغَدَوْتَ عَنِ الْاَوْطَانِ مُنْتَزِحَا
لَا اَوْحَشَ اللّٰهُ مِنْ سَيِّدِي عَلَى فَقْدِي   وَهَبْتَنِي لِكَرِيمٍ ظَلَّ مُمْتَدِحَا

فلما فرغت من شعرها اجابها نور الدين و هو يقول شعرا

وَدَّعَتْنِي يَوْمَ الْفِرَاقِ وَقَالَتْ   وَهْيَ تَبْكِي مِنْ لَوْعَةِ الْاِشْتِيَاقِ
مَا الَّذِي اَنْتَ صَانِعٌ بَعْدَ بُعْدِي   قُلْتُ قُولِي هَذَا لِمَنْ هُوَ بَاقِ

ثم انه لما سمع الخليفة قولها في شعرها وهبتني لكريم ازداد فيها رغبته وصعب عليه التفريق بينهما وعَزَّ عليه وقال للصبي ياسيدي ان هذه الجارية قد ذكرت في شعرها انك عاديت لسيدها ومَن ملكها فاخبرني انت لمن عاديتَ ولِمَن له عليك طلب فقال نور الدين والله ياصياد جرى لي ولهذه الجارية حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة اما تحدثنا بما جرى لك من حديثك وتعرفنا بخبرك عسى ان يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نور الدين يا صياد هل تسمع حديثنا نظما او نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك اطرق نور الدين رأسه الى الارض وانشد يقول هذه الابيات شعر

يَاخَلِيلِي إِنِّي هَجَرْتُ رُقَادِي ... وَتَزَايَدَ هَمِّي لِبُعْدِ بِلَادِي
وَالِدٌ كَانَ لِي عَلَيَّ شَفُوقًا ... غَابَ عَنِّي وَجَاوَرَ الْأَلْحَادِ
فَأَتَتْ بَعْدَهُ عَلَيَّ أُمُورٌ ... صِرْتُ مِنْهَا مُفَتَّتَ الْأَكْبَادِ
اشْتَرَى لِي مِنَ الْجَوَارِي خُودًا ... يَخْجَلُ الْغُصْنَ قَدُّهَا الْمَيَّادِ
فَصَرَفْتُ الَّذِي وَرِثْتُ عَلَيْهَا ... وَتَكَرَّمْتُ بِهِ عَلَى الْأَجْوَادِ
سِمْتُهَا الْبَيْعَ إِذْ تَزَايَدَ هَمِّي ... وَجَوَى الْبَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِي
وَإِذَا مَادَعَا إِلَيْهَا مُنَادٍ ... زَادَ فِيهَا شَيْخٌ كَثِيرُ الْفَسَادِ
فَلِهَذَا اغْتَظْتُ غَيْظًا شَدِيدًا ... وَنَتَرْتُ يَدَهَا مِنْ يَدِ الْأَوْغَادِ
فَلَكَمَنِي هٰذَا اللَّئِيمُ بِغَيْظٍ ... ثُمَّ قَادَتْ فِيهِ لَظَى الْإِلْحَادِ
فَلَكَمْتُهُ مِنْ حُرْقَتِي بِيَمِينِي ... وَشِمَالِي حَتَّى شَفَيْتُ فُؤَادِي
وَمِنَ الْخَوْفِ قَدْ أَتَيْتُ لِدَارِي ... وَتَغَيَّبْتُ خِيفَةَ الْأَضْدَادِ
فَأَمَرَ حَاكِمُ الْبِلَادِ بِمَسْكِي ... فَأَتَى الْحَاجِبُ الْكَثِيرُ السَّدَادِ

رَامِزًا لِي إِنِّي أَسِيرُ بَعِيدًا وَأَغِيبُ عَنْهُمْ وَأَكْمِدُ الْحُسَّادِي
فَظَاعَنَّا مِنْ دَارِنَا جِنْحَ لَيْلٍ طَالِبِينَا الْمَقَامَ فِي بَغْدَادِ
لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الذَّخَائِرِ عِنْدِي أُعْطِيكَ غَيْرَ مَا وَهَبْتَ يَا صَيَّادِ
غَيْرَ أَنِّي أُعْطِيكَ مَحْبُوبَ قَلْبِي فَتَيَقَّنْ إِنِّي وَهَبْتُ فُؤَادِي

فلما فرغ من شعره قال له الخليفة يا سيدي نورالدين اشرح لي امرك فاخبره نورالدين بخبره من مبتدأ الامر الى منتهاه فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له اين تقصد في هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة اذا كتبت لك ورقة تؤديها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لم يضرك بشيءٌ ولا يؤذيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لنورالدين علي انا اكتب لك ورقة تُؤديها للسلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيءٍ فقال له نورالدين علي وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شيءٌ لا يكون ابدا فقال له الخليفة صدقت و لكن اقول لك على السبب اعلم اني قرأت انا و اياه في مكتب واحد عند فقيه واحد وكنت انا عريفه ثم بعد ذلك ادركته السعادة و صار سلطانا و انا نقلني الله و جعلني صيادا و انا لم ارسل له في حاجة الاقضاها و لو ارسلت له كل يوم الف حاجة لقضاها فلما سمع نورالدين كلامه قال له طيب اكتب حتى انظر فاخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة اما بعد فان هذا الكتاب من هارون الرشيد

بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبا عني في بعض مملكتي ان الواصل اليک هذا الكتاب صحبة نورالدين علي ابن خاقان ابن الوزير فساعة وصوله الى عندك كم انزع نفسک من الملک و وَلِّهِ ولا تخالف امري والسلام ثم اعطى الكتاب لنورالدين علي بن خاقان فاخذ الكتاب نورالدين وباسه وحطه في عمامته ونزل فى الوقت مسافراهذا ماجرى له واما ما كان من امر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه و هو في صورة الصيادين وقال له يا احقر الصيادين قد جئت لنا سمكتين تساويان عشرين نصفا اخذت ثلثة دنانير وتريد تاخذ الجارية اخرى فلما سمع الخليفة كلامه صاح عليه واومى الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر ارسل مع رجل من صبيان الغيط لبواب القصر يطلب منه بدلة الملک فذهب الرجل وطلع بالبدلة و باس الارض بين يدى الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه ولبس تلک البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسي والخليفة واقف ينظر ما يجري فعند ذلک بهت الشيخ ابراهيم وبقي ساهيا وهو يعض انامله ويقول يا ترى انا نائم ام يقظان فنظر اليه الخليفة وقال يا شيخ ابراهيم ما هذا الحال الذي انت فيه فعند ذلک افاق من سكره ورمى نفسه الى الارض وانشد يقول شعر

هَبْ لِي جِنَايَةَ مَازَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ   فَالْعَبْدُ يَطْلُبُ مِنْ سَادَاتِهِ الْكَرَمُ
فَعَلْتُ مَا يَقْتَضِيهِ الذَّنْبُ مُعْتَرِفًا   فَأَيْنَ مَا يَقْتَضِيهِ الْعَفْوُ وَالْكَرَمُ

فعفى عنه الخليفة وامر بالجارية ان تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر افرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمي اني ارسلت سيدک سلطانا على البصرة فان شاء الله تعالى نرسل اليه خلعة

و نر سلك له هذا ما جرى لهؤلاء واما ماجرى لنورالدين علي ابن
خاقان فانه لم يزل مسافرا حتى طلع الى البصرة وطلع قصر السلطان
ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه
قبل الارض بين يديه ثم اخرج الورقة وقدمها له فلما راى عنوان
الكتـــاب بخط اميرالمؤمنين قام و وقف على قدميه وقبلها ثلث
مرات وقال السمـــع والطاعة لله تعالى ولاميرالمؤمنين ثم انه
احضر القضاة الاربعة والامراء واراد ان يخلع نفسه من الملك واذا
بالوزير الذي هو المعين بن ساوى قد حضـــر فاعطاه السلطـــان
الورقة فلما قرأها قطعها عن آخرها واخذها في فمه و مضغها
ورماها فقال له السلطان و قد غضب ويلك ما الذي حملك على
هذه الفعال فقال له و حياتك يا مولانا السلطان هذا ما اجتمع
بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة بخط
الخليفة بطالة فعمل غرضه فيها و ان الخليفة لم يرسل ياخذه منك
السلطنة ولا معه خط شريف ولا تعليق ولاجاء من عند الخليفة ابدا
ابدا ابدا ولوكان هذا الامر وقـع لارسل معه حاجبا او وزيرا لكنه
جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معي هذا الشاب وانا
آخذه واتسلمه منك و ارسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد
فان كان كلامه صحيحا ياتينا بخط شريف وتقليد فان لم يات به انا
آخذ حقي من غريمي هذا فلما سمع السلطان كلام الوزير المعين
بن ساوى قال له دونك واياه فتسلمه الوزير من السلطان و نزل به
الى داره وزعق على الغلمان فمدوه وضربوه الى ان اغمي عليه
وجعل فى رجليه قيدا ثقيلا وجاءبه الى السجن وزعق على السجّان فلما
حضر باس الارض بين يديه وكان هذا السجّان يقال له قطيط فقال له

ياقطيط اريدان تاخذ هذا وترميه في مطمورة من المطامير التي
عندك فى السجن وتعاقبه بالليل والنهارفقال السجان سمعا وطاعة
ثم ان السجان ادخل نورالدين السجن وقفل عليه الباب ثم امر
بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بمقعد ونطع واجلس نورالدين
عليها وفك قيده واحسن اليه وكان الوزيركل يوم يرسل يوصي
السجان بضربه والسجان يدافع عنه الى مدة اربعين يوما فلما
كان اليوم الحادي والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما
رآها السلطان اعجبته فشاور الوزراء في امرها فقال بعض لعل
هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوى
انما كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله
لقد ذكرتني به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة
فقام وقال له ان قصدي ان انادي فى المدينة من اراد ان يتفرج
على ضرب رقبة نورالدين علي بن خاقان فليات الى القصر فياتي
التابع والمتبوع ليتفرج عليه واشفي فؤادي واكمد حسادي فقال له
السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور واقبل
على الوالي وامره ان ينادي بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادي
حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار فى المكاتب والسوقة فى الدكاكين وتسابق
الناس يا خذون لهم اماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس
الى السجن حتى ياتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة مما ليك
الى السجن فقال قطيط السجان ماتطلب يا مولانا الوزير فقال احضرلي
هذا العلق فقال السجان انه في ايشم حال من كثرة ما ضربته
ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

مَنْ لِّي يُسَاعِدُنِي علىٰ بَلْوَائِي فَقَدْ زَادَ بِي دَائِي وَعَزَّ دَوَائِي

وَالْهَجْرُ اَضْنَى مُهْجَتِي وَحُشَاشَتِي وَالدَّهْرُ رَدَّ اَحِبَّتِي اَعْدَائِي
يَا قَوْمِ هَلْ فِيكُمْ رَفِيقٌ مُشْفِقٌ يَرْثِي لِحَالِي اَوْ يُجِيبُ نِدَائِي
فَالْمَوْتُ هَانَ عَلَيَّ مَعْ سَكَرَاتِهِ وَقَطَعْتُ مِنْ طِيبِ الْحَيوةِ رَجَائِي
يَا رَبِّ بِالْهَادِي الْبَشِيرِ الْمُصْطَفَى بَحْرِ الْعُلُومِ وَسَيِّدِ الشُّفَعَاءِ
اَدْعُوكَ تُنْقِذُنِي وَتَغْفِرُ زَلَّتِي وَتُزِيلُ عَنِّي شِقْوَتِي وَعَنَائِي

فعند ذلك نزع عنه السجّان الثياب النظيفة و البسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظره نور الدين فاذا هو بعدوه الذي هو طالب قتله فلما راه بكى و قال له هل امنت الدهر اما سمعت قول الشاعر

اَيْنَ الْاَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْاُلَى كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِيَنَ وَلَا بَقُوا

ثم قال له يا وزير اعلم ان الله سبحانه و تعالى هو الفعال لما يريد فقال له يا علي اتخوفني بهذا الكلام فانا في هذا اليوم اضرب رقبتك على رغم انف اهل البصرة و لم افكر و دع الايام تفعل ما تريد ولا التفت الى نصحك و انما التفت الى قول الشاعر

دَعِ الْاَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا بِمَا فَعَلَ الْقَضَاءُ

وما احسن قول الآخر

مَنْ عَاشَ بَعْدَ عَدُوِّهِ يَوْمًا فَقَدْ بَلَغَ الْمُنَى

ثم ان الوزير امر غلمانه ان يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لنور الدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه و لو كانت تروح ارواحنا فقال لهم نور الدين علي لا تفعلوا ذلك ابدا اما سمعتم قول الشاعر يقول

لَابُدَّلِي مِنْ مُدَّةٍ مَحْتُومَةٍ فَاذَا انْقَضَتْ اَيَّامُهَا مُتُّ
لَوْادْخَلَتْنِي الْاُسْدُ فِي غَابَاتِهَا لَمْ تَفْنِهَا مَا دَامَ لِي وَقْتُ

ثم انهم نادوا على نورالدين هذا اقل جزاء من يزور على الملوك بالباطل ولا زالوا يطوفون به فى البصرة الى ان اوقفوه تحت شباك القصر وعلقوه في نطع الدم وتقدم اليه السياف وقال له يا سيدي انا عبد مامور في هذا الامر ان كان لك حاجة فاخبرني بها حتى اقضيها لك فانه ما بقي من عمرك الا قدر مايُخْرِج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا و شمالا و خلفا و اماما وانشد يقول

اَرَى السَّيْفَ وَالسَّيَّافَ وَالنِّطْعَ اَحْضَرُوا فَنَادَيْتُ يَا ذُلِّي وَعِظَمَ مَصَائِبِي
مَالِي اَرَى خِلًّا شَفُوقًا يُعِينُنِي سَأَلْتُكُمُوا رُدُّوا عَلَيَّ جَوَابِي
مَضَى الْوَقْتُ مِنْ عُمْرِي وَحَانَتْ مَنِيَّتِي فَهَلْ رَاحِمٌ لِي كَيْ يَنَالُ ثَوَابِي
وَيَنْظُرُ فِي حَالِي وَيَكْشِفُ بَلْوَتِي بِشَرْبَةِ مَاءٍ كَيْ يَهُونَ عَذَابِي

فتباكت الناس عليه و قام السياف و اخذ شربة ماء و قدمها له فنهض الوزير من مكانه و ضرب قُلَّةَ الماء بيده فكسرها وصاح على السياف و امره بضرب رقبته فعند ذلك عصب عيني نورالدين فزعقت الناس على الوزير وقام العياط وكثر سوأل بعضهم من بعض فبينما هم كذلك اذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان و هو قاعد فى القصر قال لهم انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبلُ فقال له السلطان اصبر انت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر البرمكي وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم ان الخليفة مكث ثلثين يوما لم يتذكر

قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له احد الى ان جاء ليلة من بعض الليالي الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت حسن ظريف قول الشـــــــــــاعر

خَيَالُكَ فِى التَّبَاعُدِ وَالتَّدَانِي وَذِكْرُكَ لَا يُفَارِقُهُ لِسَانِي

ثم تزايد بكاؤها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى انيس الجليس وهي تبكي فلما رات الخليفة وقعت الى الارض فقبلت رجليه ثلث مرات ثم انها انشدت تقول شعـــــــــــر

أَيَا مَنْ زَكَى أَصْلاً وَطَابَ وِلَادَةً وَأَثْمَرَ غُصْنًا يَانِعًا وَزَكَى غَرْسَا

أُذَكِّرُكَ الْوَعْدَ الَّذِي سَمَحَتْ بِهِ مَحَاسِنُكَ الْحُسْنَى وَحَاشَاكَ أَنْ تُنْسَى

فقال الخليفـــة من انت فقالت انا هدية علي ابن خاقان اليك واريد انجاز الوعد الذي وعدتني به من انك ترسلني اليه مع التشريف والآن لي هنا ثلثون يوما لم اذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكي وقال له ياجعفر من منذ ثلثين يوما لم اسمع خبرا عن علي بن خاقان وما اظن الا ان السلطـــان قتله ولكن وحيوة راسي وتربة آبائي واجدادي ان جرى له امر مكروه لا هلكن من كان السبب فيه ولوكان اعز الناس عندي واريد ان تسافر في هذه الساعة الى البصرة وتاتي باخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي بن خاقان وقال له ان غبت اكثر من مسافة الطريق ضربت رقبتك وانت تعلم ابن عمي بقضية نورالدين علي بن خاقان واني ارسلته بكتابي وان وجدت يا بن عمي عمل الملك بغير ما ارسلت به اليه فاحمله واحمل الوزير المعين بن ساوى على الهيئة التي تجدهم عليها ولاتغيب اكثر من مسافة الطريق فقال جعفر السمع والطاعة ثم ان

جعفر تجهز من وقته وسافرالى ان وصل الى البصرة وقد تسابقت
الاخبار الى الملك محمد بن سليمان الزيني بحضور جعفر البرمكي
فلما اقبل جعفر ونظر ذلك الهرج والمرج والزحام فقال الوزير
جعفرما هذا الازدحام فذكروا له ماهم فيه من امر نورالدين علي
بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم اسرع بالطلوع الى السلطان وسلم
عليه واعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلي ابن خاقان امر مكروه
فان السلطان يهلك من كان السبب في ذلك ثم انه قبض على السلطان
والوزير المعين بن ساوى واحبسهما وامر باطــلاق نورالدين علي
بن خاقان واجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني
وقعد ثلثة ايام فى البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت
علي بن خاقان الى جعفر وقال له اني اشتقت الي رؤية اميرالمؤمنين
فقال جعفر للملك محمــد بن سليمان الزيني تجهز للسفر فاننا نصلى
الصبح ونركب الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا
جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على ما فعله واما
نورالدين علي بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى
ان وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما
دخلوا عليه حكوا له قصة نورالدين وكيف وجدوه وهو مشرف على
الهلاك فعند ذلك اقبل الخليفة على علي بن خاقان وقال له خذ
هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فاخذه وتقدم الى المعين بن ساوى
فنظر اليه وقال له انا عملت بلمبني فاعمل انت بلمبنك فرمى السيف
من يده ونظر الى الخليفة وقال يا امير المؤمنين انه خدعني
بكلامه وانشد يقـــول

فَخَدَعْتُهُ بِخَدِيعَـــةٍ لَمَّا اَتَى وَٱلْحُرُّ يُخْبَـدِعُهُ ٱلْكَلَامُ الطَّيِّبُ

فقال له الخليفة اتركه انت وقال لمسرور يا مسرور قم انت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمنّ عليّ فقال ياسيدي انا مالي حاجة بملك البصرة وما اريد الا ان اتشرف بخدمتك واشاهد طلعتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعى بالجارية فحضرت بين يديه فانعم عليهما واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ولم يزل مقيما عنده فى العيش الى ان ادركه الممات

وليس هذا باعجب من حكاية التاجر واولاده قال وكيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من بعض التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن ايوب المتيم المسلوب وله اخت اسمها فتنة فريدة في حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا مما عُمل برسم بغداد وكانت نيته السفر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة اخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك في زمن الخليفة هارون الرشيد وودع امه واقاربه واهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان صحبته جماعة من التجار فاكترى له دارا حسنه وفرشها بالبسط والوسائد وارخى

عليها الستور و انزل فيها تلك الاحمال و البغال و الجمال و جلس
حتى استراح و سلمت عليه التجار و اكابر بغداد ثم انه اخذ بقجة
فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها ثمنها و نزل
بها الى سوق التجار فتلقوه بالترحيب وسلموا عليه واكرموه وانزلوه واجلسوه
على دكان شيخ السوق ثم انه ناوله البقشة ففتحها و اخرج منها
تفاصيل فباع له شيخ السوق التفاصيل فربح في كل دينار دينارين مثله
ففرح غانم و صار يبيع القماش و التفاصيل اولا باول و لم يزل
كذلك الى مدة سنة كاملة وفي اول السنة الثانية جاء الى القيصرية
التي فى السوق فراى بابها مغلوقا فسال عن سبب ذلك فقيل له
ان واحدا من التجار توفي و ذهب التجار كلهم يمشون في جنازته
فهل لك ان تكسب اجرا وتمشي معهم قال نعم ثم سال عن محل الجنازة
فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى
المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى
المقبرة فتبعهم غانم من حياه وقد خرجوا بالجنازة من بغداد الى
خارج المدينة و شقوا بين المقابر الى ان وصلوا الى المدفن
فوجدوا اهل الميت قد نصبوا الخيمة على القبر و احضروا الشموع
و القناديل ثم دفنوا الميت و جلس القراء يقرءون القرآن على ذلك
القبر فجلس تلك التجار فجلس معهم غانم بن ايوب و هو غالب
عليه الحياء فقال في نفسه انا لم اقدر ان افارقهم حتى انصرف معهم
ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العَشاء
و الحلوى فاكلوا حتى اكتفوا و غسلوا ايديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل
خاطر غانم بمكانه وبضاعته وخاف من اللصوص فقال في نفسه انا رجل
غريب و متهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلي يسرق

اللصوص ما فيه من المال و الاحمال وخاف على متاعه فقام و خرج من بين الجماعة و استاذنهم على انه يقضي حاجة فصار يمشي و يتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلوقا ولم ير احد غاديا ولا رائحا و لم يسمع صوتا سوى الكلاب ينبحون والذياب يصيحون فرجع و قال لاحول و لاقوة الا بالله كنت خائفا على مالي و جئت لا جله فوجدت الباب مغلوقا وبقيت الآن خائفا على روحي ثم انه رجع وراءه ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة باربع حيطان و فيها نخلة و لها باب من الصوّان مفتوح فدخلها و اراد ان ينام فيها فلم يجئه نوم و اخذته رجفة و وحشة وهو بين القبور فقام و اقفا على قدميه وفتح باب المكان و نظر فاذا هو بنور على بعد في ناحية باب المدينة فمشى قليلا فراي النور فى الطريق التي تودي الى التربة التي هو فيها فخاف غانم على نفسه و اسرع برد الباب و تعلق حتى طلع فوق النخلة و تدارى في قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيئا فشيئا حتى قرب من التربة فتامل النور فرأى ثلثة عبيد اثنان شائلان صندوقا و واحد في يده فانوس و فاس فحين قربوا من التربة قال احد العبدين الذين شائلين الصندوق مالك ياصواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال له اما كنا هنا وقت العشاء و خلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال هاهو مغلوق متربس فقال لهما الثالث و هو حامل الفاس و النور وكان اسمه بخيتا ما اقل عقلكما اما تعرفان ان اصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويرعون هنا فيمسي عليهم المساء فيدخلون هنا و يغلقون عليهم الباب

خوفا من السودان الذين هم مثلنا ان ياخذ وهم ويشو وهم
ويا كلوهم فقالوا له صدقت والله ما فينا اقل عقلا منك فقال لهم
انكم لم تصدقوني حتى ندخل التربة ونجد فيها احدا وانا اظن انه
لما راى النور وراانا هرب فوق النخلة خوفا منا فلما سمع غانم كلام
العبد قال في نفسه يا العن العبد لا ستر الله عليك ولابهذا العقل
ولابهذه المعرفة كلهـــا لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ايش
بقي يخلصني من هؤلاء العبيد ثم ان الذين حاملين الصندوق
قالا للذي معه الفاس تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا بخيت
لاننا تعبنا من شيل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا البـاب لك
علينـــا واحد من الذين نمسكهم ونقليه لك بيدي بصنعة جيدة
بحيث لايضيع من دهنه نقطة فقال بخيت انا خائف من شيٍ
افتكرته من قلة عقلي وهو اننا نرمى الصندوق من وراء الباب لانه
ذخيرتنا فقالا له ان رمينـــاه ينكسر فقال لهما انا خائف ان يكون
جوالتربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم
اذا امسى عليهم الوقت يدخلـــون في هذه الاماكن ويقسمون
مايكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل
يقدرون ان يدخلوا هنا ثم انهمـــا حملا الصندوق وتعلقا على
الحائط ونزلا وفتحـــا الباب والعبد الثالث الذي هو بخيت واقف
لهما بالفانوس والفـاس والمقطف الذي فيه بعض من الجبس ثم
انهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوتي نحن تعبنا
من المشي والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف
الليل ولابقي فينا نفس نفتح التربة وندفن الصندوق ولكن حتى
نرتاح ثلث ساعات ثم نقوم ونقضي حاجتنا وكل واحد منا يحكي

لنا على سبب تطويشه و جميع ما وقع له من المبتدأ الى المنتهى
لاجل فوات هذه الليلة وناخذ لنا راحة فقال الاول الذي كان حامل
الفانوس واسمه بخيت انا احكي لكم حكايتي فقالوا له تكلم قال لهم
يا اخوتي اعلموا اني لما كنت صغير اجاء بي الجلاب من بلدي
وكان عمري خمس سنين فباعني لواحد جاويش وكان له بنت
عمرها ثلث سنين فتربيت معها وهم يضحكون علي وانا الاعب
البنت وارقص لها واغني لها الى ان صار عمري اثنى عشر سنة وهي بنت
عشر سنين ولا يمنعونني عنها ففي يوم من الايام دخلت عليها وهي
جالسة في محل خلوة وهي كأنها خرجت من الحمام الذي في البيت
لانها كانت معطرة مبخرة و وجهها مثل دور القمر في ليلة
اربعة عشر فلا عبتني ولا عبتها وكنت في ذلك الوقت تحت ادراك
فنفر احليلي حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الارض
فوقعت على ظهري و ركبت هي على صدري و صارت تتمرغ علي
فانكشف احليلي فلما رأته و هو نافر مسكته بيدها و صارت تحك به
على شفائر فرجها من فوق لباسها فتحركت الحرارة عندي و حضنتها
فشبكت يديها في عنقي وقرطت علي بجهدها فما اشعر الا و احليلي
فتق لباسها و دخل فرجها فازال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت
عند بعض اصحابي فدخلت عليها امها فلما رأت حالها غابت
عن الدنيا ثم انها تداركت امرها و اخفت حالها عن ابيها و كتمته
وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى
اخذوني من المكان الذي كنت فيه ولم يذكروا اشيئا من هذا الامر لابيها
لمحبتهم لي ثم ان امها خطبت لها شابا مزينا كان يزين اباها
و امهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وابوها لا يعلم بحالها و صاروا

يجتهدون في تحصيل جهازها ثم انهم امسكوني على غفلة و طوّشوني و لما زفوها للعريس جعلوني طوّاشيا لها امشي قدّ امها اينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام او بيت ابيها و قد ستروا امرها و ليلة الدخلة ذبحوا علي قميصها فرخ حمامة و مكثت انا عندها مدة طويلة و انا اتملى بحسنها و جمالها من بوس و عناق و رقاد الى ان ماتت هي و زوجها و امها وابوها ثم اخذوني لبيت المال و صرت في هذا المكان و قد ارتفقت بكم و هذا يا اخوتي سبب قطع احليلي والسلام فقال العبد الثاني اعلموا يا اخوتي اني كنت في ابتداء امري و انا ابن ثمان سنين اكذب على الجلابة كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وانزلني في يد الدلال و امره ان ينادي من يشتر هذا العبد على عيبه فقيل له و ما عيبه قال يكذب كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الدلال و قال للدلال كم اعطوا فيه من الثمن على عيبه قال اعطوا ستمائة درهم فقال ولك عشرون درهما فجمع بينه وبين الجلاب و قبض منه الدراهم و اوصلني الدلال الى منزل ذلك التاجر و اخذ دلالته وانصرف فكساني هذا التاجر ما يناسبني من القماش وصرت عنده اخدمه باقي سنتي الى ان هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون كل يوم عزومة و في كل يوم على واحد منهم الى ان جاءت العزومة على سيدي في غيط برالبلد فراح هو والتجار الى البستان و اخذ لهم جميع ما يحتاجون اليه من اكل و غيره فجلسوا يا كلون و يشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدي الى مصلحة من البيت فقال لي يا عبد اركب البغلة ورح الى المنزل و هات من ستك الحاجة الفلانية و ارجع

بسرعة فامتثلت امره ورحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت
وارخيت الدموع فاجتمع عليّ اهل الحارة كبارا وصغارا و سمعت
حسي زوجة سيدي و بناته ففتحوا لي الباب و سالوني عن الخبر فقلت
لهم ان سيدي كان جالسا تحت حائط قديمة هو واصحابه فوقعت عليهم
فلما رايت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لاخبركم فلما
سمع بناته وزوجته ذلك صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم
فاتت اليهم الجيران واما زوجة سيدي فانها قلبت متاع البيت
بعضه على بعض واخربت رفوفه وكسرت طيقانه و شبابيكه وسخمت
حيطانه بطين و نيلة وقالت لي ويلك يا كافور تعال ساعدني
و اخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاواني والصيني وغيره فجئت
اليها واخربت معها رفوف البيت بكل ما عليها ودرت على السقوف
و على كل محل اخربه وما كان فى البيت من الصيني وغير ذلك
حتى اخربت الجميع وانا اصيح واسيداه ثم خرجت ستي مكشوفة
الوجه بغطاء راسها لاغير وخرجت معها البنات والاولاد وقالوا يا
كافور امش قدامنا وارنا مكان سيدك الذي هو فيه تحت الحائط
ميت حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به الى
البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وانا اصيح واسيداه
وهم خلفي مكشوفون الوجوه والروس يصيحون اواه اواه على
الرجل فلم يبق احد فى الحارة لا من الرجال ولا من النساء
ولا من الصبيان ولا عجوز الاجاء معنا وصاروا كلهم يلطمون معنا
ساعة وهم في شدة البكاء فشقيت لهم المدينة فسال الناس عن
الخبر فاخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لا حول ولا قوة
الا بالله فقال بعض الناس ما هو الارجل كبير امضي للوالي ونخبره

فلما وصلوا الى الوالي واخبروه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لما وصلوا الى الوالي واخبروه
قام الوالي وركب واخذ معه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا
تابعين اثري ومعهم كثير من الناس وانا قدامهم الطم
على وجهي واصيح وستي واولادها خلفي يعيطون فجريت
انا قدامهم وسبقتهم وانا اصيح واحثو التراب على راسي
والطم على وجهي فلما دخلت البستان ورآني سيدي وانا الطم واقول
واستاه اواه اواه اواه من بقي لي يحن علي بعد سيدتى يا ليتني كنت
فداء عنها فلما رآني سيدي بهت واصفر لونه وقال مالك يا كافور
وما الخبر فقلت له انك لما ارسلتني الى البيت ودخلت فرايت
الحائط التي فى القاعة وقعت وانطبقت كلها على ستي واولادها
فقال لي وهل ستك ما سلمت فقلت له لا والله يا سيدي ما سلم منهم
احد واول من مات منهم ستي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي
الصغيرة فقلت له لا فقال لي وماحال البغلة التي اركبها هل هي سالمة
فقلت له لا والله يا سيدي فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت
على جميع ما فى البيت حتى على الغنم والاِوَزّ والدجاج وصاروا كلهم
كوم لحم واكلهم الكلاب ولم يبق منهم احد فقال لي ولا سيدك
الكبير سلم فقلت له لا والله لم يسلم منهم احد وفي هذه
الساعة لا بقي دار ولا سكان ولا بقي لهم اثر واما الغنم والاوز
والدجاج فاكلهم القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء

فى وجهه ظلاما ولم يقدر يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدران يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره وخرق اثوابه و نتف ذقنه ورمى عمامته من فوق راسه ولازال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم و صاح آه وا اولاداه آه وازوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه و بكوا معه ورثوا لحاله و شقوا اثوابهم و خرج سيدي من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له ومن شدة اللطم على وجهه صار كأنه سكران فبينما هو و التجار خارجون من باب البستان و اذا هم بغبرة عظيمة و صياح وعياط فنظروا الى هؤلاء المقبلين فاذا هو الوالى و المقدمين والخلق والعالم الذين يتفرجون واهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم في بكاء شديد زائد فاول من لاقى سيدي زوجته و اولاده فلما رآهم بهت وضحك و ثبت و قال لهم ما حالكم انتم وما حصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك ورموا انفسهم عليه و تعلقت اولاده به وصاحوا وا ابتاه الحمد لله على سلامتك يا ابانا وقالت له زوجته انت طيب الحمد لله الذي ارانا وجهك بسلامة و قد اندهشت و طار عقلها لما رأته و قالت له يا سيدى كيف كانت سلامتك انت و اصحابك التجار فقال لها وكيف كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون بخير و عافية وما اصاب دارنا شيٌ من الشر غير ان عبدك كافور جاء الينا و هو مكشوف الرأس مخرق الاثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدي واصحابه التجار وقعت عليهم حائط فى البستان وماتوا جميعا فقال لهم و الله انه اتاني في هذه الساعة وهو يصيح واستاه واولادستاه وقال ان سيدتي واولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه

فرآني و عما متي مخروقة في رأسي و انا اصيح و ابكي بكاء شديدا
و احثوا التراب على رأسي فصرخ علي فاتبلت عليه فقال لي و يلك
يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التي
عملتها و لكن والله لا سلخن جلدك من لحمك و اقطعن لحمك
من عظمك فقلت له والله ما تقدر تعمل معي شيئا لانك قد اشتريتني
على عيبي بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتني
على عيبي وانت عالم به وهو اني اكذب في كل سنة كذبة واحدة
و هذه نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة
كاملة فصاح علي يا كلب بن الكلب يا العن العبيد هل هذه كلها
نصف كذبة وانما هي داهية كبيرة اذهب عني فانت حر لوجه الله
فقلت و الله ان اعتقتني انت ما اعتقك انا حتى تكمل السنة و اكذب
نصف الكذبة الباقية و بعد ان اتممها فانزل بي السوق و بعني بما
اشتريتني به على عيبي ولا تعتقني لان ما معي صنعة اقتات منها
و هذه المسئلة التي ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء في باب
العتق فبينما نحن في الكلام واذا بالخلائق والناس واهل الحارة
من نساء ورجال قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالي وجماعته فراح
سيدي والتجار الى الوالي و اعلموه بالقضية و ان هذه نصف كذبة
فلما سمعوا ذلك منه استعظموا تلك الكذبة و تعجبوا غاية العجب
فلعنوني وشتموني فبقيت واقفا اضحك و اقول كيف يقتلني سيدي
وقد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي الى البيت و جده
خرابا و انا الذي اخربت معظمه و اكثره وكسرت فيه شيئا يساوي
جملة من المال و كذلك زوجته فقالت له زوجته ان كافورا هو الذي
كسر الاواني والصيني فازداد غيظه و ضرب يدا على يد و قال والله

عمري ما رأيت ولد زنا مثل هذا العبد ويقول انهـا نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملـة كان اخرب مدينة او مدينتين ثم انه من شدة غيظه ذهب الى الوالي واطعمني علقة نظيفة حتى غبت عن الدنيا وغشي علي فخلاني في غشيتي واتاني بالمزين فخصاني وكواني فما افقت الاوجدت نفسي طواشيـا وقال لي سيدي مثل ما احرقت قلبي على اعز الاشياء عندي احرقت قلبك على اعـز الاعضاء عندك ثم اخذني وباعني باغلى ثمن لاني صرت طواشيا وما زلت القى الفتن فى الاماكن التي اباع فيها وانتقل من امير الى امير ومن كبير الى كبير أُباع وأُشرى حتى دخلت قصر امير المؤمنين وقد انكسرت نفسي وابت حيلي وعدمت خصاي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خرو ابن خرء تكذب كذبا شنيعـا ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا اولاد عمي كلما قلتموه بطال فانا احكي لكم على سبب قطع خصاي وقد كنت استاهل اكثر من ذلك لاني كنت نكت ستي وابن سيدي والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا اولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فنبقى مفضوحين وتروح ارواحنـا فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ورحنا الى قصرنا قلت لكم على سبب قطع خصاي ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة بطول الصندوق وعرضه بين اربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى ان حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق فى الحفرة وردوا عليه التـراب وخرجوا من التربة وردوا البـاب وغـابوا عن عين غـانم بن ايوب فلما استقر وخلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سره بما فى الصندوق وقال في نفسه

يا ترى ايش في هذا الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح
وبان ضياؤه فنزل من على النخلة وازال التراب بيده حتى كشف
الصندوق وخلصه ثم اخذ حجرا كبيرا وضرب به القفل فكسره وكشف
الغطاء ونظر فيه فاذا فيه صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع نازل الا انها
ذات حسن وجمال وعليها حلي ومصاغ ذهب وقلائد من الجواهر
تساوي ملك السلطان ما يفي بثمنها مال فلما رآها غانم بن ايوب
عرف انهم تغامزوا عليها وبنجوها فلما تحقق ذلك الامر عالج
فيها حتى اخرجها من الصندوق وارقدها على قفاها فلما استنشقت
الارياح ودخل الهواء في انفها ومنافسها عطست ثم شرقت وسعلت
فوقع من حلقها قرص بنج اقريطشي لوشمه الفيل لرقد من الليل
الى الليل ففتحت عينيها وادارت طرفها وقالت بكلام عذب فصيح
ويلك ياريح ما فيك ري للعطشان ولا انس للريان اين زهر
البستان فلم يجاوبها احد فالتفتت وقالت ياصبيحة شجرة الدر نور
الهدى نجمة الصبح انت في شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا
فلم يجبها احد فجالت بطرفها فقالت ويلي تقبرني في القبور
يا من يعلم مافي الصدور ويجازي يوم البعث والنشور من جاء
بي من بين الستور والخدور ووضعني بين اربعة قبور هذا كله وغانم
واقف على حيله فقال لها يا ستي لاخدور ولا قصور ولا قبور ما
هنا الا عبدك المسلوب غانم بن ايوب وقد ساقه لك علام الغيوب
حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما
تحققت الامر قالت اشهد ان لا آله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله ثم التفتت الى غانم وقد وضعت يديها على وجهها وقالت له
بكلام عذب ايها الشاب المبارك من جاء بي الى هذا المكان

فها انا قد افقت فقال ياستي ثلثة عبيد خصيون اتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ما جرى له وكيف امسى عليه لمساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتهـا ثم انه اسألها عن حكايتها وخبرها فقالت له ايها الشاب الحمد لله الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا او بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلني الى بيتك فاذا بقيت انا في دارك يكون خيرا واحكي لك حكايتي واخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي ففرح وخرج الى ظاهر التربة وقد شعشع النهار ولاح الجو بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل واتى به الى التربة وشال الصندوق بعد ما حط فيه الصبية ووقعت محبتها في قلبه وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوي عشرة آلاف دينار وعليها حلي وحلل تساوي مالا جزيلا وما صدّق انه يصل الى داره وانزل الصندوق وفتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون

قالت بلغني ايهـا الملك السعيد ان غانم بن ايوب لمـا وصل بالصندوق الى داره فتحـه واخرج الصبية منه فنظرت فرأت هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما واحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب اموال كثيرة فكشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته احبته وقالت له ياسيدي هات لنا شيئا نأكله فقال لهـا غانم على الرأس والعين ثم انه نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة واخذ معه نقلا وشمعا واخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر

من آلة المشروب والمشموم واتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته واخذت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم انهما اكلا وشربا الى ان اقبل الليل وقد احب كل منهما صاحبه لانهما كانا في سن واحد وحسن واحد فلما اقبل الليل قام غانم بن ايوب المتيم المسلوب واوقد الشموع والقناديل فاضاء المكان واحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وصار يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما البعض فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل واحد منهما في موضعه الى ان اصبح الصباح فقام غانم بن ايوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من اكل وشرب وخضرة ولحم وخمر وغيره واتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فاكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك احضرا الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت عيونهما واشتاقت نفس غانم بن ايوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها ياستي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت يا غانم اصبر حتى اسكر واغيب وخذلك مني قبلة سرا بحيث اني لم اشعر انك قبلتني ثم انها قامت علي قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية حرير فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال لها ياستي اما تسمحين لي بما قلت لك عليه فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن ايوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فقال شعرا

سَأَلْتُ مَنْ أَمْرَضَنِي فِي قُبْلَةٍ تَشْفِي الْأَلَمْ
فَقَالَ لَا لَا أَبَدًا قُلْتُ لَهُ نَعَمْ نَعَمْ
فَقَالَ خُذْهَا بِالرِّضَى مِنِّي حَلَالًا وَابْتَسَمْ
فَقُلْتُ غَصْبًا قَالَ لَا إِلَّا سَمَاحًا وَكَرَمْ
فَلَا تَسَلْ عَمَّا جَرَى وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتَمْ
فَظُنَّ مَا شِئْتَ بِنَا فَالْحُبُّ يَحْلُو بِالتُّهَمْ
وَلَا أُبَالِي بَعْدَ ذَا إِنْ بَاحَ ضِدٌّ أَوْ كَتَمْ

ثم انه زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تتمنع منه وتقول له ما لك وصول الي ولم يزالا في عشقهما ومناد متهما وغانم بن ايوب غريق في بحر الهيام واما هي فقد ازدادت قسوة واحتشاما الى ان دخل الليل بالظلام وارخى عليهما ذيل المنام فقام غانم واشعل القناديل واوقد الشموع وجدد المقام والحضرة واخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطري فمرغ وجهه عليهما وقال يا ستي ارحمي اسير هواك وقتيل عينيك وكنت سليم القلب لولاك ثم انه بكى قليلا فقالت له يا سيدي ونور عيني انا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن انا اعرف انك ما تصل الي فقال لها وما المانع فقالت له انا في هذه الليلة احكي لك قصتي حتى انك تقبل معذرتي ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيدها وقبلته وقد اخذت بخاطره واوعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما في كل ليلة ينامان على فراش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز منه مدة شهر كامل وقد تمكن حب كل

واحد منهما من قلب الآخر ولا بقي لهما صبر عن بعضهما الى
ان كانت ليلة من بعض الليالي وهورا قد واياها والاثنان سكرانان
فمد يده على جسدها وملس ثم مر بيده على بطنها ونزل بها الى
سرتها فانتبهت وقعدت على حيلها وتعهدت اللباس فوجدت اللباس
مربوطا فنامت ثانيا فملس عليها بيده ونزل بها الى سر والها و
دكتها وجذبها فانتبهت و قعدت على حيلها وقعد غانم الى جانبها
فقالت له ما الذي تريد فقال لها مرادي انام معك و اتصافي انا
وانت فعند ذلك قالت له انا الآنّ اوضح لك امري حتى انك تعرف
قدري وينكشف لك سري ويظهر لك عذري قال لها نعم فعند
ذلك شقت ذيل قميصها و مدت يدها الى تكة لباسها و قالت له
ياسيدي اقرأ الذي على طرف هذه التكّة فاخذها غانم في يده ونظرها
فوجدها مرقوما عليها بالذهب انا لك وانت لي يا ابن عم النبي
فلما قرأها نثر يده وقال لها اكشفي لي عن خبرك قالت نعم اعلم
انني محظية اميرالمؤمنين واسمي قوت القلوب وان اميرالمؤمنين
لما ان رباني في قصره وكبرت ونظر الخليفة الى صفاتي وما اعطاني
ربي من الحسن والجمال فاحبني محبة زائدة واخذني واسكنني في
مقصورة ورسم لي بعشرة جواري يخدمنني ثم انه اعطاني ذلك
المصاغ الذي تراه معي ففي يوم من بعض الايام سافر الخليفة الى
بعض البلاد فجاءت الست زبيدة الى بعض الجوارى التي في خدمتي
وقالت لها عندك حاجة فقالت لها وما هي ياستي قالت اذا نامت
ستك قوت القلوب فحطي هذه القطعة البنج في منا خيرها او في
شرابها ولك علي من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة
ثم ان الجارية اخذت البنج منها وهي فرحانة لاجل الدراهم ولانها

في الاصل كانت جاريتها فجاءت الي ووضعت لي البنج في شرابي
فلما كان الليل شربت فلما استقر البنج في جوفي وقعت الى الارض
وصارت راسي عند رجلي فما عرفت بروحي الا وانا في دنيا اخرى
وانها لما تمت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق واحضرت العبيد
سرا وبرطلتهم وكذلك البوابين وارسلتني مع العبيد في الليلة
التي انت كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معي مارأيت وكانت
نجاتي على يديك وانت اتيت بي الى هذا المكان واحسنت الي
غاية الاحسان وهذه قصتي وحكايتي وما اعرف ايش جرى
للخليفة في غيبتي فاعرف قدري ولا تشهر امري فلما سمع غانم
بن ايوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى
ورائه والحقته هيبة الخلافة وجلس وحده في ناحية من نواحي
المكان يعاتب نفسه ويتفكر في امره ويصبر قلبه وبقي حائرا في عشق
التي فيما ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام وشكا
من تحامل الزمان وماله من العدوان فسبحان من اشغل القلوب
بالمحبة والمحبوب وانشد يقول

قَلْبُ ٱلْمُحِبِّ عَلَى ٱلْأَحْبَابِ مَتْعُوبُ وَعَقْلُهُ مَعْ بَدِيعِ ٱلْحُسْنِ مَنْهُوبُ
قَدْ قِيلَ لِي كَيْفَ طَعْمُ ٱلْحُبِّ قُلْتُ لَهُ ٱلْحُبُّ عَذْبٌ وَلٰكِنْ فِيهِ تَعْذِيبُ

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن
حبه في قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت
على رقبة غانم بيديها وقبلته وهو يتمنع عنها خوفا من الخليفة
ثم تحدثا ساعة زمانية وهما غريقان في بحر محبتهما الى ان طلع
النهار فقام غانم ولبس اثوابه وخرج الى السوق كعادته واخذ

جميع ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكي فلما ان رأته بطلت البكاء و تبسمت و قالت له او حشتني يا محبوب قلبي والله ان هذه الساعة التي غبتها عني كسنة من اجل فراقك وها انا قد بينت لك حالي من شدة ولعي بك فقم بنا الآن و دع ما كان و اقض اربك مني قال اعوذ بالله ان هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب في موضع السبع والذي للمولى فهو على العبد حرام ثم جذب نفسه منها و جلس في ناحية على الحصيرة وزادت هي محبة فيه با متناعه عنها ثم جلست الى جانبه و نادمته ولا عبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت هي و انشدت تقول

قَلْبُ ٱلْمُتَيَّمِ كَادَأنْ يَتَفَتَّتَا فَإِلَى مَتَى هَذَا ٱلصُّدُودُ إِلَى مَتَى
يَا مُعْرِضًا عَنِّي بِغَيْرِ جِنَايَةٍ فَعَوَائِدُ ٱلْغِزْلَانِ أَنْ تَتَلَفَّتَا
صَدٌّ وَ إِبْعَادٌ وَهَجْرٌ دَائِمٌ مَا كُلُّ هَذَا ٱلْأَمْرِ يَحْمِلُهُ ٱلْفَتَى

فبكى غانم بن ايوب وبكت هي لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل فقام غانم و فرش فرشين كل فرش في مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثاني فقال لها هذا لي والآخر لك ومن هذه الليلة نحن لاننام الا على هذا النمط وكل شيء كان للسيد فهو على العبد حرام فقالت له يا سيدي دعنا من هذا وكل شيء يجري بقضاء و قدر فابى من ذلك فانطلقت النار في قلبها وزاد غرامها و تعلقت هي فيه و قالت له والله ما ننام الاسواء فقال معاذالله و غلب هو عليها و نام وحده الى الصباح فزاد بها العشق والغرام و اشتد بها الوجد و الهيام و اقاما على ذلك ثلثة اشهر طوال وهي كلما تقربت منه يمتنع عنها ويقول لها كلما يكون للسيد فهو

على العبد حرام فلما طال بها المطـال مع غانم بن ايوب المتيم المسلوب و زادت بها الشجون والكروب انشدت من فؤاد متعوب تقول هذه الابـــــــــيـــــــات

بَدِيعَ الحُسْنِ كَمْ هَذَا التَّجَنِّي وَمَنْ اَغْرَاكَ بِالاِعْرَاضِ عَنِّي
حَوَيْتَ مِنَ الرَّشَاقَةِ كُلَّ مَعْنَى وَحُزْتَ مِنَ المَلَاحَةِ كُلَّ فَنِّ
وَاَجْرَيْتَ الغَرَامَ لِكُلِّ قَلْبٍ وَوَكَّلْتَ السُّهَادَ بِكُلِّ جَفْنٍ
وَاَعْرِفُ قَبْلَكَ الاَغْصَانَ تُجْنَى فَيَا غُصْنَ الاَرَاكِ اَرَاكَ تَجْنِي
وَعَهْدِي بِالظِّبَا صَيْدًا فَمَالِي اَرَاكَ تَصِيدُ اَرْبَابَ المِجَنِّ
وَاَعْجَبُ مَا اُحَدِّثُ عَنْكَ اَنِّي فُتِنْتُ وَاَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ بِاَنِّي
فَلَا تَسْمَحْ بِوَصْلِكَ لِي فَاِنِّي اَغَارُ عَلَيْكَ مِنْكَ فَكَيْفَ مِنِّي
وَلَسْتُ بِقَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيًّا بَدِيعَ الحُسْنِ كَمْ هَذَا التَّجَنِّي

و اقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها هذا ما كان من امر غانم بن ايوب المتيم المسلوب واما ماكان من امر الست زبيدة فانها في غيبة الخليفة لما فعلت بقوت القلوب ذلك الامر بقيت حائرة تقول في نفسها ماذا اقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابي له فدعت بعجوز كانت عندها و اطلعتها على سرها و قالت لها كيف افعل و قوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمي يا ستي ان مجيء الخليفة قرب و لكن ارسلي الى نجار و أمريه ان يعمل لك صورة ميت من خشب ونحفر لها قبرا في وسط القصر و ندفنها فيه و تعملي له مقصورة و نوقد فيه الشموع والقناديل وتأمري كل من في القصران يلبسوا الاسود

و امري جواريك والخدام اذا علموا ان الخليفة اتى من السفر
ان ينشروا التبن فى الدها ليز فاذا دخل الخليفة و سأل عن الخبر
يقولون له ان قوت القلوب ماتت و عظم الله اجرك فيها و من معزتها
عند سيدتنا دفنتها في قصرها فاذا سمع ذلك يبكي و يعز عليه
فانه يعمل لها الختومات و يسهر على قبرها فان قال في نفسه ان بنت
عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاك قوت القلوب او غلب
عليه الهيام فيأمر باخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلك فلما يحفرون
و يطلعون على تلك الصورة التي كبني آدم فيراها وهي مكفنة
بالاكفان المفتخرة فان اراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه
انت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول له رؤية عورتها حرام فيصدق
حينئذ انها ماتت فيعيدها الى مكانها ويشكرك على فعلك و تخلصين
انت ان شاء الله تعالى من هذه الورطة فلما سمعت الست زبيدة كلامها
رأته صوابا فخلعت عليها خلعة و امرتها ان تفعل ذلك بعد ما اعطتها
جملة من المال فشرعت العجوز فى الحال و امرت النجار ان يعمل لها
صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى الست زبيدة فكفنتها
و دفنتها و اوقدت الشموع والقناديل و فرشت البسط حول القبر
ولبست السواد و امرت الجواري ان يلبسن السواد و اشتهر الامر
فى القصران قوت القلوب ماتت فبعد مدة اقبل الخليفة من غيبته
و طلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان
والخدام والجواري كلهم لابسين السواد فرجف فؤاد الخليفة فلما دخل
القصر على الست زبيدة رآها لابسة للسواد فسأل الخليفة عن ذلك
فاخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما افاق سأل عن قبرها
فقالت الست زبيدة اعلم يا اميرالمؤمنين انني من معزتها عندي

دفنتها في قصري فدخل الخليفة بثياب السفر الى قبر قوت القلوب
ليزورها فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقودة فلما رآى
ذلك شكرها على فعلها فبقي حائرا في امره و هو ما بين مصدق
و مكذب فلما غلب عليه الوسواس امر بحفر القبر و اخرجها منه
فلما رآى الكفن و اراد ان يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى
فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة امر فى الحال باحضار
الفقهاء والمقرئين و عمل الختومات على قبرها و جلس بجانب القبر
يبكي الى ان غشي عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لم يزل يتردد على قبرها
مدة شهر فاتفق ان الخليفة دخل الحريم بعد انصراف الامراء والوزراء
الى بيوتهم فنام ساعة فجلست عند رأسه جارية تروّحه بالمروحة
و عند رجليه جارية تكبسه فلما نام وانتبه و فتح عينيه و غمضهما
فسمع الجارية التي عند رأسه تقول للتي عند رجليه و يلك ياخيزران
قالت لها نعم يا قضيب البان قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم
بما جرى و انه يسهر على قبر لم يكن فيه الا خشبة منجرة صنعة
النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب اى شيء اصابها فقالت اعلمي
ان الست زبيدة ارسلت مع جارية قرص بنج و بنجتها فلما تحكم
البنج منها جعلتها في صندوق و ارسلتها مع صواب و كافور وامرتهما
ان يرمياها فى التربة فقالت خيزران و يلك يا قضيب البان هل الست
قوت القلوب ما ماتت فقالت لا والله سلامة شبابها من الموت ولكن

انا سمعت الست زبيدة تقــول ان قوت القلوب عند شاب تاجر
اسمه غانم بن ايوب الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم اربع شهور
و سيدنا هذا يبكي و يسهر الليالي على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا
تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان
من الحديث و عرف القضية و ان هذا القبر زور و محال و ان قوت
القلوب عند غانم بن ايوب مدة اربعة اشهر غضب الخليفة غضبا
شديدا وقام و دخل على امراء دولته فعنــد ذلك اقبل الوزير
جعفر البـــر مكي و قبل الارض بيـــن يديه فقال له الخليفـــة
بغيظ انزل ياجعفر بجماعة و اسأل عن بيت غانم بن ايوب و اكبسوا
داره وايتوني بجاريتي قوت القلوب ولا بدلي ان اعذبه فاجابه
جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر والخلق والعالم والوالي
صحبته ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا الى دار غانم وكان غانم بن
ايوب خرج في ذلك الوقت وجاء بقدرة لحم واراد ان يمد يده ليأكل
منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء احاط
بالدار من كل جانب والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيـــوف
مسلولة مجردة وقد داروا به كما يدور بياض العين بالسواد فعند
ذلك عرفت ان خبرها وصل الى الخليفة سيدها فايقنت بالهلاك واصفر
لونها وتغيرت محاسنها فعند ذلك نظرت الى غانم وقالت له يا
حبيبي فز بنفسك فقال لها كيف اعمل والى اين اذهب و مالي
ورزقي في هذه الدار فقالت له لاتمكث لئلا تهلك و يذهب مالك
فقال لها ياحبيبتي ونور عيني كيف اصنع في الخروج وقد احاطوا
بالدار فقالت له لاتخف وقلعته من ثيابه والبسته ثيابا بالية وجاءت
بالقدرة التي كان فيها اللحم ووضعتها على رأسه وحطت في حواليها

كسرة خبز وزبدية طعام وو ضعتهم في مقطف وقالت له اخرج
بهذه الحيلة ولا عليك مني فانا اعرف اي شي في يدي من الخليفة
فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما اشارت به عليه خرج من بينهم
وهو حامل المقطف بمافيه وستر عليه الستار ونجامن المكائد
والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل
عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب و قد تزينت
وتبهرجت وعبت صندوقا من الذهب والمصاغ والجواهر والتحف
مماخف حمله وغلا ثمنه فاما دخل عليها جعفر ورآها قامت على
قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم
من القدم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله ياستي انه
ما اوصاني الا بقبض غانم بن ايوب فقالت يا سيدي انه عبى تجارات
وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بخبره واريد ان تحفظ لي هذا
الصندوق واحمله الى ان تسلمه لي في قصر امير المؤمنين فقال
جعفر السمع والطاعة ثم اخذ الصندوق وامربحمله وقوت القلوب معهم
الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد ان نهبوا دار
غانم ثم توجهوا الى الخليفة وحكى جعفر للخليفة جميع ماجرى فامر
الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم واسكنها فيه والزم بها عجوزا
لقضاء حاجتها لانه ظن ان غانمـــا قد فسق بها وراقدها ثم انه
كتب مرسوما للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في دمشق
ومضمونه ان ساعة وصول المرسوم تقبض على غانم بن ايوب
وترسله الي فلما وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى
في الاسواق من اراد ان ينهب فعليه بدار غانم بن ايوب فجاءوا الى
الدار فوجدوا ام غانم واخته قد صنعتا له قبرا في وسط الدار وقعدتا

عنده تبكيان عليه فمسكوهما ونهبوا الدار ولم تعلما ما الخبر فلما
احضروهما عند السلطان سألهما عن غانم ولدهما فقالتا له من مدة سنة
او اكثرما وقفنا له على خبر فرد وهما الى مكانهما هذا ما كان من امرهما
واما ماكان من امرغانم بن ايوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته
ونظرالى حاله فبكى علي نفسه حتى انفطر قلبه وهاج على وجهه وسار الى
آخرالنهار وقد ازداد به الجوع واضربه المشي فلما وصل الى بلد
دخلها وذهب الى مسجد وجلس على برش واسند ظهره الى
حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما
هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب على جلده
القمل من العرق وصارت رائحته زفرة وتغيرت احواله فاتى اهل تلك
البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا هزيلا من الجوع وعليه
آثار النعمة لائحة فلما صلوا واقبلوا عليه وجدوه بردانا جائعا
فاعطوه ثوبا عتيقا قد بليت اكمامه وقالوا له ياغريب من اين
تكون وما سبب ضعفك ففتح عينيه فيهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا
فذهب احدهم وقد عرف انه جيعان فاتى له بسكرجة عسل ورغيفين
فاكل يسيرا وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس وانصرفوا لاشغالهم
ولم يزل على هذا الحال شهرا وهو عندهم وقد تزايد به الضعف
والمرض فبكوا عليه وتعطفوا وتشاوروا مع بعضهم في امره فاتفقوا
في انهم ان يوصلوه الى المارستان الذي ببغداد فبينما هم كذلك
واذا بامرأتين شحاذتين دخلتا عليه وكانتا هؤلاء امه واخته فلما
رآهما اعطاهما الخبز الذي عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة
ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم اتاه اهل القرية واحضروا له جملا وقالوا
للجمال احمل هذا المريض فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد

فانك تحطه في باب المارستان لعله يتداوى و يتعافى و يبقى لك
الاجر فقال لهم السمع والطاعة فبعد ذلك اخرجوا غانم بن ايوب
من المسجد و حملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل
و جاءت امه و اخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم تعلمابه
ثم انهما نظرتا اليه وتاملتاه و قالتا انه شبيه لغانم ابننا فياترى
هل هو هذا الضعيف اولا و اما غانم فانه ما افاق الا وهو محمول
على الجمل مشدود بحبل فبكى و اشتكى واهل القريه ينظرون امه
و اخته تبكيان عليه ولم تعرفابه ثم سافرت امه و اخته الى ان وصلتا
الى بغداد و اما الجمال فمازال سائرابه حتى حطه على باب المارستان
و اخذ جمله و ذهب فتم غانم راقدا هناك الى الصباح فلما اندرجت
الناس فى الطريق نظروا اليه وقد صار رق الخلال والناس يتفرجون عليه
فجاء شيخ السوق و ازاح الناس عنه و قال انا اكسب الجنة بهذا
المسكين فانهم متى ادخلوه المارستان قتلوه في يوم و احد ثم امر
صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة
و قال لزوجته اخدميه بنصح فقالت طيب على الرأس ثم تشمرت و سخنت
ماء و غسلت يديه و رجليه و بدنه والبسته ثوبا من لبس جواريها
و اسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فافاق و اشتكى وافتكر
محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من امره واما
ماكان من امر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها

الخليفة و اسكنها في المكان المظلم وتمت على هذا الحال ثمانين يوما
فاتفق ان الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب
تنشد الاشعار فلما فرغت من شعرها قالت يا حبيبي يا غانم ما احسنك
وما اعف نفسك احسنت لمن اساء عليك و حفظت حرمة من ضيع
حرمتك و حفظت حريمه وهو سباك و سبى اهلك ولابد ان تقف
انت و امير المؤمنين بين يدي حاكم عادل و تنتصف انت عليه
في يوم يكون فيه القاضي المولى جل وعز والشهود هم الملائكة
فلما سمع الخليفة كلامها و فهم شكواها علم انها مظلومة فدخل
قصره و ارسل مسرور الخادم لها فلما حضرت بين يديه اطرقت
برأسها وهي باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب اراك
تتظلمين مني وتنسبينني الى الظلم و تزعمين اني اسأت لمن احسن
الي فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته و ستر حريمي وسبيت
حريمه فقالت له هو غانم بن ايوب فانه لم يقربني بفاحشة ولا سوء وحق
نعمتك يا امير المؤمنين فقال الخليفة لا حول ولا قوة الا بالله يا قوت
القلوب تمني علي تُعطى فقالت اتمنى عليك محبوبي غانم بن ايوب
فعند ذلك امتثل امرها فقالت يا امير المؤمنين ان احضرته تهبني له
فقال ان حضر وهبتك له هبة كريم لا يرد في عطائه فقالت يا امير المؤمنين
أئذن لي ان ادور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي ما بدا لك
ففرحت وخرجت ومعها الف دينار ذهب فزارت المشائخ و تصدقت
عنه و طلعت ثاني يوم الى سوق التجار واعلمت شيخ السوق
واعطت له دراهم و قالت له تصدق بها على الغرباء و طلعت
ثم جاءت ثاني جمعة السوق ومعها الف دينار ودخلت سوق الصاغة
وسوق الجوهرية فنادت بالعريف فحضر فدفعت له الف دينار

وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق
وقال لها ياستي هل لك ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب
الغريب ما اظرفه وما اكمله وكان هو غانم بن ايوب المتيم المسلوب
ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن انه رجل مسكين
مديون سلبت نعمته او عاشق فارق احبته فلما سمعت كلامه خفق
قلبها وتقلقلت احشاؤها فقالت له ارسل معي من يوصلني الى دارك
فارسل معها صبيا صغيرا فاوصلها الى الدار التي فيها الغريب للعريف
فشكرته على ذلك فلما وصلت البيت ودخلت وسلمت على زوجة العريف
قامت زوجة العريف فقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها
قوت القلوب اين الضعيف الذي عندك فبكت وقالت هاهو ياستي
والله انه ابن ناس وعليه اثر النعمة وذلك هو على الفراش فالتفتت
اليه ونظرته فرأته كانه هو بذاته ورأته قد اختفى وكثر نحوله
ورق الى ان صار كالخلال وانبهم عليها امره فلم تتحقق انه هو ولكن
اخذتها الشفقة عليه فبكت وقالت ان الغرباء مساكين وان كانوا امراء
في بلادهم وقد تعنّت عليها ولم تعرف انه غانم ثم انها وجعها قلبها
عليه ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة ثم ركبت
وطلعت الى قصرها وصارت تطلع كل سوق لاجل التفتيش على غانم
ثم ان العريف قد اتى بامه واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب
وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنتها
وهما وجوه ملاح وعليهما اثر النعمة والسعادة عليهما لائحة لكنهما
لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة
وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها انا اتيت بهما اليك لتأويهما
وتصونيهما عن الشحاذة لانهما ليستا اهلا للشحاذة وانما ندخل ان شاء الله

بهما الجنة فقالت والله ياسيدي لقد شوقتني اليهما واين هما فقالت للعريف عليّ بهما فامر الخادم ان يدخلهما على قوت القلوب فعند ذلك دخلت فتنة وامها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما اولاد نعمة ويلوح عليهما اثر الغنى فقالت زوجة العريف ياستي نحن نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جاروا عليهما الظلمة وسلبوا نعمتهما واخربوا ديارهما ثم انهما بكتابكاء شديدا وافتكرتا مما كانتا فيه من النعم وما بقتا فيه من الفقر والحزن وتفكرتا غانم بن ايوب المتيم المسلوب فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما وقالتا نسأل الله ان يجمعنا بمن نريده وهو ولدي اسمه غانم ابن ايوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام معشوقها والاخرى اخته فبكت حتى غشي عليها فلما افاقت اقبلت عليهما وقالت لهما لا باس عليكما وهذا اليوم اول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلاتحزنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما قالت لهما لاتحزنا ثم انها امرت العريف ان ياخذهما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتتوصي بهما وتكرمهما غاية الاكرام واعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد ادخلتهما زوجة العريف الحمام وغيرت ماعليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة

فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذي
هو عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه و نعوده فقامت
هي و زوجة العريف وام غانم واخته ودخلن عليه وجلسن عنده
فلما سمعهن غانم بن ايوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب
وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه وشال رأسه من
فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت
بقولها نعم ياحبيبي فقال لها اقربى مني فقالت له لعلك غانم بن ايوب المتيم
المسلوب فقال لها نعم انا اياه فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما
سمعت اخته فتنة وامه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه و وقعتا مغشيا عليهما
وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذي جمع شملنا
بك و بامك و اختك فتقدمت اليه و حكت له على جميع ماجرى لها
مع الخليفة و قالت له اني اظهرت لامير المؤمنين الحق فصدق كلامي
و رضي عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم انها اخبرته انه وهبني
لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لاتبرحوا
حتى احضر ثم انها قامت من وقتها و ساعتها وانطلقت الى قصرها
و حملت الصندوق الذي اخذته من داره واخرجت منه دنانير
و اعطت للعريف اياها و قالت له خذ هذه الدراهم واشتر لكل شخص
منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش و عشرين منديلا و غير ذلك
مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما و بغانم الحمام و امرت بغسلهم
و عملت لهم المساليق و ماء الخولنجان وماء التفاح بعد ان خرجوا
من الحمام ولبسوا الثياب و اقامت عندهم ثلثة ايام وهي تطعمهم
لحم الدجاج والمساليق و تسقيهم السكر المكرر فبعد ثلثة ايام ردت
ارواحهم لهم فادخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا و غيرت عليهم الثياب

و خلتهم في بيت العريف و ذهبت الى القصر فاستاذنت الخليفة فاذن لها فدخلت و قبلت الارض بين يديه و اعلمته بالقصة و انه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب و ان امه و اخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام علي بغانم فنزل جعفر اليه و كانت قد سبقته قوت القلوب و دخلت على غانم واعلمته ان الخليفة ارسل اليک يطلبک بين يديه فاوصته بفصاحة لسانه وتثبيت جنانه و عذوبة كلامه والبسته حلة فاخرة و اعطته دنانير بكثرة وقالت له كثر البذل الى حاشية الخليفة و انت داخل عليه و اذا بجعفر قد اقبل عليه و هو على بغلته النوبية فقام غانم و قابله و حياه وباس الارض بين يديه و قد ظهر كوكب سعده واضاء فاخذه جعفر ومازالا سائرين هو و جعفر حتى دخلا على اميرالمؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب و ارباب الدولة و اصحاب الصولة فعند ذلک غانم اعذب كلامه و فصاحته ثم نظر الى الخليفة

و اطرق برأسه الى الارض و انشد يقول هذه الابيات

حُيِّيتَ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ مُتَتَابِعِ الحَسَنَاتِ وَالاِحْسَانِ
لا يَلْهَجُونَ بِغَيْرِهِ مِنْ قَيْصَرٍ فِي ذَاالْمَقَامِ وَ صَاحِبِ الإِيْوَانِ
تَضَعُ الْمُلُوکُ عَلَى ثَرَى اَعْتَابِهِ عِنْدَالسَّلامِ جَوَاهِرُ التِّيجَانِ
حَتَّى اِذَا بَصُرَتْ لَهُ اَبْصَارُهُمْ خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ عَلَىالاَذْقَانِ
وَ يُفِيدُهُمْ ذَاکَ الْمَقَامُ مَعَ الرِّضَى رُتَبَ الْعُلاَ وَجَلاَلَةَ السُّلْطَانِ
ضَاقَتْ بِعَسْكَرِکَ الْفَيَا فِي وَالْوَرَى فَاضْرِبْ خِيَامَکَ فِي ذُرَى كِيوَانِ
اَبْقَاکَ مَا لِيکَ الْمُلُوکِ بِعَنْوَةٍ لَکَ حُسْنُ تَدْبِيرٍ وَ ثَبْتُ جِنَانِ
وَ نَشَرْتَ عَدْلَکَ فِىالْبَسِيطَةِ كُلِّهَا حَتَّى اسْتَوَى الْقَاصِي بِهَا وَالدَّانِي

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة واعجبه فصاحة لسانه وعذوبة منطقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غانم بن ايوب لما اعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن مني فدنا منه ثم قال له اشرح لي قصتك واطلعني على حكايتك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له في بغداد وبنيامه في التربة واخذ الصندوق من العبيد بعد ما ذهبوا واخبره بما جرى له من المبتدأ الى المنتهى وليس في الاعادة افادة فلما علم الخليفة انه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال له ابرئ ذمتي فابرأ ذمته وقال له يا مولانا السلطان ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم امر ان يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات والعطايات شيئا كثيرا ثم نقله ونقل اخته وامه وسمع الخليفة باخته فتنة انها في الحسن فتنة فخطبها الخليفة من غانم فقال له غانم انها جاريتك وانا مملوكك فشكره واعطاه مائة الف دينار واتى بالشهود والقاضي وكتبوا الكتابين في نهار واحد وهو كتاب الخليفة على فتنة وكتاب غانم بن ايوب على قوت القلوب ودخل هو وغانم في ليلة واحدة فلما اصبح الخليفة امر ان يؤرخ ما جرى لغانم من حديثه من اوله الى آخره وان يخلد في الخزانة حتى يقرأه الذي ياتي من بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار

وليس هذا باعجب من حكاية الملك عمر بن النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب

قال الملك وما حكايتهم قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بمدينة السلام قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر بن النعمان وكان من الجبابرة الكبار وكان قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه احد في مضمار وكان اذا غضب خرج من منخريه الشرار وكان قد ملك جميع الاقطار واطاع الله له جميع العباد وقد نفذ امره في سائر الامصار ووصلت عساكره الى اقصى البلاد ودخل في حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين وارض الحجاز وبلاد اليمن وجزائر الهند والصين وبلاد الشمال وديار بكر وارض السودان وجزائر البحار وما فى الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وارسل رسله الى اقصى المدائن ياتوه بحقيقة الاخبار فعادوا له واخبروه بالعدل والطاعة والامان والدعاء للسلطان عمر بن النعمان هذا وعمر بن النعمان يا ملك الزمان له نسب عظيم الشان تحمل اليه الهدايا والتحف والخراج من كل مكان وكان له ولد قد سماه شركان وهو اشبه الناس به وقد طلع آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان واباد الاقران فاحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد واوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان كبر حتى بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة فاطاع الله له جميع العباد لما به من شدة الباس والجلاد وكان والده عمر بن النعمان له اربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن ولد بغير شركان وهو من احدهن والباقي عواقر لم يرزق من واحدة منهن ولدا ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سُرّية على عدد ايام السنة القبطيـــة وتلك السراري من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور

السنة وجعل في كل قصر ثلثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستين مقصورة واسكن تلك الجواري في هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيت عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد وكان بالامر المقدر ان جارية من جواري عمر بن النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ان تكون ذريتي ونسلي كلها ذكورا فارخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر وقال لقد جاءني من ينازعني في المملكة وقال في نفسه ان ولدت هذه الجارية ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك في نفسه فهذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وارسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت اجمل الجواري واحسنهن وجها واصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له ايها الملك كنت اشتهي من اله السماء ان يرزقك مني ولدا ذكرا حتى اني احسن تربيته وابالغ في ادبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت اشهرها فجلست على كرسي الولادة وكانت في مدة حملها على صلاح تقوم وتحسن العبادة وتدعو الله بان يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر او انثى وكذلك ولده شركان ارسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود فتشته القوابل فوجدنه

بنتا بوجه ابهى من القمر فاعلمن بها الحاضرين و عاد رسول الملك
واخبره وكذلك رسول شركان اخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما
انصرف الخدام قالت صفية للقوابل امهلوا عليّ ساعة فاني احس
باحشائي ان فيها شيئا آخر ثم تاوّهت و جاءها الطلق ثانيا وسهل
الله عليها ووضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا
ذكرا يشبه البدر بجبين ازهر وخد احمر مورد ففرحت به الجارية
والخدام و الحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد
اطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ
عمر بن النعمان الخبر ففرح و استبشر وقام و خرج و قبل
رأسها و نظر الى المولود ثم انحنى اليه و قبله وضربت الجواري
بالدفوف و لعبت بالآلات وامر الملك ان يسموا المولود ضوء
المكان واخته نزهة الزمان فامتثلوا امره واجابوا بالسمع
والطاعة وافرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع و الخدام
والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان
وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان و سمعت اهل بغداد بما
رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة ودقت البشائر واقبلت الامراء
والوزراء وارباب الدولة و هنوا الملك عمر بن النعمان بولده
ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع
عليهم وزاد في اكرامهم من الانعام واحسن الى الحاضرين من الخاص
والعام ولم يزل على تلك الحالة الى ان مضى اربعة اعوام وهو
بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية واولادها وبعد اربعة اعوام
امران ينقل اليها من المصاغ والحلي والحلل والاموال شيء كثير
واوصاها بتربيتهما وحسن ادبهما هذا كله وابن الملك شركان لايعلم

ان والده عمر بن النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم انه رزق
سوى نزهة الزمان واخفوا عليه خبر ضوء المكان الى ان مضت اعوام
وايام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما الملك
عمر بن النعمان جالس يوما من الايام اذ دخلت عليه الحجاب وقبلوا
الارض بين يديه وقالوا ايها الملك وصلت الينا رسل من ملك
الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك
والتمثل بين يديك فان اذن لهم الملك بالدخول ندخلهم والا
فلا مرد لامره فعند ذلك اذن لهم بالدخول فاما دخلوا عليه مال
اليهم واقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا
الارض بين يديه وقالوا ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم
ان الذي ارسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر
النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم في حرب
شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارِيَة والسبب في ذلك ان بعض
ملوك العرب من قديم الزمان اتفق انه وجد في بعض فتوحاته
كنزا من عهد الاسكندر فنقل منه اموالا لاتحصى ومن جملة ماوجد
فيه ثلث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وهم من معدن
الجواهر الابيض الخالص الذي لايوجد له نظير وكل خرزة منقوش
عليها بالقلم اليوناني امور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة
ومن بعض خاصيتهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن
لم يصبه الم مادامت الخرزة معلقة عليه ولايأن ولايسخن فلما وضع
يده عليها ووقع بها وعرف ماكان من اسرارها ارسل للملك
افريدون هدايا من بعض التحف والمال ومن جملتهم ثلث
خرزات وجهز مركبين الواحدة فيها مال والاخرى فيهـــا

رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها في البحر
وكان يعرف من نفسه ان ما احد يقدر يحبس مراكبه لكونه
ملك العرب لاسيما و طريق المراكب التي فيها الهدايا في البحر
الذي في مملكة ملك القسطنطينية و هي متوجهة اليه وليس
في سواحل ذلك البحر الا رعايا الملك الاكبر افريدون فلما جهز
المركبين سافرا الى ان قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع
الطريق من تلك الارض و فيهم عساكر من عند صاحب قيسارية
فاخذ و اجميع ما في المركبين من التحف والمال والذخائر و ثلث
خزانات و قتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرا فكسروه
وارسل لهم عسكرا ثانيا اقوى من الاول فهزموه ايضا فعند ذلك اغتاظ
الملك واقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه في جميع عسكره وانه
لا يعود عنهم حتى يترك قيسارية الارمن خرابا و يترك ارضها
و جميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب العصر
والاوان الملك عمر بن النعمان ملك بغداد و خراسان ان يمدنا
بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد ارسل اليك ملكنا معنا شيئا
من انواع الهدايا و يسأل من انعام الملك قبولها والتفضل عليه
بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يديه و ادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العسكر والرسل الذين من عند
ملك القسطنطينية لما قبلوا الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان
بعد ان حكوا له و اخرجوا له الهدية وكانت الهدية خمسين جارية

من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم اقبية من الديباج
بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في اذنه حلقة من الذهب
فيها لؤلؤة تساوي الف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم
من القماش ما يساوي مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح
بهم وامر باكرام الرسل واقبل على وزرائه واستشارهم فيما يفعل
فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل
الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان وقال ايها الملك ما في الامر
احسن الا ان تجهز عسكرا جرارا وتقدم عليهم ولدك شركان ونحن
بين يديه غلمان وهذا الرأي عندي احسن لوجهين الاول ان ملك
الروم قد استجار بك وارسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثاني ان العدو
لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وانكسر عدوه
ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك في سائر الاقطار والبلاد ولاسيما
اذا وصل الخبر الى جزائر البحر ويسمع ذلك اهل المغرب فيحملون
اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا اعجبه
كلام وزيره واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره
الملوك وينبغي ان تكون انت في مقدم العسكر وولدي شركان
في ساقة العسكر ثم ان الملك امر باحضار ولده شركان فلما حضر
قبل الارض بين يدي والده وجلس فقص عليه القصة واخبره بما قاله
الرسل وبما قاله الوزير دندان واوصاه باخذ الاهبة والتجهيز للسفر
وانه لا يخالف الوزير دندان فيما يفعل وامره ان ينتخب
من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الحروب
والشدة فامتثل شركان لما قاله ابوه عمر بن النعمان وقام في الوقت
واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وعرض عسكره

وانفق عليهم المال وقال لهم المهلة عليكم ثلثة ايام فقبلوا الارض بين
يديه مطيعين لامره وخرجوا من عنده واخذوا فى الاهبة واصلاح الشان ثم ان
شركان دخل الى خزائن السلاح واخذ جميع مايحتاج اليه من العدد والسلاح
ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة وغيرهم وبعد ذلك اقاموا ثلثة
ايام ثم خرجت العساكر الى ظاهر مدينة بغداد وخرج عمر بن النعمان
لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه و اهدى له سبع خزائن
من المال و اقبل على الوزير دندان واوصاه بعسكر ولده شركان فقبل
الارض بين يديه و اجابه بالسمع و الطاعة و اقبل الملك على ولده
شركان و اوصاه انه يشاور الوزير في جميع اموره فقبل ذلك ورجع
والده الى ان دخل المدينة ثم ان شركان امر النقباء بالعرض فعرضوا
العساكر وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم
حملوا و دقت الطبول و زعقت البوقات و انتشرت الاعلام و الرايات
وركب ابن الملك شركان و الى جانبه وزيره دندان و الاعلام تخفق
على رؤسهم و لم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى ان ولى النهار
واقبل الليل فنزلوا و استراحوا و باتوا تلك الليلة فلما اصبح الله بالصباح
ركبوا وساروا ولم يزالوا مجدين فى السير والرسل يدلونهم على الطريق
مدة عشرين يوما ثم اشرفوا فى اليوم الحادي و العشرين على واد
واسع الجهات كثير الاشجار والنبات فسيح النواحي وكان وصولهم
الى ذلك الوادي ليلا فامرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلثة ايام فنزل
العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير
دندان وصحبته رسل افريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك
الوادي واما الملك شركان فانه كان في وقت وصول العسكر وقف
بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا في جوانب الوادي فارخى

عنان جواده واراد ان يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لاجل
وصية والده له فانهم في اول بلاد الروم وارض العدو فسار وحده
بعد ان امر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه سار على
ظهر جواده في جانب الوادي الى ان مضى من الليل ربعه فتعب
وغلب عليه النوم فصار لايقدر ان يركض الجواد وكان له عادة انه
ينـــام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام فمـا زال الجواد
سائرا به الى نصف الليل فدخل به في بعض الغابات وكانت تلك
الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره فى الارض
فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار فطلع عليه القمر واضاء فى الخافقين
فاندهش شركان لماراى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لايخجل
قائلها وهي لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم فبينما هو كذلك وهو
خائف من الوحش واذا بالقمر قد انبسط على مرج كأنه من مروج
الجنة فسمع كلاما مليحا وحسا عاليا وضحكا يسبي عقول الرجال
فنزل الملك شركان عن جواده وربطه فى الاشجار ومشى حتى اشرف
على نهر ماء يجري وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربي وهي تقول وحق
المسيح ليس هذا منكن مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها
وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى
الى طرف المكان فنظر فاذا هو بنهر يسبح وطير يمرح وغزلان
تسرح ووحوش ترتع والطيور باختلاف لغاتها لمعانى الحظ تشرح وذلك
المكان مزركش بانواع النبـــات كما قال فيــه بعض واصفــيه
هذين البيـــــــــــــــــــــــتين

مَا تَحْسُنُ الأَرْضُ اِلاَّ عِنْدَ زَهْرَتِهَا   وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا يَجْرِي بِاِرْسَالِ
صُنْعُ الْاِلَهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ مُقْتَدِرًا   مُعْطِى الْعَطَايَا وَمُعْطِي كُلَّ مِفْضَالِ

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا و من داخل الدير قلعة شاهقة فى الهواء في ضوء القمر وفي وسطها نهر يجري الماء منه الى تلك الرياض و هناك امرأة بين يديها عشر جوار كأنهن الاقمار و عليهن من انواع الحلي والحلل مايدهش الابصار وكلهن ابكار كما قيل فيهن هذه الا بيـــــــات

يُشْرِقُ الْمَرْجُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبِيْضِ الْغَوَانِي
زَادَ حُسْنًا وَ جَمَالاً مِنْ بَدِيعَاتِ الْخِلاَلِ
كُلُّ غَيْدٍ رَاءَ خَلُوبٍ ذَاتُ غُنْجٍ وَدَلاَلِ
رَاخِيَاتٍ لِشُعُورٍ كَعَنَاقِيدِ الدَّوَالِي
فَاتِنَاتٍ بِعُيُونٍ رَامِيَاتٍ بِالنِّبَالِ
مَائِسَاتٍ قَاتِلاَتٍ لِصَنَادِيدِ الرِّجَالِ

فنظر شركان الى هؤلاء العشرة جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بشعر اجعد و جبين ابلج و طرف ادعج و صدغ معقرب كاملة فى الذات و الصفات كما قال فيها الشاعر هذه الا بيات شعـــــــــــرا

تَزْهُو عَلَيَّ بِأَلْحَاظٍ بَدِيعَاتِ وَقَدُّهَا مُخْجِلٌ لِلسُّمْهَرِيَّاتِ
تَبْدُو إِلَيْنَا وَخَدَّاهَا مُوَرَّدَةٌ فِيهَا مِنَ الظَّرْفِ أَنْوَاعُ الْمَلاَحَاتِ
كَأَنَّ طُرَّتَهَا مِنْ فَوْقِ طَلْعَتِهَا لَيْلٌ يَلُوحُ عَلَى صُبْحِ الْمَسَرَّاتِ

فسمعها شركان و هي تقول للجواري تقدموا حتى اصارعكم قبل ان يغيب القمر و يأتى الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها فى الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن

حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية عجوز كانت بين يديها
وقالت لها العجوز وهي كالمغضبة عليها يافاجرة اتفرحين بصرعك للجواري
فها انا عجوز و قد اصرعتهن اربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن
ان كان لك قوة على مصارعتي فصارعيني حتى اقوم اليك و اجعل
رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا و قد امتلأت غيظا منها باطنا
و قامت اليها و قالت لهـــا يا ستي ذات الدواهي بحـــق المسيح
اتصارعينني حقيقة ام تمزحين معي قالت لها نعم و ادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لمـا قالت لذات الدواهي
بحق المسيح اتصارعينني حقيقة ام تمزحين معي قالت لها بل اصارعك
حقيقة و شركان ينظر اليهن قالت لها قومي للصراع ان كان لك قوة
فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها
كأنه شعر قُنفذ ثم و ثبت و قامت اليها الجارية فقالت لها العجوز
وحق المسيح لم اصارعك الا وانا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز اخذت
منديل حرير و فكت لباسها و ادخلت يديها تحت ثيابها و نزعتها
من فوق جسـدها ولمت المنديل وشدته في وسطهـا فصـارت
كأنها عفريتة معطاء اوحية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلي
كفعلي كل هذا و شركان ينظـر اليهما ثم ان شركان صـار يتامل
في تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت
الجارية على مهل و اخذت فوطة يمانية و ثنّتها مرتين و شمرت
سرا ويلها فبان لها ساقان من المرمر و فوقهما كثيب من البلور

ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من اعكانه كأنه مصفح بشقائق
النعمان وصدر رفيه نهدان كفحلي رمان ثم انحنت عليها العجوز
وتماسكا ببعضهما فرفع شركان راسه الى السماء ودعا الله ان الجارية
تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال
في شقتها ويدها اليمنى في رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها
فانفلتت العجوز من يديها وارادت الخلاص فوقعت على ظهرها
فارتفعت رجلاها الى فوق فبان في القمر شعرتها فضرطت ضرطتين
عفرت احداهما في الارض ودخنت الاخرى في السماء فضحك
شركان عليها حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا
وشمالا فلم يرا احدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال شركان في
نفسه ماكذب من سماك ذات الدواهي هذا وانت تعرف قوتها مع
غيرك ثم تقرب منهما ليسمع ما يجري بينهما فاقبلت الجارية
ورمت عليها ملاءة من حرير رفيعة والبستها ثيابها واعتذرت
لها وقالت لها ياستي ذات الدواهي ما اردت الا صرعك لا جميع ما
حصل لك ولكن انك انفلتّ من بين يدي فالحمد لله على السلامة فلم ترد
عليها جوابا وقامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية الى ان غابت
عن البصر وصار الجواري مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها
فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما وقع عليّ النوم وسار بي
الجواد الى هذا المكان الا لبختي فلعل هذه الجارية وما معها تكون
غنيمة لي ثم انه عمد الى جواده وركبه ولكزه ففربه كالسهم اذا
فر من القوس وبيده حسامه مجرد من قرابه وصاح الله اكبر فلما
رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر وكان
عرضه ستة اذرع بذراع العمل ووثبت فصارت في الجانب الآخر

و قامت على حيلها ونادت برفيع صوتها من انت ياهذا فقد كنت قاطعاسرورنا وحين شهرت حسامك كأنك قد حملت على عسكر من اين انت و اي اين تريد فاصدق في مقالك فان الصدق انفع لك ولا تكذب فان الكذب من اخلاق اللئام و لاشك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذاالمكان الذي خلاصك فيه اكبر الغنيمـــات و انت الآن في مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا اربعة آلاف بطريق فقل لنا ما الذي تريد فان اردت ان نهديك الى الطريق هديناك وان اردت الرفد ارفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها انارجل غريب من المسلمين و قد سرت في هذه الليلة منفردا بنفسي اطلب الغنيمة فلم اجد غنيمة احسن من هؤلاء الجوارى العشرة في هذه الليلة المقمرة فآخذهن والحق بهن الى اصحابي فقالت له الجارية اعلم ان الغنيمة ما وصلت اليهـــا و الجواري والله ما هن غنيمتك اما قلت لك ان الكذب شين فقال لها العاقل من يعتبر بغيره فقالت له وحق المسيح لولا اخاف ان يكون هلاكك على يدي لكنت صحت صيحة ملأت عليك المرج خيلا ورجالا ولكن انا اشفق على الغريب و ان اردت الغنيمة فانا اطلب منك ان تنزل عن جوادك و تحلف لي بدينك انك لاتتقرب اليّ بشيءٍ من السلاح و اتصارع انا واياك فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة و ان انا صرعتك اتحكم فيك فاحلف لي على ذلك فاني اخاف من غدرك فقد ورد فى الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان الثقة بكل احد عجز فان حلفت لي عديت اليك واتيتك وجئت عندك فقال شـركان وقد طمـــع في اخذهـــا وقال في نفسه انها لم تعرف اني بطل من الابطال ثم ناداها و قال لها حَلِّفيني

بما اردت و بما تثقين به اني لا اقربك بشيٌ حتى تاخذي اهبتك و تقولي ادن مني لاصارعك فحينئذ اتقرب اليك فان صرعتني فان لي من المال ما اشتري به نفسي و ان صرعتك انا فهي الغنيمة الكبرى فقالت الجارية انا رضيت بذلك فتحير شركان في ذلك و قال وحق النبي صلى الله عليه وسلم رضيت انا الآخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح فى الا شباح و شرع الشرائع للانام انك لوتتعرض لي بسوء غير المصارعة تموت على غيردين الا سلام فقال شركان والله لوحلّفني قاضٍ ولوكان قاضى القضاة لم يحلّفني بهذه الايمان ثم انه حلف لها بجميع ما ذكرته و ربط جواده فى الاشجار و هو غريق في بحرالافتكار و قال سبحان من صورها من ماء مهين ثم ان شركان اشتد واخذ اهبته للصراع و قال للجارية عدى النهر و اعبري فقالت له ليس لي اليك عبور فان كنت تريد فاعبرانت الى عندي فقال لها شركان انا لا اقدر على ذلك فقالت الجارية يافتى انا اجيُ لك ثم انها شمرت اذ يالها و قفزت فصارت عنده فى الجانب الآخر من النهر فدنا منها و انحنى و صفق بيديه و هو باهت في حسنها وجمالها فرأى صورة قد اغترفتها يد القدرة بورقة الجان وربّتها يد العناية و هبّت عليها نسمات السعود و قابلها عند خلقتها طالع مسعود ثم ان الجارية اتت ونادته يا مسلم تقدم الى الصراع قبل ان يطلع الفجر و شمرت عن ساعد كانه الجبن الطريّ فاضاء ذلك المكان منه هذا و شركان قد تحير و انحنى و صفق بيديه و صفقت الاخرى بيديها و تعلقت به و تعلق بها و تعانقا و تماسكا و تعاركا فوضع يده على خصرها النحيل فغاصت انامله في طبقات بطنها و استرخت اعضاؤه فوقف على مقام الحسرة فبان له بطن فيه الفترة و صار يرتعد مثل القصبة

الفارسية فى الريح العاصف فرفعته و ضربت به الارض و جلست على صدره بكفل كأنه كثيب رمل فلم يملك نفسه عقلا فقالت له يا مسلم انتم عندكم قتل النصارى مباح فما قولك في قتلك فقال لها يا سيدتي اما قولك عن قتلي فما هو الاحرام فان نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم نهى عن قتل النسوان والصبيان والشيوخ والرهبان فقالت له اذا كان نبيكم اوحي اليه بهذا فينبغي ان نكافئه على ذلك و لكن قم قد وهبتك نفسك فما يضيع عند الانسان الاحسان ثم قامت عن صدر شركان و قام ينفض التراب عن رأسه من ذوات الضلع الاعوج وما هي الامالت و قالت له لا تخجل فمن يدخل بلاد الروم يريد الغنيمة و يعين الملوك على الملوك كيف لا يكون فيه قوة حتى لا يقدر يدافع عن نفسه ذات الضلع الاعوج فقال لها ماهي لضعف قوتي ولا صرعتني! بقوتك و لكن جمالك هو الذي صرعني فان انعمت الي بدست اخر كان من نوالك فضحكت و قالت اجبتك الى ذلك غير ان الجواري طال بهم الكتاف و قد كلّت منهم السواعد والاطراف والصواب اني احلّهم فلربما طال الصراع في هذا الدست معك ثم انها اقبلت على الجواري و حلّت اكتافهن وقالت لهن بلسان الروم اذهبن الى موضع تامنّ فيه على انفسكن حتى ينقطع طمع هذا المسلم منكن فذهبن الجواري و شركان ينظر اليهن وهن يتفرجن اليهما ثم دنا كل منهما بصاحبه و جعل بطنه على بطنها فلما صارت بطنه على بطنها و علمت الجارية منه ذلك رفعته على يديها اسرع من البرق الخاطف و رمته الى الارض فوقع على ظهره فقالت له قم فاني و هبتك روحك مرة ثانية فان فى الوجه الاول اكرمتك فيه لاجل نبيك فانه ما احلّ قتل النسوان و فى الوجه الثاني لاجل ضعفك

وحداثة سنك وغربتك ولكن اوصيك ان كان في عسكرا لمسلمين الذين
جاؤا من عند عمر بن النعمان الذين ارسلهم لاجل الملك القسطنطينية
اقوى منك فارسله الي وقل له علي فان المصراع انواعا و مراتب و ضروبا
مثل الوهم و منها المسابقة و المنازلة و اخذ الرجلين وعض الفخذ
و العراك و الشباك فقال شركان و قد زاد غيظه منها والله ياسيدتي
اذا كان القيم الصفدي او القيم محمد قيمال او ابن السلدي في زمانه
ماحفظت هذه المواليف التي ذكرتهم لي ولكن ياسيدتي والله ما
صرعتني بقوتك ولكن لمارا ودتني الى كفلك ونحن يا اهل العراق
نحبّ الفخذ الكبير فما بقي لي عقل ولابصيرة فان شئت تصارعينني
وفهمي معي فمابقي لي دست الا هذا بقانون هذه الصناعة لان نشاطي
قد رجع لي في هذه الساعة فلما سمعت كلامه قالت له ما تريد بهذا
الصراع يامغلوب تعال واعلم ان هذا الدست الكفاية ثم انها انحنت
وطلبته للصراع فانحنى شركان عليها و اخذ فى الجد وا حترز من
الجذلان و تعاركا ساعة فوجدت الجارية فيه قوة لم تعهدها منه
اولا فقالت له يامسلم اخذت لنفسك الحذر فقال لها نعم وانت
تعلمين ان ما بقي لي معك غير هذا الدست وبعد هذا يذهب
كل منا في طريقه فضحكت وضحك الاخر في وجهها فلما وقع ذلك
سبقت الى فخذه و قبضته على غفلة منه و القته على الارض فوقع على
ظهره فضحكت عليه وقالت له انت تأكل نخالا والا كأنك طُرطور بدوي
تقع من بطشة والا ابو رياح تقع من الهواء ويلك يا مشـــوُم ثم
قالت له اذ هب الى عسكر المسلمين وارسل لنا غيرك لانك قليل
الجهد و ناد علينا فى العرب والعجم والترك والديلم كل من كان له
قوة يأتي الينا ثم تفزت فصارت فى الجـــانب الآخر من النهر و قالت

لشركان و هي تضحك يعزّ عليّ فراقك يا مولاي اذهب الى اصحابك
قبل الصباح لئلا تأتيك البطارقة و ياخذونك على اسنّة الرماح و انت
ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان
في نفسه و قال لها و قد ولّت عنه معرضة طالبة للدير يا سيدتي
اتذهبين و تتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت
اليه و هي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فاني اجيب دعوتك فقال
كيف اطأ ارضك واتحلى بحلاوة لطفك وارجع بلا اكل زادك وطعامك وقد
صرت من بعض خدامك فقالت لاياْبى الكرامة الالئيم تفضل بسم الله
على الراس والعين اركب جوادك و سر على جانب النهر مقابلي
فانت في ضيافتي ففرح شركان و بادر الى جواده و ركبه ولازال ماشيا
في مقابلها وهي سائرة قباله الى ان وصل الى جسر معمول باخشاب
من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها اقفال في كلاليب فنظر
شركان الى ذلك الجسر و اذا بالجواري اللاتي كن معها في المصارعة
قائمات ينتظرنها فلما اقبلت عليهن كلمت جارية منهن باسان
الرومية ان قومي اليه و امسكي عنان جواده واعبري به الى الدير
فسار شركان وهي قدامه الى ان عدى من الجسر وقد اندهش عقله
مما رأى و قال في نفسه يا ليت شعري لوان الوزير دندان كان معي
في هذا المكان و تنظر عيناه الى تلك الوجوه الحسان ثم التفت
الى تلك الجارية و قال لها يا بديعة الجمال الآن قد صار لي عليك
حرمتان حرمة الصحبة والاخرى بسيري الى منزلك و قبول ضيافتك
و صرت تحت حكمك و زمامك فلوانك تنعمين عليّ بالمسير معي
الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل سيد ضرغام وتعرفين من انا
فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي

ذا عقل سديد ولكنني اطلعت الآن على مافي قلبك من الفساد وكيف
يجوز لك ان تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف اصنع هذا
وانا اعلم اني متى حصلت عند ملككم عمر بن النعمان لا اخلص
منه لانه مافي صوره ولا في قصوره مثلي ولوكان صاحب بغداد
وخراسان الذي له اثنى عشر قصرا في كل قصر جارية على عدد
ايام السنة والقصور عدد شهور السنة فان حصلت عنده ما فزع
مني لان اعتقادكم انا نحل لكم كما في كتبكم حيث قيل فيها اَوْمَا
مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ فكيف تكلمني بهذا الكلام واما قولك وتتفرجين
على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح
فاني رأيت عسكركم لما استقبلتم ارضنا وبلادنا منذ هذين اليومين
فلما اقبلتم لم ار تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف
مجتمعين واما قولك تعرفين من انا فانا لا اصنع معك جميلا
لاجل اجلا لك وانما افعل ذلك لاجل الفخر ومثلك لا يقول لمثلي
ذلك ولوكنت شركان ابن الملك عمر بن النعمان الذي ظهر في هذا
الزمان فقلتُ لها وانت تعرفين شركان قالت نعم وعرفت قدومه
مع العساكر وعدتهم عشرة آلاف فارس وذلك ان والده عمر بن
النعمان ارسل معه هذا الجيش لنصرة ملك القسطنطينية فقال شركان
ياسيدتي اقسمت عليك بما تعتقدين من دينك حدثيني عن سبب
ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك
فقالت له وحق دينك لولا اني خفت ان يشيع خبري اني من بنات الروم
لكنت خاطرت بنفسي وبارزت عشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير
دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان عليّ في ذلك عار ولكنني قرأت
الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست اصف لك نفسي بالشجاعة

مع انك رأيت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نطّ هذا النهر لم يقدر على ذلك واني اودّ لو ان المسيح يرميه بين يدي في هذا الدير حتى اخرج له في صفة الرجال وأسره واجعله في الاغلال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه وانه ان وقع شركان في يدي فاني اخرج له في صفة الرجال واجعله في القيود والاغلال بعد ان أسره من بحر سرجه فلما سمع شركان هذا الكلام اخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال واراد ان يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها جمالها فانشد يقول

وَإِذَا الْمَلِيحُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

ثم صعدت وهو في اثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى اردافها تتلاطم كالامواج في البحر الرجراج فانشد يقول هذه الابيات

فِي وَجْهِهَا شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهَا مِنَ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا
إِذَا تَأَمَّلْتُهَا نَادَيْتُ مِنْ عَجَبٍ اَلْبَدْرُ فِي لَيْلَةِ الْإِكْمَالِ قَدْ طَلَعَا
لَوْ أَنَّ عِفْرِيتَ بِلْقِيسٍ يُصَارِعُهَا مَعْ وَصْفِ قُوَّتِهِ فِي سَاعَةٍ صُرِعَا

ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز

طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كشعاع النار فتلقتها الجواري في آخرا لد هليز بالشموع المطيبة وعلى روؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر اصناف الجواهر وسارت وهن امامها وشركان وراءها الى ان وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير اسرّة مُقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وارض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها اربعة وعشرون فوارة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين وراى في الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكي فقالت له الجارية اصعد يامولائي على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت ساعة من الزمان فسأل عنها من بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما امرت ثم انهم قدموا له من غرائب الالوان فاكل حتى اكتفى ثم انهم قدموا له طشتا من الذهب وابريقا من الفضة فغسل يديه وخاطره عند عسكره لكونه لايعلم ماجرى لهم بعده ويتذكر ايضا كيف نسي وصية ابيه فصار متحيرا في امره نادما على ما فعل الى ان طلع الفجروبان النهار فتنهد وتحسر على مافعل وصار غريقا في بحار الفكر وانشد يقول

لَمْ أَعْدِمِ الْحَزْمَ وَلٰكِنَّنِي دُهِيتُ فِي الْأَمْرِفَمَا حِيلَتِي
لَوْكَانَ مَنْ يَكْشِفُ عَنِّي الْهَوىٰ بَرِئْتُ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ قُوَّتِي
وَإِنَّ قَلْبِي فِي ضَلَالِ الْهَوىٰ صَبٌّ وَأَرْجُو اللّٰهَ فِي شِدَّتِي

فلما فرغ من شعره واذا ببهجة عظيمة قد اقبلت فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن

كالبدر بين الكواكب يحجبن تلك الجارية و عليها ديباج ملوكي
وقد شدت في وسطها زنارا محبوكا مرصعا بانواع الجواهر وتدضم
خصرها وابرز ردفاها فصارتا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة
و نهداها كفحلين من الرمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله
ان يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها
شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها
يرفعن اذيالها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما
لما رأى حسنها وجمالها فصاح زنار زنار من هذا الزنار ثم
انشد يقول هذه الابيات

ثَقِيلَةُ الْأَرْدَافِ مَائِلَةٌ خُرعوبَةٌ نَاعِمَةُ النَّهْدِ
تَكَتَّمَتْ مَا عِنْدَهَا مِنْ جَوًى وَلَسْتُ أَكْتُمُ الَّذِي عِنْدِي
خَدَمُهَا يَمْشِينَ مِنْ خَلْفِهَا كَالْقَيْلِ فِي حَلٍّ وَفِي عقدِ

فجعلت الجارية تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان
تحققته وعرفته فقالت له بعد ان اقبلت عليه قد اشرف واضاء بك
المكان ياشركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك
ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عند الملوك
الكبار وانت شركان بن الملك عمر بن النعمان فلا تكتم سرك
وحالك ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث
البغض و العداوة فقد نفذ فيك سهم القضاء فعليك بالتسليم
والرضاء فلما قالت ذلك لم يمكنه النكران فصدقها على ذلك فقال
انا شركان بن عمر بن النعمان الذي عذّبني الزمان واوقعني
في هذا المكان فمهما شئت فافعليه الآن فاطرقت براسها الى الارض

زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فأنك
ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح فانت في ذمتي وفي عهدي
فكن آمنا وحق المسيح لواراد اهل الارض ان يؤذوك لما وصلوا
اليك الا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح
واماني وجلست الى جانبه وصارت تلاعبه الى ان زال ما عنده من
الخوف وعلم انها لوكان لها ارب في قتله لفعلته من الليلة الماضية
ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة واتت اليها ومعها
كأس ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما
وضعت شيأ في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه
وقالت له وحق المسيح ليس الامركذلك وهذا الطعام ليس فيه شيء
من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا
الوقت ثم تقدمت الى المائدة واكلت من كل لون لقمة فعند ذلك
اكل شركان ففرحت الجارية واكلت معه الى ان اكتفيا وغسلا
يديهما وبعد ان غسلا ايديهما قامت وامرت جارية ان تأتي
بالرياحين وآلات الشراب من اواني الذهب والفضة والبلور وان
يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والصفات فاتتها بجميع
ما طلبته ثم ان الجارية ملأت اول قدح وشربته قبله كما فعلت
فى الطعام ثم ملأت ثانيا واعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم
انظر كيف انت فى الذّ عيش ومسرّة ولم تزل تشرب معه وتسقيه
الى ان غاب عن رشده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية مازالت تشرب وتسقي شركان

الى ان غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت للجارية
يا مرجانة هاتي لنا شيئا من آلة الطرب فقالت سمعا وطاعة وغابت
لحظة و اتت بعود جلقي و جنك عجمي وناي تتري وقانون مصري
فاخذت الجارية العود و اصلحته وشدته و غنت عليه بصوت رخيم
ارق من النسيم واعذب من ماء التسنيم من قلب سليم و انشدت
تقول هذه الا بيـــــات

عَفَا اللّهُ عن عَيْنَيكَ كَم سَفَكَتْ دَمًا ۝ وَكَم فَوَّقَتْ مِنكَ اللَّوَاحِظُ اَسْهُمَا
اُجِلُّ حَبِيبًا جَائِرًا فِي حَبِيبِهِ ۝ حَرَامٌ عَلَيْهِ اَنْ يَرِقَّ وَيَرْحَمَا
هَنِيئًا لِطَرْفٍ بَاتَ فِيكَ مُسَهَّدًا ۝ وَطُوبَى لِقَلْبٍ ظَلَّ فِيكَ مُتَيَّمَا
تَحَكَّمْتَ فِي قَتْلِي فَاِنَّكَ مَالِكِي ۝ بِرُوحِي اَفْدِي الْحَاكِمَ الْمُتَحَكِّمَا

ثم قامت كل واحدة من الجواري و معها آلتها تنشد عليها ابياتا
بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن ايضا وقالت
له يا مسلم اما فهمت ما اقول قال لا و لكن ما طربت الا على حسن
انا ملك فضحكت و قالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال
ما كنت املك عقلي فاخذت آلة الطرب فغيرت الضرب وانشدت
تقول شـــعـــرا

طَعْمُ التَّفَرُّقِ مُرٌّ ۝ فَهَلْ لِذٰلِكَ صَبْرُ
تَعَرَّضَتْ لِي ثَلٰثٌ ۝ صَدٌّ وَبُعْدٌ وَهَجْرُ
اَهْوَى ظَرِيفًا سَبَانِي ۝ بِالْحُسْنِ وَالْهَجْرُ مُرٌّ

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدت شركان غاب عن
وجوده و صار مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم افاق و تذكر الغناء

فمال طربا ثم اقبلا على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو الى ان ولى النهار بالرواح وارخى الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال في وداعة الله وحفظه فلما اصبح الصباح اقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتي تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف والمواصل الى ان وصل الى باب كبير وهو من العاج مرصع بالدرر والجواهر فد خلوا منه فوجدوا دارا كبيرة ايضا وفي صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير وبدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على اشجار وانهار وفي البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك في جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه ومسكت يده واجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان ثم قالت له اتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم اعرف شيأ من الاشعار فقالت اسمعني فانشد يقول

هَنِيًّا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ اَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ
فَوَاللّهِ مَا قَارَبْتُ اِلَّا تَبَاعَدَتْ بِصَرْمٍ وَلَا اَكْثَرْتُ اِلَّا اَقَلَّتِ
اِنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ
لَكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ

فلما سمعت منه ذلك قالت لقد كان كثير بين الفصاحة عفيف وبالغ في وصفه لعزة حيث قال وانشدت تقول

لَوْاَنَّ عَزَّةَ حَاكَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لَهَا
وَسَعَى اِلَيَّ بِعَيْبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ جَعَلَ الْاِلٰهُ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا

ثم قالت وقيل ان عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيئا من كلام جميل بُثَيْنَةَ فانشدنا منه فقال نعم انا اعرف به من كل احد ثم انشد يقول من شعر جميل هذه الابيات

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَاَيُّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ اُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ
اِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي مِنَ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
وَاِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي اَعِشْ بِهِ مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
تُرِيدِينَ قَتْلِي لَا تُرِيدِينَ غَيْرَهُ وَلَسْتُ اَرَى قَصْدًا سِوَاكِ اُرِيدُ

فلما سمعت ذلك قالت له احسنت يا ابن الملك واحسن جميل ما الذي ارادته بثينة بجميل حتى قال هذا الشطر اي تريدين قتلي لاتريدين غيره فقال لها شركان يا سيدتي لقد ارادت به ما تريدين مني ولايرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان في مقامه الى ان اصبح الصباح فلما افاق اقبلت عليه الجواري بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له بسم الله تفضل ان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجواري حوله يضربن بالدفوف والآلات الى ان خرج من تلك الدار ودخل الى دار غيرها وهي اعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما راى من صنعة ذلك المكان فانشد يقول

أَجْنى رَقِيبِي مِنْ ثِمَارِ قَلَائِدٍ دُرَّ النُّحُورِ مُنَضَّدًا بِالْعَسْجَدِ
وَعُيُونِ مَاءٍ مِنْ سَبَائِكِ فِضَّةٍ وَخُدُودِ وَرْدٍ فِي وُجُوهِ زَبَرْجَدِ
فَكَأَنَّمَا لَوْنُ الْبَنَفْسَجِ قَدْ حَكَى زُرْقَ الْعُيُونِ وَكُحِّلَتْ بِالْإِثْمِدِ

فلما رأت الجارية شركان قامت له و اخذت بيده واجلسته الى جانبها و قالت له اتحسن شيئا يا ابن الملك عمر بن النعمان في لعب الشطرنج قال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشـــــــــاعر

أَقُولُ وَالْوَجْدُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي وَنَهْلَةٌ مِنْ رُضَابِ الْحُبِّ تُرْوِينِي
حَضَرْتُ شِطْرَنْجَ مَنْ أَهْوَى فَلَاعَبَنِي بِالْبِيضِ وَالسُّودِ لَكِنْ لَيْسَ يُرْضِينِي
كَأَنَّمَا الشَّاهُ عِنْدَ الرُّخِّ مَوْضِعُهُ وَقَدْ تَفَقَّدَ دَسْتًا بِالْفِرَازِينِ
فَإِنْ نَظَرْتُ إِلَى مَعْنَى لَوَاحِظِهَا فَغُنْجُ أَلْحَاظِهَا يَا قَوْمِ يُرْدِينِي

ثم قدمت له الشطرنج و لعبت معه فصار شركان كلما اراد ان ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل و يضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فانك لاتعرف شيئا فقال هذا اول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع و صف القطع و لعب معها فغلبته ثانيا وثالثا و رابعا و خامسا فالتفتت اليه و قالت له انت في كل شيء مغلـــوب فقال ياسيدتي على من لاعب مثلك كيف لايُغلب ثم امرت باحضار الطعام فاكلا وغسلا ايديهما وقدموا لهما الشراب نشربا وبعد ذلك اخذت القانون وكان لها يد في ضرب القانون فانشدت تقول هذه الابـــــــــــيـــــــــات

الدَّهْرُ مَا بَيْنَ مَطْوِيٍّ وَمَبْسُوطِ وَمِثْلُهُ مِثْلُ مَجْرُورٍ وَمَخْرُوطِ
فَاشْرَبْ عَلَى حُسْنِهِ إِنْ كُنْتَ مُقْتَدِرًا أَنْ لَا تُفَارِقَنِي فِي وَجْهِ تَفْرِيطِ

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى ان دخل الليل فكان في ذلك اليوم احسن من اليوم الاول فلما اقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها ولم يبق عنده الا الجواري فالقى نفسه على الارض ونام الى الصباح فاقبلت عليه الجواري على عادتها بالدفوف وآلات الطرب فلما رآها نهض وجلس واخذنه ومشين به الى ان وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة واخذت بيده واجلسته الى جانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء فاخذت العود وانشدت تقول شـــــعـــــر

لَا تَـرْكُنَـنَّ إِلَى الْفِـرَاقِ فَإِنَّـهُ مُـــرُّ الْمَذَاقِ
اَلشَّمْسُ عِنْـدَ غُرُوبِهَـا تَصْفَـرُّ مِنْ اَلَمِ الْفِـرَاقِ

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة ورجال متزاحمين وبطارقة بايديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فايقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه والله لقد عملت هذه الجارية الحيلة وامهلتني الى ان جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن انا الذي قد القيت نفسي في هذا الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من انتم فقال لها البطريق المقدم عليهم ايتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة اما تعرفين من هو الذي عندك قالت له لا اعرفه فمن يكون هذا فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان بن الملك عمر بن النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من السيدة العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلا عن العجوز وها

انت قد نصرت عسكر الروم باخذ هذا الاسد المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه و قالت له ما اسمك قال لها اسمي ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشرده بطريق البطارقة قالت له و كيف دخلت علي بغير اذني فقال لها يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب ما منعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين ايدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء احد غيرنا يتركونه و اقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول و ليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شوكة عسكر الاسلام حتى انه يقتله و يرحل عسكره الى الموضع الذي جاؤا منه من غير ان يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن و لكن قد كذبت الست ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل و هي لا تعلم حقيقته و انا و حق المسيح ان الذي عندي ما هو شركان ولا هو اسير ولكنه رجل اتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فاضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه و ثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروتي اني امكنكم على من دخل تحت ذمامي فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام بل ارجع انت الى الملك ابي و قبل الارض بين يديه و اخبره بان الامر بخلاف ما قالت الست ذات الدواهي فقال البطريق ما سورة يا ابريزة انا ما اقدر ان اعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت و يلك عُدْ له بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ما سورة لا اعود الا به فتغير لونها و قالت له لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا و هو و اثق من نفسه انه يحمل على مائة فارس و حده ولو قلت له انت شركان بن الملك عمر بن النعمان يقول نعم

ولكن لا امكنكم ان تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يعود عنكم الا ان قتل جميع من كان في هذا المكان وهاهو عندي وها انا احضره بين ايديكم وسيفه وحجفته معه فقال لها البطريق ما سورة انا اذا امنت من غضبك لم آمن من غضب ابيك واني اذا رأيته اشير الى البطارقة فياخذونه اسيرا ونمضي به الى الملك حقيرا فلما سمعت منه هذا الكلام قالت له لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل واحد وانتم مائة بطريق فاذا اردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل فيكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا رجل واحد وانتم مائة ولكن ان اردتم مصادمته فاظهروا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق ما سورة وحق المسيح لقد قلتِ الحق ولكن ما يخرج له اولا غيري فقالت الجارية له اصبر حتى اذهب اليه واعرفه بالخطاب وانظر ما عنده من الجواب فان اجاب فهو الصواب وان ابى فلا سبيل لكم اليه واكون انا ومن فى الدير وجواريّ فداه ثم اقبلت على شركان واخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر احدا بأمره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان بروزهم اليّ واحدا بعد واحد اجحاف بهم فهلا يبرزون لي عشرة بعد عشرة فقالت له الجارية هذه

الشطارة ظلم و ان كل و احد لواحد فلما سمع ذلك الكلام و ثب
على قدميه و سار الى ان اقبل عليهم و كان معه سيفه وآلة حربه
فعند ذلك وثب البطريق عليه و حمل عليه فقابله شركان كأنه الاسد
وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من ظهره وامعائه فلما
نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها و عرفت انها حين صرعته
ما صرعته بقوتها بل بحسنها و جمالها ثم ان الجارية اقبلت على البطارقة
و قالت لهم خذوا بثأر صاحبكم فخرج له اخ المقتول وكان جبارا
عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله دون ان ضربه بالسيف على
عاتقه فخرج السيف يلمع من امعائه فعند ذلك نادت الجارية يا عباد
المسيح خذوا بثأر صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد
و شركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية
تنظر اليهم و قد قذف الله الرعب في قلوب من بقي منهم و قد
تأخروا عن البراز فلم يجسروا على البروز اليه بل حملوا عليه
باجمعهم و حمل هو عليهم بقلب اقوى من الحجر الى ان طحنهم
طحن الدراس و سلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية
على جواريها و قالت لهن من بقي في الدير فقلن لها ما بقي
احد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته واخذته بالاحضان وطلع شركان
معها الى القصر بعد فراغه من المعاركة وكان قد بقي منهم قليل
كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت
من عند شركان ثم عادت اليه و عليها زردية ضيقة العيون و بيدها
صارم هندي و قالت و حق المسيح لم ابخل بنفسي عن ضيفي ولا
اتخلى عنه ولو بقي بسبب ذلك معيرة في بلاد الروم فلما
تأملت البطارقة وجدته قتل منهم ثمانين و انهزم منهم

عشرون فلمـا نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فللـه درك ياشركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى و ينشد هذه الابـــــــيـــــــات

وَكَمْ فَرَّقْتُ فِي ٱلْهَيْجَــاءِ جَمْعًا تَرَكْتُ كُمَا تَهُمْ طُعْمَ السِّبَــاعِ
سَلُوا عَنِّي وَعَنْهُمْ فِي نِزَالِي جَمِيعَ ٱلْخَلْقِ فِي يَوْمِ ٱلْقِــرَاعِ
تَرَكْتُ لُيُوثَهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ صَرْعَى عَلَى الرَّمْضَاءِ فِي تِلْكَ ٱلْبِقَــاعِ

فلما فرغ من شعره اقبلت عليه الجارية متبسمة و قبلت يده و قلعت الزرد الذي كان عليها فقال لها يا مـــولاتي لاي شيء لبست هـــذا الزرد و شهرت حسامك قالت حرصا عليك من هـؤلاء اللئـــام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم اصحاب الملك يدخلون منزلي بغير اذني فقالوا لها ايتها الملكة ما جرت العادة اننا نحتاج الى استيذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم اظنكـم ما اردتم الا هتكي و قتل ضيفي ثم امرت شركان ان يضرب رقابهم فضرب رقابهم و قالت لباقي خدامها انهم يستحقون اكثر من ذلك ثم التفتت الى شركان و قالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا فهـــا انا اعلمـك بقصتي اعـلم اني بنت ملك الروم حردوب و اسمي ابريزة والعجـــوز التي تسمى ذات الدواهي جدتي ام ابي وهي التـــي اعلمت ابي بك ولا بد انها تعمـــل حيلة على هلاكي سيمـــا و قد قتلت بطارقة ابي وشاع اني قد انفـــردت و تحزبت مع المسلمين فالرأي السديد انني اترك الاقامة هنـــا ما دامت ذات الدواهي خلفي و لكن اريد منك مثل ما فعلت معك من الجميـــل تفعل معـــي فان العـداوة قد وقعت بيني و بين ابي

من اجلك فلا تترك من كلامي شيئا فان هذا كله ما وقع الا من شانك
فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح و اتسع صدره وانشرح
و قال والله لا يصل اليك احد ما دام في صدري روح و لكن
هل لك صبر على فراق والدك و اهلك قالت نعم فحلفها شركان
و تعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبي و لكن بقي عليك شرط
آخر فقال وما هو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها
ياسيدتي ان ابي عمر بن النعمان ارسلني الى قتال والدك بسبب
المال الذي اخذه و من جملته ثلث خرزات الكبار الكثيرة
البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فها انا احدثك بحديثها وسبب
معاداتنا لملك القسطنطينية و ذلك ان لنا عيدا يقال له عيد الدير
في كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار و بنات الاكابر
و التجار و نساؤهم و يقعدون فيه سبعة ايام و انا من جملتهم
فلما وقعت بيننا المعاداة منعني ابي من حضور ذلك العيد مدة سبع
سنين فاتفق في سنة من السنين ان بنات الا كابر من سائر الجهات
قد جاءت من اماكنها الى الدير في ذلك العيد على العادة و من جملة
من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية و هي بنت جميلة يقال لها
صفية فاقاموا فى الدير ستة ايام و فى اليوم السابع انصرفت الناس
فقالت صفية انا ما ارجع الى القسطنطينية الا فى البحر فجهزوا لها
مركبا و نزلت هي و خواصها فلما حلوا القلوع و ساروا فبينما
هم سائرون و اذا بريح قد خرج عليهم .فاخرج المركب عن طريقه
وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها
خمسمائة افرنجي بالسلاح وكان لهم مدة فى البحر فلما لاح لهم قلع
المركب التي فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين

فما كان دون ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها و حلوا قلوعهم و قصد و اجزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس الريح عليهم فلما انعكس الريح عليهم جذبهم الى شعب و خرق الريح قلوعهم و جرهم الينا غصبا فخرجنا اليهم فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فاخذناهم و قتلناهم فوجدنا تلك الاموال والتحف واربعين جارية و من جملتهم صفية بنت الملك فاخذناهم وقدمنا الجواري الى ابي و نحن ما نعرف ان فيهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار ابي منهن عشر جوار وفيهن ابنة الملك و فرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة جوار فيهن ابنة الملك و ارسلهن هدية الى والدك عمر بن النعمان مع شيٍ من الجوخ ومن ثياب الصوف و من القماش الحرير الرومي وقبله ابوك فاختار من الخمس جوار صفية بنت الملك افريدون فلما كان اول هذا العام كتب ابوها كتابا الى والدي بكلام لاينبغي ذكره وصار يهدده ويوبخه ويقول له انتم ربحتم منا مركبا من منذ سنتين وكانت في يد لصوص من جماعة افرنج حرامية وكانت فيها بنتي صفية و معها من الجواري نحو ستين جارية ولم تعلموني ولم ترسلوا الي احدا يخبرني بذلك وانا لم اقدر اظهر الخبر خوفا ان يكون في حقي عار عند الملوك من اجل هتك ابنتي فكتمت امري الى هذا العام فكاتبت بعض الحرامية من الافرنج وسألتهم خبر ابنتي عند من فى الجزائر من الملوك فقالوا والله ما خرجنا بها من بلادك لكن سمعنا انها اخذها من يد بعض الحرامية ملك حردوب و حكوا له الحكاية ثم قال فى المكتوب الذي كتبه لوالدي ان لم يكن مرادكم معاداتي و قصدكم فضيحتي و هتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا الي ابنتي من عندكم

وان اهملتم كتابي وعصيتم امري فلا بد ان اكافئكم على قبيح
انعالكم وسوء اعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة الى ابي وقرأها
وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف ان صفية
بنت الملك افريدون في تلك الجواري ليردها الى والدها فتحير في امره
وما بقي يمكنه بعد هذه المدة الكبيرة ان يرسل الى الملك عمر
بن النعمان يطلبها منه ولاسيما اننا سمعنا من مدة يسيرة انه
رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك افريدون اولادا
فلما تحققنا ذلك علمنا ان هذه الورقة هي المصيبة العظمى فما كان
لابي حيلة غير انه كتب جوابا للملك افريدون ويعتذر اليه ويحلف له
بالاقسام انه ما علم ان ابنته كانت من جملة الجواري التي كانت
في تلك المركب ثم اظهره على انه ارسلها الى الملك عمر بن النعمان
وانه رزق منها الاولاد فلما وصلت رسالة ابي الى افريدون
ملك القسطنطينية قام وقعد وارغى وازبد وقال كيف انه سبي ابنتي
وصارت بصفة الجواري وتتداولها الايدي وتصل الى الملوك
ويطؤنها بلا عقد فقال وحق المسيح والدين الصحيح ما بقيت اتعد
عن هذا الا ان آخذ الثأر واكشف العار واني لا فعلن فعلا
يتحدثون به المحدثون من بعدي وما زال صابرا الى ان دبر
الحيلة ونصب مكائد عظيمة وارسل رسلا الى والدك عمر بن النعمان
وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى ان والدك جهزك
بالعساكر التي معك من اجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك
ومن معك من عسكرك واما ثلث خرزات التي قال لوالدك
عنها في سالته لم يكن لذلك صحة وانما كانت مع صفية
ابنته واخذها ابي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها

و وهبها لي وهي الآن عندي فاذهب انت الى عسكرك وردهم
قبل ان يستغرقوا ويتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم
في بلادهم يضيقون عليكم الطرق فلم تجدوا لكم خلاصا من ايديهم
الى يوم الجزاء والقصاص وانا اعرف ان الجيوش مقيمون في مكانهم
لانك رسمت لهم بالاقامة ثلثة ايام مع انهم فقدوك في هذه المدة
ولم يعلموا ما ذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام غاب ساعة
و هو متفكر ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذي منّ
عليّ بك و جعلك سببا لسلامتي و سلامة من معي و لكن يعز
عليّ فراقك ولا اعلم ما يجري عليك بعدي فقالت له اذهب انت
الآن الى عسكرك وردهم و ان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم
حتى يظهر لكم الخبر و انتم بالقرب من بلادكم و بعد ثلثة ايام
انا الحقكم وما تدخلون بغدادا الا وكلنا سواء ثم انه لما اراد الانصراف
قالت له والعهد الذي بيني و بينك لاتنساه ثم انها نهضت قائمة
معه لاجل التوديع والعناق و اطفاء نار الاشواق و ودعته و عانقته
و بكت بكاء شديدا و انشدت تقول شعرا

وَدَّعْتُهَا وَيَدِي اليَمِينُ لِأَدْمُعِي وَيَدِي اليَسَارُ لِضَمَّةٍ وَعِنَاقِ
قَالَتْ أَمَا تَخْشَى الفَضِيحَةَ قُلْتُ لَا يَوْمَ الوَدَاعِ فَضِيحَةُ العُشَّاقِ

ثم فارقها شركان و نزل من الدير و قدموا له جواده فركب و خرج
طالبا للجسر فوصل اليه و مر من فوقه و دخل بين تلك الاشجار
فلما تخلص من تلك الاشجار و شق في ذلك المرج و اذا هو بثلثة
فوارس فاخذ لنفسه منهم الحذر و شهر سيفه و انحدر فلما قربوا
منه و نظر بعضهم بعضا عرفوه و نظر اليهم فاذا هو احدهم الوزير

دندان ومعه اميران فلما رأوه وعرفوه ترجلوا له وسلموا عليه
وسأله الوزير عن سبب غيابه فاخبرهم عن جميع ما جرى له
مع الملكة ابريزة من اوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك
ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا
معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما اسرعوا الينا
وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم
ولا زالوا سائرين مجدين في السير الى ان وصلوا الى سطح الوادي
وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم واخبروه بقدوم شركان فجهز اليه
عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من امر الرسل
وملكهم واما ما كان من امر شركان ووزير دندان واميرين
فانهم قد اشرف الاربعة على عسكرهم وصاحوا عليهم ارحلوا ارحلوا
فرحلوا من ساعتهم وساروا اول يوم وثاني يوم وثالث يوم ولازالوا
سائرين الى خمسة ايام ونزلوا في واد كثير الاشجار واستراحوا فيه
مدة وبعد ذلك رحلوا منه ومازالوا سائرين مدة خمسة وعشرين
يوما حتى اشرفوا على اوائل بلادهم فلما وصلوا الى هناك امنوا
على انفسهم ونزلوا لأخذ الراحة فخرج اليهم اهل تلك البلاد
بالضيافات وعليق البهائم والاقامات فاقاموا يومين ورحلوا
طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم في مائة فارس وامّر
الوزير دندان فسار ومعه الجيش فلما كان بعد مسيرهم بيوم عوّل
شركان على السفر فركب وركبت مائة فارس وساروا مقدار
فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا امامهم غبرة
وعجاج فمنعوا خيلهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار
وبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفي الحديد والزرد غواطس

فلما ان قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم و قالوا وحق يوحنا و مريم نحن بلغنا ما امّلناه ونحن خلفكم مجدّون السير ليلا و نهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم و اعطونا اسلحتكم و سلموا لنا انفسكم حتى نجود عليكم بارو احكم فلما سمع شركان ذلك قامت عيناه في ام راسه و احمرّت وجنتاه و قال لِمَ يا كلاب النصارى جسرتم وجئتم الى بلادنا و مشيتم في ارضنا وما كفاكم ذلك حتى انكم تخاطرون بانفسكم و تخاطبون بهذا الخطاب اظننتم انكم تخلصون من ايدينا و تعودون الى بلادكم ثم صاح على مائة فارس الذين معه و قال لهم دونكم و هؤلاء الكلاب فانهم في عددكم ثم سلّ سيفه وحمل عليهم و حملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب اقوى من الصخر و اصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال فى الابطال و التحم القتال واشتد النزال و عظمت الاهوال و قد بطل القيل والقال ولم يزالوا فى الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولى النهار و اقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم البعض و اجتمع شركان باصحابه فلم يجد احدا انصدم منهم غير اربعة انفس بجراحات حصلت لهم لكن رأْها سالمة فقال لهم شركان والله عمري اخوض بحر الحرب العجاج و اقاتل الرجال فما لقيت اصبر على الجلاد و ملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم ايها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا و هو المقدم عليهم له شجاعة و طعنات نافذات غير انه والله عفاعنا كبارا و صغارا وكل من وقع بين يديه يتغافل عنه ولا يقاتله فوالله لوا راد قتلنا لقتلنا جا جمعنا فتحير شركان لما رأى من فعله و سمع عنه ذلك المقال و قال في غداة غد نصطف و نبارزهم فها نحن مائة وهم مائة وانا نطلب

النصر عليهم من رب السماء و باتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق و اما
الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم و قالوا له اننا ما بلغنا اليوم
في هؤلاء اربا فقال لهم في غداة غد نصطف و نبارزهم و احدا
بعد و احد فباتوا على ذلك الاتفاق وتحارس الفريقان الى ان اصبح
الله تعالى بالصباح فركب الملك شركان وركبت معه المائة فارس
واتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان
لاصحابه ان اعداءنا قد عزموا على ما كانوا فيه فدونكم و المبادرة اليهم
فنادى مناد من الافرنج لايكون قتالنا في هذا اليوم الامناوبة بان
يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من اصحاب
شركان وساق بين الصفين و قال هل من مبارز هل من
مناجز لايبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى
برز اليه فارس من الافرنج غريق في سلاحه وقماشه من ذهب وهو
راكب على جواد اشهب وذلك الا فرنجي لانبات بعارضيه فساق
جواده حتى وقف في وسط الميدان واخذ معه فى الضرب والطعان
فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجي بالرمح فنكسه عن جواده
واخذه اسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه ان يخرج الى
الميدان واخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهواخ
الا سير ووقف معه فى الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة
يسيرة ثم كرّ الا فرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكّسه
عن جواده واخذه اسيرا ولازالت المسلمين يخرج منهم واحد ابعد
واحد والا فرنجي يأسرهم الى ان ولى النهار واقبل الليل با لا عتكار
وقد اسروا من المسلمين عشرين فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم
عليه وجمع اصحابه وقال لهم ما هذا الامر الذي حل بنا انا اخرج

في غداة غد الى الميـــدان و اطلب براز المقدم عليهم وانظر من كان السبب في دخوله الى بلادنا واحذره من قتالنـــا فان ابى قاتلنـــاه و ان صالحنا صالحناه و باتوا على هذا الحال الى ان اصبح الله تعالى بالصباح فركبت الطائفتان و اصطفت الفريقان فاراد شركان ان يخرج الى الميدان و اذا بالافرنج قد ترجّل منهم اكثر من نصفهم قدّام فارس منهم و مشوا قدامه الى ان صاروا في وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس و اذا بالفارس المقدم عليهم لابس قباء ازرق من اطلس و وجهه فيه كالبدر اذا اشرق و من فوقه زرديـــة ضيقة العيون و بيده سيـــف مهند و هو راكب على جواد ادهم في وجهـــه غرة كالدرهـــم و ذلك الافرنجي لانبات بعارضيه و لكز جواده حتى صار في وسط الميدان و اشار الى المسلمين وهو يقول بلسان عربي فصيح يا شركان يا ابن عمر بن النعمان يا من ملك الحصون و اخرب البلدان دونك والحرب و القتال وابرز الى من قد ناصفك في الميدان فانت سيد قومك و انا سيد قومي فمن غلب منا صاحبه قامت قومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برزله شركان و قلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الافرنجي فى الميدان و طبق عليه كالاسد الغضبان فتلقى الافرنجي فى الميدان بخبرة و امكان و صدمه صدمة الفرسان واخذا فى الطعن و الضرب و لم يزالا فى كرّ و فرّ واخذ و رد كانهما جبلان اصطدما او بحران التطمـــا و لم يزالا فى قتـــال الى ان ولى النهـــار و اقبل الليل بالاعتكار و انفصل كل منهمـــا من صاحبه و عاد الى قومه فلمـــا اجتمع شركان باصحـــابه قال لهم ما رايت مثل هذا الفارس قط الا اني رأيت منه خصلة لم ارها من

احد غيره و هوا نه اذا لاح له في خصمه مضرب قاتل يقلّب
الرمح ويضربه بعقبه ولكن ما ادري ماذا يكون مني ومنه ومرادي
ان يكون في عسكرنا مثله و مثل اصحابه و بات شركان فلما اصبح
الصباح خرج له الافرنجي و نزل في وسط الميدان و اقبل عليه
شركان ثم اخذا فى القتال و اوسعا فى الحرب و المجال و امتدت
اليهما الاعناق ولم يزالا في حرب وكفاح و طعن بالرماح الى ان
ولى النهار و اقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا و رجعا الى قومهما وصار
كل منهما يحكي لاصحابه ما لاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجي قال
لاصحابه في غد يكون الانفصال و باتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب
الاثنان و حملا على بعضهما ولم يزالا فى الحرب الى نصف النهار
و بعد ذلك عمل الافرنجي حيلة و لكز الجواد ثم جذ به باللجام
فعثر به و رماه فانكبّ عليه شركان و اراد ان يضربه بالسيف خوفا
ان يطول به المطال فصاح به الافرنجي و قال يا شركان ما هكذا
تكون الفرسان انما هذا فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان
من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه و امعن النظر فيه
فوجده الملكة ابريزة التي وقع له معها ما وقع فى الدير فلما عرفها
رمى السيف من يده و قبل الارض بين يديها وقال لها ما حملك
على هذه الفعال قالت له اردت ان اختبرك فى الميدان و انظر
ثباتك في الحرب والطعان و هؤلاء الذين معي كلهم جواريّ وكلهن
بنات ابكار و قد قهرن فرسانك في حومة الميدان ولولا ان جوادي
قد عثر بي لكنتَ ترى قوتي و جلادي فتبسم شركان من قولها
و قال لها الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بك يا ملكة الزمان
ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها و امرتهن ان يرحّلن

بعد ان يطلقن العشرين اسيرا الذين كن اسرنهم من قوم شركان
فامتثلت الجواري امرها ثم انهن قبلن الارض بين يديهما فقال لهن
مثلكن من يكنّ عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه اشار الى اصحابه
ان سلموا عليها فترجلوا جميعا و قبلوا الارض بين يدى الملكة
ابريزة و قد عرفوا القضية ثم ركب مائتا فارس و ساروا فى الليل
والنهار الى مدة ستة ايام و بعد ذلك اقبلوا على الديار فامر شركان
الملكة ابريزة وجواريها ان يتزعن ما عليهن من لباس الافرنج وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان امر الملكة ابريزة و جواريها
ان ينزعن ما عليهن من الثياب و ان يلبسن لبس بنات الروم
ففعلن ذلك ثم انه ارسل جماعة من اصحابه الى بغداد ليعلم والده
عمر بن النعمان بقدومه ويخبره ان صحبته الملكة ابريزة ابنة الملك
حردوب ملك الروم ليرسل لها من يلاقيها ثم انهم نزلوا من ساعتهم
و وقتهم فى المكان الذي وصلوا اليه و نزل شركان و باتوا الى الصباح
فلما اصبح الله تعالى بالصباح ركب شركان هو و من معه و ركبت
ايضا الملكة ابريزة و من معها من الجيش و استقبلوا المدينة و اذا
بالوزير دندان قد اقبل في الف فارس من اجل ملاقاة الملكة ابريزة
هي و شركان و قد خرجوا باشارة الملك عمر بن النعمان الى
ملاقاتهما فلما قربوا منهما توجهوا اليهما و قبلوا الارض بين يديهما
ثم ركبا و ركبوا معهما و ساروا في خدمتهما حتى دخلا المدينة
و طلعا القصر و دخل شركان على والده فقام اليه و اعتنقه و سأله

عن الخبر فاخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف
فارقت مملكتها و فارقت اباها و قال له انها اختارت الرحيل معنا
و القعود عندنا و ان ملك القسطنطينية ارادان يعمل لنا حيلة
من اجل ابنته صفية لان ملك الروم قد اخبره بحكايتها و سبب
اهدائها اليك و ان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك
افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان اهداها اليك
بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولا كان خلاصنا
من هذه الامور الا بسبب هذه الجارية ابريزة وما رأينا اشجع منها
ثم انه شرع يحكي لابيه فيما وقع له منها من اول الامر الى آخره
من امر المصارعة والمبارزة فلما سمع عمر بن النعمان من ولده
شركان ذلك عظمت ابريزة عنده و صار يتمنى انه يراها ثم انه
طلبها ان يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها و قال لها ان الملك
يدعوك فاجابت بالسمع والطاعة فاخذها شركان و اتى بها الى
والده وكان الملك قاعدا على كرسيّه و اخرج من كان عنده
من اهل دولته ولم يبق عنده غير الخدم فدخلت الجارية ابريزة
وقبلت الارض بين يدى الملك عمر بن النعمان و ترجمت بحسن
الكلام فتعجب الملك من فصاحتها و شكرها على ما فعلت مع ولده
شركان و امرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآها
الملك طار عقله من رأسه ثم انه قربها اليه و ادناها و افرد لها
قصرا مختصا بها و بجواريها و رتب لها ولجواريها الرواتب ثم اخذ
يسأ لها على تلك الخرزات الثلث التي تقدم ذكرها فقالت له
هاهي معي يا ملك الزمان ثم انها قامت و مضت الى محلها و فتحت
حوائجها و اخرجت منها علبة و اخرجت من العلبة حقّا من الذهب

وفتحت واخرجت منه تلك الخرزات الثلث وباستها واعطتها للملك وانصرفت فاخذت قلبه معها وبعد انصرافها ارسل الى ولده شركان فحضر فاعطاه خرزة من ثلث خرزات فسأله عن الاثنين الاخريين فقال يا ولدي قد اعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والاخرى لنزهة الزمان اختك فلما سمع شركان ان له اخا يسمى ضوء المكان وماكان يعرف الا اخته نزهة الزمان التفت الى والده وقال له ايها الملك ألك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم اعلمه ان اسمه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سرّه وقال لوالده على بركة الله تعالى ورمى الخرزة من يده ونفض اثوابه فقال له الملك مالي اراك قد تغيرت احوالك لماسمعت هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدي وقد حلفت لك الجيش وعاهدت امراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من ثلث خرزات فاطرق شركان برأسه الى الارض واستحى ان يكافح والده ثم قبل الخرزة وقام وهو لايعلم كيف يصنع من شدة الغيظ ومازال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما اقبل عليها قامت قائمة له وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست واجلسته في جانبها فلما استقربه الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته فاخبرها ان والده رزق من صفية ولدا ذكرا وانثى وسمى الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال لها انه اعطاهما خرزتين ودفع لي واحدة فتركتها وانا الى الآن لم اعلم بذلك الافي هذا الوقت والحال ان لهما ستة سنين فلما علمت ذلك اخذني الغيظ وقد اخبرتك بسبب غيظي ولم اخف عنك شيئا وانا الآن خائف عليك ان يتزوج بك فانه قد احبك ورأيت منه علامة الطمع

فيك فما تقولين اذا اراد ذلك فقالت اعلم يا شركان ان اباك ماله حكم
عليّ ولا يقدر ان يأخذني بغير رضائي و ان كان يأخذني غصبا
قتلت نفسي واما ثلث خرزات فما كان على بالي ان ينعم
على احد من اولاده بشيءٍ منها وما ظننت الا انه يجعلها في
خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهي من احسانك ان تهبني الخرزة التي
اعطاها لك و الدك ان قبلتها منه فقال لها سمعا و طاعة ثم انه
اعطاها اياها فقالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له اني
اخاف ان يسمع ابي اني عندكم فما يقعد عني و يسعى فى طلبي
ويتفق هو والملك افريدون لاجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر
و تكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتي
اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لاتفكري فيهم ولو يجتمع علينا
كل من فى البر والبحر فقالت له ما يكون الا الخير وها انتم ان احسنتم
اليّ قعدت عندكم و ان اسأتم اليّ رحلت من عندكم ثم انها امرت
الجواري باحضار شيءٍ من الاكل فقدمت المائدة فاكل شركان شيئا
يسيرا و مضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من امره و اما
ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان
من عنده قام و دخل على جاريته صفية و معه تلك الخرزتين
فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى ان جلس فاقبل عليه اولاده
ضوء المكان و نزهة الزمان فلما رآهما قبلهما و علق على كل واحد
منهما خرزة ففرحا بهما و قبلا يديه و اقبلا على امهما ففرحت
بهما و دعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك و انت هذه المدة
كلها لاي شيءٍ لم تعلميني انك ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية
لاجل ان ازيد في اكرامك و اوسع لك و ارفع منزلتك

فلمّا سمعت صفية ذلك قالت ايها الملك وماذا اريد اكثر واعلا من هذه المنزلة التي انا فيها وانا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقني الله منك بولدين ذكر وانثى فاعجب الملك عمر بن النعمان كلامها ثم مضى من عندها وافرد لها ولاولادها قصرا عجيبا ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية والاطباء والجرايحية واوصاهم بهم وزاد في اكرامهم واحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والحاكمة بين الناس هذا ماكان له مع صفية واولادها واما ماكان من امره مع الملكة ابريزة فان الملك عمر بن النعمان اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارا مشغوفا بها وفي كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان انا في هذا الوقت مالي غرض في الرجال فلما رأى تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما اعياه ذلك احضر وزيره دندان واطلعه على ما في قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب واخبره انها لا تدخل في طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيئا فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشرب معها شيئا من الخمر فاذا كان وقت الفراغ من الشراب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقيه لها فانها ما تصل الى مرقدها الاوقد تحكم عليها البنج فتدخل انت عليها وتتصل بها وتبلغ غرضك منها وهذا ما عندي من الرأي فقال له الملك نعم ما اشرت به عليّ ثم انه عمد الى خزانته واخرج منها قطعة بنج مكرر لوشمه الفيل لرقد من السنة الى السنة وجعلها في جيبه وصبر الى ان مضى قليل من الليل ودخل على الملكة

ابريزة في قصرها فلما رأته قامت له قائمة فامر لها بالجلوس فجلست
و جلس عندها و صار يتحدث معها في امر الشراب فقدمت سفرة
الشراب و صفّت له الاواني و اوقدت الشموع و امرت باحضار
النقل والحلاوات والفاكهة وكل ما يحتاجون اليه و صارا يشربان
والملك ينادمها الى ان دبّ السكر في رأس الملكة ابريزة فلما علم
الملك ذلك اخرج قطعة البنج من جيبه و جعلها بين اصابعه
و ملأ كاسا بيده و شربه و ملأه ثانيا و قال للملكة ابريزه اُنسك
و اسقط قطعة البنج فى الكأس و هي لا تشعر بذلك فاخذته الملكة
ابريزة و شربته فلما كان دون ساعة علم ان البنج قد تحكم
معها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها و قد كانت
قلعت السراويل من رجليها و رفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما رآها
الملك على تلك الحالة و وجد عند راسها شمعة و عند رجليها
شمعة تضيء على مابين فخذيها حيل بينه و بين عقله و وسوس له
الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله و وقع عليها فازال بكارتها
و قام من فوقها و دخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة
و قال لها ادخلي على سيدتك كلميها فدخلت الجارية على ستها
فوجدت دمها يجري على سيقانها و هي ملقاة على ظهرها فمدت
يدها الى منديل من مناديلها و اصلحت به شان سيدتها و مسحت
عنها الدم و باتت عندها فلما اصبح الله تعالى بالصباح تقدمت الجارية
مرجانة و غسلت وجه سيدتها و يديها و رجليها ثم جاءت بماء الورد
وغسلت به وجهها و فمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة و تثاوبت
وتقايت ذلك البنج فنزلت قطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت
فمها ويديها و قالت لمرجانة اعلميني بما كان من امري فاعادت

عليها ذلک وما كان امرها فعرفت ان الملک عمر بن النعمان قد وقع بها و واصلها و تمت حيلته عليها فاغتمّت لذلک غما شديدا وحجبت نفسها و قالت لجواريها امنعوا كل من اراد ان يدخل عليّ وقولوا له انها ضعيفة حتى انظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلک وصل الخبر الى الملک عمر بن النعمان ان الملكة ابريزة ضعيفة فارسل اليها الاشربة والسكّر والمعاجين و اقامت على ذلک شهورا و هي محجوبة ثم ان الملک قد بردت ناره و انطفأ شوقه منها و صبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرّت عليها اشهر الحمل ظهر حملها وكبرت بطنها و ضاقت الدنيا بها فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي ان القوم ما ظلموني و انما انا الجانية على نفسي حيث فارقت ابي وامى ومملكتى وانا قد كرهت الحياة وانكسرت همتى وما بقي عندى من الهمة ولا من القوة شيء وكنت اذا ركبت جوادي اقدر عليه وانا الآن لا اقدر على الركوب و اني متى ولدت عندهم صرت معيرة عند جواري وكل من فى القصر يعلم انه اخذ و جهي سفاحا وانا اذا رجعت لابي بأيّ وجه القاه وبأيّ وجه ارجع اليه وما احسن قول الشاعر

بِمَ التَّعَلُّل لَا اَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيْمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ

فقالت لها مرجانة الامر امرك و انا في طوعک فقالت اريد الساعة ان اخرج سرّا بحيث لايعلم بي احد غيرک واسافر الى ابي وامى فان اللحم اذا انتن ماله الا اهله و الله يفعل بي مايريد فقالت لها نِعم ما تفعلين ايتها الملكة ثم انها جهزت احوالها وكتمت سرّها وصبرت اياما حتى خرج الملک للصيد و القنص و خرج ولده شركان

الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فاقبلت ابريزة على جاريتها
مرجانة وقالت لها اريد ان اسافر في هذه الليلة و لكن كيف اصنع
في المقادير وقد حسيت بالطلق و الولادة و ان قعدت خمسة ايام
او اربعة وضعت هنا ولم اقدر ان اروح بلادي وهذا ما كان مكتوبا
على جبيني ثم تفكرت ساعة وقالت لمرجانة انظري لنا رجلا نسافر
واياه و يخدمنا في الطريق فاني ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت
مرجانة والله ياسيدتي ما اعرف غير عبد اسود اسمه الغضبان وهو
من عبيد الملك عمر بن النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا وامره
الملك ان يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها انا اخرج اليه و اكلّمه
في هذا الامر و اَعِدُه بشيء من المال و اقول له اذا اردت المقام
عندنا ازوّجك بمن شئت وكان قد ذكرني قبل اليوم انه كان يقطع
الطريق فان هو طاوعنا بلغنا مرادنا و وصلنا الى بلادنا فقالت لها
ناديه عندي حتى احدثه فخرجت له مرجانة و نادت يا غضبان قد
اسعدك الله ان قبلت من سيدتي ماتقوله لك من الكلام و اخذت
بيده واقبلت به عليها فلما رآها قبل يديها فحين رأته نفر قلبها منه
فقالت في نفسها ان الضرورة لها احكام واقبلت عليه تحدثه
وقلبها نافر منه وقالت له يا غضبان هل فيك مساعدة لنا على
غدرات الزمان فاذا اظهرتك على امري تكون كاتما له فلما نظر العبد
اليها ملكت قلبه و عشقها لوقته فلم يمكنه غير انه قال ياسيدتي ان
امرتني بشيءٌ لا اخرج عنه فقالت له اريد منك الساعة ان تأخذني
و تأخذ جاريتي هذه وتشدّلنا راحلتين ورأسَي خيل من خيول الملك
وتجعل على كل فرس خرجا من المال و شيأً من الزاد و ترحل معنا
الى بلادنا وان اقمت عندنا زوجتك بمن تختارها من جواريّ وان طابت

الرجوع الى بلادك زوجناك واعطيناك ماتحب الى بلادك بعدان تاخذ
ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا
وقال ياسيدتي اني اخدمكما بعيوني وامضي معكما واشد لكما الخيل
فمضى وهو فرحان وقال في نفسه قد بلغت ما اريد منهما وان لم تطاوعاني
قتلتهما واخذت ما معهما من المال واضمر ذلك في سره ثم مضى وعاد
ومعه راحلتان وثلث روس من الخيل وهو راكب على احدهم واقبل
على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبت واحدا واركبت مرجانة
واحدا وهي متوجعة من الطلق ولا تمالك نفسها من كثرة
الوجع وما زال مسافرا بهما في عرصة الجبال ليلا ونهارا الى ان
بقي بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت تمسكه
فقالت للغضبان انزلني فقد حاشني الطلق وصاحت لمرجانة انزلي
واقعدي تحتي وولديني فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها
ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة
ابريزة من فوق الجواد وهي غائبة عن الدنيا من شدة الطلق
وحين رأها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان في وجه
الغضبان فشهر حسامه في وجهها وقال ياسيدتي ارحميني بوصلك
فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقي عليّ الا العبيد
السودان بعد ما كنت لا ارضى بالملوك الصناديد وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذي هو
الغضبان ما بقي علي الا العبيد السودان بعد ما كنت لا ارضي بالملوك

الصناديد و اغتاظت منه و قالت له ويلك ما هذا الكلام الذي تقوله لي و يلك لا تتفوه بشيء من هذا في حضرتي و اعلم انني لا ارضى بشيء مما قلته ولو سقيت كاس الردى ولكن اصبر حتى اصلح شان الجنين و اصلح شاني و ارمى الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت عليّ افعل بي ما تريد وان لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فاني اقتل نفسي بيدي وافارق الدنيا وارتاح من هذا كله وانشدت تقول

أَيَا غَضْبَانُ دَعْنِي قَدْ كَفَانِي ۝ مُكَابَدَةُ الحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
عَنِ الفَحْشَاءِ رَبِّي قَدْ نَهَانِي ۝ وَقَالَ النَّارُ مَثْوَى مَنْ عَصَانِي
وَإِنِّي لَا أَمِيلُ لِفِعْلِ سُوءٍ ۝ بِعَيْنِ النَّقْصِ دَعْنِي لَا تَرَانِي
وَلَوْ لَمْ تَتْرُكِ الفَحْشَاءَ عَنِّي ۝ وَتَرْعَى حُرْمَتِي فِي مَنْ رَعَانِي
لَأَصْرُخُ طَاقَتِي لِرِجَالِ قَوْمِي ۝ وَأَجْلِبُ كُلَّ قَاصِيهَا وَدَانِي
وَلَوْ قُطِّعْتُ بِالسَّيْفِ اليَمَانِي ۝ لَمَا خَلَّيْتُ فَحَّاشًا يَرَانِي
مِنَ الأَحْرَارِ وَالكُبَرَاءِ طُرًّا ۝ فَكَيْفَ العَبْدُ مِنْ نَسْلِ الزَّوَانِي

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا و احمرت عيناه و اغبرت سحنته و انتفخت مناخره و استدلت مشافره وزادت به النفرات وانشد يقول هذه الابيـــــات

أَيَا أَبْرِيزَةُ لَا تَتْرُكِينِي ۝ قَتِيلُ هَوَاكِ بِاللَّحْظِ اليَمَانِي
فَقَلْبِي قَدْ تَقَطَّعَ مِنْ جَفَاكِ ۝ وَجِسْمِي نَاحِلٌ وَالصَّبْرُ فَانِ
وَطَرْفُكِ قَدْ سَبَى الأَلْبَابَ سِحْرًا ۝ وَعَقْلِي نَازِحٌ وَالشَّوْقُ دَانِ
وَلَوْ أَجْلَبْتِ مِلْأَ الأَرْضِ جَيْشًا ۝ لَأَبْلُغُ مَأْرَبِي فِي ذَا الزَّمَانِ

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا و قالت له ويلك يا غضبان

وهل بلغ من قدرك ان تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنى اتحسب ان الناس كلهم سواء فلما سمع العبد النحس ذلك منها غضب واحمرت عيناه وتقدم اليها وضربها بالسيف في ورائدها فقتلها وساق جوادها بعد ان اخذ من المال ونجا بنفسه فى الجبال هذا ماكان من امر الغضبان واما ما كان من امر الملكة ابريزة فانها ولدت ولدا ذكرا مثل القمر فاخذته مرجانة واصلحت شانه وجعلته الى جنب امه فاخذ ثديها وهي ميتة وصرخت صرخة عظيمة وشقت اثوابها وحثت التراب على رأسها ولطمت على خديها حتى خرج الدم من وجهها وقالت واسناه واخيبتاه قتلتِ من يد عبدا سود لاقيمة له بعد فر وسيتكِ ولم تزل تبكي واذا بغبار قد طلع وسد الاقطار فانكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وكان هذا العسكر عسكر الملك حردوب والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع ان ابنته هربت هى وجواريها من بغداد وهي عند الملك عمر بن النعمان خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر بن النعمان فلما خرج وبعد عن بلدته مسيرة يوم واحد رأى ثلث فرسان من بعيد فقصدهم ليسأ لهم من اين اتوا ويعلم خبر ابنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلثة ابنته وجاريتها والعبد الغضبان فقصدهم ليسأ لهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها ونجا بنفسه فلما اقبلوا عليهم رآها ابوها انها قتلت وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع فى الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وفى الحال ضربوا الخيام فى الجبال ونصبوا قبة ومدورة للملك حردوب ووقف ارباب الدولة بظاهر تلك الخيمة فلما رأت مرجانة

سيدها عرفته وزادت فى البكاء فلما افاق الملك من غشيته وسالها
عن الخبر فاخبرته بالقصـة وقالت له ان الذى قتل ابنتك عبد
اسود من عبيد عمربن النعمـان واخبرته بما فعله الملك عمر بن
النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك اسودت الدنيـا
في وجهـه وبكى بكاء شديدا ثم امر باحضار محفة وحمـل
ابنته فيها ومضى الي قيسارية وادخلوها القصر ثم ان الملك
حردوب دخل علي امه ذات الدواهي وقال لها اهكذا تفعل
المسلمون ببنتي فان الملك عمربن النعمان ياخذ وجهها قهرا
وبعد ذلك يقتلها عبد اسود من عبيده فوحق المسيح لابد من
اخذنا ثأربنتي منه وكشف العارعن عرضي والاقتلت نفسي بيدي
ثم بكى بكاء شديدا فقالت له امه ذات الدواهي ماقتل ابنتك الامرجانة
لانها كانت تكرههـا فى الباطن ثم قالت لولدها لاتحـزن من جهة
اخذ ثأرها فوحق المسيح لا ارجع عن الملك عمربن النعمان حتي
اقتله واقتل اولاده ولا عملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال
ويتحدث به المحـدثون في جميع الاقطار وفي كل مكان ولكن ينبغي
لك ان تمتثل امري في كل ما اقوله فمن نوى علي مايريد يبلغ
مايريد فقال لها وحق المسيح لا اخالفك ابدا فيما تقولينه قالت له
ائتني بجـوار نهد ابكار وائتني بحكماء الزمان ودعهم يعلمونهن
الحكمة والادب مع الملوك والمنادمة والاشعار ويتكلمون معهن
بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين حتي يعلموهن اخبار
العرب وتواريخ الخلفاء واخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو اقمنا
علي ذلك اربعة اعوام لبلغنا المرام فطوّل روحك واصبر فان بعض
الاعراب يقول ان اخذ الثأر بعد اربعين عاما قليل ونحن اذا علّمنا

تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لانه ممتحن بحب الجواري وعنده ثلثمائة وست وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة بنتك فاذا تعلمت الجواري ما قلت لك عليه اخذتهن بعد ذلك و اسافر بهن فلما سمع الملك حردوب كلام امه ذات الدواهي فرح وقام وقبل رأسها ثم ارسل من وقته و ساعته المسافرين والقصاد الى اطرف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا امره و سافروا الى بلاد بعيدة واتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه اكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا علموا الجواري ثم احضر لهم الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب اكرمهم اكراما زائدا واحضر الجواري بين ايديهم واوصاهم بالتعليم والحكمة والادب فامتثلوا امره هذا ما كان من امر الملك حردوب واما ما كان من امر الملك عمر بن النعمان فانه لما عاد من الصيد و القنص و طلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره احد عنها ولم يعلمه احد بذلك فعظم عليه ذلك وقال كيف يكون ان جارية تخرج من القصر و لم يعلم بها احد فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما عدت اخرج الى الصيد و القنص حتى ارسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما

هو كذلك واذا بولده شركان قد اتى من السفر فاعلمه والده بذلك واخبره انها هربت وهو فى الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد اولاده كل يوم ويكرمهم وكان الملك عمر بن النعمان قد احضر العلماء والحكماء ليعلموا العلم لاولاده ورتب لهم الرواتب فلما رأى ذلك شركان غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى ان ظهر اثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالي اراك تزداد ضعفا في جسمك وصفارا في لونك فقال له شركان يا والدي كلما رأيتك تقرّب اخوتي وتحسن اليهم يحصل عندي حسد واخاف ان يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني انت بسببهم اذا انا قتلتهم فمرضُ جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن انا اشتهي من احسانك ان تعطيني قلعة فى الخارج من القلاع اقيم بها بقية عمري فان صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي احسن لي واجمل عين لا تنظر وقلب لا يحزن واطرق براسه الى الارض فلما سمع الملك عمر بن النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التقصير فاخذ بخاطره وقال له يا ولدي اني اجيبك لذلك وانا ما في ملكي اكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها لك من هذا الوقت واحضر الموقّعين فى الوقت والساعة وامرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه واخذ معه الوزير دندان واوصاه ابوه بالمملكة والسياسة وقلده اموره والاقامة عنده وودعه ابوه وودعته الامراء واكابر الدولة ثم سار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له اهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه اهل الميمنة ميمنة والميسرة ميسرة هذا ما كان من امر شركان

واما ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانه بعد سفر ولده شركان اقبل عليه الحكماء وقالوا له يا مولانا ان اولادك تعلموا العلم وكملوا الحكمة والادب والحشمة فعند ذلك فرح الملك فرحا شديدا وانعم على الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر اربع عشرة سنة وطلع مشتغلا بالديانة والعبادة محبا للفقراء واهل العلم والقرآن وصار اهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى ان طاف ببغداد محمل العراق من اجل الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده وقال له اني اتيت اليك لا ستأذنك في ان احج فمنعه من ذلك وقال له اصبر الى العام القابل امضي انا واياك فلما رأى الامر يطول عليه دخل على اخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلي فلما قضت الصلوة قال لها اني قد قتلني الشوق للحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلوة والسلام واستأذنت والدي فمنعني من ذلك فالمقصود ان آخذ شيأ من المال واخرج الى الحج سرّا ولم اعلّم ابي بذلك فقالت له اخته بالله عليك الا ما اصحبتني معك ولا تحرمني من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جنّ الظلام فاخرجي من هذا المكان ولا تعلمي احدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان واخذت شيأ من المال ولبست لبس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ولا زالت ماشية الى باب القصر فوجدت اخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب واركبها وسارا فى الليل واختلطا بالحج ومشيا الى ان صارا في وسط الحج العراقي وما زالا سائرين وكتب الله لهما السلامة الى ان دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك

الحج ثم اتيا لزيارة قبر النبي صلى الله عليه و سلم فزاراه و بعد ذلك
ارادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهم فقال ضوء المكان لاخته
يا اختي في خاطري زيارة بيت المقدس و الخليل ابراهيم عليه
السلام فقالت له و انا كذلك و اتفقا على ذلك فخرج
و اكترى له و لها مع المقادسة و جهزا حالهما و توجها
مع الركب ففي تلك الليلة حصلت لاخته حمى باردة فتشوشت
ثم شفت و تشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه و لم يزالا سائرين
الى ان دخلا بيت المقدس و اشتد المرض على ضوء المكان و زاد
معه الضعف فنزلا في خان هناك و اكتريا لهما مخزنا فنزلا فيه
و لم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى انحلّه
وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان و قالت
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا حكم الله
فعند ذلك قعدت هي و اخوها في ذلك المكان و قد زاد به الضعف
و هي تخدمه و تنفق عليه و على نفسها فنفد ما معها
من المال و افتقرت حتى لم يبق معها ولا درهم فارسلت صبي الخان
الى السوق بشيٍ من قماشها فباعه و انفقته على اخيها ثم باعت شياً
آخر و لم تزل تبيع من امتعتها شياً فشياً حتى لم يبق لها الا حصيرا
مقطعة فبكت و قالت لله الامر من قبلُ ومن بعدُ فقال لها اخوها
يا اختي اني قد حسست بالعافية و في خاطري شيء من اللحم المشوي
فقالت له اخته والله يا اخي انا مالي وجه للشحاذة و لكن غدا ادخل
بيت احد من الاكابر و اخدم فيه و اعمل بشيٍ نقتات به انا وانت
ثم تفكرت ساعة و قالت له اني لا يهون عليّ ان افارقك و انت
في هذه الحالة و لكن اروح قهرا عني فقال لها اخوها ابَعدَ العز

تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله ثم بكى و بكت و قالت له
يا اخي نحن غرباء و تعدنا هنا سنة كاملة ما دق علينا احد الباب
فهل نموت من الجوع فليس عندي من الرأي الا اني
اخرج و اخدم و آتيك بشيءٍ نقتات به الى ان تبرأ من
مرضك ثم نسافر الى بلادنا و مكثت تبكي ساعة و هو يبكي و هو
متكئ ثم قامت نزهة الزمان و غطت رأسها بقطعة عباءة كانت
من ثياب الجماليين و كان صاحبها نسيها عندهما و قبلت رأس
اخيها و اعتنقته و خرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم اين
تمضي و ما زالت سائرة و اخوها ينتظرها الى ان قرب وقت العشاء
و لم تأت فمكث اخوها ينتظرها الى ان طلع النهار فلم تعد اليه
ولم يزل على هذا الحال يومين فعظم ذلك عنده و ارتجف قلبه
عليها و اشتد به الجوع فخرج من المخزن و صاح لصبي الخان
و قال له اريد ان تحملني الى السوق فحمله و القاه في السوق فاجتمع عليه
اهل القدس و بكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة فاشار اليهم يطلب
شيئاً يأكله فجاؤا له من بعض التجار الذين في السوق ببعض
دراهم واشتروا له شيئاً واطعموه اياه ثم حملوه و وضعوه على دكان
و فرشوا له قطعة برش و وضعوا عند راسه ابريقا فلما اقبل الليل انصرف
عنه كل الناس و حملوا همه فلما كان نصف الليل تذكر اخته فازداد به
الضعف و امتنع من الاكل و الشرب وغاب عن الوجود فقام اهل
السوق واخذوا له من التجار ثلثين دراهم فضة و اكتروا له جملا
و قالوا للجمال احمل هذا و اوصله الى دمشق وادخله المارستان
لعلّه يبرأ ويطيب فقال لهم على الرأس ثم قال الجمال في نفسه كيف امضي
بهذا المريض وهو مشرف على الموت فخرج به الى مكان و اختفى به

الى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ومضى الى حال سبيله فلما اصبح الصباح طلع وقّاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال في نفسه لاىّ شيء مايرمون هذا الميت الاهنا ورفصه برجله فتحرك فقال له الوقّاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي روحه في اي موضع كان ثم نظر في وجهه فرآه لانبات بعارضيه وهو ذوبهاء وجمال فاخذته الرأفة عليه وعرف انه مريض وغريب فقال لاحول ولاقوة الا بالله اني دخلت في خطيئة هذا الصبي وقد اوصى النبي صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لا سيما اذا كان الغريب مريضا فحمله واتى به الى منزله ودخل به على زوجته وامرها ان تخدمه وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له به يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق واتى له بشيء من ماء الورد والسكر ورشّ ماء الورد على وجهه وسقاه السكر واخرج له قميصا نظيفا والبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبي اللهم اني اسألك بسرّك المكنون ان تجعل سلامة هذا الشاب على يدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد قال اللهم اني اسألك بسرّك المكنون ان تجعل حيوة هذا الصبي على يدي وما زال الوقاد يتعهده ثلثة ايام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت الصحة في جسمه ففتح ضوء المكان

عينيه فدخل الوقاد عليه فرآه جالسا و عليه آثار النشط فقال له ما
حالك يا ولدي في هذا الوقت فقال الحمد لله فاني بخير و عافية
ان شا و الله تعالى في هذا الوقت فحمد الوقاد المولى على ذلك
ونهض الى السوق واشترى له عشرة فراريج واتى بهم الى زوجته
وقال لها اذ بحي له في كل يوم اثنين باكر النهار و احدا و آخر
النهار واحدا فقامت وذبحت له فروجا و سلقته واتت به اليه
واطعمته اياه واسقته مرقته فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء حارا فغسل
يديه واتكأ على الوسادة وغطته بملاءة فنام الى العصر فقامت
وسلقت له فروجا آخر واتت به له وفسخته وقالت له كل يا ولدي
فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه ثم انه جلس
عند رأسه وقال له ما حالك يا ولدي الآن فقال الحمد لله على
العافية جزاك الله عني خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج واتى له
بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل في الحمام
كل يوم بخمسة دراهم فيشتري له كل يوم بدرهم سكرا و ماء الورد
و شراب البنفسج وماء الخلاف ويشتري له بدرهم فراريج وما زال
يلاطفه الى ان مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار
المرض وقد توجهت له العافية ففرح الوقاد وزوجته بعافية ضوء
المكان فقال له الوقاد يا ولدي هل لك ان تدخل معي الحمام
قال نعم فمضى الى السوق واتى له بمكارى واركبه على حمار وجعل
يسنده الى ان وصل معه الى الحمام فاجلسه وادخل الحمار الى
المستوقد ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء
المكان ياسيدي بسم الله ادخل اغسل لك جسدك فدخل هو واياه الى
داخل الحمام واخذ الوقاد يحكّ لضوء المكان رجليه وشرع يغسل

له جسده بالسدر والدقاق واذا ببلّان قد ارسله معلم الحمام
الى ضوء المكان فوجد الوقاد يغسله ويحكّ رجليه فتقدم اليه البلان
وقال له هذا نقص في حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم
غمرنا باحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو
والوقاد وبعد ذلك اتى به الوقاد الى منزله والبسه قميصا رفيعا وثوبا
من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا ولف له شد على رقبته
وكانت زوجة الوقاد ذبحت له فروجين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس
على الفراش قام الوقاد واذاب له السكر في ماء الخلاف وسقاه ثم قدم له
السفرة وصار الوقاد يفسخ له من تلك الفراريج ويطعمه ويسقيه من
المسلوقة الى ان اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية وقال
للوقاد انت الذي منّ الله تعالى عليّ بك وجعل سلامتي على
يديك فقال له الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك
الى هذه المدينة ومن اين انت فاني ارى على وجهك آثار النعمة
فقال له ضوء المكان قل لي انت كيف وقعت بي حتى اخبرك
بحديثي فقال له الوقاد اما انا فاني لما توجهت الى اشغالي وجدتك
مرميا على القمامة قريب الصبح على باب المستوقد ولم اعرف
من رماك فاخذتك عندي وهذه حكايتي فقال ضوء المكان سبحان
من يحيي العظام وهي رميم انك يا اخي ما فعلت الجميل الامع
اهله وستجني ثمرة ذلك ثم انه قال للوقاد وانا الآن في ايّ البلاد فقال له
انت في مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وانتكر
فراق اخته وبكى وباح بسره للوقاد وحكى له حكايته وانشد يقـــــول

هُمْ حَمَّلُونِي فِى الهَوى غَيْرَ طَاقَتِي ۞ وَمِنْ اَجْلِهِمْ قَامَتْ عَلَيَّ قِيَامَتِي
اَلَا فَارْفُقُوا يَاهَا جِرُونَ بِمُهْجَتِي ۞ فَقَدْ رَقَّ لِي مِنْ بَعْدِكُمْ كُلُّ شَامِتِ

وَلَا تَبْخَلُوا اَنْ تَسْمَحُوا لِي بِنَظْرَةٍ   تُخَفِّفُ اَحْوَالِي وَفَرْطَ صَبَابَتِي
سَاَلْتُ فُؤَادِي الصَّبْرَ عَنْكُمْ فَقَالَ لِي   اِلَيْكَ فَاِنَّ الصَّبْرَ مِنْ غَيْرِ عَادَتِي

ثم زاد في بكائه فقال له الوقاد لاتبك واحمد الله تعالى على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة ايام فقال ضوء المكان هل لك ان ترسلني اليها فقال له الوقاد ياسيدي كيف ادعك تروح وحدك وانت شاب صغير وغريب فان شئت السفر الى دمشق فانا الذي اروح معك وان سمعتْ واطاعتني زوجتي مني وسافرت معي اقمت هناك فانه لايهون عليّ فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك ان تسافري معي الى دمشق الشام اوتكوني مقيمة هنا حتى اوصل سيدي هذا الى دمشق الشام واعود اليك فانه يطلب دمشق الشام فانني والله لايهون عليّ فراقه واخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته اسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة وتم الامر ثم ان الوقاد قام وباع امتعته وامتعة زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد وزوجته اتفقا مع ضوء المكان على انهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع امتعته وامتعة زوجته واشترى جملا ثم اكترى حمارا واركب ضوء المكان اياه وسافروا ومازالوا مسافرين ستة ايام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأً من الاكل والشرب على العادة وما زالوا على ذلك الحال خمسة ايام فبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد اياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى

فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه فلما ماتت حزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لاتحزن فاننا كلنا داخلون من هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا يا ولدى فالله تعالى يعوض علينا بفضله و يزيل عنا الحزن فهل لك يا ولدي ان تخرج بنا و نتفرج في دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان و سارا الى ان اتيا تحت اصطبل والي دمشق فوجدا جمالا محملين صناديق و فرشا و قماشا من الديباج و جنائب مسرجة و بخاتي وعبيدا ومماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان ياترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة وسأل من بعض الخدام وقال لمن هذه التقدمة فقال له المسئول هذه هدية من امير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر بن النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وانشد يقول

أَيُّهَا الْغَائِبِينَ عَنْ جَفْنِ عَيْنِي ... وَهُمْ فِى الْفُؤَادِ مِنِّي حُلُولُ
غَابَ عَنِّي جَمَالُكُمْ فَحَيَاتِي ... لَيْسَ تَحْلُو وَلَا اشْتِيَاقِي يَحُولُ
إِنْ قَضَى اللّٰهُ بِاجْتِمَاعِي عَلَيْكُمْ ... أَذْكُرِ الْوَجْدَ فِي حَدِيثٍ يَطُولُ

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد ياولدي نحن ما صدقنا انك جاوتك العافية فطب نفسا ولاتبك فاني اخاف عليك من النكسة و مازال يلاطفه ويمازحه و ضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته ويرسل العبرات

ثم انشد هذه الابيات

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ ‌ ‌ وَاعْلَمْ بِاَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ
نَعِيمُكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ ‌ ‌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
اَلَا اِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ ‌ ‌ اَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلُ

ثم جعل ضوء المكان يبكي وينتحب على غربته والوقاد يبكي على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان الى ان اصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا استطيع ان اقيم هنا واستودعك الله فاني مسافر مع هؤلاء القوم وامشي معهم قليلا قليلا الى ان اصل الى بلادي فقال له الوقاد وانا معك فاني لا اقدران افارقك وانا عملت معك حسنة واريد ان اتممها بخدمتي لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عني خيرا ففرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى له حمارا آخر وباع الجمل وعبى زاده وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار في السفر فاذا تعبت من الركوب انزل وامش فقال ضوء المكان بارك الله فيك واعانني على مكافأتك فانك فعلت معي من الخير ما لا يفعله احد مع اخيه ثم صبر الى ان جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من امر ضوء المكان والوقاد واما ما كان من امر اخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذي كانا فيه في القدس بعدان التفّت بالعباءة وخرجت لاجل ان تخدم احدا وتشتري لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي فخرجت تبكي وهي لا تعلم اين تتوجه وكان خاطرها مشغولا عند اخيها وتفكرت الاهل

والا وطـان فصارت تتضرع الى الله تعـالى في دفع هذه البليات وانشدت تقول شعـــــــــــرا

جَنَّ الظَّلَامُ وَهَاجَ الْوَجْدُ بِالسَّقَمِ — وَالشَّوقُ حَرَّكَ مَا عِنْدِي مِنَ الْاَلَمِ
وَلَوْعَةُ الْبَيْنِ فِي الْاَحْشَاءِ قَدْ سَكَنَتْ — وَالْوَجْدُ صَيَّرَنِي فِي حَالَةِ الْعَدَمِ
وَالْوَجْدُ اَقْلَقَنِي وَالشَّوْقُ اَحْرَقَنِي — وَالدَّمعُ بَاحَ بِمَا قَدْ كَانَ مُكْتَتِمِ
وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي الْوَصْلِ اَعْرِفُهَا — حَتَّى تُزَحْزِحَ مِنْ ضَعْفِي وَمِنْ سَقَمِي
فَنَارُ قَلْبِي بِالْاَشْوَاقِ مُوْقَدَةٌ — وَمِنْ لَظَاهَا يَظَلُّ الصَّبُّ فِي نِقَمِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى مَا حَلَّ بِي وَكَفَى — اِنِّي صَبَرْتُ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ
اَقْسَمْتُ بِالْحُبِّ مَا لِي سَلْوَةٌ اَبَدًا — يَمِينَ اَهْلِ الْهَوَى مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ
يَا لَيْلُ بَلِّغْ رُوَاةَ الْحُبِّ عَنْ خَبَرِي — وَاشْهَدْ بِعِلْمِكَ اَنِّي فِيكَ لَمْ اَنَمِ

ثم ان نزهة الزمان اخت ضوء المكان بكت وصارت تمشي و تلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو و معه خمسة نفر من العرب فالتفت ذلك الشيخ الى نزهة الزمان فرآها جميلة و على رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال في نفسه ان هذه جميلة تدهش العقل ولكنها ذات قشف فان كانت من اهل هذه المدينة او كانت غريبة فلا بد لي منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها في الطريق في مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها و قال لها يا بُنيّة هل انت حرة او مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه و قالت له بحياتك لا تجدد عليّ الاحزان فقال لها اني رزقت ست بنات مات لي منهن خمسة وبقيت واحدة و هي اصغرهن واتيت اليك لأسالك هل انت من اهل هذه المدينة اوغريبة لاجل ان آخذك و اجعلك عندها لتؤانسيها فتشتغل بك عن

الاحزان على اخواتها فان لم يكن لك احد جعلتك مثل واحدة منهن و تصيرين مثل اولادي فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت في سرها عسى ان آمن على نفسي عند هذا الشيخ ثم اطرقت براسها من الحياء فقالت يا عم انا بنت عرب غريبة ولي اخ ضعيف فانا امضي معك الى بنتك بشرط ان اكون عندها بالنهار و بالليل امضي الى اخي فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لاني غريبة وكنت عزيزة في قومي فاصبحت ذليلة حقيرة و جئت انا واخي من بلاد الحجاز واخاف ان اخي لايعرف لي مكانا فلما سمع البدوي كلامها قال في نفسه والله اني فزت بمطلوبي ثم التفت اليها و قال لها مابقي عندي اعز منك ولا اريدك الا لتؤانسي بنتي نهارا وتمضي الى اخيك من اول الليل و ان شئت فانقليه الى عندنا ولم يزل البدوي يطيب قلبها و يلين لها الكلام الى ان لانت له و وافقته على الخدمة و مشى قدامها وتبعته فغمز من معه فسبقوه و هيأوا الهجان و حملوا عليها الاحمال و وضعوا فوقها الماء والزاد حتى اذا وصل اليهم سيروا بالجمال و سافروا وكان البدوي ابن زناء قاطع الطريق و خائن الرفيق و حراميا صاحب مكر وحيل لا عنده بنت ولا ولد و ما كان الاعابر طريق فوقع بهذه المسكينة لامر قدره الله ولا زال البدوي يحدثها في الطريق الى ان خرج من مدينة القدس الى ظاهرها و اجتمع برفقته فوجدهم قد جهزوا الهجان فركب البدوي جملا و اردفها خلفه و ساروا الليل كله فعرفت نزهة الزمان ان كلامه حيلة عليها وان البدوي غرها فصارت تبكي وتصرخ طول الليل و هم مسافرون في الطريق قاصدين الجبال خوفا ان يراهم احد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الهجان و تقدم البدوي الى نزهة

الـــزمان و قال لهـــا يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تسكتي من البكاء ضربتك الى ان تهلكي يا كورة حضرية فلمـا سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة و تمنت المـوت فالتفتت اليه و قالت له يا شيخ النحس يا شيبة جهنم كيف استأمنتك و انت غدرتني و تريد تعذبني فلمـــا سمع البدوي كلامهـــا قال لها يا كورة الك لســـان تجا و بينني به وقام اليها و معه سوط فضربها و قال ان لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت اخاها وما كانت فيه من النعمة فبكت سرّا ثم في ثاني يوم التفتت الى البـــدوي و قالت له كيف تعمل عليّ هذه الحيلة حتى اتيت بي الى هذه الجبال القفـرة و ما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا كورة النحس الك لسان تجا وبينني به واخذ السوط ونزل به على ظهرها الى ان غشي عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطوري ان رأيتك اوسمعتك تبكين قطعت لسانك ودسّته في كسك يا كورة حضرية فعند ذلك سكتت و لم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرا فيصها و جعلت رأسها في طوقها و نظـرت الى حالها و ذلها بعد عزها وما حل بها من الضرب وتفكرت في حال اخيها و في مرضه و وحدته و اغتـــراب ابهمـــا و ارسلت دموعهـــا على وجناتها و بكت سرا و انشدت تقـــــــــــــــــــــــول

مِنْ عَادَةِ الدَّهْرِ إِدْبَارٌ وَإِقْبَالُ ... فَمَا يَدُومُ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى حَالُ

وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا لَهُ أَجَلٌ ... وَتَنْقَضِي لِجَمِيعِ النَّاسِ آجَالُ

كَمْ أَحْمِلُ الضَّيْمَ وَالأَهْوَالَ يَا أَسَفِي ... مِنْ عِيشَةٍ كُلُّهَا ضَيْمٌ وَأَهْوَالُ

لَا أَسْعَدَ اللّٰهُ أَيَّامًا عُزِزْتُ بِهَا ... دَهْرًا وَفِي طَيِّ ذَاكَ الْعِزِّ إِذْلَالُ

قَدْ خَابَ قَصْدِي وَآمَالِي بِهَا انْصَرَمَتْ وَقَدْ تَقَطَّعَ بِالتَّغْرِيبِ أَوْصَالُ
يَا مَنْ يَمُرُّ عَلَى دَارٍ بِهَا سَكَنِي بَلِّغْهُ عَنِّي إِنَّ الدَّمْعَ هَطَّالُ

فلما فرغت من شعرها قام اليها البدوي و عطف عليها ورثى لها ومسح دموعها واعطاها قرص شعير وقال لها انا لا احب من يبكي و بني في وقت الغيظ وانت بعد ذلك لاتبكي وبينني بشيء من هذا الكلام الفاحش و انا ابيعك لرجل طيب مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل و احرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل امرهم البدوي ان يسافروا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البدوي لما اعطى نزهة الزمان القرص الشعير و وعدها ان يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما فعلت فلما انتصف الليل و احرقها الجوع اكلت من القرص الشعير يسيرا ثم ان البدوي امر جماعته ان يسافروا فحملوا الجمال و ركب البدوي جملا و اردف نزهة الزمان خلفه و ساروا وما زالوا سائرين مدة ثلثة ايام فبعد ثلثة ايام دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب النائب و نزهة الزمان قد تغير لونها من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من اجل ذلك فاقبل عليها البدوي و قال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا ابيعك الا ليهـــودي ثم انه قام و اخذ بيدها و ادخلها في مكان و تمشى الى السوق و مر على التجار الذين يتجرون في الجواري و صار يكلمهم ويقول

لهم عندي جارية اتيت بها معي واخوها ضعيف فارسلته الى اهلي
لبلاد القدس لاجل ان يداووه الى ان يبرأ وتصديان ابيعها ومن
يوم ضعف اخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه و اريدان الذي
يحب ان يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها ان اخاك عندي
فى القدس ضعيف وانا ارخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار
وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن
و جمال ومن حين ارسلت اخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت
محاسنها وانقلبت بسيمتها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي
و قال له اعلم ياشيخ العرب اني اروح معك واشتري منك الجارية
التي تمدحها وتشكر فيها وفي عقلها وادبها وحسنها وجمالها واعطيك
ثمنها واشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها و ان
لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوي ان شئت فاطلع بها الى
السلطان واشرط عليّ ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى الملك
شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد و ارض خراسان
فربما تليق بعقله يعطيك ثمنها و يكثر لك الربح فيها فقال له
التاجر وانا لي عنده حاجة وهوان يكتب لي تحليل فى الديوان بان
لايوءخذ مني مَكسا ثم تكتب الى والده عمر بن النعمان بالوصية
عليّ فان قبل الجارية مني وزنت لك ثمنها فى الحال فقال
البدوي قبلت منك هذا الشرط و مشيا الى ان اقبلا على المكان
الذي فيه نزهة الزمان ووقف البدوي على باب المخزن
وناداها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم
تجبه فالتفت البدوي الى التاجر و قال له هاهي قاعدة دونك
وايّاها فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثلما اوصيتك فتقدم التاجر

اليها بخلق حسن فرآها بديعة فى الحسن والجمال لا سيما انها
كانت تعرف بلسان العرب فقال التاجران كانت كما وصفت لي فاني
ابلغ بها عند السلطان ما اريد فقال لها التاجر السلام عليك يا بُنَيّة كيف
حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا ونظرت
اليه فاذا هو رجل محتشم ووجهه حسن فقالت في نفسها اظن ان
هذا جاء يشتريني ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم
فيهلكني من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو
ارجى لي للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع
منطقى فاني اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الارض ثم رفعت
بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ياسيدي ورحمة
الله وبركاته بهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم واما قولك كيف
حالك فان شئت ان تعرفه فلا تتمناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما
سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها ثم التفت الى البدوي وقال له
كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له افسدت عليّ الجارية
بهذا الكلام لاي شئ تقول انها جليلة مع انها من قطاعة الجواري
ورعاع الناس ولا ابيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل
العقل وقال له ريّض خلقك فانا اشتريها على هذه العيوب التي
ذكرتها فقال البدوي وكم تدفع لي فيها فقال له التاجر مايسمي
الولد الا ابوه فاطلب فيها غرضك فقال له البدوي ما يتكلم الا انت
فقال التاجر في نفسه هذا البدوي مقرقع ناشف الرأس والله انالا اعرف
لها قيمة الا انها ملكت قلبي بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت
تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا
البدوي لايعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب

ادفع لك فيها مائتي دينار سالمة ليدك خارجا عن الضمان وحق السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك والله ان اعطيتني مائتي دينار في هذه القطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك وانا ما عدت ابيعها بل اخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالي يامنتنة انا لا ابيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت احسبك اهل معرفة وحق طرطوري ان لم تذهب عني لاسمعنك ما لا يرضيك فقال التاجر في نفسه ان هذا البدوي مجنون ولا يعرف قيمتها ولا اقول له شيأ في ثمنها في هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطوري والله انها تساوي ملك كسرى وانا ما معي ثمنها ولكن ان طلب مني زيادة اعطيه ما يريد ولو اخذ جميع مالي ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب طوّل بالك وريّض نفسك وقل لي ما لها من القماش عندك فقال له البدوي وما يصلح لهذه الكورة من القماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجواري لاجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرّها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ الله انا ما انظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو

خجلان من حسنها وجمالها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتي ما اسمك فقالت له تسأل عن اسمي اليوم اوقبل ذلك اليوم فقال لها انت لك اسم اليوم وقبل ذلك اليوم قالت نعم اسمي قبل ذلك اليوم نزهة الزمان واسمي اليوم غصة الزمان فلما سمع التاجر هذا الكلام منها تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك اخ ضعيف فقالت اي والله ياسيدي ولكن فرق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس فتحير عقله من عذوبة منطقها وقال في نفسه لقد صدق البدوي في مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت اخاها ومرضه وغربته وفراقها منه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت كيف ماجرى لها هذا الامر مع البدوي وبعدها عن امها وابيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وارسلت العبرات وانشدت تقول هذه الابيات

حَيْثُمَا كُنْتَ قَدْ وَقَاكَ اِلٰهِي ... اَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُقِيمُ بِقَلْبِي
وَ لَكَ اللّٰهُ حَيْثُ اَمْسَيْتَ جَارُ ... حَافِظٌ مِنْ صُرُوفِ دَهْرٍ وَخَطْبِ
غِبْتَ فَاسْتَوْحَشَتْ لِقُرْبِكَ عَيْنِي ... وَاَسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي اَيَّ سَكْبِ
لَيْتَ شِعْرِي بِاَيِّ رَبْعٍ وَاَرْضٍ ... اَنْتَ مُسْتَوْطِنٌ بِدَارٍ وَشِعْبِ
اِنْ تَكُنْ شَارِبًا لِمَاءِ حَيٰوةٍ ... خَضِرُ الْوِرْدِ فَالْمَدَامِعُ شِرْبِي
اِنْ شَهِدْتَ الرُّقَادَ يَوْمًا فَجَمْرٌ ... مِنْ سُهَادِي بَيْنَ الْفِرَاشِ وَجَنْبِي
كُلُّ شَيْءٍ اِلَّا فِرَاقَكَ سَهْلٌ ... عِنْدَ قَلْبِي وَغَيْرُهُ غَيْرُ صَعْبِ

فلما سمع التاجر ماقالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدي. ثم ان البدوي قعد ينظر اليها وهي تغطي وجهها من التاجر حيث اراد ان يمسح

دمعها عن خدها فاعتقد انها تمنعه من التقليب فقام اليها
يجري وكان معه مِقْود جمل فشاله في يده وضربها به على اكتافها
فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة
من الارض في حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة
عظيمة وغشي عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لا بد ان
اشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا واريحها من هذا الظالم
وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها فلما افاقت مسحت
الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى
السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وانشدت تقول شعرا

وَارَحْمَتَا لِعَزِيزَةٍ بِالضَّيْمِ قَدْ صَارَتْ ذَلِيلَهْ
تَبْكِي بِدَمْعٍ هَاطِلٍ وَتَقُولُ مَا فِي الْوَعْدِ حِيلَهْ

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفي
بالله لا تدعني عند هذا الظالم الذي لا يعرف الله تعالى فاني ان
بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي فخلصني منه يخلصك الله
من نار جهنم فقام التاجر وقال للبدوي يا شيخ العرب هذه ليست
غرضك بعني اياها بما تريد فقال البدوي خذها وادفع ثمنها
والا اروح بها الى النجع واخليها هناك تلمّ البَعر وترعى الجمال
فقال التاجر اعطيك خمسين الف دينار فقال البدوي يفتح الله تعالى
فقال التاجر سبعون الف دينار فقال البدوي يفتح الله هذا ما هو
رأس مالها لانها اكلت عندي اقراص شعير بتسعين الف دينار
فقال له التاجر انت واهلك وقبيلتك في طول زمانكم ما اكلتم
بالف دينار شعيرا ولكن انا اقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها

غمزت عليك نائب دمشق فياخذها منك قهرا فقال البدوي تكلم
فقال بمائة الف دينار فقال البدوي بعتك اياها بهذا الثمن
واقدر انني اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى
الى منزله واتى له بالمال واقبضه اياه فاخذه البدوي فقال
في نفسه لا بد ان اذهب الى القدس لعلي اجد اخاها فاجيء به
وابيعه ثم ركب وسافر الى ان وصل الى بيت المقدس فذهب الى
الخان وسأل عن اخيها فلم يجده هذا ما كان من امره واما ما كان
من امر التاجر ونزهة الزمان فانه لما اخذها القى عليها شيأ من
قماشه ومضى بها الى منزله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم نزهة
الزمان من البدوي ومضى بها الى منزله والبسها افخر
الملبوس اخذها ونزل بها الى السوق واخذ لها مصاغا
مما طلبته ووضعه في بقجة من الاطلس ووضعها بين
يدي نزهة الزمان وقال لها هذا كله من اجلك ولا اريد منك الا
اذا طلعت بك الى السلطان نائب دمشق ان تعلميه بالثمن الذي
اشتريتك به وان كان قليلا في ظفرك فاذا وصلت اليه واشتراك مني اذكري
له ما فعلت معك واطلبي لي منه منشورا سلطانيا بالوصية عليّ لاذهب به
الى والده صاحب بغداد عمر بن النعمان لاجل ان يمنع من يأخذ مني
مكسا على قماش او غيره من جميع ما اتجر فيه فلما سمعت كلامه
بكت وانتحبت فقال لها التاجر ياسيدتي اني اراك كلما ذكرت

بغداد تدمع عيناك الك فيها احد تحبينه فان كان تاجرا اوغيره
فاخبريني به فانا اعرف جميع من فيهـا من التجـار و غيرهم
وان اردت رسالة انا او صلهـا اليه فقالت والله ما لي معرفة
بتاجر ولاغيره وانمـا لي معرفة بالملك عمـر بن النعمان
صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامهـا ضحك و فرح فرحا
شديدا وقال في نفسه والله اني وصلت الى ما اريد ثم قال لها هل
عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده
ولي عنده حرمة كبيرة فانكان غرضك ان الملك عمر بن النعمـان
يكتب لك ما تريد فأتني بدواة و قرطاس فاني اكتب لك كتابا فاذا
دخلت الى مدينة بغداد فسلم الكتـاب من يدك الى يد الملك
عمر بن النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف
الليالي والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهي تقرئك السلام
و اذا سألك عني فاخبره اني عند نائب دمشق فتعجب التاجر من
فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما اظن الا ان الرجال لعبوا
بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم واعرف
الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم
وشرحته ايضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات
ابن البيطار وتكلمت على القانون المكي لابن سينا وحليت الرموز
ووضعت الاشكال وتحدثت فى الهندسة واتقنت حكمة الابدان
و قرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث و النحو و ناظرت العلماء
و تكلمت في سائر العلوم والفت في علم المنطق والبيان والحساب
و الجداول و اعرف الروحاني و الميقات وفهمت هذه العلوم كلها
ثم قالت للتاجر ائتني بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا ينفعك في

سفرك الى البلاد و يغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر ذلك منها صاح بخ بخ فيـــا سعد من تكونين في قصره ثم اتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضـر التاجر ذلك بين يديها باس الارض تعظيمـــا لهـا فاخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فيه شعـــــــــــــــــــرا

أَرَى النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيَّ قَدْ نَفَرَا أَأَنْتَ عَلَّمْتَ طَرْفِي بَعْدَكَ السَّهَرَا
وَمَا لِذِكْرِكَ يُصْلِي النَّارَ فِي كَبِدِي أَهٰكَذَا كُلُّ صَبٍّ لِلْهَوَى ذَكَرَا
سَقْيًا لِأَيَّامِنَا مَا كَانَ أَطْيَبَهَا وَلَّتْ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ لَذَّاتِهَا وَطَرَا
أَسْتَعْطِفُ الرِّيحَ إِنَّ الرِّيحَ حَامِلَةٌ إِلَى الْمُتَيَّمِ مِنْ أَكْنَافِكُمْ خَبَرَا
يَشْكُو إِلَيْكَ مُحِبٌّ قَلَّ نَاصِرُهُ وَلِلْفِرَاقِ خُطُوبٌ تَصْدَعُ الْحَجَرَا

ثم انها لمـا فرغت من كتابة شعرها كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهي تقول من اختر مها الفكر وانحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من انوار ولا تعلم الليل من النهـــار و تتقلب على مراقد البين وتكتحـــل بمراود الارق و هي للنجوم رقيبة و للظلام نقيبة قد اذابها الكفر و النحول و شرح حالهـا يطول لا مساعد لهـــا غير العبرات وانشدت تقول هذه الابـــــــــــــــــيـــــــــــــــــات

مَا غَرَّدَتْ سَحَرًا وَرْقَاءُ فِي فَنَنٍ إِلَّا تَحَرَّكَ عِنْدِي قَاتِلُ الشَّجَنِ
وَلَا تَأَوَّهَ مُشْتَـاقٌ بِهِ طَرَبٌ إِلَى الْأَحِبَّةِ إِلَّا زَادَنِي حَزَنِي
أَشْكُو الْغَرَامَ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي كَمْ فَرَّقَ الْوَجْدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

ثم افاضت دموع العين وكتبت ايضا هذين البيتين

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا إِنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

ثم افاضت دموع العين وبعد ذلك كتبت في اسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم لفت الدرج وناولته للتاجر فاخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صوّرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فاخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صوّرك وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما اقبل الليل خرج الى السوق واتى بشيء فاطعمها اياه ثم ادخلها الحمام واتى لها ببلّانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فالبسيها الاثواب ثم ارسلي اعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم احضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها البستها ثيابها فخرجت من الحمام وجلست على مصطبته وارسلت البلانة اعلمته وخرجت فوجدت المائدة حاضرة فاكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة ودفعتا الباقي لصنّاع الحمام وحارسه ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه ايقظ نزهة الزمان واحضر لها قميصا رفيعا واخذ كوفية بالف دينار وبدلة لباس تركية مزركشة وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصّعا بالدر والجوهر وجعل في اذنيها حلقا من ذهب مرصّعا بلؤلؤ بالف دينار ووضع في رقبتها طوقا من ذهب بين الرمانتين وقلادة من عنبر

تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك القلادة فيها عشر اُكر و تسعة اهلّة
كل هلال في وسطه فص من يا قوت و كل اكرة فيها فص من البلخش
و ثمن تلك القلادة ثلٰثة آلاف دينار و كل اكرة بعشرين الف درهم
فصارت الكسوة التي كساها اياها بجملة بليغة من المال فلما لبسها
امرها التاجران تتزين فتزينت باحسن الزينة وارخت على عينيها
خاتونية ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها
و قالوا تبارك الله احسن الخالقين يا بخت من كانت هذه عنده
و ما زال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه الى ان دخل على السلطان
شركان فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه و قال ايها الملك
السعيد اتيت اليك بهدية غريبة الاوصاف معدومة المثال في هذا
الزمان حازت الحسن والاحسان فقال له الملك ارني اياها عيانا فخرج
التاجر و اتى بها و هي خلفه الى ان اوقفها قدام الملك شركان
فلما رآها حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهي صغيرة و لم ينظرها
لانه بعد مضي مدة من ولادتها سمع ان له اختا تسمى نزهة
الزمان و اخا يسمى ضوء المكان فكان يبغضهما لاجل المملكة
فهذا سبب قلة معرفته بهما فعند ذلك لما قدمها اليه التاجر
قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث
لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية
والسياسية والرياضية فقال الملك للتاجر خذ ثمنها مثل ما اشتريتها
و دعها ورح الى حال سبيلك فقال له سمعا و طاعة و لكن اكتب
لي مرقوما على اني لا ادفع عُشرا ابدا على تجارتي فقال الملك اني
اول ما افعل ذلك و لكن اخبرني كم و زنت ثمنها فقال و زنت
ثمنها مائة الف دينار و كسوتها بمائة الف دينار فلمّا سمع الملك

هذا الكلام قال انا اعطيك في ثمنها اكثر من ذلك ثم دعا بخازن داره وقال له اعط لهذا التاجر ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار فيكون له مائة وعشرون الف دينار فائدة ثم احضر السلطان شركان القضاة الاربعة وسلمه المال بحضرتهم وقال للقضاة اشهدوا اني اعتقت جاريتي هذه واريد ان اتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على روس الحاضرين ذهبا كثيرا فصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من المال ثم بعد ذلك امر الملك شركان بكتابة منشور للتاجر بعد ان سلمه المال وكتب التوقيع مخلدا بانه لا يدفع على تجارته عشرا ولا مكسا ابدا ولا يتعرض له احد بسوء في سائر مملكته وبعد ذلك امر له بخلعة سنية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شركان امر للتاجر بكتابة منشور بعد ما سلم له المال وكتب له التوقيع مخلدا انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له احد بسوء في مملكته وامر له بخلعة سنية وانصرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر فقال للقضاة اريد ان تسمعوا من الفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وادبها من كل ما ادعاه التاجر لنتحقق صدق كلامه فقالوا لا باس بذلك فامر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء اللاتي مع الجارية خلف الستارة يهنينها ويقبلن يديها ورجليها لما علموا انها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقلعن ثيابها وخففنها من ثقل الثياب وصرن ينظرن الى حسنها وجمالها

فسمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية ما مثلها
في الجمال والعلم والحكمة والحساب وانها حوت جميع العلوم وقد
وزن ثمنها ثلثمائة دينار و عشرين الف دينار واعتقها وكتب كتابه
عليها واحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى تجاوبهم على ما
يسألونها ويناظرونها فطلب النساء الاذن من ازواجهن و مضين
الي القصر الذي فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم
وقوفا بين يديها فحين رأت نساء الامراء والوزراء و ارباب الدولة
داخلة عليها قامت لهن على اقدامها و قابلتهن و وقفت الجواري
خلفها و تلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم في وجوههن
فاخذت بقلوبهن ثم اوعدتهن بكل خير وانزلتهن في مراتبهن
كأنها تربت معهن فتعجبن من عقلها وادبها مع حسنها و جمالها
و قلن بعضهن لبعض ما هذه جارية بل ملكة بنت ملك فجلسن
يعظمن قدرها و قلن لها يا سيدتنا اضاءت بك بلدتنا وشرفت
بلادنا واماكننا و اوطاننا و مملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك
وكلنا جواريك فبالله لاتخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن
على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بينها ومن عندها من النساء وبين
الملك شركان والقضاة الاربعة والتاجر وهم جالسون بجانب الملك
فعند ذلك ناداها الملك شركان وقال لها ايتها الملكة العزيزة في زمانها
ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والادب وادّعى انك تعرفين في
جميع العلوم حتى علم النجوم فاسمعينا شيأً مما ذكرته لذلك التاجر
واذكري لنا من هذا الشيء بابا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة
ايها الملك الباب الاول في السياسات والآداب الملكية وما ينبغي لولاة
الامور الشرعية وما يلزمهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم ايها

الملك ان محاسن الخلق مجموعة فى الدين والدنيا فلا يتوصل
احد الى الدين الا بالدنيا لانها نعم الطريق الى الآخرة و ليس ينتظم
امر الدنيا الا باعمال اهلها و اعمال الناس تنقسم على اربعة اقسام
الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغي لها السياسة التامة
والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمارة الدنيا التي هي طريق
الى الآخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل
المراد فينبغي لكل انسان ان يتناول منها بقدر ما يوصله الى الله
ولا يتبع في ذلك نفسه و هواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت
الخصومات و لكنهم يتنا و لونها بالجور و متابعة الهوى فتسببت عن
انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى السلطان لاجل ان ينصف بينهم
ويضبط امو رهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم
على ضعيفهم و قد قال ازد شير ان الدين والملك توأمان فالدين
كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على الناس
ان يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم و ينصف الضعيف
من القوي و يكف باس العاتي والباغي و اعلم ايها الملك انه على قدر
حسن اخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئان فى الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس
العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك ثلثة ملك دين وملك
محافظة على الحرمات وملك هوى فاما ملك الدين فانه يلزم رعيته
باتباع دينهم و ينبغي ان يكون ادينهم لانه هو الذي يقتدى
به في امور الدين و يلزم الناس طاعته فيما امر به موافقا
للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضي بسبب التسليم
الى الاقدار و اما ملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم

بامور الدين والدنيا و يلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروة و يكون جامعا بين القلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوّم اعوجاجه بحد الحسام و ينشر العدل في جميع الانام واما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه و لم يخش سطوة مولاه الذي ولاه فمآل ملكه الى الدمار و نهاية عتوه الى دار البوار و قالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس و هم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب ان يكون عارفا باخلاقهم ليردّ اختلافهم الى وفاقهم و يعمهم بعدله و يغمرهم بفضله و اعلم ايها الملك ان ازدشير يقال له جمر شديد و هو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعها و قسّمها على اربعة اقسام و جعل له من اجل ذلك اربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والمحاماة وكتب عليه النيابات والثاني خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة والثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء والرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل فبقيت و استمرت هذه الرسوم في الفرس الى ان ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه و هو في جيشه لاتو سعّن على جيشك فيستغنوا عنك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان كسرى كتب لابنه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء قصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروي ان اعرابيا جاء الى المنصور

و قال له اجعل کلبک يتبعک فغضب المنصور من الاعرابي
لما سمع منه هذا الکلام فقال ابو العباس الطوسي اخشى ان يلوّح
له غيرک برغيف فيتبعه ويترکک فسکن غيظ المنصور وعلم انها
کلمة لاتخطئ وامر للاعرابي بعطية واعلم ايها الملک انه کتب
عبد الملک ابن مروان لاخيه عبد العزيز حين وجّهه الى مصر
تفقد کتّابک وحجّابک فان الثابت يخبرک عنه کتابک والتّرسيم تعرّفک
به حجابک والخارج من عندک يعرفک بجيشک وکان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اذا استخدم خادما شرط عليه اربعة شروط
ان لا يرکب البراذين وان لا يلبس الثوب الرقيق وان لا يأکل
من الفيء وان لايؤخر الصلوة عن وقتها وقيل لا مال اجود
من العقل ولا عقل کالتدبير والحزم ولا حزم کالتقوى
ولا قربة کحسن الخلق ولا ميزان کالادب ولا فائدة کالتوفيق
ولا تجارة کالعمل الصالح ولا ربح کثواب الله ولا ورع کالوقوف
عند حدود السنة ولا علم کالتفکر ولا عبادة کاداء الفرائض ولا ايمان
کالحياء ولا حسب کالتواضع ولا شرف کالعلم فاحفظ الرأس وما
حوى والبطن وما وعى واذکر الموت والبلاء وقال علي کرم الله
وجهه اتقوا اشرار النساء وکونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن
في امر ولا تضيقوا عليهن في معروف حتى لا يطمعن في المکر
وقال من ترک الاقتصاد حار عقله وله آداب نذکرها ان شاء الله وقال
عمر رضي الله عنه النساء ثلثة امرأة مسلمة تقية ودود ولود تعين
بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها واخرى تراد للولد
لا تزيد على ذلک واخرى غلّ يجعلها الله في عنق من يشاء والرجال
ايضا ثلثة رجل عاقل اذا اقبل على رأيه وآخر اعقل منه وهو من اذا

نزل به الامر لايعرف عاقبته فيأتي ذوي الرأى فينزل عند آرائهم
وآخر حائر لايعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لابد منه في كل
الاشياء حتى ان الجواري يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا
في قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتنا صفوا
فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم
وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما احسن
قول الشاعر

بِبَذْلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ ٱلْفَتَى وَكَوْنُكَ اِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

و قال الآخر

فَفِي ٱلْحِلْمِ اِتْقَانٌ وَفِي ٱلْعَفْوِ هَيْبَةٌ وَفِي ٱلصِّدْقِ مَنْجَاةٌ لِمَنْ كَانَ صَادِقَا
وَمَنْ يَلْتَمِسْ حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ يَكُنْ بِٱلنَّدَى فِي حَلْبَةِ ٱلْمَجْدِ سَابِقَا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون
ما رأينا احدا تكلم في باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا
شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته
فقالت واما باب الادب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد
اتفق انه دخل رجل على معوية من ندمائه فذكر اهل العراق وحسن
رأيهم وزوجته ميسون ام يزيد تسمع كلامهما فلما انصرف قالت
يا امير المؤمنين احب ان تأذن للقوم من اهل العراق بالدخول
عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معوية انظروا من بالباب
فقالوا بنوا تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له
معوية اقرب مني يا ابا بحر وضرب بينهما ستر بحيث تسمع كلامهما

فقال يا ابا بحر كيف رأيك لي قال افرق الشعر و قص الشارب و قلّم الاظفار و انتف الابط واحلق العانة و ادم السواك فان فيه اثنين و سبعين فضيلة و غسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاحنف بن قيس قال لمعٰوية لما سأله وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة و غسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معٰوية كيف رأيك لنفسك قال اطأ بقدمي على الارض وانقلها على تمهل وارا عيها بعيني قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامرأ قال اطرق حياء وابدأ بالسلام وادع ما لايعنيني واقلّ الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال استمع لهم اذا قالوا ولا اجول عليهم اذا جالوا فقال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال اسلم من غير اشارة و انتظر الاجابة فان قربوني قربت و ان ابعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفني من هذا يا اميرالمؤمنين قال اقسمت عليك ان تخبرني قال احسن الخلق و اظهر العشرة و اوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع اعوج قال فمارايك اذا اردت ان تجامعها قال الثمها حتى تستطيب والثمها حتى تطرب فانكان الذي تعلم طرحتها على ظهرها و ان استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية و صوّرها احسن تصوير ثم اقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء على يدي ثم اصبه على جسدي ثم احمدالله على ما اعطاني من النعم فقال معٰوية احسنت فى الجواب

فقل عن حاجتك فقال حاجتي ان تتقى الله فى الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معوية فلما ولى قالت ميسون لولم يكن بالعراق الا هذا لكفاه ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر فاعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان اعطيته الدرهم انصرفت الى بيتي فبينما انا جالس واذا رسول عمر جاءني فذهبت معه وتوجهت اليه فاذا الدرهم في يده فقال لي ويحك يا معيقب اني وجدت في نفسك شيأ قلت وما ذلك قال انك تخاصم امة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري كتابا مضمونه اذا جاءك كتابي هذا فاعط الناس الذي لهم واحمل اليّ ما بقي ففعل فلما ولي عثمان الخلافة كتب الى ابي موسى مثل ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدي عثمان جاء ولده فاخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال اتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فاخذ ابنه درهما فامر بنزعه من يده وابنك اخذ فلم ار احدا قال له شيأ او ينزعه منه فقال عثمان واين تلقى مثل عمر وروى زيد بن اسلم عن ابيه

انه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى اشرفنا على نار تضرم فقال يا اسلم اني احسب هؤلاء ركبا اضرّبهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى اتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر و معها صبيان يتضرعون فقال عمر السلام عليكم اصحاب الضوء وكره ان يقول اصحاب النار ما با لكم قالت اضرّبنا البرد و الليل قال فما بال هؤلاء القوم يتضرعون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ما اسكتهم به و ان عمر بن الخطاب لبسأ له الله عنهم يوم القيامة به قال وما يدري عمر بحالهم قالت كيف يتولى امور الناس و يغفل عنهم قال اسلم فاقبل عمر عليّ وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الصرف فاخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حمّلني هذا فقلت انا احمله عنك يا امير المؤمنين فقال اتحمل عني وزري يوم القيامة فحمّلته اياه و خرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها ثم اخرج من الدقيق شيأ و جعل يقول للمرأة ترددي اليّ وكان ينفخ تحت القدر وكان ذو لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ و اخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم و انا ابرد لهم ولم يزالوا حتى اكلوا و شبعوا وترك الباقي عندها ثم اقبل عليّ وقال يا اسلم اني رأيت الجوع ابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رأيته و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر مرّ براع مملوك فاستباعه شاة فقال له انها ليست لي فقال انت

القصل فاشتراه ثم اعتقه فقال اللهم كمـــا رزقتني العتق الاصغـــر
فارزقني العتق الاكبر و قيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب
للخدم و يا كل الغليظ و يكسوهم الليّن و يلبس الخشن و يعطى الناس
حقوقهم و يزيد في عطائهم و اعطى رجلا اربعة آلاف درهم و زاده
الفا فقيل له اما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده
يوم أُحد و قال الحسن اتي عمر بمال كثيـــر فاتته حفصة فقالت له
يا اميرالمؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انمـــا اوصى الله بحق
قرابتي واما مال المسلمين فلا يا حفصة قد ارضيت قومك و اغضبت
اباك فقامت تجر ذيلهـــا و قال ابن عمر تضرعت الي ربي سنة
من السنين ان يريني ابي حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له
ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربي لهلك ابوك ثم قالت نزهة
الزمان اسمع ايهـــا الملك السعيد الفصل الثاني من البـــاب الاول
من اخبار التابعين و سائر الصالحين قال الحسن البصري لا تخرج
نفس ابن آدم من الدنيا الا و هو يتاسف على ثلثة اشياء عدم تمتعه
بمـــا جمع و عدم ادراكه لما امل و عدم استعداده بكثرة الزاد
لما هو قادم عليه و قيل لسفيـــان ايكون الرجل زاهدا و يكون له
مال قال نعم اذا كان متى ابتلي صبر واذا اعطي شكر و قيل لما حضرت
عبدالله بن شداد الوفاة احضر ولده محمدا فاوصاه و قال له يا بني
اني لارى داعي الموت قد دعالي فعليك بتقوى الله في السر والعلانية
والشكر لله و صدق الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير
زاد كما قال بعضهم شعـــر

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ ‌ وَلٰكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيـــدُ

وَتَقْوَى اللهِ خَيْرُ الزَّادِ حَقًّا وَعِنْدَ اللهِ لِلْأَتْقَى مَزِيدُ

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الاول قيل لها وماهي قالت لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لا هل بيته فاخذ ما بايديهم و وضعه في بيت المال ففزعت بنوا امية الى عمته فاطمة بنت مروان فارسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم اتته ليلا فانزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها قال لها يا عمة انت اولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبريني عن مرادك فقالت يا اميرالمؤمنين انت اولى بالكلام ورأيك يستشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة لقوم و عذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لناس و عذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه و ترك لهم نهرا يشربون منه ثم قام ابو بكر الصديق خليفة بعده فترك النهر على حاله وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر قائما فعمل عملا و اجتهد اجتهادا ما يقدر احد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولي معوية فاشتق الانهار منه ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد و بنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان و يبس النهر الاعظم حتى آل الامر اليّ فاحببت ان اردّ النهر الى ما كان عليه فقالت قد اردت كلامك و مذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ

القصد فاشتراه ثم اعتقه فقال اللهم كما رزقتني العتق الاصغر فارزقني العتق الاكبر و قيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب للخدم و ياكل الغليظ و يكسوهم اللين و يلبس الخشن و يعطى الناس حقوقهم و يزيد في عطائهم و اعطى رجلا اربعة آلاف درهم وزاده الفا فقيل له اما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم أُحد و قال الحسن اتي عمر بمال كثير فاتته حفصة فقالت له يا اميرالموءمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما اوصى الله بحق قرابتي واما مال المسلمين فلا يا حفصة قد ارضيت قومك و اغضبت اباك فقامت تجر ذيلها و قال ابن عمر تضرعت الي ربي سنة من السنين ان يريني ابي حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربي لهلك ابوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع ايها الملك السعيد الفصل الثاني من الباب الاول من اخبار التابعين و سائر الصالحين قال الحسن البصري لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا و هو يتاسف على ثلثة اشياء عدم تمتعه بما جمع و عدم ادراكه لما امل و عدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه و قيل لسفيان ايكون الرجل زاهدا و يكون له مال قال نعم اذا كان متى ابتلي صبر واذا اعطي شكر و قيل لما حضرت عبدالله بن شداد الوفاة احضر ولده محمدا فاوصاه و قال له يا بني اني لارى داعي الموت قد دعالي فعليك بتقوى الله في السر والعلانية والشكر لله و صدق الحديث فالشكر يوءذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد كما قال بعضهم شعر

وَلَسْتُ اَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ ‍ وَلٰكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ

وَتَقْوَى اللّٰهِ خَيْرُ الزَّادِ حَقًّا وَعِنْدَ اللّٰهِ لِلْأَتْقَى مَزِيْدُ

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الاول قيل لها وماهي قالت لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءلا هل بيته فاخذ ما بايديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنوا امية الى عمته فاطمة بنت مروان فارسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم اتته ليلا فانزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها قال لها يا عمة انت اولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبريني عن مرادك فقالت يا امير المؤمنين انت اولى بالكلام ورأيك يستشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة لقوم وعذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لناس وعذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك لهم نهرا يشربون منه ثم قام ابو بكر الصديق خليفة بعده فترك النهر على حاله وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر قائما فعمل عملا واجتهد اجتهادا ما يقدر احد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولي معٰوية فاشتق الانهار منه ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان ويبس النهر الاعظم حتى آل الامر اليّ فاحببت ان اردّ النهر الى ما كان عليه فقالت قد اردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئا

ورجعت الى بني امية فقالت لهم ذوقوا عاقبة امركم بتز و يجكم الى عمر
وقيل لمـا حضرت عمربن عبد العزيز الوفاة جمع اولاده حوله
فقال له مسلمـة بن عبد الملك يا امير المـومنين كيف تترك
اولادك فقراء وانت راعيهم فما يمنعك احد في حيوتك من ان
تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم و هذا اولى من ان ترجعه الى
الوالى بعـدل فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة
منعتهم ايام حيـوتي فكيف اشقى بهم بعد ممـاتي ان اولادي
ما بين رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شانه اوعاص فما كنت
لان اعينه على معصية يا مسلمة اني حضرت و اياك حين دفن
بعض بني مروان فحملتني عيني عنده فرأيته فى المنام اقضي الى
امر من امور الله عز وجل فهالني وراعني فعاهدت اللـه ان لا
اعمـل عملـه ان وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حيوتي
وارجوان اقضى الى عفو ربي قال مسلمة توفي رجل حضرت دفنه
فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة
فيهـا انهار جارية وعليه ثياب بيض فاقبل علّي وقال يا مسلمـة
لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير و قال بعض الثقات
كنت احلب الغنم في خلافـة عمربن عبـد العزيز فمررت براع
فرأيت مع غنمه ذئبا او ذئا با فظننت انها كلابها و لم اكن رأيت
الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهـذه الكلاب فقال انها ليست
كلابا بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرّهـا فقال اذا
صلح الرأس صلح الجسد و خطب عمربن عبد العزيز على منبر
من الطين فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم تكلم بثلث كلمات فقال
ايها النـاس اصلحوا اسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا امر

دنياكم واعلموا ان الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حيّ فى الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا امير المؤمنين لو عملنا لك متكئا لتعتمد عليه قليلا فقال اخاف ان يكون في عنقي منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشيا عليه فقالت فاطمة يامريم يامزاحم يا فلان انظروا الى هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى افاق من غشيته فرآها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا امير المؤمنين رأيت مصرعك بين ايدينا فتذكرت مصرعك بين يدى الله تعالى للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي ابكاني فقال حسبك يا فاطمة فلقد ابلغت ثم قام فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بابي انت وامي يا امير المؤمنين ما نستطيع ان نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهي لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الاول اتفق انه كتب عمر بن عبد العزيز الى اهل الموسم اما بعد فاني اشهد الله فى الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر اني امرق من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ان اكون امرت بذلك او تعمدته اويكون امر من امورة بلغني او احاط به علمي وارجو ان يكون لذلك موضعا عن الغفران الا انه لا اذن مني بظلم احد فاني مسئول عن كل

مظلوم اَلا و اي عامل من عمالي زاغ عن الحق و عمل بلا كتاب
و لا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق و قال رضى الله عنه
ما احب ان يخفف عنى الموت لانه آخر مايؤجر عليه المؤمن و قال
بعض الثقات قدمت على امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو
خليفة فرأيت بين يديه اثنى عشر درهما فامر بوضعها في بيت المال
قلت يا امير المؤمنين انك افقرت اولادك وجعلتهم عيالا لاشيء
لهم فلو اوصيت اليهم بشيء والى من هو فقير من اهل بيتك فقال
ادن مني فدنوت منه فقال اما قولك افقرت اولادك فاوص اليهم
او الى من هو فقير من اهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي
على اولادي و على من هو فقير من اهل بيتي وهو وكيل عليهم
وهم ما بين رجلين اما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا
واما رجل معتكف على المعاصي فاني لم اكن لاقوّيه على معصية
الله ثم بعث اليهم واحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكرا فلما
نظر اليهم ذرفت عيناه بالبكاء ثم قال ان اباكم ما بين امرين
اما ان تستغنوا فيدخل ابوكم النار واما ان تفتقروا فيدخل ابوكم
الجنة و دخول ابيكم الجنة احب اليه من ان تستغنوا قوموا عصمكم
الله فقد وكلت امركم الى الله وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف
بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج
بقرابته و خدمه فنزل في ارض و ضربت له خيمة فلما اخذت
الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت
عيني في عينه قلت له اتم الله نعمته عليك يا امير المؤمنين وجعل
ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك اذى ولم اجد لك
نصيحة يا امير المؤمنين ابلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك

فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان
فقال يا امير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك في عام قبل
عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما انا فيه
وهل اعطي احد مثل ما اعطيته وعنده رجل من بقايا حملة
الحجة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه فقال ايها الملك انك
سألت عن امر عظيم اتاذن لي فى الجواب عنه قال نعم قال ارأيت
الذي انت فيه شيأ لم يزل ام شيأ زائلا فقال هو شيء زائل قال
فمالي اراك قد اعجبت بشيء تكون فيه قليلا وتسأل عنه طويلا
وتكون عند حسابه مرتهنا قال فاين المهرب واين المطلب قال
ان تقيم في ملكك فتعمل على طاعة الله تعالى او تلبس اطمارك
وتعبد ربك حتى يأتيك اجلك فاذا كان السحر فاني قادم عليك
قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر
فاذا هو قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى
هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بلّ لحيته وامر بنزع ما عليه
ولزم قصره فاتت الموالي والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا اهكذا
فعلت با مير المؤمنين افسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة
الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح اني لاعجز
عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لشركان اعلم
ايها الملك وكم في هذا الباب من النصائح اني لاعجز عن الاتيان

بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خير فقال القضاة ايها الملك ان هذه الجارية اعجوبة الزمان و يتيمة العصر والاوان و ما سمعنا بمثلها طول الزمان ولا طول عمرنا ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا في عمل العرس وهيئوا الطعام من جميع الالوان ففى الحال امتثلوا امره وهيئوا جميع الاطعمة وامر بنساء الامراء والوزراء وارباب الدولة ان لاينصرفن حتى يحضرن الجلاء والعرس فما جاء وقت العصر حتى مدت السفرة مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين من مشوي واوز ودجاج واكل جميع الناس حتى اكتفوا ورسموا لكل مغنية في دمشق فحضرن وكذلك جوارى الملك الكبار اللاتي يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما اتى المساء واظلم الظلام اوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا و شمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان و اخذت المغاني والمواشط الصبية لتزينها وتلبسها فرأتها لاتحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس سبع خلع ثم خففوا عنها ثيابها واوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان واخذ وجهها فعلقت منه في وقتها وساعتها واعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وامر الحكماء ان يكتبوا تاريخ الحمل فلما اصبح جلس على الكرسي وطلع له ارباب دولته وهنوه واحضر كاتب سره وامره ان يكتب كتابا لوالده عمر بن النعمان بانه اشترى جارية ذات علم وادب قد حوت فنون الحكمة وانه لابد من ارسالها الى بغداد لتزور اخاه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانه اعتقها وكتب كتابه

عليها و دخل بها و حملت منه وشكر عقلها و يسلم على اخوته
و وزيره دندان و على سائر الامراء وختم الكتاب وارسله الى ابيه
صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع له بالجواب وناوله
اياه فاخذه وقراه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر الولهان
الذي فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر بن النعمان الى
ولده شركان اعلم انه بعد مسيرك من عندي ضاق عليّ المكان حتى
لا استطيع صبرا ولا اقدران اكتم سرّا و سبب ذلك اني ذهبت الى الصيد و
القنص وكان ضوء المكان قد طلب مني الذهاب الى الحجاز فخفت
عليه نوائب الزمان و منعته من السفر الى العام الثاني او الثالث فلما
ذهبت الى الصيد و القنص غبت شهرا كاملا و ادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر بن النعمان قال
في مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما اتيت
وجدت اخاك واختك اخذا شيأ من المال و سافرا مع الحجاج
الى الحج خفية فلما علمت بذلك ضاق بي الفضاء و انّي يا ولدي
قد انتظرت مجئ الحجاج لعلّهما يجيئان معهم فلما جاء الحجاج
سألت عنهما فما اخبرني عنهما احد فلبست لاجلهما ثياب الحزن
وانا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين وانشد يقول

خَيَالُهُمَا مَا لَيْسَ يَبْرَحُ سَاعَةً جَعَلْتُ لَهُ فِي القَلْبِ اَشْرَفَ مَوْضِعِ
وَلَوْلَا رَجَاءُ العَوْدِ مَا عِشْتُ سَاعَةً وَلَوْلَا خَيَالُ الطَّيْفِ لَمْ اَتَهَجَّعِ

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك
اعرفك انك لاتتهاون في كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ
الكتاب حزن على ابيه وفرح لفقد اخته واخيه واخذ الكتاب
ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها اخته وهي لا
تعلم انه اخوها مع انه يتردد عليها ليلا ونهارا الى ان كملت
اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهّل الله عليها الولادة فولدت
بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمّها ما
تريد فقال عادة الناس ان يسموا اولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم
انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من
الثلث خرزات التي جاءت بها الملك ابريزة من بلاد الروم فلما
عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله ولحقه الغيظ وحملق
عينيه وعرف الخرزة حق معرفتها ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها
من اين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك
الكلام قالت له انا سيدتك وسيدة كل من في قصرك اما تستحي
وانت تقول يا جارية انا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر
الامر وبان انا نزهة الزمان بنت الملك عمر بن النعمان فلما سمع
منها هذا الكلام لحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام
ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش واطرق برأسه الى
الارض وعرف انها اخته من ابيه فغاب عن الدنيا فلما افاق

صار يتعجب ولكنه لم يعرّفهـا بنفسه فقال لها ياسيدتي هل انت
بنت الملك عمر بن النعمان قالت نعم فقال لها احكي لي عن
سبب فراقك لوالدك وبيعك فحكت له على ماجميع وقع لها من الاول
الى الآخر واخبرته انها تركت اخاها مريضـا في بيت المقدس
واخبرته باختطاف البدوي لهـا وبيعه اياها للتاجر فلمـا سمع
شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من ابيه وقال في نفسه كيف
اتزوج باختي ولكن والله لابدان ازوجهـا لواحد من حجابي
واذا ظهرامر ادعي انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب
الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يانزهة الزمان انت اختي حقيقة
وانا اقول استغفر اللـه من هذا الذنب الذي وقعنـا فيه فاني
انا شركان ابن الملك عمربن النعمان فنظرت اليه وحققته فلما
عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت لاحول
ولاقوة الا باللـه قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمـل
وما اقول لابي وامي اذا قالا لي من اين جاءتك هذه البنت فقال
شركان الـرأي ان ازوجك بالحاجب وادعك تربي بنتي عنده
في بيته بحيث لايعلم احد بانك اختي وهذا الذي قدره اللـه
تعالى علينا لامرارادة فما يسترنا الا زواجك بهذا الحاجب قبل
ان يدري احد ثم صار يأخذ بخـاطرها ويقبل رأسهـا فقالت
له وما تسمى البنت قال تسميهـا قضى فكان ثم زوجها للحاجب
الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها فربوها على اكتاف الجواري
وواظبوا عليها بالاشربه وانواع السفـوف هذا كله واخوها ضوء
المكان مع الوقاد بدمشق فلمـا كان يوما من الايام اقبل بريد
من عند الملك عمر بن النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب

فاخذه وقرأه واذا فيه بعد البسملة اعلم ايها الملك العزيز اني حزين حزنا شديدا علي فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد ارسلت هذا الكتاب اليك فحال وصول هذا الكتاب تجهّز لنا المال والخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فاني احببت ان اراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد ابكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن انواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن احببتهن وقد اشتهيت ان يكن في قصري وفي ملك يدي لانهن لم يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا أبيعهن الا بخراج دمشق وانا والله ما رأيت هذا كثيرا في ثمنهن فان الواحدة منهن تساوى الثمن جميعه فاجبتها الى ذلك ودخلت بهن الى قصري وبقين في حوزي فعجل لنا بالخراج لاجل ان تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها لك وصحبتها خراج بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر بن النعمان قال في مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم بذلك شركان اقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك اياها

فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لهـا يا اختي ما عندك
من الرأي في رد الجواب قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد
اشتاقت الى اهلها ووطنها ارسلني صحبة زوجي الحاجب لاحكي
لابي حكايتي واخبره بماوقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر
واخبره بان التاجر باعني لك وانت زوجتني للحاجب بعد عتقي
فقال لها شركان وهو كذلك فاخذ شركان ابنته قضى فكان وسلمها
للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج واعطاه للحاجب وامره
بالسير مع الجارية والخراج الى بغدادورسم له بمحفة يجلس فيهـا
وللجارية بمحفة اخرى فاجابه الحاجب بالسمع والطاعة وجهّز شركان
الجمال والبغال وكتب كتابا وسلمه للحاجب وودع اخته نزهة الزمان
وكان اخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خالص
الذهب وسافر الحاجب في تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان
وكان معه الوقاد يتفرجان تحت الطارمة فرأيا جمالا وبخاتي وبغالا
محملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسال ضوء المكان عن هذه
الاحمال وعن صاحبها فقالوا له هذا خراج دمشق مسافر الى الملك
عمر بن النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن هو رئيس هذه
المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت
العلم والحكمة فعند ذلك بكى بـكاء شديدا وافتكر وتذكر امه
واباه واخته ووطنه وقال للوقادما بقي لي هنا قعود بل اسافر مع
القافلة هذه وامشي قليلا قليلا حتى اصل الى بلادي فقال له الوقاد انا
ما امنت عليك من القدس الي دمشق فكيف آمن عليك الى
بغـداد فانا اكون معك وصحبتك حتى تصل الى مقصدك فقال
ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد في تجهيز حاله وشد له حمارا

وجعل خُرجه على حماره وجعل فيه شيأً من الزاد وشد وسطه وتأهب ووقف حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معي فقال لا اركب ولكن اكون في خدمتك فقال ضوء المكان لابد ان تركب ساعة فقال له كذلك ان اتعب ثم ان ضوء المكان قال له سوف تنظر يا اخي ما افعل بك اذا وصلت الى اهلي وما زالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس فلما جاء وقت القائلة امرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا واسقوا جمالهم ثم امرهم بالمسير وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماة ونزلوا فاقاموا بها ثلثة ايام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم اقاموا في مدينة حماة ثلثة ايام ثم سافروا وما زالوا مسافرين حتى وصلوا الي مدينة أخرى فاقاموا بها ثلثة ايام ثم سافروا حتى دخلوا ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان اخته نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الي ابيه بغير اخته فبكى وانّ واشتكى واشتدت به الحسرات فانشد يقول هذه الابيات

خَلِيلِيَ كَمْ هَذَا التأني وَاَصْبِرُ ... وَلَمْ يَأْتِنِي مِنكُمْ رَسُولٌ يُخَبِّرُ
اَلَا اِنَّ اَيَّامَ الْوِصَالِ قَصِيرَةٌ ... فَيَا لَيْتَ اَيَّامَ التَّفَرُّقِ تَقْصُرُ
خُذُوا بِيَدِي ثُمَّ اكْشِفُوا الثَّوْبَ تَنْظُرُوا ... ضَنَى جَسَدِي لَكِنَّنِي اَتَسَتَّرُ
وَاِنْ قَالَ لِي اَسْلُوا هَوَاكُمْ اَقُلْ لَهُ ... فَوَاللهِ مَا اَسْلُوا اِلَى حِينِ اُحْشَرَ

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء و الانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادي شيأ من الشعر لعل نار قلبي تنطفي فقال له الوقاد بالله عليك اترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وانا معك حيث ماكنت فقال ضوء المكان والله لا افتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ مسبلا انواره ونزهة الزمان لم تنم تلك الليلة فقلقت وتذكرت اخاها ضوء المكان وبكت فبينما هي تبكى اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكى و هو ينشد هذه الابيات شعر

لَمَعَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي	فَشَجَانِي مَا شَجَانِي
مِنْ حَبِيبٍ كَانَ عِنْدِي	سَاقِيًا كَأْسَ التَّهَانِي
ذَكَّرَنِي مَنْ قَدْ رَمَانِي	بِالْحِمَى لَمَّا رَمَانِي
يَا وَمِيضَ الْبَرْقِ هَلْ	تَرْجِعُ اَيَّامُ التَّدَانِي
يَا عَذُولِي لَا تَلُمْنِي	اِنَّ رَبِّي قَدْ بَلَانِي
بِحَبِيبٍ غَابَ عَنِّي	وَ زَمَانٍ قَدْ دَهَانِي
قَدْ نَأَتْ نُزْهَةُ قَلْبِي	عِنْدَ مَا وَلَّى زَمَانِي
وَ حَوَى لِيَ الْهَمَّ صِرْفًا	وَ بِكَأْسٍ قَدْ سَقَانِي
وَ اَرَانِي يَا خَلِيلِي	مَيِّتٌ قَبْلَ التَّدَانِي
يَا زَمَانِي بِالتَّصَابِي	عُدْ قَرِيبًا بِالتَّهَانِي
فِي سُرُورٍ مَعْ اَمَانٍ	مِنْ سَهْمٍ هَمٍّ قَدْ رَمَانِي
مَنْ لِمِسْكِينٍ غَرِيبٍ	بَاتَ مَرْعُوبَ الْجَنَانِ
ظَلَّ فِي الْحُزْنِ فَرِيدًا	بَعْدَ نُزْهَةِ الزَّمَانِ
حَكَّمَتْ فِينَا بِرَغْمٍ	كَفُّ اَوْلَادِ الزَّوَانِي

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من امره
واما ما كان من امر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة في تلك
الليلة لانها تذكرت اخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك
الصوت بالليل ارتاح فوءادها وقامت وتجبجبت ودعت الخادم
فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بهذا الذي ينشد هذه
الاشعار فقال لها الخادم اني لم اسمعه وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من اخيها
الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد
هذه الاشعار فقال لها اني لم اسمعه ولم اعرفه والناس كلهم
نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار
ففتّش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد وضوء المكان فانه كان
في غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له
الخادم هل انت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك
سيدتنا فاعتقد الوقادان الست اغتاظت من انشاد الشعر فخاف
وقال له والله ما هو انا فقال له الخادم ومن هو الذي كان ينشد
فدلني عليه فانت تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال
في نفسه ربما ان الخادم يضره بشيءٍ فقال والله لم اعرفه فقال له
الخادم والله انك تكذب فان ما هنا جالس يقظان الا انت فانت
تعرفه فقال له الوقاد والله انا اقول لك الحق ان الذي كان ينشد
الشعر رجل عابر طريق وهو الذي ازعجني واقلقني فالله يجازيه

فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلني عليه وانا امسكه و اجيء به
على باب المحفة التي فيها سيدتنا او امسكه انت بيدك فقال له
اذهب انت حتى آتيك به فخلاه الخادم و انصرف و دخل على
الست وا علمها بذلك و قال ما احد يعرفه وما هو الا عابر سبيل
فسكتت واما ضوء المكان فانه لما افاق من غشيته رأى القمر
وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم الاسحار فهيّج في قلبه البلابل
والاشجان فحسّن صوته واراد ان ينشد فقال له الوقاد ما ذا تريد ان
تصنع فقال له اريد ان انشد شيأً من الشعر لاطفئ به نار قلبي قال له
انت ما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل الّا باخذي خاطر
الخادم فقال له ضوء المكان و ماذا كان فاخبرني بما وقع فقال يا سيدي
قد اتانى الخادم و انت مغشي عليك ومعه عصا طويلة من اللوز و
جعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون وهو يسأل على من كان ينشد
الاشعار فلم يجد احدا مستيقظا غيري فسألني فقلت له انه كان عابر
سبيل فانصرف وسلمني الله منه والا كان قتلني فقال لي اذا سمعته
ثانيا فأت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى و قال من يمنعني
من النشيد فانا انشد و يجري عليّ ما يجري فانا قربت من بلادي
وما ابالي من احد فقال له الوقاد انت ما مرادك الّا هلاك نفسك
فقال له ضوء المكان لا بد من انشادي فقال له الوقاد قد وقع الفراق
بيني و بينك من هنا و انا كان نيتي اني لا افارقك حتى تدخل
مدينتك و تجتمع بابيك و امك وقد مضى لك عندي سنة ونصف
ما حصل لك مني ما يضرك فما الذي قام بك فى النشيد ونحن
في غاية التعب من المشي و السهر والناس قد هجعوا ليستريحوا
من التعب و محتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا ارجع عما انا فيه

ثم حركته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات شعر

قِفْ بِالدِّيَارِ وَحَيِّ الاَرْبُعَ الدُّرُسَا وَنَادِهَا فَعَسَاهَا اَنْ تُجِيبَ عَسَى

فَاِنْ اَجَنَّكَ لَيْلٌ مِنْ تَوَحُّشِهَا اَوْقِدْ مِنَ الشَّوْقِ فِي ظَلْمَائِهَا قَبَسَا

اِنْ صَلَّ صِلُّ عِذَارَيْهِ فَلَا عَجَبٌ اِنْ يَجْنِنِي لَسَعًا اَنْ اَجْتَنِي لَعَسَا

يَا جَنَّةً فَارَقَتْهَا النَّفْسُ مُكْرَهَةً لَوْلَا التَّأَسِّي بِدَارِ الْخُلْدِ مُتُّ اَسَى

وانشد ايضا هذين البيتين

كُنَّا وَكَانَتْ لَنَا الْاَيَّامُ خَادِمَةً وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ فِي اَبْهَجِ الْوَطَنِ

مَنْ لِي بِدَارِ اَحِبَّائِي وَكَانَ بِهَا ضَوْءُ الْمَكَانِ وَفِيهَا نُزْهَةُ الزَّمَنِ

فلما فرغ من شعره صاح ثلث صيحات ثم وقع على الارض مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان الانشاد الاول تذكرت اباها وامها واخاها ولما سمعت الانشاد الثاني المتضمن لذكر اسمها واسم اخيها ومعا هدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذي انشد اولا انشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تأتني به لانبهنّ عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطه اياها وائتني به برفق ولا تضره فان ابى ادفع له هذا الكيس الذي فيه الف دينار فان ابى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن اي البلاد هو وارجع اليّ بسرعة ولا تغب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان ارسلت الخادم يفتّش عليه وقالت له ايّاك ان ترجعَ لي وتقول ما وجدته فخرجَ الخادم

يضرب فى الناس و يدوس فى الخيم فلم يجد احدا مستيقظا و جميع
الناس من التعب نائمون فجاً الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس
فدنا منه و مسك يده و قال له انت الذي كنت تنشد الشعر فخاف
على نفسه و قال لا والله يا مقدم القوم ما هو انا فقال له الخادم
لا اتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني اخاف
من سيدتي اذا انا رجعت لها بغيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم
خاف على ضوء المكان و بكى بكاء شديدا و قال للخادم والله ما هو
انا ولا اعرفه و انما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل
في خطيئتي فاني غريب و جئت من بلاد القدس والخليل معكم
فقال له الخادم قم انت معي و احك لسيدتي بفمك فاني ماراًيت
احدا مستقيظا غيرك فقال له الوقاد اما جئت و رأيتني في هذا
الموضع الذي انا فيه قاعد و عرفت مكاني وما احد يقدر ان ينفك
عن موضعه الا امسكته الحرّاس فامض انت الى مكانك و ان عدت
تسمع احدا من هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا
او قريبا فيكون انا او احد اعرفه ولا تعرفه الا مني ثم انه قبل
رأس الخادم و اخذ بخاطره فتركه الخادم و دار دورة و جاء
فاستتر و وقف من وراء الوقاد و خاف ان يرجع الى سيدته
بلا فائدة فقام الوقاد الى ضوء المكان و نبّهه و قال له قم اجلس
حتى احكى لك ما جرى فقام فحكى له ما وقع فقال له دعني
فاني ما عدت افكر ولا ابالي باحد فان بلادي قريبة فقال
الوقاد لضوء المكان لاي شيء انت مطاوع نفسك والشيطان و انت
لا تخاف من احد و انا خائف عليك و على نفسي فبالله عليك
ما بقيت تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك فاني ما كنت

اظنك على هذه الحالة اما علمت ان هذه الست زوجة الحاجب تريد زجرك لانك اقلقتها وكانها مريضة او سهرانة من تعب السفر وبعد المسافة وهذه ثاني مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وانشد يقول هذه الابيات

تَرَكْتُ كُلَّ لَائِمٍ	مَلَامُهُ اَقْلَقَنِي
يَعْذِلُنِي وَمَا دَرَى	بِاَنَّهُ حَرَّضَنِي
قَالَ الْوُشَاةُ قَدْ سَلَا	قُلْتُ لِحُبِّ الْوَطَنِ
قَالُوا فَمَا اَحْسَنَهُ	قُلْتُ فَمَا اَعْشَقَنِي
قَالُوا فَمَا اَعَزَّهُ	قُلْتُ فَمَا اَذَلَّنِي
هَيْهَاتَ اَنْ اَتْرُكَهُ	لَوْ جُرِّعْتُ كَاْسَ الشَّجَنِ
وَمَا اَطَعْتُ لَائِمًا	فِي حُبِّهِ يَعْذِلُنِي

فلما فرغ من شعره كان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره وانتهى الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال له الخادم السلام عليكم يا سيدي فقال ضوء المكان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم يا سيدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان يا سيدي اني اتيت اليك في هذه الليلة ثلث مرات لان سيدتي تدعوك عندها قال ومن اين هذه الكلبة التي تطلبني لعنها الله ولعن زوجها معها ونزل في الخادم شتما فما قدر الخادم ان يرد عليه جوابا

لان الست اوصته انه لا يوءذيه ولا يحضره الا بمراده هو فان
لم يأت معه يعطه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام
ويقول له يا سيدي خذ هذه واذهب معي يا ولدي نحن ما
اخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصدان تصل بخطواتك الكريمة
معي الى سيدتي تاخذ منها جوابا وترجع في خير وسلامة
ولك عندنا بشارة عظيمة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين
الناس وتخطّاهم والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول في نفسه
يا خسارة شبابه في غد يشنقونه وما زال الوقاد ماشيا حتى قرب
من مكانهم وهم لايرونه ووقف وقال ما اخسه ان كان يقول عليّ
هو الذي قال لي انشد الاشعار هذا ماكان من امر الوقاد واما ماكان
من امر ضوء المكان فانه ما زال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى
المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها يا سيدتي قد
احضرت لك بمن تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه آثار النعمة
فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت دعه ينشد شيأ من الشعر
حتى اسمعه من قرب وبعد ذلك فاساله عن اسمه ومن اي البلاد
هو فخرج الخادم اليه وقال له قل ما عندك من الشعر فان الست
حاضرة بالقرب منك تسمعك وبعد ذلك اسالك عن اسمك وبلدك
وحالك فقال حبا وكرامة ولكن اذا سالتني عن اسمي فانه محا
ورسمي فنى وجسمي بلي ولي حكاية لا اول لها يعرف ولا آخر
لها يوصف وها انا في منزلة السكران الذي اكثر من الشراب وما
تبخل على نفسه وحلت به الاوصاب وتاه عن نفسه واحتار في امره
وغرق في بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت
وزادت في البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت احدا ممن

تحب مثل امك وابيك فساُ له الخادم كما امرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع واعزهم عندي اختى التي فرق بيني و بينها الدهر فسكتت نزهة الزمــان لما سمعته يقول هذا الكلام وقالت الله تعالى يجمع شمله بمن يحب وادرك شهرزاد الصبــاح فسكتت عن الكلام المـــــبــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان نزهة الزمــان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخــادم قل له اسمعني شيأ من مفارقتك لاهلك ووطنك فقال له الخـادم كما امرته سيدته فصعد الزفرات وانشد هذه الابـــيات

اَمَا وَهَوَاهَا حِلْفَةً عِنْدَ ذِي وَجْدِ ... لَاُكْرِمُ دَارًا قَدْ اَحَلَّتْ بِهَا هِنْدُ
هَوَاهَا هَوًى لَا يَعْرِفُ النَّاسُ غَيْرَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ قَبْلٌ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ
كَأَنَّ ثَرَى الْوَادِي مُمَسَّكُ عَنْبَرٍ ... اِذَا مَا جَرَتْ يَوْمًا بِسَاحَتِهِ هِنْدُ
سَلَامٌ عَلَى مَحْبُوبَةٍ بِرِبَا الْحِمَى ... عَزِيْزَةِ قَوْمٍ كُلُّ مَنْ حَوْلَهَا عَبْدُ
خَلِيلَيَّ مَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مَنْزِلٌ ... اَرِيْحَا فَهَذَا الْبَانُ وَالْعَلَمُ الْفَرْدُ
فَلَا تَنْسَأَ لَا مِنْ غَيْرِ قَلْبِي فَاِنَّهُ ... حَلِيْفُ هَوًى لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ رَدُّ
سَقَى اللّٰهُ نُزْهَةَ الزَّمَانِ سَحَائِبًا ... مِسَحًّا فَلَا يَنْفَكُّ عَنْ مَتْنِهَا رَعْدُ

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الــزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرته فلما وقع بصرهــا على وجهه عرفته وحققته فصاحت قائلة يا اخي ياضوء المكان فنظر الآخر اليها فعرفها فصاح قائلا يا اختي يا نزهة الزمان فالقت نفسها عليه فتلقاها في حضنه ووقع الاثنان

مغشيا عليهما فلما رأ هما الخادم على تلك الحالة تعجب
في امرهما والقى عليهما شيأ ستر هما به وصبر عليهما حتى افاقا فلما
افاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم
والترح وتوالت عليها المسرّات وانشدت هذه الابيات

اَلدَّهْرُ اَقْسَمَ لَا يَزَالُ مُكَدِّرِي حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِ
اَلسَّعْدُ وَافَى وَالْحَبِيبُ مُسَاعِدِي فَانْهَضْ إِلَى دَاعِي السُّرُورِ وَشَمِّرِ
مَا كُنْتُ اَعْتَقِدُ السَّوَالِفَ جَنَّةً حَتَّى ظَفِرْتُ مِنَ اللَّمَى بِالْكَوْثَرِ

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضمّ اخته الى صدره وفاضت لفرط سروره
من اجفانه العبرات وانشد هذه الابيات

كِلَانَا سَوَاءٌ فِي الْهَوَى غَيْرَ اَنَّهَا تَجَلَّدُ اَحْيَانًا وَمَا بِي تَجَلُّدُ
تَخَافُ وَعِيدَ الْكَاشِحِينَ وَإِنَّمَا جُنُونِي عَلَيْهَا حِينَ اَنْهَى وَاُوعَدُ

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم بنا الى داخل المحفة
واحك لي ماوقع لك وانا احكي لك على ما وقع لي فدخلا فقال
ضوء المكان احكي لي انت اولا فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته
من الخان وما وقع لها مع البدوي والتاجر وكيف اشتراها منه
وكيف اخذها التاجر الى اخيها شركان وباعها له وان شركان
اعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وان الملك
ابوها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد
لله الذي منّ عليّ بك ومثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع
اليه سواء ثم قالت له ان اخي شركان زوجني بهذا الحاجب لاجل
ان يوصلني الى والدي وهذا ما وقع لي من الاول الى الآخر

فاحك لي انت ما وقع لك بعد ذهابي من عندك فحكى لها جميع
ما وقع له من الاول الى الآخر وكيف منّ الله عليه بالوقاد وكيف
سافر معه وانفق عليه ماله وانه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته
على ذلك ثم قال لها يا اختي ان هذا الوقاد فعل معي من الاحسان
فعلا لا يفعله احد في احد من احبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان
يجوع ويطعمني ويمشي ويركبني وكانت حياتي على يديه
فقالت له نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان
نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبّل يد ضوء المكان وقالت له
نزهة الزمان خذ بشارتك يا وجه الخير لانه كان جمع شملي باخي
على يديك فالكيس الذي معك وما فيه لك فاذهب وائتني بسيدك
عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته
فاتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها اخاها فسأل
عنه فحكت له ما وقع لهما من اوله الى آخره ثم قالت اعلم ايها
الحاجب انك ما اخذت جارية وانما اخذت بنت الملك عمر بن النعمان
فانا نزهة الزمان وهذا اخي ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة
منها تحقق ماقالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر
الملك عمر بن النعمان فقال في نفسه مصيري ان آخذ نيابة على قطر
من الاقطار ثم اقبل على ضوء المكان وهنّاه بسلامته وجمع شمله
باخته ثم امر خدمه فى الحال ان يهيئوا لضوء المكان خيمة ومركوبا
من احسن الخيل فقالت له اخته انا قد قربنا من بلادنا فانا اختلي
باخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل ان نصل الى بلادنا
فان لنا زمنا طويلا ونحن مفترقان فقال الحاجب الامر كما تريدان
ثم ارسل اليهما الشموع وانواع الحلاوة وخرج من عندهما

و ارسل الى ضوء المكان ثلث بدلات من افخر الثياب و تمشي الى ان جاء الى الصفة و عرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الى الخادم و امره ان يأتي بالوقاد و يهيئ له حصانا يركبه و يرتب له سفرة طعام فى الغداة و العشي و يأمره انه لايفارقنا فعند ذلك ارسل الحاجب الى الخادم وامره ان يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم اخذ غلمانه و ذهب يفتّش على الوقاد الى ان وجده في آخر الركب وهو يشد حماره و يريد ان يهرب و دموعه تجري على خده من الخوف على نفسه و من حزنه على فراق ضوء المكان و صار يقول قد نصحته في سبيل الله فلم يسمع مني ياترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه و دارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه و خاف و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد لما اراد ان يشد حماره و يهرب و صار يكلم نفسه و يقول يا ترى كيف حاله فما اتم كلامه الا والخادم واقف على راسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على راسه فارتعدت فرائصه و خاف و قال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فاظن انه غمز الخادم و هؤلاء الغلمان عليّ وانه اشركني معه فى الذنب و اذا بالخادم صاح عليه و قال له من الذي كان ينشد الاشعار يا كذّاب كيف تقول لي انا ما انشدت الاشعار ولااعرف من انشدها و هو رفيقك فانا لا افارقك

من هنا الى بغداد والذي يجري على رفيقك يجري عليك فلما سمع
الوقاد كلامه قال في نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم انشد هذا البيت

كَانَ الَّذِي خِفْتُ اَنْ يَكُوْنَا اِنَّا اِلَى اللّٰهِ رَاجِعُوْنَا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان و قال انزلوه عن الحمار فانزلوا
الوقاد عن حماره واتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب و الغلمان
حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت
بواحد منكم وقال سرّا اكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقّاد الغلمان حوله
يئس من الحيوة والتفت الى الخادم و قال له يا مقدم ما انا اخوه
ولا قريبه وهذا الشاب لا يقرب لي ولا انا اقرب له وانما انا رجل
وقاد في حمّام ووجدته ملقيا على المزبلة مريضا وسار الركب
والوقاد يبكي و يحسب في نفسه الف حساب والخادم ماش بجانبه
ولم يعرّفه بشيء بل يقول له قد اقلقت سيدتنا بانشادك الشعر انت
وهذا الصبيى ولا تخاف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرّا
واذا نزلوا اتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة فاذا
اكلوا امر الخادم الغلمان ان يأتوا بقلّة سكر فيشرب منها و يعطيها
للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن
على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما في غربتهما وهما سائران
والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان بن
الملك عمر بن النعمان واخته نزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد ونزهة
الزمان واخوها ضوء المكان في حديث وشكوى ولم يزالا على تلك
الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين
البلاد الا ثلثة ايام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين

الى ان لاح الفجر فاستيقظوا وارادوا ان يحملوا واذا بغبار عظيم
قد لاح لهم واظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجي فصاح الحاجب
قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار
فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات
واعلام وطبول وفرسان وابطال فتعجب الحاجب من امرهم فلما
رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس واتوا الى الحاجب
ومن معه واحاطوا بهم واحاطت كل خمسة بمملوك من مماليك
الحاجب فقال لهم الحاجب اي شيء الخبر ومن اين هذه العساكر
حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من انت ومن اين اتيت
والى اين تتوجه فقال لهم انا حاجب امير دمشق الملك شركان
بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان واتيت من
عنده بالخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه
ارخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر بن النعمان قد مات
وما مات الا مسموما فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره
الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا
وقال يا خيبتنا في هذه السفرة وصار يبكي هو ومن معه الى ان
اختلطوا بالعسكر فاستاذنوا له من الوزير دندان فاذن له وامر الوزير
بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وامر الحاجب
بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فاعلمه انه حاجب امير دمشق
وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك
بكى عند ذكر الملك عمر بن النعمان ثم قال له الوزير دندان ان
الملك عمر بن النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس
في من يولونه بعده حتى اوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم

عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس
على ان ما اشاربه القضاة الاربعة لايخالفهم فيه احد فوقع الاتفاق
على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به
ونسلطنّه على مملكة ابيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني
وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله اخت تسمى نزهة الزمان وكانا
قد توجها الى ارض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما
احد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم ان القضية التي وقعت
لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا
شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان
ابيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير
دندان ماذكره من خبر الملك عمر بن النعمان تأسف ولكنه فرح
لزوجته واخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان ابيه ثم
التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال انّ قصتكم من اعجب العجائب
اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صادفتموني الآن اراحكم الله
من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على اهون سبب لان الله رد
اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع
الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرني
بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة
الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من اوله
الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء

والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا
وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا
في خدمته وقبلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت
على الحاجب ووقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل في ذلك اليوم
ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على تخت وبين ايديهما
جميع الامراء والكبراء وارباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا
السكر في ماء الورد وشربوا ثم قعد الامراء للمشورة واعطوا بقية
الجيش اذنا في ان يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتمّوا
المشورة ويلحقوهم فقبلوا الارض بين يدي الحاجب وركبوا وقدّامهم
رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر
ثم اقبل الحاجب على الوزير دندان وقال له الرأي عندي ان اتقدم
واسبقكم لاجل ان اهيّئ للسلطان مكانا يناسبه واعلمه بقدومكم
وانكم اخترتموه على اخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم
الرأي الذي رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له
التقادم واقسم عليه ان يقبلها وكذلك الامراء الكبار وارباب المناصب
قدموا له التقادم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان
ضوء المكان في امرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا فاجابهم لما سألوه
ثم امر غلمانه بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وامر
الفراشين ان ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره
وركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه ما ابرك هذه
السفرة وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان ثم جدّ
في السفر الى ان وصل الى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم
ثم امر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان

ضوء المكان بن الملك عمر بن النعمان ثم نزل من بعيد هو ومما ليكه
و امر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في ان يدخل عليها
فاستأذنوها في شان ذلك فاذنت له فدخل عليها و اجتمع بها و باخيها
و اخبرهما بموت ابيهما وان ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم
عوضا عن ابيه عمر بن النعمان وهنّا هما بالملك فبكيا على فقد ابيهما
و سألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان و في غد
يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الامر ايها الملك
الّا ان تفعل ما اشاروا به لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل
سلطنوا غيرك و انت لا تامن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك
فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من ايديكما فاطرق
برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلي عنه
وتحقق ان الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب يا عم وكيف
اعمل مع اخي شركان فقال يا ولدي اخوك يكون سلطان دمشق
و انت سلطان بغداد فشد عزمك و جهز امرك فقبل منه ضوء المكان
ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان
من ملابس الملوك وناوله النمشة و خرج من عنده و امر الفراشين
ان يختاروا موضعا عاليا و ينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان
ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم امر الطباخين ان يطبخوا طعاما
فاخرا و يحضروه و امر السقائين ان ينصبوا حياض الماء و بعد ساعة
طار الغبار حتى سدّ الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار و بان من تحته
عسكر جرار مثل البحر الزخار و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما امر الفراشين ان ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من اشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهوى ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحون بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من فى الخيام مشاة في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت مماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في ايديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامران يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فاجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب فى الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم احسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لايخالفون له امرا ثم قبّلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة اخرى ففعل بهم مثل مافعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبّل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف

الخبير ثم امر للحاجب ان اخرج في تلك الساعة وأمر بمد السماط وأمر باحضار العسكر جميعا فحضروا واكلو وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اءمر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى اختلي بك وتخبرني بسبب قتل ابي فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة ايام فامتثلوا امره ثم ان الوزير اعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولايدخل احد من ارباب الخدمة لاجل الخدمة عند الملك مدة ثلثة ايام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم اقبل عليه الوزير واعلمه بالذي كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها اهل علمت بسبب قتل ابي ام لم تعلمي بسببه كيف كان فقالت له لم اعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وامر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له اريد ان تخبرني تفصيلا بسبب قتل ابي الملك عمر بن النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر بن النعمان لما اتى من سفره من الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره احد عنكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعدما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد ابكار كانهن الاقمار وقد حوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك

فاذن لها فدخلت عليه وقبّلت الارض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما راى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده اقبلت عليه وقالت له اعلم ايهــا الملك ان معي خمس جوار ما ملك احد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمــال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهنّ بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء اويهــان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرّته رويتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأً تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون

قالت بلغني ايهــا الملك السعيد ان الوزير دندان قال للمــلك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرّته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأً مما تعرفه من اخبار النــاس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبّلت الارض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغي لذي الادب ان يجتنب الفضول ويتحلي بالفضائل وان يؤدّي الفرائض ويجتنب الكبـائر ويلازم علي ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي ان تحسن خلقك مع الناس وان لا تعدل عن تلك السـنة فان اعظم النــاس خطرا احوجهم الى التدبير والملوك احوج اليه من السوقة لان السوقـة قد تفيض في الامور

من غير نظر فى العاقبة وان تبذل في سبيل الله نفسك و مالك واعلم ان العدو خصم تخصمه وتعرفه بالحجة وتحترز منه واما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع ظاهر الشرع عارفا بباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرًّا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه والكاذب لايكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشئاً عن صميم القلب فكيف به اذا اظهر الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع لاينجبر ولله درالقائل

إِحْرِصْ عَلَى فَرْطِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى ... فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَعْسُرُ
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وُدُّهَا ... مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُجْبَرُ

ثم قالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا ان اصحاب العقول قالوا خير الاخوان اشدهم فى النصيحة وخير الاعمال اجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على افواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد ان يغفل عن شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل و قيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته و من عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها و من اطاع الهوى ضيع الحقوق و من اطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك و من بالغ فى الخصومة اثم و من لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها انا اذكر لك شيئاً

من آداب القضاة اعلم ايهــا الملك انه لا ينفع حكم بحق الّا بعد
التثبت و ينبغي للقاضي ان يجعل الناس في منزلة و احدة حتى
لا يطمع شريف في الجور ولا ييــأس ضعيف من العدل و ينبغي
ايضا ان يجعل البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح
جائز بين المسلمين الاصلحا احلّ حراما او حرّم حلالا وما اشكلت فيه
اليــوم فراجع فيه عقلك و تبين به رشدك لترجع فيه الى الحق
فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل ثم اعرف
الامثال وافقه المقال وسوّ بين الاخصام في الوقوف و ليكن نظرك على
الحق موقوفا وفوّض امرك الى الله عز وجل و اجعل البينة على من ادعى
فان حضــرت بينته اخذت له بحقه والاحلّف المدعى عليه و هذا
حكم الله و اقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله
تعــالى امرالحكام ان تحكم بالظــاهر وهو يتولى السرائر و يجب
على القاضي ان يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع و ان يقصد
بقضائه بين الناس وجه الله تعالي فان من خلصت نيته واصلح ما بينه
و بين نفسه كفاه الله ما بينه و بين النــاس و قال الزهري ثلث اذا كن
في قاض كان منعزلا اذا اكرم اللئام واحب المحامد وكره العزل
وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لِمَ عزلتني فقال عمر
قد بلغني عنك ان مقالك اكبر من مقامك و حكي ان الاسكندر
قال لقاضيه اني وليتك منزلة و استودعتك فيهــا روحي وعرضي
ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك و قال لطبــاخه انك
مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبــه انك متصرف في
عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الاولى و تقدمت
الثانية و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــباح

فلما كانت الليلة الموفيه الثمانين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تاخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبّلت الارض بين يدى الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلثة لا تعرف الا في ثلثة مواطن لايعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمّه الناس وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم وقال عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وايضا قال عليه السلام ان فى الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب واعجب مافى الانسان قلبه لان به زمام امره فان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا امن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان غصته فاقة اشغله الهم وان اجهده الجزع اقعده الضعف فعلى كل حالة لاصلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من اسرّ الناس حالا قال من غلبت شهوته مروته وبعدت فى المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما احسن ماقاله قيس

وَإِنِّي لَأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وَمَاهُوَ مُهْتَدِي
وَمَا الْمَالُ وَ الْأَخْلَاقُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَكُلٌّ بِمَا يُخْفِيهِ فِي الصَّدْرِ مُرْتَدِي
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَلْتَ وَإِنْ تَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ تَهْتَدِي

ثم ان الجارية قالت واما اخبار الزاهدين فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ماحقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزاهد من لم ينس القبر و البلاء وآثر مايبقى على ما يفنى و لم يعدّ غدا من ايامه وعدّ نفسه في الموتى و قيل ان اباذر كان يقول الفقر احب اليّ من الغنى والسقم احب اليّ من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله اباذر اما انا فاقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضي بالحالة التي اختارها الله له وقال بعض الثقات صلى بنا ابن ابي اوفى صلاة الصبح فقرأ يا ايها المدّثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نُقر فى النا قور فخرّ ميتا ويروى ان ثابتا البناني بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال اعالجه بشرط ان يطاوعني قال ثابت في اي شيء قال الطبيب في ان لا تبكي قال ثابت فما فضل عيناي ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله اوصني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليله الحاديه والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر بن النعمان وقال رجل لمحمد ابن عبد الله اوصني فقال اوصيك ان تكون فى الدنيا مالكا زاهدا وفى الآخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد فى الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان في بني

اسرائيل قال احدهما للآخر ما اخوف عمل عملته قال له اني مررت
ببيت فرّاخ فاخذت منه واحدة و رميتها في ذلك البيت و لكن
بين الفراخ التي لم آخذها منها فهذا اخوف عمل عملته فما اخوف
ما عملته انت فقال اما انا فاخوف عمـــل اعمله اني اذا تمت الى
الصلوة اخاف ان اكون لا اعمل ذلك الا للجزاء وكان ابوهما يسمع
كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء
ان هذين من افضل الاولاد و قال عبد بن جبير صحبت فضـالة
ابن عبيد فقلت له اوصني فقال احفظ عني هذين الخصلتين ان
لاتشرك بالله شيأ وان لاتؤذي من خلق الله احدا و انشـــد
هذين البيتـــــــــــــــــــــــــــــــــين

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللّـــهَ ذُو كَرَمٍ وَانْفِ الهُمُومَ فَمَا فِى الأَمْرِ مِنْ بَاسِ
إِلاَّ اثْنَتَيْنِ فَلاَ تَقْرَبْهُمَـا أَبَدًا اَلشِّرْكُ بِاللّٰهِ وَالإِضْرَارُ لِلنَّـــاسِ

و ما احسن قول الشاعر

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَصْحَبْكَ زَادٌ مِنَ التُّقَى وَلاَقَيْتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لاَ تَكُونَ كَمِثْلِهِ وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

ثم تقدمت الجـارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية و قالت ان باب
الزهد واسع جدّا ولكن اذكر بعض ما يحضرني فيه عن السلف
الصالح قال بعض العارفين انا استبشر بالموت ولا اتيقّن فيه راحة
غير اني علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو
مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيئ وكان عطاء السلمي اذا
فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك

فقال اني اريدان اقبل على امر عظيم و هو الانتصاب بين يدى
الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان عليّ زين العابدين
ابن الحسين يرتعد اذا قام للصلوٰة فسئل عن ذلك فقال اتدرون
لمن اقوم ولمن اخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثوري رجل
ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلى بالناس فيسكت ويبطئ
وقال سفيان اذا كان يوم القيامة اتي باهل القرآن فيميزون بعلامة
مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو ان النفس استقرت فى القلب
كما ينبغي لطار فرحا وشوقا الى الجنة و حزنا و خوفا من النار و عن
سفيان الثوري انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تاخرت الجارية
الثالثة و تقدمت الجارية الرابعة وقالت وها انا اتكلم ببعض مايحضرني
من اخبار الصالحين روي ان بشرا الحافي قال سمعت خالدا يقول
ايّاكم وسرائر الشرك فقلت له و ما سرائر الشرك قال ان يصلى احدكم
فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث و قال بعض العارفين فعل
الحسنات يكفّر السيئات و قال ابراهيم التمست من بشر بن الحافي
شيأ من اسرار الحقائق فقال يابُنيّ هذا العلم لاينبغي ان نعلّمه
كل احد فمن كل مائة خمسة مثل زكوٰة الدرهم قال ابراهيم بن
ادهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما انا اصلّي و اذا ببشر يصلي
فقمت وراءه اركع الى ان يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال
يا قوم احذروا الصدق الضار ولا باس بالكذب النافع و ليس مع
الاضطرار اختيار ولاينفع الكلام عند العدم كما لايضر السكوت عند وجود
الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا سقط منه دانق فقمت اليه واعطيته
درهما فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لي انا لست
استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروى ان اخت بشر الحافي قصدت

احمد بن حنبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان اخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من انت قالت اخت بشر الحافي فقال يا اهل بشر لا ازال استشف الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك ابن دينار اذا مر في السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس صابري فلا اوافقك على ما تريدين وقال رضي الله عنه سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ في جوف الليل ويقول الهي وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتي مخالفتك وما انا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها عليّ في قديم ازلك فاغفر لي ما فرط مني فاني قد عصيتك بجهلي فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا ايها الذين امنوا قُوا انَفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مرّبنا البارحة وولدي قائم يصلّي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت

الجارية الخامسة وقالت وها انا اذكر بعض ما يحضرني من اخبار
السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر
الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام اتاه الفتوح وقال كل
نعمة لا تقرب الى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة
وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من ايسر الناس فقال رجل اذهب
عمره في طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته
بدنيا غيره وروي ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال
رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس
وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا
اباهما شعيبا عليه السلام فقال لعله جائع ثم قال لاحديهما ارجعي
اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك
اجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك واراد ان لا يتبعها وكانت امرأة
ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض
بصره ثم قال لها كوني خلفي وانا امامك فمشت خلفه حتى دخل
على شعيب عليه السلام والعشاء مهيء وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان
وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على
شعيب والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى ياموسى اني اريد ان
اعطيك اجرة ما سقيت لهما فقال موسى انا من اهل بيت لا نبيع
شيأ من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب

ياشاب ولكن انت ضيفى واكرام الضيف عادتي وعادة آبائي
باطعام الطعام فجلس موسى فاكل ثم ان شعيبا استأجر موسى
ثماني حِجَج اي سنين وجعل اجرته على ذلك تزويجة احدى
بنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية
عنه إِنّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي
ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ
عَلَيْكَ وقال رجل لبعض اصحابه وكان له مدة لم يره انك
اوحشتني لانني ما رأيتك من منذزمان قال اشتغلت عنك بابن
شهاب اتعرفه قال نعم هوجاري من منذ ثلثين سنة الاانني لم
اكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولواحببت الله لاحببت
جارك اما علمت ان للجار على الجار حق كحق القرابة وقال حذيفة
دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخي قدحج في تلك
السنة فاجتمعنا فى الطواف فقال ابراهيم لشقيق ماشانكم فى بلادكم
فقال شقيق اننا اذا رزقنا اكلنا واذاجعنا صبرنا فقال كذا تفعل
كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جُعنا شكرنا فجلس شقيق بين
يدي ابراهيم وقال له انت استاذي وقال محمد بن عمران سأل
رجل حاتما الاصم فقال ما امرك فى التوكل على الله تعالى قال
على خصلتين علمت ان رزقي لاياكله غيري فاطمأنت نفسي به
وعلمت اني لم اخلق من غير علم الله فاستحيت منه ثم تأخرت
الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدي الملك
تسع مرات وقالت قدسمعت ايها الملك ما تكلم به الجميع فيباب
الزهد وانا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغني عن اكابر المتقدمين
قيل كان الامام الشافعي يقسم الليل ثلثة اقسام الثلثِ الاول للعلم

و الثاني للنوم و الثالث للتهجد وكان الامام ابو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان و هو يمشي و قال لآخران هذا يحيي الليل كلّه فلما سمع ذلک قال اني استحي من الله ان اوصف بماليس فيّ فصار بعد ذلک يحيي الليل كلّه و قال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضـــان سبعين مرة كل ذلک فى الصلٰوة و قال الشافعى رضي الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشـــر سنين لان الشبع يقسى القلب و يزيل الفطنة و يجلب النوم و يضعف صاحبه عن القيام وروي عن عبد الله بن محمد السكري انه قال كنت انا و عمر نتحدّث فقال لي ما رأيت اورع و لا افصح من محمد بن ادريس الشافعي و اتفق انني خرجت انا و الحارث بن لبيب الصفار و كان الحارث تلميذ المزني وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالي هذا يوم لاينطقون و لا يوٴذن لهـــم فيعتذرون فرأيت الا مام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق قال اعوذ بالله من مقام الكذا بين و اعراض الغافلين اللهـــم لک خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من جودک و جملني بسترک واعف عن تقصيري بكـــرم و جهک ثم قمت وانصرفت و قال بعض الثقاة فلما دخلت بغداد كان الشافعي بها فجلست على الشاطئ لاتوضأ للصلٰوة اذمربي انسان فقال لي ياغلام احسن و ضوءک يحسن الله اليک فى الدنيا و الآخرة فالتفت و اذا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في و ضوئي و جعلت اقفو اثره فالتفت اليّ و قال هل لک من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمک الله تعالى فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى و من زهد فى الدنيا قرت عيناه غدا افلا ازيدک

قلت بلى قال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق في جميع امورك
تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لي هذا الامام الشافعي وكان
الامام الشافعى يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان
لاينسب اليّ منه شيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان
قالت العجوز لوالدك كان الامام الشافعي يقول و ددت ان الناس
ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب اليّ منه شيء وقال ما ناظرت
احدا الا احببت ان يوفّقه الله تعالى للحق و يعينه على اظهاره
و ما ناظرت احدا قطّ الا لاجل اظهار الحق و ما ابالي ان يبيّن
الله الحق على لساني او على لسانه و قال رضي الله عنه اذا خفت على
علمك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي
عقاب ترهب وقيل لابي حنيفة ان امير المؤمنين ابا جعفر المنصور
قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضي فلما كان اليوم
الذي توقع ان يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه
فلم يتكلم ثم جاءه رسول امير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه
و خاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال
اعلم انه حلال لي و لكن اكره ان يقع في قلبي مودة الجبابرة
فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل أ امن ان
الج البحر ولا تبتل ثيابي و من كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه

أَلَا يَا نَفْسُ اَنْ تَرْضَى بِقُوتِي فَاَنْتِ عَزِيزَةٌ اَبَدًا غَنِيَّه
دَعِي عَنْكِ الْمَطَامِعَ وَالْاَمَانِي فَكَمْ اُمْنِيَّةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّه

ومن كلام سفيان الثوري فيما اوصى به علي ابن الحسن السلمي عليك بالصدق و اياك و الكذب و الخيانة و الرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الا عن من هو مشفق علي دينه وليكن جليسك من يزهد فى الدنيا و اكثر ذكر الموت و اكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن امر دينه و ايّاك ان تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال و الخصام ودع ما يريبك الى مالا يريبك تكن سليما وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله واحسن سريرتك يحسن الله علانيتك و اقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدا من المسلمين وصل من قطعك واعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن امرك مفوضا الى الله فى السر والعلانية و اخش الله خشية من قد علم انه ميت و مبعوث و صائر الى الحشر والوقوف بين يدى الجبار و اذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية واما نار حامية ثم ان العجوز جلست الى جانب الجواري فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن افضل اهل زمانهن و رأى حسنهن و جمالهن وزيادة ادبهن فأواهن اليه واقبل على العجوز فاكرمها و اخلى لها ولجواريها القصر الذي كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فاقمن عنده عشرة ايام والعجوز معهن وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلوتها و قيامها في ليلها وصيامها في نهارها فوقع في قلبه محبتها و قال لي يا وزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها فلما كان اليوم الحادي عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجواري اليها فقالت له

ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجواري فوق ما تتعامل به الناس
فانّي لا اطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك اوكثيرا
فلما سمع والدك كلامها تعجب و قال ايتهـا السيدة وما ثمنهن
قالت ما ابيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصـوم نهاره و تقوم ليله
لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك في قصرك تصنع
بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها و ورعها
و عظمت في عينه و قال نفعنا الله بهذه المـرأة الصالحة ثم اتفق
معها على انه يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له و انا اعينك
بدعوات ادعو بهن لك فائتني بكوز ماء فاتاها بكوز ماء فاخذته
و قـرأت عليه و همهمت و قعدت ساعة تتكـلم بكلام لا نفهمه
ولا نعرف منه شيأً ثم غطته بخرقة وختمته و ناولته لوالدك و قالت له
اذا صمت العشرة الاولى فافطر في الليلة الحادية عشر على ما في هذا
الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك و يملاؤه نورا و ايمـانا
و في غد اخرج الى اخواني و هم رجال الغيب فاني اشتقت اليهم
ثم اجيء اليك اذا مضت العشرة الاولى فاخذ والدك الكوز ثم نهض
و افرد له خلوة في القصـر و وضع الكوز فيها واخذ مفتاح الخلوة
في جيبه فلما كان النهار صام السلطان و خرجت العجوز الى حال
سبيلها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان
فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها واتم
الملك صوم العشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشربه

نوجد له في فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة ايام الثانية من الشهر جاءت
العجوز ومعها حلاوة في ورق اخضر لايشبه ورق الشجر فدخلت
على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة
الصالحة فقالت له ايها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لاني
اخبرتهم عنك ففرحوا بك وارسلوا معي هذه الحلاوة وهي
من حلاوة الآخرة فافطر عليها في آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا
وقال الحمد لله الذي جعل لي اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز
وقبل يديها واكرمها واكرم الجواري غاية الاكرام ثم مضت مدة
عشرين يوما وابوك صائم وعند رأس العشرين يوما اقبلت عليه العجوز
وقالت له ايها الملك اعلم اني اخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك
من المحبة واعلمتهم باني تركت الجواري عندك ففرحوا حيث كانت
الجواري عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهن يبالغون لهن فى الدعاء
المستجاب فاريد ان اذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم
لهن وربما انهن لايرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض
حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذي
ياتينك به على اغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك
وقال لها لولا اني اخشى مخالفتي لك مارضيت بالكنز ولا غيره ولكن
متى تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين وارجع
بهن اليك في رأس الشهر وتكون انت قد اوفيت الصوم وحصل
استبراؤهن وصرن لك وتحت امرك والله ان كل جارية منهن ثمنها
اعظم من ملكك مرات فقال لها وانا اعرف ذلك ايتها السيدة
الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابد ان ترسل معهن من يعزّ عليك
من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال

لها عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى
وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معهن لاجل ان
تحصل لها البركة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان ان
اباك قال للعجوز لما طلبت منه الجواري ان عندى جارية رومية
اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من
منذ سنين فخذيها معك لاجل ان تحصل لها البركة ولعل رجال
الغيب ان يدعوا الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما
فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك اعظم غرضها ثم ان والدك
اخذ في تمام صيامه فقالت له يا ولدي اني متوجهة الى رجال
الغيب فاحضرلي صفية فدعا بها فحضرت في ساعتها فسلمها الى العجوز
فخلطتها بالجواري ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان
بكأس مختوم وناولته له وقالت له اذا كان يوم الثلثين فادخل الحمام
ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التي في قصرك واشرب
هذا الكأس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام مني عليك فعند ذلك
فرح الملك وشكرها وقبل يديها فقالت له استودعتك الله فقال لها
ومتى اراك ايتها السيدة الصالحة فاني اودّ ان لا افارقك فدعت له
وتوجهت ومعها الجواري والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلثة
ايام ثم هلّ الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام
ودخل الخلوة التي فى القصر وامران لايدخل عليه احد ورد الباب
عليه ثم شرب الكأس ونام ونحن قاعدون في انتظاره الى آخرالنهار

فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعلّه تعبان من الحمام ومن سهر الليل
وصيام النهـــار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثاني يوم فلم يخرج
فوقفنا بباب الخلوة واعلنّا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر
فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق
وهرّأ لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك
واخذنا الكأس فوجدنا في غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من اساء
لايستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن
والذي نعلّم به كل من وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء الى
بلادنا قد افسد علينا الملكة ابريزة وماكفاه ذلك حتى اخذها من
عندنا وجاء بها اليكم ثم ارسلها مع عبد اسود فقتلها ووجدناها
مقتولة فى الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما
جزاء من يفعل هذا الفعل الا ماحلّ به وانتم لاتتهموا احدا بقتله
فما قتله الا العاهرة الشاطرة التي اسمهـــا ذات الدواهي وها انا
اخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها افريدون ملك
القسطنطينية ولا بد ان نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون
عن آخركم ولا يبقى منكم ديّار ولا من ينفخ النار الّا من يعبد
الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا ان العجوز خدعتنـــا
وتمت حيلتهـــا علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنـــا على وجوهنا
وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانا
عليهم فمنهم من يريدك ومنهـم من يريد اخاك شركان ولم
نزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا واردنا ان نمضى
الى اخيك شركان فسافرنا الى ان وجدناك وهذا سبب موت السلطان
عمر بن النعمان فلما فرغ الوزير دندان من كلامه بكي ضوء المكان

هو واخته نزهة الزمان و بكى الحاجب ايضا ثم قال الحاجب لضوء المكان ايها الملك ان البكاء لايفيدك شيأ ولايفيدك الا انك تشد قلبك وتقوي عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وامر بنصب السرير خارج الدهليز ثم امران يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه وجميع السلحدارية من ورائه و وقف الوزير دندان قدامه ووقف كلواحد من الامراء وارباب الدولة في مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرني بخزائن ابي فقال سمعا وطاعة واخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر و الجواهر و عرض عليه ما في خزنته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية و قال له انت في مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض علَى الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها و فرقها على العساكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ضوء المكان امر الحاجب ان يعرض عليه ما اتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها و فرقها على العساكر و لم يبق منها شيأ ابدا فقبل الامراء الارض بين يديه و دعوا له بطول البقاء و قالوا ما راينا ملكا يعطي مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما اصبحوا امرهم بالسفر فسافروا ثلثة ايام و في اليوم الرابع اشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت و طلع السلطان ضوء المكان

قصر ابيه و جلس على السرير و وقف امراء العسكر والوزير دندان و حاجب دمشق بين يديه فعند ذلك امر كاتب السرّان يكتب كتابا الى اخيه شركان و يذكر فيه ما جرى من الاول الى الآخر ويذكر في آخره و ساعة و قوفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ لوالدنا منهم الثأر ونكشف عنا العار ثم طوى الكتاب و ختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا انت ولكن ينبغي ان تتلطف به في الكلام و تقول له ان اردت ملك ابيك فهو لك و اخوك يكون نائبا عنك في دمشق كما اخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده و تجهز للسفر ثم ان ضوء المكان امر ان يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا و يفرشوه باحسن الفرش و ذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص و عاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد و من الجوارى الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فاعجبته جارية منهن فاستخلى بها و دخل عليها في تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها و بعد مدة رجع الوزير دندان من سفره واخبره بخبر اخيه شركان و انه قادم عليه و قال له ينبغي ان تخرج و تلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا و طاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار اخيه وعند الصباح اقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام و اسد ضرغام و بطل مصدام فلما اشرفت الكتائب و قدمت السحائب و اقبلت العصائب و خفقت اعلام المواكب توجه شركان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان اخاه اراد ان يترجل اليه فاقسم عليه شركان ان لا يفعل ذلك

و ترجل شركان و مشى خطوات فلما صاربين يدي ضوءالمكان
رمى ضوءالمكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاءا
شديدا و عزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان و سارا و سارالعسكر معهما
الى ان اشرفوا على بغداد و نزلوا ثم طلع ضوءالمكان هو و اخوه
شركان الى قصر الملك و باتا تلك الليلة و عند الصباح خرج
ضوءالمكان و امر ان يجمعوا العساكر من كل جانب و ينادوا بالغزو
و الجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان
وكل من حضر يكرمونه و يعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك
الحال مدة شهر كامل والقوم ياتون افواجا متتابعة ثم قال شركان
لاخيه يا اخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجميع ما وقع له من الاول
الى الآخر و بما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال شركان اما كافأته
على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاءالله
تعالى لما ارجع من الغزوة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال لاخيه ضوءالمكان
اما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن
و لكن اكافئه ان شاءالله تعالى لما ارجع من الغزوة و اتفرغ له
فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع
ما اخبرته به ثم كتم امره و امرها و ارسل اليها السلام مع الحاجب
زوجها فبعثت له ايضا معه السلام ودعت له و سألت عن ابنتها
قضى فكان فاخبرها انها في عافية و انها في غاية ما يكون من الصحة

والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره
في امر الرحيل فقال له يا اخي لما تتكامل العساكر وتأتي العربان
من كل مكان ثم امر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان
الى زوجته وكان مضى لها خمسة اشهر وجعل ارباب الاقلام
واهل الحساب تحت طاعتها ورتب لهم الجرايات والجوامك وسافر
في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان
وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت
الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر
الترك بهرمان وصار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه اخوه شركان
وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون
في مكان ويستريحون فيه ثلثة ايام لان الخلق كثير ولم يزلوا سائرين
على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت اهل القرى
والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع افريدون
ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهي فانها هي التي
دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر بن النعمان
ثم اخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما
رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لابنها قرّ عينا
فقد اخذت لك بثار ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر بن النعمان
وجئت بصفية فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية ورد عليه
صفية ابنته واعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر ونتجهز
باهبة وأسافرانا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية واظن
ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلي الى ان يقربوا
من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز

احوا اليهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت في اوائلهم ذات الدوهي فلما وصلوا القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فاخبره بما عملته امه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين واخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريد ان نكون جميعنا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر بن النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منه النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر بن النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فما مر ثلثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم اقبلت الافرنج من سائر اطرافها كالفرنسيس والنمسا ودوبره وجورنه وبندقيه وجنويز وسائر عساكر بني الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم امرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم فى الرحيل عشرة ايام وساروا حتى نزلوا بوادي النعمان واسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلثة ايام وفى اليوم الرابع ارادوا ان يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحُماة ملة خير الانام فاقاموا فيه ثلثة ايام اخرى وفى اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلا ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدية واقبلت الفرسان كاندفاع البحار في دروع تحسبها سحبا مزردة على اقمار فعند ذلك تقابل الجيشان

والتطم البحران ووقعت العين فى العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلثين الف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين الف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة في الليالي العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون يا لعيسى و مريم و الصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهي لان الملك اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطيراني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطيراني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان ويقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم اعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم

احد و قد زال عنا العناء و دام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون
كلام العجوز و قال نعم الرأي رأيك ياسيدة العجائز الماكرة و مرجع
الكهان فى الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام فى ذلك
الوادي لم يشعروا الا والنار تلتهب في الخيام و السيوف تعمل
فى الاجسام ثم اقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين
الف فارس وفي اوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين
كانوا في البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا اثرهم فلما رآهم
ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار ياحزب النبي المختار وقاتلوا اهل
الكفر و العدوان في طاعة الرحيم الرحمن واقبل شركان بطائفة
اخرى من عساكر المسلمين نحومائة الف وعشرين الفا وكانت
عساكر الكفار نحوالف الف وستمائة الف فلما اختلط المسلمون
بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر
واوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف و السنان و اخترق
شركان الصفوف وهاج في الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال
ولم يزل يجول في الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادي الله
اكبر حتى رد القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصرالله
دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من
الكفار في هذه الوقعة خمسة واربعون الفا وقتل من المسلمين
ثلثة آلاف وخمسمائة ثم ان اسدالدين الملك شركان لم ينم في تلك
الليلة لاهوولا اخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس ويتفقدان
الجرحى ويهنيانهم بالنصر والسلامة والثواب في القيامة هذا ماكان
من امر المسلمين واما ماكان من امر الملك افريدون ملك
القسطنطينية وملك الروم وامه العجوز ذات الدواهي فانهم جمعوا

امراء العسكر و قالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد و شفينا الفؤاد ولكن
اعجابنا بكثرتنا هو الذي خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهي
انه لا ينفعكم الا انكم تتقربوا للمسيح و تتمسكوا بالاعتقـاد الصحيح
فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان
فقال الملك افريدون اني قد عولت في غد على ان اصف لهم
الصفوف واخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز
الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم
احد و قد عولت في هذه الليلـة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما
سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذي اراده خرء البطريق الكبير
ذي الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه
حتى كانت اكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر اقاليم بلادهم في خرق
من الحرير و يمزجونه بالمسك والعبير فاذا وصل خبره الى الملوك
يأخذون منه كل درهم بالف دينار حتى كان الملوك يرسلون في طلبه
من اجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم فان خرء البطريق
الكبير لا يكفي عشرة اقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه
في كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما اصبح الصباح
واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وادرك شهر
زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اصبح الصبـاح واشرق بنوره
ولاح وتبـادرت الفرسان الى حمل الرماح دعا الملك افريدون
بخواص بطارقته وارباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب في

وجوههم وبخّرهم بالبخور المتقدّم ذكره الذي هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الامكر فلما بخّرهم دعا بخضوره لوقا ابن شملوط الذي يسمونه سيف المسيح وبخّره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ له عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما في بلاد الروم اعظم منه ولا ارمى بالنبال ولا اضرب بالسيف ولا اطعن منه بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كأن وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه اصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الاسد نكهته ومن النمر وقاحته ومن الكفر سيمته وبعد ذلك اقبل على الملك افريدون وقبّل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك افريدون اني اريد ان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر بن النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر وهان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش في وجهه الصليب وزعم ان النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا اشقر وعليه ثوب احمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحا له ثلث حراب كانه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كانهم يساقون الى النار وبينهم مناد ينادي بالعربي ويقول يا امة محمد صلى الله عليه وسلم لايخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتم كلامه الا وضجّة فى الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين واذكرت يوم حنين ففزع اللئام منها والفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر بن النعمان وكان اخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون فى الميدان وسمع المنادي التفت لاخيه شركان وقال له انهم

يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو احبّ اليّ فلما تحققوا الامر و سمعوا هذا المنادي وهو يقول فى الميدان لا يبرزلي الّا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف ان يخلى الارض من المسلمين والا فهو من اخسر الخاسرين لانه هو الذي حرق الاكباد وفزعت من شرّه الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كانه اسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح في يده كانه افعى من الحيات وانشد هذه الابيات

لِي اَشْقَرٌ سَمِحُ الْعِنَانِ مُغَائِرٌ يُعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ مِنْ مَجْهُودِهِ
وَمُثَقَّفٌ لَدْنُ السِّنَانِ كَاَنَّمَا اُمُّ الْمَنَايَا رُكِّبَتْ فِي عُودِهِ
وَمُهَنَّدٌ عَضْبٌ اِذَا جَرَّدْتَهُ خِلْتَ الْبُرُوقَ تَمُوجُ فِي تَجْرِيدِهِ

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولاحماس هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها واشرع الرمح نحو شركان وكرّ عليه ثم طوّح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن اعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كانها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهوى فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التي اخذها بها من النصراني حتى كاد ان يقصفها ورماها فى الجوّ حتى خفيت عن النظر والتقاها بيده الثانية في اقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لاجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فاراد لوقا ان يفعل بالحربة كما فعل شركان ومدّ يده

الى الحربة ليختطفها من الهوى فعاجله شركان بضربة ثانية وضربه
بها فوقعت في وسط الصليب الذي في وجهه وعجل الله بروحه
الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا ابن شلموط وقع مقتولا
لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة
الديور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع
مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة
الديور وقالوا اين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه
واعلموا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر
وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت
السواعد والمعاصم وكان الخيل قد خلقت بلا قوائم ولازال منادي
الحرب ينادي الى ان كلّت الايادي وذهب النهار واقبل الليل
بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب
والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات ولا يعرف
الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع باخيه ضوء المكان والحاجب
والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله
قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال
ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب
والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين
لوقا محرّف الانجيل واخذك الحربة من الهوى وضربك لعدو الله
بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان ايها الحاجب

الكبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير
دندان وعشرين الف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة
فراسخ واسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى
بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الارض حتى
تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل
جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رايتم عسكرنا تقهقروا
الى وراء كانهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع
الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا
رأيت انت عَلَما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله اكبر واحمل عليهم من
ورائهم واجتهد في ان لايحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر
فقال له السمع والطاعة واتفقو على ذلك الامر في تلك الساعة ثم
تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين
الفا كما امر الملك شركان فلما اصبح الصباح ركب القوم وهم
مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت
الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس
ورفعت الصلبان على قلوع المركب وقصدوا الساحل من كل جانب
وانزلوا الخيل في البر وعزموا على الكرّ والفرّ ولمعت السيوف وتوجّهت
الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا
على رؤس الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست
الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت
الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدماء وتقابضوا
في اللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلوة والسلام على سيد الانام

و بالثناء على الرحمن بما اولى من الاحسان و صاحت عساكر الكفر
بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والسعانين
والمَطْران و تأخر ضوء المكان هو و شركان الى ورائهما و تقهقرت
الجيوش و اظهروا الانهزام للاعداء و زحفت عليهم عساكر الكفر لوهم
الهزيمة و تهيئوا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقراءة اول
سورة البقر وصارت القتلى تحت ارجل الخيل منذ ثره و صار منادى
الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق
قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا
عنهم الادبار فمكنـــوا السيوف من اقفيتهم ولا ترجعوا من ورائهم
والّا برئتم من المسيح ابن مريم الذي فى المهد تكلم وظن افريدون
ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصـورة ولم يعلم ان ذلك
من حسن تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الــروم يبشره
بالظفر و يقول له ما نفعنـــا الا غائط البطريق الاكبر لمـــا فاحت
رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر و غائب و اقسم
بالمعجزات وببنته ابريزة النصرانية المريمية والمياه المعمودية اني
لا اترك على الارض مجاهدا بالكلية و اني مصرّ على سوء هذه النية و توجه
الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار
لوقا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار صاحوا على بعضهم قائلين
خذوا بثار لوقا و صار ملك الروم ينـادي يا لَاخذ ثار ابريزة فعند
ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديّان اضربوا

اهل الكفر و الطغيان ببيض الصفاح و سمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار و اعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادي منادى المسلمين و يقول عليكم باعداء الدين يا محب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار باراجي النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف و اذا بشركان قد حمـــل هوو من معه على الكفار و قطعوا عليهم طريق الفرار و جال بين الصفوف و طاف و اذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح في عسكر الكفار ميدانا و جال في الكفرة حربا و طعانا و ملأ الارض رؤسا و ابدانا وقد خافت الكفار من حربه و مالت اعناقهم لطعنه و ضربه قد تقلد بسيفين لحظ و حسام واعتقل برمحين قناة وقوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الـــــــــــشـــــــــــاعر

لَا تَحْسـَــنُ الْوَفْرَةَ اِلَّا وَهِيَ مُنْشُورَةُ الْفَرْعَيْنِ يَوْمَ النِّزَالِ
عَلىٰ فَتًى مُعْتَقِــلٍ صَعْدَةً يُعِلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السِّبَالِ

و يقول الآخر

اَقُولُ لَهُ لَمَّا تَقَلَّـدَ سَيْفَهُ كَفَتْكَ سُيُوفُ اللَّحْظِ عَنْ ذٰلِكَ الْعَضْبِ
فَقَالَ لِحَاظِي سَيْفُهَا لِذَوِي الْهَوٰى وَسَيْفِي لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَالَذَّةُ الْحُبِّ

فلمـــا رآه شركان قال اعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من انت ايها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان الذى لايشغله شان عن شان حيث هزمت اهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا انت الذي بالامس عاهدتني فما اسرع مانسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفي من حسنه فاذا هو ضوء المكان ففرح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران و انطباق الشجعان

و ذلك لامرين احدهما صغر سنه و صيانته عن العين و الثاني
ان بقاءه للمملكة اعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت
بنفسك فالصق جوادك بجوادي فاني لا آمن عليك من الاعداء
والمصلحة في ان لاتخرج من تلك العصائب لاجل ان ترمي
الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان اني اردت ان اساويك
فى النزال و لا ابخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت
عساكر الاسلام على الكفار واحاطوابهم من جميع الاقطار وجاهدوهم
حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد و الفساد فتأسف
الملك افريدون لما رأى ماحل بالروم من الامر المذموم و قد ولوا
الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب و اذا بالعساكر قدخرجت
عليهم من ساحل البحر وفي اولهم الوزير دندان مجندل الشجعان
و ضرب فيهم بالسيف و السنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر
الشام وهو في عشرين الف ضرغام و احاطت بهم عساكر الاسلام
من خلف و من امام و مالت فرقة من المسلمين على من كان
فى المراكب و اوقعوا فيهم المعاطب فرموا انفسهم في البحر و قتلوا
منهم جمعا عظيما يزيد عن مائة الف بطريق ولم ينج من ابطالهم
صغير ولاكبير و اخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال و الذخائر
و الاثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون فى ذلك اليوم غنيمة
ما غنم احد مثلها في سالف الزمان . و لاسمعت اذن بمثل هذا
الحرب والطعان و من جملة ماغنموه خمسون الف من الخيل غير
الذخائر و الاسلاب بما لايحيط به حصر و لاحساب و فرحوا فرحا
ما عليه مزيد بما منّ الله عليهم من النصر والتأييد هذا ماكان
من امرهم واما ماكان من امر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية

وكان الخبر قد وصل الى اهلها اولا بان الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي انا اعلم ان ولدي ملك الروم لايكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويردّ اهل الارض الى الملة النصرانية ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وماعلموا بالمقدور فبينما هم في وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح واقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل واخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير واخبروه ان لوقا بن شملوط حلّت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المأتم وانحلّت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر ان يصل من العسكر الّا من وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه وقال لعلّ المسيح غضب عليهم حتى اوصل المسلمين اليهم فاقبل البطريق الكبير على الملك مهموما فقال له الملك يا ابانا قد وقع في عسكرنا الفناء وجزانا المسيح فقال البطريق لا تغتموا ولا تحزنوا فانه لابدّ ان احدكم فعل ذنبا في حق المسيح وعوقب الجميع بذنبه ولكن الآن نقرأ لكم الدعاء في البِيَع حتى تندفع عنكم هذه العساكر المحمدية ثم بعد ذلك

اتت العجوز ذات الدواهي و قالت ايها الملك ان عسكر المسلمين
كثير و نحن ما نصل اليهم الا بالحيلة و اني عولت ان اعمل حيلة
و مكيدة و امضي الى هذه العساكر الاسلامية لعلي ابلغ غرضي
من المقدم عليهم و اقتل فارسهم مثل ما قتلت اباه و اذا تمت
حيلتي عليه فما يرجع احد من عساكره الى بلاده فانهم كلهم
اقوياء بسببه و لكنني اريد من النصارى القاطنين بالشام الذي يخرجون
لبيع بضائعهم في كل شهر وعام ان يساعدوني فان بهم يتم غرضي
فقال لها الملك باى وقت تريدين ذلك الامر يكون فامرت بان يحضر لها
مائة رجل من نجران الشام فاحضروهم عند الملك فقال لهم الملك
اما تعلمون ماتم على النصارى من المسلمين قالوا نعم فقال لهم
الملك اعلموا ان هذه المرأة وهبت نفسها للمسيح و الآن عولت
ان تذهب بكم في زي الموحدين لتدبير حيلة يعود نفعها علينا
و تمنع المسلمين من الوصول الينا فهل انتم و اهبون انفسكم
للمسيح و انا اعطيكم قنطارا من الذهب فمن سلم منكم فله المال
و من مات فيجازيه المسيح فقالوا ايها الملك قد وهبنا انفسنا
للمسيح و نحن فداؤك فعند ذلك اخذت العجوز جميع ما تحتاج
اليه من العقاقير و وضعتهم فى الماء و غلتهم على النار فانحل السواد
و صبرت حتى بردت فارخت عليهم طرف منديل طويل و لبست
فوق اثوابها ملوطة مطرزة بطراز وبيدها تسبيح وبعد ذلك دخلت
على الملك فلم يعرفها ولا احد من الجالسين فكشفت لهم عن وجهها فما
فى المجلس احد الاشكرها على مكرها و فرح ابنها و قال لاعدم المسيح
طلعتك فعند ذلك خرجت و معها النصارى الذين من نجران الشام و ساروا
طالبين عسكر بغداد و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك افريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه فلما افاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم ابخر وجفن احمر وخدا صفر بوجه اغبش وطرف اعمش وجسم اجرب وشعر اشهب وظهر احدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لاجل ان تطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن وتهوّدت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهي آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان اكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجواري الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخر عنها تكون فى انمحاق وكل جارية اعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فتغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها احسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لم تطاوعها تحيّل على هلاكها وسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة واترجة جواري ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره ان ترقد معها لان صُنانها يخرج من تحت ابطيها ورائحة فسائها انتن من الجيفة وجسدها اخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يَا مَنْ تَسَفَّلَ لِلْغَنِيِّ مَذِلَّةً　　وَعَلَى الْفَقِيرِ لَقَدْ عَلَاتِيَّاهَا

وَيَزِينُ شُنْعَتَهُ بِجَمْعِ دَرَاهِمٍ عِطْرُ الْقَبِيحَةِ لَايَفِي بِفُسَاهَا

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهي امرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى و عساكرهم و توجهوا الى عسكر الاسلام و بعدها دخل الملك حردوب على الملك افريدون وقال له ايها الملك مالنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأى امي ذات الدواهي و ننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم و اصلون الينا و عن قريب يكونون لدينا و يحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم في قلبه الرعب فكتب من وقته و ساعته الى سائر اقاليم النصارى يقول لهم ينبغي انه لا يتخلف احد من اهل الملة النصرانية و العصابة الصليبية خصوصا اهل الحصون و القلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا و ركبانا و نساء و صبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا ارضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها طلعت خارج البلد مع اصحابها والبستهم زي تجار المسلمين وكانت قد اخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكي ما بين اطلس معدني و ديباج ملكي و غير ذلك و اخذت من الملك افريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من ارض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي ان يتعرض لهم احد بسوء ولا ياخذ منهم عشرا حتى يصلوا الى بلادهم و محل امنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من اهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها اني اريد ان ادبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها ايتها الملكة مُرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا احبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم و حكّت جبينها

حتى صارله وسم عظيم ودهنته بدهان دبرته حتى صارله ضوء عظيم
وكانت الملعونه نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق
قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد
من رجليها وقد اثر القيد في ساقيهــا ثم دهنتها بدم الاخوين
وامرت من معها ان يضربوها ضربا عنيفا وان يضعوها في صندوق
واعلنوا في كلمة التوحيد وما عليكم في ذلك من باس شديد
فقالوا لها كيف نضربك وانت سيدتنــا ذات الدواهي ام الملك
المبــاهي فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتي الكنيف ولاجل
الضرورات تباح المحظورات وبعد ان تضعوني في الصندوق خذوه
في جملة الاموال واحملوه على البغــال ومروا بذلك بين عسكر
الاسلام ولا تخشوا شياً من الملام وان تعرض لكم احد من المسلمين
فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصــرفوا الى ملكهــم
ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا في بلاد الكفرة ولم يأخذوا
منا شيأ بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا احد فكيف تأخذون
انتم اموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذي مضمونه ان لا يتعرض لنا
احد بمكروه فاذا قال وما الذي ربحتموه من بلاد الروم في تجارتكم
فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان في سرداب تحت الارض
له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغــاث بل يعذبه
الكفار ليلا ونهــارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا اقمنــا
في القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا
حالنــا وعزمنــا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث
في امر السفر فلما اصبحنا رأينا صورة مصورة في الحائط فلما قربنا
منها تأملناها فاذا هي تحركت وقالت يا مسلمون هل فيكم من يعامل

رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله انطقني لكم ليقوي يقينكم ويهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذي يفتح القسطنطينية به ويهلك اهل الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلثة ايام تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنا وفيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبدالله وهو من ادين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعه بعض الرهبان وسجنه في سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفي انقاذه ارضاء رب العباد لان فكاكه من افضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهي لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد من اكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلثة ايام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا اليه واقمنا هناك يوما في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الابيات

كَبِدِي اُكَابِدُهُ وَصَدْرِي ضَيِّقُ ۝ وَجَرَى بِقَلْبِي بَحْرُهُمْ مُغْرِقُ
اِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ فَمَوْتٌ عَاجِلٌ ۝ اِنَّ الْحِمَامَ مِنَ الرَّزَايَا اَرْفَقُ
يَا بَرْقُ اِنْ جِئْتَ الدِّيَارَ وَاَهْلَهَا ۝ وَعَلاَ عَلَيْكَ مِنَ الْبَشَائِرِ رَوْنَقُ
كَيْفَ السَّبِيلُ اِلَى اللِّقَاءِ وَبَيْنَنَا ۝ تِلْكَ الْحُرُوبُ وَبَابُ رَهْنٍ مُغْلَقُ
بَلِّغْ اَحِبَّتَنَا السَّلاَمَ وَقُلْ لَهُمْ ۝ اِنِّي بِدَيْرِ الرُّومِ قَاصٍ مُوثَقُ

ثم قالت اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين و صرت عندهم كيف ادبر حيلة في خديعتهم و قتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها و وضعوها في الصندوق بعد ان ضربوها اشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم تصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ما كان من امر هذه اللعينة ذات الدواهي و من معها و اما ما كان من امر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على اعدائهم و غنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا و انقيادنا لبعضنا فكن يا شركان ممتثلا لامري في طاعة الله عز وجل لاني نويت ان اقتل عشرة ملوك عوضا عن ابي و اذبح خمسين الفا من الروم و ادخل القسطنطينية فقال له اخوه شركان روحي فداؤك من الردى ولابد لي من الجهاد ولو اقيم في بلادهم سنين عديدة لكن يا اخي لي في دمشق ابنة واسمها قضى فكان وقلبي متعلق بحبها وهي من غرائب الزمان و سيكون لها شان فقال ضوء المكان و انا الآخر تركت جاريتي وهي حبلى على ميلاد و ما ادري ما يرزقني الله به فيا اخي عاهدني ان رزقني الله ولدا ذكرا تسمح لي بابنتك قضى فكان ان تكون

لولدي وتعطيني المواثيق والايمان فقال شركان حبا وكرامة ومد يده
الى اخيه وقال ان جاءك ولد اعطينه ابنتي قضى فكان بفرح بذلك
وصار يهني بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنّى الوزير دندان
شركان واخاه وقال لهما اعلما ايهـا الملكان ان الله نصرنا حيث
وهبنا انفسنا لله عز وجل وهجرنا الاهل والاوطـان والرأي عندي
ان نرحل وراءهم ونحـاصرهم ونقاتلهم لعل الله ان يبلغنا مرادنا
ونستأصل اعدائنـا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا
في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتـال والطعن في النزال
ثم ان الوزير دندان ما زال يحرضهـم على القتـال وانشد قول
من قـال

اَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الاَعَادِي ... وَاحْتِمَالِي عَلَى ظُهُورِ الجِيَادِ
وَرَسُـولٌ يَأْتِي بِوَعْدِ حَبِيبٍ ... وَحَبِيبٌ يَأْتِي بِـلَا مِيعَـادِ

وقول الآخر

وَاِنْ عُمِرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ وَالِدَةً ... وَالسَّمْهَرِيَّ اَخًا وَالمَشْرَفِيَّ اَبَا
بِكُلِّ اَشْعَثَ يَلْقَى المُوْتَ مُبْتَسِمًا ... حَتَّى كَاَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ اَرَبَـا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من ايدنا بنصره
العزيز وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم امر ضوء المكان العسكـر
بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدّوا في سيرهم حتى اشرفوا
على مرج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان
تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة ايام
فلما اشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة والاثمار
اليانعة وتلك الارض كانها جنّة اخذت زخرفها وازّينت وسكرت

اغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التسنيم واعتلال النسيم فتذهش العقل والناظر كما قال الشاعر

أُنْظُرْ إِلَى الرَّوْضِ النَّضِيرِ كَأَنَّمَا نُشِرَتْ عَلَيْهِ مُلَاءَةٌ خَضْرَاءُ
إِنْ مَا سَرَحْتَ بِلَحْظِ عَيْنِكَ لَا تَرَى إِلَّا غَدِيرًا جَالَ فِيهِ الْمَاءُ
وَتَرَى بِنَفْسِكَ عِزَّةً فِي دَوْحِهِ إِذْ فَوْقَ رَأْسِكَ حَيْثُ سِرْتَ لِوَاءُ

وكما قال الآخر

أَلنَّهْرُ خَدٌّ بِالشُّعَاعِ مُوَرَّدٌ قَدْ دَبَّ فِيهِ عِذَارُ ظِلِّ الْبَانِ
وَالْمَاءُ فِي سُوقِ الْغُصُونِ خَلَاخِلٌ مِنْ فِضَّةٍ وَالزَّهْرُ كَالتِّيجَانِ

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذي التفت اشجاره وزهت ازهاره وترنّمت اطياره نادى اخاه شركان وقال له يا اخي ان دمشقا ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلثة ايام حتى ناخذ لنا راحة لاجل ان تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فاقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا اصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين في هذا المكان للراحة لعل العساكر صادفوهم وربما اخذوا شيأ من بضائعهم التي معهم حيث كانوا فى بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك امر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا ايها الملك انا كنا في بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب اموالنا اخواننا المسلمون ونحن في بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم اقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد اخبرناك بما حصل لنا ثم اخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فاخذه شركان وقرأ ثم قال لهم سوف نرد

عليكم ما أُخذ منكم ولكن كان الواجب ان لاتحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يامولانا ان الله سيّرنا الى بلادهم لنظفر بمالم يظفر به احد من الغزاة ولا انتم في غزواتكم فقال لهم شركان وما الذي ظفرتم به فقالوا ما نذكر ذلك الا في الخلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه احد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبؤا الصندوق الذي فيه اللعينة ذات الدواهي فاخذهم ضوء المكان واخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى ابكوهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان النصارى الذين في هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان واخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى ابكوهما واخبروهما كما علّمتهم الكاهنة ذات الدواهي فرقّ قلب شركان للزاهد واخذته الرأفة عليه وقامت به الحميّة لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد ام هو في الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على انفسنا ثم اسرعنا في الهرب خوفا من العطب وقد اخبرنا بعض الثقات ان في هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك اتوا بالصندوق واخرجوا منه تلك الملعونة كانها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهي مكبّلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا انه رجل من خيار العباد وافضل الزهاد خصوصا وجبينها يضيء من الدهان الذي دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان

و اخوه بكاو شديدا ثم قاما اليها و قبلا يديها و رجليها و صارا ينتحبان فاشارت اليهما و قالت كُفّا عن هذا البكاء و اسمعا كلامي فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما اني قد رضيت بما صنعه بي مولاي لاني ارى ان البلاء الذي نزل بي امتحان منه عز و جل و من لم يصبر على البلاء و المحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت اتمنى اني اعود الى بلادي لا جزعاً من البلاء الذي حلّ بي بل لاجل ان اموت تحت حوا فر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل احياء غير اموات ثم انشدت هذه الابيات

اَلْحِصْنُ طُورُ وَنَارُ الْحَرْبِ مُوقَدَةٌ	وَاَنْتَ مُوسَى وَهٰذَا الْوَقْتُ مِيقَاتُ
اَلْقِ الْعَصَا تَتَلَقَّفْ كُلَّ مَا صَنَعُوا	وَلَا تَخَفْ بِحِبَالِ الْقَوْمِ حَيَّاتُ
فَاقْرَأْ سُطُورَ الْعِدَى يَوْمَ الْوَغَى سُوَرًا	فَاِنَّ سَيْفَكَ فِى الْاَعْنَاقِ آيَاتُ

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان و قبّل يدها واحضرلها الطعام فامتنعت وقالت اني لم افطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف افطر في هذه الساعة وقد جاد عليّ المولى بالخلاص من اسر الكفار ودفع عني ما هو اشق من عذاب النار فانا اصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء اقبل شركان هو وضوء المكان و قدما اليها الاكل و قالا لها كل ايها الزاهد فقالت ما هذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت في المحراب تصلي الى ان ذهب الليل و لم تزل على هذه الحالة ثلثة ايام بليا ليها وهي لم تقعد الا وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها و قال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك

العابد ووكّل فراشا بخدمته وفى اليوم الرابع دعت بالطعام فقدّ موالها
من الالوان ما تشتهي الانفس و تلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله
الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلٰوة
فقال شركان لضوء المكان اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية
الزهد و لولا هذا الجهاد لكنت لازمته و اعبد الله بخدمته حتى
القاه و قد اشتهيت ان ادخل معه الخيمة و اتحدث معه ساعة فقال له
ضوء المكان و انا كذلك و لكن نحن في غد ذاهبون الى غزو
القسطنطينية و لم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير
دندان و انا الآخر اشتهي ان ارى هذا الزاهد لعله يدعو لي
بقضاء نحبي فى الجهاد ولقاء ربي فاني زهدت الدنيا فلما جن عليهم
الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها
قائمة تصلي فدنوا منها و صاروا يبكون رحمة لها وهي لا تلتفت
اليهم الى ان انتصف الليل فسلمت من صلٰوتها ثم اقبلت عليهم
وحيتهم و قالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها ايها العابد اما
سمعت بكائنا حولك فقالت ان الذي يقف بين يدي الله لا يكون له
وجود فى الكون حتى يسمع صوت احد او يراه ثم انهم قالوا اننا
نشتهي ان تحدثنا بسبب اسرك و تدعو لنا في هذه الليلة فانها
خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله
لولا انكم امراء المسلمين ما احدثكم بشيء من ذلك ابدا فاني
لا اشكو الّا الى الله وها انا اخبركم بسبب اسري اعلموا انني كنت
فى القدس مع بعض الابدال و ارباب الاحوال وكنت لا اتكبر عليهم
لان الله سبحانه و تعالى انعم عليّ بالتواضع و الزهد فاتفق
انني توجهت الى البحر ليلة و مشيت على الماء فداخلني العجب

من حيث لا ادري و قلت في نفسي من مثلي يمشي علي الماء
فقسا قلبي من ذلك الوقت و ابتلاني الله بحب السفر فسافرت
الى بلاد الروم و جلت في اقطارها سنة كاملة حتى لم اترك موضعا
الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا
الجبل و فيه دير راهب يقال له مطروحنى فلما رآني خرج اليّ
وقبل يدي ورجلي فقال اني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم و قد
شوقتني الى بلاد الاسلام ثم انه اخذ بيدي و ادخلني ذلك الدير
ثم دخل بي الى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلني و اغلق
عليّ الباب وتركني فيه اربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان
قصده بذلك قتلي صبرا فاتفق في بعض الايام انه دخل ذلك الدير
بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان و معه ابنة
يقال لها تماثيل و لكنها في الحسن ليس لها مثيل فلما دخلوا
الدير اخبرهم الراهب مطروحنى بخبري فقال البطريق اخرجوه لانه
لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم
فوجدوني منتصبا في المحراب اصلي واقرأ و اسبح و اتضرع الى الله
تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنى ان هذا ساحر
من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا و دخلوا عليّ و اقبل عليّ
دقيانوس هو و جماعته و ضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت
الموت و لُمت نفسي و قلت هذا جزاء من يتكبر و يعجب بما انعم
عليه ربه مماليس في طاقته و انت يا نفسي قد داخلك العجب
والكبر اما علمت ان الكبر يغضب الرب و يقسى القلب و يدخل
الانسان النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني وكان سردابا
في ذلك البيت تحت الارض وكل ثلثة ايام يرمون اليّ قرصة من

الشعير وشربة ماء وكل شهر او شهرين يأتى البطريق ويدخل
ذلك الدير وتذكرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين
حين رأيتها ومضى لي فى الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها
اربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا فى بلاد الروم احسن
منها وكان ابوها يخاف عليها من الملك ان يأخذها منه لانها
وهبت نفسها للمسيح غيرانها تركب مع ابيها في زيّ الرجال الفرسان
وليس لها مثيل فى الحسن ولم يعلم من رآها انها جارية وقد
خزن ابوها اموالها في هذا الدير لان كل من كان عنده شيء من
نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رايت فيه من انواع
الذهب والفضة والجواهر وسائر الاواني والتحف ما لا يحصي عدده
الا الله تعالى فانتم اولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا
الدير وانفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل
هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة
التي فى الحائط لكرامة اكرمنى الله بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا
البطريق مطروحنى بعد ان عاقبوه اشدّ العقاب وجرّوه من لحيته
فدلّهم على موضعي فاخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا
من العطب وفى ليلة غد تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها
ويلحقها ابوها مع غلمانه لانه يخاف عليها فان شئتم ان تشاهدوا
هذا الامر فخذوني بين ايديكم وانا اسلم اليكم الاموال وخزانة
البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون اوانى
الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغني لهم
بالعربي فوا حسرتاه لوكان ذلك الصوت الحسن في قراءة القرآن
وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى ان يصل دقيانوس ومعه

ابنته فخذوها فانها لا تصلح الا لملك الزمان شركان او للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه لم يصدقها وما دخل كلامها في عقله وخشي ان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني اخاف ان يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسران يدخل الدير فامر السلطان العسكران يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدي ان نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه الى ذلك الجبل لاجل ان نحملهم المال الذي في الدير ثم ارسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فاحضره بين يديه واحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية وانت ايها الحاجب عوضا عني في الراي والتدبير وانت يا رستم تكون نائبا عن اخي في القتال ولا تعلموا احدا اننا لسنا معكم وبعد ثلثة ايام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو واخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان واخاه ضوء المكان والوزير دندان والمائة خيّال سافروا الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال فلما اصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا

وهم يظنون ان شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا انهم ذهبوا الى الدير هذا ماكان من امرهم واما ماكان من امر شركان واخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم اقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار اصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد ان دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستاذنوها فى الرحيل فاذنت لهم وامرتهم بماشاءت من المكر فلما جن الظلام قامت العجوز وقالت لضوء المكان واصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فاطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس وسار الباقون بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد ارسلت كتابا على اجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بماجرى وقالت في آخر الكتاب اريد ان تنفذلي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى احضر اليهم ومعي ملك المسلمين واخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير وسوف اسلم اليهم الصلبان التي فى الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنى لان الحيلة لا تتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديار ولا نافخ نار ويكون مطروحنى فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح اولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء برّاج الحمام الى الملك افريدون بالورقة فلما قرأها نفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وامرهم ان يصلوا الى ذلك الدير

فلمـــا وصلوا الى البرج المعـــروف كمنوا فيه هذا ما كان
من امر هؤلاء واما ماكان من امر الملك ضوء المكان واخيه
شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا
الراهب مطروحنى قد اقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا
اللعين فضربوه بالسيف واسقوه كاس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة
الى موضع النذور فاخرجوا منه من التحف والذخائر اكثر مما وصفته
لهم وبعدان جمعوا ذلك وضعوه فى الصناديق وحملوه على البغال
واما تماثيل فانها لم تحضر لاهي ولا ابوها خوفا من المسلمين
فاقام ضوء المكان فى انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال
شركان والله قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا ادري ما حالهم فقال
اخوه انا قد اخذنا هذا المال العظيم ومانظن ان تماثيل ولا غيرها يأتي
الى هذا الدير بعدان جرى لعسكر الروم ماجرى فينبغي اننا نقنع
بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم
نزلوا من الجبل فمـــا امكن ذات الدواهي ان تتعرض لهم خوفا
من التفطن بخداعها ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى باب الشعب
واذا بالعجوز قداكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احاطوا
بهم من كل جانب واشرعوا نحوهم الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح
ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوّقوا سهـــام شرهم فنظر ضوء المكان
واخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما
وقالوا من اعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا اخي ما هذا وقت
كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم
وقوّوا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد
العرب والعجم لولا ان هذا المكان ضيق لكنت افنيتهم ولو كانوا

مائة الف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة
آلاف فارس فقال الوزير دندان لوكان معنا عشرة آلاف فارس في
هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وانا
اعرف هذا الشعب وضيقه واعرف ان فيه مفاوز كثيرة لاني قد
غزوت فيه مع الملك عمر بن النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية
وكنا نقيم فيه وفيه ماء ابرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا
الشعب قبل ان يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل
فيرمو علينا الحجارة ولم نملك فيهم اربا فاخذوا فى الاسراع
بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا
الخوف وانتم قد بعتم انفسكم لله تعالى في سبيله والله اني مكثت
مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم اعترض على الله فيما
فعل بي فقاتلوا في سبيل الله فمن قُتل منكم فالجنة ماواه ومن
قَتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال
عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان
ولعبت في اعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل
المسلمون في طاعة الله اشد القتال واعملوا في اعدائه الاسنة
والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمي
رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى افنى منهم عددا لا يحصى
وجُملا لا تستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهي تشير
بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومي
اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة
حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتي بعدها فرقة اخرى حاملة
عليه فيردها بالسيف على اعقابها فظن ان نصره عليهم ببركة

العابد وقال في نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته
وقوي عزمي على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونني ولا يستطيعون
الاقدام عليّ بل كلما حملوا عليّ يولون الادبار و يركنون الى
الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما اقبل الليل نزلوا
في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمي
الحجارة و قتل منهم في ذلك اليوم خمسة واربعون رجلا و لما
اجتمعوا مع بعضهم فتّشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له اثرا فعظم
عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان انا رأيته يقوّى الفرسان
بالاشارات الربانية و يعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم في الكلام
واذا بالملعونة ذات الدواهي قد اقبلت وفي يدها راس البطريق
الكبير الرئيس على العشرين الفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا
وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما
راى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكلّيتهم عليه واوصلوا
الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجّل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة
قطعت رأس ذلك البطريق واتت بها والقتها بين يدي شركان والملك
ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائما على قدميه
وقال الحمد لله على سلامتك ورؤيتك ايها العابد المجاهد الزاهد فقال
يا ولدي اني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت ارمي روحي
بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما انفصلتم اخذتني الغيرة عليكم
وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعدّ بالف فارس فضربته
حتى اطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو منّي
واتيت برأسه اليكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اللعينة ذات الدواهي لما اخذت رأس البطريق رئيس العشرين الف كافرا تت بها والقتها بين يدي ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رايت حالكم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فاطحت راسه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني واتيت براسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريد ان اشغلكم في الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضي اليهم ايها الزاهد والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترني عن اعينهم فلا يروني ومن رآني لايجسران يقبل عليّ فاني في ذلك الوقت اكون فانيا في الله وهو يقاتل عني عداه فقال شركان صدقت ايها الزاهد لاني شاهدت ذلك واذا كنت تقدر ان تمضي اول الليل يكون ذلك اجود لنا فقال انا امضي في هذه الساعة وان كنت تريدان تجيء معي ولايراك احد فقم وان كان اخوك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان ظل الولي لايستر غير اثنين فقال شركان اما انا فلا اترك اصحابي ولكن اذا كان اخي يرضى بذلك فلا باس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فلياخذ معه الوزير دندان او من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام فاصطلحوا واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت امهلوني حتى اذهب قبلكم

وانظر حال الكفرة هل هم نيام او يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم
امرنا لله فقالت اذا طاوعتكم لاتلوموني ولوموا انفسكم فالرأي عندي ان
تمهلوني حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا
لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان
حدث اخاه بعد خروجها و قال لولا ان الزاهد صاحب كرامات
ما كان قتل هذا البطريق الجبار و في هذا القدر كفاية في كرامة
هذا الزاهد و قد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه
كان جبارا عنيدا و شيطانا مَريدا فبينماهم يتحدثون في كرامات
الزاهد و اذا با لمعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم و وعدتهم
بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذه حيلة
و خداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها
بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك و سر خلفي حتى نذهب
الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الكفار بالحيلة
التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح و قالوا ما يجبر خاطرنا
الا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا افرس منه
و قالوا لعجوز النحس ذات الدواهي حين اخبرتهم بانها تذهب
اليهم بملك المسلمين اذا اتيت به ناخذه الى الملك افريدون
ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت و توجه معها ضوء المكان
والوزير دندان وهي سابقة عليهما و تقول لهما سيرا على بركة الله
تعالى فاجاباها الى قولها و نفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل
سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب
المذكور الضيق و عساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم
بسوء لان الملعونة اوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان

ان عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما اظن الكفار الا عميانا لاننا نراهم وهم لا يروننا فبينما هما فى الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما احد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الآخر الذي بين ايدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نر احدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذي حلّ بنا عقوبة لنا من الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الآخر الذي معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا ما نرى احدا غيركما ثم ان الكفار قد وضعوا القيود في ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما فى المبيت وغابت العجوز ذات الدواهي عن اعينهما فصارا يتاسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدي الى اكثر من ذلك وجزانا ما حل بنا من الضيق الذي نحن فيه هذا ما كان من امر ضوء المكان والوزير دندان واما ما كان من امر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح قام وصلى صلوة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتاهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير

ثم ساروا الى ان وصلوا الى الكفار فلما رأهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمون انا اسرنا سلطانكم و وزيره الذي به انتظام امركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم واذا سلمتم لنا انفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على ان لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشيء ولا نضركم بشيء فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان ابيتم فما يكون الا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا معكم فلما سمع شركان كلامهم وتحقق اسر اخيه والوزير دندان عظم عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وايقن بالهلاك فقال في نفسه يا ترى ما سبب اسرهما هل حصل منهما اساءة ادب في حق الزاهد واعترضا عليه او ما شأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان وما زال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصة فوت حتى سال الوادي بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما اقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة وبانت منهم الغلبة والخسارة ولم يبق منهم الا القليل لم يكن منهم الا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة وثلثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له اصحابه لايكون الا مايريده الله تعالى فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكر ان خرجتم للقتال مابقي منكم احد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأي

الذي عندي فيه الرشاد ان تجرّدوا سيوفكم وتخرجوا و تقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان تدفعوا عن انفسكم من يدخل عليكم فلعل الزاهد ان يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينوننا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له اصحابه ان هذا الرأى هو الصواب وما في سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من اراد ان يدخل عليهم من الكفار يقتلونه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى ان ذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من اراد ان يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الّا خمسة وعشرون رجلا لاغير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا انفسهم الينا اخذناهم اسارى وان ابوا تركناهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لاولى الابصار فلا رحم المسيح اباهم ولا جعلَ مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة واضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار فسلّموا نفوسهم فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير

بقتلهم فقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك افريدون لاجل ان
يشفي غليله فينبغي اننا نبقيهم عندنا اسارى وفي غد نسافر بهم
الى القسطنطينية ونسلّمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد
فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم امروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرّاسا
فلما جنّ الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب
فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان واخوه ضوء المكان
مقيّدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى
اخيه وقال له يا اخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا ادري
وقد صرنا كالطير فى الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهّد من شدة غيظه
وتمطّى فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحرّاس
واخذ مفاتيح القيود من جيبه وفكّ ضوء المكان وفكّ الوزير
دندان وفكّ بقية العسكر ثم التفت الى اخيه ضوء المكان والوزير
دندان وقال اني اريد ان اقتل من الحرّاس ثلثة ونأخذ ثيابهم
ونلبسها نحن الثلثة حتى نصير في زيّ الروم ونسير بينهم حتى
لا يعرفوا احدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا
الرأي غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع احد شخيرهم
فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأي السديد ان نسير الى خارج الشعب
فاجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا
مربوطة واصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغي ان يأخذ كل
واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فاخذوا
خمسة وعشرين جوادا وقد القى الله النوم على الكفار لحكمة
يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف
والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي اخذوها وساروا وكان

في ظن الكفار ان لا يقدر احد على فكاك ضوء المكان واخيه ومن معهما من العساكر وانهم لايقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا في امن من الكفار وصل شركان الى اصحابه فوجدهم في انتظاره واقفين على نارو هم من اجله في غاية الافتكار فالتفت اليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سترنا الله ولكن عندي رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال اريد ان تطلعوا فوق الجبل وتكبّروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا لقد جاءتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة بقول الله اكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون ان عسكر المسلمين احاطوا بهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيوف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب والصواب اننا نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبّرنا تنبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا احد فقال شركان والله لو تنبهوا لنا ما علينا بأس واشتهي ان توافقوني على هذا الرأى وهو لا يكون الاخيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبّرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال اشتهي ان توافقوني على هذا الراي وهو لا يكون الاخيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبّرت معهم الجبال والاشجار والاحجار

من خشية الله فسمعه الكفار فصاحوا على بعضهم ولبسوا السلاح
وقالوا قد هجمت علينا الاعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم
ما لا يعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى
فلم يجدوا لهم اثرا فقال رؤساؤهم ان الذي فعل بكم هذه الفعال هم
الاسارى الذين كانوا عندنا ندونكم والسعي خلفكم حتى تلحقوهم
فتسقوهم كأس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا
خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم واحاطوا بهم
فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لاخيه ان الذي خفت
من حصوله قد حصل وما بقي لنا حيلة الا الجهاد فلزم شركان
السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من اعلا الجبل وكبّر
وكبّرت معه الرجال وعوّلوا على الجهاد وباعوا انفسهم في طاعة
رب العباد فبينماهم كذلك واذا باصوات يصيحون بالتهليل والتكبير
والصلوة والسلام على البشير النذير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا
جيوش المسلمين وعساكر الموحّدين مقبلين فلما رأوهم قويت
قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلّل وكبّر هو ومن معه
من الموحّدين فارتجّت الارض كالزلازل وتفرقت عساكر الكفار
في عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان وازاحوا منهم
الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين
يضربون في اعناق الكافرين الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار
ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما اصبح
الصباح واشرق بنوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم
الاتراك ومعهما عشرون الف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس
فلما رأوا ضوء المكان ترجّل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين

يديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين وهلاك قوم الكافرين ثم هنّوا بعضهم بالسلامة و عظيم الاجر في القيامة وكان السبب في مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار و ملكوا الابراج والقلاع و استعدوا في كل حصن منّاع حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمّدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجّة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذاهم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا اصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب في اعلام الكفار بذلك ما دبّرته العجوز ذات الدواهي من زورها و عهرها و بهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال امير الترك لامير الديلم يا امير اننا بقينا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذي كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس يخبرهم ان ماعندنا من سلطان و اننا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان و اخيه والوزير الاجلّ دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنّا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج و من الرأى ان تاخذ انت عشرة آلاف فارس من المواصلة والاتراك و تذهب بهم الى دير مطروحنا و مرج ملوخنا في طلب اخواننا واصحابنا فان اطعتموني كنتم سببا في الفرج

عنهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم و ان لم تطيعوني فلا لوم
عليّ و اذا توجهتم ينبغي ان ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم
سوء الظن فعندها قبل الامير المذكور كلامه وانتخبا عشرين الف
فارس و ساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير
المشهور هذا ماكان من امر سبب مجيئهم و اما ماكان من امر
العجوز ذات الدواهي فانها لما اوقعت السلطان ضوء المكان و اخاه
شركان والوزير دندان في ايدى الكفار اخذت تلك العاهرة جوادا
وركبته وقالت للكفار اني اريد ان الحق عسكر المسلمين و اتحيل
على هلاكهم لانهم فى القسطنطينية فاعلمهم ان اصحابهم هلكوا
فاذا سمعوا ذلك مني تشتت شملهم و انصرم حبلهم وتفرق جمعهم
ثم ادخل انا الى الملك افريدون ملك القسطنطينية و ولدي الملك
حردوب ملك الروم و اخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما
الى المسلمين و يهلكونهم ولا يتركون احدا منهم ثم انها سارت
تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما اصبح الصباح لاح لها
عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات واخفت جوادها هناك
ثم خرجت و تمشّت قليلا وهي تقول في نفسها لعل عساكر المسلمين
قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم
نظرت اليهم و تحققت اعلامهم فراتها غير منكّسة فعلمت انهم اتوا
غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم و اصحابهم فلما عاينت
ذلك اسرعت نحوهم بالجري الشديد مثل الشيطان المريد الى
ان وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل يا جند الرحمن الى جهاد
حزب الشيطان فلما رآها بهرام اقبل عليها وترجّل وقبّل الارض
بين يديها وقال لها يا ولي الله ماوراءك فقال لاتسال عن سوء

الحال وشديد الاهوال فان اصحابنا لما اخذوا المال من دير مطروحنى ارادوا ان يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو باس من الكفار ثم ان الملعونة اعادت اليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان اكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام ايها الزاهد متى فارقتهم فقال في ليلتي هذه فقال بهرام سبحان الذي طوى لك الارض البعيدة وانت ماش على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة الملهمين وحي الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش حيران بما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأُسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر اقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان واخاه شركان ينادیان بالتهليل والتكبير والصلوة والسلام على البشير النذير فحمل هو واصحابه واحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت به الجبال فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدي ضوء المكان واخيه شركان واخبرهم شركان بما جرى لهم في المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم اسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا اصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك اسرعوا في المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لَكَ الحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ فَمَا زِلْتَ لِي بِالعَوْنِ يَا رَبِّ فِي أَمْرِي

رَبَّيْتَ غَرِيبًا فِي ٱلْبِلَادِ وَكُنْتَ لِي كَفِيلًا وَقَدْ قَدَّرْتَ لِي نَصْرِي
وَأَعْطَيْتَنِي مَالًا وَمُلْكًا وَنِعْمَةً وَقَلَّدْتَنِي سَيْفَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّصْرِ
وَخَوَّلْتَنِي ظِلَّ ٱلْمَلِيكِ مُعَمَّرًا وَقَدْ جُدْتَ لِي مِنْ فَيْضِ جُودِكَ بِٱلْغَمْرِ
وَسَلَّمْتَنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ حَذِرْتُهُ بِمَشُورَةِ ٱلصَّدْرِ ٱلْوَزِيرِ فَتَى ٱلدَّهْرِ
بِفَضْلِكَ قَدْ صُلْنَا عَلَى ٱلرُّومِ صَوْلَةً وَقَدْ رَجَعُوا بِٱلضَّرْبِ فِي حُلَلٍ حُمْرِ
وَأَظْهَرْتُ إِنِّي قَدْ هُزِمْتُ هَزِيمَةً وَعُدْتُ عَلَيْهِمْ عَوْدَةَ ٱلضَّيْغَمِ ٱلْغَمْرِ
تَرَكْتُهُمْ فِي ٱلْقَاعِ صَرْعَى كَأَنَّهُمْ نَشَاوَى بِكَأْسِ ٱلْمَوْتِ لَا قَهْوَةِ ٱلْخَمْرِ
وَصَارَتْ بِأَيْدِينَا ٱلْمَرَاكِبُ كُلُّهَا وَصَارَ لَنَا ٱلسُّلْطَانُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَجَاءَ إِلَيْنَا ٱلزَّاهِدُ ٱلْعَابِدُ ٱلَّذِي كَرَامَتُهُ شَاعَتْ لَدَى ٱلْبَدْوِ وَٱلْحَضْرِ
أَتَيْنَا لِأَخْذِ ٱلثَّارِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ وَقَدْ شَاعَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي
وَقَدْ قَتَلُوا مِنَّا رِجَالًا فَأَصْبَحُوا لَهُمْ غُرَفٌ فِي ٱلْخُلْدِ تَعْلُو عَلَى نَهْرِ

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنّأه اخوه شركان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجّهوا مجدّين المسير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان هنّأ اخوه ضوء المكان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجّهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ماكان من امرهم واما ماكان من امر العجوز ذات الدواهي فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة واخذت جوادها وركبته واسرعت في سيرها حتى اشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت واخذت جوادها واتت به

الى السرادق الذي فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائما و اشار اليها بالايماء و قال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف و بهتانها المتلف وقالت اني اخاف على الامير رستم والامير بهرام لاني قد لاقيتهما مع عسكرهما في الطريق وارسلتهما الى الملك ومن معه وكانا في عشرين الف فارس والكفار اكثر منهم واني اردت في هذه الساعة ان ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم و قالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب و المسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم و بكوا فقالت لهم ذات الدواهي استعينوا بالله و اصبروا على هذه الرزيّة فلكم اسوة بمن سلف من الامة المحمديّة فالجنّة ذات القصور اعدّها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكلّ احد ولكنه في الجهاد احمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهي دعا باخ الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس ابطال عوابس وامره بالسير فسار في ذلك اليوم و طول الليل حتى قرب من المسلمين فلما اصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين و قال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما ان يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين و اما ان يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انّه اتى الى اخيه ضوء المكان و قال له لا تخف ابدا فاني افديك بروحي من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام و ان كان هؤلاء اعداؤنا فلا بدّ من قتالهم لكن اشتهي ان اقابل العابد قبل موتي لاسأله ان يدعولي ان لا اموت الاشهيدا فبينماهم كذلك و اذا بالرايات قد لاحت

مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال
المسلمين قالوا بعافية و سلامة وما اتينا الاخوفا عليكم ترجل رئيس
العسكر عن جواده و قبّل الارض بين يديه و قال يا مولانا كيف
السلطان والوزير دندان ورستم و اخي بهرام أمّاهم الجميع سالمون
فقال بخير ثم قال له و من الذي اخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر
انّه لقي اخي بهرام ورستم و ارسلهما اليكم و قال لنا ان الكفار
قد احاطوا بهم وهم كثيرون وما ارى الامر الّا بخلاف ذلك و انتم
منصورون فقالوا له وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا
على قدميه و قطع في يوم و ليلة مسيرة عشرة ايام للفارس المجدّ
فقال شركان لا شك انه وليّ الله و اين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا
اهل الايمان يحرّضهم على قتال اهل الكفر والطغيان ففرح شركان
بذلك و حمدوا الله على سلامتهم و سلامة الزاهد و ترحموا
على من قُتل منهم و قالوا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ثم ساروا
مجدّين في سيرهم فبينماهم كذلك و اذا بغبار قد طار حتى سدّ
الاقطار و اظلم منه النهار فنظر اليه شركان و قال اني اخاف ان يكون
الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سدّ المشرقين وملأ
الخافقين ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام اشدّ سوادا
من حالك الايام ولا زالت تقرب منهم تلك الدعامة وهي اشدّ
من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب
سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه
وهو ينادي يا امة خير الانام و مصباح الظلام ان الكفار غدروا
بالمسلمين فادركوا عساكر الموحّدين و انقذوهم من ايدى الكفرة
اللئام فانهم هجموا عليهم فى الخيام و نزل بهم العذاب المهين

وكانوا في مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجّل عن جواده وهو حيران ثم قبّل يد الزاهد ورجليه وكذلك اخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجّل عن جواده وقال والله ان قلبي نافر من هذا الزاهد لاني ما عرفت للمتنطّعين في الدين غير المفاسد فاتركوه وادركوا اصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر بن النعمان ودست اراضي هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد. اما نظرت الى هذا العابد وهو يحرّض المومنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال اعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد من الارض بعد ان اوقعه سابقا في العذاب الشديد ثم ان شركان امر ان يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب ايها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب واظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا ان هذا الزاهد العاهر هو الذي قال في مثله الشاعر

صَلَّى وَصَامَ لِأَمْرٍ كَانَ يَطْلُبُهُ ... لَمَّا قَضَى الْأَمْرَ لَا صَلَّى وَلَا صَامَا

ثم ان ذلك الزاهد مازال ماشيا بين الخيل والرجال كانه الثعلب المحتال للاغتيال وصار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن ومازالوا سائرين حتى اشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان في حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار وسيف الروم يعمل بين الابرار والفجار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة

قالت بلغني ايهـا الملك السعيدان شركان لما ادرك المسلمين
وهم في حالة الانكسار و الحاجب قد اشرف على الهزيمة و الفرار
والسيف يعمل بين الابرار والفجّار وكان السبب في خذل المسلمين
ان اللعينة ذات الدواهي عدوّة الدين لمارأت بهرام ورستم قدسارا
بعسكرهما نحو شركان واخيه ضوء المـكان سارت هي نحو عسكر
المسلمين وانفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك ان
تفرق بين عسـكر المسلمين لاجل ان يضعفوا ثم تركتهم و قصدت
القسطنطينية ونادت بطارقة الروم باعلى صوتهـا و قالت ادلوا حبلا
لِأَربط فيه هذا الكتاب واوصلوه الى ملكـكم افريدون ليقرأه هو
وولدي ملك الروم ويعملا بما فيه من امره و نواهيه فادلوا اليها
حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى
والطامّة الكبرى ذات الدواهي الى الملك افريدون اما بعد فاني
دبّرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنّين وقد اسرتهم
واسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجّهت الى عسكرهم واخبرتهم بذلك
فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين
للقسطنطينية حتى ارسلت اثنـا عشر الف فارس مع الامير تركاش
خلاف المـأسورين وما بقي منهم الا القليل فالمراد منكم انّكم
تخرجون اليهم بجميع عسكركم في بقيّة هذا النهار وتهجمون عليهم
في خيامهم ولكنّكم لا تخرجون الا سواء و اقتلوهم عن آخرهم فانّ
المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطّفت عليكم وارجو من المسيح
ان لاينسى فعلي الذي قد فعلته فلمـا وصل كتابها الى الملك

افريدون فرح فرحا شديدا وارسل فى الحال الى ملك الروم ابن
ذات الدواهي واحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكرامي
فانه يغنى عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم
المخوف فقال الملك افريدون لاعدم المسيح طلعتك امك ثم
انه امر البطارقة ان ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة وشاع
الخبر فى القسطنطينية وخرجت العساكر النصرانية و العصابة
الصليبية وجرّدوا السيوف الحداد واعلنوا بكلمة الكفر والالحاد
وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد
وصلوا الينا وقد علموا ان سلطاننا غائب فربما هجموا علينا
واكثر عسكرنا قد توجّه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب
ونادى ياعسكر المسلمين وحُماة الدين المتين ان هربتم هلكتم
وان صبرتم نصرتم فاعلموا ان الشجاعة صبر ساعة وماضاق امر الّا
اوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند
ذلك كبّرت المسلمون وصاحت الموحّدون ودارت رحاة الحرب
بالطعن والضرب وعملت الصوارم والرماح و ملأ الدم الاودية
والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان
واعلن المسلمون بتكبير الملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم
حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس عن الابدان وطافت
الملائكة الاخيار على امة النبي المختار ولم يزل السيف يعمل الى
ان ولّى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد احاطت الكفّار بالمسلمين
وحسبوا ان ينجوا من العذاب المهين وطمع المشركون في اهل
الايمان الى ان طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا ان الله
ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم

وثبت الشجاع وتقدّم وولّى الجبان وانهزم وقضى قاضى الموت
وحكم حتى تطاوحت الابطال عن السروج وامتلأت بالاموات
المروج وتأخرت المسلمون عن اماكنهم وملكت الروم بعض خيامهم
ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينماهم
كذلك اذ وصل شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحّدين فلمّا
اقبل عليهم شركان حمل على الكفّار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما
الوزير دندان وكذلك امير الديلم بهرام ورستم واخوه تركاش
فانهم لمّاراوا ذلك طارت عقولهم وغلب معقولهم وثار الغبار حتى
ملأ الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار باصحابهم الابرار واجتمع
شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنّأه بتائيده ونصره وفرحت
المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على اعدائهم واخلصوا للّه
في جهادهم فلمّا نظر الكفّار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة
الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور
ونادوا حنّى ومريم والصليب المسخم وانقبضت ايديهم عن القتال
وقدا قبل الملك افريدون على ملك الروم وصار احدهما
في الميمنة والآخر في الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف
وسْطا واصطفوا للنزال وان كانوا في فزع وزلزال ثم صفت المسلمون
عساكرهم فعند ذلك اقبل شركان على اخيه ضوء المكان وقال له يا
ملك الزمان لاشك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن
احبّ ان اقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف
المعيشة فقال السلطان ماذا تريد يا صاحب الرأى السديد فقال شركان
اريد ان اكون في قلب عسكر الكفار وان يكون الوزير دندان في الميسرة
وانت في الميمنة والامير بهرام في الجناح الايمن والامير رستم

فى الجناح الايسر وانت ايها الملك العظيم تكون تحت الاعلام
والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلّنا نفديك
من كلّ امر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح
وجرّدت الصفاح فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر
الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفرّ بصاحبها من وقع
السيوف وبرذعتها من ابيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير
وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف
الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين
وقال اني رسول اليكم اجمعين وما على الرسول الّا البلاغ فاعطوني
الامان والاقالة حتى ابلّغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا
تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع
الصليب من عنقه بين يدى السلطان وخضع له خضوع راجى الاحسان
فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال اني رسول من عند الملك
افريدون فاني نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهياكل
الرحمانية وبيّنت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصار على
فارسين فى الهيجاء فاجابني الى ذلك وهو يقول لكم اني فديت
عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلي ويفدي عسكره بروحه
فان قتلني فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر
الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال ياراهب انا اجبناه الى
ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكن منه خلاف وها انا ابرز اليه
واحمل عليه فاني فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلني
فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفرّ فارجع اليه ايها الراهب
وقل له ان البراز يكون في غد لاننا اتينا من سفرنا على تعب في هذا

اليوم وبعد الراحة لاعتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى
وصل الى الملك افريدون وملك الروم واخبرهما بذلك ففرح
الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال في نفسه
لاشك ان شركان هذا هو اضربهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا
قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهي كاتبت
الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان هو فارس الشجعان
وشجاع الفرسان وحذّرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا
عظيما لانه كان يقاتل انواع القتال ويرمي بالحجارة والنبال ويضرب
بعمود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلمّا سمع افريدون
قول الراهب من ان شركان اجاب الى البراز كاد ان يطير من شدة
الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم انه لاطاقة لاحد به ثم بات الكفار
تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح اقبلت
الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز في الميدان
وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معدّ للحرب والجلاد وله
قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معدّ للبأس
الشديد وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم ابتر وقنطارية
خولنج من غريب عمل الافرنج ثم ان الفارس كشف عن وجهه
وقال من عرفني فقد اكتفانى ومن لم يعرفني فسوف يراني انا
افريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تمّ كلامه حتى
خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر
يساوى الفا من الذهب الاحمر وعليه عدّة مزركشة بالدر والجوهر
وهو متقلد بسيف هندى مجوهر يقدّ الرقاب ويهون الامور
الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم

نادى افريدون وقال له ويلك يا ملعون اتظنني كمن لاقيت من الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كانهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا فى كرّ وفرّ وهزل وجدّ وضرب وطعن والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض يقول ان افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولّى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال له وحق دين المسيح والاعتقاد الصحيح ما انت الا فارس كرّار وبطل مغوار غير انك غدّار وطبعك ما هو طبع الاخيار لانّي ارى فعلك غير حميد وقتالك قتال الصنديد وقومك ينسبونك الى العبيد وهاهم اخرجوالك غير جوادك وتعود الى القتال واني وحق ديني قد اعياني قتالك واتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيأ من عدّتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول اصحابه في حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان واراد ان يشير اليهم ويامرهم ان لا يغيّروا له جوادا ولا عدّة واذا بافريدون هزّ حربته وارسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد احدا فعلم انها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد ادركته فمال عنها حتى ساوى براسه قربوص سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالى الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف انه قد قتله فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت اهل الطغيان

وبكت اهل الايمان فلمارأى ضوء المكان اخاه مائلا على الجواد حتى كاد ان يقع ارسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال واتوابه اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني البتار وكان اسبق الناس الى شركان الوزير دندان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك ضوء المكان لمارأى اللعين قد ضرب اخاه شركان بالحربة ظن انه مات فارسل اليه الفرسان وكان اسبق الناس اليه الوزير دندان وامير الترك بهرام وامير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فاسندوه ورجعوا به الى اخيه ضوء المكان ثم اوصوابه الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الّا دم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل فى الاعناق واشتد الشقاق الى ان ذهب اكثر الليل وكلّت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلّوا الارض بين يديه وهنّأنه القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكته واقبل عليه الملك حردوب وقال له قوّى المسيح ساعدك ولازال مساعدك واستجاب من الامّ الصالحة ذات الدواهي ماتدعو به لك واعلم ان المسلمين مابقي لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون فى غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولّون الادبار ويركنون الى الفرار

هذا ما كان من امر الكفار واما ما كان من امر عسكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده في اسوء الاحوال واشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفي آخر الليل اقبل عليهم الزاهد وهو يبكي فلما رآه ضوء المكان قام اليه فملس بيده على جرح اخيه وتلا شيأ من القرآن وعوّذه بايات الرحمٰن وما زال سهرانا عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وادار لسانه في فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصل له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانني بخير في هذه الساعة وقد عمل عليّ هذا الملعون حيلة ولولا اني زغت اسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدري فالحمد لله الذي نجاني وكيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم في بكاء من اجلك فقال اني بخير وعافية واين الزاهد وكان عند راسه قاعدا فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبّل يديه فقال الزاهد يا ولدي عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لي فدعا له فلما اصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيّأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح واراد الملك ضوء المكان وافريدون ان يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم

والمقام لا اتعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب بالسيف والسنان حتى اذهل الفرسان وتعجب الفريقان و حمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين و فى الميسرة فقتل منهـا بطريقين و وقف في وسط الميدان و قال اين افريدون حتي اذيقه عذاب الهون فاراد الملعون ان يولي و هو مغبون فلما رآه الملك حردوب هذا الحال اقسم عليه ان لا يخرج اليه وقال له يا ملك بالامس كان قتالك واليوم قتالي وانا بشجاعته لا ابالي ثم خرج وفي يده صارم و تحته حصان كانه الابجر الذي كان لعنتر و ذلك الحصان ادهم مغائر كما قال الشـــــاعر

قَدْ سَابَقَ الطَّرْفَ بِطِرْفٍ سَابِقٍ ۔۔۔ كَأَنَّهُ يُــرِيْدُ إِدْرَاكَ الْقَدَرْ
دُهْمَتُــهُ تُبْدِي سَوَادًا حَالِــكًا ۔۔۔ كَأَنَّهَــا لَيْلٌ إِذَا اللَّيْلُ عَكَــرْ
صَهِيلُهُ يُطْــرِبُ مَنْ يَسْمَعُهُ ۔۔۔ كَأَنَّهُ الرَّعْدُ إِذَا الرَّعْدُ زَجَــرْ
لَوْسَابَقَ الرِّيحَ جَرَى مِنْ قَبْلِهَا ۔۔۔ وَالْبَــرْقُ لَا يُسْبِقُهُ إِذَا ظَهَرْ

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه واظهر ما في بطنه من عجائبه واخذا فى الكرّ والفرّ حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور و صاح ضــوء المكان و هجم على ملك الارمن حردوب و ضــربه ضربة اطاح بها راسه و قطع انفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه و توجهوا بكليتهم اليه فقابلهم في حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجــريان و ضجّ المسلمون بالتكبير والتهليل و الصلوة على البشيــر النذير و قاتلوا قتالا شديدا و انزل الله النصر على المومنين والخزي على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر بن النعمان وثار ولده شركان وكشف راسه وصاح

للاتراك وكان بجانبه اكثر من عشرين الف فارس فحملوا معه جملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار وتولى الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتلوا منهم نحو خمسين الف فارس واسروا ما يزيد على ذلك وقُتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم غلق الروم الباب وطلعوا فوق الاسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين واتوا خيامهم ودخل الملك ضوء المكان على اخيه فوجده في اسرّ الاحوال فسجد شكراً للكريم المتعال ثم اقبل عليه وهنّاه بالسلامة فقال له شركان اننا كلنا في بركة هذا الزاهد الاوّاب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما دخل على اخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح واقبل عليه وهنّاه بالسلامة فقال شركان اننا كلنا في بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه ما برح اليوم وهو يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت انكم منصورون على اعدائكم فاحك لي يا اخي ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون حردوب واخبره انه قتله وراح الى لعنة الله فاثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل ولدها الملك حردوب انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها اخفت ذلك واظهرت للمسلمين

انها فرحت و انها تبكي من شدة الفرح ثم انها قالت في نفسها
وحق المسيح مابقي في حياتي فائدة ان لم احرق قلبه على اخيه شركان كما
احرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك حردوب
ولكنها كتمت ما بها ثم ان الوزير دندان و الملك شركان والحاجب
استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزاق والادهان و اعطوه
الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا و اعلموا به العساكر
فتباشر المسلمون و قالوا في غد يركب معنا و يباشر الحصار ثم ان شركان
قال لهم انكم قاتلتم اليوم و تعبتم من القتال فينبغي ان تتوجهوا
الى اماكنكم و تناموا ولا تسهروا فاجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى
سرادقه ومابقي عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي
فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب
عليهم النوم فصاروا مثل الاموات هذا ما كان من امر شركان و غلمانه
و اما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم صارت
يقظانة و حدها فى الخيمة و نظرت الى شركان فوجدته مستغرقا
فى النوم فوثبت على قدميها كانها دُبّة معطا او آفة رقطا و اخرجت
من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لاذابها ثم جردته من
غمده و اتت عند رأس شركان و جرته على رقبته فذبحته وازالت
رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها واتت الى الغلمان النيام وقطعت
رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة و اتت الى خيام السلطان
فوجدت الحرّاس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته
يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت
ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا
في هذا الوقت اني سمعت صوت ولي من اولياء الله و انا ذاهب

اليه ثم ولّت فقال الوزير دندان في نفسه والله لا تبع هذا الزاهد
في هذه الليلة فقام و مشى خلفها فلما احست الملعونة بمشيه عرفت
انه و راءها فخشيت ان تفتضح و قالت في نفسها ان لم اخدعه بحيلة
فاني افتضح معه فاقبلت اليه من بعيد وقالت ايها الوزير اني سائر
خلف هذا الولي لاعرفه وبعد ان اعرفه استاذنه في مجيئك اليه
و اقبل عليك و اخبرك لانّي اخاف ان تذهب معي بغير استئذان
الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها
استحى ان يردّ عليها جوابا فتركها و رجع الى خيمته واراد ان ينام
فما طاب له منام و كادت الدنيا ان تنطبق عليه فقام و خرج
من خيمته و قال في نفسه انا امضي الى شركان و اتحدث معه
الى الصباح فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة
ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة ازعجت من كان نائما فتسارعت
الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك
استيقظ السلطان ضوء المكان و سأل عن الخبر فقيل له ان شركان
اخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى ان دخل الخيمة فوجد
الوزير دندان يصيح و وجد جثة اخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا
و صاحت كل العساكر و بكوا و داروا حول ضوء المكان ساعة حتى
استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير
ورستم و بهرام واما الحاجب فانه صاح واكثر من النواح ثم طلب
الارتحال لما به من الاوجال فقال الملك اما علمتم بالذى فعل
باخي هذه الفعال ومالي لا ارى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد
فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الّا هذا الزاهد الشيطان
فوالله ان قلبي نفر منه فى الاول و الآخر لانني اعرف ان كل متنطع

فى الدين خبيث مــاكر واعاد علي الملك قصتــه وانــه اراد
ان يتبعه فما مكّنه ثم ان الناس ضجّوا بالبكاء والنحيب وتضرّعوا الى
القريب المجيب ان يوقع بين ايديهم ذلك الزاهد الذي هولاّ يات الله
جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على
فضله المشهور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل
المذكور وحزنوا على فضلـه المشهور ثم انتظروا باب المدينة ان
يفتح فما فتح ولا بان لهم على الاسوار اثر احد فتعجبوا غاية العجب
فقال الملك ضوء المكان والله لا احول عنهم ولو اقعد سنين واعواما
حتى آخذ بثــار اخي شركان واخرب القسطنطينية واقتل ملوك
النصرانية ولو تدركني المنيّة واستريح من الدنيا الدنيّة ثم امر باحضار
الاموال التي اخذوها من دير مطروحنا وجمع العساكر وفرق
الاموال وما ترك احدا حتى اعطاه واكنفاه من المال ثم احضر
من كل طائفة ثلثمــائة فارس وقال لهم ارسلوا النفقات الى بيوتكم
لاني مقيم هنــا على هذه المدينة سنين واعواما حتى آخذ ثار
اخي شركان ولو اموت في هذا المكان فلمــا سمعت العساكر هذا
الكلام اخذوا ما اعطاه لهم من الاموال واجابوا بالسمع والطاعة
واحضر ضوء المكان القصّاد واعطاهم الكتب واوصاهم بايصالها
وايصال الاموال الى بيوت العساكر وان يخبروهم بانهم سالمون
مطمئنون واعلموهم اننا في حصار القسطنطينية اما ان نخرّبها او
نموت ولو اقمنا شهورا واعواما ما نرحل عنها الا بفتحها ثم امر

الوزير دندان ان يكتب كتابا الى اخته نزهة الزمان وقال له اعلمها بما وقع لنا وما نحن فيه واوصها بولدي لاني لما خرجت كانت زوجتي قريبة من الولادة وماهي الآن الاولدت فان كانت رزقت ولدا كما سمعت فاسرع في العود وائتني بالاخبار ثم وهبهم شيأ من المال فاخذوه وسافروا من وقته وساعته وخرج الناس لوداعهم واوصوهم على اموالهم ثم بعد مسيرهم اقبل الملك على الوزير دندان وامره ان يامر الناس بالزحف من قرب السور فزحفوا فلم يجدوا احدا على الاسوار فتعجبوا من ذلك وبقي السلطان مهموما لذلك حزينا على فراق اخيه شركان متحيرا على الزاهد الخوان فاقاموا على ذلك ثلثة ايام فلم يروا احدا هذا ماكان من امر المسلمين واما ماكان من امر الروم وسبب غيابهم عن القتال في هذه الثلثة ايام فان ذات الدواهي لما قتلت شركان اسرعت في مشيها واتت الى السور وصاحت بلسان الروم للحراس ان يدلوا لها الحبل فقالوا لها من انت فقالت انا ذات الدواهي فعرفوها وادلوا لها الحبل فربطت نفسها وسحبوها فلما وصلت اليهم دخلت على الملك افريدون فقالت له ما هذا الذي سمعته من المسلمين فانهم قالوا ان ابني حردوب قتل فقال نعم فصاحت وبكت ومازالت تبكي حتى ابكت افريدون ومن حضر عنده ثم اعلمت افريدون انها ذبحت شركان وثلثين من الغلمان ففرح افريدون بذلك وشكرها وقبل يديها ودعى لها بالصبر على ولدها فقالت وحق المسيح اني لم ارض بقتل كلب من كلاب المسلمين في ثأر ملك من ملوك الزمان ولا بد اني اعمل حيلة وادبر مكيدة اقتل بها السلطان ضوء المكان

والوزير دندان والحاجب ورستم وبهرام وعشرة آلاف فارس من
عسكر الاسلام ولاتروح راس ولدى براس شركان ولا يكون ذلك
ابدا ثم قالت للملك افريدون اعلم يا ملك الزمان انّي اريد ان
اقيم على ولدي الاحزان واقطع الزنّار واكسر الصلبان فقال
افريدون افعلي ما شئت فانّي لا اخالف لك امرا ولو عملت حزنك
زمانا طويلا لكان قليلا فان المسلمين لو ارادوا يحاصروننا
سنين واعواما لم ينالوا منا اربا ولا ينالهم منا غير التعب
والنصب ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التي عملتها
والمخازى التي لنفسها ابدتها اخذت دواة وقرطاسا وكتبت
فيه من عند شواهي ذات الدواهي الى حضرة المسلمين
اعلموا اني دخلت بلادكم وغششت بلؤمى كرامكم وقتلت سابقا
ملككم عمر بن النعمان في وسط قصره وقتلت ايضا في وقعة الشعب
والمغارة رجلا كثيرا وآخر من قتلته شركان وغلمانه ولو ساعدني
الزمان وطاوعني الشيطان لابد من قتل السلطان والوزير دندان وانا
الذي اتيت اليكم في زيّ الزاهد وانطلقت عليكم منى الحيل والمكائد
فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك انفسكم
فعن الاقامة لاتعدلوا فلو اقمتم سنين واعواما فما تبلغون منّا مراما
والسلام وبعد ان كتبت الكتاب اقامت في حزنها على الملك حردوب
ثلثة ايام وفى اليوم الرابع دعت بطريقا وامرته ان يأخذ الورقة
ويضعها في سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسه وصارت
تندب وتبكي على فقد ولدها وقالت لمن تسلطن بعده لابد ان
اقتل ضوء المكان وجميع امراء الاسلام هذا ما كان من امرها واما
ما كان من امر المسلمين فانهم اقاموا ثلثة ايام في هم واغتمام

وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معه سهم نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فامر السلطان الوزير دندان ان يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه وصاح وتضجّر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبي نافرا منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرّتين ولكن والله لا احول من هنا حتى املأ فرجها بمسيح الرصاص واسجنها سجن الطير في الاقفاص وبعد ذلك اربطها من شعرها واصلّبها على باب القسطنطينية ثم تذكّرا خاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي واخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم ان المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان انه ان فتح المدينة فرق اموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تنشف دموعه حزنا على اخيه وعرى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقرّ عينا فان اخاك ما مات الا باجله وليس في هذا الحزن فائدة وما احسن قول الشاعر

مَالَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ ... أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ ... وَاَخُ الْجَهَالَةِ دَائِمًا مَغْبُونُ

فدع البكاء والنواح وقوِّ قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير ان قلبي مهموم من اجل موت ابي واخي ومن اجل غيابنا عن بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون وما زالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينماهم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة امير من امرائه

مضمونه ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان اخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شان بسبب ما رأوه له من العجائب والغرائب وقد امرت العلماء والخطبـــاء ان يدعوا لكم على المنـــابر ودبر كل صلوة وانّنا طيّبون بخيـــر والامطار كثيرة وان صاحبك الوقّاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال ضوء المكان الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما اتاه الخبر بان زوجته ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ماكان ثم قال للوزير دندان اني اريد ان اترك هذا الحزن واعمل لاخي ختمات وامورا من الخيرات فقال الوزير نِعم ما اردت ثم امر بنصب الخيام على قبر اخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقـــرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصبـــاح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر اخيه شركان وسكب العبرات وانشد هذه الابيـــــــــــــــات

خَرَجُوْا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكٍ خَلْفَهُ ... صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دَكِّ الطُّوْرِ
حَتَّى اَتَوا جَدَثًا كَاَنَّ ضَرِيْحَـــهُ ... فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُـــوْرُ
مَاكُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ اَنْ اَرَى ... رَضْوَى عَلَى اَيْدِى الرِّجَالِ تَسِيْرُ
كَلَّا وَلَا مِنْ قَبْلِ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى ... اَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُوْرُ
اَمُجَاوِرَ الدِّيْمَاسِ رَهْنُ قَرَارَةٍ ... فِيْهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّوْرُ

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم اتى الى القبر ورمى نفسه عليه وهو حائر وانشد الوزير قول الشاعر

تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَنِلْتَ الَّذِي يَبْقَى وَمِثْلُكَ أَقْوَامٌ فَقَدْ سَبَقُوا سَبْقَا

وَفَارَقْتَ هٰذِي الدَّارَ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ وَمَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا تَسُرُّ بِمَا تَلْقَى

وَكُنْتَ مِنَ الاَعْدَاءِ تُبْدِي وِقَايَةً إِذَا مَا سِهَامُ الْحَرْبِ حَاوَلَتِ الرَّشْقَا

أَرَى هٰذِهِ الدُّنْيَا غُرُورًا وَبَاطِلًا وَجُلُّ مُرَادِ الْخَلْقِ أَنْ يَطْلُبُوا الْحَقَّا

حَبَاكَ إِلٰهُ الْعَرْشِ فَوْزًا بِجَنَّةٍ وَأَسْكَنَكَ الْهَادِي بِهَا مَقْعَدًا صِدْقَا

وَإِنِّي وَقَدْ أَمْسَيْتُ فِيكَ بِحَسْرَةٍ أَرَى الْغَرْبَ مَحْزُونًا بِفَقْدِكَ وَالشَّرْقَا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديدا ونثرت عيونه الدموع درّا نضيدا ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان و بكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما لشركان من المكرمات وانشد شعرا مخبرا

أَيْنَ الْعَطَاءُ وَكَفُّ جُودِكَ فِي الثَّرَى وَالْجِسْمُ بَعْدَكَ بِالسَّقَامِ قَدِ انْبَرَى

يَا حَادِيَ الْاَظْعَانِ سَرَّكَ مَا تَرَى كَتَبَتْ دُمُوعِي فَوْقَ خَدِّي أَسْطُرَا

تَعْنِي بِهَا وَتَلَذُّ مِنْهَا مَنْظَرَا

وَاللّٰهِ مَا حَدَّثْتُ عَنْكَ ضَمَائِرِي كَلَّا وَلَا خَطَرَتْ عُلَاكَ بِخَاطِرِي

إِلَّا وَقَدْ جَرَحَ الدُّمُوعُ مَحَاجِرِي وَإِذَا صَرَفْتُ إِلَى سِوَاكَ نَوَاظِرِي

جَذَبَ الْغَرَامُ عِنَانَ طَرْفِي فِي الْكَرَى

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام واقبل السلطان على الوزير دندان واخذا يتشاوران في امر القتال واستمرا على ذلك اياما ولياليي وضوء المكان يتضجّر من الهمّ والاحزان ثم قال اني اشتهي سماع اخبار الناس واحاديث الملوك وحكايات المتيّمين لعل الله يفرج ما بقلبي من الهم الشديد ويذهب عنّي البكاء والعديد فقال الوزير ان كان ما يفرج همّك الّا سماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فان هذا امر سهل لانني لم يكن لي شغل في حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفي هذه الليلة احدّثك بخبر العاشق والمعشوق لاجل ان ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الّا بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع ما يحكيه الوزير دندان من اخبار المتقدمين من الملوك والمتيّمين فما صدق ان الليل اقبل حتى امر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليه من الاكل والشرب وآلات البخور فاحضروا له جميع ذلك ثم ارسل الى الوزير دندان فحضر وارسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلمّا حضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما احضر
الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال
اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل
ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا
وكرامة اعلم ايها الملك السعيد انه بلغني من حكاية العاشق
والمعشوق والمتكلم بينهما وما جرى لهم من العجائب والغرائب
ما يزيل الهم عن القلوب ويسلي عن مثل حزن يعقوب وهو انه
كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال اصبهان يقال لها المدينة
الخضراء وكان بها ملك يقال لها الملك سليمان شاه وكان صاحب
جود واحسان وعدل وامان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان
من كل مكان وشاع ذكره فى سائر الاقطار والبلدان واقام فى المملكة
مدة مديدة من الزمان وهو فى عزّ وامان الّا انه كان خاليا من
الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه فى الصفات من الجود
والهبات فاتفق انه ارسل الى وزيره يوما من الايام واحضره بين
يديه وقال له يا وزيري انه قد ضاق صدري وعيل صبري وضعف
مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام
على كل امير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفه الاولاد وتتضاعف
لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا
تناسلوا تكثروا فاني مُبَاهٍ بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأي
يا وزير فشر عليّ بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك
الكلام فاضت الدموع من عينه بالانسجام وقال له هيهات يا ملك

الزمان ان اتكلم فيما هو من خصائص الرحمن اتريدان ادخل النار بسخط الملك الجبار فاشترجارية فقال له الملك اعلم ايها الوزير ان الملك اذا اشترى جارية لايعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لايدري خساسة اصلها حتى يجتنبها ولاشرف عنصرها حتى يتسرى بها فاذا افضي اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظالما سافكا للدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولايحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما امر به ولا يجتنب ما عنه نهاه فانا لا اتسبب في هذا بشراء جارية ابدا وانما مرادي ان تخطب لي بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجما لها موصوفا فان دللتني على ذات النسب والدين من بنات الملوك المسلمين فاني اخطبها واتزوّج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لي بذلك رضاء رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلّغك امنيتك فقال له اعلم ايها الملك انه بلغني ان الملك زهرشاه صاحب الارض البيضاء له بنت بارعة الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ادبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هَيْفَاءُ تُخْجِلُ غُصْنَ الْبَانِ قَامَتُهَا	لَمْ يَحْكِ طَلْعَتَهَا شَمْسٌ وَلَاقَمَرُ
كَأَنَّمَا رِيقُهَا شَهْدٌ وَقَدْ مُزِجَتْ	بِهِ الْمُدَامَةُ لَكِنْ ثَغْرُهَا دُرَرُ
مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ لَهَا	وَجْهٌ جَمِيلٌ وَفِي أَلْحَاظِهَا حَوَرُ
وَكَمْ لَهَا مِنْ قَتِيلٍ مَاتَ مِنْ كَمَدٍ	وَفِي طَرِيقِ هَوَاهَا الْخَوْفُ وَالْخَطَرُ

اِنْ عِشْتُ فَهِيَ الْمُنَى مَا شِئْتُ اذكرها　　اَوْ مُتُّ مِنْ دُونِهَا لَمْ يُجْدِنِي الْعُمُرُ

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأى عندي ايها الملك ان ترسل الى ابيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجربا لتصاريف الدهور ليتلطف في خطبتها لك من ابيها فانها لانظير لها في قاصي الارض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لارهبانية فى الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم اقبل على الوزير وقال له اعلم ايها الوزير انه لايتوجه الى هذا الامر الا انت لكمال عقلك وادبك فقم الى منزلك واقض اشغالك وتجهز في غد واخطب لي هذه البنت التي اشغلت بها خاطرى ولاتعد الي الا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التي تصلح للملوك من الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف فى الحمل ثقيل فى الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداؤدية وصناديق المال التي يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على راسه الرايات والاعلام واوصاه الملك ان ياتي اليه في مدة قليلة من الايام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالى النار مشغولا بحبها في الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوي براري وقفارا حتى بقي بينه وبين المدينة التي هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر واحضر بعض خواصه وامره ان يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة

الی تلک المدینة فلمّا قدم علیها وافق قدومه ان الملک زهر
شاه کان جالسا في بعض المنتزهات قدّام باب المدینة فرآه وهو داخل
وعرف انه غریب فامر باحضاره بین یدیه فلما حضر الرسول اخبره بقدوم
وزیر الملک الاعظم سلیمـــان شاه صاحب الارض الخضراء و جبال
اصفهان ففرح الملک زهرشاه و رحّب بالرسول واخذه و توجه الی
قصره و قال این فارقت الوزیر فقال فارقته في اول النهار علی شاطیٔ
النهر الفلاني وفي غد یکون واصلا الیک ادام الله نعمته علیک ورحم
و الدیک فامر زهرشاه بعض وزرائه ان یاخذ معظم خواصه وحجابه
و نوابه و ارباب دولته و یخرج بهم الی مقابلته تعظیمـــا للملک
سلیمان شاه لان حکمه نافذ في الارض هذا ماکان من امر زهرشاه
و اما ماکان من امر الوزیر فانه استقر في مکانه الی نصف اللیل ثم
رحل متوجّها الی المدینة فلما لاح الصباح واشرقت الشمس علی
الروابي و البطاح لم یشعـــر الا و وزیر الملک زهرشاه و حجابـــه
وارباب دولته و خواص مملکته قدموا علیه و اجتمعوا به علی فراسخ من
المدینة فایقن الوزیر بقضاء حاجته وسلم علی الذین قابلوه ولم
یزالوا سائرین قدامه حتی وصلوا الی قصر الملک ودخلوا بین یدیه
في باب القصر الی سابع دهلیز وهو المکان الذي لا یدخله الراکب
لانه قریب من الملک فترجّل الوزیر و سعی علی قدمیـــه حتی
وصل الی ایوان عال و في صدر ذلک الایوان سریر من المـــرمر
مرصّع بالدر والجوهر وله اربعة قوائم من انیاب الفیل وعلی ذلک
السریر مرتبة من الاطلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمـــر ومن
فوقها سرادق مرصع بالدر والجـــوهر و الملک زهرشاه جالس علی
ذلک السریر وارباب دولته واقفون في خدمته فلما دخل الوزیر علیه

وصار بين يديه ثبّت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشاه ثبّت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلّم بكلام البلغاء واشار الى الملك بلطف التفات وانشد هذه الابيات

وافى واقبل في الغلائل ينثني   يولي الندى للمجتنى والمجتني
ورقى فما تغني التمائم والرقا   والسحر من لحظات تلك الاعين
قل للعواذل لاتلوموا انني   طول المدى عن حبه لا انثني
حتى فؤادي خانني وو فى له   وكذا الرقاد صبا اليه وملني
ياقلب ما امسيت وحدك رائقا   فامكث لديه وان تكن اوحشتني
لا شيء يطرب مسمعي بسماعه   الا الثناء لزهرشاه اجتني
ملك اذا انفقت عمرك كله   في نظرة من وجهه انت الغني
واذا انتخبت له دعاء صالحا   لم تلق غير مشارك ومؤمن
يا اهل ذا الملك الذي من فاته   ورجا سواه فما اراه بمؤمن

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربه الملك زهرشاه واكرمه غاية الاكرام واجلسه بجانبه وتبسم في وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط في ذلك الايوان فاكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من في

المجلس ولم يبق الا الخواص فلما رأى الوزير خلوّ المكان نهض قائما على قدميه واثنى على الملك وقبّل الارض بين يديه ثم قال ايها الملك الكبير والسيد الخطير اني سعيت اليك وقدمت عليك في امر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو اني قد اتيتك رسولا خاطبا وفي بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال اصفهان وقد ارسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو في مصاهرتك راغب فهل انت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك اثني على ذي الجلال والاكرام وقال وهو في حالة القيام ايها الوزير المعظّم والسيد المكرّم اسمع ما اقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه وننافس فيه وابنتي جارية من جملة جواريه وهذا اجلّ مرادي ليكون ذخري واعتمادي ثم انه احضر القضاة والشهود وشهدوا ان الملك سليمان شاه وكّل وزيره في الزواج وتولّى الملك زهر شاه عقد بنته بابتهاج ثم ان القضاة احكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير واحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه ثم ان الملك اخذ في تجهيز ابنته واكرام الوزير وعمّ بولائمه العظيم والحقير واستمرّ في اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيئا مما يسرّ القلب والعين ولمّا تمّ ما تحتاج اليه العروسة امر الملك باخراج

الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق و هيئوا الجوارى الروميات والوصائف التركيات واصحب العروسة بنفيس الذخائر و ثمين الجواهر ثم صنع لها محفّة من الذهب الاحمر مرصّعة بالدر والجوهر و افرد لها عشرين بغالا للمسير وصارت تلك المحفة كانها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كانها حورية من الحور الحسان و خدرها كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال و حملوها على البغال والجمال و توجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلثة فراسخ ثم ودّع الوزير و من معه و رجع الي الاوطان في فرح و امان و توجه الوزير با بنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير توجه با بنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجدّ السير فى الليل والنهار حتى بقي بينه وبين بلاده ثلثة ايام ثم ارسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فاسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك واخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول و امر عساكره ان يخرجوا في موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وان تكونوا في احسن البهجات وان ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا امره ونادى مناد في المدينة انه لا تبقى بنت مخدّرة ولا حرة موقّرة ولا عجوز مكسّرة الا وتخرج الي لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها وسَعَتْ كبراؤهم في خدمتها واتفقوا على ان يتوجهوا بها في الليل الى قصر الملك

واتفق ارباب الدولة على ان يزيّنوا الطريق وان يقفوا حتى تمرّ بهم العروسة والخدام قدامها والجواري بين يديها وعليها الخلعة التي اعطاها لها ابوها فلما اقبلت احاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفّة سائرة بها الى ان قربت من القصر ولم يبق احد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدّمت الغلمان بالمحفّة الى باب السرّ فاضاء المكان ببهجتها واشرقت جهاته بحلي زينتها فلما اقبل الليل فتح الخدام ابواب السرادق ووقفوا وهم محتاطون بالباب ثم جاءت العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم او الدرّة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك واوقع الله محبتها في قلبه فازال بكارتها وزال ماكان عنده من القلق والقهر واقام عندها نحو شهر فعلقت منه في اول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل في رعيّته الى ان وفت اشهرها وفي آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسي الطلق وهوّن الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا واعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجّه الى الغلام وقبّله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

اَللّٰهُ خَوَّلَ مِنْهُ آجَامَ الْعُلَا   اَسَدًا وَآفَاقَ الرِّآسَةِ كَوْكَبًا

هَشَّتْ لِمَطْلَعِهِ الاَسِنَّة وَالاَسِرَّةُ ... وَالمَحَافِلُ وَالجَحَافِلُ وَالظِّبَى
لاَتَرْكَبُوهُ عَلَى النُّهُودِ فَانَّهُ ... يَرَى ظُهُورَ الخَيْلِ اَوْطَاءُ مَرْكَبَا
وَلْتَفْطِمُوهُ عَنِ الرَّضَاعِ فَاِنَّهُ ... يَرَى دَمَ الاَعْدَاءِ اَحْلَى مَشْرِبَا

ثم ان الدايات اخذن ذلك المولود وقطعن سرّته وكحّلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدي الدلال وتربّى في حجر الاقبال ولازالت الايام تجري والاعوام تمضي حتى صارله من العمر سبع سنين فعند ذلك احضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وامرهم ان يعلّموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم مايحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه الملك احضره من عند الفقهاء والمعلمين واحضرله استاذا يعلّمه الفروسية فلم يزل يعلّمه حتى صارله من العمر اربعة عشر سنة وكان اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر في الفروسية وفاق اهل زمانه صارمن فرط جماله اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت في محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر

عَانَقْتُهُ فَسَكِرْتُ مِنْ طِيبِ الشَّذَى ... غُصْنًا رَطِيبًا بِالنَّسِيمِ قَدِ اغْتَذَى

سَكْرَانُ مَا شَرِبَ الْمُدَامَ وَانَّمَا ... اَمْسَى بِخَمْرِ رُضَابِهِ مُتَنَبِّذًا
اَضْحَى الْجَمَالُ بِاَسْرِهِ فِي اَسْرِهِ ... فَلِاَجْلِ ذَاكَ عَلَى الْقُلُوبِ اسْتَحْوَذَا
وَاللّٰهِ مَا خَطَرَ اسْلُوُّ بِبَالِي ... مَادُمْتُ فِي قَيْدِ الْحَيوةِ وَلَا اِذَا
اِنْ عِشْتُ عِشْتُ عَلَى هَوَاهُ وَاِنْ اَمُتْ ... وَجْدًا بِهِ وَصَبَابَةً يَا حَبَّذَا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دبّ عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانهما خال كنقطة عنبر وصار يسبي العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

اَضْحَى لِيُوسُفَ فِي الْجَمَالِ خَلِيفَةً ... تَخْشَاهُ كُلُّ الْعَاشِقِينَ اِذَا بَدَا
عَرِّجْ مَعِي وَانْظُرْ اِلَيْهِ لِكَيْ تَرَى ... فِي خَدِّهِ عَلَمَ الْخِلَافَةِ اَسْوَدَا

وكما قال الآخر

مَا اَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ اَحْسَنَ مَنْظَرًا ... فِيمَا يُرَى مِنْ سَائِرِ الْاَشْيَاءِ
كَالشَّامَةِ الْخَضْرَاءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ ... الْحَمْرَاءِ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السَّوْدَاءِ

وكما قال الآخر

عَجِبْتُ بِخَالٍ يَعْبُدُ النَّارَ دَائِمًا ... بِخَدِّكَ لَمْ يُحْرَقْ بِهَا وَهُوَ كَافِرُ
وَاَعْجَبُ مِنْ ذَا اَنَّ بِاللَّحْظِ مُرْسَلًا ... يُصَدِّقُ بِالْآيَاتِ وَهُوَ لَسَاحِرُ
وَمَا اخْضَرَّ ذَاكَ الْخَدُّ نَبْتًا وَاِنَّمَا ... لِكَثْرَةِ مَا شُقَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَائِرُ

وكما قال الآخر

اِنِّي لَاَعْجَبُ مِنْ سُؤَالِ النَّاسِ عَنْ ... مَاءِ الْحَيوةِ بِاَيِّ اَرْضٍ مُنْهَمِرْ
وَلَقَدْ اَرَاهُ بِثَغْرِ ظَبْيٍ اَغْيَدٍ ... حُلْوِ اللَّمَى وَعَلَيْهِ شَارِبُهُ الْخَضِرْ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ اَنَّ مُوسَى يَلْتَقِي ... مَعَهُ هُنَالِكَ سَائِلًا لَمْ يَصْطَبِرْ

فلما صار بتلك الحالة و بلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خاران اصحاب واحباب وكل من تقرّب اليه يرجوانه يصير سلطانا بعد موت ابيه وانه يكون عنده اميرا ثم انه تعلّق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البرّ والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق انه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة ايام فامتثلوا ما امرهم به فلما خرج باتباعه للصيد والقنص ساروا فى البرّ و لم يزالوا سائرين اربعة ايام حتى اشرفوا على ارض خضراء فرأوا فيها وحوشا راتعة واشجارا يانعة. وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا واوسعوا دائرة حلقتها و يكون اجتماعنا عند راس الحلقة فى المكان الفلاني فامتثلوا امره وانصبوا الحبائل واوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شيء كثير من اصناف الوحوش والغزلان الى ان ضجت منهم الوحوش وتنافرت في وجوه الخيل فاغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فاصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد اخذوا من الوحوش شيأ كثيرا وهرب الباقي وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء واحضر الصيد وقسّمه وافرد لابيه سليمان شاه خاص الوحوش وارسله اليه وفرّق البعض على ارباب دولته وبات تلك الليلة في ذلك المكان فلما اصبح الصباح اقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد و غلمان و تجّار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض اصحابه ائتني بخبر هولاء واسالهم لايّ شيء نزلوا في هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم اخبرونا من انتم واسرعوا في ردّ الجواب فقالوا له نحن

تجّار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا في
هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده و نعلم ان
كل من نزل عنده صار في امان واطمئنان ومعنا قماش نفيس
جئنا به من اجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك
واعلمه بحقيقة الحال واخبره بما سمعه من التجّار فقال ابن الملك
اذا كان معهم شيء جاؤا به من اجلي فما ادخل المدينة ولا ارحل
من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه
خلفه الى ان اشرف على القافلة فقام له التجار ودعواله بالنصر والاقبال
ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر
مزركشة بالدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من
الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك
في خدمته وارسل الى التجار وامرهم ان يحضروا بجميع ما معهم
فاقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضاعتهم واخذ منها
ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب واراد ان يسير فلاحت منه
التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف
المعاني بجبين ازهر ووجه اقمر الّا ان ذلك الشاب قد تغيرت
محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لاحت منه التفاتة
الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني
الّا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة

الاحباب و زاد به الانين والانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طَالَ الفِرَاقُ وَدَامَ الهَمُّ وَالوَجَلُ ... وَالدَّمعُ مِن مُقلَتِي بَالعَادِ مُنهَمِلُ
وَالقَلبُ وَدَّعتهُ يَومَ الفِرَاقِ وَقَد ... بَقِيتُ فَردًا فَلَا قَلبٌ وَلَا اَمَلُ
يَا صَاحِبِي قِف مَعِي حَتَّى اُوَدِّعَ مَن ... مِن نُطقِهَا تَشتَفِي الاَمرَاضُ وَالعِلَلُ

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة و غشي عليه و تاج الملوك ناظر اليه و هو يتعجب من امره فلما افاق رنا بفاتك اللحظات و انشد هذه الابيات

خُذُوا حِذرَكُم مِن طَرفِهَا فَهُوَ سَاحِرُ ... وَلَيسَ بِنَاجٍ مَن رَمَتهُ المَحَاجِرُ
فَاِنَّ العُيُونَ السُّودَ وَهِيَ نَوَاعِسٌ ... تَقُدُّ السُّيُوفَ البِيضَ وَهِيَ بَوَاتِرُ
وَلَا تَنخَدِعُوا مِن رِقَّةٍ فِي كَلَامِهَا ... فَاِنَّ الحُمَيَّا لِلعُقُولِ تُخَامِرُ
مُنَعَّمَةُ الاَطرَافِ لَو مَسَّ جِسمَهَا ... حَرِيرٌ لَادمَاهُ وَهَا اَنتَ نَاظِرُ
بَعِيدَةُ مَا بَينَ المُخَلخَلِ وَالطُّلَا ... وَاَينَ الشَّذَا مِن طِيبِهَا وَهُوَ عَاطِرُ

ثم شهق شهقة فغشي عليه فلما راه تاج الملوك على هذه الحالة تحيّر في امره و تمشى اليه فلما افاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على راسه فنهض قائما على قدميه و قبّل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لايّ شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاي ان بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لحضرة سعادتك فقال لا بد ان تعرض عليّ ما معك و تخبرني بحالك فاني اراك باكي العين حزين القلب فان كنت مظلوما ازلنا ظلامتك و ان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من اجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك

امر بنصب كرسيين فنصبوا له كرسيا من العاج والآبنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وامر الشاب ان يجلس على البساط وقال له اعرض عليّ بضاعتك فقال له الشاب يا مولاي لا تذكر لي ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لا بدّ من ذلك ثم امر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهراعنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وانّ واشتكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

بِمَا بِجَفْنِكَ مِنْ غُنْجٍ وَمِنْ كَحَلِ ... وَمَا بِقَدِّكَ مِنْ لِينٍ وَمِنْ مَيَلِ
وَمَا بِثَغْرِكَ مِنْ خَمْرٍ وَمِنْ شَهَدٍ ... وَمَا بِطَبْعِكَ مِنْ لُطْفٍ وَمِنْ مَلَلِ
عِنْدِي زِيَارَةُ طَيْفٍ مِنْكَ يَا أَمَلِي ... أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْوَجِلِ

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة واخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوي الفي دينار فلما فتح الثوب وقعت من وسطه خرقة فاخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول وانشد يقول

مَتَى يَشْتَفِي مِنْكَ الْفُؤَادُ الْمُعَذَّبُ ... وَنَجْمُ الثُّرَيَّا مِنْ وِصَالِكَ أَقْرَبُ
بِعَادٌ وَهَجْرٌ وَاشْتِيَاقٌ وَلَوْعَةٌ ... وَمَطْلٌ وَتَسْوِيفٌ بِهِ الْعُمْرُ يَذْهَبُ
فَلَا الْوَصْلُ يُحْيِينِي وَلَا الْهَجْرُ قَاتِلِي ... وَلَا الْبُعْدُ يُدْنِينِي وَلَا أَنْتَ تَقْرُبُ
وَمَا مِنْكَ إِنْصَافٌ وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ ... وَلَا مِنْكَ إِسْعَافٌ وَلَا عَنْكَ مَهْرَبُ
وَفِي حُبِّكُمْ ضَاقَتْ جَمِيعُ مَذَاهِبِي ... عَلَيَّ فَلَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك

من سبب ولما اخذ الخرقة و وضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ما هذه الخرقة فقال يا مولاي ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك ارني اياها قال له يا مولاي انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الّا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لا بدّ من كوني انظر اليها ولحّ عليه واغتاظ فاخرجها من تحت ركبته وبكى وانّ واشتكى واكثر من الانات وانشد هذه الابيات

لَا تَعْذُلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُوجِعُهُ ... قَدْ قُلْتَ حَقًّا وَلٰكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
اسْتَوْدِعُ اللّٰهَ فِي الْبَطْحَاءِ لِي قَمَرًا ... بِالْحَيِّ مِنْ فَلَكِ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَّعْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُنِي ... صَفْوَ الْحَيَاةِ وَإِنِّي لَا أُوَدِّعُهُ
وَكَمْ تَشَفَّعَ بِي يَوْمَ الْفِرَاقِ ضُحًى ... وَأَدْمُعِي مُسْتَهِلَّاتٌ وَأَدْمُعُهُ
لَا أَكْذَبَ اللّٰهُ ثَوْبُ الْعُذْرِ مُنْخَرِقٌ ... عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لٰكِنْ أُرَقِّعُهُ
لَا يَسْتَقِرُّ لِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَذَا ... لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ
وَقَدْ سَعَى الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدٍ ... عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ
وَصُبَّتِ الْهَمَّ صِرْفًا عِنْدَ مَا مَلَأَتْ ... كَأْسًا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أُجَرِّعُهُ

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك ارى احوالك غير مستقيمة فاخبرني ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب

ذكر الخرقة تنهد وقال يا مولاي ان حديثي عجيب وامري غريب مع هذه
الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها
صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة
غزال آخر وهي مرقومة بالفضة وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلث
قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته
قال سبحان الله الذي علّم الانسان ما لم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك
بحديث هذا الشاب فقال له احك لي قصتك مع صاحبة هذا الغزال
فقال له اعلم يا مولاي ان ابي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيري
وكان لي بنت عم تربّيت انا واياها في بيت ابي لان اباها مات
وكان قبل موته تعاهد هو وابي على ان يزوّجاني بها فلما بلغت
مبلغ الرجال وبلغت هي مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها
ثم تحدث والدي مع امي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيز
على عزيزة واتفق مع امي على هذا الامر ثم شرع ابي في تجهيز مؤن
الولائم هذا كله وانا وبنت عمي ننام مع بعضنا في فراش واحد
ولم ندر كيف الحال وكانت هي اشعر مني واعرف وادرى فلما جهّز
ابي ادوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمي
اراد ابي ان يكتب الكتاب بعد صلوة الجمعة ثم توجه الى اصحابه
من التجار وغيرهم واعلمهم بذلك ومضت امي وعزمت اصحابها
من النساء ودعت اقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدّة
للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا في دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج
اليه الامر بعد ان زوّقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس
على ان يجيئوا بيتنا بعد صلوة الجمعة ثم مضى ابي وعمل الحلويات
واطباق السكر وما بقي غير كتب الكتاب وقد ارسلتني امي الى الحمام

وارسلت خلفي بدلة جديدة من افخر الثياب فلما خرجت من الحمام
لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها
رائحة زكية عبقت في الطريق ثم اردت ان اذهب الى الجامع فتذكرت
صاحبا لي فرجعت افتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت في نفسي
اشتغل بهذا الامر الى ان يقرب وقت الصلوة ثم اني دخلت زقاقا
ما دخلته قط وكنت عرقانا من اثر الحمام والقماش الجديد الذي
على جسدي فساح عرقي وفاحت روائحي نقعدت في راس الزقاق
لارتاح على مسطبة وفرشت تحتي منديلا مطرزا كان معي فاشتد
عليّ الحر فعرق جبيني وصار العرق ينحدر على وجهي ولم يمكنني
مسح العرق عن وجهي بالمنديل لانه مفروش تحتي فاردت ان آخذ
فرجيتي وامسح به وجنتي فما ادري الا ومنديل ابيض وقع عليّ من فوق
وكان ذلك المنديل ارق من النسيم ورؤيته الطف من شفاء السقيم
فمسكته بيدي ورفعت راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل
فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فرفعت
راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين
صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة في شباك من نحاس
لم تر عيني اجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما راتني
نظرت اليها فوضعت اصبعها في فمها ثم اخذت اصبعها الوسطاني
والصقتها باصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم

ادخلت راسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت في قلبي النار وزاد به الاستعار واعقبتني النظرة الف حسرة وتحيّرت فلم اسمع ماقالت ولم افهم مابه اشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم اسمع حسا ولم ارشخصا فلمايئست من رؤيتها قمت على حيلي من مكاني واخذت المنديل معي ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كانني فى الجنة ثم نشرته بين يديّ فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمّخة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذه الابيـــــات

بَعَثْتُ اِلَيْهِ اَشْكُو مِنَ الْجَوَى ... بِخَطٍّ رَقِيقٍ وَالْخُطُوطُ فُنُونُ
فَقَالَ خَلِيلِي مَا لِخَطِّكَ هٰكَذَا ... رَقِيقًا دَقِيقًا لَا يَكَادُ يَبِينُ
فَقُلْتُ لِاَنِّي فِي نُحُولٍ وَدِقَّةٍ ... كَذَاكَ خُطُوطُ الْعَاشِقِينَ تَكُونُ

ثم بعد ان قرأت الابيـــات اطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في احدى حاشيتيه تسطير هذين البيـــــــــــتين

كَتَبَ الْعِذَارُ وَيَا لَهُ مِنْ كَاتِبٍ ... سَطْرَيْنِ فِي خَدَّيْهِ بِالرَّيْحَانِ
وَاحَيْرَةَ الْقَمَرَيْنِ مِنْهُ اِذَا بَدَا ... وَاِذَا انْثَنَى وَاخَجْلَةَ الْاَغْصَانِ

ومسطر فى الحاشية الاخرى هذان البيـــــــــــتان

كَتَبَ الْعِذَارُ بِعَنْبَرٍ فِي لُؤْلُؤٍ ... سَطْرَيْنِ مِنْ سَبَجٍ عَلَى تُفَّاحِ
اَلْقَتْلُ فِي الْحُدُقِ الْمِرَاضِ اِذَا رَنَتْ ... وَالسُّكْرُ فِي الْوَجَنَاتِ لَا فِي الرَّاحِ

فلمارأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق في فؤادي لهيب النار وزادت بي الاشواق والافكار واخذت المنديل والورقة واتيت بهما الى البيت وانا لا ادري لي حيلة فى الوصال ولا استطيع فى العشق تفصيل

الا جمال فما وصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمي جالسة تبكي فلما رأتني مسحت دموعها واقبلت عليّ وقلعتني الثياب وسألتني عن سبب غيابي واخبرتني ان جميع الناس من امراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا وحضر القاضي والشهود واكلوا الطعام واستمرّوا مدة جالسين ينتظرون حضورك من اجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورك تفرّقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لي ان اباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لا يكتب كتابنا الا فى السنة القابلة لانه غرم في هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لي ما الذي جرى لك في هذا اليوم حتى تأخّرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها يابنت عمي لاتسألي عما جرى لي وذكرتُ لها المنديل واخبرتها بالخبر من اوله الى آخره فاخذت الورقة والمنديل وقرأتْ ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وانشدت هذه الابيات

مَنْ قَالَ اوّلُ الهَوَى اخْتِيَارُ فَقُلْ كَذَبْتَ كُلُّهُ اضْطِرَارُ
وَلَيْسَ بَعْدَ الاضْطِرَارِ عَارُ دَلَّتْ عَلَى صِحَّتِهِ اَخْبَارُ
مَا زُيِّفَتْ عَلَى صَحِيحِ النَّقْلِ

فَإِنْ تَشَأْ فَقُلْ عَذَابٌ يَعْذُبُ اَوْ ضَرَبَانٌ فِى الحَشَى اَوْ ضَرْبُ
اَوْ نِعْمَةٌ اَوْ نِقْمَةٌ اَوَارَبُ تَأْنَسُ النَّفْسُ بِهِ اَوْ تَعْطَبُ
قَدْ حِرْتُ بَيْنَ عَكْسِهِ وَالطَّرْدِ

وَمَعْ ذَا اَيَّامُهُ مَوَاسِمْ وَثَغْرُهَا عَلَى الدَّوَامِ بَاسِمْ
وَنَفَحَاتُ طِيبِهَا مَوَاسِمْ وَهُوَ لِكُلِّ مَا يَشِينُ حَاسِمْ
مَا حَلَّ قَطُّ قَلْبَ نَذْلٍ وَغْدِ

ثم انها قالت لي فما قالت لك وما اشارت به اليك فقلت لها ما نطقتْ
بشيء غير انها وضعت اصبعها في فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى
وجعلت الاصبعين على صدرها واشارت الى الارض ثم ادخلتْ رأسها
واغلقت الطاقة ولم ارها بعد ذلك فاخذت قلبي معها فقعدتُ الى
غياب الشمس انتظر انها تطلّ من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست
منها قمت من ذلك المكان وجئت الى بيتي وهذه قصتي واشتهي
منك ان تعينيني على ما بُليت به فرفعتْ رأسها اليّ وقالت يا بن
عمي لو طلبت عيني لأَخرجتها لك من جفوني ولا بد ان اساعدك
على حاجتك واساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما انك
مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما اشارت به قالت اما وضع اصبعها
في فمها فانه اشارة الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانما
تعضّ على وصالك بالنواجذ واما المنديل فانه اشارة الى سلام
المحبين على المحبوبين واما الورقة فانها اشارة الى ان روحها
متعلقة بك واما وضع اصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره
انها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عني بطلعتك العنا
واعلم يا بن عمي انها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندي من
التفسير لاشاراتها ولو كنت ادخل واخرج لجمعت بينك وبينها في
اسرع وقت واستركما بذيلي قال الغلام فلما سمعتُ ذلك منها
شكرتها على قولها وقلت في نفسي انا اصبر يومين ثم قعدت في
البيت يومين لا ادخل ولا اخرج ولا آكل ولا اشرب ووضعت راسي
في حجر بنت عمي وهي تسليني وتقول لي قوّ عزمك وهمتك
وطيب قلبك وخاطرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انّ الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفسا و قرّ عينا وقوّ عزمك والبس ثيابك وتوجّه اليها على الميعاد ثم انها قامت و غيرت اثوابي و بخّرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رايتها وقعت مغشيا عليّ ثم افقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرايت معها مرآة ومنديلا احمر وحين راتني شمّرت عن ساعديها وفتحت اصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس اصابع ثم رفعت يديها وابرزت المرآة من الطاقة واخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وادلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفّته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة واغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيرانا لا اعلم ما اشارت به واستمرّيت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها واجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

مَا لِي وَ لِلّاحِي عَلَيكَ يُعَنِّفُ ... كَيْفَ السُّلُوُّ وَانْتَ غُصنٌ اَهْيَفُ

يَا طَلْعَةً سَلَبَتْ فُؤَادِي وَ انْثَنَتْ ... مَا لِلْهَوَى العُذْرِيِّ عَنْهَا مَصْرِفُ

تُرْكِيَّةُ الاَلْحَاظِ تَفْعَلُ بِالحَشَى ... مَا لَيسَ يَفعَلُهُ الصَّقِيلُ المُرْهَفُ

حَمَّلْتِنِي ثِقْلَ الغَرَامِ وَلَيسَ لِي ... جَلَدٌ عَلَى حَمْلِ القَمِيصِ وَاَضْعَفُ

وَلَقَدْ بَكَيْتُ دَمًا لِقَوْلِ عَوَاذِلِي مِنْ جَفْنِ مَنْ تَهْوَى يَرُوعُكَ مُرْهَفُ

يَا لَيْتَ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِكَ اِنَّمَا جِسْمِي كَخَصْرِكَ بِالنَّحَافَةِ مُتْلَفُ

لَكَ يَا اَمِيرِي فِي الْمَلَاحَةِ نَاظِرٌ صَعْبٌ عَلَيَّ وَحَاجِبٌ لَا يَنْصِفُ

كَذَبَ الَّذِي قَالَ الْمَلَاحَةُ كُلُّهَا فِي يُوسُفٍ كَمْ فِي جَمَالِكَ يُوسُفُ

اَتَكَلَّفُ الْاِعْرَاضَ عَنْكَ مَخَافَةً مِنْ اَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ كَمْ اَتَكَلَّفُ

فلما سمعتُ شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت عليّ الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت اليّ وحملتني و قلعتني اثوابي ومسحت وجهي بكمّها ثم سالتني عن ماجرى لي فحكيت لها جميع ما حصل لي منها فقالت يابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة اصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة ايام و اما اشارتها بالمرآة وادلاء المنديل الاحمر ورفعه وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكّان الصبّاغ حتى ياتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يابنت عمي انك تصدقينني في هذا التفسير لاني رايت في الزقاق صبّاغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قوّ عزمك وثبّت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلّد على حرّ الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم اخذت تسليني بالكلام واتت لي بالطعام فاخذت لقمة واردت ان آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفرّلوني و تغيّرت محاسني لاني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في هذه المرة فضعفتُ وضعفتْ بنت عمي من اجلي وصارت تذكر لي احوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة الى ان انام وكنت

استيقظ فاجدها سهرانة من اجلي ودمعها يجري على خدها ولم ازل كذلك الى ان مضت الخمسة ايام فقامت ابنة عمي وسخنت لي ماء وحمتني به والبستني ثيابي وقالت لي توجّه اليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم ازل ماشيا الى ان اتيت الى راس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرايت دكّان الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى اذّن العصر واصفرّت الشمس واذّن المغرب ودخل الليل وانا لا ادري لها اثرا ولا اسمع حسا ولاخبرا فخشيت على نفسي وانا جالس وحدي فقمت وتمشيت وانا كالسكران الى ان دخلت البيت فلما دخلت رايت ابنة عمي عزيزة قائمة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق فى الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وَمَا وَجْدُ اَعْرَابِيَّةٍ بَانَ اَهْلُهَا — فَحَنَّتْ اِلَى بَانِ الْحِجَازِ وَرَنْدِهِ
اِذَا اٰنَسَتْ رَكْبًا تَكَفَّلَ شَوْقُهَا — بِنَارِ قِرَاهُ وَالدُّمُوعُ بِوِرْدِهِ
بِاَعْظَمَ مِنْ وَجْدِي بِحِبِّي وَاِنَّمَا — يَرَى اَنَّنِي اُذْنِبْتُ ذَنْبًا بِوُدِّهِ

فلما فرغت من شعرها التفتت اليّ فرأتنى فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهي وقالت لي يا بن عمى هنّاك الله بما اعطاك فلايّ شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفصتها برجلي في صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء في جبهتها فتاملتها فرايت جبينها قد انفتح سال دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما رفست
ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد في جبهتها
فانفتح جبينها و سال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها
قامت في الحال و احرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح و تعصبت
بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط وكان ذلك شيء ما كان ثم
انها اتتني وتبسّمت في وجهي وقالت لي بلين الكلام والله يا بن عمي
ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها ولكن قد كنت مشغولة بوجع راسي
وكان في خاطري ان اخرج الدم وفي هذه الساعة قد خفّت راسي وخفّت
جبهتي فاخبرني بما كان من امرك في هذا اليوم فحكيت لها جميع
ما وقع لي منها في ذلك اليوم وبعد كلامي بكيت فقالت يا بن عمي
ابشر بنجاح قصدك و بلوغ املك ان هذه علامة القبول و ذلك
انها غابت عنك لانها تريد ان تختبرك وتعرف هل انت صابر
اولا و هل انت صادق في محبتها اولا و في غد توجه اليها
في مكانك الاول و انظر ماذا تشير به اليك فقد قربت افراحك
و زالت احزانك و صارت تسليني على ما بي و انا لم ازل متزايد
الهموم والغموم ثم قدمت لي الطعام فرفصته برجلي فانكبت
كل زبدية في ناحية و قلت كل من كان عاشقا فهو مجنون
لا يميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لي ابنة عمي عزيزة والله
يا بن عمي ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمّت شقافة
الزبادي ومسحت الطعام و جلست تسامرني و انا ادعو الله ان يصبح
الصباح فلما اصبح الصباح و اضاء بنوره و لاح توجّهت اليها ودخلت

ذلك الزقاق بسرعة و جلست على تلك المسطبة و اذا بالطاقة قد انفتحت و ابرزت راسها منها و هي تضحك ثم غابت و رجعت و معها مرآة و كيس وقصرية ممتلئة بزرع اخضر وفي يدها قنديل فاول ما فعلت اخذت المرآة في يدها واد خلتها فى الكيس ثم ربطته و رمته فى البيت ثم ارخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على راس الزرع لحظة ثم اخذت جميع ذلك وانصرفت به واغلقت الطاقة فانفطر قلبي من هذا الحال و من اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهي لم تكلمني بكلمة قط فاشتد لذلك غرامي و زاد وجدي و هيامي ثم اني رجعت على عقبي وانا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرايت ابنة عمي قاعدة و وجهها الى الحائط و قد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة و لكن محبتها منعتها ان تخبرني بشيء مما عندها من الغرام لما رات ما انا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرايت على راسها عصابتين احدهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع اصابها من شدة بكائها وهي في اسوء الحالات تبكي و تنشد هذه الابيات

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا
خَلِيلَيَّ وَاللّٰهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي قَضَى اللّٰهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا
قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرَ لَيْلَى ابْتَلَانِيَا

فلما فرغتْ من شعرها نظرت اليّ فراتني وهي تبكي فمسحت دموعها و نهضت اليّ و لم تقدر ان تتكلم مما هي فيه من الوجد و لم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يابن عمي اخبرني بما حصل لك منها في هذه المرّة فاخبرتها بجميع ما حصل لي

فقالت لي اصبر فقد آن اوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك اما اشارتها لك بالمرآة وكونهـا ادخلتها فى الكيس فانها تقول لك الى ان تغطس الشمس واما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا اقبل الليل وانسدل سواد الظـلام وعلا نور النهـار فتعال واما اشارتها لك بالقصرية التي فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق واما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه وايّ موضع وجدت فيه القنديل مضيئاً فتوجّه اليه واجلس تحته وانتظرني فان هواك قاتلي فلمـا سمعت كلام ابنـة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعدينى واتوجه اليها ولا احصل مقصودي ولا اجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقي عليك من الصبر ان تصبر بقية هذا اليوم الى ان يولى النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغيـر مين ثم انشدت هذين البيتيـــن

دَرِّجِ الأَيَّامَ تَنْـدَرِجْ ... وَبُيُوتُ الهَمِّ لَا تَلِـجْ

رُبَّ اَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُـهُ ... قَرَّبَتْهُ سَاعَةُ الفَـرَجْ

ثم انها اقبلت عليّ وصارت تسلينى بلين الكلام ولم تجسر ان تاتينى بشيء من الطعام مخافة من غضبي عليهـا ورجاء ميلي اليها ولم يكن لها قصد الا انها اتت اليّ وقلعتني ثيابي ثم قالت يا بن عمي اقعد حتى احدثك بما يسليك الى آخر النهـار وان شاءالله تعالى ماياتي الليل الا وانت عند محبـوبتك فلم التفت اليها وصرت انتظـر مجيء الليل واقول يارب عجّل بمجيء الليل

فلما اتى الليل بكت ابنة عمي بكاوشديدا واعطتني حبّة مسك خالص وقالت يا بن عمي اجعل هذه الحبة في فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنّيت فانشدها هذا البيت

أَلَا أَيُّهَا الْعُشَّاقُ بِاللّٰهِ خَبِّرُوا ... إِذَا اشْتَدَّ عِشْقٌ بِالْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ

ثم انها قبلتني وحلفتني اني لانشدها ذلك البيت الشعر الا وقت خروجي من عندها فقلت سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم ازل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرايت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبّة من العاج والآبنوس والقنديل معلّق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القنديل وفي وسط المقعد فسقية فيها انواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرايت فيه من سائر الفواكه مابين تين ورمان وعنب ونارنج واترج وكباد وبينها انواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكني ما وجدت في هذه الدار احدا من خلق الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فَهِمتُ بذلك
المكان وفرحت غاية الفرح لكنني ما وجدت فيه احدا من خلق الله تعالى
ولم ار عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور ولا من يحرس تلك
الحوائج فجلست في ذلك المقعد انتظر مجيء محبوبة قلبي الى ان مضى
اول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتدّ بي
الم الجوع لان لي مدة من الزمان ما اكلت طعاما لشدة وجدي
فلما رايت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة
معشوقتي استرحت ووجدت الم الجوع وقد شوّقتني روائح الطعام
الذي في السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنّت نفسي بالوصال
فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت
في وسطها طبقا من الصيني وفيه اربع دجاجات محمّرة ومتبلة
بالبهارات وحول ذلك الطبق اربع زبادي واحدة حلوى والاخرى
حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي مابين
حلوى وحامض فاكلت من القطائف وقطعة لحم وعمدت الى
البقلاوة واكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى واكلت ملعقة
او اثنتين او ثلثا او اربعا واكلت بعض دجاجة واكلت لقمة فعند
ذلك امتلأت بطني وارتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر
فوضعت رأسي على وسادة بعد ان غسلت يدي فغلبني النوم
ولم اعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى احرقني
حرّ الشمس لان لي اياما ماذقت مناما فلما استيقظت وجدت
على بطني ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابي وقد تلّفت

يمينا وشمالا فلم اجد احدا ووجدت نفسي نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعي على خدي وتاسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمي تدقّ بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هَبَّ رِيحٌ مِنَ ٱلْحِمَى وَنَسِيمٌ فَأَهَاجَ ٱلْهَوَى بِنَشْرِ هُبُوبِهْ

يَا نَسِيمَ ٱلصَّبَا هَلُمَّ إِلَيْنَا كُلُّ صَبٍّ بِحَظِّهِ وَنَصِيبِهْ

لَوْ قَدَرْنَا مِنَ ٱلْغَرَامِ ٱعْتَنَقْنَا كَٱعْتِنَاقِ ٱلْمُحِبِّ صَدْرَ حَبِيبِهْ

حَرَّمَ ٱللهُ بَعْدَ وَجْهِ ٱبْنِ عَمِّي كُلَّ عَيْشٍ مِنَ ٱلزَّمَانِ وَطِيبِهْ

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي ذَائِبٌ مِنْ حَرِّ ٱلْهَوَى وَلَهِيبِهْ

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها واقبلت عليّ بلين كلامها وقالت لي يا بن عمي انت في عشقك قد لطف الله بك حيث احبك من تحب وانا في بكائي وحزني على فراقك من يلمني ويعذرني ولكن لا يؤاخذك الله من جهتي ثم انها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولاطفتني وقلعتني اثوابي ونشرتها وقالت والله ما هذه روائح من حظي بمحبوبه فاخبرني بما جرى لك يا بن عمي فاخبرتها بجميع ما جرى لي فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبي ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويّا والله يا بن عمي اني خائفة عليك منها واعلم يا بن عمي ان تفسير الملح هو انك مستغرق في النوم فكانك بشع الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغي لك ان تتملح حتى لا تمجّك الطباع لانك تدّعي انك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك

المحبة كاذبة وكذلك هي محبّتها لك كاذبة لانها لما راتك نائما
لم تنبّهك ولو كانت محبتهـــالك صادقة لنبّهتك واما الفحم فان
تفسير اشارته سوّد الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وانما انت
صغير ولم يكن لك همّة الا الاكل والشرب والنوم وهذا تفسير
اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدي
على صدري وقلت والله ان هذا هو الصحيح لاني نمت والعشاق
لاينامون فانا الظالم لنفسي وما كان اضرّ عليّ من الاكل والنوم
فكيف يكون الامر ثم اني زدت فى البكاء وقلت لابنة عمى دلّيني
على شيء افعله وارحميني يرحمك الله والّاموت وكانت بنت
عمي تحبني محبة عظيمـــة وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت
عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الشاب قال لتاج الملوك فقلت لابنة
عمي دلّيني على شيء افعله وارحميني يرحمك الله وكانت تحبّني
محبّة عظيمة فقالت على رأسي وعيني ولكن يابن عمي قد قلت
لك مرارا لوكنت ادخل واخرج لكنت اجمع بينك وبينهـــا في
اقرب زمن واغطيكما بذيلي ولا افعل معك هذا الا لقصد رضاك
وان شاء الله تعالى ابذل غاية الجهد فى الجمع بينكما ولكن اسمع
قولي واطـــع امرى واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك
فاذا كان وقت العشاء فاجلس فى الموضع الذي كنت فيه واحذران
تاكل شيأ لان الاكل يجلب النوم واياك ان تنام فانها لا تأتي لك
حتى يمضى من الليل ربعه كفاك الله شرّها فلمـــا سمعت كلامهـــا

فرحت و صرت ادعو الله ان ياتي الليل فلما اتى الليل اردت الانصراف فقالت لي ابنة عمي اذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الراس والعين فلما خرجت و ذهبت الى البستان وجدت المكان مهيأً على الحالة التي رايتها اولًا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب و النقل و المشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي اليه فمنعتها مرارا فلم اقدر على منعها فقمت واتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله اربع زبادى من الطعام فيها اربعة الوان فاكلت من كل لون لقمة و اكلت ماتيسر من الحلوى و اكلت قطعة لحم وشربت من الزردة واعجبتني فاكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت و امتلأت بطني و بعد ذلك انطبقت اجفاني فاخذت وسادة ووضعتها تحت رأسي و قلت لعلّي اتكئ عليها ولا انام فاغمضت عيني و نمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواية بَلَح وبزرة خرّوب وليس فى المكان شيء من فرش ولا غيره وكانه لم يكن فيه شيءٌ بالامس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وانا مغتاظ الى ان وصلت الي البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات و تنشد هذه الابيات

جَسَدٌ نَاحِلٌ وَقَلْبٌ جَرِيحٌ ... وَدُمُوعٌ عَلَى الخُدُودِ تَسِيحُ
وَحَبِيبٌ صَعْبُ التَّجَنِّي وَلٰكِنْ ... كُلَّمَا يفعَلُ المَلِيحُ مَلِيحُ
يَابْنَ عَمِّي مَلَأْتَ بِالوَجْدِ قَلْبِي ... إِنَّ طَرْفِي مِنَ الدُّمُوعِ قَرِيحُ

فنهرت ابنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها و اقبلت

عليّ وقبّلتني واخذت تضمني الى صدرها وانا اتباعد عنها واعاتب نفسي فقالت لي يا بن عمي كانك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنني لما انتبهت وجدت كعب عظم وفردة طاب ونواية بَلَح وبزرة خرّوب وما ادري لايّ شيء فعلت هكـذا ثم بكيت واقبلت عليها وقلت لها فسّري لي اشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا افعـل وساعديني على الذي انا فيه فقالت على الراس والعين اما فردة الطاب التي وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت وقلبك غائب وكانها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين واما نواية البَلَح فانها تشير لك بها الى انك لوكنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنـام فان لذة الحب كتمرة الهبت فى الفؤاد جمرة واما بزرة الخـروب فانها تشير لك بها الى ان قلب المحب متعوب وتقول لك اصبر على فراقنـا صبر ايّوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت في فؤادى النيران وزادت بقلبي الاحزان فصحت وقلت قدّر الله عليّ النوم لقلة بختي ثم قلت لها يا ابنة عمي بحياتي عندك ان تدبرى لي حيلة اتوصل بها اليهـا فبكت وقالت يا عزيز يا بن عمي ان قلبي ملآن بالفكر ولا اقدران اتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان واحذران تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأي والسلام فقلت لها ان شـاء الله لا انام وانمـا افعل ما تامريني به فقامت ابنة عمي واتت لي بالطعـام وقالت لي كل الآن مايكفيك حتى لا يبقى في خاطرك شيء فاكلت كفايتي ولما اتى الليل قامت بنت عمي واتتني ببدلة عظيمة والبستني اياها وحلفتني ان اذكرلها البيت المذكور وحذرتني من النوم ثم خرجت من عند بنت عمي وتوجّهت الى

البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح
عيني باصابعى واهزّ رأسي حين جنّ الليل فادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فدخلت
البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح
عيني باصابعي واهزّ رأسي حين جنّ الليل فجُعت من السهر
وهبّت عليّ روائح الطعام فازداد جوعي وتوجّهت الى السفرة
وكشفت غطاوها واكلت من كل لون لقمة واكلت قطعة لحم واتيت
الى باطية الخمر وقلت في نفسي اشرب قدحا فشربته ثم شربت
الثاني والثالث الى غاية عشرة وقد ضربني الهواء فوقعت على
الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرايت
نفسي خارج البستان وعلى بطني شَفْرة ماضية ودرهم حديد
فارتجفت واخذتهما واتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمي
تقول اني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين الا البكاء
فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين والدرهم
من يدي وغشي عليّ فلما افقت من غشيتي عرّفتها بما
حصل لي وقلت لها انني لم انل اربي فاشتدّ حزنها عليّ
لما رات بكائي ووجدي وقالت لي اني عجزت وانا انصحك
عن النوم فلم تسمع نصحي فكلامي لا يفيدك شيئاً فقلت
لها اسالك بالله ان تفسّري لي اشارة السكين والدرهم الحديد
فقالت اما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين وانها

تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعيني اليمين ان رجعت ثاني
مرة ونمت لاذبحنك بهذه السكين وانا خائفة عليك يا بن عمي
من مكرها وقلبي ملآن بالحزن عليك فما اقدران اتكلم فان كنت
تعرف من نفسك انك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر
النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت انك ان رجعت اليها تنام
على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون
العمل يا بنت عمي اسالك بالله ان تساعديني في هذه البلية
فقالت على عيني ورأسي ولكن ان سمعت كلامي واطعت امري
قضيت حاجتك فقلت لها اني اسمع كلامك واطيع امرك فقالت
اذا كان وقت الرواح اقول لك ثم ضمتني الى حضنها ووضعتني
على الفراش ولا زالت تكبسني حتى غلبني النعاس واستغرقت
فى النوم فاخذت مروحة وجلست عند رأسي تروح على وجهي
الى آخر النهار ثم نبهتني فلما انتبهت وجدتها عند رأسي وفي
يدها المروحة وهي تبكي ودموعها قد بلت ثيابها فلما راتني
استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشيء من الاكل فامتنعت منه
فقالت لي اما قلت لك اسمع مني وكُل فاكلت ولم اخالفها وصارت
تضع الاكل في فمي وانا امضغ حتى امتلأت ثم اسقتني نقيع
عنّاب بالسكّر ثم غسلت يدى ونشفتها بمحرمة ورشّت عليّ ماء
الورد وجلست معها وانا في عافية فلما اظلم الليل البستني
ثيابي وقالت يا بن عمي اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك
في هذه الليلة الاّ فى آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها في هذه
الليلة ولكن لا تنس وصيتي ثم بكت فاوجعني قلبي عليها من
كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التي وعدتني بها فقالت لي اذا

انصرفتَ من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجتُ من عندها وانا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وانا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل عليّ حتى كانّه سنة فمكثت ساهرا حتى مضى ثلثة ارباع الليل وصاحت الديوك فاشتدّ عندي الجوع من كثرة السهر فقمت الى السفرة واكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسي واردت ان انام واذا انا بنور اقبل على بعد فنهضت وغسلت يدي وفمي ونبّهت نفسي فما كان الا قليل واذا بها اتت ومعها عشر جوار وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلّة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهي كما قال الشاعر

تَتِيهُ عَلَى الْعُشَّاقِ فِي حُلَلٍ خُضْرٍ ... مُفَكَّكَةُ الْأَزْرَارِ مَحْلُولَةُ الشَّعْرِ
فَقُلْتُ لَهَا مَا الْاسْمُ قَالَتْ اَنَا الَّتِي ... كَوَيْتُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْجَمْرِ
شَكَوْتُ اِلَيْهَا مَا أُقَاسِي مِنَ الْهَوَى ... فَقَالَتْ اِلَى صَخْرٍ شَكَوْتَ وَلَمْ تَدْرِ
فَقُلْتُ لَهَا اِنْ كَانَ قَلْبُكِ صَخْرَةً ... فَقَدْ اَنْبَعَ اللّٰهُ الزُّلَالَ مِنَ الصَّخْرِ

فلما رأتني ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمتُ انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل في مكابدة الاشواق ثم اقبلت على الجواري وغمزتهن فانصرفن عنها واقبلت عليّ وحضنتني لصدرها وباستني وبستها ومصّت شفتي الفوقانية ومصصت شفتها التحتانية ثم مددت يدي الى خصرها وغمزته وما نزلنا فى الارض الا سواء وحلت سرا ويلها فنزلت في خلاخل رجليها واخذنا فى الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعضّ وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان لى ان ارتخت مفاصلها وغشي عليها ودخلتْ فى الغيبوبة وكانت

تلك الليلة مسرّة القلب وقرّة الناظر كما قال فيها الشاعر

اَهْنَى لَيَالِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ ... لَمْ اَخْلُ فِيهَا الْكَاْسَ مِنْ اِعْمَالِ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالْكَرَى ... وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْقُرْطِ وَالْخَلْخَالِ

واجتمعنا ونمنا الى الصباح واردت ان انصرف واذا بها امسكتني وقالت لي قف حتى اقول لك على شيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلمّا اردت الانصراف امسكتني وقالت قف حتى اخبرك بشيء واوصيك وصية فوقفت فحلّت منديلا واخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجّبت منها غاية العجب فاخذته وتواعدت انا واياها اني آتي اليها كل ليلة في ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وانا فرحان ومن فرحي نسيت الشعر الذي اوصتني به بنت عمي وحين اعطتني الخرقة التي فيها صورة الغزال قالت لي هذا عمل اختي فقلت لها وما اسم اختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودّعتها وانصرفت وانا فرحان ومشيت الى ان دخلت على ابنة عمي فوجدتها راقدة فلما رأتني قامت ودموعها تجري ثم اقبلت عليّ وباست صدري وقالت هل فعلت ما اوصيتك به من انشاد البيت فقلت لها اني نسيته وما اشغلني عنه الّا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق

الصبر وافاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلًا وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْعِنَاقُ
مَهْلًا فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ وَآخِرُ الصُّحْبَةِ الْفِرَاقُ

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فاخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت لي بنت عمي اذهب مصحوبا بالسلامة فاذا انصرفت من عندها فانشدها البيت الشعر الذي اخبرتك به اوّلا ونسيته فقلت لها اعيديه فاعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبّلتني واجلستني في حجرها ثم اكلنا وشربنا وقضينا اغراضنا كما تقدم فلما اصبح الصباح انشدتها الشعر وهو

اَلَا اَيُّهَا الْعُشَّاقُ بِاللّٰهِ خَبِّرُوا إِذَا اشْتَدَّ عِشْقٌ بِالْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ

فلما سمعته ذرفت عيناها بالدموع وانشدت تقول

يُدَارِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ سِرَّهُ وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْاُمُورِ وَيَخْضَعُ

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي وخرجت واتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وامي عند رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي امي تبًّا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز هل انشدتها البيت الذي اخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وانشدتني بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمي اسمعني اياه فلما اسمعتها اياه بكت بكاء شديدا

و انشدت هذين البيتين

وَكَيفَ يُدَارِي وَالهَوى قَاتِلُ الفَتَى وَفِي كُلِّ يَومٍ قَلبُهُ يَتَقَطَّعُ
لَقَدْ حَاوَلَ الصَّبرَ الجَمِيلَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ غَيرَ قَلبٍ فِي الصَّبَابَةِ يَجزَعُ

ثم قالت لي ابنة عمي اذا ذهبت اليها على عادتك فانشدها هذين البيتين الذي سمعتهما فقلت لها سمعا و طاعة ثم ذهبت اليها في البستان على العادة و كان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما اردت الانصراف انشدتها ذينك البيتين الى آخرهما فلما سمعتهما سالت مدامعها من المحاجر و انشدت قول الشاعر

فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَبرًا لِكِتمَانِ سِرِّهِ فَلَيسَ لَهُ عِندِي سِوَى المَوتِ أَنفَعُ

فحفظته و توجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشيا عليها و امي جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عيناها و قالت يا عزيز هل انشدتها البيتين قلت لها نعم و لكن لما سمعتهما بكت و انشدتني هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانيا فلما افاقت انشدت هذين البيتين و هما هذان

سَمِعْنَا أَطَعْنَا ثُمَّ مُتْنَا فَبَلِّغُوا سَلَامِي عَلَى مَنْ كَانَ لِلوَصْلِ يَمنَعُ
هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهُمْ وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

ثم لما اقبل الليل مضيت الى البستان على جري عادتي فوجدت الصبية في انتظاري فجلسنا و اكلنا و شربنا و عملنا شغلنا و نمنا الى الصباح فلما اردت الانصراف انشدتها ما قالته بنت عمي فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة و تضجرت و قالت اوّاه اوّاه و الله

ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمي قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لهــا من المحبة مثل ما عندها لك فانت الذي قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو اخبرتني ان لك ابنة عم ما كنت قربتك مني فقلت لها انها كانت تفسر لي تلك الاشارات التي كنت تشيرين بها اليّ وهي التي علمتني كيف اصل اليك وانعل معك ولولا هي مــا وصلت اليك فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لي رح انظرها فذهبت وخاطري متشوش وما زلت ماشيا الى ان اتيت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل لي ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما راتني امي قالت انّ خطيئتها في ذمّتك وعنقك فلا سامحك الله من دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلمــا رأتني امي قالت ان خطيئتها في ذمتك فلا سامحك الله من دمها تبًّا لك من ابن عم ثم ان ابي جاء وجهّزناها واخرجناها وشيّعنا جنازتها ودفنّاها وعملنا علي قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلثة ايام ثم رجعنا ودخلنا البيت وانا حزين عليهــا فاقبلت عليّ امي وقالت لي ان قصدي ان اعرف ما كنتَ تفعله معهــا حتى فقعتَ مرارتها واني ياولدي كنت اسأل منها في كل الاوقات عن سبب مرضها فما اطلعتني على شيء ولم تخبرني

به فبالله عليك اخبرني عمـا كنت تفعل معها حتى ماتت فقلت
ما عملت شيأ فقالت الله يقتص لها منك فانها ما ذكرت لي شيأ بل
كتمت امرها حتى ماتت وهي راضية عنك ولما ماتت كنت عندها
ففتحت عينها وقالت لي يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حل من دمي ولا
آخذه بما فعل معي وانما نقلني الله من الدار الدنيا الفانية الى الدار
الآخرة الباقية فقلت يا بنتي سلامتك و سلامت شبـابك وصرت
اسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت و قالت يا امرأة عمي
قولي لابنك اذا اراد الرواح الى الموضع الذي يروحه كل يوم يقول
هذين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح * والغدر قبيح * فان
هذه شفقة مني عليه لاكون شفوقة عليه في حياتي و بعد ممـاتي
ثم اعطتني لك حاجة و حلّفتني اني لا اعطيها لك حتى اراك تبكي
عليها و تنوح والحاجة عندي فاذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها
اعطيتك اياها فقلت لهـا ارني اياها فمـا رضيت ثم اني اشتغلت
بلذاتي فمـا ذكرت انا موت ابنة عمي لانني كنت طائش العقل
وكنت اودّ في نفسي ان اكون طول ليلي ونهـاري عند محبوبتي
وماصـدقت ان الليل اقبل حتى مضيت الى البستـان فوجدت
الصبية جالسة على مقالى النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها راتني
وتعلقت بي و بادرت الى رقبتي و سالتني عن بنت عمي فقلت
لها انهـا ماتت وعملنا لها الذكر والختوم ومضى لها اربع ليال
و هذه الخامسة فلمـا سمعت ذلك صاحت وبكت و قالت اما قلت
لك انك قتلتها ولو اعلمتني بها قبل موتهـا لكنت اكافئها على
مافعلت معي من المعروف فانها خدمتني واوصلتك اليّ ولولاها
ما اجتمعت انا و اياك وانا خائفة عليك ان تقع بك رزيّة بسبب

خطيئتها فقلت لها انها قد جعلتني في حلّ قبل موتها ثم ذكرت لهـا ما اخبرتني به امي فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى امك فاعرف الحاجة التي عندها فقلت لها ان امي قالت لي ان ابنة عمك قبل ان تموت اوصتني وقالت لي اذا اراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له هاتين الكلمتين الوفاء مليح * و الغدر قبيح * فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى عليها فانهـا خلصتك مني و قد كنت اضمرت على ضررك فانا لا اضرّك ولا اشوش عليك فتعجبت من ذلك و قلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك ان تفعليه معي و قد صار بيني و بينك مودّة فقالت انت مولع بي و لكنك صغير السن و غشيم و قلبك خال عن الخداع فانت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت عاشت لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك وكانت انجتك من الهلكة والآن اوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من امثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فاياك ثم اياك فانك غشيم وغير عارف بخداع النساء ومكرهن والتي كانت تفسّر لك الاشارات قد ماتت واني اخاف عليك ان تقع في رزيّة فما تلقى من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت لي اني اخاف عليك ان تقع في رزيّة فما تلقى من يخلصك منها فوا حسرتاه على بنت عمك و ليتني علمت بها قبل

موتها حتى كنت اكافئها على ما فعلت معي من المعروف وازورها
رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرّها ولم تبح بما عندها
ولولاها ما كنتَ وصلت اليّ ابدا واني اشتهي عليك امرا فقلت
ما هو قالت وهو ان توصلني الى قبرها حتى ازورها فى القبر الذي
هي فيه واكتب عليه ابياتا فقلت لها في غد ان شاءالله تعالى ثم
اني نمت معها تلك الليلة وهي بعد كل ساعة تقول لي ليتك
اخبرتني ببنت عمك قبل موتها فقلت لها مامعني هذين الكلمتين
اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح * والغدر قبيح * فلم تجبني فلما
كان الصباح قامت واخذت كيسا فيه دنانير وقالت لي قم وارني
قبرها حتى ازوره واكتب عليه هذه الابيات واعمل عليه قبّة
واترحم عليها واصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها
سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفي وصارت تتصدق
وهي ماشية فى الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن
روح عزيزة التي كتمت سرّها حتي شربت كاس منونها ولاباحت
بسرّهواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى
نفد ما فى الكيس ووصلنا الى القبر فلما عاينت القبر بكت ورمت
نفسها عليه ثم انها اخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطّت
بالبيكار على الحجر الذي على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت
هذه الابيات تقول

مَرَرْتُ بِقَبْرٍ دَارِسٍ وَسْطَ رَوْضَةٍ   عَلَيْهِ مِنَ النُّعْمَانِ سَبْعُ شَقَائِقِ
فَقُلْتُ لِمَنْ ذَا الْقَبْرُ جَاوَبَنِي الثَّرَى   تَأَدَّبْ فَهٰذَا الْقَبْرُ بَرْزَخُ عَاشِقِ
فَقُلْتُ رَعَاكَ اللّٰهُ يَامَيِّتَ الْهَوَى   وَاسْكَنَكَ الْفِرْدَوْسَ اَعْلَى الشَّوَاهِقِ

مَسَاكِينُ اَهْلِ الْعِشْقِ حَتَّى قبورهم عَلَيْهَا تُرَابُ الذُّلِّ بَيْنَ الْخَلَائِقِ
فَلَو اسْتَطِعْ لَزَرَعْتُ حَوْلَكِ رَوْضَةً وَاسْقَيْتُهَا مِنْ دَمْعِي الْمُتَدَانِقِ

ثم مضت وهي تبكي ومضيت معها الى البستان فقالت لي بالله انك لا تنقطع عني ابدافقلت سمعــا وطاعة ثم اني واظبتها واتردد عليها وكنت كلمابتّ عندها تحسن اليّ وتكرمني وتسائلني عن الكلمتين اللتين قالتهمــا ابنة عمي عزيزة لامي فاعيدهما لهــا و مازلت على ذلك الحال من اكل وشرب وضم وعنـاق وتغيير ثيــاب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بي هم ولاحزن ونسيت بنت عمي ولم ازل على ذلك الحــال مدة سنة كاملة وعند راس السنــة دخلت الحمــام واصلحت شاني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدح شراب وشممت روائح قماشى المضمّخ بانواع الطيب وانا منشرح الصدر ولم اعلم غدر الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشــاء اشتــاقت نفسي الذهاب اليها وانا سكران لاادري اين اتوجّه فذهبت اليها فمال بي السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما انا ماش في ذلك الزقاق فنظرت بعيني واذا انا بعجوزماشية وفي احدى يديها شمعة موقودة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايهــا الملك السعيد ان الشـاب الذي اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب فنظرت بعيني واذا انا بعجــوز ماشية وفي احدى يديهــا شمعة مضيئة

وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها و اذاهي تبكي وتنشد هذه الابيـــــات

رَسُولُ الرِّضا اَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبا حَدِيثُكَ مَا اَحْلاهُ عِنْدِي وَاَطْيبا
فَيَـــا مُهْدِيًا مِمَّنْ اُحِبُّ سَلامَهُ عَلَيكَ سَلامُ اللّٰهِ مَا هَبَّتِ الصَّبا

فلما رأتني قالت لي يا ولدي هل تعرف ان تقرأ فقلت لهـا بفضولي نعم يا خالتي العجوز فقالت لي خذ هذا الكتاب واقرأه لي و ناولتني الكتاب فاخذته منها وفتحته وقراته عليها فاذاهو كتاب مضمونه من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت و استبشرت ودعت لي و قالت لي فرّج الله همك كما فرّجت همي ثم اخذت الكتاب ومشت خطوتين فحصل لي حصر البول فقعدت على قرافيصي لاريق الماء ثم اني قمت و تجمرت و ارخيت اثوابي و اردت ان امشي و اذا بالعجوز قد اقبلت عليّ وطأطأت على يدي و قبلتها وقالت لي يا سيدي ربنا يهنيك بشبــابك اترجّاك ان تمشي معي خطوات الى ذلك البـــاب فاني قلت لهم ما قلته لي في قراءة الكتاب فلم يصدقوني فامش معي خطوتين و اقرأ لهم الكتاب من خلف الباب و استقبل مني دعوة صالحة فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي و هو غائب عني مدة عشر سنين فانه سافر بمتجـر و مكث في بلاد الغربة مدة فقطعنـــا الرجاء منه وظننا انه مات ثم بعد مدة وصل اليـــنا هذا الكتاب من عنده وله اخت و هي تبكي عليه آناء الليل و اطراف النهـار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لا بد ان تاتيني بمن يقرأ هذا الكتــاب بحضرتي حتى يطمئنّ قلبي و يطيب خاطري و انت تعلم

يا ولدي ان المحب مولع بسوء الظن فانعم عليّ بان تذهب معي
و تقرأ لها هذا الكتاب وانت واقف خلف الستارة و انا انادي اخته
تسمع من داخل الباب و تفرج عنا كربة و تقضي حاجتنا فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفّس من مكروب كربة من كُرب الدنيا
نفّس الله عنه مائة كربة وفي حديث آخر من نفّس عن اخيه كربة من كُرب
الدنيا نفّس الله عنه اثنين و سبعين كربة من كُرب يوم القيامة
و انا قصدتك فلا تخيّبني فقلت لها سمعا وطاعة تقدمي فمشت
قدّامي و مشيت و راءها قليلا حتى وصلت الى باب دار حسنة كبيرة
و بابها مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت انا خلف الباب فصاحت العجوز
بالعجمية فما اشعر الا وصبية اتت بخفة و نشاط و هي مشمرة لباسها
الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهي كما قال
في وصفها الشاعر

يَا مَنْ يُشَمِّرُ عَنْ سَاقٍ لِيَعْرِضَهُ عَلَى الْمُحِبِّينَ حَتَّى يَفْهَمَ الْبَاقِي
وَطَافَ يَسْعَى بِكَأْسٍ نَحْوَ عَاشِقِهِ مَا افْتَتَنَ النَّاسَ غَيْرُ الْكَأْسِ وَالسَّاقِي

وزان ساقيها اللتين كانهما عمودان من مرمر خلاخلُ الذهب
المرصعة بالجوهر وكانت تلك الصبية مشمرة ثيابها الى تحت
ابطيها و مشمّرة عن ذراعيها فنظرت الى معاصمها البيض وفي يديها
زوجان من الاساور باقفال من اللؤلؤ الكبار و في رقبتها القلادة
من ثمين الجواهر و في اذنيها قرطان من اللؤلؤ و على رأسها كوفية
دقّ المطرقة مكللة بالفصوص المثمنة وقد رشقت اطراف قميصها
من داخل دكة اللباس وهي كانها كانت تعمل شغلا فلما رايتها بهتّ
لها وهي كانها الشمس المضيئة فقالت هي بلسان فصيح عذب ما سمعت

احلى منه يا امّي أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها التّي بالكتاب وكان بينهما وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدي لاتناول منها الكتاب فادخلت راسي واكتافي من الباب لاقرب منها واقرأ الكتاب فما اشعر الّا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري و دفعتني و يدي فيها الكتاب فما ادري الا وانا في وسط الدار و بقيت من داخل الدهليز و دخلت العجوز اسرع من البرق الخاطف وما كان لها شغل الاقفل الباب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك فلما دفعتني العجوز لم اشعر الا و انا من داخل الدهليز و دخلت العجوزة اسرع من البرق الخاطف وما كان لها شغل الاقفل الباب و اما الصبية فانها لما راتني من داخل الدهليز اتبلت عليّ و ضمتني الى صدرها ورمتني على الارض وركبت على صدري و عصرت بطني بيديها فغبت عن الدنيا ثم اخذتني بيدها فما قدرت ان اتخلص منها من شدة ما حضنتني ثم دخلت بي والعجوز قدامها والشمعة موقودة معها حتى قطعت بي سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بي الى قاعة كبيرة باربعة لواوين يلعب فيها الخيّال بالأُكر ثم خلتني و قالت لي افتح عينيك ففتحت عيني و انا دائخ من شدة ما ضمتني وعصرتني فرايت بناء القاعة كلها رخام من ابهج المرمر و جميع فرشها من حرير و ديباج وكذلك المخدّات والمراتب وهناك دكّتان من النحاس الاصفر و سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ومقاعد وبيت

سعـــادة لايصلح الّا للملك مثلك ثم قالت لي يا عزيز ايّمـا احبّ
اليك الموت ام الحياة فقلت لها الحياة فقالت لي اذا كانت الحيوة
احب اليك فتزوج بي فقلت انا اكره ان اتزوج بمثلك فقالت لي
ان تزوجت بي تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن
بنت الدليلة المحتالة فقالت لي وقد ضحكت هي التي لك في صحبتها
اليوم سنة واربعة اشهر اهلكها الله تعالى وابتلاها بمن هو اشدّ
منها والله ما يوجد امكر منها وكم قتلت ناســا قبلك وكم فعلت
افعالا وكيف سلمت منها ولك في صحبتها هذه المدة ولم تقتلك
او تشوش عليك فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها
يا سيدتي ومن عرّفك بها فقالت انا اعرفها مثل ما يعرف الزمان
مصائبه لكن قصدي ان تحكي لي جميع ما وقع لك معها حتى اعرف
ما سبب سلامتك منها فحكيت لهـا جميع ما جرى لي معهـا ومع
ابنة عمي عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على
يد لما سمعت بموت بنت عمي عزيزة وقالت في سبيل الله شبابهـا
وعـوّضك الله فيهـا خيرا والله يا عزيز انها ماتت وهي سبب
سلامتك من بنت الدليلة المحتـالة ولولا هي لكنت هلكت وانا
خائفة عليك من مكرها وشرّها ولكن فمي ملآن ما اقدر ان اتكلم
فقلت لها اي والله قد حصل كل ذلك فهزّت راسها وقالت لا يوجد
اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها اوصتني ان اقول لها هاتين
الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك
مني قالت لي يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك
منها ومن القتل من يدها والآن قد اطمأنّ قلبي عليك منها ولا
بقت تقتلك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله اني كنت

اتمناك يوما بعد يوم وما قدرت عليك الا في هذا الوقت حتى تحيلت عليك وقد تمت عليك الحيلة وانت الآن غشيم لا تعرف مكر النساء ولاد واهي العجائز فقلت لا والله فقالت لي طب نفسا وقرّ عينا فان الميت مرحوم والحي ملطوف به وانت شاب مليح وانا ما اريدك الا بسنّة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما اردت من مال وقماش يحضر لك سريعا وما اكلّفك بشيء ابدا وايضا عندي دائما الخبز مخبوز والماء فى الكوز وما اريد منك الا ان تعمل معي كما يعمل الديك فقلت لها وما الذي يعمله الديك فضحكت وصفقت بيديها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت على حيلها وتبسمت وقالت لي يا نور عيني اما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ما اعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك ان تأكل وتشرب وتنيك فخجلت انا من كلامها ثم اني قلت اهذه صنعة الديك فقالت نعم وما اريد منك الآن الا ان تشد وسطك وتقوى عزمك وتنيك جهدك ثم انها صفقت بيديها وقالت يا امي احضري مَنْ عندك واذا بالعجوز قد اقبلت باربعة شهود عدول ومعها شقة حرير ثم انها اوقدت اربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا عليّ وجلسوا فقامت الصبية وارخت عليها ازارا ووكّلت بعضهم في ولاية عقد النكاح فكتبوا الكتاب واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر المقدم والمؤخر وان في ذمتها لي عشرة آلاف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما كتبوا

الكتاب اشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما و موخرا
وان لي في ذمتها عشرة آلاف درهم ثم انها اعطت الشهود اجرتهم
وانصرفوا من حيث اتوا فعند ذلك قامت الصبية و قلعت اثوا بها
واتت في قميص رفيع مطرّز بطراز من الذهب و قلعت لباسها
واخذت بيدي وطلعت بي الى فوق السرير و قالت لي مافي الحلال من
عيب ونامت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتني على
صدرها ثم شهقت شهقة واتبعتها بغنجة ثم كشفت الثوب الى فوق
نهودها فلما رايتها على هذه الحالة لم املك نفسي دون ان
اولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهي تتاوّه وتظهر الخشوع
والبكاء من غير دموع ثم قالت يا حبيبي اعمل واذكرتني في الحال
قول من قـــــــــــــــــــــــــــــال

وَلَمَّا كَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ سَطْحِ كُسِّهَا وَجَدْتُ بِهَا ضِيقًا كَخُلْقِي وَأَرْزَاقِي
فَأَوْلَجْتُ فِيهَا نِصْفَهُ فَتَنَهَّدَتْ فَقُلْتُ لِمَا هَذَا فَقَالَتْ عَلَى الْبَاقِي

ثم قالت يا حبيبي اعمل خلاصك فانا جاريتك خذه هاته كله بحياتي
عندك هاته حتى ادخله بيدي واحطه في فؤادي ولم تزل تسمعني الغنج
والبكاء والشهيق في خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا في الطريق
وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح واردت ان اخرج واذا
هي اقبلت عليّ تضحك وتقول يوه يوه هل تحسب انت ان دخول الحمام
مثل خروجه وما اظن الّا انك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة
اياك وهذا الظن فما انت الا زوجي بالكتاب والسنة وان كنت سكرانا
فاصح لعقلك ان هذه الدار التي انت فيها ما تفتح الا في كل سنة يوما
قم وانظر الى الباب الكبير فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا

فعلت واعلمتها بانه مغلق مسمر فقالت لي يا عزيزان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا اعواما عديدة ومن هذه الساعة لا يفتح الباب الا بعد سنة وانا اعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لاحول ولاقوة الا بالله فقالت واي شيء يضرك وانت تعرف صنعة الديك التي اخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت انا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وانا اعمل صنعة الديك آكل واشرب وانيك حتى مرّ علينا عام اثنى عشر شهرا فلما كملت السنة حملت مني ورزقتُ منها ولدا وعند راس السنة سمعت فتح الباب واذا برجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فاردت ان اخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل مادخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء واردت ان اخرج وانا خائف مرعوب واذا هي قالت والله ما ادعك تخرج حتى احلفك انك تعود في هذه الليلة قبل ان يغلق الباب فاجبتها الى ذلك فحلفتني بالايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق اني اعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت في نفسي اني غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئته على غفلة فوجدته مفتوحا كعادته يا ترى هل الصبية باقية على حالها اولا ولكن لا بد اني ادخل وانظر قبل ان اروح الى امي وانا في وقت العشاء ثم دخلت البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عزيزا قال لتاج الملوك ثم اني دخلت البستان ومشيت حتى اتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة وراسها على ركبتيها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما راتني قالت الحمد لله على السلامة وهمّت ان تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت راسي ثم تقدمت اليها وقبّلتها وقلت لها كيف عرفت ان اجئ اليك في هذه الليلة قالت لاعلم لي بذلك والله ان لي سنة لم اعرف طعم النوم ولم اذق الّا اني سهرانة كل ليلة في انتظارك وانا على تلك الحالة من يوم خرجت من عندي واعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني انك تروح الى الحمام وتجيء فقعدت انتظرتك اول ليلة وثاني ليلة وثالث ليلة فما اتيت الا بعد هذه المدة وانا دائما منتظرة لمجيئك وهذا شان العشاق فاني اريد منك انك تحكي لي على سبب غيابك عني هذه السنة فحكيت لها فلما علمت اني تزوجت اصفرّ لونها ثم قلت لها اني اتيتك هذه الليلة واروح قبل طلوع النهار فقالت اما كفاها انها عملت عليك الحيلة وتزوجت بك وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق انك تعود اليها من ليلتك قبل طلوع النهار ولم تسمح نفسها لك بان تتفسح عند امّك او عندي ولم يهن عليها ان تبيت عند احدنا ليلة واحدة بعيدا عنها فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وانا عرفتك قبلها ولكن رحم الله بنت عمك عزيزة فانها جرى لها مالم يجر لاحد وصبرت على مالم يصبر عليه احد

وماتت مقهورة منك و هي التي حمتك مني وكنت اظنك تحبّني فخليت سبيلك مع اني كنت اقدر ما اخليك تروح سالما بشحم واقدر على حبسك وهلاكك ثم بكت بكاء شديدا و اغتاظت واقشعرت في وجهي ونظرت اليّ بعين الغضب فلما رايتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصي وخفت منها وصارت هي مثل الغولة المهولة وصرت انا مثل الفولة على النار ثم قالت لي مابقي فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فانت لا تصلح لعشرتي لانه لا ينفعني الّا العزب واما الرجل المتزوّح فانه ما ينفعنا بشيء وقد بعتني بالحزمة الدفرة والله لابد لاحسرنّ تلك العاهرة عليك ولا تبقى لي ولا لها ثم انها صرخت صرخة عظيمة فما اشعر الا وعشرة جوار اتين ورمينني على الارض فلما بقيت تحت ايديهن قامت هي واخذت سكّينا وقالت لاذبحنّك ذبح التيوس ويكون هذا اقلّ من جزائك على ما فعلت معي ومع ابنة عمك قبلي فلما نظرت الى روحي وانا تحت يد جواريها وتعفّر خدي بالتراب ورايتها تسنّ السكّين تحققت الموت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما رأيت روحي تحت يد جواريها وتعفّر خدّي بالتراب ورأيتها تسنّ السكّين تحققت الموت فعند ذلك استغثت بها فلم تزدد الّا قساوة وامرت الجواري ان يكتفنني فكتفنني ورمينني على ظهري وجلسن على بطني ومسكن رأسي وقامت جاريتان جلستا على اقصاب رجلاي وجاريتان

مسكتا يداي وقامت هي ومعها جاريتان فامرتهما ان يضرباني فضربتاني حتى اغمي عليّ وخفي صوتي فلما استفقت قلت في نفسي ان موتي مذبوحا احسن واهون عليّ من هذا الضرب وتذكّرت قول بنت عمي فانها كانت تقول لى كفاك الله شرّها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي ومابقي لي حس ولا نفس ثم سنّت السكّين وقالت للجواري اكشفن عنه فالهمني المولى ان اقول الكلمتين اللتين قالتهما بنت عمى واوصتني بهما فقلت ياسيدتي اما علمت ان الوفاء مليح * والغدر قبيح * فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله ياعزيزة الله يعوّضها في شبابها الجنة والله انها نفعتك في حياتها وبعد وفاتها وخلصتك من يدي بسبب هاتين الكلمتين ولكن لا يمكن اتركك هكذا ولابد اني اعمل فيك اثرا لاجل نكاية تلك العاهرة المهتوكة التي حجبتك عني ثم صاحت على الجواري وامرتهن ان يربطن رجلاي بالحبل ثم قالت لهن اركبن عليه ففعلن ذلك ثم قامت من عندي واتت بطاجن من نحاس وعلّقته على كانون نار وصبّت فيه شيرجا وقلت فيه جبنّا وانا غائب عن الدنيا ثم اتت اليّ وحلّت لباسي وربطت محاشمى بحبل وامسكته وناولته لجاريتين وقالت لهما جرّا الحبل فجرّتاه فغشي عليّ وصرت من شدة الالم في دنيا غير هذه الدنيا وجاءت بموسى من حديد وقطعت ذكري وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وانا مغمى عليّ فلما افقت كان الدم قد انقطع فامرت الجواري ان يحللنني فاسقتني قدح شراب ثم قالت لي رح الآن للتي تزوجت بها وبخلت عليّ بليلة واحدة رحم الله بنت عمك التي هي سبب نجاتك ولم تبح سرّها ولولا انك اسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب

في هذه الساعة لمن تشتهي وانا ما كان لي عندك غير الذي قطعته والآن مابقي لي عندك شيء ولالي فيك رغبة ولاحاجة لي بك فقم وملّس على راسك وترحم على بنت عمك ثم رفصتني برجلها فقمت وما قدرت ان امشي فتمشّيت قليلا قليلا حتى وصلت الى البـاب فوجدته مفتوحا فرميت نفسى فيه وانا غائب عن الوجود واذابزوجتي خرجت وحملتني وادخلتنى القـاعة فوجدتني مثل المـرأة ثم اني نمت واستغرقت فى النوم فلمـا قمت وصحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان وادرك شهرزاد الصبـاح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملك ثم اني لما قمت وصحوت وجدت نفسي ملقى على باب البستان فقمت وانا اَئِنّ واتضجر وتمشيت حتى اتيت الى منزلي فدخلت فيه فوجدت امّي تبكي عليّ وتقول ياهل تري ياولدي انت في ايّ ارض فدنوت منها ورميت نفسي عليها فلما نظرت اليّ وحست بي وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الاصفرار والسواد فتفكـرت بنت عمي ومافعلت معي من المعروف وتحققت انها كانت تحبّني فبكيت عليها وبكت امي فقالت امي ياولدي ان والدك تدمات فازددت غيظا وبكيت حتى اغمي عليّ فلما افقت نظرت الى موضع ابنة عمي التي كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا وكدت ان اغمي عليّ من شدة البكاء ومازلت في هذاالبكاء والنحيب الى نصف الليل فقالت لي امي ان لوالدك عشرة ايام وهوميت فقلت

لها اني لا افكر في احد ابدا غير ابنة عمي لاني استحق كل ماحصل لي حيث اهملتها وهي تحبّني فقالت وماحصل لك فحكيت لها ماحصل لي فبكت ساعة ثم قامت واحضرت لي شيأً من الماكول فاكلت قليلا وشربت واعدت لها قصتي واخبرتها بجميع ماوقع لى فقالت الحمد لله الذي جرى لك هذا وما ذبحتك ثم انها عالجتني وداوتني حتى برئت وتكاملت عافيتي فقالت لى يا ولدي الآن اخرج لك الوداعة التي وضعتها عندي بنت عمك فانها لك وقد حلفتني اني لا اخرجها لك حتى اراك تتذكرها وتبكي عليها وتنقطع علائقك من غيرها والان علمت فيك هذه الشروط ثم قامت وفتحت صندوقا واخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة هذا الغزال المصور وهى التي كنت وهبتها لها اوّلا فلما اخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

يَارَبَّةَ الحُسْنِ مَنْ بِالصَّدِّ اَغْرَاكِ	حَتَّى قَتَلْتِ بَفرْطِ الحُبِّ مُضْنَاكِ
اِنْ كُنْتِ لَمْ تَذْكُرِينَا بَعْدَ فُرْقَتِنَا	فَاللّٰهُ يَعْلَمُ اَنَّا مَا نَسِيْنَاكِ
عَذَّبْتِنِي بِالتَّجَنِّي وَهُوَ يَعْذُبُ لِي	فَهَلْ تَجُودِينَ لِي يَوْمًا بِرُؤْيَاكِ
مَاكُنْتُ اَحسِبُ اَنَّ الحُبَّ فِيهِ ضَنا	وَلَاعَذَابَ نُفُوسٍ قَبْلَ اَهْوَاكِ
حَتَّى تَوَلَّعَ قَلْبِي بِالْغَرَامِ فَمَا	اَمْسَى اَسِيرَ الهَوَى فِى لَحْظِ عَيْنَاكِ
رَقَّ العَذُولُ لِحَالِي فِى الْهَوَى وَرَثَى	وَاَنْتِ يَا هِنْدُ لَمْ تَرْثِي لِمُضْنَاكِ
تَاللّٰهِ لَوْمُتُّ لَمْ اَسْلُوكِ يَا اَمَلِي	وَلَو فَنِيتُ غَرَامًا لَسْتُ اَنْسَاكِ

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت على وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة اخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا بن عمي اني جعلتك في حلّ من دمي وارجوالله ان يوفق بينك وبين من

تحب لكن اذا اصابك شيء من بنت الدليلة المحتالة فلا ترجع تروح
اليها ولا لغيرها واصبر على بليتك ولولا اجلك مديد لكنت هلكت
من زمان و لكن الحمد لله الذي جعل يومي قبل يومك و سلامي
عليك واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا
تخليها تفارقك فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عنّي
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك
ضوءالمكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فقرأت ماكتبته
لى بنت عمي و اوصتني به وهي تقول احتفظ بهذا الغزال ولا
تدعه يفارقك فانه كان يؤانسني اذا غبت عني وبالله عليك ان
قدرت على من عملت هذا الغزال تتباعد عنها ولا تخليها تقربك
ولا تتزوج بها وان لم تحصل لك ولا تدرت عليها ولا وجدت لك
اليها سبيلا فلا تقرب بعدها واحدة من النساء واعلم ان صاحبة
هذا الغزال تعمل كل سنه غزالا وترسله الى اقصى البلاد لاجل ان
يشيع خبرها وحسن صنعتها التى يعجز عنها اهل الارض وا ما
محبوبتك بنت الدليلة المحتالة فوصل اليها هذا الغزال فصارت
تصدم به الناس وتريه لهم وتقول ان لى اختا تصنع هذا وهي
كذّابة في قولها هتك الله سترها وهذه وصيتي وما اوصيتك بهذه
الوصية الّا لانني اعلم ان الدنيا قدتضيق عليك بعد موتى وربما
تتغرب بسبب ذلك و تطوف فى البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة
فتتشوق نفسك الى معرفتها فتتذكرني فما ينفعك فلاتعرف قدري الّا بعد

موتي واعلم ان الصبية التي صنعت هذا الغزال بنت ملك جزائر الكافور
وست الاحرار فلما قرأت تلك الورقة وفهمت مافيها بكيت وبكت
امي لبكائي ولازلت انظر اليها وابكي الى ان اقبل الليل ولم ازل
على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز هؤلاء التجّار من
مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين انا معهم في القافلة فاشارت
عليّ امي ان اتجهّز معهم واسافر لعلي اتسلى ويذهب ما بي من الحزن
وقالت لي اشرح صدرك واترك هذا الحزن عنك وتغيب سنة
اوسنتين اوثلثة حتى تعود القافلة فلعل ينشرح صدرك
وينجلي خاطرك ولازالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجري
وسافرت معهم وانا لم تنشف لي دمعة طول سفري ابدا وفي كل
منزلة ننزل بها افتح هذه الخرقة وانظر فيها الى هذا الغزال فاتذكر
ابنة عمي وابكي عليها كما تراني فانها كانت تحبّني محبّة زائدة
وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها الّا الضرر وهي لم
تفعل معي الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم
فانا ارجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة كاملة وانا في
حزن زائد وما جدّد همي وحزني الّا اني جزت على جزائر الكافور
وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان
وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي انها هي التي تصنع الغزلان
وهذا الغزال الذي معك من جملة رقمها فلما علمت ذلك زادت
بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لاني
بقيت مثل المرأة ولا حيلة لي وما بقي معي آلة مثل الرجال واني
من يوم فراقي لجزائر الكافور وانا باكي العين حزين القلب ولي مدة
على هذا الحال وما ادري هل يمكنني ان ارجع الى بلدي واموت

عند و الدتي اولا و قد شبعت من الدنيــا ثم بكى و انّ و اشتكى و نظر الى صورة الغزال وجرت دموعه على خدوده و سالت و انشد يقول هذين البيتــــــــــــــــــــــــــــــن

وَقَائِلٍ قَالَ لِي لَابُدَّ مِنْ فَرَجٍ ... فَقُلْتُ لِلْغَيْظِ كَمْ لَابُدَّ مِنْ فَرَجٍ
فَقَالَ لِي بَعْدَ حِينٍ قُلْتُ يَا عَجَبِي ... مَنْ يَضْمِنُ الْعُمْرَ لِي يَا بَارِدَ الْحُجَجِ

وقول الآخر

اَللّٰهُ يَعْلَمُ اَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ ... بَكَيْتُ حَتَّى اسْتَلَفْتُ الدَّمْعَ بِالدَّيْنِ
فَقَالَ لِي عَاذِلِي اِصْبِرْ تَنَالُهُمُ ... فَقُلْتُ يَا عَاذِلِي الصَّبْرُ مِنْ اَيْنِ

و هذه حكايتي ايها الملك فهل سمعت اغرب من هذا الحديث فتعجب تاج الملوك غاية العجب وانه لما سمع قصة الشاب انطلقت في فؤاده النيران بسبب ذكر الست دنيا و جما لها و ادرك شهر زاد الصبــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوءالمكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشـــاب تعجب غاية العجب و انطلقت في فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا و عرف انهـــا هي التي ترقم الغزلان وزاد به الوجد والهيام فقال للشاب والله لقد جرى لك شيء ماجرى لاحد غيرك مثله و لكن لك عمر تقضيه و قصدي ان اسالك عن شيء فقال عزيز و ماهو قال تحكي لي كيف رأيت تلك الصبية التي عملت هذا الغزال فقال يا مولاي اني اتيتها بحيلة و هو اني لما دخلت مع القافلة الى بلدها كنت اخرج و ادور في البساتين وهي

كثيرة الاشجار و حارس تلك البساتين شيخ كبير طاعن في السنّ فقلت له يا شيخ لمن هذا البستان فقال لي هو لابنة الملك الست دنيا ونحن تحت قصرها فاذا ارادت ان تتفرج تفتح باب السرّ وتتفرج في البستان و تشمّ روائح الازهار فقلت له انعم عليّ بان اقعد في هذا البستان حتى تاتي وتمرّ لعلّي احظى منها بنظرة فقال الشيخ لاباس بذلك فلما قال لي ذلك اعطيته بعض دراهم و قلت له اشتر لنا شيئاً ناكله فاخذهم و هو فرحان و فتح الباب و دخل وادخلني معه و سرنا و ما زلنا سائرين الى ان اتينا الى مكان لطيف وقال لي اجلس هنا الى ان اذهب و اعود اليك بعد ان احضر لي شيئاً من الفواكه وتركني ومضى وغاب ساعة ورجع ومعه خروف مشوي فاكلنا حتى اكتفينا وقلبي مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسان و اذا بالباب قد انفتح فقال لي قم اختف فقمت و اختفيت و اذا بطواشي اسود اخرج راسه من باب الريح و قال يا شيخ هل عندك احد فقال لا فقال له اغلق باب البستان فاغلق الشيخ باب البستان و اذا بالست دنيا طلعت من باب السرّ فلما رأيتها ظننت ان القمر قد طلع من الافق و اضاء فنظرت لها ساعة زمانية و صرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء و بعد ساعة اغلقت الباب و مضت فعند ذلك خرجت انا من البستان وطلبت منزلي وعرفت انّي لا اصل اليها ولا انا من رجالها خصوصا وانا قد صرت مثل المراة ليس لي آلة رجال و هي بنت ملك و انا رجل تاجر فمن اين لي وصول الى مثل هذه او غيرها فلما تجهزت اصحابي هؤلاء تجهزت انا وسافرت معهم و هم قاصدون هذه البلدة حتى اذا وصلنا الى هذا المكان و اجتمعنا بك وسألتني فاخبرتك و هذه حكايتي وما جرى

لي والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل باله وفكره
بحبّ السيدة دنيا و حار في امره ثم انه نهض و ركب جواده واخذ
عزيزا معه و عادبه الى مدينة ابيه وافرد لعزيز دارا ووضع له فيها كل
ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والملبس وتركه و مضى الى قصره
و دموعه تجرى على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع
ولم يزل تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه ابوه فوجده
متغير اللون نحيف الجسم باكى العين فعلم انه مهموم لامر نزل به
فقال له يا ولدي اخبرني عن حالك وما الذي جرى لك حتى تغيّر
لونك و نحل جسمك فاعاد له جميع ما جرى له وما سمعه من قصة
عزيز و قصّة السيدة دينا و انه عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين
فقال يا ولدي انها بنت ملك و بلاده بعيدة عنّا فدع عنك هذا
و ادخل الى قصر امّك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان
ان والد تاج الملوك قال له يا ولدي انّ اباها ملك و بلاده بعيدة
عنّا فدع عنك هذا و ادخل الى قصر امّك ففيه خمسمائة جارية
كالاقمار فمن اعجبتك منهن خذها و الّا ناخذ و نخطب لك
بنتا من بنات الملوك تكون احسن منها فقال له يا ابي لا اريد
غيرها ابدا و هي صاحبة الغزال الذي رايته ولابد لي منها والّا اهج
في البراري والقفار و اقتل نفسي بسببها فقال له ابوه امهلني حتى
ارسل الى ابيها واخطبها منه و ابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي

في امك لعلّ الله ان يبلغك المرام و ان لم يرض زلزلت عليه مملكته بجيش آخره عندي و اوّله عنده ثم دعا بالشاب عزيز و قال له يا ولدي هل انت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهي منك ان تسافر مع وزيري فقال له عزيز سمعا وطاعة يا ملك الزمان ثم ان الملك احضر وزيره و قال له دبّر لي رأيا في امر ولدي يكون صوابا واذهب الى جزائر الكافور و اخطب بنت ملكها لولدي فاجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زاد به الوجد والحال و طال عليه المطال فلما جنّ عليه الليل بكى و انّ واشتكى و انشد يقول شعر

جَنَّ الظَّلَامُ وَدَمْعِي زَائِدُ الْمَدَدِ ... وَالْوَجْدُ مِنْ شِدَّةِ النِّيرَانِ فِي كَبِدِي
سَلُوا اللَّيَالِيَ عَنِّي وَهْيَ تُخْبِرُكُمْ ... اِنْ كَانَ شُغْلِي غَيْرَ الْهَمِّ وَالْكَمَدِ
اَبِيتُ اَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مِنْ وَلَهِي ... وَالدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ فِي الْخَدِّ كَالْبَرَدِ
وَقَدْ بَقِيتُ وَحِيدًا لَيْسَ لِي اَحَدٌ ... كَمِثْلِ صَبٍّ بِلَا اَهْلٍ وَلَا وَلَدِ

ثم لما فرغ من شعره غشي عليه ساعة فلم يفق الا وقت الصباح فاتى خادم ابيه ووقف عند راسه ودعاه الى والده فراح معه فلما رآه ابوه وجده قد تغيّر لونه فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهّز عزيزا مع وزيره واعطاهم الهدايا فسافروا اياما و ليالي الى ان اشرفوا على جزائر الكافور فعند ذلك اقاموا على شاطئ نهر وانفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم فراح الرسول فلم يكن غير ساعة الّا و حجاب الملك وامراؤه قد اقبلوا عليهم و لاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا في خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا واقاموا في ضيافته ثلثة ايام فلما كان اليوم الرابع قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدّثه

بالامر الذي جاء فيه فبقي الملك حائرا في ردّ الجـواب لان ابنته
لاتحبّ الرجال ولا تشتهى الزواج فاطرق الملك براسه الى الارض
ساعة ثم رفع راسه ودعا بخـادم من بعض الخدام وقال له اذهب
الى سيدتك دنيا واعلم عليها ما سمعت و بمـا جاًبه هذا الوزير
فقام الخادم وذهب وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له ياملك
الزمان اني لما دخلت واخبرت الست دنيا بما سمعت غضبت غضبا
شديدا و نهضت اليّ بعصاة وارادت كسر راسي ففررت منها هاربا
وقالت لي ان كان ابى يغصبنى على الزواج فالذي اتزوّج بـه اقتله
فقال ابوها للوزير ولعزيز قد سمعتما فانتما تعلمان واخبرا الملك
بذلك وسلّما وان ابنتي لاتحبّ الرجال ولا تشتهى الزواج و ادرك
شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايهـا الملك السعيد ان الملك شهرمان قال للوزير
وعزيز سلّما على الملك و انكما تخبران الملك بما سمعتماه بان
ابنتى لاتحب الزواج فرجعوا من غير فائدة ومازالوا مسافرين الى
ان دخلوا على الملك واخبروه بماجري فعند ذلك امر النقباء ان
ينادوا على العساكر بالسفر من اجل الحرب والجهاد فقال له الوزير
ايها الملك لاتفعـل ذلك فان الملك لا ذنب له وان ابنتـه حين
علمت بذلك ارسـلت تقول ان غصبنى ابي على الزواج اقتل من
اتزوّج به واقتل نفسي بعده وانما الامتناع منها فلما سمع الملك
كلام الوزير خاف على تاج الملوك وقال ان انا حاربت اباها وظفرت
بابنته فهي تقتل نفسها فلا يفيدني شيء ثم ان الملك اعلم ابنه

تاج الملوك بذلك فلما علم ذلك قال لابيه يا ابي انا لا اطيق الصبر
عنهـا فانا اروح اليها واتحـايل في اتصـالي بها ولو اموت ولا
افعل غير هذا فقال له ابوه وكيف تروح اليها فقال اروح في صفة
تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخـذ معك الوزير وعزيزا ثم
انه اخرج له شيـأ من خزائنه وهيّأ له متجرا بمـائة الف دينار
واتفقـا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز
الى منزل عزيز وباتا تلك الليلة هناك وصار تاج الملوك مسلوب
الفؤاد ولم يطب له اكل ولا رقاد بل هجم عليه الفكر وهزّه الشوق
الى محـبوبته فتوسّل بالخـلّاق ان يمنّ عليه بالتلاق وبكى وانّ
واشتكى وانشد يقـــــــــــول

تَرَى هَلْ لَنَا بَعْدَ ٱلْبِعَادِ وُصُولُ ... فَأَشْكُو إِلَيْكُمْ صَبْوَتِي وَأَقُولُ
تَذَكَّرْتُكُمْ وَٱللَّيْلُ فِي غَفَلَاتِهِ ... وَأَسْهَرْتُمُونِي وَٱلْأَنَامُ غَفُولُ

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة
عمه ولا زالا كذلك يبكيان الى ان اصبح الصباح ثم قام تاج الملوك
ودخل على والدته وهو لابس اهبة السفر فسألته عن حاله فاعاد
عليها الخبر فاعطته خمسين الف دينار ثم ودّعته وخرج من عندها
ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحبـاب ثم دخل على والده
واستاذنه ان يرحل فاذن له واعطاه خمسين الف دينار وامران
تضرب له خيمة في خارج المدينة فضربت له الخيمة فاقام فيها يومين
وسافر واستـانس تاج الملـوك بعزيز وقال له يا اخي انا ما بقيت
اطيق ان افارقك فقال عزيز وانا الآخر كذلك وانا احبّ ان اموت
تحت رجليك ولكن يا اخي قلبي اشتغل بوالدتي فقال له تاج الملوك

لما نبلغ المرام لايكون الا خيرا وسافروا و كان الوزير قد اوصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز يسامره وينشد له الاشعار ويحدّثه بالتواريخ والاخبار وهم يجدّون فى السير ليلا و نهارا مدة شهرين كوامل فطالت الطريق على تاج الملوك وزادت به النيران فانشد يقول

طَالَ الْمَسِيرُ وَزَادَ الْهَمُّ وَالْقَلَق وَفِي الْفُؤَادِ هَوًى زَادَتْ بِهِ الْحُرَق
أَقْسَمْتُ يَا مُنْيَتِي يَا مُنْتَهَى أَمَلِي بِحَقِّ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ
لَقَدْ حَمَلْتُ غَرَامًا مِنْكِ يَا سُؤْلِي لَمْ تَحْمِلْنَهُ جِبَالُ الشُّمِّ بِالْأَرَقِ
يَاسِتَّ دُنْيَايَ إِنَّ الْحُبَّ أَهْلَكَنِي وَرَدَّنِي مَيِّتًا مَا فِيَّ مِنْ رَمَقِ
لَوْلَا الرَّجَاءُ بِوَصْلٍ مِنْكِ يُطْمِعُنِي مَا كَانَ شَخْصِي أَتَى فِي السَّيْرِ مُنْطَلِقِ

ثم لما فرغ من انشاده بكى وبكى عزيز معه لانه جريح القلب فرقّ قلب الوزير لبكائهما وقال ياسيدي طب نفسا وقرّ عينا فما يكون الا الخير فقال تاج الملوك ياوزير طالت مدة السفر فاخبرني كم بيننا وبين البلد فقال له عزيز مابقي الا القليل ثم ساروا يقطعون الاودية والاوعار والبراري والقفار فبينما تاج الملوك ذات ليلة نائم اذ راى فى النوم ان محبوبته معه وهو يعانقها ويضمّها الى صدره فانتبه مرعوبا فزعا طائر العقل وانشد يقول شعر

خَلِيلَيَّ هَامَ الْقَلْبُ وَالدَّمْعُ سَاجِمُ وَوَجْدِي غَزِيرٌ وَالْغَرَامُ مُلَازِمُ
وَنَوْحِي كَنَوْحِ الثَّاكِلَاتِ مِنَ الْبُكَا إِذَا جَنَّ لَيْلِي نُحْتُ نَوْحَ الْحَمَائِمِ
وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْيَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَجَدْتُ بِهَا بَرْدًا عَلَى الْأَرْضِ قَادِمِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا طَارَ قُمْرِيٌّ وَنَاحَتْ حَمَائِمُ

فلما فرغ تاج الملوك من انشاده اقبل عليه الوزير وقال له ابشر
هذه علامة الخير فطب قلبا وقرّ عينا ولا بدّ ان تبلغ مقصودك
واقبل عليه عزيز وصبره وصار يلهيه ويحادثه ويحكي له الحكايات
وهم يجدون فى السير ولم يزالوا مسافرين اياما وليالي الى مدّة
شهرين آخرين فلما كان يوما من الايام اشرقت عليهم الشمس ولاح
لهم من البعد شيء ابيض فقال تاج الملوك لعزيز ماهذا البياض فقال
عزيز يامولاي هذه القلعة البيضاء وهذه المدينة التي انت طالبها
ففرح تاج الملوك ولم يزالوا مسافرين الى ان قربوا من المدينة
فلما قربوا منها فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهمّ
والترح ثم دخلوها وهم في سيمة التجار وابن الملك في زيّ
تاجر كبير ثم اتوا الى مكان يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال
تاج الملوك لعزيز اهذا محل التجار فقال عزيز نعم وهو الخان الذي
كنت انا نزلت فيه فانزلوا فيه واناخوا فيه مطيّهم وحطوا رحالهم
وخزنوا امتعتهم فى المخازن واقاموا للراحة اربعة ايام ثم ان الوزير
اشار عليهم ان يكتروا لهم دارا كبيرة فاجابوه واكتروا لهم دارا
واسعة البنيان معدّة للافراح فنزلوا فيها واقام الوزير وعزيز
يدبّران حيلة لتاج الملوك وتاج الملوك حائر لا يدري مايفعل
ولم يجد له حيلة غير انه تاجر في قيصرية البزّ ثم ان الوزير اقبل
على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انّه اذا كان مقامنا هنا
على هذه الحالة فاننا لا نبلغ مرادنا ولا تقضي لنا حاجة وقد
خطر ببالي شيء وهو ان شاء الله فيه الصلاح فقال له تاج الملوك
وعزيز افعل مابدا لك فان المشائخ فيهم البركة لا سيّما انك قد مارست
الامور فقل لنا ماخطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأي اننا نكتري لك

دكانا في سوق البزّ تقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البزّ والتفاصيل واذا سكنت وتعدت في تلك الدكان ينصلح امرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك جميلة ولكن اجعل عزيزا امينـــا عندك واجلسه في داخل الدكان لينا ولك التفـاصيل والاقمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأي سديد ومليح فعند ذلك اخرج تاج الملوك بدلة سنيـة تجّاربة ولبسها وقام يمشي وغلمـــا نه خلفه واعطى لاحدهم الف دينـار معـه ليقضي بها مصالح الدكان ومازالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البزّ فلما رات التجّار تاج الملوك ونظروا الى حسنه وجماله تحيّروا وصاروا يقولون ان رضوان فتح ابواب الجنان وغفل عنهـا فخرج منها هذا الشاب البديع الحسن وآخر يقول لعلّ هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان العَريف فدلوهم عليها فمازالوا سائرين حتى وصلوا عند العَرِيف فسلموا عليه فقام اليهم هو ومن عنده من التجـــار واجلسوهم وعظّموهم لاجل الوزير فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه الشاب تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لا شك ان هذا الشيخ والد هذين الشابين فقال لهم الوزير مَن شيخ السوق فيكم فقالوا هاهو واذا هو اقبل فنظر اليه الوزير وتأمّله فرآه شيخا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان وعبيد فعند ذلك حيّاهم العَرِيف تحيّة الاحباب وبالغ في اكرامهم واجلسهم الى جانبه وقال لهـــم هل لكم من حاجة نفوز بقضائهـــا فقال الوزير نعم انا رجل كبير طاعن فى السن ومعي هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الاّ اقمت بها سنة كاملة

حتى يتفرّجا عليها ويعرفا اهلهـــا واني قد اتيت بلدكم هذه
واخترت المقام فيها واشتهي منك دكانا تكون جيدة من احسن
المواضع حتى اجلسهمـــا فيها ليتّجرا ويتفرّجا على هذه البلدة
ويتخلّقا باخلاق اهلها ويتعلّمـا البيع والشراء والاخذ والعطاء
فقال العَرِيف لاباس بذلك فنظر العَرِيف الى الولدين وفرح بهما
واحبهما حبا زائدا وكان العَرِيف مغرما بفاتك اللحظات ويغلّب
حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال في نفسه هذه صيدة
مليحة سبحان خالقهما ومصوّرهما من ماء مهين فعند ذلك وقف
العريف لخدمتهما كالغلام بين ايديهما ثم انه قام وهيّأ لهما الدكان
وكانت في وسط القيصرية ولم يكن اكبر ولا اوجه منها فى السوق
عندهم لانها كانت متسعـــة مزخرفة فيها رفوف من عاج وخشب
الآبنوس ثم سلّم المفاتيح للوزير وهو في صفة الشيخ التاجر وقال له
خذ ياسيدي جعلهـا الله منزلا مبـــاركا على ولديك فاخذ منه
المفاتيح ثم انهم مضوا الى الخان الذي وضعوا فيه امتعتهم وامروا
الغلمان ان ينقلوا جميع ما معهم من البضـائع والقماش الى تلك
الدكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخذ مفاتيح الدكان
وصحبته تاج الملوك وعزيز ذهبوا الى الخان وامروا الغلمـان ان
ينقلوا ما معهم من البضائع والقماش والتحف وكان شيـــأ كثيرا
يساوي خزائن من المال فنقلوا جميع ذلك ثم مضوا الى الدكان

ووضعوا امتعتهم فيها وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح اخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فاغتسلوا وتنظّفوا ولبسوا الثياب الفاخرة وتطيّبوا واخذوا غاية حظّهم من الحمام وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصارا فى الحمام على حد قول الشاعر

بُشْرَى لِقَيِّمِهِ اِذْ لَا مَسَتْ يَدُهُ ‏ ‏ جِسْمًا تَوَلَّدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنُّوْرِ
مَا زَالَ يُظْهِرُ لُطْفًا مِنْ صَنَاعَتِهِ ‏ ‏ حَتَّى جَنَى الْمِسْكَ مِنْ تِمْثَالِ كَافُوْرِ

ثم خرجا منه فلما سمع العريف بدخولهما الحمام قعد في انتظارهما واذا بهما قد اقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت وجوههما فصارا كانهما قمران زاهيان او غصنان مثمران فلما رآهما قام على حيله وقال يا اولادي حمامكم نعيم دائم فقال له تاج الملوك باعذب كلام انعم الله عليك يا والدي لايش ما حضرت عندنا واستحميت معنا ثم نزل الاثنان على يد العريف وقبّلاها ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان حشمة وتعظيما له لانه كبير التجار والسوق وتقدم منه الاحسان في حقهما باعطائهما الدكان فلما رأى اردافهما في ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يطق الصبر فاحدق بهما العينين وانشد هذين البيتين

يُطَالِعُ الْقَلْبُ بَابَ الْاِخْتِصَاصِ بِهِ ‏ ‏ وَلَيْسَ يَقْرَأُ فِيهِ مَبْحَثُ الشِّرْكَهْ
لَا غَرْوَ فِي كَوْنِهِ يَرْتَجُّ مِنْ ثِقَلٍ ‏ ‏ فَكَمْ لِذَا الْفَلَكِ الدَّوَّارِ مِنْ حَرَكَهْ

وايضا قال

رَأَى اثْنَيْنِ عَيْنِي يَمْشِيَانِ عَلَى الثَّرَى ‏ ‏ وَدِدْتُهُمَا لَوْ يَمْشِيَانِ عَلَى عَيْنِي

فلما سمعا منه ذلك اقسما عليه ان يدخل معهما الحمام ثاني مرة فما صدق بذلك واسرع الى الحمام ودخلا معه والوزير لم يكن خرج من الحمام فلما سمع به خرج وتلقاه من وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فمسك تاج الملوك يده من ناحية وعزيز يده الاخرى من ناحية ودخلا به الى خلوة اخرى فانقاد لهمـا ذلك الشيخ الخبيث فزاد عليه هيمانه فحلف تاج الملوك انه لايغسله غيره وحلف عزيز ان لايصب عليه الماء غيره فامتنع وهو يتمنّى ذلك فقال له الوزير انهما اولادك خلّهما يغسلانك وينظفانك فقال العريف ابقاهما الله لك والله لقد حلّت في مدينتنا البركة والسعادة بقدومكم ومن بصحبتكم و انشد يقول هذين البيتين

اَقْبَلْتَ فَاخْضَرَّتْ لَدَيْنَا الرُّبَى ... وَقَدْ زَهَتْ بِالزَّهْرِ لِلْمُجْتَلِي
وَنَادَتِ الْاَرْضُ وَمَنْ فَوْقَهَا ... اَهْلاً وَسَهْلاً بِكَ مِنْ مُقْبِلِ

فشكـروه على ذلك ومازال تاج الملوك يغسله وعزيز يصب عليه الماء وهو يظنّ ان روحه في الجنة حتى اتمّـا خدمته فدعا لهمـا وجلس جنب الوزير على انه يتحدث معه وهو ينظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك اتوا لهم الغلمان بالمناشف فتنشّفوا والبسوا حوائجهم وخرجوا من الحمام فاقبل الوزير على العريف وقال له يا سيدي ان الحمام نعيم الدنيا فقال العريف جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأً في الحمـام مما قالته البلغاء فقال تاج الملوك انا انشد لك بيتين فانشد يقـول

اِنَّ عَيْشَ الْحَمَّامِ اَطْيَبُ عَيْشٍ ... غَيْرَ اَنَّ الْمُقَـامَ فِيهِ قَلِيـلُ

جَنَّةٌ تُكْـرَهُ الْإِقَامَةُ فِيهَـا　　وَجَحِيمٌ يَطِيبُ فِيهَا الدُّخُول

فلمـا فرغ تاج الملـوك من شعره قال عزيز وانا كذلك احفظ في الحمام بيتين فقال له العريف انشد لي اياهما فانشد يقـول

وَبَيْتٍ لَهُ مِنْ جَلْمَدِ الصَّخْرِ أَزْهَارُ　　أَنِيقٍ اِذَا مَا أَضْرَمَتْ حَوْلَهُ النَّارُ
تَرَاهُ جَحِيمًا وَهُوَ فِي الْحَقِّ جَنَّةٌ　　وَأَكْثَرُ مَا فِيهَا شُمُوسٌ وَأَقْمَارُ

فلما فرغ عزيز من شعره اعجب العريف ماقاله وينظر في صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا انتما مني ثم اطرب بالنغمات وانشد يقول هذه الابيـــــات

يَاحُسْنَ نَارٍ وَالنَّعِيمُ عَذَابُهَـا　　تُحْيَى بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَبْدَانُ
فَاعْجَبْ لِبَيْتٍ لَايَزَالُ نَعِيمُهُ　　غَضًّا وَتُوقَدُ تَحْتَهُ النِّيـرَانُ
عَيْشُ السُّرُورِ لِمَنْ أَلَمَّ بِهِ وَقَدْ　　سَفَحَتْ عَلَيْهِ دُمُوعَهَا الْغُدْرَانُ

ثم سرح في رياض حسنهما نظر العين وانشد هذين البيتيـــن

وَافَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرَ حَاجِبًـا　　اِلَّا وَ يَلْقَانِي بِوَجْهٍ ضَـاحِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَحِيمَهُ　　فَشَكَرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةَ مَالِكِ

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان العريف عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من شدة حرّ الحمام فاستراحوا واكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة في منزلهم على اتم ما يكـون من الحظّ والسرور فلما اصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضوأ وصلّوا فرضهم واصطبحوا ولما طلعت الشمس وفتحت الدكاكين والاسواق قاموا بعد ذلك وتمشوا وخرجوا من المنزل واتوا الى السوق وفتحوا الدكان وكانت الغلمان قد هَيَّأُوها احسن هيئة وفرشوا فيهـا

السجاجيد و البسط الحرير و وضعوا فيها مرتبتين كل مرتبة تساوي
مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره شريط من الذهب
وفي وسط الدكان الغرش الفاخر اللائق بالمقام فجلس تاج الملوك
على مرتبة و عزيز على الاخرى وجلس الوزير في وسط الدكان ووقف
الغلمان بين ايديهم وتسامعت بهم اهل البلد فازدحموا عليهم فباعوا
بعض بضائعهم و بعض اقمشتهم و شاع في المدينة ذكر تاج الملوك
وحسنه و جمـا له ثم اقاموا على ذلك اياما وفي كل يوم تتزايد
الناس عليهم و تهرع اليهم فاقبل الوزير على تاج الملوك و اوصاه
بكتمـان سرّه و اوصى عليه عزيزا و مضى الوزير الى الدار ليختلي
بنفسه و يدبر امرا يعود نفعه عليهـم وصار تاج الملوك وعزيز
يتحادثان و تاج الملوك يقـول لعزيز عسى احد يجيء من عند
الست دنيا ولم يزل تاج الملوك على ذلك اياما و ليالي و هو قلق
الفؤاد لا يعرف النوم ولا الرقاد و قد تمكن منه الغـرام و زاد به
الوجد والهيام حتى حرم لذيذ المنام و امتنع من الشراب والطعام
و كان كالبدر ليلة التمام فبينما تاج الملوك جالس و اذا هو بامرأة
عجوز اقبلت عليه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايهـا الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان
فبينما تاج الملـوك جالس و اذا بعجوز اقبلت عليه و تقدمت اليه
و خلفها جاريتان وما زالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك
فرأت قده و اعتداله و حسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت
في سراويلها ثم قالت سبحـان من خلقك من ماء مَهين و جعلك

فتنة للناظرين ثم تاملت و قالت ما هذا بشرا انْ هذا الا ملك كريم
ثم دنت منه وسلّمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام
و تبسّم في وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم اجلسها الى جانبه و صار
يروّح عليها بمروحة حتي استفاقت و استراحت فالتفتت العجوز
الى تاج الملوك وقالت له يا ولدي يا كامل الاوصاف والمعاني هل انت
من هذه الديار فقال لها تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله
يا سيدتي عمري ما دخلت هذه الديار الاّ هذه المرة ولا اقمت فيها
الاّ على سبيل الفرجة فقالت اكرم بك من قادم على الرحب والسعة
و ايّ شيء جئت به معك من القماش ارني شيأ مليحا فان المليح
لا يحمل الا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم
يعلم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندي
كلما تشتهين وعندي شيء لايصلح الا للملوك وبنات الملوك فاخبريني
بالشيء الذي تريدينه لِمَنْ حتى اقلّب عليك كل شيء يصلح لاربابه
واراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها فقالت له اريد قماشا يصلح
للست دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته
فرح فرحا شديدا و قال لعزيز ائتني با لبقجة الفلانية فاتى بها
عزيز و حلّها بين يديه فقال لها تاج الملوك انتخبي مايصلح لها
فان هذا شيء لايوجد عند غيري فاختارت العجوز شيأ يساوي
الف دينار وقالت بكم هذا وصارت العجوز تحدّثه و تحكّ بين
افخاذها بكلوة يدها فقال لها تاج الملوك و هل انا اساوم مثلك
في هذا الثمن الحقير الحمد لله الذي عرفني بك فقالت له العجوز
اسم الله عليك اعوذ وجهك المليح برب الفلق الوجه مليح واللفظ
فصيح هنيأ لمن تنام في حضنك وتضم قدّك و تحظى بشبابك

وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن وجمال مثلك فضحك تاج الملوك
حتى انقلب على قفاه ثم قال يا قاضي الحاجات على ايدى العجائز
الفاجرات هن قاضيات الحاجات ثم قالت له يا ولدي ما اسمك فقال
اسمي تاج الملوك فقالت العجوز ان هذا اسم الملوك واولاد الملوك
وانت في زيّ التجار فقال لها عزيز من محبته عند والديه واهله ومعزته
عليهم سمّوه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر العين
وشر الاعادي والحساد ولو فتّت بمحاسنكم الاكباد ثم اخذت القماش
ومضت وهي باهتة في حسنه وجمــاله وقدّه واعتداله ولم تزل
ماشية حتى دخلت على الست دنيا وقالت لها يا سيدتي جئت لك
بقماش مليح فقالت لها اريني اياه فقالت يا سيدتي ها هو فقلّبيه يا عيني
وابصريه فلما رأته الستّ دنيا بهتت فيه وقالت لهــا يا دادتي ان
هذا قماش مليح ما رأيته في مدينتنـــا فقالت العجوز يا ستي ان
بائعه احسن منه كأنّ رضوانا فتح ابواب الجنان وسها فخرج منها
شاب هو الذي يبيع هذا القمــاش وانا اشتهي في هذه الليلة انه
ينام عندك ويكون بين نهودك فانه اتى مدينتك باقمشة مثمنة
لاجل الفرجة وهو فتنة لمن يراه فضحكت الست دنيا من كلام العجوز
وقالت اخزاك الله يا عجـوز النحس انك خرفت وما بقي لك عقل
ثم قالت هاتى القماش حتى انظره نظرا جيدا فاعطتها اياه فنظرته ثانيا
فرأته قليلا وثمنه كثيرا فاعجبها لانها ما رأت في عمرها مثله فقالت
والله انه قماش مليح فقالت لهــا العجوز يا سيدتي والله لو رأيتِ
صاحبه لعرفت انه احسن من يكون على وجه الارض فقالت لهـــا
الست دنيا هل كنت سا لته ان كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له
فقالت العجوز وقد هزّت رأسهــا حفظ الله فراستك والله ان له

حاجة لا عدمت معرفتك وهل احد يسلم ويخلو من حاجة فقالت
لها الست دنيا اذهبي اليه وسلّمي عليه وقولي له شرّفت بقدومك
ارضنا ومدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناها لك
على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك في الوقت فلما
رآها طار قلبه من الفرح والسرور وقام لها قائما على قدميه واخذ
يدها واجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت اخبرته بما قالته
لها الست دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح وانسع صدره
وانشرح ودخل في قلبه سرور وقال في نفسه قد قُضيت حاجتي
ثم قال للعجوز لعلك ان تاخذى لها من عندي رسالة وتأتيني
بجوابها فقالت سمعا وطاعة فعند ذلك قال لعزيز ائتني بدواة
وقرطاس وقلم من نحاس فلما اتاه بتلك الادوات اخذ القلم بيده
وكتب هذه الابيات شعر

كَتَبْتُ اِلَيْكَ يَاسُؤْلِي كِتَابًا ... بِمَا اَلْقَاهُ مِنْ اَلَمِ الْفِرَاقِ
فَاَوَّلُ سَطْرِهِ نَارٌ بِقَلْبِي ... وَثَانِيهِ غَرَامِي وَاشْتِيَاقِي
وَثَالِثُهُ فَنَى عُمْرِي وَصَبْرِي ... وَرَابِعُهُ جَمِيعُ الْوَجْدِ بَاقِي
وَخَامِسُهُ مَتَى عَيْنِي تَرَاكُمْ ... وَسَادِسُهُ مَتَى يَوْمُ التَّلَاقِي

ثم كتب في امضائه ان هذا الكتاب من اسير الاشواق *
* المسجون في سجن الاشتياق * الذي ليس له منه اطلاق *
* الا بالوصال والتلاق * بعد البعد والفراق *
* لانه يقاسي من فرقة الاحباب * اليم الوجد والعذاب *
ثم افاض دمع العين وكتب هذين البيتين

كَتَبْتُ اِلَيْكَ وَالْعَبَرَاتُ تَجْرِي ... وَدَمْعُ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ انْقِطَاعُ

وَلَسْتُ بآيِسٍ مِنْ فَضْلِ رَبّي عَسَى يَوْمٌ يَكُونُ بِهِ اجْتِمَاعُ

ثم طوى الكتاب وختمه واعطاه للعجوز وقال لها اوصليه الى الست دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم اعطاها الف دينار وقال يا امي اقبلي هذه هدية مني على سبيل المحبة فاخذتها منه ودعت له وانصرفت ولم تزل ماشية حتى دخلت على الست دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتي ايش طلب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتي انه قد ارسل معي هذا الكتاب ولا اعلم ما فيه ثم ناولتها الكتاب فاخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من اين الى اين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت من اين كنا حتى اتصلنا ووصلنا الى السوقة اوّاه اوّاه وقالت والله لولا خوفي من الله لقتلته وصلبته على دكانه فقالت العجوز وايش في هذا الكتاب حتى انه ازعج قلبك وغيّر خاطرك يا ترى هل فيه شكاية مظلمة اوفيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك ما فيه ذلك وما فيه الا كلام عشق ومحبة وهذا كله منكِ والا فمن اين هذا الشيطان كان يعرفني فقالت لها العجوز يا سيدتي انتِ قاعدة في قصركِ العالي وما يصل اليكِ احد ولا الطير الطائر سلامتكِ وسلامة شبابكِ من اللوم والعتاب وما عليكِ من نبيح الكلاب فانتِ سيدة بنت سيد فلا تؤاخذيني حيث جئت اليكِ بهذا الكتاب ولا اعلم بما فيه ولكن الرأي ان تردي اليه جوابا وتهدّديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهي ولا يعود اليّ مثل ذلك فقالت السيدة دنيا اخاف ان اكاتبه فيطمع فيّ فقالت العجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت

عليّ بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يا مدّعي الحب والبلوى مع السهر ... وما يلاقيه من وجد ومن فكر
اتطلب الوصل يا مغرور من قمر ... وهل ينال المنى شخص من القمر
انّي نصحتك عمّا انت طالبه ... فاقصر فانّك في هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد ... اتاك منّي عذاب زائد الضرر
وحقّ من خلق الانسان من علق ... ومن انار ضياء الشمس والقمر
لئن رجعت الى ما انت ذاكره ... لاصلبنّك في جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب واعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولي له كفّ عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم اخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت الى منزلها وباتت في بيتها فلما اصبح الصباح توجّهت الى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد ان يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما واقعدها بجانبه فاخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ ما فيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها وما زحتها حتى اضحكتها ورقّت لك وردّت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وامر عزيزا ان يعطيها الف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديدا فرقّ له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدي وايّ شيء في هذه الورقة حتى ابكاك فقال لها انها تهدّدني بالقتل والصلب وتنهاني عن مراسلتها وان لم اراسلها يكون موتي خيرا من حيوتي فخذي جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحيوة شبابك لا بدّ اني

اخاطر معك بروحي وابلغك مرادك واو صلك الى ما في خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه اجازيك عليه و تلتقيه في ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بابواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شيء قدير ثم اخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

امست تهددني بالقتل وا حربي	والقتل لي راحة والموت مقدور
والموت اهنى لصب ان تطول به	حيوته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا محبا قل ناصره	فانني عبدكم والعبد ماسور
ياسادتي فارحموني في محبتكم	فكل من يعشق الاحرار معذور

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك اخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلا بد ان ابلغك مقصودك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقر عينا فلا بد ان ابلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فراتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز اما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها واي شيء هذا الكلب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وقولي له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبي له هذا الكلام في مكتوب وانا آخذ المكتوب معي لاجل ان يزداد خوفه فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

أَيَا غَافِلاً عَنْ حَادِثَاتِ الطَّوَارِقِ ... وَلَيْسَ إِلَى نَيْلِ الْوِصَالِ بِسَابِقِ
أَتَزْعَمُ يَا مَغْرُورُ أَنْ تُدْرِكَ السُّهَا ... وَمَا أَنْتَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ بِلَاحِقِ
فَكَيْفَ تُؤَمِّلُنَا وَتَرْجُو وِصَالَنَا ... لِتَحْظَى بِضَمٍّ لِلْقُدُودِ الرَّوَاشِقِ
فَدَعْ عَنْكَ هَذَا الْقَصْدَ خِيفَةَ سَطْوَتِي ... بِيَوْمٍ عَبُوسٍ فِيهِ شَيْبُ الْمَفَارِقِ

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فاخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقال لا اعدمني الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فاخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال اني اشتهي من يقتلني الآن حتى استريح فان القتل اهون عليّ من هذا الامر الذي انا فيه ثم اخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم فيه هذين البيتين

فَيَا مُنْيَتِي لَا تَبْتَغِي الْهَجْرَ وَالْجَفَا ... وَزُورِي مُحِبًّا فِي الْمَحَبَّةِ غَارِقُ
وَلَا تَحْسَبِينِي فِي الْحَيَوةِ مَعَ الْجَفَا ... فَرُوحِي مِنْ بَعْدِ الْاَحِبَّةِ طَالِقُ

ثم طوى الكتاب واعطاه للعجوز وقال لها لا تؤاخذيني فقد اتعبتك بدون فائدة وامر عزيزا ان يدفع لها الف دينار وقال لها يا امي ان هذه الورقة لابد ان يعقبها كمال الاتصال اوكمال الانفصال فقالت له يا ولدي والله ما اشتهي لك الا الخير ومرادي ان تكون هي عندك فانك انت القمر صاحب الانوار الساطعة وهي الشمس الطالعة وان لم اجمع بينكما فليس في حيوتي فائدة وانا قد قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف اعجز عن الجمع بين اثنين في الحرام ثم ودّعته وطيّبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتى دخلت على السيدة دنيا وقد اخفت الورقة في شعرها

فلما جلست عندها حكّت رأسها وقالت ياسيدتي عساك ان تفلي شوشتي فان لي زمانا مادخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلّت شعر العجوز وصارت تفلي شوشتها نسقطت الورقة من رأسها فرأتهـا السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كاني قعدت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة هاتيها حتى اوديها له ربّما يكون فيها حساب يحتاجه ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت مافيها وقالت للعجوز هذه حيلة من بعض حيلك ولولا انك ربّيتني لبطشت بكِ في هذا الوقت وقد بلاني الله بهذا التاجر وكل ماجرى لي منه من تحت رأسك وما ادري من اي ارض جاءنا هذا ولم يقدر احد من الناس ان يتجاسر عليّ غيره وانا اخاف ان ينكشف امري وخصوصـا في رجل ما هو من جنسي ولا من اقراني فاقبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر احد ان يتكلم بهـذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة ابيك ولاباس ان تردّي له الجواب فقالت يا دادتي ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت في امره فان امرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد في تجاسره فقالت لها العجوز اكتبي له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيـــات

طَالَ الْعِتَابُ وَفَرْطُ الْجَهْلِ اَغْرَاكَا ... فَكَمْ بِخَطِّ يَدِي فِي الشِّعْرِ اَنْهَاكَا

وَاَنْتَ تَزْدَادُ عِنْدَ النَّهْيِ فِي طَمَعٍ ... وَلَسْتُ اِلَّا بِكَتْمِ السِّرِّ اَرْضَاكَا

اُكْتُمْ هَوَاكَ وَلَا تَجْهَرْ بِهِ اَبَدًا ... وَاِنْ نَطَقْتَ فَاِنِّي لَسْتُ اَرْعَاكَا

وَاِنْ رَجَعْتَ اِلَى مَا اَنْتَ تَذْكُرُهُ ... فَقَدْ اَتَاكَ غُرَابُ الْبَيْنِ يَنْعَاكَا

وَعَنْ قَلِيلٍ يَكُونُ الْمَوْتُ مُنْدَفِعًا ... عَلَيْكَ وَالدَّفْنُ تَحْتَ الْاَرْضِ مَثْوَاكَا

وَتَتْرُكُ الْاَهْلَ يَا مَغْرُورُ فِي نَدَمٍ   عَلَى فِرَاقِكَ طُولَ الدَّهْرِ يَنْعَاكَا

ثم طوت الورقة و دفعتها للعجوز فاخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فاعطتها له فلما قرأها علم انها قاسية القلب و انه لا يصل اليها فشكا امره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال له الوزير اعلم انه ما بقي شئ يفيد فيها غير انك تكتب لها كتابا و تدعو عليها فيه فقال يا اخي يا عزيز اكتب لها عن لساني مثل ما تعرف فاخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يَا رَبِّ بِالْخَمْسَةِ الْاَشْيَاخِ تُنْقِذُنِي   وَمَنْ بُلِيتُ بِهِ فَاجْعَلْهُ فِي شَجَنِي
فَاَنْتَ تَعْلَمُ اِنِّي فِي جَوًى لَهَبٍ   وَقَدْ جَفَانِي حَبِيبٌ لَيْسَ يَرْحَمُنِي
فَكَمْ اَرِقُّ لَهَا فِيمَا بُلِيتُ بِهِ   وَكَمْ تَجُورُ عَلَى ضَعْفِي وَتَظْلِمُنِي
اَهِيمُ فِي غَمَرَاتٍ لَا انْقِضَاءَ لَهَا   وَلَا اَرَى مُسْعِفًا يَارَبِّ يُسْعِفُنِي
وَكَمْ اَرُومُ سُلُوًّا فِي مَحَبَّتِهَا   وَكَيْفَ اَسْلُو وَصَبْرِي فِي الْغَرَامِ فَنِي
يَا مَانِعِي فِي الْهَوَى طِيبَ الْوِصَالِ فَهَلْ   اَمِنْتِ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ وَالْمِحَنِ
اَلَسْتِ فِي عِيشَةٍ مَسْرُورَةً وَاَنَا   مُغَرَّبٌ فِيكِ عَنْ اَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

ثم ان عزيزا طوى الكتاب و ناوله لتاج الملوك فلما قرأه اعجبه ثم ناوله للعجوز فاخذته العجوز و توجهت به الى ان دخلت علي السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأته و فهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا و قالت كل الذي جري لي من تحت راس هذه العجوز النحس فصاحت علي الجواري والخدم و قالت امسكوا هذه العجوز الملعونة الماكرة و اضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشي عليها فلما افاقت قالت لها و الله يا عجوز السوء لو لا خوفي من الله

تعالى لقتلتك ثم قالت لهم اعيدوا عليها الضرب فضربوها
حتى غشي عليها ثم امرتهم ان يجرّوها ويرموها خارج الباب
فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما افاقت قامت تمشي
وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت
وتمشّت حتى اتت الى تاج الملوك واخبرته بجميع ما جرى لها
فصعب عليه ذلك وقال لها يعزّ علينا يا امي ما جرى لك ولكن
كل شيء بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقرّ عينا فاني لا ازال اسعي
حتى اجمع بينك وبينها واوصلك الى هذه العاهرة التي احرقتني
بالضرب فقال لها تاج الملوك اخبريني ما سبب بغضها للرجال
فقالت لانها رأت مناما اوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام
فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيّادا نصب شركا في الارض
وبذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شيء من الطيور
الا وقد اتى الى ذلك الشرك ورأت في الطيور حمامتين ذكرا
وانثى فبينما هي تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلّقت في الشرك
وصار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور وفرّت فرجعت اليه امرأته
وحامت عليه ونزلت ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر
العين التي فيها رجل الذكر وصارت تجذ به بمنقارها حتى خلصت
رجله من الشرك وطارت هي واياه فجاء بعد ذلك الصياد واصلح
الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور
وعلق الشرك في الانثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها
الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد واخذ الطيرة الانثى وذبحها
فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال
جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها قال لها

تاج الملوك يا امي اريد ان انظر اليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك
مماتي نتحيّلي لي بحيلة حتى انظر اليها فقالت اعلم ان لها بستانا
تحت قصرها و هو برسم فرجتها و انها تخرج اليه في كل شهر مرة
من باب السرّ و بعد عشرة ايام قد جاء اوان خروجها الى الفرجة
فاذا ارادت الخروج اجيء اليك و اعلمك حتى تخرج و تصادفها
و احرص على انك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك
و جمالك يتعلق قلبها بمحبتك فان المحبة اعظم اسباب الاجتماع
فقال سمعا و طاعة ثم قام من الدكان هو و عزيز و اخذا معهما
العجوز و مضيا الى منزلهما و عرفاه لها ثم ان تاج الملوك
قال لعزيز يا اخي ليس لي حاجة بالدكان و قد قضيت حاجتي منها
و وهبتها لك بجميع ما فيها لانك تغرّبت معي و فارقت بلادك
فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان و صار تاج الملوك يسئله
عن غريب احواله وما جرى له و صار هو يخبره بما حصل له
وبعد ذلك اقبلا على الوزير واعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له
كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم افخر
ما عنده و خرجوا و خلفهم ثلثة مماليك و توجّهوا الى البستان فرأوه
كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولي جالسا على الباب فسلّموا عليه
فردّ عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار و قال اشتهي ان تاخذ
هذه النفقة وتشتري لنا شيأ ناكله فاننا غرباء و معي هؤلاء الاولاد
و اردت ان افرجهم فاخذ البستاني الدنانير و قال لهم ادخلوا وتفرجوا
و جميعه ملككم و اجلسوا حتى احضر لكم بما تاكلون ثم توجه الى
السوق و دخل الوزير و تاج الملوك و عزيز داخل البستان بعد ان
ذهب البستاني الى السوق ثم بعد ساعة اتى و معه خاروف مشوي

وخبز مثل القطن و وضعه بين ايديهم فاكلوا و شربوا و بعد ذلك
احضر لهم حلوى فتحلوا وغسلوا ايديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير
اخبرني عن هذا البستان هل هولك ام انت مستاجره فقال الشيخ
ماهولي وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك في كل
شهر من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتامل الوزير فى البستان فرأى
هناك قصرا عاليا الّا انه عتيق فقال الوزير يا شيخ اريد ان اعمل هنا
خيرا تذكرني به فقال يا سيدي وما تريدان تفعل من الخير فقال خذ
هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال يا سيدي مهما
شئت فافعل ثم اعطاه الدنانير وقال له ان شاء الله تعالى نفعل في هذا
المحل خيرا ثم خرجوا من عنده و توجّهوا الى منزلهم و باتوا
تلك الليلة فلما كان من الغد احضر الوزير مبيّضا ونقّاشا و صائغا
جيّدا واحضر لهم جميع مايحتاجون اليه من الآلات و دخل بهم
البستان و امرهم بتبييض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش ثم امر
باحضار الذهب و اللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الايوان
صورة آدمي صيّاد كانه نصب شركه وقد وقعت فيه طيور وحمامة
واشتبكت بمنقارها فى الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه
قال له الوزير افعل فى الجانب الآخر مثل الاول وصوّر صورة الحمامة
وحدها فى الشرك وان الصياد اخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل
فى الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب
فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغوا من هذه الاشياء التى ذكرها
الوزير واعطاهم اجرتهم انصرفوا وانصرف الوزير ومن معه و ودّعوا
البستاني ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك
لعزيز يا اخي انشدني بعض الاشعار لعل صدري ينشرح وتزول عني

هذه الافكار ويبرد ما بقلبي من لهيب النار فعند ذلك اطرب عزيز بالنغمات وانشد هذه الابيـــــــــــات

جَمِيعُ مَا قَالَتِ الْعُشَّاقُ مِنْ كَمَدٍ ... حَوَيْتَهُ مُفْرَدًا حَتَّى وَهَى جَلَدِي
وَإِنْ تُرِدْ مَوْرِدًا مِنْ أَدْمُعِي اتَّسَعَتْ ... لِلْوَارِدِينَ بِحَارُ الدَّمْعِ فِي مَدَدِ
وَإِنْ تُرِدْ تَنْظُرُ الْعُشَّاقَ مَا صَنَعَتْ ... أَيْدِي الْغَرَامِ بِهِمْ فَانْظُرْ إِلَى جَسَدِي

ثم افاض العبرات وانشد هذه الابيـــــــــــات

مَنْ كَانَ لَا يَعْشَقُ الْأَجْيَادَ وَالْحَدَقَ ... ثُمَّ ادَّعَى لَذَّةَ الدُّنْيَا فَمَا صَدَقَ
فَإِنَّ فِي الْعِشْقِ مَعْنَى لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... مِنَ الْبَرِيَّةِ إِلَّا كُلُّ مَنْ عَشِقَ
لَا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ قَلْبِي صَبَابَتَهُ ... بِمَنْ هَوِيتُ وَلَا عَنْ جَفْنِيَ الْأَرَقَ

ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيـــــــــــات

زَعَمَ ابْنُ سِينَا فِي أُصُولِ كَلَامِهِ ... أَنَّ الْمُحِبَّ دَوَاؤُهُ الْأَلْحَانُ
وَوِصَالُ مِثْلِ حَبِيبِهِ مِنْ جِنْسِهِ ... وَالنُّقْلُ وَالْمَشْرُوبُ وَالْبُسْتَانُ
فَصَحِبْتُ غَيْرَكَ لِلتَّدَاوِي مَرَّةً ... وَأَعَانَنِي الْمَقْدُورُ وَالْإِمْكَانُ
فَعَلِمْتُ أَنَّ الْحُبَّ دَاءٌ قَاتِلٌ ... فِيهِ ابْنُ سِينَا طِبُّهُ هَذَيَانُ

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته وقال له قد ازلت عني بعض مابي فقال الوزير قد وقع للمتقدمين ما يحيّر السامعين فقال له ان كان يحضرك شيء من جنس هذا فاسمعني ما حضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فاطرب بالنغمات وانشد هذه الابيـــــــــــات

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ وَصْلَكَ يُشْتَرَى ... بِكَرَائِمِ الْأَمْوَالِ وَالْأَشْبَاحِ

وَظَنَنْتُ جَهْلًا انَّ حبك ذَيْن | تُثْنَى عليهِ نفائسُ الارْواحِ
حتّى رأيتك تجتبي وتخصّ من | احببته بمدائِنِ الاصْباحِ
فعلمتُ انّك لا تُنال بحيلةٍ | وَطَوَيْتُ رأسي تحتَ ليِّ جناحي
وجعلت في عشّ الغرامِ اقامتي | فيهِ غُدُوّي دائما ورَواحي

هذا ماكان من امر هؤلاء واما ماكان من امر العجوز فانها انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة في البستان وهي لاتخرج الّا بالعجوز فارسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت اني اريدان اخرج الى البستان لاتفرّج على الاشجار والاثمار و ينشرح صدري بازهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن اريدان اذهب الى بيتي والبس اثوابي واحضر عندك فقالت لها اذهبي الى بيتك ولا تاخري عني فخرجت العجوز من عندها و توجّهت الى تاج الملوك وقالت له تجهّز والبس افخر اثوابك واذهب الى البستان وادخل على البستاني و سلّم عليه ثم اختف في البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت بينها وبينه اشارة ثم توجّهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير و عزيز و البسا تاج الملوك بدلة من افخر ملابس الملوك تساوي خمسة آلاف دينار و شدّا في وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجّهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولي جالسا هناك فلما راٴه البستاني نهض له على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج في البستان و لم يعلم البستاني ان بنت الملك تدخل البستان في هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجّة فلم يشعر

الا والخدم والجواري خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولي
ذهب الى تاج الملوك واعلمه بمجيئها وقال له يا مولاي كيف
يكون العمل وقد اتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا باس عليك
فاني اختفي في بعض مواضع البستان فاوصاه البستاني بغاية الاختفاء
ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هي وجواريها والعجوز
في البستان قالت العجوز في نفسها متى كان الخدم معنا فاننا
لا ننال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك ياسيدتي اني اقول لك على
شيء فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولي ما عندك فقالت
العجوز ياسيدتي ان هؤلاء الخدم لاحاجة لك بهم في هذا الوقت ولا
ينشرح صدرك ماداموا معنا فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا
صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها
والى حسنها وجمالها وهي لا تشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى
عليه مما راى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها في الحديث
الى ان اوصلتها الى القصر الذي امر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك
القصر وتفرّجت على نقشه وابصرت الطيور والصياد والحمام فقالت
سبحان الله ان هذه صفة ما رايتها في المنام وصارت تنظر الى
صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يا دادتي اني كنت
الوم الرجال وابغضهم ولكن انظري الصياد كيف ذبحت الطيرة
الانثى وتخلص الذكر واراد ان يجيء الى الانثى ويخلصها فقابله
الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث
الى ان قربتا من المكان المختفي فيه تاج الملوك فاشارت اليه
العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك
اذ لاحت منها التفاتة فراته وتاملت جماله وقده واعتداله ثم

قالت يا دادتي من اين هذا الشاب المليح فقالت لا اعلم به غير
اني اظنّ انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن
الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر
عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت
للعجوز يا دادتي ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتي
ثم ان العجوز اشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به
نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار ولم يقف وودّع الخولي
وانصرف الى منزله وقد هاج بتاج الملوك الشوق الا انه لم يخالف العجوز
واخبر الوزير وعزيزا بان العجوز اشارت اليه بالانصراف فصارا
يصبرانه ويقولان له لولا ان العجوز تعلم ان في رجوعك مصلحة
ما اشارت عليك به هذا ماكان من امر تاج الملوك والوزير وعزيز
واما ماكان من امر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام
وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز انا ما اعرف اجتماعي بهذا
الشاب الا منكِ فقالت لها العجوز اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
انت لا تريدين الرجال وكيف حلّت بك من عشقه الاوجال لكن
والله ما يصلح لشبابك الاهو فقالت السيدة دنيا يا دادتي اسعفيني
وساعديني باجتماعي عليه ولك عندي الف دينار وخلعة بالف دينار
وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة لا محالة فقالت العجوز امض انت
الى قصرك وانا اتسبب في اجتماعكما وابذل روحي في مرضاتكما ثم
ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك
فلما رآها نهض لها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام واجلسها
الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت لها ما جرى لها مع
السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فاعطاها

الف دينار و حلّة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت ولا زالت سائرة
حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من
خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت مكانه و في غد اكون به عندك
ففرحت السيدة دنيـا بذلك واعطتهـا الف دينـار و حلـة
بالف دينـارفا خذتهمـا وانصرفت الى منزلهـا وباتت فيـه
الى الصباح ثم خرجت و توجّهت الى تاج الملـوك والبسته لبس
النساء و قالت له امش خلفي و تمَايَلْ في خطواتك و لا تستعجل في
مشيك ولا تلتفت الى من يكلّمك وبعد ان اوصت تاج الملوك بهذه
الوصية خرجت و خرج خلفها وهو في زيّ النسوان و صارت تعلّمه
وتجسره فى الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا
الى باب القصر فدخلت وهو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز
الا ان جاوزت به سبعة ابواب و لما وصلت الى الباب السابع قالت
لتاج الملـوك قوّ قلبك و اذا زعقتُ عليك و قلت لك يا جارية
اعبرى فلا تتوان في مشيك و هَرْوِلْ فاذا دخلت الدهليز فانظر
الى شمالك ترى ايوانا فيه ابواب فعدّ خمسة ابواب و ادخل الباب
السـادس فان مرادك فيه فقال تاج الملوك و اين تروحين انت
فقالت له ما اروح موضعا غير اني ربما اتاخرّ عنك وعاقنى الخادم
الكبير واتحدث معه ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذى
فيه الخادم الكبير فراى معها تاج الملوك في صورة جارية فقال لها
ما شان هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت
السيدة دنيا بانها تعرف الاشغال وتريدان تشتريها فقال لها الخادم
انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتّشه كما امرني
الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب قال للعجوز انا لا اعرف
جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى انتشه كما امرني الملك فقالت له
العجوز و قد اظهرت الغضب انا اعرف انك عاقل و مؤدب فان كان
حالك قد تغيّر فاني اعلمها بذلك و اخبرها انك تعرّضت لجاريتها
ثم زعقت على تاج الملوك و قالت له اعبري يا جارية فعند ذلك
عبر الى داخل الدهليز كما امرته و سكت الخادم و لم يتكلّم
ثم ان تاج الملوك عدّ خمسة ابواب و دخل الباب السادس فوجد
السيدة دنيا واقفة في انتظارها فلما رأته عرفته فضمّته الى صدرها
وضمّها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما و تحيّلت على صرف
الجواري خوفا من الفضيحة ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كوني انت
بوّابة ثم اختلت هي و تاج الملوك ولم يزالا في ضمّ وعناق والتفاف
ساق على ساق الى وقت السحر فلما قرب الصباح خرجت من عنده
و اغلقت عليه الباب و دخلت مقصورة اخرى و جلست على جري
عادتها و اتت اليها الجواري فقضت حوائجهن و صارت تحدثهن
ثم قالت للجواري اخرجن الآن من عندي فاني اريد ان انشرح
وحدي فخرجت الجواري من عندها واتت الى تاج الملوك ثم انها
اتت اليهما العجوز و معها شيء من الاكل فاكلوا و اخذا في الهراش
الى وقت السحر فاغلقت عليهما الباب مثل اليوم الاول ولم يزالوا
على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من امر تاج الملوك والسيدة
دنيا واما ما كان من امر الوزير و عزيز فانهما لما توجه تاج الملوك
الى قصر بنت الملك و مكث تلك المدة علما انه لا يخرج منه

ابدا وانه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا والدي ما ذا تصنع
فقال الوزير يا ولدي ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى ابيه
ونعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهّزا فى الوقت والساعة وتوجّها
الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا
يقطعان الاودية فى الليل والنهار الى ان دخلا على الملك سليمان
شاه واخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل قصر بنت الملك
لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدّ به الندامة
وامران ينادى في مملكته بالجهاد ثم برز العساكر الى خارج مدينته
ونصب لهم الخيام وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش
من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار
في عسكر سدّ الافق متوجّها في طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان
من امر هؤلاء واما ما كان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما
اقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة في بعضهما
وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى افصح
لها عن الضمير وقال لها اعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد اني كلما
اقمت عندك ازددْتُ هياما ووجدا وغراما لانني ما بلغت المرام
بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عيني وثمرة فؤادي ان شئت
غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذي يرضيك
وليس لله فينا شريك فقال ليس مرادي هكذا وانما مرادي
ان اخبرك بحقيقتي فاعلمي اني لست بتاجر بل انا ملك ابن ملك
واسم ابي الملك الاعظم سليمان شاه الذي انفذ الوزير رسولا
الى ابيك ليخطبكِ لي فلما بلغكِ الخبر ما رضيتِ ثم انه قصّ عليها
قصته من الاول الى الآخر وليس فى الاعادة افادة واريد الآن ان اتوجّه

الى ابي ليرسل رسولا الى ابيك ويخطبك منه و نستريح فلما سمعت
ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه و افق غرضها ثم باتا على هذا
الاتفاق و اتفق بالامر المقدر ان النوم غلب عليهما في تلك
الليلة من دون الليالي واستمرا الى ان طلعت الشمس وفى ذلك
الوقت كان الملك شهرمان جالسا في دست مملكته و بين يديه امراء
دولته اذ دخل عليه عريف الصياغ و بيده حق كبير فقدم و فتحه
بين يدي الملك و اخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة الف دينار
لما فيه من الجواهر واليواقيت و الزمرد مما لا يقدر عليه احد من
ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت الى الخادم
الكبير الذى جرى له مع العجوز ماجرى و قال له ياكافور خذ هذه
العلبة و امض بها الى السيدة دنيا فاخذها الخادم و مضى حتى
وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا و العجوز نائمة على
عتبته فقال الخادم الى هذه الساعة و انتم نائمون فلما سمعت
العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها و خافت منه و قالت اصبر
حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ماكان من
امرها واما ماكان من امر الخادم فانه عرف انها مرتابة فخلع الباب
ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك
و هما نائمان فلما رأى ذلك تحير في امره وهمّ ان يعود
الى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها
وقالت له ياكافور استر ماستر الله فقال انا لااقدر ان اخفي شياً
عن الملك ثم قفل الباب عليهما و رجع الى الملك فقال له
الملك هل اعطيت العلبة لسيدتك فقال له الخادم خذ العلبة
هاهي و انا لااقدر ان اخفي عنك شيأ اعلم اني رأيت عند

السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها في فرش واحد وهما متعانقان فامر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ما هذا الفعال واشتدبه الغيظ فاخذ قمشة وهمّ ان يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت لابيها اقتلني قبله فنهرها الملك وامرهم ان يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك من اين انت ومن ابوك وماجسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم ايها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت انت ومن في مملكتك فقال له الملك ولِمَ ذلك فقال اعلم اني ابن الملك سليمان شاه وما تدري الّا وهوقد اقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان يؤخّر قتله ويضعه في السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأي عندي ان تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسّياف اضرب عنقه فانه خائن فاخذه السياف وشدّ وثاقه ورفع يده وشاور الامراء اولًا وثانيا وقصد بذلك ان يكون في الامر توان فزعق عليه الملك وقال له الى متى تشاور ان شاورت مرة اخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعرابطه واراد ان يضرب عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السياف رفع يده حتى بان شعرابطه واراد ان يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس اغلقوا الدكاكين فقال الملك للسّياف لا تعجل ثم ارسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاداليه وقال له رايت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم

بالامواج و خيلهم في ركض و قد ارتجّت لهم الارض و ما ادري
خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منه ثم التفت
الى وزيره وقال له امّا خرج احد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تمّ
كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه و معهم رسل الملك القادم و من
جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائما وقرّبهم وسالهم
عن شان قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدّم اليه وقال له
اعلم ان الذي نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا
مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو
صاحب العدل والامان الذي شاعت بعلوهمته الركبان السلطان
سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال اصفهان
وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور و الاعتساف و يقول لك
ان ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه و ثمرة فؤاده فان
وجده سالما فهو المقصود وانت المشكور المحمود و ان كان فقد
من بلادك اواصابه شيء فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير
بلدك قفراء ينعق فيه الغراب وها انا قد بلغتك الرسالة والسلام
فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من رسول انزعج فؤاده
وخاف على مملكته وزعق على ارباب دولته ووزرائه وحجابه
ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا و فتّشوا على ذلك الغلام
وكان تحت يد السياف و قد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع
ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم
فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا
وحلّوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف
وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة

فرحته بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا في امره و خاف
خوفا شديدا لما تحقق ان مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام
فقام وتمشى الى عند تاج الملوك و قبل راسه و دمعت عيناه
وقال له يا ولدي لا تؤاخذني ولا تواخذ المسيء بفعله فارحم شيبتي
ولا تخرّب مملكتي فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لاباس عليك
و انت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذران يصيب محبوبتي السيدة
دنيا شيء فقال يا سيدي لاتخف عليها فما يحصل لها الّا السرور وصار
الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك شاه سليمان و وعده
بالمال الجزيل على ان يخفى من الملك ما رآه ثم ان الملك
شهرمان امر كبراء دولته ان ياخذوا تاج الملوك و يمضوا به الى الحمام
ويلبسوه بدلة من خيار ملبوسه ويأتوا به سرعة ففعلوا ذلك و ادخلوه
الحمام والبسوه البدلة التي افردها له الملك شهرمان ثم اتوا به
الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان و قف له هو و اوقف له
جميع اكابر دولته في الخدمة ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير
والده و عزيزا بما وقع له فقال له الوزير و عزيز و نحن في تلك
المدة مضينا الى والدك فاخبرناه بانك دخلت سراية بنت الملك
ولم تخرج والتبس علينا امرك فحين سمع بذلك جهز العساكر
ثم قدمنا هذه الديار وكان في قدومنا غاية الفرج لك والسرور
لنا فقال لهما لم يزل الخير يجري على ايديكما اولا وآخرا هذا
والملك شهرمان دخل على بنته الست دنيا فوجدها تُوَلْوِلُ و تبكي
على تاج الملوك و اخذت سيفا و ركزت قبضته في الارض وجعلت
ذبابته على راس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف و وقفت
تقول لابدان اقتل نفسي ولا اعيش بعد حبيبي فلما دخل عليها

ابوها و رآها في هذه الحالة صاح عليها و قال لهـا يا سيدة بنات
الملوك لا تفعلي و ارحمي اباك و اهل بلدتك ثم تقدم اليها وقال
لها احاشيك ان يصيب والدك بسببك سوء ثم اعلمها بالقصة ان
محبوبها ابن الملك شاه سليمان يريد زواجها وقال لها ان امر الخطبة
والزواج تعلق برايك فتبسمت و قالت له انا ما قلت لك انه ابن
سلطان والله لابدان اخليه حتى يصلبك على خشبه تساوي درهمين
فقال لها ابوها يا بنتي ارحميني يرحمك الله فقالت له هيا بالعجل
رُحْ و ائتني به سرعة بلا مهل فقال لهـا على الراس والعين ثم رجع
من عندها عاجلا ودخل على تاج الملوك و سارره بهذا الكلام وقام
هو و اياه واتيا اليها فلما رات تاج الملوك عانقته بحضرة ابيهـا
و تعلقت به و قبلته وقالت له اوحشتني ثم التفتت الى ابيها وقالت
هل رايت احدا يفرط في مثل هذه الذات الجميلة ومع ذلك انه
ملك ابن ملك و من الاحرار المصانين عن الرذائل فعند ذلك خرج
الملك شهرمان وردّ عليهـما الباب بيده و مضى الى وزير الملك
شاه سليمان ومن بصحبته من الرسل وامرهم ان يعلموا ملكهم ان ولده
في خيـر و سرور وهو فى الذّعيش مع معشوقته فتوجّهوا الى الملك
ليعلموه بذلك ثم ان الملك شهرمان امر باخراج التقادم والعلوفات
والضيـافات الى عساكر الملك سليمان شاه فلما اخرجو جميع ما امربه
اخرج مائة جواد ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سريه و مائة عبد
ومائة جارية وساق الجميع قدامه هدية وركب هو في اكابر دولته
و خواصه حتى صاروا خارج المدينة فلما علم السلطان سليمان شاه
بذلك قام و تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير و عزيز اعلماه
بالخبر ففرح و قال الحمدلله الذي بلغ ولدي مناه ثم ان الملك

سليمان شاه اخذ الملك شهرمان بحضنه و اجلسه بجانبه على السرير و تحادثا و انبسطا مع بعضهما فى الكلام ثم قدم لهم الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم قدمت لهم الحلويات فتحلوا والفواكه والنقل فتفكهوا وتنقلوا ولم يكن غير ساعة الاوتاج الملوك قد اقبل عليهم في زيّ عظيم و زينة فلمارآه والده قام اليه واحتضنه وقبّله وقام جميع من كان جالسا و اجلسه الملكان بينهما وجلسوا يتحدثون ساعة فقال الملك سليمان شاه للملك شهرمان اني اريدان اكتب كتاب ولدي على ابنتك على رؤس الاشهاد ليشتهر ذلك كما هو السنّة فقال له السمع والطاعة فعند ذلك ارسل الملك شهرمان الى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا كتاب تاج الملوك على الست دنيا و فرقت البقاشيش والسكروا نطلق البخور والطيب وكان يوم فرح و سرور و فرحت جميع الاكابر والعساكر بذلك و شرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته ثم ان تاج الملوك قال لوالده ان هذا الشاب عزيز رجل من الكرام و قد خدمنى خدمة عظيمة و تعب معي و سافر معي واوصلني الى بغيتي وصبر معي ويصبرني حتى قضيت حاجتى وله الآن معي سنتان وهو مشتّت من بلاده وقصدى اننا نهيّئ له تجارة من هنا ويسافر مجبور الخاطر فان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت فعند ذلك هيئوا له مائة حمل من افخر القماش واغلاه واقبل عليه تاج الملوك وانعم عليه بالمال الجزيل وودّعه و قال له يا اخي وصديقى خذ هذه الاحمال واقبلها مني على سبيل الهدية والمحبة وتوجّه الى بلادك مع السلامة فقبلها منه وقبّل الارض بين يديه وبين يدي والده وودّعهم وركب تاج الملوك مع عزيز حتى شيّعه قدر ثلثة اميال و اخذ خاطره و اقسم عليه ان يرجع

بعدها فقال له عزيز والله يا سيدي لولا والدتي ما فارقتك ولكن ياسيدي لاتقطع اخبارك عني فقال له وهو كذلك ورجع تاج الملوك وسافر عزيز حتى وصل الى بلاده فدخل ولم يزل سائرا حتى دخل على امه فوجدها بنت له قبرا في وسط الدار وصارت تزوره فلما دخل الدار وجدها قد حلّت شعرها ونشرته على القبر وهي تبكي وتقول شعر

وَاِنّيْ لَصَبَّارٌ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ	وَلٰكِنَّنِي مِنْ خُطَّةِ البَيْنِ اَجْزَعُ
وَمَنْ ذَا يُطِيقُ الصَّبْرَ بَعْدَ خَلِيْلِهِ	وَمَنْ ذَا الوَشْكِ البَيْنِ لايَتَضَعْضَعُ

ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

مَالِيْ مَرَرْتُ عَلَى القُبُوْرِ مُسَلِّما	قَبْرَ الحَبِيْبِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِيْ
قَالَ الحَبِيْبُ وَكَيفَ رَدَّ جَوَابِكُمْ	وَاَنَا رَهِيْنُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِيْ
اَكَلَ التُّرَابُ مَحَاسِنِيْ فَنَسِيتُكُمْ	وَحُجِبْتُ عَنْ اَهْلِيْ وَعَنْ اَحْبَابِيْ

فبينما هي كذلك واذا بعزيز اقبل ودخل عليها فلما راته وقعت مغشيا عليها من الفرح فنضح على وجهها الماء فافاقت وقامت واخذته في حضنها وضمّته وضمّها وسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن سبب غيابه فحكى لها على ما وقع له من الاول الى الآخر واخبرها ان تاج الملوك اعطاه من المال والاقمشة مائة حمل ففرحت بذلك واقام عزيز عند والدته في بلدته يبكي على ما وقع له من بنت الدليلة المحتالة التي خصته هذا ماوقع لعزيز واما ماكان من امر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته الست دنيا وازل بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع

زوجها و ابيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف فحملوا و ساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلثة ايام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك شاه سليمان بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك و والده وزوجته و عساكرهم سائرين فى الليل والنهار حتى اشرفوا على مدينتهم فتواترت الاخبار بقدومهم فزيّنت لهم المدينة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شاه سليمان لما اقبل على مدينته زيّنت له و لولده المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك على كرسي مملكته وولده تاج الملوك بجانبه فاعطى ووهب واطلق من كان مسجونا عنده ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرّت به المغاني والملاهي شهرا كاملا والمواشط تجلى للسيدة دنيا وهي لا تملّ من الجلاء وهنّ لا يمللن من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد ان اجتمع مع ابيه وامّه وما زالوا فى الدّعيش واهناه حتى اتاهم هادم اللذات فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان ان مثلك من يشرح القلب الحزين وينادم الملوك و يسلك في تدبيرهم احسن السلوك هذا كله وهم محاصرون القسطنطينية حتى مضى عليهم اربع سنين فاشتاقوا الى اوطانهم و ضجرت العساكر و ملوا من السهر والحصار و ادامة الحرب فى الليل والنهار فامر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم و تركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا اننا اقمنا هذه السنين وما بلغنا مراما بل ازددنا هما و غما وقد اتينا لنخلص من ثار الملك عمر بن النعمان فقتل منا اخي شركان فصارت الحسرة حسرتين

والمصيبة مصيبتين و سبب هذا كله العجوز ذات الدواهي فانها هى التي قتلت السلطان في مملكته و اخذت زوجته الملكة صفيّة وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت اخي و قد التزمتُ و حلفتُ بالايمان العظيمة انه لا بد من اخذ الثار فما انتم قائلون فافهموا هذا الخطاب و ردّوا عليّ الجواب فاطرقوا روؤسهم وقالوا الراي للوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان و قال له اعلم يا ملك الزمان انه ما بقي في اقامتنا فائدة والراي اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود و نغزو عَبَدة الاوثان فقال الملك نِعم هذا الراي لان النـــاس اشتـــاقوا الى روئية عيالهم و انا الآخر ايضـــا قد اقلقني الشوق الى ولدي كان ماكان و الى ابنة اخي قضى فكان لانها في دمشق ولا اعلـــم ما كان من امرها فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا و دعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان امر المنادي ان ينادي بالرحيل بعد ثلثة ايام فابتدوًا في تجهيز احوالهم وفى اليوم الرابع دقّت الكاسات ونشرت الرايات و تقدّم الوزير دندان في مقدم العسكر و سار الملك في وسطه وبجانبه الحاجب الكبير و سارت الجيوش وما زالوا سائرين فى الليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس و زال عنهم الهم والباس والتقت الحضّار بالغيّاب و ذهب كل امير الى داره و طلع الملك الى قصـــره و دخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين و صار ينزل و يركب و لما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو و ولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه و طلعت الامراء و خواص الدولة و وقفوا في خدمته فعند ذلك طلب ضوء المكان صاحبه

الوقاد الذي كان احسن اليه في غربته فأُحضر فلما حضر بين يديه قام
له الملك اعظاما لحقّه واجلسه الى جانبه وكان الملك قد حدّث
للوزير بما فعله معه من الخير و المعروف فعظّمته الامراء وعظّمه
الوزير وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه
كعنق الفيل ووجهه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان
لايخرج من المكان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فاقبل عليه
الملك وانبشّ في وجهه وحيّاه اعظم التحيات وقال له ما اسرع ما نسيتني
فعند ذلك تنبّه الوقاد فامعن فيه النظر وتحقّقه فعرفه وقام واثبا على
الاقدام وقال يا حبيبي من الذي عملك سلطانا فضحك عليه فاقبل عليه
الوزير وشرح له القصة وقال له انه كان اخاك وصاحبك والآن صار
ملك الارض ولابدان يصل اليك منه خير كثير وها انا اوصيك اذا
قال لك تمنّ عليّ فلا تتمنّ الّا شيأً عظيما لانك عنده عزيز فقال
الوقاد اخاف ان اتمنّي عليه شيأً فلا يسمح لي به اولا يقدر عليه فقال
له الوزير كلما تمنّيته يعطيك اياه وما عليك شيء فقال له والله لابد
اني ساتمنّي عليه الشيء الذي في خاطري وكل ليلة احلم به وارجو
من الله تعالى ان يسمح لي به فقال له الوزير طيّب قلبك والله
لوطلبت ولاية دمشق موضع اخيه لاعطاك وولّاك عليها فعند
ذلك قام الوقاد على قدميه فاشار له ضوء المكان ان اجلس فابى وقال
معاذ الله قد انقضت ايام قعودي في حضرتك فقال له السلطان
لابل هي باقية الى الآن فانك كنت سببا لحياتي والله لو طلبت مني
مهما اردت لاعطيتك اياه ولكن تمنّ على الله ثم عليّ فقال له
ياسيدي اني اخاف فقال لا تخف فقال اخاف ان اتمنى شيأً فلا
تسمح لي به فقال وما هو فضحك السلطان وقال له لو تمنّيت نصف

مملكتي لشاركتك فيها فتمنّ ما تريد ودع الكلام قال الوقاد اخاف
فقال لاتخف فقال اخاف ان اتمنّى شيـــأ لاتقدر عليه فعند ذلك
غضب السلطـــان وقال له تمنّ ما اردت فقال له اتمنّى على الله
ثم عليك ان تكتب لي مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين بمدينة
القدس فضحك السلطـــان و جميع من حضر وقال له تمنّ غير هذا
فقال ياسيدى انا ما قلت لك اني اخاف ان اتمنّى شيأ لا تسمح لي
به اولا تقدرعليه فلكزه الوزيرثانيا وثالثا وفي كل مرة يقول اتمنّى عليك
فقال له السلطـــان تمنّ واسرع فقال اتمنّى عليك ان تجعلني
رئيس الزبالين في مدينة القدس اوفي مدينـــة دمشق فانقلب
الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت
الوقاد الى الوزير وقال له ايش تكـون حتى تضربني وما لي ذنب
فانك انت الذى قلت لي تمنّ شيأ عظيما ثم قال دعوني اسير الى بلادى
فعرف السلطان انه يلعب فصبر عليه قليلا ثم اقبل عليه وقال له يا اخي
تمنّ عليّ شيأ عظيما لائقا بمقامنا فقال يا ملك الزمان اني اتمنى على
الله ثم على الملك ان تو ليني نائب د مشق موضع اخيك فقال الملك
ان الله اعطـــاك فقبّل الارض بين يديه وامر الملك بوضع كرسي
له في مرتبته وخلــع عليه خلعـــة النيابة وكتب له التوقيع بذلك
وختمه له وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك واذا اردت
العود وجئت فاحضر معك ابنة اخي قضى فكان فقال الوزير سمعا
و طـــاعة ثم اخذ الوقاد ونزل به و تجهّز للسفـــر وامر الملك
ان يخرجوا للوقاد خدما وحشما وتختا جديدا وطقم سلطنة وقال
للامراء من كان يحبّني فليكرم هذا ويقدم له هدية عظيمة فقدمت
له الامراء كل واحد بقدر همته و سماه السلطـــان الزبلكان ولقّبه

بالمجاهد ولما تكاملت حوائجه خرج وصحبته الوزير دندان وطلع الى الملك ليودّعه ويطلب منه اذنا بالسفر فقام له الملك وعانقه واوصاه بالعدل بين الرعية ثم امره ان ياخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين وودّع بعضهم بعضا وسار الملك المجاهد المسمّى بالزبلكان بعد ان اوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك والخدم فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير ومقدم الديلم بهرام ومقدم العجم رستم ومقدم العرب تركاش وهم في خدمته وتوديعه وما زالوا سائرين معه ثلثة ايام ثم عادوا الى بغداد ولم يزل السلطان الزبلكان والوزير دندان ومن معهم من العساكر سائرين الى ان وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على اجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان سلطن على دمشق سلطانا يقال له الزبلكان ولقّبه بالمجاهد فلما وصل الى دمشق زيّنت له المدينة وخرج كل من في دمشق للفرجة ودخل السلطان الى دمشق في موكب عظيم وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان في خدمته يعرّفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبّلون يديه ويدعون له فاقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع واعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وانفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان في تجهيز بنت السلطان شركان الست قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأ من المال فابى الوزير دندان وقال له انت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال وبعد هذا نقبل منك ونرسل اليك نطلب مالا للجهاد او غير ذلك ولما تهيّأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداع الوزير دندان

واحضر قضى فكان واركبها فى المحفة وارسل معها عشر
جوار برسم الخدمة وبعدان سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد
الى مملكته ليدبّرها واهتمّ بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي
يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ماكان من امر السلطان الزبلكان
واما ماكان من امر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى
فكان وسار حتى وصل الى الرُحبة بعد شهر ثم سار حتى اشرف
على بغداد وارسل اعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج
الى لقائه فاراد الوزير دندان ان يترجّل فاقسم عليه الملك ضوء المكان
ان لا يفعل فساق جواده حتى جاء الى جانبه وساله عن الزبلكان
المجاهد فاعلمه انه بخير واعلمه بقدوم قضى فكان بنت اخيه
شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلثة ايام ثم بعد
ذلك تعال عندي فقال حبا وكرامة ثم ان الوزير توجّه الى منزله
وطلع الملك الى قصره ودخل على ابنة اخيه قضى فكان وهي ابنة
ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على ابيها وفصّل لها ثيابا واعطى
لها مصاغا وحليا عظيما وامرانى يبيتوها مع ابنه كان ماكان في مكان
واحد فطلعا اذكى اهل زمانهما واشجع غير ان قضى فكان طلعت
صاحبة تدبير وعقل وخبرة بعواقب الامور وطلع كان ماكان سمحا كريما
لا يفكّر في عاقبة شيء فكبر الاثنان وصار لهما من العمر عشر سنين
وصارت قضي فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البرّ وتسوق به
وتوسع فى البر ويتعلمان الضرب بالسيف الطعن بالرمح حتى بلغ عمر
كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد واكمل
الاهبة والاستعداد فاحضر الوزير دندان وقال له اعلم اني عزمت على
شيء فا ذكر لك واريد اطلاعك عليه فاسرع في ردّ الجواب فقال

الوزير دندان ماهو يا ملك الزمان قال عزمت ان اسلطن ولدي كان
ما كان وافرح به في حياتي واقاتل قد امه الى ان يدركني الممات
فما عندك من الرأى فقبّل الوزير دندان الارض بين يدى الملك
ضوء المكان وقال له اعلم ايها الملك والسلطان صاحب العصر والاوان
ان ماخطر ببالك مليح غير انه ماهو وقته الآن لخصلتين الاولى
ان ولدك كان ماكان صغير السن والثانية ما جرت به العادة
ان من سلطن ولده في حياته لا يعيش بعد ذلك الّا
قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم ايها الوزير اننا نوصي
عليه الحاجب الكبير فانه صار منّا والينا وقد تزوّج اختي فهو في
منزلة اخي فقال له الوزير افعل ما بدالك فنحن مطيعون امرك
فارسل الملك الى الحاجب الكبير فاحضره وكذلك اكابر مملكته
وقال لهم ان هذا ولدي كان ماكان قد علمتم انه فارس اهل زمانه
وليس له نظير في حربه وطعانه وقد جعلته سلطانا عليكم
والحاجب الكبير عمه وهو وصي عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان
ما انا الا غريس نعمتك فقال ضوء المكان ايها الحاجب ان ولدي
كان ماكان وابنة اخي قضي فكان اولاد عم واني قد زوّجتها به
واشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن
وصفه اللسان وبعد ذلك دخل على اخته نزهة الزمان واعلمها
بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداي ابقاك الله وتعيش لهما
انت مدى الزمان فقال يا اختي اني قضيت من الدنيا ما بقلبي
وامنت على ولدي ولكن ينبغي ان تلاحظيه بعينك وتلاحظي
امّه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وبنت اخيه
وزوجته ليالي واياما وقد ايقن بكاس الحمام ولزم الوساد وصار

الحاجب يتعاطي احكام العباد و البلاد و بعد سنة احضر و لده كان ماكان والوزير دندان وقال يا ولدي ان هذا الوزير و الدك من بعدي واعلم اني راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضي من الدنيا ولكن بقي في قلبي حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وما تلك الحسرة يا والدي فقال يا ولدي ان اموت ولم آخذ بثار جدك عمر بن النعمان و عمك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهي فان اعطاك الله النصر لا تنم عن اخذ الثار وكشف العار من الكفار و اياك من مكر العجوز واقبلْ ما يقوله لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقبل منه ولده ذلك ثم هملت عيناه بالدموع و ازداد به المرض و صار امر المملكة للحاجب صهره وكان رجلا كبيرا فصار يحكم ويأمر وينهى و استمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ولم تزل تنهكه الامراض الى اربع سنين وقعد الحاجب الكبير بالملك وارتضى به اهل المملكة واكابر الدولة و دعت له جميع البلاد هذا ماكان من امر ضوء المكان والحاجب واما ماكان من امر ابن الملك كان ماكان فليس له شغل الّا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك بنت عمه قضى فكان وكانت تخرج هي واياه من اول النهار الى الليل فتدخل هي الى امها ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند راس ابيه تبكي فيخدمه بالليل الى الصباح ثم يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وانشد يقول هذه الابيات

تَفَانَى قُوَّتِي وَمَضَى زَمَانِي ... وَهَا أَنَا قَدْ بَقِيتُ كَمَا تَرَانِي
فَيَوْمَ الْعِزِّ كُنْتُ أَعَزَّ قَوْمِي ... وَأَسْبَقَهُمْ إِلَى نَيْلِ الْأَمَانِي

تَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ أَرَى لِوُلْدِي ... يَكُونُ عَلَى الْوَرَى مَلِكُ مَكَانِي
وَيَفْتِكُ بِالْعِدَاةِ لِأَخْذِ ثَارٍ ... بِضَرْبِ السَّيْفِ أَوْ طَعْنِ السِّنَانِ
أَنَا الْمَغْبُونُ فِي هَزْلٍ وَجِدٍّ ... إِذَا مَوْلَايَ لَا يَشْفِي جَنَانِي

فلما فرغ من شعره وضع راسه على الوسادة فغفلت عينه فنام فرأى في منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملأ البلاد عدلا و يملكها و تطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا من هذه البشارة التي رآها ثم انه بعد ايام قلائل طرقه الممات فاصاب اهل بغداد لموته غم عظيم و بكى عليه الوضيع والعظيم و مضى عليه الزمان كانّه ما كان و تغيّر حال كان ماكان و عزله اهل بغداد و جعلوه هو و عياله في مكان على حدتهم فلما رات ام كان ماكان ذلك صارت في اذل الاحوال فقالت لابد لي من قصد الحاجب الكبير و ارجو الرافة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى ان اتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان و بكت بكاء شديدا وقالت لها ان الميت ما له صاحب فلا احوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولا زلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت اذناك و رات عيناك ما كنا فيه من الملك والعزّ والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن انقلب علينا الزمان و خاننا الدهر والاوان و قصدنا بالعدوان و اتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائي للاحسان لانه اذا مات الرجل ذلّت بعده النساء والبنات ثم انشدت تقول هذه الابيات شعر

كَفَاكَ بِأَنَّ الْمَوْتَ بَادِي الْعَجَائِبِ ... وَمَا غَائِبُ الْأَعْمَارِ عَنَّا بِغَائِبِ

وَمَا هٰذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلٌ مَوَارِدُهَا مَمْزُوجَةٌ بِالْمَصَائِبِ
وَمَا ضَرَّ قَلْبِي مِثْلُ فَقْدِ اكَارِمٍ اَحَاطَتْ بِهِمْ مُسْتَعْظَمَاتُ النَّوَائِبِ

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكّرت اخاها ضوء المكان وابنه كان ماكان فقرّبتها واقبلت عليها وقالت انا الآن والله غنية وانت فقيرة نوالله ما تركنا افتقادك الاخوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك ان مانهديه اليك صدقة مع ان جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ومحلنا محلك ولك مالنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وافردت لها مكانا في القصر ملاصقا لمكانها واقامت عندهم في عيشة طيبة هي وولدها كان ماكان والبسته ثياب الملوك وافردت لهما الجواري برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت ان تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فاكرمي مثواها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما اخبرته نزهة الزمان بخبر زوجة اخيها قال لها اكرمي مثواها واغني فقرها هذا ما كان من امر نزهة الزمان وزوجها وام ضوء المكان واما ما كان من امر كان ما كان وبنت عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كانهما غصنان مثمران او قمران ازهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من احسن البنات المخدّرات بوجه جميل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وقد رشيق وثغر الذّ من الرحيق

وريق كالسلسبيل كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كَأَنَّ سُلَافَ الْخَمْرِ مِنْ مَاءِ رِيقِهَا ... وَعَنْقُودَهَا مِنْ ثَغْرِهَا الْعَذْبِ يُقْطَفُ
وَأَعْنَابُهَا مَالَتْ اِذَا مَا ثَنَيْتَهَا ... فَسُبْحَانَ خَلَّاقٍ لَهَا لَيْسَ يُوصَفُ

وقد جمع الله تعالى فيها كل المحاسن فقدها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان واما الريق فانه يهزأ بالرحيق تسر القلب والناظر كما قيل فيها الشاعر

مَلِيحَةُ الْوَصْفِ قَدْ تَمَّتْ مَحَاسِنُهَا ... اَجْفَانُهَا تَفْضَحُ التَّكْحِيلَ بِالْكُحُلِ
كَأَنَّ اَلْحَاظَهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا ... سَيْفٌ بِكَفِّ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي

قال الراوي واما كان ما كان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال ليس له فى الوصف والحسن مثال تلوح الشجاعة بين عينيه وتشهد له ولا تشهد عليه وتميل القلوب القاسية اليه اكحل الطرف كامل الوصف فلما اخضر شاربه وصار له عذار كثرت فيه الاشعار

مَا بَانَ عُذْرِي فِيهِ حَتَّى عَذَّرَا ... وَمَشَى الدُّجَى فِي خَدِّهِ فَتَحَيَّرَا
رَشَأٌ اِذَا رَنَتِ الْعُيُونُ لِحُسْنِهِ ... سَلَّتْ لَوَاحِظُهُ عَلَيْهَا خَنْجَرَا

وقول الآخر

نَسَجَتْ نُفُوسُ الْعَاشِقِينَ بِخَدِّهِ ... نَمْلًا وَتَمَّ بِهَا النَّجِيعُ الْاَحْمَرُ
فَاعْجَبْ لَهُمْ شُهَدَاءَ وَمَسْكَنُهُمْ لَظَى ... وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا الْحَرِيرُ الْاَخْضَرُ

فاتفق في بعض الاعيادان قضى فكان خرجت تتعيد على بعض اقاربها من الدولة والجواري حواليها والحسن قد عمها ورد

الخد يحسد خالها و الاقحوان يتبسّم عن بارق ثغرها فجعل كان ماكان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهي كالقمر الزاهر فقوّى جنانه واطلق بالشعر لسانه فانشد يقـــــــــــــول

مَتى يَشْتَفِي قَلْبُ الْكَئِيبِ مِنَ الْبُعْدِ ... وَيَضْحَكُ ثَغْرُ الْوَصْلِ مِنْ زَائِلِ الصَّدِّ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ اَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَصْلِ حَبِيبٍ عِنْدَهُ بَعْضُ مَا عِنْدِي

فلما سمعت قضي فكان هذه الابيات اظهرت له الملامة والعتاب وشمخت شمخة فاغتاظت بكان ما كان و قالت لـه اتذكرني في شعرك لاجل ان تفضحني بين اهلك والله ان لم ترجع عن هذا المقال لا شكينك للحاجب الكبير سلطان خراسان و بغداد صاحب العدل و الانصاف ينزل بك الذل و الهوان فسكت كان ماكان واغتاظ وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضي فكان الى قصرها وشكت من ابن عمها الى امها فقالت لها يا بنتي لعله ما ارادك بسوء وهل هوالاّ يتيم ومع هذا لم يذكر شيأ يعيبك فاياك ان تعلمي بذلك احدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعله كامس مضي ذكره هذا وشاع في بغداد حب كان ماكان لقضي فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ماكان ضاق صدره و عيل صبره و قلّ حيله ولم يخف على الناس حاله واشتهى ان يبوح بما في قلبه من لوعة البين فخاف من عتبها وغضبها فانشد يقـــــــــــــول

اِذَا خِفْتُ يَوْمًا عِتَابَ الَّتِي ... تُكَدِّرُ اَخْلَاقُهَا الصَّافِيَهْ
صَبَرْتُ عَلَيْهَا كَصَبْرِ الْفَتَى ... عَلَى الْكَيِّ فِي طَلَبِ الْعَافِيَهْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب الكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان فجلس على تخت المملكه وسار فى الناس سيرة حسنة فبينما هو جالس يوما اذ وصلت اليه ابيات كان ماكان فندم على ما فات ودخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحَلِفة والنار لمن اعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين مادامت العيون ترمق والجفون تخنق وان ابن اخيك كان ماكان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربّات الحجال ومنع بنتك عن الرجال اوجب لان مثلها يجب ان تحجب فقالت صدقت ايها الملك العاقل فلما كان الغد جاء كان ما كان على جري عادته ودخل على عمته نزهة الزمان وسلّم عليها فردت عليه السلام وقالت له يا ولدي عندي كلام ماكنت احب ان اقوله ولكن اخبرك به رغما عني فقال لها قولي فقالت ان اباك الحاجب ابا قضى فكان قد سمع بما انشدته فيها من الشعر فامر بحجبها عنك فاذا كان يا ولدي لك عندنا حاجة فانا ارسلها اليك من وراء الباب ولا تنظر قضى فكان ولا عدت ترجع هنا من هذا الوقت فلما سمع كلامها قام وخرج ولم ينطق بحرف واحد ودخل على والدته اعلمها بما قالته عمّته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وانت تعلم ان حديث حبّك لقضى فكان شاع وانتشر له ذكر في كل مكان وكيف انت تأكل زادهم وبعد ذلك تعشق بنتهم فقال ومن يأخذها غيري وهي بنت عمي وانا احق بها فقالت له امّه بطّل هذا الكلام واسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سبب حرمانك منها وسبب هلاكك وكثرة احزانك

ولم يبعثوا لنا في هذه الليلة عشاء نا كله و نموت جوعا ونحن لوكنا في بلد غير هذه لكنا هلكنا من الم الجوع او ذل السؤال فلما سمع كان ماكان من امه هذا الكلام زادت حسرته ودمعت عينيه فانّ واشتكى وانشد يقول

أَقِلِّي مِنَ اللَّوْمِ الَّذِي لَا يُفَارِقُ ... فَقَلْبِي إِلَى مَنْ تَيَّمَتْهُ لَعَاشِقُ
وَلَا تَطْلُبِي عِنْدِي مِنَ الصَّبْرِ ذَرَّةً ... فَصَبْرِي وَبَيْتِ اللّٰهِ مِنِّي طَالِقُ
إِذَا سَامَنِي اللُّوَّامُ نَهْيًا عَصَيْتُهُمْ ... وَهَا أَنَا فِي دَعْوَى الْمَحَبَّةِ صَادِقُ
وَقَدْ مَنَعُونِي عَنْوَةً أَنْ أَزُورَهَا ... وَهَا أَنَا وَالرَّحْمٰنِ مَا أَنَا فَاسِقُ
وَإِنَّ عِظَامِي حِينَ تَسْمَعُ ذِكْرَهَا ... تُشَابِهُ طَيْرًا خَلْفَهُنَّ بَوَاشِقُ
أَلَا قُلْ لِمَنْ قَدْ لَامَ فِي الْحُبِّ إِنَّنِي ... لِوَجْهِكَ حَقًّا بِنْتَ عَمِّي لَعَاشِقُ

ولما فرغ من شعره قال لامه ما بقي لي عند عمتي ولا عند هؤلاء القوم مقام بل اخرج من القصر واسكن في اطراف المدينة فخرجت به امه من القصر وجاؤا بجوار قوم صعاليك وسكنوا وصارت امه تتردد الى قصر الملك ساسان وتأخذ منه ما تقتات به هي واياه هذا ثم ان قضى فكان اختلت بام كان ماكان وقالت لها ياعمّتاه كيف حال ولدك فقالت يا بنتي انه باكي العين حزين القلب واقع في شرك هواك وانشدتها ما قاله من الابيات فبكت قضى فكان وقالت والله ما هجرته لكلامه ولا بغضا له ولكن خوفا عليه من الاعداء وان عندي من الشوق له اضعاف ما عنده لي ولا يقدر لساني على وصف شوقي له ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ماقطع ابي عنه احسانه واولاه منعه وحرمانه ولكن ايام الورى دول

والصبر في كل الامور اجمل ولعل من قضى علينا بالفراق ان يمنّ لنا بالتلاق ثم انشدت تقول هذين البيتين

أَيَا بْنَ الْعَمِّ عِنْدِي مِنْ غَرَامِي كَأَمْثَالِ الَّذِي قَدْ حَلَّ عِنْدَكْ
وَلَكِنِّي كَتَمْتُ النَّاسَ وَجْدِي فَهَلَّا كُنْتَ أَنْتَ كَتَمْتَ وَجْدَكْ

فلما سمعت منها ام كان ما كان ذلك شكرتها ودعت لها وخرجت من عندها واعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد طمعه فيها وقويت نفسه بعد ان كان قطع ياسه وخمدت انفاسه وقال والله ما اريد سواها وانشد يقول شعر

دَعِ اللَّوْمَ لَا أَصْغِي إِلَى قَوْلِ لَائِمٍ فَقَدْ بُحْتُ بِالسِّرِّ الَّذِي كُنْتُ كَاتِمَا
وَقَدْ غَابَ عَنِّي مَنْ أُرَجِّي وِصَالَهُ وَقَدْ سَهِرَتْ عَيْنِي وَقَدْ بَاتَ نَائِمَا

ثم مضت الايام والليالي وهو يتقلّب على جمر المقالي حتى مضى له من العمر سبعة عشر سنه وقد كمل حسنه وتمّ ظرنه فسهر ليلة من الليالي وحدث نفسه وقال مالي اسكت على نفسي حتى اذوب ولا ارى حبيبي ومالي عيب الا الفقر والله اني اريدان ارحل من هذه البلاد واشتّ فى البراري والقفار فان مقامي في هذه البلاد عذاب ولا لي فيها صديق ولا حبيب يسليني واريدان اسلي نفسي بالغربة عن الوطن حتى اموت واستريح من هذا الذل والمحن ثم انه انشد وجعل يقول هذه الابيات شعر

دَعْ مُهْجَتِي تَزْدَادُ فِي خَفَقَانِهَا لَيْسَ التَّذَلُّلُ فِي الْعِدَى مِنْ شَانِهَا
وَاعْذُرْ فَإِنَّ حُشَاشَتِي كَصَحِيفَةٍ لَا شَكَّ أَنَّ الدَّمْعَ مِنْ عُنْوَانِهَا
هَا بِنْتُ عَمِّي قَدْ بَدَتْ حُورِيَّةً نَزَلَتْ إِلَيْنَا عَنْ رِضَى رِضْوَانِهَا

مَنْ رَامَ أَلْحَاظَ الْعُيُونِ مُعَارِضًا ... لِسُيُوفِهَا لَمْ يَنْجُ مِنْ عُدْوَانِهَا
سَأَسِيرُ أَرْضَ اللّٰهِ غَيْرَ مُقَصِّرٍ ... كَيْ أَنْ أَنَالَ الرِّزْقَ مِنْ حِرْمَانِهَا
سَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ الْوَسِيعَةِ مُنْقِذًا ... نَفْسِي وَأَمْنَحُهَا سِوَى حِرْمَانِهَا
وَأَعُودُ مَسْرُورَ الْفُؤَادِ مُنَعَّمًا ... وَأُقَاتِلُ الْأَبْطَالَ فِي مَيْدَانِهَا
وَلَسَوْفَ أَسْتَاقُ الْغَنَائِمَ عَائِدًا ... وَأَصُولُ مُقْتَدِرًا عَلَى أَقْرَانِهَا

ثم ان كان ما كان خرج من القصر حافيا ماشيا في قميص قصير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة اعوام وصحبته رغيف ناشف له ثلثة ايام وخرج في حندس الظلام واتى الى باب الازج ببغداد فوقف هناك ولما فتح باب المدينة كان اول من خرج منه كان ماكان وساح على وجهه فى القفار ليلا ونهارا ولما اتى الليل طلبته امه فلم تجده ابدا فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشيء من متاعها فانتظرته اول يوم وثاني يوم وثالث يوم الى ان مضى عشرة ايام فلم تقع له على خبر فضاق صدرها وصرخت وعيطت وقالت يا ولدى يا انيسي هيّجت احزاني لقد كان بي ماكفاني حتى بعدت عن اوطاني فلا اريد بعدك بطعام ولا التذ بمنام وما بقي لي الا البكاء والاحزان يا ولدى من اي البلاد اناديك واي بلد تاويك ثم صعدت الزفرات وانشدت تقول هذه الابيات

عَلِمْنَا بِأَنَّا بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ نُبْلَى ... وَمَدَّتْ قِسِيَّ لِلْفِرَاقِ لَنَا نَبْلَا
وَقَدْ خَلَّفُونِي بَعْدَ شَدِّ رِحَالِهِمْ ... أُعَالِجُ كُرَبَ الْمَوْتِ اِذْ قَطَعُوا الرَّمْلَا
لَقَدْ هَتَفَتْ بِي جُنْحَ لَيْلٍ حَمَامَةٌ ... مُطَوَّقَةٌ نَاحَتْ فَقُلْتُ لَهَا مَهْلَا
لَعَمْرُكَ لَوْ كَانَتْ كَمِثْلِي حَزِينَةً ... لَمَا لَبِسَتْ طَوْقًا وَلَا خَضَبَتْ رِجْلَا
وَفَارَقَنِي إِلْفِي فَلَا قِيتُ بَعْدَهُ ... دَوَاعِيَ هَمٍّ لَا تُفَارِقُنِي أَصْلَا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت فى البكاء والانتحاب
و صار بكاؤها على رؤس الاشهاد فابكت العباد والبلاد و صار الناس
يقولون اين عينك يا ضوء المكان و شكوا تحامل الزمان وقالوا يا هل
ترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وطرد من المكان وكان
ابوه يشبع الجيعان و يامر بالعدل والامان وزادت امه فى البكاء
والأنان فوصل الخبر الى الملك ساسان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ساسان وصل اليه خبر كان
ماكان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملكنا ومن ذريّة الملك عمر
بن النعمان وقد بلغنا انه تغرّب عن الاوطان فلما سمع الملك ساسان
كلامهم غضب عليهم و امر بشنق واحد منهم و علقه فوقعت هيبته
في قلوب بقية الدولة و لم يقدر احد منهم ان يتكلم ثم ان ساسان
تذكر ما صنعه معه ضوء المكان من الجميل و انه اوصاه به فحزن
على كان ماكان وقال لابد من التفتيش عليه في سائر البلاد
ثم انه احضر تركاش وامره ان ينتخب مائة فارس ويأخذهم
و يدور على كان ماكان فذهب و غاب عشرة ايام
ورجع وقال لم اطلع له على خبر ولا وقفت له على اثر ولا احد
اخبرني عنه بخبر فحزن الملك ساسان على ما فعل معه و اما امّه
فانها صارت لايقرلها قرار ولايطاوعها اصطبار ومضي عليها عشرون
يوما كبارا فهذا ماكان من امر هولاء واما ماكان من امركان ماكان
فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا في امره و لم يعلم

اين يروح فسار فى البرّ ثلثة ايام وحده فلم يرراجلا ولا فارسا نطار رقاده وزاد سهاده وتفكر اهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الارض ويشرب من انهارها و يقـيل وقت الحرّ في كل قائلة تحت اشجـارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق اخرى وسار فيها ثلثة ايام وفى اليوم الرابع اشرف على ارض معشبة الفلوات مخضبة النبات مليحة الجنبات وهذه الارض قد شربت من كاسات الغمام على اصوات الرعود والحمام فاخضرت جوانبها وطاب فلاها فتذكر كان ما كان بلاد ابيه بغداد فانشد من فرط ما هو فيه يقـــول

خَرَجْتُ وَفِي أَمَلِـي عَـوْدَةٌ ... وَلٰكِنَّنِـي لَسْـتُ أَدْرِي مَتَى
وَشَرَّدْتُ فِي حُبِّ مَنْ لَمْ أَجِدْ ... سَبِيلًا اِلَى دَفْـعِ مَا قَدْ أَتَى

فلما فرغ من شعره بكى ثم مسح دموعه واكل من ذلك النبـات ما يتقوت به وتوضـأ وصلى ما فاته من الفرائض في هذه المدة وجلس يستريح ذلك اليوم بطوله في ذلك المكان فلما جاء الليل نام ولم يزل نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان يقول هذه الا بيــــــــــــــــــــات

مَا الْعَيْشُ اِلَّا اَنْ يَرَى لَكَ بَارِقٌ ... مِنْ ثَغْرِ مَنْ تَهْوَى وَوَجْهٌ رَائِقُ
صَلُّوا عَلَيْهَا فِي الدُّيُورِ اَسَاقِفٌ ... خَرُّوا اِلَيْهَا بِالسُّجُودِ تُسَـابِقُ
وَالْمَوْتُ اَسْهَلُ مِنْ صُدُودِ حَبِيبِهِ ... لَمْ يَغْشَنِي مِنْهَا خَيَالٌ طَارِقُ
يَا فَرْحَةَ النُّدَمَاءِ حَيْثُ تَجَمَّعُوا ... وَ اَقَامَ مَعْشُوقٌ هُنَاكَ وَعَاشِقُ
لَاسِيَّمَـا وَقْتَ الرَّبِيعِ وَزَهْرِهِ ... طَابَ الزَّمَانُ بِمَا اِلَيْهِ تُسَابِقُ
يَا شَارِبَ الصَّهْبَـاءِ دُونَكَ هٰذِهِ ... اَرْضُ النَّعِيمِ وَمَاؤُهَا يَتَدَفَّقُ

فلما سمع كان ماكان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلق في قلبه لهيب النيران وقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير احدا في جنح الظلام فزاد وجده وفزع واخذه القلق ونزل من مكانه الى اسفل الوادي ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات ويقول هذه الابيات شعر

إِنْ كُنْتَ تُضْمِرُ مَا فِي الْحُبِّ إِشْفَاقًا ... فَأَطْلِقِ الدَّمْعَ يَوْمَ الْبَيْنِ إِطْلَاقًا

بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِي عُهُودُ هَوًى ... لِذَا إِلَيْهِمْ أَظَلُّ الدَّهْرَ مُشْتَاقًا

يَرْتَاحُ قَلْبِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ يُطْرِبُنِي ... نَسِيمُ بَرْدٍ إِذَا مَا هَبَّ أَشْوَاقًا

يَا سُعْدُ هَلْ رَبَّةُ الْخَلْخَالِ تَذْكُرُنِي ... بَعْدَ الْبِعَادِ لَنَا عَهْدًا وَمِيثَاقًا

وَهَلْ تَعُودُ لَيَالِي الْوَصْلِ تَجْمَعُنَا ... يَوْمًا وَيَشْرَحُ كُلٌّ بَعْضَ مَا لَاقَى

قَالَتْ فُتِنْتَ بِنَا وَجْدًا فَقُلْتُ لَهَا ... كَمْ قَدْ فُتِنْتِ رَعَاكِ اللّٰهُ عُشَّاقَا

لَا مَتَّعَ اللّٰهُ طَرْفِي مِنْ مَحَاسِنِهَا ... إِنْ كَانَ مِنْ بَعْدِهَا طِيبَ الْكَرَى ذَاقَا

يَا لَسْعَةً فِي فُؤَادِي مَا رَأَيْتُ لَهَا ... سِوَى الْوِصَالِ وَرَشْفِ الثَّغْرِ تِرْيَاقَا

فلما سمع كان ماكان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرّة ولم ير شخصه علم ان ذلك القائل عاشق مثله ومنع من الوصل الى من يحبّه فقال في نفسه هذا يصلح ان يضع راسه الى راسي واجعله انيسا لي في هذه الغربة ثم تنحنح ونادى قائلا ايها السائر في الليل العاكر تقرّب مني وقصّ عليّ قصتك لعلّك ان تجدني معينا لك على بليّتك فلما سمع صاحب الصوت ذلك الكلام نادى ايها المجيب لدعوتي والسامع لقصتي من تكون من الفرسان وهل انت من الانس او الجان عجّل عليّ بكلامك قبل دنوّ حمامك

فان لي سائرا في هذه البرية نحو عشرين يوما فلم ار شخصا ولم
اسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ماكان هذا الكلام قال في نفسه هذا
قصته مثل قصتي فاني انا الآخر لي ايضا عشرون يوما و انا سائر
لم ار شخصا ولا اسمع صوتا وقال في نفسه لم ارد عليه جوابا حتى
يطلع النهار ثم سكت فناداه صاحب الصوت ايها الداعي ان كنت
من الجان فاذهب بسلام وان كنت انسيا فالبث مليّا حتى يطلع الفجر
و النهار ويذهب الليل بالاعتكار ثم لبث المنادي مكانه ولبث كان
ما كان مكانه ولم يزالا يتنا شدان الاشعار ويبكيان بالدموع الغزار حتى
طلع ضوء النهـــار و ذهب الليل بالاعتكار فنظر اليه كان ماكان
فوجده رجلا من عرب البادية الا انه شاب في سنه وعليه ثياب رثة
متقلد بسيف صَدِئ في جفيره وآثار العشق عليه لائحة فاتى اليـــه
و تقدّم و سلّم عليه فردّ البدوي عليه السلام و حيّاه بالاكرام الاّ انه
احتقره لمـــا راى من صغر سنه و حالته حالة فقير فقال له يافتى
من ايّ القوم انت و الى من تنسب من العربان و ما قصّتك و انت
سائر في الليل و هو فعل الابطال و قد كلمتَني في الليل كلاما لا يتكلم
به الاّ كل فارس همام و بطـــل ضرغام و الآن روحك في قبضتي
و لكني ارحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقي و تكـــون عندي برسم
خدمتي فلما سمع كان ما كان فظاعة كلامه بعد ما ابداه من حسن
نظامه علم انه احتقره و طمع فيه فقال له بكلام ليّن فصيح يا وجه
العـــرب دعنـــا من صغرسني واخبرني عن سبب سيرك بالليل
في القفار و انشادك الاشعار و اراك تذكرانني اخدمك فمن تكـــون
انت وما حملك على هذا المقال فقال له اسمع يا غلام انا صبـــاح
ابن رماح بن همام و قومي من عرب الشام ولي بنت عم اسمهـــا

نجمه كل من رآها اتته النعمة و مات والدي و تربيّت عند عمي ابي نجمه فلما كبرت انا وكبرت بنت عمي حجبها عني و حجبني عنها لما رآني فقير الحال قليل المال فدخلت العرب الكبار وسادات القبائل و سقت عليه فاستحى منهم واجاب ان يعطيني بنت عمي ولكنه اشترط عليّ في مهرها خمسين راسا من الخيل وخمسين ناقة عشاريات وخمسين جملا محملة برّ ومثلها شعير و عشرة عبيد وعشر جوار وحملني ما لااطيق واكثر عليّ في الصداق وهاانا مسافر من الشام الى العراق ولي عشرون يوما ما نظرت احدا سواك و عزمت اني ادخل بغداد و انظر من يخرج منها من التجار المياسير الكبار فاخرج في اثرهم واغير على اموالهم و اقتل رجالهم و اسوق جمالهم واحمالهم فمن تكون انت من الناس فقال كان ماكان ان قصتك مثل قصتي غير ان مرضي اخطر من مرضك لان ابنة عمي بنت ملك واهلها لايكفيهم مني ما ذكرتَ ولا يرضيهم شيء مثل هذا فقال صباح لعلّك مهبول او من كثرة العشق مخبول كيف تكون بنت عمك بنت ملك و انت ما عليك سيمة الملوك و ما انت الا صعلوك فقال يا وجه العرب لا تستغرب هذا الحال وما فات فات و ان شئت مني البيان فانا كان ماكان بن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد و ارض خراسان وقد جار عليّ الزمان فمات والدي و تسلطن الملك سا سان و خرجت من بغداد خفية لئلا يراني انسان فها انا قد اوضحت لك البيان ولي عشرون يوما ما رايت احدا غيرك فقصتك مثل قصتي و حاجتك مثل حاجتي فلما سمع ذلك صباح صاح و افرحتي فاني بلغت منيتي وليس لي اليوم كسب غيرك لانك من ذرية الملوك و خرجت في زيّ صعلوك ولا بد انّ اهلك

يطلبونك و اذا وجدوك عند احد فبالاموال الجزيلة يفدونك هيّا فأدِر كتافك يا غلامي و امش قد امي فقال كان ماكان لا تفعل يا اخا العرب لان اهلي لا يشترونني بفضة ولا ذهب ولا بدرهم نحاس وانا رجل فقير ولا معي قليل ولا كثير فدع عنك هذه الاخلاق واتّخذني من الرفاق و اخرج بنا من ارض العراق لنجول في نواحي الآفاق لعلنا نظفر بالمهر والصداق و نحظى من بنات عمّنا بالتقبيل والعناق فلما سمع صباح ذلك الكلام غضب و زاد به الاعجاب و الالتهاب وقال له و يلك اَتُراددني في الجواب يا اخسّ الكلاب اَدِر كتافك والا انزلت عليك العذاب فتبسّم كان ما كان وقال له كيف ادير لك الكتاف اما عندك انصاف اما تخشى معايرة العربان ان تسوق رجلا مثلي اسيرا في الذل والهوان و انت ما اختبرته في الميدان لتعلم هل هو فارس اوجبان فضحك صباح و قال يا لله العجب انك في سن الغلام ولكنك كبير الكلام لان هذا القول لايصدر الّا عن البطل الصدام فما تريد من انصاف فقال له كان ماكان ان كنت تريدني اسيرا معك وفي خدمتك فارم سلاحك وخفف ثيابك وادن مني و صارعني فكل من صرع منّا صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال اظن ان كثرة كلامك تدل على قرب حمامك ثم نهض و رمى سلاحه و شمّر اذياله ودنا من كان ماكان فدنا منه الآخر و تجاذبا فوجده البدوي يفوق عنه ويرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر الى ثبات رجليه في الارض فوجدهما كالمأذنتين المؤسّستين اوكالوتدين المدقوقين اوالجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال في نفسه ليتني قاتلته بسلاحي ثم ان كان ماكان قبض عليه وتمكّن منه وهزّه فحسّ البدوي ان امعاءه تقطعت

في بطنه فصاح امسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما ابداه من الكلام
بل هزّه ورفعه من الارض وقصد به النهر ليرميه فيه فناداه البدوي يا ايها
البطل ما الذي عزمت عليه فقال اريد ان ارميك في هذا النهر فهو
يعبر بك الى الدجلة والدجلة تدخل بك الى نهر عيسى ونهر عيسى
يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك
ويعرفون مروتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يا فارس
البطاح لاتفعل فعل القباح اطلقني بحيوة بنت عمك زينة الملاح
فعند ذلك وضعه كان ما كان في الارض فلما راى نفسه خالصا اتى الى سيفه
وترسه واخذهما وقعد يشاور نفسه في الغدر به والهجوم عليه فعرف
كان ما كان من عينه ذلك فقال له قد عرفت ما في قلبك حيث ملكت
سيفك وترسك ومالك في الصراع يد طويلة وانت عديم الحيل ولو كنت
على فرس تجول وبسيفك عليّ تصول كنت من زمان مقتول وانا
ابلغك ما تختار حتى لايبقى في قلبك انكار فاعطني الترس واهجم
عليّ بسيفك فاما ان تقتلني واما ان اقتلك فقال له دونك هاهو
ورمى له الترس وجرّد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس
بيمينه وصار يلاقي به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول له مابقي
الا هذه الضربة الفاصلة فتخرج غير قاتلة وياخذها كان ما كان
في الترس وتروح ضائعة ولا يضربه لان ما معه شيء يضرب به
ولم يزل صباح يضربه بالسيف حتى كلّت يده وعرف خصمه منه
ذلك فهجم عليه واحتضنه وهزّه والقاه في الارض وادار كتافه
وكتّفه بحمائل سيفه وجرّه من رجليه وقصد به النهر فناداه صباح
اي شيء تريد تصنع بي ايها الشاب وفارس الزمان وبطل الميدان
فقال له الم اقل لك ان قصدي ان ارسلك الى اهلك وقومك في النهر

حتى لا يشتغل خاطرك ولا خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس ابنة عمك فتضجّر صباح وبكى وصاح وقال لاتفعل يا فارس الزمان واطلقني واجعلني لك من بعض الغلمان ثم بكى واشتكى وانشد يقول شعر

تَغَرَّبتُ عن اهلي فيا طول غربتي وياليت شعري هل اموت غريبا
اَموتُ واهلي ليس يعرف مقتلي واودي غريبًا لا ازور حبيبا

فرحمه كان ماكان وقال له تعاهدني بالعهود والمواثيق على انك تكون لي نعم الرفيق وتصحبني في كل طريق فقال نعم وعاهده على ذلك فاطلقه كان ماكان فقام صباح واراد ان يقبل يد كان ماكان فمنعه من ذلك فقام البدوى وفتح جرابه واخرج منه ثلث قرصات شعير ووضعها قدام كان ماكان وجلس هو واياه على حافة النهر واكل الاثنان مع بعضهما ولما فرغا من الاكل توضأا وصلّيا وجلسا يتحدثان على مالقياه من اهلهما ومن صروف الزمان فقال له كان ماكان الى اين تعزم فقال صباح عزمي الى بغداد بلدك اقيم بها حتى يرزق الله لي بالصداق فقال له دونك والطريق وها انا هنا نودعه البدوي وطلب طريق بغداد وقام كان ماكان وقال في نفسه يا نفسي اىّ وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا ارجع خائبا ولا بدلي من الفرج ان شاء الله تعالى ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربه وقال اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الحجر اسألك ان ترزقني بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلوته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس اقبل على جواد

وقد اقتعد ظهره وارخى عنانه فاستوى كان ماكان جالسا وبعد ساعة
وصل اليه الفارس وهو في آخر نفس وقد ايقن بالفناء لانه كان به جرح
بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده مثل افواه القرب وقال لكان
ماكان يا وجه العرب اتّخذني ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلي
واسقني قليلا من الماء وان كان شربُ المــاء لا يصلح للمجروح
سيما وقت خروج الدم والروح وان عشت دفعت لك ما يجبر
كسرك وفقرك وان مت فانت المسعود بحسن نيتك وكان تحت ذلك
الفارس جواد من جياد الحصان يكل عن وصفه اللسان وله قوائم
مثل اعمدة الرخام فلما نظر اليه كان ما كان والى ذلك الحصان
اخذه الهيمان وقال في نفسه ان مثل هذا الحصان لا يوجد في هذا
الزمان ثم انه انزل الفارس ورفق به وجرّعه يسيرا من الماء وصبر
عليه حتى اخذ الراحة واقبل عليه وقال له من الذي فعــل بك
هذه الفعال فقال الفارس انا اخبرك بحقيقة الحال انا رجل ســلال
غيار طول دهري اسلّ الخيل واختلسها فى الليل والنهار وانا يقال
لي غسّان آفة كل حجرة وحصان وقد سمعت بهذا الحصان في بلاد
الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقاتول ولقّبه بالمجنون
وقد كنت سافرت الى القسطنطينية من اجله وصرت اراقبه فبينما
انا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عنــد الروم وامرها عندهم
نافذ تسمى شواهي ذات الدواهي وهي فى الخداع متناهي ومعها
هذا الجواد وصحبتهــا عشرة عبيد لاغير وهم برسم خدمتهــا
والحصان وقصدت هي بغداد وخراسان وتريد الدخول على الملك
ساسان لتطلب منه الصلح والامان فخرجت في اثرهم طمعا فى الحصان
وما زلت تابعهم ولا اقدر اصل اليه لان العبيد شداد الحــرس

عليه الى ان وصلوا الى تلك البلاد وخفت ان يدخلوا مدينة
بغداد فبينما انا اشاور نفسي في سرقة الحصان اذ طلع عليهم
غبار حتى سد الاقطار فانكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا
مجتمعين لقطع الطريق على التجار ومقدمهم بطل كانه الضيغم
الهراش يقال له كهرداش ولكنه فى الحرب كاسد يجعل الابطال
كالفراش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفارس المجروح قال لكان ماكان
فخرج على العجوز ومن معها كهرداش واطبق عليهم وصاح بهم
وهاش وماكان الا ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلّم
منهم الحصان وسار بهم فرحان فقلت في نفسي ضاع تعبي وما بلغت
اربي ثم صبرت حتى انظر ما يؤل اليه الامر فلما رأت العجوز نفسها
فى الاسر بكت وقالت للمقدم كهرداش ايها الفارس الهمام والبطل
الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان
ماتريد ثم انها خادعته بلين الكلام وحلفت انها تسوق له الخيل
والانعام فاطلق العبيد واطلقها ثم سار هو واصحابه وتبعتهم
حتى وصلوا الى هذه الديار وانا الاحظه واتبعه فلما وجدت
اليه سبيلا سرقته وركبته واخرجت من مخلاتي سوطا وضربته فلما
احسّوا بي لحقوني واحاطوا بي من كل مكان ورموني بالسهام
والسنان وانا ثابت عليه وهو يقاتل عني بيديه ورجليه الى ان
اخرج بي من بينهم مثل السهم الراشق والنجم الطارق ولكن لما
اشتد الكفاح اصابني بعض الجراح وقد مضى لي على ظهره ثلثة ايام

لم اذق مناما ولا التذ بطعـــام وقد ضعفت مني القوى وهانت عليّ الدنيا وانت احسنت اليّ و شفقت عليّ واراك عارى الجسد ظاهر الكمد ويلوح عليك اثر النعمة فمن انت و من اين اقبلت والى اين تريد فقلت له انا اسمي كان ماكان ابن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر بن النعمان قد مات والدى و تربيت يتيما وتولّى بعده رجل لئيم وصار ملكا على الحقير و العظيم ثم حدّثه بحديثه من اوّله الى آخره فقال له السلال وقد رق له والله انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وسيكون لك شان وتصير افرس اهل هذا الزمان فان قدرت ان تحملني وانت راكب ورائي وتؤدينى الى بلادي يكن لك الشرف فى الدنيا و الاجر في يوم التنـــادي فانه ما بقي لي قوة امسك بها نفسي وان كانت الاخرى فانت بالجواد اولى من غيرك فقال له كان ماكان والله لو قدرت احملك على اكتافي او اقاسمك عمري لفعلت من غير هذا الجواد لانى من اهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يدفع سبعين بلاء عن صاحبه فاعزم على المسير و توكل على اللطيف الخبير فاراد ان يحمـــله على الحصان و يسير متوكلا على الله المستعان فقال له اصبر عليّ قليلا فغمض عينيه وفتح يديه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقال يا عظيم اغفرلي الذنب العظيم فانه لايغفر الذنب العظيم الا العظيم وتهيّأ للممات وانشد هذه الا بيـــات

ظَلَمْتُ الْعِبَـادَ وَطُفْتُ الْبِلَادَ وَأَمْضَيْتُ عُمْرِي بِشُرْبِ الْخُمُورْ
وَخُضْتُ السُّيُولَ لِسَلِّ الْخُيُولِ وَهَدْمِ الطُّلُـولِ بِفِعْلِ النُّكُورْ
وَأَمْرِي عَظِيمٌ وَجُرْمِي جَسِيمْ وَقَاتُـولُ مِنِّي تَمَـامُ الْأُمُورْ

وَأَمَّلْتُ أَنِّي أَنَالُ الْمُنَى ۞ بِذَاكَ الْحِصَانِ فَأَعْيَى مَسِيرِي
وَطُولُ الْحَيوةِ أَسُلُّ الْخُيُولَ ۞ فَكَانَتْ وَفَاتِي عِنْدَ الْقَدِيرِ
وَآخِرُ أَمْرِي إِنِّي تَعِبْتُ ۞ لِرِزْقِ الْغَرِيبِ الْيَتِيمِ الْفَقِيرِ

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فقام كان ماكان و حفر له حفرة و واراه فى التراب ثم اتى الى الجواد فقبله و مسح وجهه و فرح فرحا شديدا وقال ما احد حظي بمثل هذا الحصان ولا هو عند الملك ساسان هذا ما جرى لكان ماكان واما ماكان من امر الملك ساسان فانه اتته الاخبار ان الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا ان مالهم ملك غير كان ماكان واستوثق الوزير من العسكر بالعهود والايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم اول من آخر و عزم الوزير ان يقصد بهم مدينة بغداد و يملك تلك البلاد و يقتل من خالفه من العباد واقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملّك كان ماكان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار وعلم ان الدولة انحرفت عليه الصغار والكبار فزاد به الغم وكثر عليه الهم وفتح الخزائن وفرق على ارباب دولته الاموال وتمنى ان كان ماكان يقدم عليه ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله اميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتطفى به شرارة جمرته ثم ان كان ماكان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان في اريكته حيران اذ سمع بقدوم كان ماكان فاخرج جميع العساكر و وجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من

في بغداد ولاقوه و مشوا بين يديه الى القصر يقبلون الاعتاب ودخلت الجواري و الطواشية الى امه فبشروها بقدومه فاتت اليه و قبلته بين عينيه فقال يا اماه دعيني امضي الى عمي الملك ساسان الذي غمرني بالنعمة والاحسان هذا وقد تحيرت عقول اهل القصر والدولة في حسن ذلك الحصان و قالوا ما ملك مثل هذا انسان فدخل كان ما كان الى الملك ساسان و سلم عليه فقام له فقبل كان ماكان يديه و رجليه وقدم له الحصان هدية فرحب به و قال له اهلا و سهلا بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الدنيا لغيابك والحمد لله على سلامتك فدعا له كان ما كان ثم نظر الملك الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف انه الحصان الذي كان رآه من سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع ابيه ضوءالمكان حين قتل عمه شركان و قال له لوقدر عليه ابوك لاشتراه بالف جواد و لكن الآن عاد العزّ الي اهله وقد قبلناه و منا لك و هبناه و انت احق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم امر الملك ساسان ان يحضروا لكان ماكان الخلع و قاد له الخيول و افرد له في القصر اكبر الدور و اقبل عليه العز والسرور واعطاه مالا جزيلا و اكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة امر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان و زال عنه الذل و الهوان و دخل بيته و اقبل على امه و قال يا امي كيف حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي ان شغلي بغيبتك شغلني عن كل احد حتى محبوبتك سيما هي كانت سببا لغيبتك و فرقتك فشكى اليها حاله و قال يا امي امضي اليها واقبلي عليها لعلّها تجود عليّ بنظرة و تزيل عني هذه الحسرة فقالت له ان المطامع تذل رقاب الرجال فدع عنك ما يفضي الى الوبال

فاني لا امضي اليهـــا ولا ادخل بهذا الكلام عليها فلمــا سمع من امه ذلك اخبرها بما قاله السلال من ان العجوز ذات الدواهي طرقت بلادهم و قصدها ان تدخل بغـداد و هي التي قتلت عمي وجدي ولا بد اني آخذ الثار و اكشف عنا العـــار ثم ترك امه و اقبل على عجوز نحس عاهرة ماكرة محتــالة اسمهـــا سعدانة و شكى اليها حاله وما يجده من حب بنت عمه قضى فكان و سألها ان تمضي اليها و تستعطفها عليه فقالت له العجوز السمع والطـــاعة ثم انها فارقته و ذهبت الى قصر قضى فكان و استعطفت قلبها عليه ثم عادت اليه و اعلمته بان قضى فكان تسلم عليك ووعدتها لك انها في نصف الليل تأتي اليك و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما اتت الى كان ما كان واخبرته ان بنت عمك تسلم عليك وهي تاتي اليك هذه الليلـة في نصف الليل ففرح كان ماكان وجلس ينتظر انجـاز وعد بنت عمه قضى فكان فمـــا كان نصف الليل الا وهي اتته بملاءة سوداء من الحرير و دخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي انك تحبني وانت خلي البال نائم على احسن الحال فانتبه وقال والله يا منية القلب اني ما نمت الا طمعا في خيال منك يطرقني فعند ذلك عاتبته بلطيف الكلمـات وانشدت تقول هذه الابيـــــــــات

لَوْ كُنْتَ تَصْدُقُ فِي الْمَحَبَّـــــــةِ * مَا جَنَحْتَ إِلَى الْمَنَـــام

*
يَا مُدَّعِي طُرِق المَحَبَّـــــةِ فِى المَوَدَّةِ وَالغَـــــرَام
وَاللّٰهِ يَا بْنَ العَمِّ مَــــا رَقَدَتْ عيونُ المُسْتَهَـــام

فلما سمع كان ماكان ذلك من بنت عمه استحى منها وقام واعتذر اليها وتعانقا وتشاكيا الم الفراق ولم يزالا كذلك الى ان طلع الفجر وانتشر في الآفاق فعزمت قضى فكان على الذهاب فعند ذلك بكى كان ماكان وصعد الزفرات وانشد يقول هذه الابيات

فيا زائِرِي مِن بَعدِ فَرطِ صُدُودِهِ وَفِى الثَّغرِ مِنهُ الدُّرُّ فِي نَظمِ عِقدِهِ
فقبلتُهُ الفَـــا وَعَانَقتُ قَدَّهُ وَبِتُّ وَخَدِّي لاَصِقٌ تَحتَ خَدِّهِ
اِلَى اَنْ اَتَى الصُّبحُ المُفرِقُ بَينَنَا كَحَدِّ حُسَامٍ لاَحَ مِنْ جَوفِ غِمدِهِ

فلما فرغ من شعره ودّعته قضى فكان ورجعت الى خدرها فاطلعت على سرّها بعض الجواري فذهبت جارية منهن الى الملك فاعلمت الملك ساسان فتوجه اليهـا ودخل عليها وجرّد عليها الحسام واراد ان يقتلها فدخلت عليه امها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان واعلم ان كان ماكان ما هو ولد زنا وانها تربت معه وانه صاحب عرض ومروة ولا يفعل امرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان اهل القصر وجميع اهل بغداد قد شاع عندهم خبر الوزير دندان انه قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ماكان فقال لها والله لا بد ان ارميه في بلية بحيث لا ارض تقلّه ولا سماء تظلّه واني ما انعمت عليه وطيبت خاطره الا لاجل اهل مملكتي ودولتي

لئلا يميلوا اليه وسوف ترين مايكون ثم تركها وخرج يدبر امر
ملكه هذا ماكان من امر الملك ساسان واما ماكان من امر كان ماكان
فانه اقبل على امه في ثاني يوم وقال لها يا امي اني عزمت على شن
الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك
واذا كثر مالي وحسن حالي خطبت بنت عمي قضى فكان من
عمي الملك ساسان فقالت له يا ولدي ان اموال الناس غير سائبة
لك لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجال تاكل السباع
وتوحش البقاع وتقتنص الاسود وتصيد الفهود فقال لها كان ماكان
هيهات ان ارجع عن عزيمتي الّا اذا بلغت منيتي ثم ارسل
العجوز الى قضى فكان يعلمها انه سائر يتسبب لها مهرا يصلح لها
وقال للعجوز لابد ان تسألها حتى تاتيني منها بجواب فقالت له سمعا
وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت اليه بالجواب وقالت له انها تأتي اليك
في نصف الليل فاقام سهرانا الى نصف الليل فاخذه القلق فلم يشعر
الا وهي داخلة عليه وهي تقول روحي لك الفداء من السهر فنهض
لها قائما وقال يامنية القلب روحي لك الفداء من جميع الاسواء ثم اعلمها
بما عزم عليه فبكت فقال لها لاتبكي يا بنت العم فانا اسأل الذي حكم
علينا بالفراق ان يمنّ علينا بالتلاقي والوفاق ثم عوّل كان ماكان على
السفر ودخل على امه وودّعها ونزل من القصر وتقلّد بسيفه وتعمّم
وتلثّم وركب جواده القاتول وشق المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى
باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رماح خارج من المدينة فلما
رآه جرى في ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال له صباح يا اخي
كيف صار لك هذا الجواد وهذا السيف والثياب وانا الى الآن لا
املك غير سيفي وترسي فقال له كان ماكان ما يرجع الصياد بصيد

الاّ على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك
ان تأتي معي وتخلص النية في صحبتي وتسافر معي في هذه البرية
فقال ورب الكعبة مابقيت اناديك الاّ مولاي ثم جرى قدام الجواد
وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه وكان ماكان وراءه واستغرقوا
فى البر اربعة ايام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من
ماء العيون وفى اليوم الخامس اشرفا على تلّ عال تحته مرابع
وغدير سياح فيها ابل وبقروغنم وخيول ملأت الروابي والبطاح
واولادها الصغار تلعب حول المراح فلما راى ذلك كان ماكان
زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشراح وعوّل علي القتال
ليأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هذا المال
الذي عن اهله وحيد وقاتل معى القريب والبعيد حتى يكون لنا
في اخذ المال نصيب فقال صباح يا مولاي ان اصحاب هؤلاء
خلق كثيرون وفيهم ابطال من فرسان ورجال وان رمينا ارواحنا
في هذا الخطب الجسيم فاننا تكون من هوله على خطر عظيم
وما يرجع احد منالا هله سليما وينخرم من ابنة عمه يتيما فضحك
كان ماكان وعلم انه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شنّ
الغارات وصاح وترنّم وانشد بهذه الابيات

وَآلِ نُعْمَانَ نَحْنُ ذُو الْهِمَمِ ... وَالسَّادَةُ الضَّارِبُونَ فِي الْقِمَمِ
قَوْمٌ إِذَا مَا الْهِيَاجُ قَامَ لَهُمْ ... قَامُوا بِأَسْوَاقِهِ عَلَى قَدَمِ
تَنَامُ عَيْنُ الْفَقِيرِ بَيْنَهُمُ ... وَلَا يَرَى قُبْحَ صُورَةِ الْعَدَمِ
وَإِنَّنِي أَرْتَجِي مُعَاوَنَةً ... مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ بَارِئِ النَّسَمِ

ثم انه حمل علي تلك النوق مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل

والبقر والغنم والخيل قدّامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال والرماح الطوال وفي اوائلهم فارس تركي الّا انه شديد الحرب والكفاح عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال اعلم ان هذه الاموال للعصابة الرومية والابطال البحرية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم الّا كل بطل عابس وهم مائة فارس الذين خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا ان لا يرجعوا من هنا الّا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلا يا لئام هذا هو الحصان الذي تعنون وانتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم اجمعون وشانكم وما تريدون ثم صرخ بين اذني القاتول فخرج عليهم مثل الغول وصار كان ماكان عطف على الفارس فطعنه ورماه واخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع اعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فصاح عليهم يا اولاد الزواني سوقوا المال والخيول والاخضبت من دمائكم سناني فساقوا المال واخذوا في الانطلاق فانحدر اليه صباح واعلن بالصياح وزادت به الافراح واذا بغبار طلع وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فهرب صباح وطلع على اعلى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما انا فارس الّا في اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس احاطوا بكان ماكان وداروا به من كل جانب ومكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له الى اين تمضي بهذا المال فقال له كان ما كان آخذه واذهب به واحرمك منه فدونك والقتال واعلم ان من دونه اسدا روع وبطل سميدع وسيف اينما مال قطع فلما

سمع الفارس ذلك الكلام نظر اليه فوجده فارسا كالاسد الضرغام الّا ان وجهه كالقمر الطالع ليلة اربعة عشر والشجاعة تلوح بين عينيه وكان ذلك الفارس هوا لمقدم على المائة فارس واسمه كهرداش فلما راى الى كان ماكان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من اجمل النساء وجها قد اعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ومن كل معنى لطيف ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وابطال ذاك القطر تخاف من هيبتها وحلفت انها لا تتزوج ولا تملك نفسها الّا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطّابها فقالت لا بيها ما يقربني الّا من يقهرني فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى ان يقاتل جارية وخاف من العار فقال له بعض خواصه انت كامل الخصال فى الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت اقوى منك فانك تغلبها لانها اذارأت حسنك وجمالك تنهزم قدامك حتى تملكها لان النساء لهن غرض فى الرجال ولا يخفى عنك هذه الاحوال فابى كهرداش وامتنع من قتالها واستمرّ على امتناعه من القتال الى ان جرت له مع كان ماكان هذه الافعال فظن انه محبوبته فاتن فهاب وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ماكان وقال ويلك يا فاتن قد اتيتني لتريني شجاعتك فانزلي عن جوادك حتى اتحدث معك فاني قد سقت هذه الاموال وخنت الرفيق وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذي ما له مثيل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيرى ملكة هذه الاقطار فلما سمع

كان ماكان هذا الكلام صارت نيران غيظه في اضطرام ونادى ويلك يا كلب الاعجام دع عنك فاتنا وما به ترتاب وتقدم الى الطعن والضراب فعن قريب تبقى على التراب ثم انه جال وصال ومدّ واستطال فلما نظره كهرداش علم انه فارس همام وبطل ضرغام وتبين له خطأ ظنه حيث لاح له عذار اخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد احمر ذهاب من كرّته وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا ان قتال الجماعة للواحد عار ولو كان فارسا شجاعا وقرما مناعا فعند ذلك حمل عليه فارس ضيغم وتحته جواد ادهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحيّر العقل والناظر كانه الابجر الذي كان لعنتر كما قال فيه الشاعر

قَدْ جَاءَكَ الْمُهْرُ الَّذِي نَزَلَ الْوَغَى	جَزْلًا نَ يَخْلِطُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ	وَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

فحمل على كان ماكان وابتدر وتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربا يحيّر الافكار ويعشي الابصار فسبقه كان ماكان بضربة بطل شجاع فقطت منه العمامة والمغفر والى راسه وصلت فمال عن الجواد كانه البعير اذا انحدر ثم تقدم اليه الثاني. وحمل عليه وكذا الثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالاول ثم حملت عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت بهم الحرق فما كان الّا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فلما نظر كهرداش الى هذه الفعال خاف من الارتحال وعرف ان عنده ثبات الجنان واعتقد انه اوحد الابطال والفرسان

فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم اصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن ثباتك والحيوة اولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروة الكرام و لكن اترك عنك هذا الكلام و فزبنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة و اسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب و حصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من انا ما نطقت بهذا الكلام في حومة الزحام فاسأل عني فانا الاسد البطاش المعروف بكهرداش الذي نهب الملوك الكبار و قطع الطريق على جميع السفّار واخذ اموال التجار وهذا الحصان الذي تحتك طلبتي واريد ان تعرفني كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم ان هذا الجواد كان سائرا الى عمي الملك سا سان وقائدته عجوز كبيرة و معها عشرة عبيد يخدمونها وانت تعديت عليها واخذته منها ولنا عندها ثار من جهة جدي الملك عمر بن النعمان وعمي الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن ابوك لا ام لك فقال اعلم اني كان ما كان ابن ضوء المكان ابن عمر بن النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية و الجمال ثم قال له توجّه بامان فان اباك كان صاحب فضل علينا و احسان فقال له كان ماكان انا والله ما اوقرّك يا مهان حتى اقهرك فى حومة الميدان فاغتاظ البدوي ثم حمل كل منهما على صاحبه و تصايحا فسدت لهما الخيل آذانها و رفعت اذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما ان السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح و اختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كرّ

عليه و طعنه في صدره فاطلع السنان من ظهره و جمع الخيل
و الاسلاب و صاح في العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك
صباح و جاء الى كان ما كان و قال له احسنت يا فارس الزمان
اني دعوت لك و قد استجاب ربي دعائي ثم ان صباحا قطع راس
كهرداش فضحك كان ما كان و قال له ويلك يا صباح كنت اظن
انك فارس الحرب والكفاح فقال له لا تنس عبدك من هذه الغنيمة
لعلي اصل بسببها الى زواج بنت عمي نجمة فقال له لابد لك فيها
من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار
متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة
بغداد و علمت به جميع الاجناد و رأوا ما معه من الغنيمة والاموال
و راس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار راس كهرداش ففرحوا
و قالوا لقد اراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من
قتله ودعوا لقاتله واتت اهل بغداد الى كان ما كان يسألون بما جرى له
من الاخبار فاخبرهم بما جرى فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال
وساق ما معه الى ان اوصله تحت القصر وركز الرمح الذي عليه راس
كهرداش الى باب القصر و وهب للناس و اعطاهم الخيل والجمال
فاحبّه اهل بغداد و مالت اليه القلوب ثم اقبل على صباح و انزله
في بعض الاماكن الفساح و اعطاه شيأ من الغنيمة ثم دخل على
امه واخبرها بما جرى له في سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام
من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا اني اريد ان ابوح لكم
بسرّي و ابدي لكم مكنون امري اعلموا ان كان ما كان هو الذي يكون
سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع انه له قبائل
من الاكراد والاتراك وامرنا معه آيل الى الهلاك و اكثر جيشنا من

اقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جحد معروفي بعد الاحسان
و خانني في الايمان و بلغني انه جمع عساكر البلدان و قصد ان
يسلطن كان ما كان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولا شك انه قاتلي
بلامحالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له ايها
الملك انه اقل من ذلك ولولا اننا علمنا بانه تربيتك لم يقبل عليه
منا احد و اعلم اننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه و ان شئت
بعده ابعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب و لكن
لابد من اخذ الميثاق فتحالفوا على انهم لا بد ان يقتلوا كان ما كان
فاذا اتى الوزير دندان سمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه
فلما اعطوه العهد والميثاق على ذلك اكرمهم غاية الاكرام ثم دخل
بيته وقد تفرق عنه الرأساء و امتنعت العساكر من الركوب والنزول
حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان
ثم ان ذلك الخبر وصل الى قضى فكان فحصل عندها غم زائد
و ارسلت الى العجوز التي عادتها ان تاتيها من عند ابن عمها
بالاخبار فلما حضرت عندها امرتها ان تذهب اليه و تخبره بالخبر
فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها و اخبرته بالخبر
فلما سمع ذلك قال بلّغي بنت عمي سلامي و قولي لها ان الارض
لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما احسن قول القائل

اَلْمُلْكُ لِلّٰهِ مَن يظفر بنيلِ مُنًى	يردده قهرًا و تضمن نفسه الدَّرَكَا
لَوْكَانَ لِي أَوْلِغَيرِي قَدْرُ انْمِلَةٍ	مِنَ الْبَسِيطَةِ كَانَ الْاَمْرُ مُشْتَرَكَا

فرجعت العجوز الى بنت عمه و اخبرتها بما قاله و اعلمتها بان كان
ما كان اقام في المدينة ثم ان الملك سان سان صار ينتظر خروجه

من بغـداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق انه خرج الى الصيد
والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد
عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشـمالا
فاطلقها فقال له صباح لاي شيء اطلقت هذه الغزالة فضحك كان ماكان
واطلق الباقي وقال له ان من المروة اطلاق الغزالات التي لها اولاد
وما تتلفت تلك الغزالة الا لان لها اولادا فاطلقتها واطلقت الباقي
في كرامتها فقال له صباح اطلقني حتى اروح الى اهلي فضحك وضربه
بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوي كالثعبان فبينما هما
كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسـان
وشجعان وسبب ذلك ان الملك ساسان اخبره جماعة ان كان
ماكان خرج الى الصيد والقنص فارسل اميرا من الديلم يقال له جامع
ومعه عشرون فارسا ودفع لهـم المال ثم امرهم ان يقتلـوا كان
ماكان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم
واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين
فتعجب ورجع واذا باهاليها قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان
ماكان توجه بعد ذلك من ذلك المكان وتوجه معه صباح البدوي
فبينما هو سائر اذ رأى في طريقه شابا على باب دار فالقى كان ماكان
عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه
قصعتان احدهما فيها لبن والثانية فيها ثريد والسمن في جوانبها
يموج ووضع القصعتين قدام كان ماكان وقال له تفضّل علينـا
بالاكل من زادنا فامتنع كان ماكان من الاكل فقال له الشاب مالك
ايها الانسان لا تاكل فقال له كان ماكان انه عليّ نذر فقال له الشاب
وما سبب نذرك فقال له كان ماكان اعلم ان الملك ساسـان

غصب ملكي ظلما و عدوانا مع ان ذلك الملك كان لابي
وجدّي من قبلي فاستولى عليه قهرا بعد موت ابي ولم يعتبرني
لصغرسني فنذرت انني لا آكل لاحد زادا حتى اشفي فؤادي من غريمي
فقال له الشاب ابشر فقد وفى الله نذرك واعلم انه مسجون في مكان
واظنه ان يموت قريبا فقال له كان ماكان في ايّ بيت هو معتقل
فقال له في تلك القبة العالية فنظر كان ماكان الى قبة عالية ورأى
الناس في تلك القبة يدخلون وعلى ساسان يلطمون وهو يتجرّع
غصص المنون فقام كان ماكان ومشى حتى وصل الى تلك القبة
وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل واكل ما تيسر
ووضع ما بقي من اللحم في مزوده ثم جلس في مكانه ولم يزل جالسا
الى ان اظلم الليل ونام الشاب الذي ضيّفه ثم ذهب كان ماكان
الى القبة التي فيها ساسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب له
كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذي في مزوده وما زال
يرمي للكلاب لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى ان صار عند الملك
ساسان ووضع يده على راسه فقال له بصوت عال من انت فقال
انا كان ماكان الذي سعيت في قتله فاوقعك الله في سوء تدبيرك
أمَا يكفيك اخذ ملكي وملك ابي وجدي حتى تسعى في قتلي فحلف
ساسان الايمان الباطلة انه لم يسع في قتله وان هذا الكلام
غير صحيح فصفح عنه كان ماكان وقال له اتبعني فقال لا اقدر ان
اخطو خطوة واحدة لضعف قوتي فقال كان ماكان اذا كان الامر
كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب انا وانت ونطلب البر
ثم فعل كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح ثم صلوا
الصبح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا

فيه يتحدثون ثم قام كان‌ما كان الى ساسان وقال له هل بقي
في قلبك مني امر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على انهم
يرجعون الى بغداد فقال صباح البدوي انا اسبقكما لابشر الناس
فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس بالدفوف والمزامير
وبرزت قضى فكان وهي مثل البدر بهيّ الانوار في دياجى الاعتكار
فقابلها كان ماكان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح
ولم يبق لاهل العصر حديث الا في كان ماكان وشهد له الفرسان انه
اشجع اهل الزمان وقالوا لا يصح ان يكون سلطانا علينا الا كان
ماكان ويعود اليه ملك جده كما كان واما ساسان فانه دخل
على نزهة الزمان فقالت له اني ارى الناس ليس لهم حديث الّا
في كان ماكان ويصفونه باوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها
ليس الخبر كالعيان فاني رايته ولم ار فيه صفة من صفات
الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلّد بعضهم بعضا في
مدحه ومحبته واجرى الله على السنة الناس مدحه حتى مالت اليه
قلوب اهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوّان وقد جمع له
عساكر من سائر البلدان ومَن الذي يكون مالك الاقطار ويرضى
ان يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان
وعلى ما ذا عوّلت فقال لها عولت على قتله ويرجع الوزير دندان
خائبا في قصده ويدخل تحت امري وطاعتي ولا يبقى له الّا خدمتي
فقالت له نزهة الزمان ان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب
ان تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان

إِذَا رَفَعَ الزَّمَانُ عَلَيْكَ شَخْصًا وَكُنْتَ أَحَقَّ مِنْهُ وَلَوْ تَصَاعَدْ

فَإِنَّهُ حَقَّ رُتْبَتِهِ تَجِدْهُ يُنِيلُكَ إِنْ دَنَوْتَ وَإِنْ تَبَاعَدْ
وَلَا تَقُلِ الَّذِي تَدْرِيهِ فِيهِ تَكُنْ مِمَّنْ عَنِ الْحُسْنَى تَقَاعَدْ
فَكَمْ فِي الْخِدْرِ أَبْهَى مِنْ عَرُوسٍ وَلٰكِنْ لِلْعَرُوسِ الدَّهْرُ سَاعَدْ

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا من عندها وقال لولا ان قتلك عار وشنار لعلوت بالسيف راسك واخمدت انفاسك فقالت حيث غضبت مني فانا امزح معك ثم وثبت اليه وقبّلت راسه ويديه وقالت له الصواب ماتراه وسوف اتدبر انا وانت في حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجّلي بالحيلة وفرّجي كربتي فلقد ضاق عليّ باب الحيل فقالت له سوف اتحيّل لك على اتلاف مهجته فقال لها بايّ شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها باكون فانها في المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من انحس العجائز وعدم الخبث في مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غيران كان ماكان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الراى هو الصواب ثم احضر الجارية باكون وحدّثها بما جرى وامرها ان تسعى في قتله ووعدها بكل جميل فقالت له امرك مطاع ولكن اريد يامولاى ان تعطيني خنجرا قد سقي بماء الهلاك لاعجّل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم احضر لها خنجرا يكاد ان يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار وتحفظ النوادر والاخبار فاخذت الخنجر وخرجت من الدار مفكرة فيما يكون به الدمار واتت الى كان ماكان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة

قضى فكان وكان في تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضى فكان
فالتهبت من حبها في قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية
باكون داخلة عليه وهي تقول آن اوان الوصال ومضت ايام
الانفصال فلما سمعت ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له
باكون اعلم انها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان اليها
وخلع اثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم اني انام
عندك الليلة واحدثك بما سمعت من الكلام واسليك بحديث
كل متيم امرضه الغرام فقال لها كان ماكان حدثيني بحديث يفرح
به قلبي ويزول به كربي فقالت له باكون حبا وكرامة ثم جلست الى
جانبه وذلك الخنجر من داخل اثوابها فقالت له اعلم ان اعذب
ما سمعت اذني ان رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى
افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الاسواق
ويفتش على شيء يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شكته
في اصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب اصبعه ثم قام
وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار
داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية وما زال ينزح الماء
على راسه الى ان تعب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه جلس على الفسقية وما زال
ينزح الماء على راسه الى ان تعب فخرج الى الحوض البارد
فلم يجد احدا فاختلى بنفسه وطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت

في مخه فانقلب على الرخام و خيل له الحشيش ان مهتارا كبيرا
يكبسه و عبدين واقفان على راسه واحد معه الطاسة والآخر معه
آلة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلماراى ذلك قال في نفسه كانّ
هؤلاء غلطوا فيّ او من طائفتنا الحشاشين ثم انه مدّ رجليه
فتخيل له ان البلان قال له يا سيدى قد ازف الوقت على طلوعك
واليوم نوبتك فضحك وقال في نفسه ما شاء الله يا حشيش ثم قعد
وهو ساكت فقام البلان و اخذ بيده وادار على وسطه ميزرا
من الحرير الاسود ومشى العبدان وراءه بالطاسات والحوائج
ولم يزالوا به حتى ادخلوه الخلوة واطلقوا فيها البخور فوجدها ملآنة
من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطّيخة واجلسوه على كرسي
من الابنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم
دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا
وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع الميزر من وسطه
وصار يضحك الى ان غشي عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال
في نفسه ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولون يامولانا
الصاحب ولعل الامر التبس عليهم في هذه الساعة وبعد ذلك
يعرفونني ويقولون هذا زليط ويشبعون صكّا في رقبتي ثم انه
استحمى وفتح الباب فتخيل ان مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا
عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها واخرج منها ثلث فوط من الحرير
فرمى الاولى على راسه والاخرى على اكتافه وحزمه بالثالثة وقدم
له الطواشي قبقابا فلبسه واقبلت عليه مماليك وطواشية وصاروا
يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى ان خرج وطلع
الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه

الغلمان واجلسوه علي المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام راى في حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له انتبه يا زليط قد جاء الظهر وانت نائم ففتح عينه فوجد روحه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره قائم والفوطة انحلت من وسطه وتبين له ان كل هذه اضغاث احلام وتخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذي نبّهه وقال كنت اصبر حتى احطه فقال له الناس اما تستحي يا حشاش وانت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو في المنام فلما سمع كان ماكان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يا دادتي ان هذا حديث عجيب فاني ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم ان الجارية باكون لم تزل تحدث كان ماكان بمخارف حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند راسه حتى مضى غالب الليل فقالت في نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلّت الخنجر ووثبت على كان ماكان وارادت ذبحه واذا بام كان ماكان دخلت عليهما فلما راتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت تنتفض كانها اخذتها الحمى فلما راتها ام كان ماكان تعجبت ونبّهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد امه جالسة فوق راسه وكان السبب في حياته مجيئها وسبب مجيء امه اليه ان قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمي الحقي ولدك قبل ان تقتله العاهرة باكون واخبرتها بما جرى من اوله الى آخره

فخرجت وهي لاتعقل ولاتنتظر شيأ حتى دخلت في الساعة التي نام فيها
وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لامه لقد جئت
يا امي في وقت طيب وداد تي باكون حاضرة عندى في تلك الليلة
ثم انه التفت الى باكون وقال لها بحياتي عليك هل تعرفين
حكاية احسن من الحكايات التي حدثتني بها فقالت له الجارية
واين ماحدثتك به سابقا مما احدثك به الآن فانه اعذب ولكن
احكيه لك في غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهي لاتصدق
بالنجاة فقال لها مع السلامة ولمحت بمكرها ان امه عندها خبر
بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدي
هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال
لها وكيف ذلك فاخبرته بالامر من اوله الى آخره فقال لها يا والدتي
ان الحي ماله قاتل وان قتل لايموت ولكن الاحوط لنا اننا
نرحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما اصبح
الصباح خرج كان ماكان من المدينة واجتمع بالوزير دندان
وبعد خروجه حصلت امور بين الملك ساسان ونزهة
الزمان اوجبت خروج نزهة الزمان ايضا من المدينة
فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع ارباب دولة الملك ساسان الذين
يميلون اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجمع رأيهم على غزو ملك
الروم واخذ الثار ثم توجهوا الى غزو الروم ووقعوا في اسر الملك
رومزان ملك الروم بعد امور يطول شرحها كما يظهر من السياق
فلما اصبح الصباح امر الملك رومزان ان يحضر كان ماكان والوزير
دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه واجلسهم بجانبه وامر
باحضار الموائد فاحضرت فاكلوا وشربوا واطمأنوا بعد ان ايقنوا

بالموت لما امر باحضارهم و قالوا لبعضهم انه ما ارسل الينا الآ لانه
يريد قتلنا و بعد ان اطمانوا قال لهم الملك اني رابت منا ما
و قصصته على الرهبان فقالوا ما يفسرة لک الاالوزير دندان فقال له
الوزير خيـــرا رأيت يا ملک الزمان فقال له ايها الوزير رأيت اني
في حفرة على صفة بئر اسود وكان اقواما يعذبونني فاردت القيام
فلما نهضت وقعت على اقدامي و ما قدرت على الخروج من تلک
الحفـــرة ثم التفت فرأيت فيهـــا منطقـة من ذهب فمددت يدي
لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطي بهما
فاذا هما قد صارتا منطقة و احدة و هذا ايها الوزير منامي والذي
رايته في لذيذ احلامي فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان
ان رويا ک تدل على ان لک اخا او ابن اخ اوابن عم اواحدا يكون من
اهلک من دمک ولحمک وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملک
هذا الكلام نظر الي كان ماكان و نزهة الزمان وقضى فـكان والوزير
دندان و من معهم من الاسارى و قال في نفسه اذا رميت رقاب
هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاک اصحابهم و رجعت الى بلادي
عن قريب لئلا يخرج الملک من يدي ولما صمم على ذلک استدعى
بالسياف و امرة ان يضرب رقبة كان ماكان من وقته و ساعته و اذا
بداية الملک قدا قبلت في تلک الساعة فقالت له ايها الملک السعيد
على ماذا عولت فقال لهـــا عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين
في قبضتي وبعد ذلک ارمي روؤسهم الى اصحابهم ثم احمل انا واصحابي
عليهم جملة واحدة فنقتل الذي نقتله و نهزم الباقي و تكون هذة
وقعة الانفصال و ارجع الى بلادي عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور
امور في مملكتي فعند ما سمعت منـــه دايته هذا الكلام اقبلت

عليه و قالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك ان تقتل ابن اخيك
و اختك و ابنة اختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اغتاظ
غيظا شديدا و قال لها يا ملعــونة الم تعلمي ان امي قد قتلت
و ان ابي قدمات مسمــوما و اعطيتني خرزة و قلت لي ان هذه
الخرزة كانت لابيك فلم لاتصدقيني في الحديث فقالت له كل ما اخبرتك
به صدق و لكن شاني و شانك عجيب و امري وامرك غريب فانني انا
اسمي مرجانة و اسم امك ابريزة و كانت ذات حسن و جمـال
وشجاعتها تضرب بهـــا الامثال و اشتهرت بالشجاعة بين الابطال واما
ابوك فانه الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك
ولاريب ولارجــم غيب وكان قدارسل ولده شركان الى بعض
غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهــم الذي قدكان وكان
اخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره
فوقع عند امك الملكة ابريزة في قصرها ونزلنا واياها في خلوة
للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع امك و غلبته
لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته امك مدة خمسة ايام في قصرها
فبلغ ابوها ذلك الخبر من امه العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي
وكانت امك قداسلمت على يد شركان اخيك فاخذها وتوجه بها
الى مدينة بغداد سرّا وكنت انا وريحانة وعشرون جارية معهـــا
وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلمـــا دخلنا على ابيك
الملك عمر بن النعمان ورأى امك الملكة ابريزة وقع في قلبه محبتها
فدخل عليها ليلة واختلى بهـــا فحملت بك وكان مع امك ثلث
خرزات فاعطتهم لابيك فاعطى خرزة لابنته نزهة الزمان واعطى

الثانية لاخيك ضوء المكان واعطى الثالثة لاخيك الملك شركان
فاخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها
اشتاقت امك الى اهلها واطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد اسود
يقال له الغضبان واخبرته بالخبر سرا ورغبته في ان يسافر معنا
فَاَخَذَنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت امك قد قربت
ولادتها فلما دخلنا على اوائل بلادنا في مكان منقطع اخذ امك
الطلق بولادتك فحدث العبد نفسه بالخنا فاتى فلما قرب منها
راودها عن الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه
فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان في تلك الساعة قد طلع
في البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشي
العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة
غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ماراح العبد انكشف
الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فراى امك ابنته وهي
في ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر
لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد
ابيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب
العداوة بين اهل بلاد الروم وبين اهل بلاد بغداد فعند ذلك
احتملنا امك وهي قتيلة ودفناها وقد احتملتك انا وربيتك وعلقت
لك الخرزة التي كانت مع الملكة ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ
الرجال لم يمكنني ان اخبرك بحقيقة الامر لانني لو اخبرتك بذلك
لثارت بينكم الحروب وقد امرني جدك بالكتمان ولاقدرة لي على
مخالفة امر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان
الخبر عنك وعدم اعلامك بان اباك الملك عمر بن النعمان فلما

استقلّيت بالمملكة اخبرتك وما امكنني ان اعلمك الا في هذا
الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت لك السر والبرهان وهذا ماعندي
من الخبر وانت برأيك اخبر وكان الاساري قد سمعوا من الجارية
مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها
وساعتها صيحة وقالت هذا الملك رومزان اخي من ابي عمر بن النعمان
وامه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وانا اعرف
هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا
اخذته الحدة وصار متحيرا في امره واحضر في وقته وساعته
نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حنّ الدم للدم واستخبرها عن قصته
فحكت له القصة فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك انه
من اهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان اباه الملك عمر بن
النعمان فقام من تلك الساعة وحلّ كتاف اخته نزهة الزمان
فقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها
واخذته حنية الاخوّة ومال قلبه الى ابن اخته السلطان كان ما كان
وقام ناهضا علي قدميه واخذ السيف من يد السياف فايقن
الاساري بالهلاك لما رأوا منه ذلك فامر باحضارهم بين
يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة اشرحي حديثك الذي
شرحته لي لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم ايها الملك
ان هذا الشيخ هو الوزير دندان وهولي اكبر شاهد لانه
يعرف حقيقة الامر ثم انها اقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى
من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم
بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما
من الاساري يصدقونها على ذلك وفي آخر الحديث لاحت من

الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين
اللتين كانتا مع الملكة ابريزة في رقبة السلطان كان ماكان
فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدي
اعلم انه قد زاد في تلك الساعة صدق يقيني لان هذه الخرزة التي
في رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التي وضعتها في عنقك وهي
رفيقتها وهذا الاسير هو ابن اخيك وهو كان ماكان ثم ان الجارية
مرجانة التفتت الى كان ماكان وقالت له ارني هذه الخرزة يا ملك
الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان
فاخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها لها
فلما صار الخرزتان في يد الجارية ناولتها للملك رومزان فظهر له
الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ماكان وان اباه الملك
عمر بن النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه
ثم عانق الملك كان ماكان وعلا الصياح بكثرة الافراح وفي تلك
الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور
وزادت الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح
فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال في نفسه يا ترى
ما سبب هذا الصياح والسرور الذي في عسكر الافرنج والروم واما
عسكر العراق فانهم قد اقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا في الميدان
ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر
مقبلين وللحرب متهيّئين فسأل عن سبب ذلك فاخبروه بالخبر
فامر قضى فكان ابنة اخيه شركان ان تسير من وقتها وساعتها
الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وان الملك
رومزان ظهر انه عم السلطان كان ماكان فسارت قضى فكان بنفسها

ونفت عنهـا الشرور والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان وسلمت عليه واعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك رومزان ظهر انه عمها وعم كان ماكان وحين اقبلت عليه وجدته باكى العين خائفا على الامراء والاعيان فشرحت له القصة من اولها الى آخرها فزادت افراحهم وزالت اتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة تضى فكان حتى اوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا مع ابن اخيه السلطان كان ماكان وقد استشاره هو والوزير دندان في امر الملك الزبلكان فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم امروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره اليهـا ومشوا معه ساعة لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا فى العسكر بالرحيل الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا الا باخذ الثأر وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وارباب دولته وفرح السلطان كان ماكان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالو سائرين حتى وصلوا الى ارضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه ثم ان الملك رومزان جلس واجلس ابن اخيه السلطان كان ماكان الى جانبه فقال كان ماكان الى عمه الملك رومزان يا عم ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله

ان اعارضك في ملكك فعند ذلك اشـار عليهمـا الوزير دندان
ان يكون الاثنان فى الملك سواء وكلواحد يحكم يوما فارتضيا بذلك
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهما اتفقـا على ان كلواحد يحكم
يوما ثم اولموا الولائم و ذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح و اقاموا
على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله
مع بنت عمه تضى فـكان و بعد تلك المدة بينمـــاهم قاعدون
فرحانون بهذا الامر واصلاح الشأن اذ ظهر لهم غبار قد علا وطار
حتى سد الاقطـار و قد اتى اليهم من التجار صارخ يستغيث و هو
يصيح و يقول يا ملوك الزمان كيف اسلم في بلاد الكفر و أُنهب
في بلادكم و هي بلاد العدل والامان فاقبـل عليه الملك رومزان
و سأله عن حاله فقال له انا تاجر من التجار ولي غائب عن الاوطان
مدة مديدة من الزمان و استغـــرقت فى البلاد نحـــو عشرين سنة
من الاعـــوام و ان معي كتـــابا من مدينة دمشق كان قد كتبـه
لي المرحوم الملك شركان و سبب ذلك اني كنت قدا هديت اليه
جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف
الهند واتيت بها الى بغداد التي هي حرمكم و محل امنكم وعد لكم
فخرجت علينا عربان ومعهم اكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا
رجالي و نهبوا اموالي و هذا شرح حالي ثم ان التـــاجر بكى بين
يدي الملك رومزان و حوقل و اشتكى فرحمه الملك ورق اليـــه
وكذلك رحمه ابن اخيه الملك كان ماكان و حلفوا انهم يخرجون

اليهم فخرجوا اليهم في مائة فارس كل فارس منهم يعدّ بين الرجال
بالوف و ذلك التاجر سار امامهم يدلّهم على الطريق ولم يزالوا
سائرين ذلك النهار و طول الليل الى السحر حتى اشرفوا على واد
غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي
و تسموا بينهم احمال ذلك التاجر و بقي البعض فاطبق عليهم
المائة فارس واحاطوا بهم من كل مكان و صاح عليهم الملك رومزان
هو و ابن اخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى اسروا الجميع
وكانوا نحو ثلثمائة فارس مجتمعين من اوباش العربان فلما اسروهم
اخذوا ما معهم من مال التاجر و شدوا وثاقهم و طلعوا بهم الى مدينة
بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن اخيه الملك كان ماكان
على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين ايديهما وسألاهم
عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلثة اشخاص وهم الذين
جمعونا من سائر النواحي والاقطار فقالا لهم ميّزوهم لنا باعيانهم
فميزوهم لهما فامرا بالقبض عليهم واطلاق بقية اصحابهم بعد اخذ
جميع ما معهم من الاموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله
فوجده قد هلك ربعه فوعدوه انهم يعوضون له جميع ماضاع منه فعند
ذلك اخرج التاجر كتابين احدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان
وقد كان هذا التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها
لاخيها شركان وجرى بينها وبين اخيها ماجرى ثم ان الملك كان ماكان
وقف على الكتابين و عرف خط عمه شركان و سمع حكاية عمته
نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر
الذي ضاع منها المال واخبرها كان ما كان بقصة التاجر من اولها الى آخرها
فعرفته نزهة الزمان و عرفت خطها واخرجت للتاجر الضيافات ووصت

عليه اخاها الملك رومزان و ابن اخيها الملك كان ماكان فامر له باموال و عبيد و غلمان من اجل خدمته و ارسلت اليه نزهة الزمان مائة الف درهم من المال وخمسين حملا من البضائع و قدا تحفته بهدايا و ارسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت له و سلمت عليه و اعلمته انها بنت الملك عمر بن النعمان و ان اخاها الملك رومزان و ان ابن اخيها الملك كان ماكان ففرح التاجر بذلك فرحا شديدا وهناها بسلامتها و اجتما عها باخيها و قبل يديها و شكرها على فعلها و قال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت الى خدرها و اقام التاجر عندهم ثلثة ايام ثم ودعهم و رحل الى بلاد الشام و بعد ذلك احضر الملوك الثلثة اشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق و سألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم و قال اعلموا اني رجل بدوي اقف فى الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار و ابيعهم للتجار و دمت على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام واغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على اعجب ما رأيت في خطفك الصغار والبنات فقال لهم اعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان انني من مدة اثنتين و عشرين سنة خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير انها كانت خدامة و عليها اثواب خلقة و على رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل و سبقت بها وكان في املي انني اذهب بها الى اهلي فى البرية واجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي

فبكت بكاء شديدا فدنوت منها وضربتها ضربا وجيعا واخذتها
وسرت بها الى مدينة دمشق فرآها معي تاجر فتحير عقله لما رآها
واعجبته فصاحتها واراد اشتراؤها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها
حتى بعتها له بمائة الف درهم فعند ما اعطيتها له رأيت منها
فصاحة عظيمة وبلغني ان التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها الى
الملك صاحب دمشق فاعطاه قدر المبلغ الذي دفعه اليّ مرتين وهذا
يا ملوك الزمان اعجب ماجرى لي ولعمري ان ذلك الثمن قليل
في تلك البنت فاما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت
نزهة الزمان من البدوي ماحكاه صار الضياء في وجهها ظلاما وصاحت
وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت
المقدس بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع
ماجرى لها معه في غربتها من الشدائد والضرب والجوع
والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف
وقامت الى البدوي لتقتله واذا هو صاح وقال ياملوك الزمان لاتدعوها
تقتلني حتى احكي لكم ماجرى لي من العجائب فقال لها ابن اخيها
كان ما كان يا عمتي دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك فافعلي
ماتريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن احك لنا حكاية
فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا
نعم فابتدأ البدوي يحدثهم باعجب ما وقع له وقال اعلموا اني
من مدة يسيرة ارقت ليلة ارقا شديدا وما صدقت ان الصباح
يصبح فلما اصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلّدت بسيفي
وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت اريد الصيد والقنص
فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فاخبرتهم به فقالوا

ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون و اذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها فنفرت من بين ايدينا وهي فاتحة اجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لانبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفى السماء طارت ام فى الارض غارت فرددنا روس الخيل واردنا الرواح ثم رأينا ان الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لاخير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا افيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد الياس ورددنا روس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع اصحابي وانا في اولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيولنا فاخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لانبات بعارضيه وهو كانه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كانها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها في قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد عليّ السلام فقلت يا اخا العرب اخبرني من انت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فاطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال اخبرني من انت وما الخيل التي معك فقلت انا حماد بن الفزاري الفارسي الموصوف الذى اعدّ بين العرب بخمس مائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد و القنص فادركنا العطش فقصدت انا باب تلك الخيمة لعلي اجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذلك الكلام

التفت الى الجارية المليحة وقال ائتي الى هذا الرجل بالماء وماحضر من الطعــام فقامت الجارية تسحب اذ يا لها والحجول الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلا ثم اقبلت وفي يدها اليمنى اناء من فضــة مملــوء ماء باردا وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمرا ولبنا وماحضــر من لحوم الوحوش فمــا استطعت ان آخذ من الجارية طعاما ولاشرابا من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلـــــــــــــــــــــــت

كَأَنَّ ٱلْخِضَابَ عَلَى كَفِّهَــا غُرَابٌ عَلَــى ثَلْجَةٍ وَاقِفُ
تَرَى الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ مِنْ وَجْهِهَا قَرِيبَيْنِ خَافٍ وَذَا خَائِفُ

ثم قلت للشــاب بعدان اكلت وشربت يا وجه العــرب اعلم اني اوقفتك على حقيقة خبري واريدان تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب اما هذه الجارية فهي اختي فقلت اريدان تزوجني بها طوعا والا اقتلك وآخذها غصبــا فعند ذلك اطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره اليّ وقال لي لقد صدقت في دعواك انك فارس معروف وبطل موصوف وانك اسد البيداء ولكن ان هجمتم عليّ غدرا وقتلتمـوني قهرا واخذتم اختي فان هذا يكون عارا عليكم وان كنتم على ما ذكرتم من انــكم فرسان تعدون من الابطـال ولا تبالون بالحرب والنزال فامهلوني قليلا حتى البس آلة حربي واتقلـد بسيفي واعتقــل رمحي واركب فرسي واصير انا واياكم في ميدان الحرب فان ظفرت بكم اقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بي وقتلتموني فهذه الجــارية اختي لكم فلما سمعت منه هذه الكلام قلت له ان هذا هوالانصاف وما عندنا

خبلاف ثم رددت رأس جوادي الى خلفي وقد زاد بي الجنون في محبة تلك الجارية ورجعت الى اصحابي ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذي عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكرانه يصادم الف فارس ثم اعلمت اصحابي بجميع ما في الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع في تلك الارض الّا لكونه ذا شجاعة عظيمة وانا اوصيكم ان كل من قتل هذا الغلام يأخذ اخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان اصحابي لبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت اليه اخته وتعلّقت بركابه وبلّت برقعها بدموعها وهي تنادي بالويل والثبور من خوفها على اخيها وتنشد هذه الابيات

إِلَى اللّٰهِ أَشْكُو مِحْنَةً وَكَآبَةً ... لَعَلَّ إِلٰهَ الْعَرْشِ يُرْهِقُهُمْ رُعْبَا
يُرِيدُونَ تَقْتُلَكَ يَا أُخَيَّ تَعَمُّدًا ... وَلَا شَيْءَ مِنْ قَبْلِ الْقِتَالِ وَلَا ذَنْبَا
وَقَدْ عَرَفَتْ ذَا الْخَيْلِ أَنَّكَ فَارِسٌ ... وَأَشْجَعُ مَنْ حَلَّ الْمَشَارِقَ وَالْغَرْبَا
تُحَامِي عَنِ الْأُخْتِ الَّتِي قَلَّ عَزْمُهَا ... فَأَنْتَ أَخُوهَا وَهِيَ تَدْعُولَكَ الرَّبَّا
فَلَا تَتْرُكِ الْأَعْدَاءَ تَمْلِكُ مُهْجَتِي ... وَتَأْخُذُنِي قَهْرًا وَتَأْسُرُنِي غَصْبَا
وَلَسْتُ وَحَقِّ اللّٰهِ أَبْقَى بِبَلْدَةٍ ... إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهَا وَإِنْ مُلِأَتْ خَصْبَا
وَأَقْتُلُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً ... وَأَسْكُنُ لَحْدًا فِيهِ أَفْتَرِشُ التُّرْبَا

فلما سمع اخوها شعرها بكي بكاء شديدا وردّ رأس جواده الى اخته واجابها على شعرها بقوله

قِفِي وَانْظُرِي مِنِّي وُقُوعَ عَجَائِبٍ ... إِذَا مَا الْتَقَيْنَا حِينَ أُثْخِنُهُمْ ضَرْبَا

وَإِنْ بَرَزَ اللَّيْثُ المُقَدَّمُ فِيهِمُ ... وَأَشْجَعُهُمْ قَلْبًا وَأَثْبَتُهُمْ لُبًّا
سَأَسْقِيهِ مِنِّي ضَرْبَةً ثَعْلَبِيَّةً ... وَأَتْرُكُ فِيهِ الرُّمْحَ يَسْتَغْرِقُ الكَعْبَا
وَإِنْ لَمْ أُقَاتِلْ عَنْكِ أُخْتِي فَلَيْتَنِي ... قَتِيلٌ وَلَيْتَ الطَّيْرَ تَنْهَبُنِي نَهْبَا
أُقَاتِلُ عَنْكِ مَا اسْتَطَعْتُ تَكَرُّمًا ... وَهَذَا حَدِيثٌ بَعْدَنَا يَمْلَأُ الكُتْبَا

فلما فرغ من شعره قال يا اختي اسمعي ما اقوله لك و ما اوصيك به فقالت له سمعا و طاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكّني احدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها و قالت معاذ الله يا اخي ان اراك صريعا و امكّن الاعداء مني فعند ذلك مدّ الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودّعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يافرسان هل انتم ضيفان اوتريدون الضرب و الطعان فان كنتم ضيفانا فابشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد فارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه فارس شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم ابيك فاني حالف اني ما اقتل من اسمه موافق لاسمي واسم ابيه موافق لاسم ابي فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمي بلال فاجابه الشاب بقوله

كَذَبْتَ فِي قَوْلِكَ مِنْ بِلَالِ ... وَجِئْتَ بِالزُّورِ وَبِالمُحَالِ
إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاسْتَمِعْ مَقَالِي ... أَنَا مُجَنْدِلُ الأَبْطَالِ فِي المَجَالِ
بِصَارِمٍ مَاضٍ كَمِثْلِ الهِلَالِ ... فَاصْبِرْ لِطَعْنٍ مُرْجِفِ الجِبَالِ

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يَا أَيُّهَا الْكَلْبُ رَخِيمُ الرِّجْسِ ... فَأَيْنَ غَالٍ سِعْرُهُ مِنْ بَخْسِ
وَإِنَّمَا اللَّيْثُ الْكَرِيمُ الْجِنْسُ ... مَنْ لَمْ يُبَالِ فِي الْوَغَى بِنَفْسِ

ثم لم يمهله الشاب دون ان تركه غريقا في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول

إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ وَفِي قَلْبِي لَهَبْ ... مِنْهُ أُنَادِي عِنْدَ صَحْبِي فِي الْحَرَبْ
لَمَّا قَتَلْتَ الْيَوْمَ سَادَاتِ الْعَرَبْ ... فَالْيَوْمَ لَا تَلْقَى فِكَاكًا مِنْ طَلَبْ

فلما سمع الشاب كلامه اجابه بقوله

كَذَبْتَ بِئْسَ أَنْتَ مِنْ شَيْطَانِ ... قَدْ جِئْتَ بِالزُّورِ وَبِالْبُهْتَانِ
الْيَوْمَ تَلْقَى فَاتِكَ السِّنَانِ ... فِي مَوْقِفِ الْحَرْبِ وَالطِّعَانِ

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمي هلال فانشد يقول

أَخْطَأْتَ إِذْ أَرَدْتَ خَوْضَ بَحْرِي ... وَجِئْتَ بِالزُّورِ وَكُلِّ الْأَمْرِ
أَنَا الَّذِي تَسْمَعُ مِنِّي شِعْرِي ... أَخْتَلِسُ النَّفْسَ وَلَسْتَ تَدْرِي

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرتُ اصحابي قد قُتلوا قلت في نفسي ان نزلت اليه في الحرب لم اطقه وان هربت ابقى معيرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون ان انقضّ عليّ وجذبني بيده فاطاحني من سرجي فوقعت مغشيا عليّ ورفع سيفه واراد ان يضرب عنقي فتعلقت باذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصفور

فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل اخيها و اقبلت عليه و قبلته بين عينيه ثم انه سلمني الى اخته و قال لها دونكِ واياه و احسني مثواه لانه دخل في زمامنا فقبضت الجارية على الطواق درعي وصارت تقودني كما تقود الكلب وفكت عن اخيها لامة الحرب والبسته بدلة و نصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه و قالت له بيّض الله عرضك و جعلك عدة للنائبات فاجابها بهذه الابيات

تَقُولُ وَقَدْ رَأَتْ فِي الْحَرْبِ أُخْتِي ... لَوَامِعَ غُرَّتِي مِثْلَ الشُّعَاعِ
أَلَا لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ شُجَاعٍ ... تَذِلُّ لِحَرْبِهِ أُسْدُ الْبِقَاعِ
فَقُلْتُ لَهَا سَلِي الْأَبْطَالَ عَنِّي ... إِذَا مَا فَرَّ أَرْبَابُ الْقِرَاعِ
أَنَا الْمَعْرُوفُ فِي سَعْدِي وَجِدِّي ... وَعَزْمِي قَدْ عَلَا أَيَّ ارْتِفَاعِ
أَيَا حَمَّادُ قَدْ نَازَلْتَ لَيْثًا ... يُرِيكَ الْمَوْتَ يَسْعَى كَالْأَفَاعِي

فلما سمعت شعره حرت في امري ونظرت الى حالتي و ما صرت اليه من الاسر و تصاغرت اليّ نفسي ثم نظرت الى الجارية اخت الشاب و الى حسنها فقلت في نفسي هذه سبب الفتنة و صرت اتعجب من جمالها و اجريت العبرات و انشدت هذه الابيات

خَلِيلِي كُفَّ عَنْ لَوْمِي وَعَذْلِي ... فَإِنِّي لِلْمَلَامَةِ غَيْرُ وَاعِ
كُلِفْتُ بِغَادَةٍ لَمْ تُبْدِ إِلَّا ... دَعَتْنِي فِي مَحَبَّتِهَا الدَّوَاعِي
أَخُوهَا فِي الْهَوَى أَمْسَى رَقِيبِي ... وَصَاحِبُ هِمَّةٍ وَطَوِيلُ بَاعِ

ثم ان الجارية احضرت لاخيها الطعام فدعاني الى الاكل معه ففرحت و امنت على نفسي من القتل ولما فرغ اخوها من الاكل احضرت له آنية المدام ثم ان الشاب اقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب

في رأسه واحمرّ وجهه فالتفت اليّ وقال لي ويلك يا حماد هل تعرفني ام لا فقلت وعيشك ما ازددت الاّ جهلا فقال يا حماد انا عباد بن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك ثم حيّاني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفني اني لا اخونه فحلفت له الفا وخمسمائة يمين اني لا اخونه قط بل اكون له معينا فعند ذلك امر اخته ان تاتيني بعشر خلع من الحرير فاتت بها وافرغتها على بدني وهذه بدلة منها على جسدي وامرها ان تاتيني بناقة من احسن النياق فاتتني بناقة محملة من التحف والزاد وامرها ايضا ان تحضر لي الحصان الاشقر فاحضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك واقمت عندهم ثلثة ايام في اكل وشرب والذي قد اعطاه لي موجود عندي الى الآن وبعد الثلثة ايام قال لي يا اخي يا حماد اريد ان انام قليلا لاريح نفسي وقد استأمنتك على نفسي فان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بني ثعلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس اليّ ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة اطاحت رأسه عن جثته فعلمت بي اخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على اخيها وشقّت ما عليها من الثياب وانشدت هذه الابيات

اَلى الْاَهْلِ بَلِّغْ اِنَّ ذَا اَشَأَمُ الْخَبَرْ ... وَمَا لِامْرِءٍ مِمَّا الْحَكِيمُ قَضَى مَفَرْ
وَاَنْتَ صَرِيعٌ يَا اَخِي مُتَجَنْدِلٌ ... وَوَجْهُكَ يَحْكِي حُسْنُهُ دَوْرَةَ الْقَمَرْ
لَقَدْ كَانَ يَوْمُ الشُّومِ يَوْمَ لَقِيتَهُمْ ... وَرُمْحُكَ مِنْ بَعْدِ اطِّرَادٍ قَدِ انْكَسَرْ
وَبَعْدَكَ لَا يَرْتَاحُ لِلْخَيْلِ رَاكِبٌ ... وَلَا تَلِدُ الْاُنْثَى نَظِيرَكَ مِنْ ذَكَرْ
وَاَصْبَحَ حَمَّادٌ لَكَ الْيَوْمَ قَاتِلًا ... وَقَدْ خَانَ اَيْمَانًا وَبِالْعَهْدِ قَدْ غَدَرْ

يُرِيدُ بِهٰذا أنْ يَنَـالَ مُرَادَهُ لَقَدْ كَذَبَ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ مَاأَمَرْ

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ملعون الجدين لما ذا قتلت اخي وخُتنه وكان مراده ان يردك الى بلادك بالزاد و الهدايا وكان مراده ايضا ان يزوجني لك في اول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه في الارض وطرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرّت على الارض ميتة فحزنت عليها وندمت حيث لاينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء واخذت ماخف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلي ومن خوفي وعجلتي لم التفت الى احد من اصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية اعجب من حكايتي الاولى مع البنت الخدامة التي خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينها بالظلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من البدوي هذا الكلام تبدل الضياء في عينها بالظلام وقامت جردت السيف وضربت به البدوي حمادا على عاتقه فاطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لايّ شيءٍ استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذي فسح في اجلي حتى اخذت ثاري بيدي ثم انها امرت العبيد ان يجرّوه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك اقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلثة وكان احدهما عبدا اسود فقالوا له ما اسمك انت فاصدقنا في حديثك قال انا اسمي الغضبان واخبرهم بما وقع له مع الملكة

ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذي احياني واخذت ثارامي بيدي واخبرهم ان دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذي اسمه الغضبان وبعد ذلك اقبلوا على الثالث وكان هو الجمّال الذي اكتروه اهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذي في دمشق الشام فذهب به والقاه في المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له اخبرنا انت بخبرك واصدق في حديثك فحكى له جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهو ضعيف على ان يوصله الى الشام ويرميه في المارستان وكيف جاء له اهل بيت المقدس بالدراهم فاخذها وهرب بعد ان رماه على المزبلة التي بجانب مستوقد الحمام فلما تم كلامه اخذ السلطان كان ماكان السيف وضربه فرمى عنقه وقال الحمد لله الذي احياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع ابي فانني سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقي علينا الا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فانها سبب هذه البلايا حيث اوقعتنا في الرزايا ومن لنا بها حتى ناخذ منها الثار ونكشت العار فقال له الملك رومزان عم الملك كان ماكان لا بد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وارسله الى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين واسر ملوكهم وقال اريدان تحضري عندي من كل بدّ انت والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من اكابر النصارى

من غير عسكر فان البلاد امان لانها صارت تحت ايدينا فلما وصل
الكتاب اليها و قرأته و عرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا
شديدا وتجهزت من وقتها و ساعتها للسفر هي و الملكة صفية ام
نزهة الزمان ومن صحبهم و لم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى
بغداد فتقدم الرسول و اخبرهم بحضورها فقال رومزان المصلحة
تقتضي اننا نلبس لبس الافرنج و نقابل العجوز حتى نأمن من
خداعها وحيلها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم لبسوا لباس الافرنج
فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا اني اعرفكم
لقلت انكم افرنج ثم ان رومزان تقدم امامهم وخرجوا يقابلون
العجوز فى الف فارس فلما وقعت العين فى العين ترجّل رومزان
عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه و عانقته
فقرط بيده على اضلاعها حتى كاد ان يقصفها فقالت ما هذا يا ولدي
فلم تتم كلامها حتى نزل اليهما كان ماكان والوزير دندان
وزعقت الفرسان على من معها من الجواري والغلمان واخذوهم جميعهم
و رجعوا الى بغداد وامرهم رومزان ان يزينوا بغداد فزينوها
ثلثة ايام ثم اخرجوا بالعجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى
رأسها طرطور احمر من الخوص مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادي
هذا جزاء من يتجارى على الملوك و على اولاد الملوك ثم صلبوها
على باب بغداد ولما رأى اصحابها ما جرى لها اسلموا كلهم جميعا
ثم ان كان ماكان و عمه رومزان و نزهة الزمان والوزير دندان
تعجبوا لهذه السيرة العجيبة و امروا الكتّاب ان يؤرخوها فى الكتب
حتى تقرأ من بعدهم واقاموا بقية الزمان فى ألذّ عيش واهناه الى ان
اتاهم هادم اللذات و مفرق الجماعات و هذا آخر ما انتهى الينا

من تصاريف الزمان بالملك عمر بن النعمان و ولده شركان و ولده
ضوء المكان وولد ولده كان ما كان وبنته نزهة الزمان و بنتها قضى فكان
ثم ان الملك قال لشهرزاد اشتهي ان تحكي لي شيأ من حكاية الطيور
فقالت ايها الملك لم ار الملك في طول هذه المدة انشرح صدره غير
هذه الليلة و ارجو ان تكون عاقبتك معه محمودة و كان الملك
ادركه النوم فنام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان و سالف
العصر والاوان طاؤوس يأوي الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك
الموضع كثير السباع و فيه من سائر الوحوش غير انه كثير الاشجار
والانهار و ذلك الطاؤوس هو و زوجته يأويان الى شجرة من تلك
الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش و يغدوان في طلب الرزق نهارا
ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما
يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة
كثيرة الاشجار والانهار فنزلا في تلك الجزيرة و اكلا من اثمارها
و شربا من انهارها فبينما هما كذلك و اذا ببطة اقبلت عليهما
و هي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى اتت الى الشجرة التي
عليها الطاؤوس هو و زوجته فاطمأنت فلم يشك الطاؤوس في ان
تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها و عن سبب خوفها
فقالت انني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر
من بني آدم فقال لها الطاؤوس لاتخافي حيث وصلت الينا فقالت
البطة الحمد لله الذي فرج عني همي وغمي بقربكما وقد اتيت

واعجبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاؤوس
و قالت لها اهلا و سهلا و مرحبـــا لاباس عليك و من اين يصل
إلينا ابن آدم و نحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر فمن البر
لا يقدر ان يصل الينا و من البحر لا يمكن ان يطلع علينا فابشري
و حدثيـنـــا بالذى نزل بك و اعتراك من ابن آدم فقالت البطة
اعلمي ايتها الطاؤوسة انني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لاارى
مكروها فنمت ليلة من الليالي فرأيت في منـــامي صورة ابن آدم
و هو يخـــاطبني و اخاطبه و سمعت قائلا يقول لي ايتهـــا البطة
احذري من ابن آدم ولا تغترّي بكلامه ولابما يدخله عليك فانه
كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر
كما قال فيه الشاعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــر

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ

و اعلمي ان ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار و يرمي
الطير ببندقة من طين و يوقع الفيل بمكره و ابن آدم لا يسلـــم
احد من شره ولا ينجـــومنه طير ولا وحش و قد بلغتك ما سمعته
عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعـــوبة و انا الى الآن
لا ينشـــرح صدري خوفا على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني
بحيلته ويصيدني بحبائله ولم يات عليّ آخر النهار الّا وقد ضعفت قوتي
و بطلت همتي ثم اني اشتقت الى الاكل والشـــرب فخـــرجت اتمشى
وخاطري مكدر و قلبي مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت
على باب مغارة شبلا اصفر اللـــون فلما رآني ذلك الشبل فرح بي
فرحا شديدا و اعجبه لوني وكولي لطيفة الذات فصاح عليّ و قال لي

اقربي مني فلما قربت منه قال لي ما اسمك وما جنسك فقلت له
اسمي بطة وانا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا
الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك ان والدي الاسد له
ايام وهو يحذرني من ابن آدم فاتفق انني رأيت في هذه الليلة
في منامي صورة ابن آدم ثم ان الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك
فلما سمعت كلامه قلت له يا اسد اني قد لجأت اليك في ان
تقتل ابن آدم وتجزم رأيك في قتله فاني اخاف على نفسي منه
خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفي من خوفك من ابن آدم
مع انك سلطان الوحوش وما زلت يا اختي احذر الشبل من
ابن آدم واوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي
كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه فقرقع بذنبه على ظهره ولم يزل
يتمشى وانا امشي وراءه الى مفرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد
ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة
يقمص ويجري وتارة يتمرّغ فلما رآه الاسد صاح عليه فاتى اليه
خاضعا فقال له ايها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وماسبب
قدومك الى هذا المكان فقال له يا ابن السلطان انا جنسي حمار وسبب
قدومي الى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل
انت خائف من ابن آدم ان يقتلك فقال له الحمار لا يابن السلطان
وانما خوفي ان يعمل حيلة عليّ ويركبني لان عنده شيأ يسميه
البردعة فيجعلها على ظهري وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطني
وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبي وشيأ يسميه اللجام فيجعله
في فمي ويعمل لي منخاسا ينخسني به ويكلفني ما لا اطيق من الجري
واذا عثرت لعنني وان نهقت شتمني وبعد ذلك اذا كبرت و

لم اقدر على الجري يجعل لي رحلا من الخشب ويسلمني الى السقايين فيحملون الماء على ظهري من البحر فى القرب ونحوها كالجرار ولا ازال في ذل وهوان وتعب حتى اموت فيرمونني فوق التلال للكلاب فايّ شيء اكبر من هذا الهم وايّ مصيبة اكبر من هذه المصائب فلما سمعتُ ايها الطاؤوسة كلام الحمار اقشعرّ جسدي من ابن آدم وقلت للشبل ياسيدي ان الحمار معذور وقدزادني كلامه رعبا على رعبي فقال الشبل للحمار الى اين انت سائر فقال له الحمار اني نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها انا اريدان انطلق ولم ازل اجري من شدة خوفي منه فعسى اجدلي موضعا يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل في ذلك الكلام وهو يريدان يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس ادهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدى الشبل ابن الاسد فلما رأه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك ايها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل فقال له ياسيد الوحوش انا فرس من جنس الخيل وسبب شرودى هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال له لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وانت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك وانا مع صغر جسمي قدعزمت على ان التقي مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه واسكن روع هذه البطة المسكينة واقرها في وطنها وها انت لما اتيت في هذه الساعة

قطعت قلبي بكلامك وارجعتني عما اردت ان افعله فاذا كنت انت
مع عظمك قد تهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع
انك لورفصته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كاس الردى
فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات ان اغلبه
يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم
لانه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيأً يقـــال له الشكال ويضع
في اربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبني
من رأسي في وتد عال وابقى واقفا وانا مصلوب لا اقدر اقعد ولا
انام واذا اراد ان يركبني يعمل لي شيأً في رجليه من الحديد اسمه
الركاب ويضع على ظهري شيأً يسميه السرج ويشده بحزامين من
تحت ابطي ويضع في فمي شيأً من الحديد يسميه اللجام ويضع
فيه شيأً من الجلد يسميه الصرع فاذا ركب فوق ظهرى على السرج
يمسك الصرع بيده ويقودني به ويهمزني بالركاب في خواصري
حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عن ما اقاسيه من ابن آدم
فاذا كبرت وانتحل ظهرى ولم اقدر على سرعة الجـــرى يبيعني
للطحّان ليدورني فى الطاحون فلا ازال دائرا فيها ليلا ونهارا الى ان
اهرم فيبيعني للجزار فيذبحني ويسلخ جلدى وينتف ذنبي ويبيعهما
للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس
ازداد غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار
وهو في اثري فبينمـــا الشبل يتحدث مع الفـــرس في هذا الكلام
واذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل
هائج وهو يبعبع ويخبط برجليه فى الارض ولم يزل يفعل كذلك
حتى وصل الينا فلما رآه الشبل كبيرا غليظـــا ظن انه ابن آدم

فاراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم
وانما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما انا يا اختي مع
الشبل في هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين ايادى الشبل وسلم
عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك في هذا المكان قال
جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وانت مع عظم خلقتك
وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفصته برجلك رفصة
لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم ان ابن آدم له دواهي
لاتطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع في انفي خيطا ويسميه خزاما
ويجعل في رأسي مقودا ويسلمني الى اصغر اولاده فيجرّني الولد
الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملونني اثقل الاحمال ويسافرون
بي الاسفار الطوال ويستعملونني فى الاشغال الشاقة آناء الليل والنهار
واذا كبرت وشخت اوانكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار
فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمى للطباخين ولا تسأل
عن ما اقاسي من ابن آدم فقال له الشبل ايّ وقت فارقت ابن آدم
فقال فارقته وقت الغروب واظنه يأتي عند انصرافي فلم يجدني
فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى اهج فى البراري
والقفار فقال الشبل تمهّل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف افترسه
واطعمك من لحمه واهشم عظمه واشرب من دمه فقال له الجمل
يا ابن السلطان انا خائف عليك من ابن آدم فانه مخادع ماكر ثم
انشد قول الشاعر

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام واذا بغبرة طلعت

وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجّار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده اطفال صغار وهو يهرول في مشيه ومازال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا اختي وقعت من شدة الخوف واما الشبل فانه قام وتمشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجّار في وجهه وقال له بلسان فصيح ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اسعد الله مساك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك اجرني مما دهاني وبشرّه رماني لاني ما وجدت لي نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدي الاسد وبكى وانّ واشتكى فلمّا سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له اجرتك مما تخشاه فمَن الذي قد ظلمك وما انت تكون ايها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلك ولا احسن صورة ولا افصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار يا سيد الوحوش اما انا فنجّار واما الذي ظلمني فانه ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وشخر ونخر وارتمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لاسهرنّ في هذه الليلة الى الصباح ولا ارجع الى والدي حتى ابلغ مقصدي ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له انّي ارى خطواتك قصيرة ولا اقدر ان اكسر بخاطرك لاني ذو مروءة واظن انك لا تقدر ان تماشي الوحوش فاخبرني الى اين تذهب فقال له النجار اعلم انني رائح الى وزير والدك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفا عظيما وارسل اليّ رسولا من الوحوش لاصنع له بيتا يسكن فيه ويأوي اليه ويمنع عنه عدوّه حتى لايصل اليه احد من بني آدم فلما جاءني الرسول

اخذت هذه الالواح و توجّهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجّار
اخذه الحسد للفهد فقال له بحياتي لا بد ان تصنع لي هذه الالواح
بيتا قبل ان تصنع للفهد بيته و اذا فرغتَ من شغلي فامض الى الفهد
واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له
ياسيد الوحوش ما اقدر ان اصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد
ثم اجيء الى خدمتك واصنع لك بيتا يحصنك من عدوّك فقال له
الشبل والله ما اخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لي هذه
الالواح بيتا ثم ان الشبل همّ على النجار ووثب عليه واراد ان يمزح
معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا
عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يا نجار انك ضعيف وما لك
قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره
اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه فقعد
النجار على حيله وضحك في وجهه وقال له ها انا اصنع لك البيت ثم ان
النجار تناول الالواح التي كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على
قياس الشبل وخلّى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة الصندوق
وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء كبيرا وثقب فيه ثقبا كثيرة واخرج
منها مسامير مطرفة وقال للشبل ادخل في هذا البيت من هذه الطاقة
حتى اتيسه عليك ففرح الشبل بذلك واتى الى تلك الطاقة فرآها ضيقة
فقال له النجار ادخل وابْرِك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك
ودخل الصندوق فبقي ذنبه خارجا في آخره فاراد الشبل ان يتأخر الى
ورائه و يخرج فقال له النجار امهل واصبر حتى انظر هل يسع ذنبك
معك فامتثل الشبل امره ثم ان النجار لفّ ذنب الشبل و حشاه
في الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا و سمره فصاح الشبل

قائلا يا نجـــارما هذا البيت الضيق الذى صنعته لي دعني اخـرج منه فقال له النجـــار هيهـــات هيهات لا ينفع الندم على مافات انك لا تخـــرج من هذا المكان ثم ضحك النجـــار و قال للشبل انك وقعت فى القفص و ما بقي لك خلاص من ضيق الاقفـــاص يا اخبث الوحوش فقال يا اخي ما هذا الخطاب الذي تخـاطبني به فقال له النجار اعلم يا كلب البرّ انك قد وقعت فيما كنت تخاف منه و تدرماك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا اختي علم انه ابن آدم الذي حذره منه ابوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وانا ايضا تحققت انه هو بلاشك فيه ولاريب فخفت منه على نفسي خوفا عظيما و بعدت عنه قليلا و صرت انتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا اختي ابن آدم حفر حفرة في ذلك المـــكان بالقرب من الصندوق الذي فيه الشبل و رماه في تلك الحفرة والقى عليه الحطب واحرقه بالنـار فكبريا اختي خوفي ولي يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاؤوسة من البطة هذا الكلام و ادرك شهرزاد الصبـاح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الطاؤوسة لمـا سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غـاية العجب و قالت يا اختى انك امنت من ابن آدم لاننّا في جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختارى المقام عندنا الى ان يسهل الله امرك و امرنا قالت اني اخاف ان يطرقني طارق والقضاء لا ينفك عنه آبق فقالت اقعدى عندنا و انت مثلنا ولا زالت بهـــا حتى قعدت و قالت يا اختي

انت تعلمين قلة صبري ولولا اني رأيتك هنا ما كنت تعلت فقالت
الطاؤوسة ان كان على جبيننا شيء نستوفاه و ان كان دنا اجلنا
فمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها و اجلها فبينماهما
في هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة
ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القضاء والقدر فبعد
ساعة انكشفت الغبرة و بان من تحتها ظبي فاطمأنت البطة والطاؤوسة
ثم قالت للبطة يا اختي ان الذى نظرت و حذرت منه ظبي و هاهو قد
اقبل نحونا فليس علينا منه بأس لان الظبي انما ياكل الحشايش
من نبات الارض وكما انت من جنس الطير هو الآخر من جنس
الوحوش فاطمئني ولا تهتمّي فان الهمّ ينحل البدن فلم تتم الطاؤوسة
كلامها حتى وصل الظبي اليهما يستظل تحت ظل الشجرة فلما رأى
الطاؤوسةَ والبطةَ سلم عليهما و قال لهما اني دخلت الى هذه
الجزيرة اليوم فلم ار اكثر منها خصبا ولا احسن منها مسكنا
ثم دعاهما لمرافقته و مصافاته فلما رأت البطة والطاؤوسة توددهُ اليهما
اقبلتا عليه ورغبتا في عشرته فتصادقوا و تحالفوا على ذلك و صار
مبيتهم واحدا و مأكلهم و مشربهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين
شاربين حتى مرّت بهم سفينة كانت تائهة فى البحر فارست قريبا
منهم فطلع الناس وتفرقوا فى الجزيرة فرأوا اجتماع الظبي و الطاؤوسة
والبطة فاقبلوا عليهم فلما رأتهم الطاؤوسة صعدت الى الشجرة
ثم طارت فى الجوّ وشرد الظبي فى البرية فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها
حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها
الى سفينتهم فلما رأت الطاؤوسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة
و قالت لا ارى الآفات الاّ مراصدة لكل احد ولولا هذه السفينة

ما حصل بيني و بين هذه البطة افتراق و لقد كانت من خيارالاصدقاء
ثم طارت الطاوُوسة و اجتمعت بالظبي فسلم عليها و هنّاها بالسلامة
وسألها عن البطة فقالت له قد اخذها العدوّ وكرهت المقام في تلك
الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة و انشدت تقـــول

إِنَّ يَوْمَ الْفِـرَاقِ قَطَّعَ قَلْبِي قَطَّعَ اللهُ قَلْبَ يَوْم الْفِـرَاقِ

ثم قالت ايضا هذا البيت

تَمَنَّيْتُ الْوِصَـالَ يَعُودُ يَوْمًا لِأُخْبِرَهُ بِمَـا صَنَعَ الْفِـرَاقُ

فاغتم الظبـي غمـا شديدا ثم رد عزم الطـاوُوسة عن الرحيل
فاقامت مع الظبي آمَنين آكلَين شاربين غير انهما لم يزالا حزينَين
على فراق البطة فقال الظبي للطاوُوسة يا اختي قد علمت ان الناس
الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببـا لفراقنا ولهـلاك البطة
فاحذريهم واحترسي منهـم ومن مكر بني آدم و خداعه قالت
قد علمت يقينا ان ماقتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها اني
اخاف عليك من تركك التسبيح لان كل شيء خلقه الله يسبّحه فان
غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاوُوسة
قال احسن الله صورتك واقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد
قيل ان تسبيح الظبي سبحان الديّان ذى الجبروت و السلطـان

وورد

ان بعض العبّاد كان يتعبد في بعض الجبال وكان يأوي الى ذلك
الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي سوى الجبل الذي فيه العابد وكان السبب في اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول في تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في ارغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتّت شمل الحمام وتفرّق في المدن والقرى والجبال وقيل انه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة وكان صاحب دين وعقل وعفة وكان له اغناما يرعاها وينتفع بالبانها واصوافها وكان ذلك الجبل الذي يأوي اليه الراعي كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيما في الجبل مطمئنا لا يهمه شيء من امر الدنيا لسعادته واقباله على صلوته وعبادته فقدر الله انه مرض مرضا شديدا فدخل العابد في كهف الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوي بالليل الى الكهف فاراد الله تعالى ان يختبر ذلك الراعي ويمتحنه في طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك في صورة امرأة حسناء فجلس بين يديه فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده اقشعرّ بدنه منها فقال لها ايّتها المرأة ما الذي دعاك الى المجيء هنا وليس لي حاجة بك ولا بيني وبينك ما يوجب لدخولك عندي فقالت له ايها الانسان اما ترى حسني وجمالي وطيب رائحتي اما تعلم حاجة النساء من الرجال

والرجال من النساء فما الذي يمنعك منّي و قد اخترت قربك و احببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا احد نخشاه و اريد ان اتيم معك طول مقامك في هذا الجبل واكون انيسة لك فقد عرضت نفسي عليك لانك تحتاج لخدمة النساء و انت ان باشرتني زال عنك مرضك و عادت اليك صحتك و ندمت على مافاتك من قرب النساء في سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصحي و ادن منّي فقال لها الراعي اخرجي عني ايتها المرأة الخداعة الغدارة فلا اركن اليك ولا ادنو منك ولاحاجة لي بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد فى الآخرة و من رغب فى الآخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلى بصحبتك فقالت له ايها التايه عن السداد والضالّ عن طريق الرشاد اقبل بوجهك اليّ و انظر الى محاسني و اغتنم تربي كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا اكثر منك تجربة و اصوب منك رأيا و مع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء و قربهن فما اساءهم ذلك في دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة امرك فقال لها الراعي ان كلما تقولينه نكرته و كرهته و جميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة غدّارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك اخفيته و كم من صالح فتنته و كانت عاقبته الى الندامة والخسران فارجعي عني ايتها المصلحة نفسها لفساد غيرها ثم القى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلمارأى الملك حسن طاعته خرج عنه و صعد الى السماء وكان قريبا من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى

في منامه كأن قائلا يقول له ان بالقرب منك في مكان كذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة امره فلما اصبح الصباح توجّه نحوه سائرا فلما اشتدّ عليه الحرّ انتهى الى شجرة عندها عين ماء تجري فاستراح هناك وجلس في ظل تلك الشجرة فاذا هو بوحوش وطيور اتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا منه ورجعوا وشردوا فقال العابد لا حول ولا قوة الا بالله اني لم استرح هنا الّا ضررا على هذه الوحوش والطيور فقام وقال معاتبا لنفسه لقد اضرّ بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما العذر بيني وبين خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فاني كنت سببا لشرودهم عن شربهم وعن رزقهم ومرعاهم فوا خجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجمّاء من الشاة القرناء ثم بكى وانشد يقول هذه الابيات

أَمَا وَاللّٰهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لَمَا غَفَلُوا وَنَامُوا
فَمَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ ثُمَّ حَشْرٌ وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
وَنَحْنُ إِذَا انْتَهَيْنَا أَوْ أُمِرْنَا كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيْقَاظٌ نِيَامُ

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولّى سائحا على وجهه حتى اتى الى الراعي فدخل اليه وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى فقال له الراعي ما الذي اتى بك الى هذا المكان الذي لم يدخله احد من الناس عليّ فقال له العابد اني رأيت في منامي من يصف لي مكانك ويامرني ان اسير اليك واسلم عليك فاتيتك ممتثلا لما أُمرتُ به فقبله الراعي وطابت نفسه بصحبته وجلس معه في الجبل يعبدانِ الله في ذلك الغار فحسنت عبادتهما ولم يزالا في ذلك المكان يعبدانِ

ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم والبانها متجردين عن المال
والبنين الى ان اتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما فقال الملك
يا شهر زاد لقد زهدتني في ملكي وندمتني على ما فرط مني في قتل
النساء والبنات فهل عندك شيء من حديث الطيور قالت نعم
زعموا ايها الملك ان طيرا من الطيور طار وعلا الى الجو ثم انقض
على صخرة في وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف واذا
هو برمة انسان جرها الماء حتى اسندها الى تلك الصخرة وقد
انتفخت وارتفعت فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم
فوجد فيها ضرب سيوف وطعن رماح فقال طير الماء في نفسه اظن ان
هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة فقتلوه واستراحوا منه
ومن شره ولم يزل طير الماء حائرا وهو يتعجب فبينما هو كذلك
واذا بنسور وعقبان احاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما راى
ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لاصبر لي على الاقامة
في هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه الي حين تنفد
تلك الجيفة وتروح سباع الطيور عنها ولم يزل طائرا حتى وجد
نهرا في وسطه شجرة فنزل عليها متغيرا كئيبا حزينا على فراق
وطنه وقال في نفسه ما زالت الاحزان تتبعني وكنت قد استرحت
لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق
ساقه الله الي فصار فرحي غما وسروري حزنا وهما فاخذتها وافترستها
سباع الطيور مني وحالوا بيني وبينها فكيف ارجوان اكون
سالما في هذه الدنيا من الكدر واطمئن اليها وقد قيل في المثل
الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن اليها بماله
وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق

الارض حتى يصير تحتها و يحثو عليه التراب اعز الناس اليه و اقربهم لديه وما للفتى خير من الصبر على همومها ومكارهها وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارهًا لفرقة اخواني و احبائي وخلّاني فبينما هو في فكرته واذا بذكر من السلاحف اقبل منحدرا فى الماء ودنا من طير الماء و سلّم عليه و قال يا سيدي ما الذي حجبك وابعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوّه وما احسن قول بعض الشعراء

إِذَا حَلَّ الثَّقِيْلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلسَّاكِنِيْنِ سِوَى الرَّحِيْلِ

فقال له السلحف ان كان الامر كما وصفته والحال مثل ذكرته فانا لاازال بين يديك ولا افارقك لاقضي لك حاجتك وَاِني بخدمتك فانه قيل لا وحشة اشدّ من وحشة الغريب المنقطع عن اهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعدل لها شيءٌ من المصائب واحسن ما يسلّي به العاقلُ نفسَه الاستيناس فى الغربة والصبر على الرزية والكربة وارجوان تحمد صحبتي معك واكون لك خادما ومعينا فلمّا سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت في قولك ولعمري اني وجدت للفراق الما وغما مدةَ بُعدي عن مكاني وفراقي لاخواني و خلّاني لان فى الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكّر واذا لم يجد الفتى من يسلّيه من الاصحاب ينقطع عنه الخير ابدا ويثبت الشر سرمدا و ليس للعاقل الّا التسلي بالاخوان عن الهموم في جميع الاحوال وملازمة الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على المصيبة ونوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع في كل امر فقال له السلحف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب

مروّتك وما زالا يتحدّثان مع بعضهما الى ان قال طير الماء للسلحف انا لم ازل اخشى نوائب الزمان و طوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طير الماء اقبل عليه و قبّله بين عينيه و قال له لم تزل جماعة الطير تتبرك بك و تعرف في مشورتك الخير فكيف تحمـل الهمّ والضير ولم يزل يسكّن روع طير الماء حتى اطمأنّ ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الّا عظاما فرجع و اخبر السلحف بزوال العدوّ من مكانه و قال له اعلم انّي احبّ الرجوع الى مكاني لاتملّى بخلّاني فانه لا صبر للعاقل على فراق وطنه فاتيا الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافا منه فانشد طير الماء يقـــول

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللّٰهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فَرَجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثم انهما سكنا في تلك الجزيرة فبينما طير الماء مسرورا آمنا اذ ساق القضاء اليه بازيا جائعا فضربه بمخلبه في بطنه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل و سبب قتله غفلته عن التسبيح قيل ان تسبيحه سبحان ربنا فيما قدّر و دبّر سبحان ربنا فيما اغنى و افقر هذا ما كان من حديث طير المـــاء و جوارح الطيور فقال الملك يا شهرزاد لقد زدتني بحكايتك مواعظ و اعتبارا فهل عندك شيء من حكايات الوحوش قالت نعـــم

اعلم

ايها الملك ان ثعلبا وذئبا الفا وكرًا فكانا يأويان اليه مع بعضهما ويبيتان فيه وكان الذئب قاهرا للثعلب فلبثا على ذلك مدّة من الزمان

فاتفق ان الثعلب اشار على الذئب بالرفق وترك الفساد و قال له اعلم
ان دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذوحيل
و مكر و خداع يصيد الطير من الجوّ والحوت من البحر و يقطع
الجبال و ينقلها من مكان الى مكان و كل ذلك من حيله و مكره
فعليك بالرفق والانصاف و ترك الشر والاعتساف فانه اهنى لعيشك
فلم يقبل الذئب قوله و اغلظ له الردّ و قال له مالك والكلام في
عظيم الامور و جسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخرّمنها مغشيا عليه
فلما افاق ضحك في وجه الذئب و اقبل معتذرا اليه من الكلام
الشين قائلا له هذين البيتين شعر

إِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا سَالِفًا فِي حُبِّكُمْ وَأَتَيْتُ شَيْأً مُنْكَرًا
أَنَا تَائِبٌ عَمَّا جَنَيْتُ وَعَفْوُكُمْ يَسَعُ الْمُسِيءَ إِذَا أَتَى مُسْتَغْفِرًا

فقبل الذئب عذره وكفّ عنه اشراره و قال له لاتتكلم فيما لايعنيك
تسمع مالا يرضيك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما
لا يعنيك تسمع مالا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فانا
بمعزل عن مالا يرضيك فقد قال الحكيم لا تقولن عن مالا تسأل
عنه ولا تُجِب مالا تدعى اليه و ذَرِ الذي لا يعنيك الى مايعنيك
ولا تبذلن النصيحة للاشرار فانهم يجازونك عليها شرّا فلما سمع
الثعلب كلام الذئب تبسم في وجهه و لكنه اضمر له مكرا و قال

لابد ان اسعى واكون سببا لهلاك هذا الذئب وصبر على اذى
الذئب وقال في نفسه ان البطر والافتراء يكونان سببا للهلاك
ويوقعان فى الارتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن
خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف والاداب اشرف الاكتساب ومن
الرأي مداراة هذا الباغي ولابد له من مصرع ثم ان الثعلب قال له
ان الرب يغفر للعبد المذنب ويتوب على عبده إنْ اقترف
الذنوب وانا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف ولو
علمتَ بما حصل لي من الم لطمتك لعلمت ان الفيل لا يقوم به
ولا يقدر عليه ولكنني لا اشتكي من الم هذه اللطمة بسبب ماحصل
لي بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت مني مبلغا عظيما
عاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب اوله صعب شديد
وآخره احلى من العسل المصفى فقال الذئب قد غفرت ذنبك
واقلت عثرتك فكن من قوتي على حذر واعترف لي بالعبودية
فقد علمت قهري لمن عاداني فسجد له الثعلب وقال له اطال الله
عمرك ولازلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب
مداريا مصانعا له ثم ان الثعلب اتى الى الكرم يوما فرأى في حائطه
ثلمة فانكرها وقال في نفسه ان هذه الثلمة لابد لها من سبب وقد
قيل فى المثل من رأى خرقا فى الارض فلم يجتنبه ويتوقى عن
الاقدام عليه كان بنفسه مغرورا وللهلاك متعرضا وقد اشتهر ان
بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم حتى يقدم اليه العنب
فى الاطباق لاجل ان يرى ذلك ثعلب فيقدم اليه فيقع فى الهلاك
واني ارى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل فى المثل الحذر نصف
الشطارة ومن الحذر ان ابحث هذه الثلمة وانظر لعلّي اجد عندها

مكيدة تؤدي الى التلف ولا يحملني الطمع على ان القي نفسي في الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر وتأملها فاذا هي حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم فقال لنفسه انك نلت ما املته ورأى عليها غطاء نحيفا رقيقا فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وارجو ان يقع فيها عدوي الذئب الذي نغص عيشي فيخلو لي الكرم واستقل به وحدي واعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا وانشد يقول

لَيْتَنِي ابْصَرْتُ هَذَا الْوَقْتَ فِي ذِي الْبِئْرِ ذِئْبَا
طَالَ مَاقَدْ سَاءَ قَلْبِي وَسَقَانِي الْمُرَّ غَصْبَا
لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ هَذَا أَبْقَى وَ يَقْضِي الذِّئْبُ نَحْبَا
ثُمَّ يَخْلُو الْكَرْمُ مِنْهُ وَأَرَى لِي فِيهِ نَهْبَا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى اتى الى الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيأ لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة السائغة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال اني انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قد مات وافترسه الذئب ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب في قول الثعلب وادركه الشَرَهُ فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت

شعر

أَتَطْمَعُ مِنْ لَيْلَى بِوَصْلٍ وَاِنَّمَا تُضَرِّبُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة التسليق و هدم حائط البستان و على الله تمام الاحسان فاقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة هوى فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح و زال عنه الهم والترح و اطرب بالنغمات و انشد هذه الابيات

رَقَّ الزَّمَانُ لِحَالَتِي ... وَرَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي
وَ أَنَالَنِي مَا أَشْتَهِي ... وَ أَزَالَ مِمَّا أَتَّقِي
فَلَأَصْفَحَنَّ عَمَّا جَنَاهُ ... مِنَ الذُّنُوبِ السُّبَّقِ
فَالذِّئْبُ لَيْسَ لَهُ خَلَاصٌ ... مِنْ هَلَاكٍ مُوبِقِ
وَالْكَرْمُ لِي وَحْدِي وَمَا ... لِي مِنْ شَرِيكٍ أَحْمَقِ

ثم انه نظر في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندما و حزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له أَمِن رحمتك لي بكيت يا ابا الحصين قال لا والذي قذفك في هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضي واسفا على كونك لم تقع في هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعي بك لكنت ارحت و استرحت و لكن ابقيت الى اجلك المحتوم و وقتك المعلوم فقال له الذئب كالمازح ايها المسيء في فعله رح لوالدتي واخبرها بما حصل لي لعلها تحتال على خلاصي فقال له الثعلب لقد اوقعك في الهلاك شدة طمعك و كثرة حرصك حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم الم تعلم ايها الذئب الجاهل ان صاحب المثل السائر يقول من لم يفكر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلب . يا ابا الحصين انما كنت تظهر محبتي

وترغب في مودتي وتخاف من شدة قوتي فلا تحقد عليّ بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان اجره على الله وقد قال الشـــــاعر

اِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مَا خَابَ قَطُّ جَمِيلٌ اَيْنَمَا زُرِعَا
اِنَّ ٱلْجَمِيلَ وَاِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَلَيسَ يَحْصُدُهُ اِلَّا الَّذِي زَرَعَا

فقال له الثعلب يا اجهل السبـــاع واحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبّرك وعتوك و تكبرك و انت لم ترع حق المعاشرة و لم تنتصح بقول الشـــــــــــــــاعر

لَا تَظْلِمَنَّ اِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا اِنَّ الظَّلُومَ عَلَى حَدٍّ مِنَ النِّقَمِ
تَنَامُ عَيْنَيْكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللّٰهِ لَمْ تَنَمِ

فقال له الذئب يا ابا الحصين لاتؤاخذني بســابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من احسن الذخائر و ما احسن قول الشـــــــــــــــــاعر

بَادِرْ بِخَيْرٍ اِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ اَنْتَ مُقْتَدِرًا

و لم يزل الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شيء تخلصني به من الهلاك فقال له الثعلب ايها الذئب الجاهل المغرور الماكر الغادر لاتطمع فى الخلاص فان هذا جزاء لقبيح فعلك وقصاص ثم ضحك بالشدقين وانشد هذين البيتيـــــــــــن

لَا تُكْثِـــرَنَّ خِــدَاعِي فَلَــنْ تَنَـالَ مَنَـــالَا
مَا رُمْتَ مِنِّي مُحَـــالٌ زَرَعْتَ فَاحْصُـــدْ وَبَالَا

فقال له الذئب يا حليم السباع انت عندي اوثق من ان تسلمني في هذه

الحفرة ثم بكى واشتكى وافاض دمع العينين وانشد هذين البيتين

يَامَنْ اَيَادِيهِ عِنْدِي غَيرُ وَاحِدَةٍ وَمَنْ مَوَاهِبُهُ تَنْمُو عَنِ الْعَدَدِ
مَا نَابَنِي مِنْ زَمَانِي قَطُّ نَائِبَةٌ اِلَّا وَجَدْتُكَ فِيهَا آخِذًا بِيَدِي

فقال له الثعلب ايها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وتملقت لك لارغبة في احسانك والآن نزلت بك الرجفة وحلت بك النقمة وانشد هذين البيتين

يَا اَيُّهَا الْمُلْتَمِسُ الْخَدِيعَة وَقَعْتَ فِي نِيَّتِكَ الشَّنِيعَة
فَذُقْ وَبَالَ الْمِحْنَةِ الْفَظِيعَة وَكُنْ مَعَ الذِّيَابِ فِي قَطِيعَة

فقال له الذئب ايها الحليم لاتكن بلسان اهل العداوة ناطقا وبعينهم محدقا وكن وافيا بعهد ائتلافي قبل ان يفوت وقت التلافي وقم وتسبب لي في حبل تشدّ طرفه في شجرة وتدلي طرفه الآخر اليّ حتى اتعلّق به لعلّي انجو مما انا فيه وادفع لك جميع ماحوته يدي من الذخائر فقال له الثعلب لقد اكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا تطمع في ذلك فلن تنال مني ما تمسك به نفسك واذكر ما سلف من سوء فعلك وما تضمره لي من الغدر والمكر واين انت من الرجم بالحجارة واعلم بان ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فبئس القرار فقال له الذئب يا ابا الحصين كن قريب الرجوع الي الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم ان من خلص نفسا من الهلاك فقد احياها ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء نهوا عنه

ولافســاد اظهر من كوني في تلك الحفـرة اتجرع غصص الموت
و انظر الى الهلاك و انت قادر على خلاصي من الار تبــاك فجد
عليّ بالخلاص وافعل معي جميلا فقال له الثلعب ايّها الفظّ الغليظ
انّي اشبهك في حسن علانيتك وقولك واقيس قبح نيتك وفعلك
بالبازي مع الحجل فقال الذئب و كيف ذلك فقال الثعلب دخلت
يوماكرما لآكل من عنبه فبينمــا انا فيه اذ رأيت بأزيا انقضّ على
حجل فلما علقه واقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وَكْره واختفى
فيه فتبعه البأزي وناداه ايها الجاهل اني رأيتك في البرية جائعــا
فرحمتك والتقطتُ لك حبّا وامسكتـك لتأكل فهربت مني و
لــم اعرف لهروبك وجهــا الاّ الحرمان فاظهر وخذ ما آتيتك به
من الحب فكله هنيأ مريأ فلما سمع الحجل قول البأزي صدقه وخرج
اليه فانشب مخالبه فيه ومكّنها منه فقال له الحجل اهذا الذى ذكرتَ
انك اتيت لي به من البزية و قلتَ لي كله هنيأ مريأ فكذبت عليّ
جعل الله ما تأكله من لحمي في جوفك سما قاتلا فلما اكله و قع
ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم ايها الذئب
ان من حفر لاخيــه قليبــا وقع فيه قريبــا و انت غدرت بي
اوّلا فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الا مثال
ولا تذكرلي ماسلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما انا فيه من سوء
الحال لاني قدحصلت فيموضع يرثي لي منها العدو فضلاعن الصديق
واصنع لي حيلة اتخلّص بهــا وكن فيهــا غيــاثي وان كان عليك
في ذلك مشقة فقد يتحمّل الصديق لصديقه اشد النصب ويخاطر
بنفسه فيمــا فيه نجاته من العطب فقد قيل ان الصــديق الشفيق
خير من الاخ الشقيق فان تسببتَ في نجاتي ونجوتُ لاجمعن لك

من الآلة مايكون لك عدّة ثم لا علمنك من الحيل الغـــريبة ماتفتح به الكروم الخصبة وتجنى الا شجار المثمرة فطب نفسا وقرّ عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما احسن ما قالته العلمـــاء في كثير الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلمـــاء قال الثعلب ذكر العلماء ان الغليظ الجثة الغليظ الطبع يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل و اما قولك ايها المغرور الماكر الاحمق قد يتحمل الصديق المشقة في تخليص صديقه صحيح كما ذكرت و لكن عرفني بجهلك و قلة عقلك كيف اصادقك مع خيانتك احسبتني لك صديقا و انا لك عدوٌ شامت و هذا الكلام اشد من القتل و رشق السهـــام ان كنت تعقـل و اما قولك تدفع لي من الآلة ما يكون عدة لي و تعلمني من الحيل ما اصل به الى الكروم المخصبة واجتني به الاشجار المثمرة فمالك ايها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما ابعدك من المنفعة لنفسك وما ابعدني من القبـــول لنصيحتك فان كان عندك حيلة فتحيـــل لنفسك فى الخـلاص من هذا الامر الذي اسأل الله ان يبعد خلاصك منه فانظر ايهـــا الجاهل ان كان عندك حيلة فخلّص نفسك بها من القتل قبل ان تبذل التعليـــم لغيرك و لكنك مثل انسان نابه مرض فاتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك ان اداويك من مرضك فقال له الـرجل هل لابدأت بنفسك بالمداواة فخلاه وانصرف وانت ايها الذئب الجاهل كذلك فالزم مكانك و اصبر على ما اصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انـــه لاخير له عنده فبكى على نفسه و قال قد كنتُ في غفلـــة من امري فان خلصني الله من هذه الكـــربة لأتوبنّ من تجبّري على من هو اضعف مني ولالبسنّ الصوف ولا صعدنّ

على الجبل ذاكرًا لله تعالى خائفـــا من عقابه و اعتزل سائر الوحوش ولا طعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى و انتحب فرقّ له قلب الثعلب وكأنه لمـــا سمع تضرعه والكلام الذي يدل على توبته من العتو والتكبر اخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفـرة ثم جلس على رجليـه و ادلى ذنبـه فى الحفـــرة فقام الذئب و مدّيده الى ذنب الثعلب و جذبه اليه فصار فى الحفرة معه فقال له الذئب ايهـــا الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بي وقد كنت صاحبي و تحت قهري وقد وقعت معي فى الحفرة وتعجّلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير احدكم اخاه برضاع كلبة لارتضعها وما احسن قول الشاعـــر

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَـــرَّ عَلَى أُنَاسٍ   كَلَاكِلَــهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَـــا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَـــا أَفِيقُوا   سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَـــا

و الموت في جمع احسن اشياء فلا عجّلنّ قتلك قبل ان ترى قتلي فقال الثعلب في نفسه آه آه اني وقعت مع هذا الجبار و هذا الحال يحتاج الى المكر والخداع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة و فى المثل ما ادخرتك يا دمعتي الا لشدتي وان لم اتحيل في امر هذا الوحش الظالم هلكت لامحالة وما احسن قول الشاعر

عِشْ بِالْخِـــدَاعِ فَأَنْتَ فِي   زَمَنٍ بَنُـــوهُ كَأُسْدِ بِيشَه
* وَ أَدِرْ قَنَـــاةَ الْمَكْرِ حَتَّـــى تَسْتَدِيرُ رحَى الْمَعِيشَه
* وَ اجْنِ الثِّمَـــارَ فَإِنْ تَفُتْـــكَ فَرَضِّ نَفْسَكَ بِالْحَشِيشَه

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل عليّ بالقتل فليس هذا جزائي
فتندم ايها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان تمهلت
و امعنت النظر فيما احكيه لك عرفت قصدي الذي قصدته وان
عجلت بقتلي فلا يحصل في يدك شيء و نموت جميعا ههنا
فقال له الذئب ايها الخادع الماكر وما الذي ترجوه من سلامتي
و سلامتك حتى تسألني التمهل عليك فاعلمني و اخبرني بقصدك
الذي قصدته فقال له الثعلب امّا قصدي الذي قصدته فما ينبغي
ان تحسن عليه مجازاتي لانّي لما سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك
بما سلف منك و تلهفك على مافاتك من التوبة و فعل الخير
و سمعتُ ما نذرته على نفسك ان نجوت مما انت فيه من كف
الاذى عن الاصحاب و غيرهم و تركك اكل العنب و سائر الفواكه
و لزومك الخشوع و تقليم اظفارك و تكسير انيابك و لبس الصوف
و تقريبك القربان لله تعالى اخذتني الشفقة عليك فان خير القول
اصدقه مع انّني كنتُ على هلاكك حريصا فلما سمعتُ منك توبتك
وما نذرته على نفسك ان نجاك الله لزمني لك الخلاص مما انت
فيه فادليت اليك ذنبي لكيما تتعلق به و تنجو فلم تترك الحالة
التي انت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك
بالرفق بل جذبتني جذبة ظننت منها ان روحي قد خرجت
فصرت انا و انت في منزلة الهلاك و الموت و ما ينجيني
وانت الّا شيء ان قبلته مني خلصت انا وانت وبعد ذلك يجب
عليك ان تفي بما نذرته و اكون رفيقك فقال له الذئب و ما الذي
اقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم اَعْلُو انا فوق رأسك حتى
اساوي قريب ظهر الارض فاهمز فاصير فوقها واخرج انا وآتيك بما

تتعلق به وتخلص انت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لانّ الحكماء قالوا من استعمل الثقة في موضع الحقد كان مخطئا ومن وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرّب المجرّب حلت به الندامة وذهبت ايامه ضياعا ومن لم يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظّها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قلّ حظه وكثرت مصائبه وما احسن قول الشاعر

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ إِلَّا سَيِّئًا ... إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الْفِطَنْ
مَارَمِي الْإِنْسَانُ فِي مَهْلَكَةٍ ... مِثْلَ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالظَّنِّ الْحَسَنْ

وقول الآخر

اِلْزَمْ يَقِينَكَ سُوءَ الظَّنِّ تَنْجُ بِهِ ... مَنْ عَاشَ مُسْتَيْقِظًا قَلَّتْ مَصَائِبُهُ
وَالْقِ الْعَدُوَّ بِوَجْهٍ بَاسِمٍ طَلِقٍ ... وَانْصِبْ لَهُ فِي الْحَشَى جَيْشًا يُحَارِبُهُ

وقول الآخر

أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ ... فَحَاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مُعْجِزَةٌ ... فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

فقالت له الثعلب ان سوء الظنّ ليس بمحمود في كل حال وحسن الظن من شيم الكمّال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغي لك ايها الذئب ان تعمل حيلة على النجاة مما انت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان احسنت الظن فالامر على وجهين اما ان آتيك بما تتعلق به وتنجو مما انت فيه واما ان اغدر بك فاخلص وادعك وهذا مما لا يمكن فاني لا آمن ان ابتلي بشيء مما ابتليتَ به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل في الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغي ان تثق بي فاني

لم اكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر
اضيق من ان نطيل فيه الكلام فقال الذئب ان مع قلة ثقتي بوفائك
قد عرفت ما في خاطرك من انك اردت خلاصي لما سمعت من
توبتي فقلت في نفسي ان كان محقا فيما زعم فانه استدرك ما افسد
وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها انا اقبل منك ما اشرت به عليّ
فان غدرت بي كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما
في الحفرة واخذ الثعلب على اكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فقفز
الثعلب عن اكتاف الذئب فصار على وجه الارض فلما صار
خارج الحفرة وقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلي لا تغفل عن
امري ولا تؤخر خلاصي فضحك الثعلب وقهقه وقال ايها المغرور
لم يوقعني في يديك الا عقوبة المزح معك والسخرية بك وذلك اني
لمّا سمعتُ توبتك استخفّني الطرب والفرح فتطيت وطربت ورقصت
فتدلى ذنبي في الحفرة فجذبتني فوقعت عندك ثم انقذني الله تعالى
منك فما لي لا اكون عونا على هلاكك لانك من حزب الشيطان
واني رأيت البارحة في منامي اني ارقص في عرسك فقصصت الرؤيا على
معبّر فقال لي انك تقع في ورطة وتنجو منها فعلمت ان وقوعي في
يدك ونجاتي هو تأويل رؤياي وانت تعلم ايها المغرور الجاهل
انني عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك في انقاذي اياك
مع ما سمعت من غلظ كلامي وكيف اسعى في نجاتك وقد قالت
العلماء ان في موت الفاجر راحة للناس وتطهيرا للارض ولولا مخافة
ان احتمل من الالم في الوفاء لك ما هو اعظم من الم الغدر لتدبرت
في خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عضّ على كفه ندما وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الذئب لما سمع كلام الثعلب عضّ
على كفه ندما ثم ليّن له الكلام ولم يجد بدا من ذلك فلم ينفع
عنده شيأ فقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من احلى القوم
لسانا والطفهـــا مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن
اللعب و المـــزاح فقال الثعلب ايها الجـــاهل ان للمـــزاح حدا
لايجاوزه صاحبه فلاتظنّ ان الله يمكّنك منّي بعد ان انقذني من
يديك فقال له الذئب انك لجدير ان ترغب في خلاصي لمـــا بيننا
من سابق المواخاة والصحبة وان خلصتني لابد ان احسن مكافأتك
فقال الثعلب ان الحكمـــاء قالوا لاتواخ الجـــاهل الفاجر فانه يشينك
ولايزينك ولاتواخ الكـــذاب فانه ان بدا منك خير اخفـــاه وان
بدا منك شر افشاه وقالت الحكماء لكل شيء حيلة الا الموت ويصلح
كل شيء الافســـاد الجـــوهر وقد يدفع كل شيء الا القـــدر واما
من جهة المكافأة التي زعمت اني استحقها منك فاني شبّهتك في
مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوي اذ رآها رجل وهي مرعوبة فقال
لها ما شانك ايتها الحية فقالت هربت من الحاوي فانه يطلبني ولئن
انجيتني منـــه واخفيتني عندك لاحسنن مكافأتك واصنع معك
كل جميل فاخذها اغتناما للاجر وطمعا فى المكافأة فادخلها
في جيبه فلما فات الحـــاوي ومضى الى حال سبيله وزال عن الحية
ماكانت تخافه قال لها الرجل اين المكافأة فقد انجيتك مما تخافين
وتحذرين فقالت له الحية اخبرني في اي عضو وفي اي موضع انهشك
فقد علمت اننا لانتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منهـــا

وانت ايها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل اما سمعت قول الشاعر

لَا تَأْمَنَنَّ فَتًى اَسْكَنْتَ مُهْجَتَهُ غَيظًا وَتَحْسِبُ اَنَّ الْغَيظَ قَدْ زَالَا
اِنَّ الْاَفَاعِي وَاِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا تُبْدِى انْعِطَافًا وَتُخْفِى السَّمَّ قَتَّالَا

فقال له الذئب ايها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت اني اهجم على الحصون واقلع الكروم فافعل ما امرتك به وقم بي قيام العبد بسيده فقال له الثعلب ايها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل اني تعجبت من حمقك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كانني عبدك اشتريتني بمالك فسوف ترى ما يحل بك من شدخ رأسك بالحجارة وكسر انيابك الغدارة ثم وقف الثعلب فوق تل يشرف على الكرم فصاح الثعلب على اهل الكرم ولم يزل يصيح حتى نبههم وبصروا به واقبلوا عليه بجمعهم مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفيرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر اصحاب الكرم فى الحفيرة فرأوا الذئب فيها فمالوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه باسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وجعل ينشد هذه الابيات

اَوْدَى الزَّمَانُ بِنَفْسِ الذِّئْبِ فَاخْتَطَفَتْ بُعْدًا وَسُحْقًا لَهَا مِنْ مُهْجَةٍ تَلِفَتْ
فَكَمْ سَعَيْتَ اَبَا سِرْحَانَ فِي تَلَفِي فَالْيَوْمَ حَلَّتْ بِكَ الْآفَاتُ وَالْتَصَقَتْ
وَقَعْتَ فِي حُفْرَةٍ مَا حَلَّهَا اَحَدٌ اِلَّا وَفِيهَا رِيَاحُ الْمَوْتِ قَدْ عَصَفَتْ

ثم ان الثعلب اقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا الى ان اتاه الموت و هذا ما كان من حديث الذئب والثعلب

ومما يحكى

ان فأرة و بنت عرس كانا ينزلان منزلا لدهقان وكان ذلك الدهقان فقيرا وقد مرض بعض اصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فطلب من بعض اصحابه سمسما يقشره لمرض اصابه فاعطا قدرا من السمسم لذلك الدهقان الفقير ليقشره له فاتى به الى زوجته وامرها باصلاحه فبلّته ونشرته وخففته واصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم اتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت اكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحا فوقفت تتعجب فجلست ترصد من يأتي اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت في نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة واني اخشى من تلك المرأة ان تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ولا بدّلي ان اعمل عملا حسنا اظهر به براءتي واغسل به جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في بيتها وتخرجه وتجيء به وتضعه على السمسم فوافتها المرأة ورأتها وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ماهذه سبب نقصه لانها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد احسنت الينا في رد السمسم وما جزاء من احسن الا ان يحسن اليه وليست هذه آفة فى السمسم ولكن لا ازال ارصده حتى يقع واعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة وقالت لها يا اختي انه لا خير فيمن لا يراعى المجاورة

ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وانعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت اتى بسمسم فاكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه كثيرا وقد اخذ منه كل ذي روح فلو اخذت انت الاخرى كنت احق به ممن اخذ منه فاعجب الفأرة ذلك وزقزقت ورقصت ولعبت آذانها وذنبها وغرها الطمع فى السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مجففا مقشورا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر الفأرة في عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها الى ان دخلت فى السمسم وخالطته وعاشت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان سبب هلاكها الطمع وغفلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه احدوثة مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة وحفظها عند الشدة في التخلص من الهلكة قالت نعم

بلغني

ان غرابا وسنورا كانا متآخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذرأ يانمرا مقبلا على تلك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى اعلى الشجرة وبقي السنور متحيرا فقال للغراب ياخليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوان عند الحاجة اليهم فى الحيلة عند نزول المكروه بهم وما احسن قول الشاعر

إِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكْ   وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وَمَنْ اِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكَ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ

وكان قريبا من الشجرة رُعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا وتبعته الكلاب وصارت في اثره فرفع الراعي رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لايطير الا بقدر النجاة والخلاص من الكلاب ويطمعها في ان تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبتْ عليه فولى هاربا وكان يظن انه يأكل القط فنجى منه ذلك القط بحيلة صاحبه الغراب فهذه الحكاية ايها الملك تدل على ان مودة اخوان الصفا تخلص وتنجي من الهلكات والوقوع في المعاطب

و حكي

ان ثعلبا سكن في بيت من الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده اكله من الجوع وان لم ياكل ولده وخلاه ويقعد عنده ويحفظه ويحرسه مات من الجوع واضربه ذلك وكان يأوي الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه اريد ان اعقد بيني وبين هذا الغراب مودة واجعله لي مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على ما لا اقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له ياجاري ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم يا خليلي بانك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على ان في صدري وديعة من محبتك دعتني الى

ملا طفتك وبعثتني على التماس اخوتك فما عندك من الجواب فقال له الغراب للثعلب ان خير القول اصدقه وربّما تتحدّث بلسانك ماليس في قلبك واخشى ان تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعدا وتك فى القلب باطنا لانك آكل وانا مأكول فوجب لنا التباين فى المحبة والموا صلة فما الذى دعاك الى طلب مالاتدرك وارادة مالا يكون وانت من جنس الوحش وانا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تتم ولاتصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاجلاء فاحسن الاختيار فيما يختاره منها ربما يصل الى منافع الاخوان وقد احببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا لبعض على اغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندى حكايات في حسن الصداقة ان اردت ان احكيها حكيتها لك فقال الغراب قد اذنت لك في ان تبثّها فقل وحدثنى بها حتي اسمعها واعيها واعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلي يحكى عن برغوث وفأرة ما يستدلّ به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب

زعموا

ان فارة كانت في بيت رجل من التجار عظيم التجارة كثير المال فأوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك التاجر فوجد له بدنا ناعما وكان البرغوث عطشانا فشرب من دمه فوجد التاجر من البرغوث الما فاستيقظ من النوم فجلس قاعدا ونادى لجواريه وبعض اتباعه فاسرعوا اليه وشمّروا عن ايديهم يطوفون على البرغوث فلما احس البرغوث بالطلب ولّى هاربا فصادف جحرالفأرة فدخله فلما رأته الفأرة قالت له ما الذي ادخلك عليّ ولست من جوهري ولا من جنسي ولست بآمن من الغلظة عليك ولاالمنازعة اليك

ولا مضاررتك فقال لها البرغوث اني هربت في منزلك و فزت بنفسي من القتل و اتيتك مستجيرا بك ولا طمع لي في بيتك ولا يلحقك مني شرّ يدعوك الى الخروج من منزلك و اني ارجوان اكافئك على احسانك اليّ بكل جميل و سوف تجدين و تحمدين عاقبة ما اقول لك فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفأرة لما سمعت كلام البرغوث قالت اذا كان الكلام على ما رسمت و اخبرت فاطمئنّ هنا وما عليك الّا مطر السلامة ولا تجد الّا ما يسرّك ولا يصيبك الا ما يصيبني و قد بذلت لك مودتي ولا تندم على مافاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه و ارض بما تيسر لك ببلغة من العيش فان ذلك اسلم لك وقد سمعت ايها البرغوث بعض الشعراء من الوعاظ يقول هذه الابيات شعر

سَلَكْتُ الْقَنَاعَةَ وَالإِنْفِرَادَ وَ قَضَّيْتُ دَهْرِي بِمَاذَا اتَّفَقْ
بِكِسْرَةِ خُبْزٍ وَ شِرْبَةِ مَاءٍ وَ مِلْحٍ جَرِيشٍ وَثَوْبٍ خَلِقْ
فَإِنْ يَسَّرَ اللّٰهُ فِي عِيشَتِي وَ إِلَّا قَنَعْتُ بِمَا قَدْ رُزِقْ

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال يا اختي قد سمعت وصيتك و انا منقاد الى طاعتك ولا قوة لي على مخالفتك الى ان ينقضي العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفأرة كفى بصدق المودة صلاح النية فاتصل الودّ و انعقد بينهما و كان البرغوث بعد ذلك يأوي الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوي بالنهار مع الفأرة في مسكنها

فاتفق ان التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما
سمعت الفأرة صوت الدنانير اطلعت رأسها من جحرها و جعلت تنظر اليها
حتى وضعها التاجر تحت وسادة و نام فقالت الفأرة للبرغوث اما ترى
الفرصة الممكّنة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ
الغرض من تلك الدنانير فقال البرغوث انه لا يحسن لمن طلب
الغرض الا ان يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذرة
ولم يدرك مراده مع الضعف و ان استحكمت قوة المحتال كالعصفور
الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صائده و ليس لك قوة
على اخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت و انا لا طاقة لي على ذلك
بل ولا اقدر على حمل دينار واحد منها فانت و شأنك بالدنانير
فقالت له الفأرة اني اعددت في جحري هذا سبعين منفذا اخرج
منه اذا طلبت الخروج واعددت للذخائر موضعا حريزا و ان تحيلت
انت و اخرجته من البيت فلست اشك فى الظفر ان ساعدني القدر
فقال لهـــا البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق
البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة مفزعة لم يكن تقدّم منه للتاجر
مثلها و تنحى البرغوث الى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر فانتبه
التاجر يطلبه فلم يجده فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة
اشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه و خرج الى مصطبة على باب
دارة فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفأرة اقبلت على نقل
الدنانير حتى لم تترك منها شيأ فلمّا اصبح الصباح صار التاجر يتّهم
النّاس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم اني لم اقل لك
هذا الكلام ايها الغراب البصير العاقل الخبير الا لاجل ان يصل اليك
جزاء احسانك اليّ كمـــا وصل للفأرة جزاء احسانها الى البرغوث

فانظر كيف جازاها وكافأها باحسن المكافأة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن اولا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان احسنتُ اليك مع كونك عدوي اكون قد تسببت في تطيعة نفسي وانت ايها الثعلب ذو مكر وخداع ومَنْ شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا امان له وقد بلغني عنك من قريب انك غدرت بصاحب لك وهو الذئب ومكرت به حتى اهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع انه من جنسك وقد صحبتَه مدة مديدة فما ابقيت عليه فكيف اثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذي من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوّك الذي من غير جنسك وما مثالك معي الا مثال الصقر مع ضوارى الطير فقال الثعلب وكيف ذلك فقال الغراب

زعموا

ان صقرا كان جبّارا عنيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغراب قال زعموا ان صقرا كان جبّارا عنيدا في ايام شبيبته وكانت تفزع منه سباع الطير وسباع البر ولا يسلم من شره احد وله وقائع كثيرة في ظلمه وتجبّره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مرّت عليه السنون ضعفت قوته وانهد حيله وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فاجمع رأيه على ان يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قُوْته بالحيلة بعد القوة

والشدة وانت كذلك ايها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولستُ اشكّ في ان ما تطلبه من صحبتي حيلة على قُوْتك فلا كنت ممن يطرح ويضع يده في يدك لان الله اعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي وبصرا في عيني واعلم ان من تشبّه باقوى منه تعب وربما هلك وانا اخاف عليك ان تشبهت بمن هو اقوى منك ان يجري لك ما جرى للعصفور فقال له الثعلب واي شيءٍ جرى للعصفور فبالله عليك ان تحدثني بحديثه فقال الغراب

بلغني

ان عصفورا كان طائرا بمراح غنم فنظر الى هذا المراح ووقف يتأمل فيه واذا بعقاب كبير انقضّ على رميس من صغار اولاد الغنم فاختطفه بين مخالبه وطار فلما رآه العصفور رفرف بجناحه وقال انا افعل مثل ما فعل هذا واعجبته نفسه وتشبه بمن هو اكبر منه فطار لوقته وانقضّ على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصار صوفه مثل البزاق فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه في الصوف فاراد ان يطير فلم يستطع ان يخلص نفسه وقد حصل كل هذا والراعي ينظر ماجرى من العقاب اوّلا وماجرى للعصفور ثانيا فجاء الراعي الى العصفور غضبانا فقبضه ونتف ريش اجنحته وربط في رجليه خيطا واتى به الى اولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ما هذا فقال هذا تشبّه بمن هو اعلى منه فهلك وانت كذلك ايها الثعلب احذرك ان تتشبّه بمن هو اقوي منك فتهلك هذا ما عندى من الكلام فاذهب عني بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئنّ وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب

بكاءه وأنّه ورأى كآبته وحزنه قال ايها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب انّما قرعت سنّي لاني رأيتك اخدع مني ثم انه ولّى هاربا ورد راجعا ولجحره طالبا وهذا ما كان من حديثهما ايها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما احسن هذه الحكايات واطيبها هل عندك شيء مثلها من الموعظات قالت

ويحكى

انّ قنفذا اتّخذ مسكنا بجانب نخلة وكان قد الفها الورشان وزوجته وعشّشا فيها وسكنا بها في عيش رغيد فقال القنفذ في نفسه ان الورشان وزوجته يأكلان من ثمر النخلة وانا لا اجد الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال الحيلة عليهما ثم حفر في اسفل النخلة بيتا واتخذه مسكنا له ولزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه واظهر النسك والعبادة وترك الدنيا فكان الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له من شدة زهده وقال له كم سنة وانت هكذا فقال من مدة ثلثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لاجل ان ارشد الضال واعلم الجاهل قال له الورشان كنت اظن انك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ اني اخشى ان يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال اني اخشى ان لا تبلغني الايام امنيتي فاكون قد بدأت باضاعة المال وسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تخلفه ومات اسفا وحزنا فقال الورشان للقنفذ وماذا اصنع حتى اتخلص من علائق الدنيا وانقطع

الى عبادة ربي فقال له القنفذ خذ فى الاستعداد للمعاد والقناعة بالكفاف
من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وانا طائر لا استطيع ان اتجاوز
النخلة التي فيها قوتي ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا استقر فيه
فقال القنفذ يمكنك ان تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام
انت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك
ثم مِلْ الى مانثرته من الثمر فانقله جميعه وادخره قوتا للعدم
واذا فرغت الثمار وطال عليك المطال صر الى كفاف من العيش
فقال الورشان جزاك الله خيرا بحسن النية حيث ذكرتني بالمعاد
وهديتني الى الرشاد ثم تعب الورشان وزوجته في طرح الثمر حتى
لم يبق فى النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه
من الثمر وادخره لقوته وقال في نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا
احتاجا الى مؤنتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا الى تزهدي
وورعي فاذا سمعا نصيحتي ووعظي دنيا مني فاقتنصهما وآكلهما
ويخلو لي هذا المكان وكلما تساقط من ثمر النخلة يكفيني ثم ان
الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد ان نثرا ما عليها
من الثمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك الى جحره فقال له الورشان ايها
القنفذ الصالح والواعظ الناصح انا لم نجد للثمر اثرا ولا نعرف لقوتنا
غيره ثمرا فقال لعله طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى الرازق
عين الفلاح فالذي شق الاشداق لا يتركها بلا ارزاق وما زال يعظهما
بتلك المواعظ ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا اليه
واقبلا عليه ودخلا باب وكره وامنا من مكره فوثب الى الباب وقرع
الانياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لانحة قال له اين الليلة
من البارحة اما تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة

لئلا يصيبك ما اصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفل وكيف ذلك قـــــــال

بلغني

ان تاجرا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشد احمالا وجهز متاعا وخرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة فحملا ما حضرهما من مال ومتاع واظهرا للتاجر انهما من التجار وسارا معه فلمـــا نزلا اول منزل اتفقـــا على المكر به واخذ مامعه ثم ان كلواحد منهما اضمر المكر لصاحبه والغدر به وقال كل واحد منهما في نفسه لو غدرتُ بصاحبي لصفى لي الوقت واخذت جميع هذا المال ثم اضمرا لبعضهما على نية فاسدة واخذ كل منهما طعاما وجعل فيه سما وفعل الآخر مثله في طعـامه وقدم كل واحد منهما طعامه لصاحبه فأكلا من ذلك فماتا جميعا وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما غابا عنه وابطأا عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم انهما كانا محتالين واراد المكربه فعاد مكرهما عليهما وسلم التاجر واخذ ما كان معهما فقال الملك لقد نبهتني يا شهـر زاد على كل شيء كنتُ غافلا عنه فتزيديني من هذه الامثال قـــــــات

بلغني

ايهـــا الملك ان رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الـــرجل سارقا لا يدخل الى سوق من اسواق المدينة التي هو فيها الا وينصرف منه بكسب عظيم فـــاتفق انه رأى يوما رجلا يحمل اثوابا مقطعة ليبيعها وصار ينادي عليها في السوق فلا يسومها احد وكان لايعرضها على احـــد الّا ويمتنع من شرائها فاتفق ان الســـارق الذي معه

القرد رأى الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها
في بقجة و جلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى اشغله
بالفرجة عليه و اختلس منه تلك البقجة ثم اخذ القرد و ذهب
لى مكان خال و فتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها
في بقجة نفيسة و ذهب بها الى سوق آخر و عرض البقجة للبيع
بما فيها و اشترط ان لا تفتح و رغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها
رجل و اعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط فانصرف بها الى منزله
وظن انه اصاب فلما رأت زوجته ذلك قالت ما هذا قال متاع نفيس
اشتريته بدون القيمة لابيعه فآخذ فائدته فقالت له ايها المغبون
أَيباع هذا المتاع باقل من قيمته الا اذا كان مسروقا اماتعلم ان من
اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا و كان مثله كمثل الحائك فقال
لها وما قصة الحائك قالت

بلغني

ان حائكا كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتّفق
انّ رجلا من الاغنياء بالقرب من قريته صنع وليمة فدعا الناس اليها
وحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم
الاطعمة الفاخرة و صاحب المنزل يعظّمهم لمارأى من حسن زيهم
فقال الحائك في نفسه لو بدلت هذه الصنعة بصناعة اخف مؤنة منها
وارفع رتبة واكثراجرة لجمعتُ مالًا كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة لارتفع شأني
وعظمت في اعين الناس وصرت مثل هؤلاء القوم ثم انه نظرالى
بعض اهل الملاعب الحاضرين فىالوليمة قام وصعد على سور
عال مرتفع شاهق ثم رمى بنفسه منه الى الارض وقام قائما فقال
الحائك في نفسه لابد ان اعمل مثل ماعمل هذا ولا اعجز منه ثم

قام وصعد على السور ورمى نفسه فلما وصل الى الارض اندقت
عنقه فمات من ساعته وانما اخبرتك بذلك لتجعل الاكل من الوجه
الذي تعلم به وتحيط به علما ولئلا يدخلك الشره فترغب فيما ليس
من شأنك فقال لها زوجها ماكل عالم يسلم بعلمه ولاكل جاهل
يعطب بجهله وقد رأيت الحاوى الخبير بالحيات العالم بها ربما
نهشته الحية فتقتله وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها ولا علم عنده
باحوالها ثم انه قد خالف زوجته واشترى المتاع واخذ في تلك
العادة فصار يشتري من السارقين بدون القيمة الى ان وقع في تهمة
فهلك فيها وكان في زمنه عصفور يأتي كل يوم الى ملك من ملوك
الطيور ولم يزل غاديا ورائحا عنده بحيث كان اول داخل عليه وآخر
خارج من عنده فاتفق ان جماعة من الطيور اجتمعوا في جبل عال
من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولابد
لنا من ملك ينظر في امورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف
عنا فمر بهم ذلك العصفور فاشار عليهم بتمليك الطاؤوس وهو الملك
الذي يتردد اليه فاختاروا الطاؤوس وجعلوه عليهم ملكا فاحسن
اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة
وينظر فى الامور ثم ان العصفور غاب يوما عن الطاؤوس فقلق قلقا
عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذي
اخرك وانت اقرب الاتباع الينا واعزهم علينا فقال العصفور رأيت
امرا واشتبه علي فتخوفت منه فقال له الطاؤوس ما الذى رأيت قال
العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكري وثبت اوتادها
وبذر في وسطها حبا وقعد بعيدا عنها فجلست انظر ما يفعل
فبينما انا كذلك واذا بكركي هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر

حتى سقطا في وسط الشبكة وصارا يصرخان فقام الصياد واخذهما فازعجني ذلك وهذا سبب غيابي عنك يا ملك الزمان وما بقيت اسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاؤوس لا ترحل من مكانك فلا ينفعك الحذر من القدر فامتثل امره وقال ساصبر ولا ارحل طاعة للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه واخذ الطعام الى الطاؤوس فاكل حتى اكتفى وتناول على الطعام الماء وذهب العصفور فبينما هو في بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان فى الارض فقال في نفسه كيف اكون وزير الملك وأرى العصافير تقتتل في جواري والله لاصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور في وسطها فقام اليه الصياد واخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم اراحسن منه فقال العصفور في نفسه قد وقعت فيما كنت اخاف منه وماكان امني الا الطاؤوس ولم ينفعنى الحذر من نزول القدر فلا مفر من القضاء للحاذر وما احسن قول الشاعر

مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ ... أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ ... وَأَخُ الْجَهَالَةِ دَائِمًا مَغْبُونُ

فقال الملك يا شهرزاد زيديني من هذا الحديث فقالت فى الليلة القابلة ان ابقاني الملك اعزه الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في خلافة الملك هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى

ابا الحسن عليا بن طاهر وكان ذلك الرجل كثير المال غزير النوال وكان ولده حسن الصورة محبوب السيرة عند جميع الناس وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سرارى الخليفة وجواريه وكان ينادم الملك وينشد له الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الّا انه كان يبيع ويشتري فى سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من اولاد ملوك العجم يقال له علي بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورّد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق انهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كانهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفي وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب وهي كما قال فيها الشاعر

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ ... رَخِيمُ الْحَوَاشِي لَاهُرَاءُ وَلَا نَنْزُرُ
وَعَيْنَانِ قَالَ اللّٰهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَاتَفْعَلُ الْخَمْرُ
فَيَاحُبَّهَا زِدْنِي جَوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَيَاسُلْوَةَ الْأَحْبَابِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

فلما وصلن الى دكان ابي الحسن نزلت تلك الجارية عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رأها علي ابن بكار سلبت عقله واراد القيام فقالت له اجلس مكانك نحن جئنا عندك وانت تروح هذا ماهو انصاف فقال والله ياستي اني هارب مما رأيتُ ولسان الحال يقول

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ ... فَعَزِّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلًا

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ اِلَيْهَا الصُّعُوْ دَوَلَنْ تَسْتَطِيعَ اِلَيْكَ النُّزُوْلَا

فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت لابي الحسن ما اسم هذا الشاب ومن اين هو فقال لها هذا غريب فقالت من ايّ البلاد فقال انه ابن ملك العجم واسمه علي بن بكار والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جاريتي تأتي به عندي فقال ابو الحسن على الرأس والعين ثم قامت وتوجّهت الى حال سبيلها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر علي ابن بكار فانه صار لايعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى ابي الحسن وقالت له ان ستي تطلبك انت ورفيقك فنهض ابو الحسن واخذ معه عليا بن بكار وسارا الى دار هارون الرشيد فادخلتهما في مقصورة واجلستهما فتحدّثا ساعة واذا بالموائد وضعت قدّامهما فاكلا وغسلا ايديهما ثم احضرت لهما الشراب فسكرا ثم امرتهما بالقيام فقاما معها فادخلتهما مقصورة اخرى مركبة على اربعة اعمدة وهي مفروشة بانواع الفرش مزينة بانواع الزينة كانها من مقاصير الجنان فاندهشا مما راينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب واذا بعشر جوار اقبلن كانهن الاقمار يتمايلن عجبا يدهشن الابصار ويحيّرن الافكار واصطففن كانهن من حور الجنان وبعد برهة واذا بعشر جوار اخرى اقبلن فسلمن عليهما وبايديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فجلسن كلهن واصلحن الاوتار وقمن بين ايديهما يضربن بالعيدان ويغنّين وينشدن الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد فبينما هما كذلك واذا بعشر جوار مثلهن كواعب اتراب سود العيون مورّدات الخدود مقرونات الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من انواع الحرير الملوّن والحلل ما يدهش

العقل ويحيره فوقفن بالباب وجاء من بعد هن عشر جوار اخرى احسن منهن وعليهن من الملابس الفاخرة مالا يدخل تحت وصف فوقفن ايضا بالباب ثم خرج من الباب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهار كانها القمر بين النجوم وهي تتمايل عجبا ودلالا وهي متوشحة بفاضل شعرها وعليها ثوب ازرق وازار من الحرير بطرازات من الذهب والجوهر وفي وسطها حياصة مرصعة بانواع الجواهر ولم تزل تتبختر وتتمايل حتى جلست على السرير فلما رآها علي بن بكار انشد هذه الاشعار

إِنَّ هٰذِي هِيَ ٱبْتِدَاءُ سَقَامِي وَتَمَادِي وَجْدِي وَطُولُ غَرَامِي
عِنْدَهَا قَدْ رَأَيْتُ نَفْسِي ذَابَتْ مِنْ وُلُوعِي بِهَا وَبَرَى عِظَامِي

فلما فرغ من شعره قال لابي الحسن لو عملت معي خيرا كنت اخبرتني بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل ان اوطن نفسي واصبرها على ما اصابها ثم بكى وانّ واشتكى فقال له ابو الحسن يا اخي انا ما اردت لك الا الخير ولكن خشيت ان اعلمك بذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبينها فطب نفسا وقرّ عينا فهي نحوك مقبلة وللقائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له ابو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي امير المؤمنين هارون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتامل هوايضا حسنها فاشتغلا بحب بعضهما فامرت الجواري ان تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وامرتهن بالغناء فاخذت واحدة منهن العود وانشدت تقول

أَعِــدِ الرِّسَــالَةَ ثَانِيَــهْ وَخُذِ الْجَــوَابَ عَلَانِيَــهْ
وَ إِلَيْكَ يَا مَلِكَ الْمِــلَا حِ وَقَفْتُ أَشْكُــوحَالِيَــهْ
مَوْلَايَ يَاقَلْبِــي الْعَــزِيزُ وَيَا حَيَــاتِي الْغَــالِيَــهْ
إِنْعَــمْ عَلَــيَّ بِقُبْلَــةٍ هِبَــةً وَإِلَّا عَــارِيَــهْ
وَأَرُدُّهَــا لَكَ لَاعَــدِمْتَ بِعَيْنِهَــا وَلَمَــا هِيَــهْ
وَإِذَا أَرَدْتَ زِيَــادَةً خُذْ هَــا وَنَفْسُــكَ رَاضِيَهْ
يَا مُلْبِسِي ثَــوْبَ الضَّنَــى يُهْنِيــكَ ثَــوْبُ الْعَــافِيَهْ

فطرب علي بن بكار وقال لها زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وانشدت تقول هذه الاشعـــار

مِنْ كَثْــرَةِ الْبُعْــدِ يَاحَبِيبِي عَلِمْتَ طُولَ الْبُــكَا عُيُونِي
يَاحَظَّ عَيْنِي وَيَامُنَــاهَــا وَمُنْتَهَى غَــايَتِــي وَدِينِي
إِرْثِ لِمَــنْ طَرْفُهُ غَــرِيقٌ فِي عَبْــرَةِ الْوَالِهِ الْحَــزِينِ

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها اسمعينا شيأ فاطربت بالنغمات وانشدت تقول هذه الابيـــات

سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَامِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَايُلُهُ
فَمَا السُّلَافُ سَلَتْنِي بَلْ سَوَالِفُهُ وَمَا الشَّمُولُ شَلَتْنِي بَلْ شَمَائِلُهُ
لَوَى بِعَزْمِي أَصْدَاغٌ لُوِينَ لَهُ وَغَالَ عَقْلِي بِمَا تَحْوِي غَلَائِلُهُ

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهّدت مليّا واعجبها الشعر ثم امرت جارية اخرى ان تغني فاخذت العود وانشدت تقــول

وَجْهٌ لِمِصْبَــاحِ السَّمَاءِ مُبَــاهٍ يَبْدُو الشَّبَابُ عَلَيْهِ رَشْحَ مِيَاهٍ

رَقَمَ الْعِذَارُ غِلَالَتَيْهِ بِأَحْرُفٍ   مَعْنَى الْهَوَى فِي طَيِّهَا مُتَنَاهِ
نَادَى عَلَيْهِ الْحُسْنُ حِينَ لَقِيتُهُ   هٰذَا الْمُنَمْنَمُ فِي طِرَازِ اللّٰهِ

فلما فرغت من شعرها قال علي بن بكار لجارية قريبة منه انشدى انت ايتها الجارية واسمعينا شيأ فاخذت العود وانشدت تقول

زَمَنُ الْوِصَالِ يَضِيقُ عَنْ   هٰذَا التَّمَادِي وَالدَّلَالْ
كَمْ مِنْ صُدُودٍ مُتْلِفٍ   مَا هٰكَذَا أَهْلُ الْجَمَالْ
فَاسْتَغْنِمُوا وَقْتَ السُّعُوْ   دِ بِطِيبِ سَاعَاتِ الْوِصَالْ

فلما فرغت من شعرها اتبعها علي بن بكار بدموع غزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وانّ واشتكى احرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام علي بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما في باب القبة فقام الجوارى اليهما وحملنهما وادخلنهما باب القبة ورشّن عليهما ماء الورد فلما افاقا لم يجدا ابا الحسن وكان قد اختفى في جانب سرير فقالت الصبية اين ابو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله ان يقدرني على مكافأتك ياصاحب المعروف ثم اقبلت على علي بن بكار وقالت له ياسيدى مابلغ بك الهوى الى غاية الا وعندي ضعفها ولكن لم يكن لنا غير الصبر على ما اصابنا فقال علي بن بكار والله ياسيدتي ليس جمع شملي بك يطيب ولا نظري اليك يطفئ ماعندي من اللهيب ولا يذهب ماتمكن من حبك في قلبي الا بذهاب روحي ثم بكى ونزلت دموعه على خده كانها اللؤلؤ المنثور فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه فقال ابو الحسن والله اني عجبت من امركما واحترت

في شانكما فان حالكما عجيب و امركما غريب هذا البكاء و انتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما و تفرقكما ثم قال هذا ليس وقت حزن و بكاء بل هذا وقت اجتماع و مسرة فانشرحا و انبسطا و لا تبكيا ثم ان شمس النهار اشارت الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة من صحون الفضة و فيها من انواع الطعام الفاخر فوضعن المائدة قدامهما فصارت شمس النهار تأكل وتطعم علي بن بكار ولم يزالوا يأكلون حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا ايديهم وجاءتهم المباخر بانواع البخور من العود و العنبر والند و جاءتهم القماقم بماء الورد فتطيبوا وتبخروا وقدمت لهم اطباق من الذهب المنقوش فيها من انواع الشراب والفواكه و النقل ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام ثم اختارت شمس النهار عشرة وصائف اوقفتهم عندهم وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقي الجواري الى اماكنهن وامرت بعض الحاضرين من الجواري ان يضربن بالعيدان ففعلن ما امرت به وانشدت واحدة منهن تقول

بِنَفْسِي مَنْ رَدَّ التَّحِيَّةَ ضَاحِكًا ... فَجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي

لَقَدْ اَبْرَزَتْ أَيْدِي الْغَرَامِ سَرَائِرِي ... وَاَظْهَرْنَ لِلْعُذَّالِ مَا بَيْنَ اَضْلُعِي

وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعْشَقُهُ مَعِي

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكأس و شربته ثم ملأته واعطته لعلي بن بكار و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شمس النهار ملأت الكأس واعطته لعلي بن بكار ثم امرت جارية ان تغني فانشدت تقول هذه الابيات

تَشَاكَلَ دَمْعِي إِذْجَرَى وَمُدَامَتِي ... فَمِنْ مِثْلِ مَافِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ
فَوَاللّٰهِ مَا أَدْرِي أَبِالْخَمْرِ اسْبَلَتْ ... جُفُونِي أَمِ مِنْ أَدْمُعِي كُنْتُ اشْرَبُ

فلما فرغت من شعرها شرب علي بن بكار كأسه وردّه الى شمس النهار فملأته وناولته لابي الحسن فشربه ثم اخذت العود وقالت لا يغني على قدحي غيري ثم شدت الاوتار وانشدت تقول هذه الاشعار

غَرَائِبُ الدَّمْعِ فِي خَدَّيْهِ تَضْطَرِبُ ... وَلِلْهَوَى حُرَقٌ فِي صَدْرِهِ تَقِدُ
يَبْكِي مِنَ الْقُرْبِ خَوْفًا مِنْ تَبَاعُدِهِمْ ... فَالدَّمْعُ إِنْ قَرُبُوا جَارٍ وَإِنْ بَعُدُوا

وقول الآخر

*

نَتَفَدَّاكَ سَاقِيًا قَدْ كَسَاكَ أَحْسَـ ... ـنُ مِنْ فَرْقِكَ الْمُضِيءِ لِسَاقِكَ

*

تَشْرُقُ الشَّمْسُ مِنْ يَدَيْكَ وَمِنْ فِيـ ... ـكَ الثُّرَيَّا وَالْبَدْرُ مِنْ أَطْوَاقِكْ
إِنَّ أَقْدَاحَكَ الَّتِي تَرَكَتْنِي ... غَيْرَ صَاحٍ تُدَارُ مِنْ أَحْدَاقِكْ
أَوَلَيْسَ الْعَجِيبُ كَوْنُكَ بَدْرًا ... كَامِلًا وَالْمُحَاقُ مِنْ عُشَّاقِكْ
آ اللهُ أَنْتَ إِذْ تُمِيتُ وَتُحْيِي ... بِتَلَاقِيكَ مَنْ تَشَا وَفِرَاقِكْ

*

خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ خَلِيقَتِكَ الْحُسْـ ... ـنَ وَطِيبَ النَّسِيمِ مِنْ اخْلَاقِكْ

*

مَا أَنْتَ مِنْ هٰذِهِ الْبَرِيَّةِ بَلْ أَنْـ ... ـتَ مَلِيكٌ أُرْسِلْتَ مِنْ خَلَّاقِكْ

فلما سمع علي بن بكار و ابو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار
كادوا ان يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينماهم على هذا
الحال واذا بجارية اقبلت وهي ترتعد من الخوف وقالت
ياسيدتي خدام اميرالمؤمنين بالباب وهم عفيف و مسرور ومرجان
وغيرهم من الخدام لم اعرفهم فلما سمعوا كلام الجارية كادوا
ان يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لاتخافوا ثم قالت
للجارية ردّي عليهم الجواب بقدر ماننتقل من هذا المكان ثم انها
امرت بغلق باب القبة وارخت على ابوابها الستائر وهم فيها
واغلقت باب القاعة ثم خرجت من باب السرّ الى البستان وجلست
على سريرلها هناك وامرت جارية ان تكبس رجليها وامرت
بقية الجواري ان يمضين الى اماكنهن وامرت الجارية ان تدعو من
بالباب ليدخل فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبايديهم
السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لم جئتم فقالوا ان
امير المؤمنين يسلم عليك وقدا ستوحش لروٴيتك ويخبرك انه
كان عنده اليوم سرور وحظ زائد واحب ان يكون ختام السرور
بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده او يأتي عندك فقامت
وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر اميرالمؤمنين ثم امرت
باحضار القهرمانات والجواري فحضرن و اظهرت لهن انها مقبلة
على ما أمربه الخليفة وكان المكان كاملا في جميع اموره ثم قالت للخدام
امضوا الى امير المؤمنين و اخبروه انني فى انتظاره بعد قليل
الى ان اهيّئ له مكانا بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى
امير المؤمنين واما شمس النهار فانها خلعت ثيابها ودخلت الى
معشوقها علي بن بكار وضمّته الى صدرها وودّعته فبكي بكاء شديدا

وقال ياسيّدتي ان هذا الوداع سببا لتلف نفسي وهلاك روحي
ولكن اسأل اللــه ان يرزقني الصبـر علي ما بلاني به من محبتي
فقالت له شمس النهار والله مايصير في التلف الا انا فانك قد تخرج
الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا
واما انا فاني اقع في العناء والتعب ولا اجد من يسليني خصوصا
وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يلحقني من ذلك عظيم الخطر
بسبب شوقي اليك وحبي لك وتعشّقي فيك وتأسفي على مفارقتك
فبأيّ لسان اغنّي وبأيّ قلب احضر عند الخليفة وبأيّ كلام انادم
امير المؤمنين وبأيّ نظر انظر الى مكان ما انت فيه وكيف اكون
في حضرة لم تكن بهــا وبأيّ ذوق اشرب مداما ماانت حاضــره
فقال لهــا ابو الحسن لا تتحيري واصبري ولا تغفلي عن منادمة
امير المؤمنين هذه الليلة ولاتظهري له التهاون وتجلّدي فبينماهم
كذلك واذا بجارية جاءت وقالت ياسيدتي جاء غلمان امير المؤمنين
فنهضت قائمة وقالت للجـارية خذي ابا الحسن ورفيقه واقصدي
بهما اعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى ان يدخل
الظلام فتحيلي في خروجهما فاخذتهما الجارية واطلعتهما في الروشن
واغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها فجلسا ينظران على البستان
واذا بالخليفة قدم وبين يديه نحــو مائة خادم بايديهم السيوف
وحواليه عشرون جارية كانهن الاقمار وعليهن افخـر ما يكــون
من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي
يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشي بينهن وهن محيطات
به من كل ناحيـة وقدامه مسرور وعفيف ووصيف وهو يتمــايل
بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجواري فلاقينه

من باب البستان وقبّلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات امامه
الى ان جلس على السرير والذين فى البستان من الجواري والخدم
وقفوا جميعا بين يديه وجاءت الجوارى الحسان والوصائف بايديهن
الشموع الموقودة والطيب والبخور وآلات الطرب فامر الملك
المغنّيات ان يجلسن فجلسن في اماكنهن وجاءت شمس النهار
فجلست على كرسي بجانب سرير الخليفة وصارت تحدّثه كل ذلك
وابوالحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة
لم يرهما ثم ان الخليفة صار يمازح ويلعب مع شمس النهار وهم
في هنأ وسرور فامر الملك بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها
واوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم
صاروا ينقلون آلات المشروب قال ابوالحسن فرايت آلات المشروب
ومن التحائف لم ترعيني مثلها واواني من الذهب والفضة وسائر
اصناف المعادن والجواهر مما يقصر عنه الوصف حتى خيّل لي اني
فى المنام لكثرة ما دهشت مما رأيت واما علي بن بكار فمن حين
فارقته شمس النهار كان مطروحا فى الارض من شدة الوجد والغرام
فلما افاق صار ينظر الى هذه الاشياء التي لايوجد مثلها فقال لابي الحسن
يا اخي اني اخاف ان ينظرنا الخليفة او يعلم حالنا وما اكثر خوفي
الاّ عليك واما انا فاني اعلم بنفسي اني هالك لامحالة وما هلاكي
الا بسبب العشق والغرام وفرط الوجد والهيام وفراق الاحباب
بعد الاقتراب وارجو من الله ان يخلصنا من هذه الورطة ولم يزل
علي بن بكار وابوالحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو
فيه من السرور حتى تكاملت الحضرة بين يديه ثم ان الخليفة التفت
الى جارية من الجواري وقال هاتي ما عندك ياغرام من السماع

المطرب فاخذت العود واصلحته وانشدت تقـــــول

وَمَا وَجْدُ اعْرَابِيَّةٍ بَانَ اَهْلُهَا فَحَنَّتْ اِلَى بَانِ الْحِجَازِ وَرَنْدِهِ
اِذَا انَسَتْ رَكْبًا تَكَفَّلَ شَوْقُهَا بِنَارِ قِرَاهُ وَالدُّمُوعُ بِوِرْدِهِ
بِاَعْظَمَ مِنْ وَجْدِي بِحِبِّي وَاِنَّمَا يَرَى اَنَّنِي اَذْنَبْتُ ذَنْبًا بِوُدِّهِ

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر مالت من على كرسيها الذي هي جالسة عليه وسقطت الى الارض مغشيا عليها وغابت عن الوجود فقام الجواري واحتملنها فلما نظر اليها علي بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال ابو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدّثان واذا بالجارية التي اطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا ابا الحسن انهض انت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وانا خائفة ان يظهر الامر او يعلم بكما الخليفة فان لم تنزلا في هذه الساعة متنا فقال ابو الحسن وكيف ينهض هذا الغلام معي ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش عليه ماء الورد حتى افاق من غشيته فحمله ابو الحسن واسندته الجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من الحديد واخرجت ابا الحسن وعلي بن بكار فرأيا مصطبة على شاطئ الدجلة فجلسا عليها فصفقت الجارية بيديها فاتاها رجل في زورق صغير فقالت له خذ هذين الشابين واطلعهما على البر الثاني فنزلا في الزورق فلما قذف بهما الرجل وفارقا البستان نظر علي بن بكار الى قصر الخلافة والقبة والبستان وودّعهم بهذين البيتيــــــــن

مَدَدْتُ اِلَى التَّوْدِيعِ كَفًّا ضَعِيفَةً وَاُخْرَى عَلَى الرَّمْضَاءِ تَحْتَ فُؤَادِي
فَلَا كَانَ هٰذَا آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَنَا وَلَا كَانَ هٰذَا الزَّادُ آخِرَ زَادِي

ثم ان الجارية قالت للملاّح اسرع بهما فصار يقذف لاجل السرعة والجارية معهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملاّح قذف بهما الى البر والجارية معهما الى ان قطعوا ذلك الجانب وعدوا الى البر الثاني فنزلا الى البر وطلعا وودعتهما الجارية وقالت لهما كان قصدي لا افارقكما لكنني لا اقدر ان اسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت واما علي بن بكار فانه وقع مطروحا بين يدي ابي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له ابو الحسن ان هذا المكان غير امين ونخشى على انفسنا من التلف في هذا المكان بسبب اللصوص والعيّارين واولاد الحرام فقام علي بن بكار ومشى قليلا وهو لا يستطيع المشى وكان ابو الحسن له في ذلك الجانب اصدقاء فقصد من يثق به منهم ومن يأنس اليه فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما الى منزله واجلسهما وتحدث معهما وسألهما اين كانا فقال ابو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت واحوجنا الى هذا الامر انسان عاملته ولي عنده دراهم وبلغني انه يريد السفر بمالي فخرجت في هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا علي بن بكار وجئنا لعلّنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا صفر اليدين بلا شيء وشق علينا العود في هذا الوقت من الليل ولم ندر اين نسير فجئنا اليك لما نعلم من صداقتك وعوائدك الجميلة فقال لهما مرحبا واهلا واجتهد في اكرامهما فاقاما عنده بقية ليلتهما فلما اصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على

بيت ابي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار وادخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا فلما افاقا امر ابو الحسن غلمانه ان يفرشوا البيت بالفراشات الفاخرة ففعلوا ثم ان ابا الحسن قال في نفسه لابد ان اسلي هذا الغلام واؤانسه عما هو فيه فاني ادرى بحاله من غيري ثم ان ابا الحسن استدعى بماء لعلي بن بكار فحضروا له بالماء فقام وتوضأ وصلّى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وجلس يسلّى نفسه مع ابو الحسن بالكلام فلما رأى منه ابو الحسن ذلك تقدم اليه وقال له يا سيدي ان الاليق بما انت فيه ان تقيم عندي هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج مابك من كرب الشوق وتتلاهى معنا لعلّ ان يسكن ما بقلبك من الحرق فقال علي بن بكار افعل يا اخي ما بدا لك فاني على كل حال غير ناج مما اصابني فاصنع ما انت صانع فقام ابو الحسن واستدعى غلمانه واحضر بعض خواص اصحابه وارسل الى ارباب المغاني والآلات فحضروا وهيّأ لهم طعاما وشرابا وجلسوا على اكل وشرب وانشراح باقي يومهم الى المساء ثم اوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المصاحبة والمنادمة فطاب لهم الوقت فاخذت المغنّية العود وانشدت تقول

رُمِيتُ مِنَ الزَّمَانِ بِسَهْمِ لَحْظٍ ... فَأَصْمَانِي وَفَارَقْتُ الْحَبَائِبْ
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي ... وَإِنِّي قَبْلَ هٰذَا كُنْتُ حَاسِبْ

فلمّا سمع علي بن بكار كلام المغنّية وقع على الارض مغشيًّا عليه فلم يزل في غشيته حتى طلع الفجر ويئس ابو الحسن منه فلما طلع النهار افاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه ابو الحسن خوفا من عاقبة امره فاتاه غلمانه ببغلة واركبوه فركب وسار معه ابو الحسن وبعض

الغلمان الى ان ادخله ابو الحسن منزله فلمّا اطمأنّ في بيته حمد الله ابو الحسن علّى خلاصه من هذه الورطة وجلس معه يسلّيه وهو لا يملك نفسه من شدة الوجد والغرام فقام ابو الحسن وودّعه وانصرف الى منزله وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودّعه فقال له علي ابن بكار يا اخي لا تقطع عني الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان ابا الحسن قام من عنده واتى الى دكّانه ففتحها وصار يرتقب خبرا من عند شمس النهار فلم يأته احد بخبر فبات تلك الليلة في داره فلما اصبح الصباح قام الى ان اتى الى دار علي بن بكار ودخل عليه فوجده ملقي على فراشه واصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيأ ويجسّون يده فلما دخل ابو الحسن ورآه تبسم فسلم ابو الحسن عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ابو الحسن ما هذا الحال فقال علي بن بكار قد شاع خبري اني مريض وتسامع بذلك اصحابي وليس لي قوة استعين بها على القيام والمشي حتى اكذّب من جعلني ضعيفا ولم ازل ملقى مكاني كما تراني وقد اتت اصحابي الى زيارتي لكن يا اخي هل رأيت الجارية او سمعت بخبر من عندها فقال لم ارها من يوم فارقتها على شاطئ الدجلة ثم قال له ابو الحسن يا اخي احذر الفضيحة واترك هذا البكاء فقال علي بن بكار يا اخي لا املك نفسي ثم انشد وجعل يقول

نَادَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنَلْهُ يَدِي ... نَقْشٌ عَلَى مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَلَدِي

خَافَتْ عَلَى يَدِهَا مِنْ نَبْلِ مُقْلَتِهَا ... فَأَلْبَسَتْ يَدَهَا دِرْعًا مِنَ الزَّرَدِ

جَسَّ الطَّبِيبُ يَدِي جَهْلاً فَقُلْتُ لَهُ ... اِنَّ التَّأَلُّمَ فِي قَلْبِي فَخَلِّ يَدِي
قَالَتْ لِطَيْفِ خَيَالٍ زَارَنِي وَمَضَى ... بِاللّٰهِ صِفْهُ وَلَا تَنْقُصْ وَلَا تَزِدِ
فَقَالَ خَلَّفْتُهُ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَـأٍ ... وَقُلْتُ قِفْ عَنْ وُرُودِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدِ
فَاسْتَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ... وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَّابِ بِالْبَرَدِ

فلما فرغ من شعره قال يا ابا الحسن قد بليتُ بمصيبة كنت في امن منها وليس لي اعظم راحة من الموت فقال له ابو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل ابو الحسن من عنده وجاء الى دكّانه وفتحها فما جلس غير قليل واذا بالجارية اقبلت اليه وسلمت عليه فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب مهمومة يظهر عليها اثر الكآبة فقال لها اهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف اخبرك عن حالها كيف حال علي بن بكار فاخبرها ابو الحسن بجميع ما كان وبما تمّ من امره فتأسفت وتوجّعت وتأوّهت وتعجبت من هذا الامر ثم قالت ان سيدتي حالها اعجب من ذلك فانّكم لما مضيتم وتوجّهتم رجعتُ وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعتُ وجدتُ سيدتي مطروحة فى القبة لا تتكلّم ولا ترد جوابا على احد وامير المؤمنين جالس عند رأسها لايجد من يخبره بخبرها ولا يعلم ما بها ولم تزل في غشيتها الى نصف الليل ثم افاقت فقال لها امير المؤمنين ما الذي اصابك يا شمس النهار وما الذي اعتراك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت اقدامه وقالت له يا امير المؤمنين جعلنى الله فداك انه خامرني خلط فاضرم النار في جسدى وغشي عليّ من شدة ما بي ولا اعلم كيف كان حالي فقال لها الخليفة ما الذي استعملته في نهارك فقالت افطرت

على شيء لم آكله قط ثم انها اظهرت القوة واستدعت بشيء من الشراب فشربته ثم سألت الملك ان يعود الى انشراحه فجلس الملك على سريره فى القبة والمجلس منتظم فلما جئت اليها سألتني عن حالكما فاخبرتها بما فعلت معكما و انشدتها ما قاله علي بن بكار فى الوداع فبكت سرًّا ثم سكتت ثم ان امير المؤمنين جلس وامر جارية ان تغني فانشدت تقول

لَعَمْرِي لَا يَحْلُو لِيَ العَيْشُ بَعْدَكُمْ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكُمْ بَعْدِي
يَحِقُّ لِدَمْعِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الدِّمَا إِذَا كُنْتُمْ تَبْكُونَ دَمْعًا عَلَى بُعْدِي

فلما سمعت سيدتي هذا الشعر وقعت على الصفة مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لابي الحسن فلما سمعت سيدتي هذا الشعر وقعت على الصفة مغشيا عليها فامسكتُ يدها ورششت على وجهها ماء الورد فافاقت فقلت لها ياسيدتي لا تهتكي نفسك ومن يحويه قصرك فبحيات محبوبك ان تصبري فقالت هل فى الامر اكثر من الموت فانا اطلبه والله ان فيه راحتي فبينما نحن في هذا الكلام اذ غنت جارية بقول الشاعر

وَقَالُوا لَعَلَّ الصَّبْرَ يَعْقُبُ رَاحَةً فَقُلْتُ وَأَيْنَ الصَّبْرُ بَعْدَ فِرَاقِهِ
وَقَدْ أَكَّدَ المِيثَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِقَطْعِ حِبَالِ الصَّبْرِ عِنْدَ عِنَاقِهِ

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فاتى مسرعا اليها وامر برفع الشراب وان تعود كل جارية الى مقصورتها

واقام عندها باقي ليلته الى ان اصبح الصباح فاستدعى امير المؤمنين بالحكماء والاطباء وامرهم بمعالجتها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام واقمت عندها حتى ظننت انه قد انصلح حالها وهذا هو الذي عاقني عن المجيء اليكما وقد تركت عندها جماعة من خواصها مشتغلين القلب عليها لمّا امرتني بالمسير اليكما لآخذ خبر علي بن بكار واعود اليها فلما سمع ابو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله اني اخبرتك بجميع خبره فعودي الى سيدتك وسلّمي عليها وبالغي لها في الصبر وحثّيها عليه وقولي لها اكتمي السرّ واخبريها اني عرفت امرها وهو امر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية وودّعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر ابي الحسن فانه لم يزل في دكانه الى آخر النهار فلما مضى النهار قام وعزل دكانه وقفل واتى الى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وادخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا ابا الحسن اوحشتني لتخلّفك عني في هذا اليوم وروحي مرتهنة بك باقي عمري فقال له ابو الحسن دع هذا الكلام فلو كان شفاؤك بيدي لجدت به قبل ان تسألني ولو امكن فداك كنت افديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار واخبرتني انه ما عاقها عن المجيء الّا جلوس الخليفة عند سيدتها واخبرتني بما كان من امر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتاسف علي بن بكار غاية الاسف وبكى ثم التفت الى ابي الحسن وقال له بالله عليك يا اخي ان تساعدني فيما بليت به وعلمني كيف تكون الحيلة واسألك من فضلك ان تبيت عندي هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل ابو الحسن امره واجابه على المبيت عنده فباتا يتحادثان في تلك

الليلة فلما جن الليل تأوه علي ابن بكار وبكى واشتكى ثم ارسل العبرات وانشد هذه الابيات

خَيَالُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي ... وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي فَكَيْفَ تَغِيبُ
وَمَا أَسَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمْرِ يَنْقَضِي ... وَلَيْسَ لَنَا فِي الِاجْتِمَاعِ نَصِيبُ

وقول الآخر

خَفَرَتْ بِسَيْفِ اللَّحْظِ ذِمَّةَ مِغْفَرِي ... وَفَرَتْ بِرُمْحِ الْقَدِّ دِرْعَ تَصَبُّرِي
وَجَلَتْ لَنَا مِنْ تَحْتِ مِسْكَةِ خَالِهَا ... كَافُورَ فَجْرٍ شَقَّ لَيْلَ الْعَنْبَرِ
فَزِعَتْ فَضَرَّسَتِ الْعَقِيقَ بِلُؤْلُؤٍ ... سَكَنَتْ فَرَائِدُهُ غَدِيرَ السُّكَّرِ
وَتَنَهَّدَتْ جَزَعًا فَأَثَّرَ كَفُّهَا ... فِي صَدْرِهَا فَنَظَرْتُ مَا لَمْ أَنْظُرِ
أَقْلَامَ مَرْجَانٍ كَتَبْنَ بِعَنْبَرٍ ... بِصَحِيفَةِ الْبِلَّوْرِ خَمْسَةَ أَسْطُرِ
يَا حَامِلَ السَّيْفِ الصَّحِيحِ إِذَا رَنَتْ ... إِيَّاكَ ضَرْبَةَ جَفْنِهَا الْمُتَكَسِّرِ
وَتَوَقَّ يَا رَبَّ الْقَنَاةِ الطَّعْنَ إِنْ ... حَمَلَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْقَوَامِ بِأَسْمَرِ

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن ابو الحسن ان روحه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فافاق وتحدث مع ابي الحسن ولم يزل ابو الحسن جالسا عنده الى ضحوة النهار فقام وانصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية قد جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها اومأت اليه بالسلام فردّ عليها السلام وبلّغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال علي بن بكار فقال لها يا جارية الخير لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد انحله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتي

تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال اعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالت لا تاتيني الّا بجوابها وافعلي ما امرتك به وها هي الورقة معي فهل لك ان تسير معي اليه ونأخذ منه الجواب فقال لها ابو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل الدكان واخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذي جاء منه ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى دار علي بن بكار ثم اوقفها على الباب و دخل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ذهب بالجارية الى دار علي بن بكار واوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه علي ابن بكار فرح به فقال له ابو الحسن سبب مجيئي ان فلانا ارسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها ان سبب تأخره عنك لعذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال علي ادخلوها فغمزه ابو الحسن انها جارية شمس النهار فعرف بالاشارة فلما رأها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم اخرجت الورقة ودفعتها له فاخذها وقبّلها وفتحها وقرأها وناولها لابي الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

يُنْبِيكَ هٰذَا الرَّسُولُ عَنْ خَبَرِي ... فَاسْتَغْنِ فِي ذِكْرِهِ عَنِ النَّظَرِ

خَلَّفْتَ صَبًّا بِحُبِّكُمْ شَغِفًا ... وَطَرْفُهُ لَا يَزَالُ بِالسَّهَرِ

أُكَابِدُ الصَّبْرَ فِي الْبَلَاءِ فَمَا ... يَدْفَعُ خَلْقٌ مَوَاقِعَ الْقَدَرِ

وَقِرَّ عَيْنًا فَلَيْسَ تَغْفُلُ عَنْ ... قَلْبِي وَلَا يَوْمَ غِبْتَ عَنْ بَصَرِي

وَانْظُرْ الى جِسْمِكَ النَّحِيلِ وَمَا قَدْ حَلَّهُ وَاسْتَدِلَّ بِالْاَثَرِ

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان * و نطقت لك بغير لسان * وجملة شرح حالي ان لي عينا لايفارقها السهر * وقلبا لاتبرح عنه الفكر * فكانني قطما عرفت صحة * ولا فارقت ترحة * ولارأيت منظرا بهيا * ولا قطعت عيشا هنيـا * وكانني خلقت من الصبـابة * و من الم الوجل والـكابـة * فعليّ السقام مترادف * و الغرام متضاعف * والشوق متكاثـر * والوجد بقلبي ثاير * وصرت كما قال الشاعر *

اَلقَلْبُ مُنقَبِضٌ وَالفِكْـرُ مُنبَسِطُ وَالعَيْنُ سَاهِرَةٌ وَالْجِسمُ مَتعُوبُ
والصَّبرُ مُنفَصِلٌ وَالْهَجرُ مُتَّصِلٌ وَالعَقلُ مُختَبِلٌ والقَلبُ مَسلُوبُ

واعلم ان الشكوى * لاتطفى نار البلوى * لكنها تعلّل من اعلّه الاشتياق * و اتلفه الفراق * واتسلى بذكر لفظ الوصال * و ما احسن قول من قال *

اِذَا لَمْ يَكُنْ فِى الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى فَاينَ حَلاَوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتُبِ

قال ابوالحسن فلما قرأتُها هيجت الفاظها بلابلي واصابت معانيها مقاتلي ثم دفعتها الى الجارية فلما اخذتها قال لها علي بن بكار ابلغي سيدتك سلامي وعرفيها بوجدي و غرامي وامتزاج المحبة بلحمي وعظامي و اخبريها انني محتـاج الى من ينقذني من بحر الهلاك و ينجيني من هذا الارتباك وقد تعدّى عليّ الزمان بنوائبه فهل من منجد يخلصني من شوائبه ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودّعته وخرجت من عنده وخرج ابوالحسن معهـا و ودعهـا فانصرفت الى حالهـا وذهب ابوالحسن الى دكانه وفتحهـا و جلس مثل عادته وادرك شهـرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودع الجارية وذهب الى دكانه وفتحها وجلس مثل عادته فلما استقر في مكانه وجد قلبه قد انقبض وضاق صدره وحار في امره ولم يزل في فكر بقية يومه وليلته وفي اليوم الثاني ذهب الى علي بن بكار وجلس عنده حتى ذهب الناس وسأله عن حاله فاخذ في شكوى الغرام ومابه من الوجد والهيام وانشد قول الشاعر

شَكَى أَلَمَ الْغَرَامِ النَّاسُ قَبْلِي ... وَرَوَّعَ بِالنَّوى حَيٌّ وَمَيتُ
وَامَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي ... فَإِنِّي لَا سَمِعْتُ وَلَارَأَيْتُ

وقول الشاعر

وَلَقِيتُ مِنْ حُبِّيكَ مَالَمْ يَلْقَهُ ... فِي حُبِّ لُبْنَى قَيسُهَا الْمَجْنُونُ
لكنَّنِي لَمْ اَتَّبِعْ وَحْشَ الْفَلَا ... كَفِعَالِ قَيْسٍ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

فقال له ابو الحسن انا ما رايت ولاسمعت بمثلك في محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلّقتَ بحبيب موافق فكيف اذا احببت حبيبا مخالفا مخادعا فكان امرك ينكشف قال ابوالحسن فاعجب علي ابن بكار كلامي وركن اليه وشكرني على ذلك وكان لي صاحب يطلع على امري وامره ويعلم اننا متوافقان ولا يعلم احد ما بيننا غيره وكان يأتيني فيسألني عن حال علي ابن بكار وبعد قليل سألنى عن الجارية فخادعته وقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من امرهما ولكني دبرت لنفسي امرا ورأيا اريد ان اعرضه عليك فقال له صاحبه

ما هو قال ابوالحسن اعلم يا اخي اني رجل معروف بكثرة المعاملات
بين الرجال والنساء واخشى يا اخي ان ينكشف امرهما فيكون ذلك
سببا لهلاكي واخذ مالي وهتك عرضي وعرض عيالي وقد اقتضى رأيي
ان اجمع مالي واجهز حالي واتوجه الى مدينة البصرة واقيم بها حتى
انظر ما يكون من امرهما بحيث لا يشعر بي احد فقد تمكنت المحبة
منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشي بينهما جارية وهي
كاتمة لاسرارهما واخشى ان يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لاحد
فيشيع خبرهما ويؤدي ذلك الى هلاكي ويكون سببا لتلفي وليس لي
عذر عند الناس فقال له صاحبه قد اخبرتني بخبر خطير يخاف من مثله
العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه
وهذا الرأى هو الصواب فانصرف ابوالحسن الى منزله وصار يقضي مصالحه
ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فما مضى ثلثة ايام حتى قضى مصالحه
وخرج مسافرا الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلثة ايام ليزوره فلم يجده
فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه الى البصرة من مدة ثلثة ايام لان له
معاملات عند تجارها فذهب ليطالب ارباب الديون وعن قريب
يأتي فاحتار الرجل في امره وصار لا يدري اين يذهب وقال يا ليتني
لم افارق ابا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى علي بن بكار فقصد داره
وقال لبعض غلمانه استأذن لي سيدك لادخل اسلم عليه فدخل الغلام
واخبر سيده به ثم عاد اليه واذن له في الدخول فدخل عليه فوجده ملقى
على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم اعتذر له ذلك
الشاب في تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدي ان بيني وبين
ابي الحسن صداقة واني كنت اودعه اسراري ولا انقطع عنه ساعة فغبتُ
في بعض المصالح مع جماعة من رفقائي مدة ثلثة ايام ثم جئت اليه

فوجدت دكّانه مقفولة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم اعلم له صديقا اوفى منك فبالله عرفني خبره فلما سمع علي بن بكار كلامه تغيّر لونه واضطرب وقال لم اسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لي التعب وانشد يقول

قَدْ كُنْتُ اَبْكِي عَلَى مَا فَاتَ مِنْ فَرَحٍ ... وَاَهْلُ وُدِّي جَمِيعًا غَيْرُ اَشْتَاتِ
وَالْيَوْمَ فَرَّقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ... دَهْرِي فَاَبْكِي عَلَى اَهْلِ الْمَوَدَّاتِ

ثم ان عليا بن بكار اطرق رأسه الى الارض يتفكّر وبعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار ابي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم او مسافر فان قالوا سافر فاسأل الى ايّ جهة توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم اقبل الى سيده وقال اني لما سألت عن ابي الحسن اخبرني اهله انه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتني عرفتني ولم اعرفها وقالت لي هل انت غلام علي بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معي رسالة اليه من عند اعز الناس عليه فجاءت معي وهي واقفة على الباب فقال علي بن بكار ادخلها فطلع الغلام اليها وادخلها فنظر الرجل الذي عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت عند ابن بكار وسلمت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت على علي بن بكار تقدمت عنده وسلمت عليه وتحدثت معه سرّا وهو يقسم في اثناء الكلام ويحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودّعته ومضت وكان الرجل صاحب

ابى الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلي بن بكار لاشك ولاريب ان لدار الخلافة عليك مطالبة او بينك وبينها معاملة فقال ومن اعلمك بذلك فقال معرفتي بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهي عقد جوهر فارسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع علي بن بكار كلامه اضطرب حتى خشي عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا اخي سألتك بالله من اين تعرفها فقال له الجوهري دع الالحاح فى السؤال فقال له علي بن بكار لا ارجع عنك الّا اذا اخبرتني بالصحيح فقال له الجوهري انا اخبرك بحيث لا يدخلك مني وهم ولا يعتريك من كلامي انقباض ولا اخفي عنك سرا وابين لك حقيقة الامر ولكن بشرط ان تخبرني بحقيقة حالك وسبب مرضك فاخبره بخبره ثم قال والله يا اخي ما حملني على كتمان امري عن غيرك الّا مخافة ان الناس تكشف استار بعضها فقال الجوهري لعلي بن بكار وانا ما اردت اجتماعي بك الا لشدة محبتي لك وغيرتي في كل حال عليك وشفقتي على قلبك من الم الفراق عسي اكون لك مؤنسا نيابة عن صديقي ابي الحسن في طول غيبته فطب نفسا وقرّ عينا فشكره علي بن بكار على ذلك وانشد هذين البيتين

وَلَوْ قُلْتُ إِنِّي صَابِرٌ بَعْدَ بُعْدِهِ	لَكَذَّبَنِي دَمْعِي وَفَرْطُ نَحِيبِي
وَكَيْفَ أُدَارِي مَدْمَعًا جَرَيَانُهُ	عَلَى صَحْنِ خَدِّي مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِي

ثم ان علي بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجوهري اتدري ما سرّتني به الجارية فقال له لا والله يا سيدي فقال انها زعمت انى اشرت على ابي الحسن بالمسير الى البصرة وانني دبرت

بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة و المواصلة فحلفتُ لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقني و مضت الي سيدتها وهي على ما هي عليه من سوء الظنّ لانها كانت تميل وتصغي الى ابي الحسن فقال الشاب الجوهري يا اخي اني فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر واطلعت عليه ولكن ان شاء الله تعالى اكون عونا لك على مرادك فقال له علي بن بكار فمَن لي بذلك وكيف تعمل معها وهي تنفر كوحش الفلاة فقال له والله لابدّ اني ابذل جهدي في مساعدتك واحتيالي في التوصّل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذنه في الانصراف فقال له علي ابن بكار يا اخي عليك بكتمان السرّ ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري ودّعه و انصرف و هو لا يدري كيف يعمل في اسعاف علي بن بكار و ما زال ماشيا و هو متفكّر في امره اذ رأى ورقة مطروحة في الطريق فاخذها و نظر عنوانها و قرأه فاذا هو من المحب الاصغر الي الحبيب الاكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذان البيتان

جَاءَ الرَّسُولُ بِوَصْلٍ مِنْكَ يُطْمِعُنِي ... وَكَانَ اَكْثَرُ ظَنِّي اَنَّهُ وَهِمَا
فَمَا فَرِحْتُ وَلٰكِنْ زَادَنِي حُزُنًا ... عِلْمِي بِاَنَّ رَسُولِي لَمْ يَكُنْ فَهِمَا

وبعد فاعلم يا سيّدي انّني لم ادر سبب قطع المراسلة بيني وبينك فان يكن صدر منك الجفاء فانا اقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فانا احفظ الودّ على البعاد فانا معك كما قال الشاعر

تِهْ أَحْتَمِلْ وَاسْتَطِلْ أَصْبِرْ وَعِزَّ أَهُنْ ‏ ‏ وَوَلِّ أَقْبَلْ وَقُلْ أَسْمَعْ وَمُرْ أُطِعِ

فلما قرأها واذا بالجارية اقبلت وهي تلتفت يمينا و شمالا فرأت الورقة في يد الجوهري فقالت له يا سيدي ان هذه الورقة وقعت مني فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى ان اقبل على داره ودخل والجارية خلفه فقالت له يا سيدي اعطني هذه الورقة وردّ لي فانها سقطت مني فالتفت اليها وقال يا جارية الخير لا تخافي ولا تحزني فان الله ستّار يحبّ الستر فاخبريني بالخبر على وجه الصدق فاني كتوم للاسرار ولكن احلفك يمينا انك لا تخفي عني شيأ من امر سيدتك فعسى الله ان يعينني على قضاء اغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت له يا سيدي ما ضاع سرّ انت حافظه ولا خاب امر انت تسعى في قضائه اعلم ان قلبي مال اليك واكشف خبري عليك واعطنى الورقة ثم اخبرته بجميع الخبر وقالت الله على ما اقول شهيد فقال لها صدقت فان عندي علما باصل الخبر ثم حدّثها بحديث علي بن بكار وكيف اخذ ضميره واخبرها بالخبر من اوله الى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على انها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وبجميع ما يجري ترجع اليه وتخبره به فاعطاها الورقة فاخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتي شمس النهار اعطتها لي مختومة فاذا قرأها وردّ لي جوابها اتيتك به ثم ان الجارية ودعته ومضت الى علي بن بكار فوجدته فى الانتظار فاعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة ردّ الجواب واعطاها لها فاخذتها ورجعت بها الى الجوهري فأخذ منها وفض ختمها وقرأها فوجد الجوهري فيها مكتوبا هذين البيتين

إِنَّ الرَّسُولَ الَّذِي كَانَتْ رَسَائِلُنَا مَكْتُومَةً عِنْدَهُ ضَاعَتْ وَقَدْ غَضِبَا
فَاسْتَخْلِصُوا لِي رَسُولًا مِنْكُمْ ثِقَةً يَسْتَحْسِنُ الصِّدْقَ لَا يَسْتَحْسِنُ الْكَذِبَا

وبعد فانني ما اتيت بخيانة * ولا ضيّعت امانة * ولم يصدر مني جفاء * ولا تركت وفاء * ولا نقضت عهدا * ولا قطعت ودّا * ولا فارقت اسفا * ولالقيت بعد الفراق الّاتلفا * ولا علمت اصلا بما ذكرتم * ولا احب غير ما احببتم * وحق عالم السرّ والنجوى * ما قصدي الا ان اجتمع بمن اهوى * وشأني كتمان الغرام * وان امرضني السقام * و هذا شرح حالي والسلام * فلما قرأ الجوهري هذه الرقعة و عرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لاتخرج عن هذا المكان حتى اعود اليك لانه قد اتهمني بامر من الامور وهو معذور وانا اريد ان اجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار باي حيلة كانت فاني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني ردّ الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها و بات الجوهري مشوش الخاطر فلما اصبح الصباح صلّى الصبح وقعد ينتظر قدومها و اذا بها اقبلت وهي فرحانة الى ان دخلت عليه فقال لها ما الخبر يا جارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتي ودفعت لها الرقعة التي كتبها علي بن بكار فلما قراتها وفهمت معناها حارت في فكرها فقلت لها يا سيدتي لاتخشي من فساد الامر بينكما بسبب غياب ابي الحسن فاني وجدت من يقوم مقامه وهو احسن منه و اعلى مقدارا واهلا لكتمان الاسرار وقد حدّثتها بما بينك وبين ابي الحسن وكيف توصلت اليه والى علي بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة مني وقد وقعت انت عليها واخبرتها بما استقرّ عليه الامر بيني وبينك فتعجب الجوهري غاية العجب ثم قالت له ان سيدتي تشتهي ان تسمع كلامك لاجل ان تؤكد عليه

فيما بينك و بينه من العهود فاعزم على المسير معي اليها في هذا
الوقت فلما سمع الجوهري كلام الجارية رأه امرا عظيما و خطرا جسيما
لايمكن الدخول فيه ولا التهجم عليه فقال الجوهري للجارية يا اختي
اني من اولاد العوام ولم اكن كابى الحسن لان ابا الحسن كان رفيع
المقدار معروفا بالاشتهار مترددا على دار الخلافة لاحتياجهم الى
بضاعته و اما انا فان ابا الحسن كان يحدثني و انا ارتعد من حديثه
بين يديه و اذا كانت سيدتك رغبت في حديثي لها فينبغي ان يكون
ذلك في غير دار الخلافة بعيدا عن محل امير المؤمنين لانّ عقلي
ليس يطاوعني على ماتقولين ثم انه امتنع من المسير معها واما الجارية
فانها صارت تتضمن له السلامة و تقول له لاتخف ولاتخش من ضرر
وكرّرت عليه ذلك فهمّ ان يقوم معها فانثنت رجلاه وارتعشت يداه
فقال حاش الله ان اذهب معك و ليس لي قدرة على ذلك فقالت له
الجاريه اطمئن قلبك ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة
ولايمكنك المسير معي فانا اجعلها تسير اليك فلاتبرح من
مكانك حتى ارجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الّا قليلا
وعادت الى الجوهري وقالت له احذر من ان يكون عندك احد غيرك
من غلام او جارية فقال لها ماعندي غير جارية سوداء كبيرة السن
تخدمني فقامت الجارية واغلقت الباب بين جارية الجوهري
وبينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت
و معها جارية خلفها ودخلت بها دار الجوهري فاعبقت الدار من
الطيب فلما رآها الجوهري نهض قائما و وضع لها مرتبة و مخدة
فجلست عليها وجلس هو بين يديها فمكثت ساعة لم تتكلم حتى
اخذت الراحة ثم كشفت و جهها فخيّل للجوهري ان الشمس اشرقت

في منزله ثم قالت لجاريتها اهذا الرجل الذي قلت لي عليه قالت نعم فالتفتت الى الجوهري و قالت له كيف حالك قال بخير ودعاء في حياتك وحياة امير المؤمنين فقالت انك حملتنا على المسير عندك و ان نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن اهله و عياله فكشف لها عن جميع احواله و ما هو فيه وقال لها ان لي دار غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب و الاخوان و ليس لي فيها احد الا الجارية التي قلت عليها لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على اصل القصة و قصة ابي الحسن وسبب سفره فاخبرها بماخطر بباله ودعاء على السفر فتاوهت لفراق ابى الحسن وقالت يا فلان اعلم ان ارواح الناس متلائمة فى الشهوات و الناس بالناس لايتم عمل الا بقول و لا يتم غرض الا بسعي ولاتحصل راحة الا بعد تعب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان شمس النهار قالت للجوهري لا تحصل راحة الا بعد تعب و لا يظهر نجاح الا من ذى مروّة و قد اطلعتك الآن على امرنا و صار بيدك هتكنا وسترنا ولا زيادة لما انت عليه من المروة فانت قد علمت ان جاريتي هذه كاتمة لسرّي وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندى وقد اختصصتها لمهمات اموري فلا يكن عندك اعز منها و اطلعها على امرك و طب نفسا فانت آمن مما تخافه من جهتنا فما يسدّ عليك موضع الا وتفتحه لك وهي تأتيك من عندي باخبار علي بن بكار وتكون انت الواسطة في التبليغ بيننا ثم ان شمس النهار قامت وهي لا تستطيع القيام

و مشت فتمشى بين يديها الجوهري الى ان وصلت الى باب الدار ثم رجع و قعد فى موضعه بعد ان نظر من حسنها ما بهره و سمع من مقالها ما حير عقله و شاهد من ظرفها و ادبها ما ادهشه ثم استمرّ يتفكر في شمائلها حتى سكنت نفسه و طلب الطعام فاكل ما يمسك رمقه ثم غيّر ثيابه و خرج من داره و توجه الى الفتى علي بن بكار فطرق بابه فما توانت غلمانه حتى لاقوه و مشوا امامه الى ان اوصلوه الى سيدهم فوجده ملقى على فراشه فلما رأى الجوهريَ قال له ابطأت علّي فزدتني همّا على همّي ثم صرف غلمانه و امر بغلق ابوابه و قال له والله يا اخي ما غمضت عيني من يوم فارقتني فان الجارية جاءتني بالامس و معها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار و حكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال و الله لقد تحيرت في امري و قلّ صبري و كان لي ابو الحسن انيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهري كلامه ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامي و قد استبشرت بك و اتخذتك عدّة للنائبات ثم تاوّه و بكي و انشد هذه الابيات

وَضَاحِكٍ مِنْ بُكَائِي حِيْنَ اَبْصَرَنِي	لَوْكَانَ قَاسَى الَّذِي قَاسَيْتُ اَبْكَاهُ
لَمْ يَرْثِ لِلْمُبْتَلِي مِمَّا يُكَابِدُهُ	اِلَّا شَجٍ مِثْلُهُ قَدْ طَالَ بَلْوَاهُ
وَجْدِي حَنِيْنِي اَنِيْنِي فِكْرَتِي وَلَهِي	اِلَى حَبِيْبٍ زَوَايَا الْقَلْبِ مَأْوَاهُ
حَلَّ الْفُؤَادَ مُقِيْمًا لَا يُفَارِقُهُ	وَقْتًا وَلٰكِنَّهُ قَدْ عَزَّ لُقْيَاهُ
مَا لِي سِوَاهُ خَلِيْلٌ اَرْتَضِي بَدَلًا	وَمَا اصْطَفَيْتُ حَبِيْبًا قَطُّ اِلَّا هُوَ

فلما سمع الجوهري منه هذا الكلام وفهم الشعر و النظام بكى لبكائه واخبره بما جرى له مع الجارية وسيدتها من حين فارقه فصار ابن بكار

يصغي الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغيّر لون وجهه من صفرة الى احمرار و يقوي جسمه مرة و يضعف اخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار و قال له يا اخي انا على كل حال هالك فليت اجلي قريب كنت ارتاح من هذا ولكنني اسالك من فضلك ان تكـون معاوني و ملاطفي في جميع اموري الى ان يريد اللـــه بما يريده و اني لاخالف لك قولا فقال له الجوهري لا يطفئ عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها و لكن يكون في غير هذا المكان الخطير بل يكون ذلك عندي في الموضع الذي جاءتني فيه الجارية و سيدتهـــا وهو الموضـــع الذي اختارته لنفسها و المقصود من ذلك اجتمـاعكما ببعضكما و شكوا كمـــا ما قاسيتما من الم الحب فقال علي بن بكار يا سيدي افعل ما تريد واجرك على الله فماترى فيه الصواب عليك به و لا تطول عليّ لئلا اموت بهذه الغصة قال الجوهري فاقمت عنده تلك الليلة اسامره الى ان اصبح الصباح وطلع النهار و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عـن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال فاقمت عنده تلك الليلـة اسامره الى ان طلـع النهار ثم صلّيت الصبح و خرجت من عنده وذهبت الى منزلي فما استقرّيت الاّ قليلا حتى جاءت الجارية فسلمت عليّ فرددت عليها السلام و حدثتها بما كان بيني وبين علي بن بكار فقالت الجارية اعلم ان الخليفة توجّه من عندنا وان مجلسنا لا احد فيه و هو استرلنا و احسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلي هذا فانه اليق بنا .واسترلنا فقالت الجارية الرأي كما تراه انت

و انا ذاهبة الى سيدتي لاخبرها بما ذكرت و اعرض عليها ما قلت ثم قامت و مضت حتى دخلت على سيدتها و عرضت عليها الكلام وعادت الى منزلي وقالت لي الامر صار على ما ذكرته فهيّئ لنا المحل و انتظرنا ثم اخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت لي ان سيدتي تسلم عليك و تقول لك خذ هذا واقض منه ما يحتاج اليه الحال فاقسمت اني لا آخذه منه شيأ فاخذته الجارية و عادت الى سيدتها فقالت ياسيدتي انه لم يقبل الدراهم بل دفعها اليّ فقالت لا باس قال الجوهري ثم اني قمت بعد رواح الجارية و ذهبت الى داري الثانية و حوّلت اليها ما يحتاج اليه الحال من الآلات و الفرش الفاخرة و نقلت اليها اواني الصيني و الزجاج و الفضة و الذهب و هيّأت جميع ما يحتاج اليه من المأكل و المشرب فلما حضرت الجارية و نظرت ما فعلته اعجبها و امرتني باحضار علي بن بكار فقلت ما يحضره الاّ انت فذهبت اليه و احضرته على اتمّ حال و قد راقت محاسنه قال الجوهري فتلقيته و ترحبت به ثم اجلسته على مرتبة تصلح له و وضعت بين يديه شيأ من المشموم المنزه في بعض الاواني الصيني والبلور من سائر الالوان و وضعت سفرة فيها من سائر الالوان الملوّنة مما تشرح رويته الصدر و جلست احدثه و اسليه ثم ان الجارية مضت و غابت الى المساء و عادت بعد المغرب ومعها شمس النهار ووصيفتان لاغير فلما رأت علي بن بكار و رآها قام قائما و اعتنقها فاعتنقته الاخرى فسقطا على الارض مغشيا عليهما قدر ساعة زمانية فلما افاقا اقبلا على بعضهما يتشاكيان الم الفراق ثم جلسا يتحدّثان بكلام فصيح عذب رقيق واستعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران من صنعي معهما فقلت لهما هل لكما في شيء من الطعام فقالا نعم

فاحضرتُ شيأً من الطعام فاكلا حتى اكتفيا ثم غسلا ايديهما ثم نقلتُهما الى مجلس آخر واحضرتُ لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لي يا سيدي كمِّل جميلك واحضر لنا عودا او شيأً من آلات الطرب لاجل ان يكمل سرورنا في هذه الساعة فقلت على الرأس والعين ثم اني قمت واحضرتُ عودا فاخذتْه واصلحته ثم انها وضعته في حجرها وضربت عليه ضربا بليغا هيجت الشجون واطربت المحزون ثم انشدت هذين البيتين

أَرِقْتُ حَتَّى كَأَنِّي أَعْشَقُ الْأَرَقَا ... وَذُبْتُ حَتَّى كَأَنَّ السُّقْمَ لِي خُلِقَا
وَفَاضَ دَمْعِي عَلَى خَدِّي فَأَحْرَقَهُ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَعْدَ الْفِرَاقِ لِقَا

ثم انها اخذت في غناء الاشعار حتى حيرت الافكار وهي تغنّي باصوات مختلفة واشعار رائقة حتى كاد المجلس ان يرقص من شدة الطرب بما اتت فيه من مغانيها بالعجب وما بقي لنا عقل ولافكر ولمّا استقرّ بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤس اطربت الجارية بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وَعَدَ الْحَبِيبُ بِوَصْلِهِ وَوَفَى لِي ... فِي لَيْلَةٍ سَأَعُدُّهَا بِلَيَالِي
يَا لَيْلَةً سَمَحَ الزَّمَانُ لَنَا بِهَا ... فِي غَفْلَةِ الْوَاشِينَ وَالْعُذَّالِ
بَاتَ الْحَبِيبُ يَضُمُّنِي بِيَمِينِهِ ... مِنْ فَرْحَتِي فَضَمَمْتُهُ بِشِمَالِي
عَانَقْتُهُ وَرَشَفْتُ خَمْرَةَ رِيقِهِ ... وَحَظِيتُ بِالْمَعْسُولِ وَالْعَسَّالِ

قال الجوهري فبينما نحن في بحر السرور غارقون واذا بوصيفة صغيرة دخلت علينا وهي ترتعد وقالت ياسيدتي انظري كيف تذهبين فان القوم احاطوا بكم وادركوكم ولم ندر سبب ذلك فلما سمعتُ كلامه قمت مرعوبا واذا بجارية تقول جاءكم البلاء فضاقت عليّ الارض

بما رحبت ونظرت الى الباب فلم اجد مسلكا فتطيّت الى دار بعض
الجيران وتخبّيت فوجدت الناس قد دخلوا داري وصار لهم ضجة
عظيمة فاعتقدت ان خبرنا قد وصل الى الخليفة فارسل صاحب الشرطة
ليكْبس علينا ويحضرنا اليه فبقيت متحيرا ولم ازل مقيما الى نصف
الليل ولم اقدر على الخروج من المكان الذى انا فيه فقام صاحب
الدار واحسّ بي ففزع وصار عنده فزع عظيم مني فطلع من بيته
وجاء اليّ وبيده سيف مسلول وقال من هذا الذي عندنا فقلت له
انا جارك الجوهري فعرفني ورجع عني. ثم جاء بضوء وتقدّم عندي وقال
لي يا اخي ما هان عليّ الذي جرى لك الليلة فقلت له يا اخي عرّفني
عن من كان في داري ومن دخلها وكسر بابي فاني هربت عندك
ولم اعلم القصة فقال لي ان اللصوص الذين جاوُا الى جيراننا بالامس
وقتلوا فلانا واخذوا ماله قد رأوك بالامس وانت تنقل حوائجك وتاتي
بها الى هذا المكان فجاؤك واخذ واما عندك وقتلوا ضيوفك قال
الجوهري فقمت انا وجاري وجئنا الى الدار فوجدناها خالية ولم يبق
فيها شئ فتحيرت في امري وقلت اما الامتعة فلا ابالي بضياعها وان
كنت استعرت بعض الامتعة من اصحابي وضاعت فلا باس بذلك لانهم
عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري واما علي بن بكار ومحظية
امير المؤمنين فاخشى ان يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب
رواح روحي ثم التفت الى جاري وقلت له انت اخي وجاري وتستر
عليّ عوراتي فما الذي تشير به عليّ من الامور فقال لي الرجل الذي
اشير به عليك ان تتربص فان الذين دخلوا دارك واخذوا متاعك قد قتلوا
احسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من عند صاحب الشرطة
واعوان الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يصادفونهم

فيحصل مرادك بغير سعي منك فلما سمع الجوهري هذا الكلام رجع الى
داره الثانية التي هو ساكن بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما سمع الكلام رجع الى
داره الثانية التي هو ساكن بها و قال في نفسه ان الذي حصل لي
هو الذي خاف منه ابوالحسن و ذهب الى البصرة و قد وقعتُ فيه
انا ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فاقبل اليه الناس من كل جانب
ومكان فمنهم من هو شامت به ومنهم من هو عاذر وحامل همّه فصار
يشكولهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا مما به فبينما هو جالس
متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب
يدعوك لم اعرفه فخرج الجوهري اليه وسلّم عليه ووجده انسانا
لم يعرفه فقال له الرجل ان لي حديثا بيني وبينك فادخله الدار
وقال له ماعندك من الحديث فقال له الرجل امض معي الى دارك
الثانية فقال الجوهري وهل تعرف داري الثانية فقال ان جميع خبرك
عندي وان عندي ايضا مايفرج الله به همّك عنك فقلت في نفسي
انا امضي معه حيث اراد ثم توجهت الى ان اتينا الدار فلمارأى الرجل
الدار قال انها بغير باب ولا ابواب ولا يمكن القعود فيها فامض بنا الى غيرها
فلم يزل الرجل يدور من مكان الى مكان وانا معه حتى دخل علينا
الليل ولم اسأله عن امر من الامور ثم انه لم يزل يمشي وانا امشي معه
حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعني وصار يُهَرْوِل في مشيه وانا
أُهَرْوِل وراءه واقوي قلبي على المشي حتى اتينا البحر فطلع بنا فى
زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا الى البر الثاني فنزل من ذلك

الزورق ونزلت خلفه فاخذ الرجل بيدى ونزل بي في درب لم ادخله
طول عمرى ولم اعلم هو في اي ناحية ثم ان الرجل وقف على باب
دار وفتحها ودخل وادخلني معه واغلق بابهـا بقفل من حديد
ثم مشي بي في دهليزها حتى دخلنـا على عشرة رجال كانهم رجل
واحد وهم اخوان قال الجوهري فسلمنا عليهم فردّوا علينا السلام
وامرونا بالجلوس فجلسنا وكنت قد هلكت من شدة التعب فجاؤا
اليّ بماء ورد ورشّوه على وجهي وسقوني شرابا وقدموا اليّ طعاما
واكل بعضهم معي فقلت لو كان فى الطعام شيء مضرّ لم يأكلوا منه
معي فلما غسلنا ايدينا عاد كل منا الى مكانه وقالوا هل تعرفنـا فقلت
لاولا عمري رأيتكم بل ولارايت الذي احضرني اليكم ولارأيت هذا
الموضع ابدا فقالوا اطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلت لهم
اعلموا ان حالي عجيب وامري غريب فهل عندكم شيء من خبري
قالوا نعم نحن الذي اخذنا امتعتك فى الليلة المـاضية واخذنا
صديقك والتي كانت تغنّي معه فقلت لهم اسبل الله عليكم ستره اين
صديقي هو والتي كانت تغنّي معه فاشاروا اليّ بايديهم الى ناحية وقالوا
ههنا ولكن والله يا اخي ماظهر سرّهما على احد منا غيرك ومن
حين اتينا بهما لم نرهما الى هذا الوقت ولم نسألهما عن حالهمـا
لمارأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذي منعنا عن قتلهما
فاخبرنا عن حقيقة امرهما وانت فى امان على نفسك وعليهما قال
الجوهري فلما سمعت هذا الكلام كدت ان اهلك من الخوف والفزع
وقلت لهم يا اخواني اعلموا ان المروة اذا ضاعت لم توجد الّا عندكم
واذا كان عندي سرّاخاف انشـاءه فلايخفيه الا صدوركم وصرت
ابالغ لهم في هذا المعنى ثم اني وجدت المبادرة لهم بالحديث

الفع واحسن من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت الى
آخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار
وهذه الجارية شمس النهار قلت نعم فصعب عليهم ذلك و قاموا
واعتذروا لهما ثم قالوا لي ان الذي اخذناه من دارك ذهب
بعضه و هذا باقيه ثم ردّوا اليّ اكثر الامتعة والتزموا انهم يعيدونها
الى محلها في داري ويردون لي الباقي فاطمأن قلبي ولكنهم
انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي وقسم منهم عليّ ثم خرجنا
من تلك الدار هذا ما كان من امري واما ما كان من امر علي بن بكار
وشمس النهار فانهما قد اشرفا على الهلاك من شدة الخوف ثم اني
تقدمت الى علي بن بكار و شمس النهار و سلمت عليهما وقلت لهما
ياترى كيف جرى بالجارية و الوصيفتين واين ذهبن فقالا لاعلم
لنا بهن ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المكان الذي فيه السُمَيرية
فاطلعونا فيها واذا هي التي عدينا فيها بالامس فقذف بنا الملاح حتى
اوصلنا الى البر الثاني فانزلونا على جانب البر فما استقربنا الجلوس
على جانب البر وما استرحنا الا والخيالة قد احاطوا بنا مثل العقبان
من كل جانب ومكان فوثب الذين كانوا معنا عاجلا كالعقاب فرجعت لهم
السُمَيريّة فنزلوا فيها و دفع بهم الملاح فصاروا في وسط البحر
و ذهبوا و بقينا نحن على البر على شاطئ البحر لا نستطيع الحركة
ولا السكون فقال لنا الخيالة من اين انتم فتحيرنا في الجواب قال
الجوهري فقلت لهم ان هؤلاء الذين رأيتموهم معنا كانوا عيارين
لانعرفهم واما نحن فمغنون و ارادوا اخذنا لنغنّي لهم فما تخلصنا
منهم الّا باللطافة ولين الكلام فافرجوا عنا في هذه الساعة و قد
كان منهم ما رأيتم من امرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار وعلي

بن بكار وقالوا لي لست صادقا في كلامك فان كنت صادقا فاخبرنا من
انتم و من اين انتم و ما موضعكم و في اي الحارت انتم ساكنون قال
الجوهري فلم ادرما اقول لهم فوثبت شمس النهار وتقدمت الى مقدم
الخيالة و تحدثت معه سرّا فنزل من فوق جواده واركبها عليه واخذ
بزمامها و صار يقودها وكذلك فعل آخر بالفتى علي بن بكار وفعل
بي ايضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرابنا الى موضع على
جانب البحر وصاح بالرطانة فاقبل له جماعة من البرية معهم سميريتان
فطلّعنا المقدم في واحدة وهومعنا وطلع اصحابه في الثانية وقذفوا بنا
الى ان انتهينا الى دارالخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف
و لم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المحل الذي نتوصل منه الى
موضعنا فنزلنا على البر ومشينا و معنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا
الى ان دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة و
مضوا الى حال سبيلهم واما نحن فقد دخلنا مكاننا و نحن لانقدر
ان نتحرك من مكاننا ولاندري الصباح من المساء ولم نزل على
هذه الحالة الى ان اصبح الصباح فلما جاء آخر النهارسقط علي بن بكار
مغشيا عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك
فجاوني بعض اهله وايقظوني و قالوا حدثنا بماجرى على ولدنا وما
هذا الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي و ادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السيعدان الجوهري قال لهم ياقوم اسمعوا
كلامي و لا تفعلوا بي مكروها واصبروا و هو يفيق و يخبركم بقصته

بنفسه ثم شددت عليهم و خوفتهم من الفضيحة بيني وبينهم فبينما
نحن كذلك واذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح اهله وانصرف
الناس عنه و منعني اهله من الخروج من عنده ثم رشّوا ماء الورد
على وجهه فلما افاق وشمّ الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم
ولسانه لايرد جوابا بسرعة ثم اشار اليهم ان يطلقوني لاذهب الى منزلي
فاطلقوني فخرجت وانا لا اصدق بالخلاص واتيت الى داري وانا بين
رجلين حتى وصلت الى اهلي فلما رأوني على تلك الحالة قاموا بالعياط
ولطموا على وجوههم فاومأت اليهم بيدي ان اسكتوا فسكتوا وانصرف
الرجلان الى حال سبيلهما وانقلبت على فراشي بقية ليلتي ولم افق
الّا وقت الضحى فوجدت اهلي مجتمعين حولي فقالوا ما الذي دهاك
وبشرّه رماك فقلت ائتوني بشيء من الشراب فجاؤا لي شرابا فشربت
منه حتى استكفيت ثم قلت لهم قد كان ماكان فانصرفوا الى حال
سبيلهم ثم اعتذرت الى اصحابي وسألتهم عن الذي ذهب من داري هل
عاد شيء منه فقالوا عاد البعض وسببه انه جاء انسان ورماه في
باب الدار ولم ننظره فسليت نفسي واقمت في مكاني يومين وانا لااقدر
على القيام من محلّي ثم قوّيت نفسي ومشيت حتى دخلت الحمام
وانا عندي تعب شديد وقلبي مشغول من جهة علي بن بكار وشمس
النهار ولم اسمع لهما خبرا في تلك المدة ولم استطع الوصول الى
دار علي بن بكار ولم يستقر لي قرار في مكاني خوفا على نفسي ثم تبت
الى الله تعالى مما صدر مني وحمدته على سلامتي وبعد مدة
حدثتني نفسي ان اتصل تلك الناحية وارجع في ساعة فلما اردت
المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها
سرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع وصرت كلما

انظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى احدثك بشيء وانا لم التفت اليها ولم ازل سائرا الى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي ادخل في هذا المسجد لا قول لك كلمة ولا تخف من شيء وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصلّيت ركعتين ثم تقدمتُ اليها وانا اتأوّه وقلت لها ما بالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي واخبرتها بما جرى لعلي بن بكار وقلت لها ماخبرك فقالت اعلم اني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خِفت منهم وخشيت ان يكونوا من عند الخليفة فيأخذونني انا وسيدتي فنهلك في وقتنا فهربت من السطوح انا والوصيفتان ورمينا انفسنا من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم واوصلونا الى قصر الخلافة ونحن على اقبح صفة ثم اخفينا امرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى ان جنّ الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذي اخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتي لم نعلم لها خبرا فاحملني في الزورق حتى اذهبُ وافتشُ عليها في البحر لعلّي اقع على خبرها فحملني في الزورق وسار بي ولم ازل سائرة في البحر حتى انتصف الليل فرأيت سُمَيريّة اقبلت الى جهة الباب وفيها رجل يقذف ومعه رجل آخر واقف وامرأة مطروحة بينهما وما زال يقذف الى ان وصلت الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هي شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري وقد اندهشت

من الفرح بعد ان قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها امرتني ان
ادفع الى الرجل الذي جاء بها الف دينار ثم حملتها انا والوصيفتان الى ان
القيناها على فراشها فاقامت تلك الليلة على حالة مكدّرة فلما اصبح
الصباح منعت انا للجواري والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك
اليوم وفي ثاني يوم افاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة
فرشّشت على وجهها ماء الورد وغيّرت ثيابها وغسّلت يديها ورجليها
ولم ازل أُلاطِفُها حتى اطعمتها شيأ من الطعام و اسقيتها شيأ من الشراب
و هي ليس لها قابلية في شيء من ذلك فلما شمّت الهواء وتوجّهت اليها
العافية صرت اعاتبهـــا وقلت لها يا سيدتي انظري وارفقي بنفسك فقد
رأيتِ ما جرى لنا وقد حصل لكِ من المشقة ما فيه الكفاية فانكِ قد
اشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية الخير ان الموت عندي
اهون مما جرى لي فاني كنت مقتولة لا محالة لان اللصوص لمّا خرجوا
بنا من بيت الجوهري سألوني وقالوا لي من تكونين انت فقلت انا
جارية من المغنّيات فصدّقوني ثم سألوا علي بن بكار عن نفسه وقالوا له
من تكون انت وما شأنك فقال انا من عوام الناس فاخذونا وسرنا
معهم الى ان انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع معهم في السير
من شدة الخوف فلما استقرّوا بنا في اماكنهم تأملوني ونظروا ما عليّ
من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا امري وقالوا ان هذه العقود
لم تكن لواحدة من المغنيات فاصدقينا وقولي لنا الحق ما قضيتكِ
فلم اردّ عليهم جوابا بشيء وقلت في نفسي الآن يقتلــونني لاجل
ما عليّ من الحلي والحلل فلم انطق بكلمة فالتفت العيّـــارون الى
علي بن بكار وقالوا له وانت من تكون ومن اين انت فان رؤيتك غير
رؤية العوام فسكَتَ وصرنا نكتم امرنا ونبكي فحنّن الله علينا قلوب

اللصوص فقالوا لنا من يكون صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهري فقال واحد منهم انا اعرفه حق المعرفة و اعرف مكانه انه ساكن في داره الثانية و عليّ ان آتيكم به في تلك الساعة واتفقوا على ان يجعلوني في موضع وحدي و علي بن بكار في موضع وحده و قالوا لنا استريحا ولاتخافا ان ينكشف خبركما وانتما في امان منّا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهري واتي به وكشف امرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم احضرلنا سُمَيرِيّة فاطلعونا فيها وعدوابنا الى الجانب الثاني ورمونا الى البرّ وذهبوا فاتت خيالة من اصحاب العسس وقالوا لنا من تكونوا فتكلمتُ مع المقدم على العسس وقلت له انا شمس النهار حظية الخليفة فاني سكرت وحرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاءني العيارون واخذوني فاوصلوني الى هذا المكان فلما رأوكم فرّواهاربين و انا قادرة على مكافأتك فلما سمع مقدم الخيالة كلامي عرفني ونزل عن مركوبه واركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجوهري وفي كبدي الآن من اجلهما لهيب النار لا سيما الجوهري رفيق ابن بكار فامضي اليه وسلمي عليه واستخبري منه علي بن بكار فكلمتها ولمتها على ما وقع منها و حذرتها و قلت لها ياسيدتي خافي على نفسك فصاحت عليّ و غضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت اليك فلم اجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصرت واقفة ارتقبك حتى اسألك عنه و اعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك ان تاخذمني شيأ من المال فانك لابد استعرت امتعة من اصحابك وضاعت عليك فتحتاج ان تعوض على الناس ماذهب لهم من الامتعة عندك قال الجوهري فقلت سمعا وطاعة سيري و مشيت معها الى ان اتينا الى قرب محلي فقالت

لي تف هنا حتى اعود اليک و ادرک شهر زاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملک السعيدان الجوهری لما قالت له الجارية قف
هنا حتى اعود اليک و مضت ثم عادت وهي حاملة المال ورفعته
اليّ و قالت لي يا سيدی نجتمع بک في اي محل فقلت لها امضي
واتوجه الى داري في هذه الساعة و اتحمل الصعوبة لاجل خاطرک
واتدبر فيما يوصلک اليه فانه يتعذر الوصول اليه في هذا الوقت
قالت فاخبرني بمحل آتيک فيه فقلت لها في داري ثم ودّعتني
ومضت فحملت المال واتيت به الى منزلي وعددت المال
فوجدته خمسة آلاف دينار فاعطيت اهلي منه شيأ ومن كان له عندي
شيء اعطيته عوضاعنه ثم اني قمت و اخذت غلماني وذهبت
الى الدار التي ضاعت منها الامتعة وجئت بالمعمارين والنجّارين
و البنّائين فاعادوها الى ما كانت عليه وجعلتُ جاريتي فيها
ونسيتُ ماجرى لي ثم تمشيت واتيت الى دار علي بن بكار فلما
وصلت اليها اقبل غلمانه عليّ وقالوا لي ان سيدي في طلبک
ليلا ونهارا ووعدَنا ان كل من اتى بک اليه يعتقه فهم يدورون
ويفتّشون عليک ولا يعرفون لک موضعا وقد رجعتْ الى سيدنا
عافيته فهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرک ويقول
لابدان تحضروه لي لحظة ويعود الى سكرته قال الجوهري فمضيت مع
الغلام اليه فوجدته لايستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند
رأسه ففتح عينيه فلمارآني بكى وقال لي اهلا ومرحبا ثم اسندته

واجلسته وضممته الى صدري فقال لي اعلم يا اخي اني من حين
رقدتُ ما جلست الآن في هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك
قال الجوهري فلم ازل اسنده حتى اوقفته على رجليه ومشّيته
خطوات وغيّرت اثوابه وشرب شرابا وكل ذلك لاجل ان يطيب خاطره
فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعني
احد ثم قلت له شدّ نفسك وحيلك فانا اعرف ما بك فتبسم فقلت له
انك لا تجد الا ما يسرّك ويداويك ثم ان علي بن بكار امر باحضار
الطعام فاحضروه واومى الى غلمانه فتفرّقوا ثم قال لي يا اخي هل
رأيت ما اصابني واعتذرلي وسألني عن حالي في هذه المدة
فاخبرته بجميع ماجرى لي من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال
للخدم ائتوني بكذا وكذا فاتوه بفرش نفيس وبسط وغير ذلك من
تعاليق الذهب والفضة اكثر من الذي ضاع لي واعطاني اياه جميعا
فارسلته الى منزلي واقمت عنده ليلتي فلما اسفر الصبح قال لي
اعلم ان لكل شيء نهاية ونهاية الهوى الموت او الوصال وانا الى
الموت اقرب فيا ليتني متُّ قبل الذي جرى ولولا ان الله لطف بنا لافتضحنا
ولا ادري ما الذي يوصلني الى الخلاص مما انا فيه ولولا خوفي
من الله لعجّلت على نفسي بالهلاك واعلم يا اخي انني كالطير
في القفص وان نفسي هالكة لا محالة من الغصص ولكن لها وقت معلوم
واجل محتوم ثم بكى واشتكى وانشد يقول شعر

لَقَدْ كَفَى مَاجَرَى لِلصَّبِّ مَدْمَعُهُ ... أَمَّا الأَسَى عَنْ جَمِيعِ الصَّبْرِ يَرْدَعُهُ
قَدْ كَانَ يَجْمَعُ لِلْأَسْرَارِ كَاتِمُهَا ... فَفَرَّقَتْ عَيْنُهُ مَا كَانَ يَجْمَعُهُ

فلما فرغ من شعره قال له الجوهري ياسيدي اعلم اني عولت على الذهاب

الى داري فلعل الجارية ترجع اليّ بخبر فقال علي بن بكار لا باس بذلك ولكن اذهب واسرع بالعود عندي لاجل ان تخبرني فانك ترى حالي فودّعتُه وانصرفت الى داري فلم استتم الجلوس الا والجارية اقبلت وهي مختنقة بالبكاء فقلت لها ما سبب ذلك فقالت ياسيدي اعلم انه حلّ بنا ماحلّ من امر نخافه فاني لما مضيت من عندك بالامس صادفت سيدتي وهي مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة فامرت بضربها فخافت وهربت من سيدتها فخرجت فلاقاها بعض الموكلين بالباب فاخذها واراد ردها الى سيدتهـا فلوّحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فاخبرته بما كنّا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فامر بنقل سيدتي شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكّل بها عشرين خادما ولم اجتمع بها الى الآن ولم اعلمهـا بالسبب وتوهمت انه بسبب ذلك فخشيت انا على نفسي واحترتُ ياسيدي ولم ادر كيف افعل وكيف احتال في امري وامرها فان ما عندها احفظ واقرب لكتمـان السر غيري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري ان سيدتي لم يكن عندها اقرب واحفظ لكتمان السر مني فامض وتوجه ياسيدي الى علي بن بكار سريعا واخبره بذلك لاجل ان يكون على اهبة وحذر فاذا انكشف الامر نتدبر في امر نفعله لنجاة انفسنا قال الجوهري فاخذني من ذلك همّ عظيم وصار الكون في وجهي ظلاما من كلام الجارية وهمّت الجارية لتمضي فقلت لها وما الرأي وما بقي في الامر وقت فقالت لي

الرأي ان تبادر الى علي بن بكار ان كان صديقك و انت تريد له
النجاة وانت عليك بتبليغ هذا الخبر له بسرعة ولا تطول عليه هذه
المدة ولا تبعد المسافة وانا عليّ ان اتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتني
وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت في اثرها و مضيت الى
علي بن بكار فوجدته يمنّي نفسه بالوصال و يعلّلها بالمحال فلما
رآني رجعت اليه عاجلا قال لي اني اراك رجعت اليّ وجئت في الحال
فقلت له اصبر اقصر من التعلق المطال ودع ما انت فيه من
الاشتغال فقد حدث حادث وامر فيه اتلاف نفسك و مالك فلما
سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال لي يا اخي اخبرني بماوقع
فقلت له يا سيدي اعلم انه قد جرى ماهو كذا وكذا و انك تالف
لامحالة ان اقمت في دارك هذه الى آخر النهار فبهت علي بن بكار
وكادت روحه ان تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال لي اي
شيءٍ افعل يا اخي وما عندك من الرأي فقلت له الرأي خذ معك
من مالك ماتقدر عليه ومن غلمانك ماتثق به وامض بنا الى ديار
غير هذه قبل ان ينقضي هذا النهار فقال لي سمعا وطاعة فوثب علي
بن بكار وهو متخبل ومتحير في امره فتارة يمشي و تارة يقع فاخذ
ما قدر عليه و اعتذر الى اهله واوصاهم بمقصوده واخذ معه ثلثة
جمال محملة وركب دابته وقد فعلت انا كما فعل ثم خرجنا خفية
ونحن متنكّرون وسرنا ولم نزل مسافرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان
آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا ونمنا فحلّ علينا التعب
وغفلنا عن انفسنا واذا باللصوص احاطوا بنا واخذوا جميع ماكان
معنا وقتلوا الغلمان لما ارادوا ان يمنعوا عنّا ثم تركونا مكاننا ونحن
في اقبح حال بعد ان اخذوا المال وساقوا الجميع وساروا فلما قمنا

مشينا الى ان اصبح الصباح فوصلنا الى بلد فدخلناها وقصدنا
مسجدها فدخلنا اليه ونحن عريانون فجلسنا في جانب المسجد
باقي يومنا كله فلما جاء الليل بتنا فيه تلك الليلة ونحن بغير اكل
وشرب فلما اصبح الصباح صلّينا الصبح وجلسنا واذا برجل دخل
وسلم علينا وصلّى ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل انتم
غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرّونا ودخلنا هذه
البلدة ولم نعرف فيها احدا نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم ان
تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي بن بكار قم بنا معه
فننجو من امرين الاول اننا نخشى ان يدخل علينا احد الى هذا المسجد
فيعرفنا فنفتضح والثاني اننا ناس غرباء وليس لنا محل نأوي اليه
فقال علي بن بكار افعل ماتريد ثم ان الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء
اطيعوني وسيروا معي الى مكاني قال الجوهري فقلت له السمع
والطاعة ثم ان الرجل خلع علينا شيأً من اثوابه والبسنا واعتذر لنا
ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج اليه خادم صغير
وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل
امر باحضار بقجة فيها ثياب وشاشات فالبسنا حلتين واعطانا شاشين
فتعمّمنا وجلسنا واذا بجارية اقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين ايدينا
وقالت كلوا فاكلنا شيأً يسيرا ورفعت المائدة ثم اقمنا عنده الى ان
دخل الليل فتأوّه علي بن بكار وقال للجوهري اعلم يا اخي انني هالك
لامحالة واريد ان اوصيك بوصيّة وهو انني اذا رأيتني مت اذهب
الى والدتي واخبرها واوصها ان تأتي الى هذا المكان لاجل ان تأخذ
عزائي وتحضر غسلي واوصها ان تكون صابرة على فراقي ثم خرّ مغشيا
عليه فلما افاق سمع جارية تغنّى من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغي

اليها ويسمع صوتها وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكي شجنا وحزنا مما اصابه فسمع الجارية التي تغنى تنشد هذه الابيات

عَجَّلَ ٱلْبَيْنُ بَيْنَنَا بِالْفِرَاقِ ... بَعْدَ إِلْفٍ وَجِيرَةٍ وَٱتِّفَاقِ
فَرَّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي ... لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ التَّلَاقِي
مَا أَمَرَّ الْفِرَاقَ بَعْدَ اجْتِمَاعٍ ... لَيْتَهُ مَا أَضَرَّ بِالْعُشَّاقِ
غُصَّةُ ٱلْمَوْتِ سَاعَةٌ ثُمَّ تَقْضِي ... وَفِرَاقُ ٱلْحَبِيبِ فِي ٱلْقَلْبِ بَاقِي
لَوْ وَجَدْنَا إِلَى ٱلْفِرَاقِ سَبِيلًا ... لَأَذَقْنَا الْفِرَاقَ طَعْمَ الْفِرَاقِ

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة فارقت روحه جسده قال الجوهري فلما رأيته مات اوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم انني ذاهب الى بغداد لاخبر امّه واقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم اني اتيت الى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيابي وبعد ذلك جئت الى دار علي بن بكار فلما رآني غلمانه اتوا اليّ وسألوني عنه وسألتهم ان يستأذنوا لي بالدخول على والدته فاذنت لي بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله مدبر الانفاس بامره واذا قضى امرا لا مفرّ من قضائه وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فتوهمت ام علي بن بكار من هذا الكلام ان ابنها قدمات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك ان تخبرني هل توفي ولدى فلم اقدران اردّعليها جوابا من البكاء وكثرة الجزع فلمارأتني على تلك الحالة انخنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت ما كان من امر ولدى فقلت لها اعظم الله اجرك فيه ثم اني حدثتها بما كان من امره من الابتداء الى الانتهاء فقالت هل اوصاك بشيء فقلت لها نعم وحكيت لها على ما اوصاني به وقلت لها اسرعي في تجهيزه

فلما سمعت ام علي بن بكار كلامي سقطت مغشيا عليها فلما افاقت عزمت على ما اوصيتها به ثم انّي ذهبت الى داري وصرت فى الطريق اتفكر فى حسن شبابه فبينما انا كذلك واذا بامرأة قد قبضت علي يدي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال و اذا بامرأة قبضت على يدي فتأملتها واذا هي الجارية التي تأتي من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا حتى اتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر الفتى علي بن بكار فقالت لا والله فاخبرتهـا بخبره وما كان من امره ونحن نبكي ثم اني قلت لها وكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل امير المؤمنين فيها قول احد لشدة محبته لها وقد حمل جميع امورها على المحامل الحسنة وقال الخليفة لهـا يا شمس النهـــار انت عندي عزيزة وانا احملك على رغم اعدائك ثم امر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحـــة وصارت عنده من ذلك في عيش رغيد وقبول عظـيم فاتفق انه جلس يوما من الايام على جري عادته للشـــرب وحضـرت المحـــاظي بين يديه فاجلسهن في مراتبهن واجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها و زاد امرها فعند ذلك امر جارية من الجواري ان تغنى فاخذت العـــود واصلحته و جسّته و ضربت به ثم انشدت تقول شعـــــــــر

وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْهَوَى فَاَجَبْتُهُ   وَدَمْعِي يَخُطُّ الْوَجْدَ خَطًّا عَلَى خَدِّي
كَاَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تُخْبِرُ حَالَنَا   فَتُبْدِي الَّذِي اُخْفِي وَتُخْفِي الَّذِي اُبْدِي

فَكَيْفَ أَرُومُ السِّرَّ أَوْ أَكْتُمُ الهَوَى وَفَرْطُ غَرَامِي فِيكَ يُظْهِرُ مَا عِنْدِي
وَقَدْ طَابَ مَوْتِي عِنْدَ فَقْدِ أَحِبَّتِي فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَا يَطِيبُ لَهُمْ بَعْدِي

فلما سمعت شمس النهار انشاد الشعر من الجارية لم تستطع الجلوس وسقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجّت الجواري وقلّبها امير المؤمنين وحرّكها فاذا هي ميتة فحزن امير المؤمنين لموتها حزنا شديدا وامر بتكسير كل ما كان في المجلس من الاواني والعيدان وآلات الملاهي والطرب وحملها في حجره بعد موتها ومكث عندها باقي ليلته فلما طلع النهار جهزها وامر بغسلها وتكفينها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذي كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهري سألتك بالله الا ما اعلمتني يوم وصول جنازة علي بن بكار لاجل ان احضر دفنه فقال لها امّا انا ففي ايّ محل شئت تجديني واما انت ففي ايّ محل اجدك ومن يستطيع الوصول اليك في المحل الذي انت فيه فقالت له ان امير المؤمنين لما ماتت شمس النهار اعتق جواريها من يوم موتها وانا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها في المحل الفلاني فقمت معها واتيت الى قبرها وزرت شمس النهار ومضيت الى حالي ولم ازل انتظر جنازة علي بن بكار الى ان جاءت فخرجت له اهل بغداد وخرجتُ معهم فوجدت الجارية بين النساء وهي اشدهن حزنا ولم يتفق في بغداد جنازة اعظم منها ولم نزل في ازدحام عظيم حتى انتهينا الى المقبرة ودفناه الى رحمة الله تعالى وصرت لا انقطع عن زيارة قبره وقبر شمس النهار فهذا ما كان من حديثهما رحمهما الله تعالى وليس هذا باعجب من حديث الملك شهرمان

قال لها الملك وكيف كان ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك يسمّى الملك شهرمان وكان صاحب عسكر عظيم وخدم واعوان الا انه كان قد كبر سنه ورقّ عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكى ذلك لبعض وزرائه وقال اني اخاف اذا مت ضاع الملك لانّي لم اجد من يتولّاه بعدي من ولدي فقال له ذلك الوزير لعلّ الله يحدث بعد ذلك امرا فتوكل على الله ايها الملك وابتهل اليه فقام الملك وتوضأ وصلى ركعتين ودعى الله تعالى بنية صادقة ودعا زوجته للفراش وجامعها في ذلك الوقت فعلقت منه بقدرة الله تعالى فلمّا كملت اشهرها وضعت ولدا ذكرا كانه البدر ليلة تمامه فسمّاه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح ونادى بالزيّنة فزينت المدينة سبعة ايام ودقت الطبول واقبلت البشائر ورتّبت له المراضع والدايات وتربّى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا فى الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان ابوه يحبّه ولا يقدر ان يفارقه ليلا ولا نهارا فشكى ابوه لبعض وزرائه زيادة حبّه له وقال ايها الوزير اني خائف على ولدي قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان واريد ان ازوّجه في حيوتي فقال له الوزير اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق والصواب ان تزوج ولدك في حيوتك قبل ان تسلطنه فعند ذلك قال الملك شهرمان عليّ بولدي قمر الزمان فحضر واطرق برأسه الى

الارض حياء من ابيه فقال له ابوه يا قمر الزمان اني اريد ان ازوجك وافرح بك في حيوتي فقال له يا ابي اعلم ان مالي في الزواج رغبة و نفسي لاتميل الى النسـاء لاني وجدت في مكرهن و غدرهن كتبا و كلاما كثيرا كما قال الشـاعـر

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْقَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

و قال الآخر

اِعْصِ النِّسَاءَ فَتِلْكَ الطَّاعَةُ الْحَسَنَهْ فَلَنْ يَفُوزَ فَتًى يُعْطِى النِّسَا رَسَنَهْ
يَعُقْنَهُ عَنْ كَمَالٍ فِي فَضَائِلِهِ وَلَوْ سَعَى طَالِبًا لِلْعِلْمِ أَلْفَ سَنَهْ

ولما فرغ من شعره قال يا ابي ان الزواج شيء لا افعله ابدا ولو سقيتُ كأس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما و اغتم لذلك غمّا شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضيـاء في وجهه ظلاما واغتمّ على عدم مطـاوعة ولده قمر الزمان له فيمـا اشار عليه به من امر الزواج ومن شـدة محبّتـه له لم يرض ان يكرر عليه هذا الكلام ولم يغضبـه بل اقبل عليه واكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبـة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان كل يوم يزداد حسنـا وجمـالا و ظرفا و دلا فصبر الملك شهرمان على ولده سنـة كاملة فوجده قد كمـل بالفصاحة

و الملاحة و تهتكت في حسنه الورى و يروى لطفه كل نسيم سري و صار فتنة فى الجمال للعشاق و روضة فى الكمال للمشتاق عذب الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف ودلال كانه غصن بان او قضيب خيزران ينوب خده عن الورد وشقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

بَـدَا فَقَالُوا تَبَـارَكَ اللّـهُ ... جَلَّ الَّذِي صَاغَـهُ وَسَوَّاهُ
مَلِيكُ كُلِّ المِلَاحِ قَاطِبَـةً ... فَكُلُّهُـمْ اَصْبَحُـوا رَعَايَاهُ
فِي رِيقِـهِ شَهْدَةٌ مُذَوَّبَـةٌ ... وَانْعَقَدَ الدُّرُّ فِي ثَنَـايَاهُ
مُكَمَّـلًا بِالْجَمَـالِ مُنْفَـرِدًا ... كُلُّ الْوَرَى فِي جَمَالِهِ تَاهُوْا
قَدْ كَتَبَ الْحُسْنُ فَوْقَ وَجْنَتِهِ ... اَشْهَدُ اَنْ لَا مَلِيْحَ اِلَّا هُوْ

فلمّا تكاملت سنة اخرى لقمر الزمان دعاه والده اليه وقال له يا ولدي اما تسمع مني فوقع قمر الزمان على الارض بين يدي والده هيبة واستحى منه و قال له يا ابت كيف لااسمع منك وقد امرني الله بطاعتك و ان لا اعصيك فقال له الملك شهرمان يا ولدي اعلم اني اريد ان ازوجك وافرح بك في حيوتي واسلطنك في مملكتي قبل مماتي فلما سمع من ابيه ذلك اطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ابت هذا شيء لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى وانا اعلم يقينا ان الله تعالى فرض عليّ طاعتك فبالله عليك لا تكلفني في امر الزواج و لا تظن اني اتزوج طول عمري لانني قرأت كتبا للمتقدّمين و المتأخرين واطّلعت على ما وقع لهم من النساء من الفتن والآفات و مكرهن غير المتناهي وما يحدث عنهن من الدواهي و ما احسن قول الشاعر

مَنْ كَادَهُ الْعَـاهِـرَاتُ ... فَـلَا يَرَى مِنْ خَـلَاصِ

وَلَوْ بَنَى أَلْفَ حِصْنٍ مُشَيَّدَةً بِالرَّصَاصِ
فَلَيْسَ يُجْدِي بِنَاهَا وَلَا تُفِيدُ الصَّيَاصِي
إِنَّ النِّسَاءَ خَائِنَاتٌ لِكُلِّ دَانٍ وَقَاصِ
مُخَضَّبَاتٌ بَنَانٍ مُظَفَّرَاتُ عِقَاصِ
مُكَحَّلَاتُ جُفُونٍ مُجَرِّعَاتُ غِصَاصِ

و ما احسن قول الآخر

إِنَّ النِّسَاءَ وَإِنْ دُعِينَ لِعِفَّةٍ رِمَمٌ تُقَلِّبُهَا النُّسُورُ الْحُوَّمُ
فِي اللَّيْلِ عِنْدَكَ سِرُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لِغَيْرِكَ سَاقُهَا وَالْمِعْصَمُ
كَالْخَانِ تَسْكُنُهُ وَتُصْبِحُ رَاحِلًا فَيَحِلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام و فهم الشعر والنظام لم يردّ عليه جوابا من فرط محبته له و زاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض المجلس دعا الملك بوزيره واختلى به وقال له ايها الوزير اخبرني ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك طلب وزيره واختلى به و قال له ايها الوزير قل لي ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج فاني استشرتك في زواجه فانت الذي اشرت عليّ بزواجه قبل ان اسلطنه فذكرت له الزواج مرارا فخالفني فاشر عليّ الآن ايها الوزير ما الذي افعله فقال له الوزير ايها الملك اصبر عليه سنة اخرى فاذا اردت ان تكلمه بعدها في هذا الامر فلا تكلمه سرا وانما كلمه في يوم

حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفون فاذا اجتمع هؤلاء فارسل حينئذ خلف ولدك قمر الزمان في تلك الساعة واَحضِره فاذا حضر فقل له على امر الزواج بحضرة الوزراء وارباب الدولة واصحاب الصولة فانه لابد يستحي منهم ولا يقدر ان يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأيه في ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مرت عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين سنة والبسه الله حلة الجمال وتوّجه بتاج الكمال فصار طرفه اسحر من هاروت وغنج الحاظه اضل من الطاغوت واشرقت خدوده بالاحمرار وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصره ارقّ من خيط هميان وردفه اثقل من الكثبان تهيّج البلابل على اعطافه ويشتكي خصره من ثقل اردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء هذه الابيات

تَمَّمتُ بِوَجْنَتِهِ وَبَاسِمِ ثَغْرِهِ	وَبِأَسْهُمٍ قَدْرَاشَهَـا مِنْ سِحْرِهِ
وَبِلِينِ عِطْفِهِ وَمُرْهَفِ لَحْظِهِ	وَبِيَاضِ غُرَّتِهِ وَاَسْوَدِ شَعْرِهِ
وَبِحَاجِبٍ حَجَبَ الكَرَي عَنْ نَاظِرِي	وَسَطَـا عَلَيَّ بِنَهْيِهِ وَبِاَمْرِهِ
وَعَقَارِبٍ قَدْ اَرْسَلَتْ مِنْ صُدْغِهِ	وَسَعَتْ لِقَتْلِ الْعَاشِقِينَ بِهَجْرِهِ
وَبِوَرْدِ خَدَّيْهِ وَآسِ عِذَارِهِ	وَعَقِيقِ مَبْسَمِهِ وَلُؤْلُؤِ ثَغْرِهِ
وَبِطِيبِ نَكْهَتِهِ وَسَلْسَالٍ جَرَى	فِي فِيهِ يُزْرِي بِالرَّحِيقِ وَعَصْرِهِ
وَبِرِدْفِهِ الْمُرْتَجِّ فِي حَرَكَاتِهِ	وَسُكُونِهِ وَبِرِقَّةٍ فِي خَصْرِهِ
وَبِجُودِ رَاحَتِهِ وَصِدْقِ لِسَانِهِ	وَبِطِيبِ عُنْصُرِهِ وَعَالِي قَدْرِهِ

مَاالمِسْكُ الَّا مِنْ فُضَالَةِ خَالِهِ   وَالطِّيبُ يَرْوِي رِيحَهُ عَنْ نَشْرِهِ
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ دُونَهُ   وَارَى الهِلَالَ قُلَامَةً مِنْ ظُفْرِهِ

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وجاء يوم حكومة وتكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصولة ثم انه ارسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبّل الارض بين يدي ابيه ثلث مرات ووقف مكتفًا يديه وراء ظهره قدام ابيه فقال له ابوه اعلم يا ولدي اني ما ارسلت اليك وما احضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع اهل الدولة حاضرون بين ايدينا الّا لاجل ان آمرك بامر فلا تخالفني فيه وذلك ان تتزوج لاني اشتهي ان ازوجك بابنة ملك من الملوك وافرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من ابيه ذلك اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى ابيه وقد لحقه في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له اما انا فلا اتزوج ابدا ولو سقيت كؤس الردى واما انت فرجل كبير السنّ صغير العقل اليس انك سألتني قبل هذا اليوم مرّتين غير هذه المرة في شان الزواج وانا لا اجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فكّ كتاف يديه وشمّر عن ذراعيه قدام ابيه وهو في غيظه وتكلم مع ابيه بكلام كثير وانزعج خاطره فخجل ابوه واستحى

لانه حصل ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين فى الموسم ثم ان
الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فارعبه وصرخ
على المماليك الذين قدّامه وقال لهم امسكوه فتسابقت اليه المماليك
فمسكوه واحضروه قدامه فامرهم ان يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدى الملك
وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل و تكلّل جبينه ووجهه بالعرق
واشتدّ به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه ابوه وسبّه وقال له ويلك
ياولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري
وجيوشي ولكن انت الى الآن ما ادّبك احدوا درك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر
الزمان كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن انت
الى الآن ما ادّبك احد اما تعلم ان هذا الامر الذي صدر منك
لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك
امر المماليك ان يحلّوا كتافه ويحبسوه في برج من ابراج القلعة فعند
ذلك اخذوه ودخلوا به الى برج عتيق فيه قاعة خربة وفي وسط
القاعة بئر خربة عتيقة فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا لقمر الزمان
فيها سريرا وفرشوا له على السرير طرّاحة ونطعا ووضعوا له مخدّة واتوا له
بفانوس كبير وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما فى النهار ثم ان
المماليك ادخلوا قمر الزمان في ذلك المكان وجعلوا على باب القاعة
خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر
الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ماجرى منه في حق

والده حيث لاينفعه الندم وقال لعن الله الزواج و البنات و النساء
الخائنات فيا ليتني سمعت من والدي وتزوجت فلو فعلت ذلك
كان احسن لي من هذا السجن هذا ما كان من امرقمرالزمان وا ما ماكان
من امرابيه فانه اقام على كرسيّ مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب
ثم خلا بالوزير فقال له اعلم ايها الوزير انك كنت السبب في هذا
الذي جرى بيني وبين ولدي كله حيث اشرت عليّ بما اشرت
فما الذي تشيربه عليّ ان افعله الآن فقال له الوزير ايها الملك دع ولدك
فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وأمره بالزواج
فانه لايخالفك ابدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال للملك شهرمان دع
ولدك فى السجن مدة خمسة عشريوما ثم احضره بين يديك وأمره
بالزواج فانه لا يخالفك ابدا فقبل الملك رأي الوزير في ذلك ونام
تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبّه محبة عظيمة
حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئ له نوم
الا اذا وضع ذراعه تحت رقبة قمرالزمان وينام فبات الملك تلك
الليلة متشوش الخاطر من اجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كانّه
نائم على جمر الغضاة ولحقه الوسواس ولم ياخذه نوم في تلك الليلة
بطولها وذرفت عيناه بالدموع وانشد يقول شعـــــــر

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالْوُشَاةُ هُجُوعُ ... وَنَاهِيكَ قَلْبًا بِالْفِرَاقِ مَرُوعُ
اَقُولُ ولَيْلِي زَادَ بِالْهَمِّ طُولُهُ ... اَمَا لَكَ يَا ضَوْءَ الصَّبَاحِ رُجُوعُ

و قول الآخر

لَمَّا رَأَيْتُ النَّجْمَ سَاهٍ طَرْفُهُ وَالقُطْبَ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ سُبَاتَا
وَبَنَاتَ نَعْشٍ فِي الحِدَادِ سَوَافِرًا أَيْقَنْتُ أَنَّ صَبَاحَهُمْ قَدْ مَاتَا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان و اما ما كان من امر قمر الزمان فانه لما دخل عليه الليل قدم له الخادم الفانوس واوقد له شمعة و جعلها في شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فاكل قليلا وصار قمر الزمان يعاتب نفسه على الذي اساء الادب في حق ابيه وقال لنفسه يا نفسي الم تعلمي ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمي هو الذي يوقعه فى المهالك ثم ذرفت عيناه بالدموع وبكى على ما كان صدر منه من فؤاد موجوع وقلب مصدوع وندم على ما وقع منه في حق ابيه غاية الندم و انشد يقول

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرِي عَلَى مَهْلِ

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب ان يغسل يديه فغسل له المملوك يديه من الطعام ثم قام وتوضّأ وصلّى المغرب والعشاء وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما صلّى المغرب والعشاء جلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويا سين والرحمن وتبارك الملك والاخلاص والمعوّذتين وختم بالدعاء وتحصّن واستعاذ بالله ونام على السرير

فوق طرّاحة من الاطلس المعدني لهــا وجهان و هي محشوّة بالخزّ العراقي وتحت رأسه مخــدّة محشــوة بريش النعام وحين اراد النوم تجرّد من ثيــابه وخلع لباسه ونام في قميص مشمــع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزي ازرق فصار قمر الزمان تلك الســاعة في هذه الليلة كانه البدر اذا بدر ليلة اربعة عشر ثم تغطّى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقود تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأســه ولم يزل نائما الى ثلث الليــل الاول ولم يعلم ماخبئ له فى الغيب وما قدّره عليه علّام الغيب وكان بالامر المقدّر والقضاء المحتم ان هذا البرج وهذه القاعة كانا عتيقين مهجورين من مدة سنين وكانت في تلك القاعة بئر روماني معمورة بجنيّة ساكنة فيها وهي من ذرّيّة ابليس اللعين واسمها ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهــورين وادرك شهرزاد الصبــــاح فسكتت عن الكلام المــــــــــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسم تلك الجنيّة ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين فلما استمرّ قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت في اعلى البئر رأت نورا يشتعل فى البرج على خلاف العادة وكانت تلك العفريتة مقيمــة في ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت في نفسها انا ما عهدت هنا شيأ من ذلك فلما رأت النور تعجبت من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها انه لابدّ لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلت اليها فوجدت

الخادم نائما على باب القاعة ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة موقودة عند رأسه وفانوس موقود عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدّمت اليه قليلا قليلا وارخت اجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان ونظرت اليه فبهتت في حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة فصار وجهه يتلألأ نورا وتغازلت من النوم عيناه واسودّت مقلتاه واحمرّ خدّاه وفترجفناه وتقوّس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قَبَّلْتُهُ فَاسْوَدَّتِ المُقَلُ الَّتِي ... هِيَ فِتْنَتِي وَاحْمَرَّتِ الوَجَنَاتُ
يَا قَلْبُ اِنْ زَعَمَ العَوَاذِلُ اَنَّهُ ... فِي الحُسْنِ يُوجَدُ مِثْلُهُ قُلْ هَاتُوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبّحت اللّه وقالت تبارك اللّه احسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرّت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتُوحّد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت في نفسها والله اني لم اضرّه ولم اترك احدا يؤذيه ومن كل سوء افديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الّا النظر اليه والتسبيح عليه ولكن كيف هان على اهله حتى انهم حطّوه في هذا المكان الخراب فلو طلع له احد من مَرَدَتِنا في هذه الساعة لعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبّلته بين عينيه وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطّته بها وفتحت اجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة ولم تزل طائرة في الهواء وصاعدة في الجوّ الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فدنت منها فوجدته عفريتا يقال له

دهنش فانقضّت عليه انقضاض الباشق فلما احسّ بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه فاستجار بها وقال لها اقسم عليك بالاسم الاعظم المكرم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان ان ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حنّ قلبها عليه وقالت له لقد اقسمت عليّ يا ملعون بقسم عظيم ولكن لااعتقك حتى تخبرني من اين مجيئك في هذه الساعة فقال لها ايها السيدة اعلمي ان مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر واخبرك باعجوبة رأيتها في هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني اروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك وثيقة اني عتيقك حتى لا يعارضني احد من ارهاط الجن الطيّارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذي رأيته في هذه الليلة يا كذّاب يا ملعون فاخبرني ولاتكذب عليّ وتريدان تنفلت مني بكذبك وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فصّ خاتم سليمان بن داؤد عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا نتفت ريشك بيدي ومزّقت جلدك وكسّرت عظمك فقال لها العفريت دهنش ابن شمهورش الطيّار رضيت يا سيدتى بهذا الشرط وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان دهنشا قال لميمونة رضيت يا سيدتى بهذا الشرط ثم قال اعلمي يا سيدتي اني قد خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق

الله في زمانها احسن منها واني لم اقدر اصفها لك فان لساني يعجز عن وصفها كماينبغي ولكن اذكرلك شيأً من صفاتها على سبيل التقريب اما شعرها فكليالي الهجر والانفصال واما وجهها فكايام الوصال وقد احسن في وصفها مَن قال

نَشَرَتْ ثَلٰثَ ذَوائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

ولها انف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خدّ كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها اشهى من الرحيق يطفئ مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحرّكه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسوّاه ومتصل به عضدان مدملجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وَزَنْدَانِ لَوْ لَا أُمْسِكَا بِأَسَاوِرٍ ... لَسَالَ مِنَ الْأَكْمَامِ سَيْلَ الْجَدَاوِلِ

ولها نهدان كانهما من العاج حقّان يستمدّ من اشراقهما القمران ولها بطن باعكان مطويّة كطيّ القباطى المصرية المدبجة بطيّات كالقراطيس المدرجة وينتهي ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيّال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا ارادت القيام ويوقظها اذا ارادت المنام كما قال فيها الشاعر واجاد

لَهَا كَفَلٌ تَعَلَّقَ فِي ضَعِيفٍ ... وَذَاكَ الرِّدْفُ لِي وَلَهَا ظَلُومُ
فَيُوقِفُنِي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ ... وَيُقْعِدُهَا إِذَا هَمَّتْ تَقُومُ

ويحمل ذلك الكفل فخذان مدملجان وساقان كانهما من الدرّ عمودان ويحمل ذلك كله قدمان لطيفان محدّدان مثل حدّ السنان صنعة

المهيمن الديّان فعجبت لصغرهما كيف يحملان ما فوقهما وقد اختصرت في وصفها خوف الاطالة فتركته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنشا بن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وقد اختصرت في وصفها خوف الاطالة فلما سمعت ميمونة وصف تلك الصبية وحسنها وجمالها تعجّبت فقال لها دهنش وان ابا تلك الصبية ملك جبّار فارس كرّار خوّاض الغمار في الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر واقاليم وجزائر ومُدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه الصبية التي وصفتها لك حبّا شديدا ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلّور والثاني من الرخام والثالث من الحديد الصيني والقصر الرابع من المعادن والجواهر والقصر الخامس من الخزف والجزع الملوّن والفصوص والقصر السادس من الفضة والقصر السابع من الذهب وملأ السبعة قصور من انواع الفرش الفاخر من الحرير واواني الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ما تحتاج اليه الملوك وامر ابنته ان تسكن في كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع في البلاد ذكرها ارسل سائر الملوك الى ابيها يخطبونها منه فشاورها وراودها في امر الزواج فكرهت ذلك

و قالت لابيها يا والدي ليس لي غرض في الزواج ابدا فاني سيدة وحاكمة وملكة احكم على الناس ولا اريد رجلا يحكم عليّ وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطّاب فيها فعند ذلك ارسلت جميع ملوك جزائر الصين الجوّانية لابيها الهدايا والتحف وكاتبوه في امر زواجها فكرر عليها ابوها المشاورة في امر الزواج مرارا عديدة فخالفته وسفهت عليه وغضبت منه وقالت له يا ابي ان ذكرت لي الزواج مرة اخرى دخلت البيت واخذت السيف وغرزت قائمه في الارض وادخلت ذبابته في بطني واتكئ عليه حتى يطلع من ظهري و اقتل نفسي فلما سمع ابوها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشي ان تقتل نفسها وحار في امرها وفي امر الملوك الذين خطبوها فقال لها ان كان ولا بد من عدم زواجك فامتنعي من الدخول والخروج ثم ان اباها ادخلها البيت وحجبها فيه و رسم عليها عشرة عجائز قهرمانات و منعها من ان تظهر الى السبع قصور واظهر انه غضبان عليها وارسل كاتب الملوك جميعهم واعلمهم انها اصيبت بجنون في عقلها ولها الآن سنة وهي محجوبة ثم ان العفريت دهنش قال للعفريتة ميمونة وانا اروح اليها يا سيدتي في كل ليلة فانظرها واتملّى بوجهها واقبّلها وهي نائمة بين عينيها ومن محبتي فيها لا اضرّها ولا اوذيها ولا اركبها لان شبابها مليح وجمالها بارع كل من رآها يغار عليها من نفسه واقسمت عليك يا سيدتي ان ترجعي معي وتنظري حسنها وجمالها وقدّها واعتدالها وبعد هذا ان شئت ان تعاقبيني اوتأسريني فافعلي فان الامر امرك والنهي نهيك ثم ان العفريت دهنشا اطرق برأسه الى الارض وخفض اجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه

وبصقت في وجهه ايش هذه البنت التي تقول عنها فما هي الا قوارة البول انوه انوه والله اني حسبت ان معك امرا عجيبا اوخبرا غريبا يا ملعون فكيف لو رأيت معشوقي اني رأيت انسانا في هذه الليلة لورأيته ولو في المنام لا نفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التي ذكرتها وامره ابوه بالزواج مرارا عديدة فابى فلما خالف اباه غضب عليه وسجنه في البرج الذي انا ساكنة فيه فطلعت في هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتي اريني هذا الغلام لانظر هل هو احسن من معشوقتي الملكة بدور املا لانني ما اظن ان يوجد في هذا الزمان مثل معشوقتي فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون يا انحس المردة و احقر الشياطين فانا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش انا اتحقق انه لايوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار فهل انت مجنون حتى نقيس معشوقتك بمعشوقي فقال لها بالله عليك يا سيدتي امضي معي وانظري معشوقتي وارجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لانك شيطان مكّار ولكن لا اجئ معك ولا تجيء انت معي الّا ان يكون برهن و شرط وهو انه ان طلعت معشوقتك التي انت تحبها وتتغالى فيها احسن من معشوقي الذي ذكرته واحبه واتغالى فيه فان ذلك الرهن والشرط

يكون لك عليّ وان طلع معشوقتي احسن فان ذلك الرهن يكـون لي عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتي قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالي معي الى الجزائر فقالت له ميمونة لا لانّ موضع معشوقتي اقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانحدر معي لتنظر معشوقتي ونروح بعد ذلك الى معشوقتك فقال لها دهنش السمع والطاعة ثم انحدرا الى اسفل فنزلا في دور القاعة التي فى البرج واوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدّت يدها وشالت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجهه ولمع واشرق وزهى فنظرت ميمونة اليه والتفتت من وقتها وساعتها الى دهنش وقالت له انظر يا ملعون ولا تكن اقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك نظر اليه دهنش واستمرّ يتأمّل فيه ساعة ثم حرّك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتي انك معذورة ولكن بقي عليك شيء آخر وهو ان حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقك هذا اشبـه الخلق بمعشوقتي فى الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كانهما قد افرغا في قالب الجمال سواء فلمـا سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت ان تقضى عليه من شدّتها وقالت له قسما بنور وجه جلا له ان تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبها وتأتي بها سريعا الى هذا المكان حتى نجمع بين الاثنين وننظر فيهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما سواء فيظهر لنا ايّهما املح واحسن من صاحبه وان لم تفعل ما امرتك به في هذه الساعه يا ملعون احرقتك بناري ورميت عليك شراري ومزّقتك قطعا قطعا وارميك فى البراري واجعلك عبرة للمقيم والساري فقال لهـا دهنش يا سيدتي لكِ

ملّي ذلك و انا اعرف ان محبوبتي املح و احلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته و طارت ميمونة معه من اجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم اقبل الاثنان بعد ذلك و هما حاملان تلك الصبية و عليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ورأس الكمين مكتوب عليه هذه الابيات شعر

ثَلَاثَةٌ مَنَعَتْهَا عَنْ زِيَارَتِنَا　　خَوْفُ الرَّقِيبِ وَخَوْفُ الْحَاسِدِ الْحَنِقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْحُلِيِّ وَمَا　　حَوَتْ مَعَاطِفُهَا مِنْ عَنْبَرٍ عَبِقِ
هَبِ الْجَبِينَ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتُرُهُ　　وَالْحَلْيُ تَنْزِعُهُ مَا حِيلَةُ الْعَرَقِ

ولم يزل دهنش وميمونة حاملين تلك الصبية حتى وضعاها و مدّداها بجانب الغلام قمرالزمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش والعفريتة ميمونة لم يزالا حاملين الملكة بدور حتى نزلا و مدّداها بجانب قمر الزمان على السرير وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا اشبه الناس ببعضهما فكانهما توأمان اواخوان منفردان و هما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

يَا قَلْبُ لَا تَعْشَقْ مَلِيحًا وَاحِدًا　　تَخْتَارُ فِيهِ تَذَلُّلًا وَ تَذَلُّلَا
وَاهْوِ الْمِلَاحَ جَمِيعَهُمْ تَلْقَاهُمُ　　إِنْ صَدَّ هٰذَا كَانَ هٰذَا مُقْبِلَا

وقال الآخر

رَأَيْتُ بِعَيْنِي نَائِمَيْنِ عَلَى الثَّرَى　　وَدِدْتُهُمَا لَوْ يَرْقُدَانِ عَلَى جَفْنِي

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش والله طيب يا سيدتي ان محبوبتي احسن فقالت له ميمونة بل معشوقي احسن و يلك يا دهنش انت اعمى العين والقلب ما تفرق بين الغثّ والسمين هل تخفى الحق اما تنظر الى حسنه وجماله و قدّه واعتداله و يلك اسمع ما اقوله في محبوبي وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما اقول في معشوقي ثم ان ميمونة قبلّت قمر الزمان بين عينيه قبلاً عديدة وانشدت تقول هذه القصيـــــــــــــــــدة

مَالِي وَلِلاَّحِي عَلَيْكَ يُعَنِّفُ ... كَيْفَ السُّلُوُّ وَأَنْتَ غُصْنٌ أَهْيَفُ
لَكَ مُقْلَةٌ كَحْلَاءُ تَنْفُثُ سِحْرَهَا ... مَا لِلْهَوَى الْعُذْرِيِّ عَنْهَا مَصْرِفُ
تُرْكِيَّةُ الْأَلْحَاظِ تَفْعَلُ بِالْحَشَا ... مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ الصَّقِيلُ الْمُرْهَفُ
حَمَّلْتَنِي ثِقْلَ الْغَرَامِ وَإِنَّنِي ... بِالْعَجْزِ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَأَضْعَفُ
وَجْدِي عَلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ وَلَوْعَتِي ... طَبْعٌ وَعِشْقِي فِي سِوَاكَ تَكَلُّفُ
لَوْ أَنَّ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِكَ لَمْ أَبِتْ ... وَالْجِسْمُ مِنِّي مِثْلَ خَصْرِكَ مُنْحِفُ
وَيْلَاهُ مِنْ قَمَرٍ بِكُلِّ مَلَاحَةٍ ... بَيْنَ الْأَنَامِ وَكُلِّ حُسْنٍ يُوصَفُ
قَالَ الْعَوَاذِلُ فِي الْهَوَى مَنْ ذَا الَّذِي ... أَنْتَ الْكَئِيبُ بِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ صِفُوا
يَا قَلْبَهُ الْقَاسِي تَعَلَّمْ عِطْفَةً ... مِنْ قَدِّهِ فَعَسَى يَرِقُّ وَيَعْطِفُ
لَكَ يَا أَمِيرِي فِي الْمَلَاحَةِ نَاظِرٌ ... يَسْطُو عَلَيَّ وَحَاجِبٌ لَا يُنْصِفُ
كَذَبَ الَّذِي ظَنَّ الْمَلَاحَةَ كُلَّهَا ... فِي يُوسُفٍ كَمْ فِي جَمَالِكَ يُوسُفُ
أَلْجِنُّ تَخْشَانِي إِذَا قَابَلْتُهَا ... وَأَنَا إِذَا أَلْقَاكَ قَلْبِي يَرْجُفُ
أَتَكَلَّفُ الْإِعْرَاضَ عَنْكَ مَهَابَةً ... وَإِلَيْكَ أَصْبُو جُهْدَ مَا أَتَكَلَّفُ
وَالشَّعْرُ أَسْوَدُ وَالْجَبِينُ مُشَعْشَعٌ ... وَالطَّرْفُ أَحْوَرُ وَالْقَوَامُ مُهَفْهَفُ

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش لما سمع شعر ميمونة اهتزّ من شدة الطرب وقال انك انشدت فيمن تعشقينه واحسنت في وصفه وانا الآخر لابد اني ابذل الجهد على قدر طاقتي واقول في محبوبتي شيأ ثم ان دهنش قام الى الصبية بدور وقبّلها بين عينيها ونظر الى ميمونة والى معشوقته بدور وانشد يقول هذه القصيدة وهو بلا شعور

لَامُوا عَلَى حُبِّ المَلِيحِ وَعَنَّفُوا ... مَا أَنْصَفُوا مِنْ جَهْلِهِمْ مَا أَنْصَفُوا

جُودِي بِوَصْلِكِ لِلْمُتَيَّمِ أَنَّهُ ... إِنْ ذَاقَ هَجْرَكِ بِالتَّخَلُّفِ يَتْلَفُ

وَلَقَدْ بُلِيتُ صَبَابَةً بِمَدَامِعِي ... تَحْكِي الدِّمَا مِنْ جَفْنِ عَيْنِي تَذْرِفُ

لَيْسَ العَجِيبُ بِمَا أُلَاقِي فِي الهَوَى ... وَعَجِبْتُ جِسْمِي بَعْدَ بُعْدِكِ يُعْرَفُ

حُرِّمْتُ وَصْلَكِ إِنْ هَمَمْتُ بِرِيبَةٍ ... أَوْ مَلَّ قَلْبِي الحُبَّ أَوْ يَتَكَلَّفُ

و قول الآخر

أَقْوَتْ مَعَاهِدُهُمْ بِشَطِّ الوَادِي ... فَبَقِيتُ مَقْتُولاً وَشَطَّ الوَادِي

وَسَكِرْتُ مِنْ خَمْرِ الغَرَامِ وَرَقَصَتْ ... عَيْنُ الدُّمُوعِ عَلَى غِنَاءِ الحَادِي

أَسْعَى لِأَسْعَدَ بِالوِصَالِ وَحَقَّ لِي ... إِنَّ السَّعَادَةَ فِي بُدُورٍ سُعَادِ

لَمْ أَدْرِ مِنْ أَيِّ الثَّلَاثَةِ أَشْتَكِي ... وَلَقَدْ عَدَدْتُ فَأَصْغِ لِلْإِعْدَادِ

مِنْ لَحْظِهَا السَّيَّافِ أَمْ مِنْ قَدِّهَا الرَّمَّاحِ أَمْ مِنْ صُدْغِهَا الزَّرَّادِ

قَالَتْ وَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْهَا كُلَّ مَنْ لَاقَيْتُهُ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي
أَنَا فِي فُؤَادِكَ فَارْمِ طَرْفَكَ نَحْوَهُ تَرَنِي فَقُلْتُ لَهَا وَأَيْنَ فُؤَادِي

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الشعر قالت له احسنت يادهنش و لكن ايّ هذين الاثنين احسن فقال لهـــا محبوبتي بدور احسن من محبوبك فقالت له ميمونة كذبت يا ملعون بل محبوبي احسن من معشوقتك فقال دهنش معشوقتي احسن ثم انهما لم يزالا يعارضان مع بعضهما فى الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وارادت ان تبطش به فذلّ لها ورقّق كلامـــه و قال لها لا يصعب عليك الحق فابطلي قولك و قولي فان كلّامنّا يشهد لمعشوقه انه احسن فيعرض كل واحد منّاعن كلامه و نطلب من يفصل الحكم بيننا و نعتمد على ما يقوله فقالت له ميمونة رضيت بذلك ثم دقت بكفها الارض فطلع منها عفريت اعور احدب اجرب و عيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله اربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى كعبيه ويداه مثل المداري ورجلاه مثل الصواري وله اظفار مثل اظفـــار الاسد وحوافر مثل حوافر الحمار الوحشي فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونـــة قبّل الارض بين يديها و وقف مكتفا وقال لهـــا ما حاجتك ايها السيدة يا بنت الملك فقالت له ياقشقش اني اريد ان تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش ثم انها حكت له على القصة من اولها الى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبي و وجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان و معصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما فى الحسن والجمال متشابهان وفى الملاحة متساويان فنظر المارد قشقش اليهما و تعجب من حسنهما

و جما لهما و التفت الى ميمونة و دهنش بعد ان اطال الى الصبي و الصبية الالتفات و انشد يقول هذه الابيـــــــات

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ مَقَالَةَ حَاسِدٍ ... لَيْسَ الحَسُودُ عَلَى الهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَنْ يَخْلُقَ الرَّحْمٰنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَى ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَ بِسَاعِدِ
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... فَهُوَ المُرَادُ وَعِشْ بِذَاكَ الوَاحِدِ
وَإِذَا تَأَلَّفَتِ القُلُوبُ عَلَى الهَوَى ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الهَوَى أَهْلَ الهَوَى ... هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ
يَا رَبِّ يَا رَحْمٰنُ تَجْمَعُ بَيْنَنَا ... قَبْلَ المَمَاتِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ

ثم ان العفريت قشقش التفت الى ميمونة و دهنش وقال لهما والله ان اردتما الحق فاني اقول ان الاثنين سواء في الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما بالتذكير والتانيث وعندي رأي آخرُ وهو اننا ننبّه احد هما من غير عِلْم الثاني فكل من التهب على رفيقه فهو دونه في الحسن و الجمال فقالت ميمونة هذا الرأي هو الصواب وقال دهنش رضيت بذلك فعند ذلك انقلب دهنش في صورة برغوث وقرص قمر الزمان فوثب من منامه مرعوبا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايهـا الملك السعيد ان دهنشا انقلب في صورة برغوث و قرص قمر الـــزمان فوثب من منامه مرعوبا و هرش موضع القرصة في رقبته من شدة ما احرقته فتحرك بجنبه فوجد شيأ نائمـا

بجنبه ونفسه ازكى من المسك الاذفر وجسمه الين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب وقام وجلس على حيله ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة السنية او القبة المبنية بقامة الفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها الشاعر

أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعْنَ قَطُّ سِوَى ... عَلَى أَذَى مُهْجَتِي وَسَفْكِ دَمِي
ضَوْءُ جَبِينٍ وَلَيْلُ سَالِفَةٍ ... وَرْدُ خَدٍّ وَضَوْءُ مُبْتَسِمِ

وقول الآخر

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ غُصْنَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غِزَالَا
كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ... فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالَا

فلما رأى قمر الزمان الست بدور بنت الملك الغيور و رأى حسنها وجمالها وهي نائمة بجانبه ورأى عليها قميصا بندقيا وهي بلا سروال وفوق راسها كوفية مطرزة بالذهب مرصعة بالجواهر وفي اذنيها زوج حلق يضيء مثل الكوكب وفي عنقها عقد من الدر اليتيم لايقدر عليه احد من الملوك فنظر اليها بعينه فصار مدهوش العقل فتحركت فيه الحرارة الغريزية والقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم انه مدّ يده اليها وقلّبها وفتح طوق قميصها فبان له صدرها ورأى نهودها مثل حقين من العاج فازداد فيها محبة ورغب فيها رغبة عظيمة فصار ينبّهها وهي لا تنتبه لان دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزّها ويحرّكها ويقول يا حبيبتي استيقظي وانظري مَن انا فانا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر في امرها ساعة زمانية وقال في نفسه

ان صدق حذري فهذه الصبيــة هى التي يريد والدي زواجي بها
ومضى لي ثلث سنين وانا امتنع من ذلك فانا ان شاء الله اذا جاء الصبح
اقول لابي زوّجنى بها لا تملى بها والسلام وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال في نفسه والله اني
اصبح واقول لابي زوّجنى بها لا تملّى بها ولا اترك نصف النهار
يفوت حتى افوز بوصا لها واتملى بحسنها وجما لها ثم ان قمر الزمان
مال الى بدور ليقبّلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت واما العفريت
دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما اراد ان يقبّلها في فمها
استحى من الله تعالى ودار برأسه والفت وجهه وقال لقلبه اصبر فتفكر في نفسه
وقال انا اصبر لئلا يكون والدي لما غضب عليّ وحبسنى في هذا الموضع
جاء لي بهذه الصبيّة وامرها بالنيام بجانبى ليمتحنني بها واوصاها
اني اذا نبّهتها لا تستيقظ سريعا وقال لها اي شيٍ فعل بك قمر الزمان
فاعلميني به او يكون والدي واقفا مستخفيا في مكان بحيث يطلع عليّ
وانا لا انظره وهو ينظر جميع ما افعله بهذه الصبية فيصبح يوبّخنى
و يقول لي كيف تقول مالي ارب فى الزواج وانت قبلت تلك الصبية
وعانقتها فانا اكفّ نفسي عنها لئلا ينكشف امري مع والدي والصواب
اني لا المس هذه الصبيّة في تلك الساعة ولا انظر اليها غير اني آخذ لي
منها شيأ يكون امارة عندي وتذكرة لها حتى يبقى بيني وبينهـــا
اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبيّة واخذ من خنصرها خاتمـــا
يساوي جملة من المال لان فصه كان من نفيس الجـــواهر ومنقوش

في دائرته هذه الابيات

لَا تَحْسَبُوا إِنِّي نَسِيتُ عُهُودَكُمْ ... مَهْمَا أَطَلْتُمْ فِي الزَّمَانِ صُدُودَكُمْ
يَا سَادَتِي جُودُوا عَلَيَّ وَاعْطِفُوا ... فَعَسَى أُقَبِّلُ ثَغْرَكُمْ وَخُدُودَكُمْ
وَاللّٰهِ إِنِّي لَسْتُ أَبْرَحُ عَنْكُمُ ... وَلَوِ اعْتَدَيْتُمْ فِي الْغَرَامِ حُدُودَكُمْ

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره واعطاها ظهره ونام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يقبلها ولا مد يده اليها بل اعطاها ظهره ونام فقالا لها نعم قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار اربعة قراريط وقرصتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة على حيلها فرأت شابًّا نائما بجانبها وهو يغط في نومه وهو من اجمل خلق الله تعالى وله لواحظ تخجل الحور الحسان وريقه حلو المذاق وانفع من الترياق وفم كانه خاتم سليمان وشفتان مثل لون المرجان وخدود كشقائق النعمان كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

سَلَى خَاطِرِي عَنْ زَيْنَبٍ وَنَوَارِ ... بِوَرْدَةِ خَدٍّ فَوْقَ آسِ عِذَارِ
وَأَصْبَحْتُ بِالظَّبْيِ الْمُقَرْطَقِ مُغْرَمًا ... وَلَا رَأْيَ لِي فِي عِشْقِ ذَاتِ سِوَارِ
أَنِيسِي فِي النَّادِي وَفِي خَلْوَتِي مَعًا ... خِلَافُ أَنِيسِي فِي قَرَارَةِ دَارِي
فَيَا لَائِمِي فِي هَجْرِ هِنْدٍ وَزَيْنَبٍ ... وَقَدْ لَاحَ عُذْرِي كَالصَّبَاحِ لِسَارِ

أَتَرْضَى بِأَنْ أَمْسَى أَسِيرَ أَسِيرَةٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْمِنْ وَرَاءِ جِدَارِ

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا اعرفه ما باله راقدا بجنبي في فراش واحد ثم نظرت اليه ثاني مرة وتأمّلت حسنه وجماله فقالت والله انه شاب مليح الا ان كبدي تكاد ان تتمزق وجدا عليه فيا فضيحتي منه والله لو علمت ان هذا الشاب هو الذي خطبني من ابي ما رددته بل كنت اتزوّجه واتملّى بجماله ثم نظرت الى وجهه وقالت يا سيدي ونور عيني انتبه من النوم وتمتّع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فارخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فصارت الملكة بدور تهزّه بيدها وتقول له بحيوتي عليك ان تطيعني فانتبه من منامك وانظر الى النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني ونا غشني من هذا الوقت الى بكرة بالله عليك قم يا سيدي واتكئ على المخدّة ولا تنم فلم يرد عليها قمر الزمان جوابا بل غط في النوم فقالت يوه يوه انت تغترّ بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما انت مليح انا الاخرى ايضا مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علّموك الصدّ عنّي او ابي الشيخ النحس علّمك ومنعك وحلّفك انك لا تكلمني هذه الليلة فما فتح قمر الزمان فم ولا انتبه فازدادت فيه محبة والقى الله محبته في قلبها ونظرته نظرة اعقبتها الف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت احشاؤها واضطربت

جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلّمنى يا حبيبـــي حدّثنى يا
معشوقي ردّ عليّ الجواب وقل لي ما اسمك فانك قد سلبت عقلي كل
ذلك وقمر الزمان مستغرق فى النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت
الملكة بدور وقالت له يوه يوه مالك معجبا بنفسك ثم هزّته وقلّبت
يده فرأت خاتمهافي اصبعه الخنصر فشهقت شهقة واتبعتها بغنجة وقالت اوّاه
اوّاه والله انت حبيبي وتحبني ولكن كانك تعرض عنّي دلا لا مع انك
يا حبيبي جئتني وانا نائمة وما اعرف ما فعلت معي واخذت خاتمي
ولكن ما انا قالعة خاتمي من اصبعك ثم فتحت جيب قميصه ومالت
عليه فقبلته ومدت يدها اليه تفتّشه لاجل ان ترى معه شيأ تاخذه
فلم تجد شيأ فنزلت بيدها الى صدرها فزلقت يدها من نعومة جسمه
الى بطنه فنزلت الى سرته فسقطت يدها على ايره فانصدع قلبها وارتجف
فؤادها وهاجت عليها الشهوة لان شهوة النساء اقوى من شهوة الرجال
فخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته في اصبعها عوضا عن
خاتمها وقبّلته في ثغره وقبلت كفّيه ولم تترك فيه موضعا الا قبّلته ثم
بعد ذلك تقدّمت اليه واخذته في حضنها وعانقته ووضعت احدى
يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه واعتنقته ونامت بجانبه
وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما نامـــت بجانب
قمر الزمان وجرى منها ما جرى قالت ميمونة للدهنش هل رأيت
يا ملعون كيف فعل معشوقي من التيه والدلال وكيف فعلت معشوقتك
من الوله بمعشوقي ولا شــك ان معشوقي احسن من معشوقتـــك

ولكنني عفوت عنك ثم كتبت له وثيقة انه اعتقها والتفتت الى قشقش
وقالت له ادخل مع دهنش واحمل معشوقته وساعده على وصولها الى
مكانها لان الليل قدمضى ولم يبق منه الا قليلا فقال سمعا وطاعة
ثم تقدم قشقش ودهنش الى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها
وطارابها واوصلاها الى مكانها وارقداها في فراشها واختلت ميمونة
بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل
ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان
من منامه فالتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال في نفسه
ماهذا الامر كأنّ ابي يرغبني في الزواج بالصبية التي كانت عندي
ثم اخذها سرًّا لاجل ان تزداد رغبتي في الزواج ثم انه صرخ على
الخادم الذي هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم على
حيلك فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم وقدم الطشت
والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضّأ
وصلّى الصبح وجلس يسبّح الله تعالى ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا
في خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا واخذ
الصبيّة من جنبي وانا نائم فقال له الخادم ياسيدي اي شيء الصبيّة
فقال قمر الزمان الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فانزعج
الخادم من كلامه وقال له والله ماكان عندك صبية ولا غيرها ومن
اين دخلت الصبية وانا نائم على الباب وهو مقفول والله ياسيدي
مادخل عليك ذكر ولا انثي فقال له قمر الزمان تكذب ياعبد النحس
وهل وصل من قدرك انت الآخر انك تخادعني ولاتخبرني اين
ذهبت الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة ولم تخبرني
بالذي اخذها من عندي فقال الطواشي وقد انزعج منه والله ياسيدي

ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم و قال له
يا ملعون ان ابي علّمك المكر فتعال عندي فتقدّم الخادم الى
قمر الزمان فمسك قمر الزمان باطواقه وضرب به الارض فضرط ثم برك
عليه قمر الزمان ورفصه برجله وخنقه حتى غشي عليه وشاله بعد
ذلك وربطه في سلبة البئر وادلاه الى ان وصل الى الماء وارخاه
وكانت تلك الايام ايام بردوشتاء قاطع فغطس الخادم فى الماء
ثم نشله قمر الزمان وارخاه ثانيا ولازال يغطس ذلك الخادم فى الماء
و ينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له
والله يا ملعون ما اطلعك من هذه البئر حتى تعلمني وتخبرني
بخبر هذه الصبيّة وقضيّتها ومن الذي اخذها وانا نائم وادرك شهر
زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال للخادم والله ما
اطلعك من هذه البئر حتى تخبرني بخبر هذه الصبية ومن الذي
اخذها وانا نائم فقال له بعد ماعاين الموت ياسيدي اطلقني وانا
احكي لك على الصحيح واخبرك بالخبر فعند ذلك جذبه من البئر
واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من البرد والعذاب
والغطاس والخوف من الغرق والضرب وصار يرتعد مثل القصبة
فى الريح العاصف واشتبكت اسنانه في بعضها وابتلت ثيابه وتلوث
بدنه وتشطب من حيطان البئر وصار في حالة شنيعة فعند ذلك
صعب على قمر الزمان لمارآه في تلك الحالة فلما راى الخادم نفسه
على وجه الارض قال له ياسيدي دعني اروح و اقلع ثيابي واعصرها

وانشرها في الشمس والبس غيرها ثم احضر اليك سريعا واخبرك
بالخبر الصحيح فقال له قمر الزمان ياعبد السوء لولا انك عاينت
الموت ما اقررت بالحق وما قلت ذلك فاخرج لقضاء اغراضك
وعد اليّ سريعا واخبرني على الصحيح فعند ذلك خرج العبد وهو
لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجري ويقع ويقوم الى ان دخل على
الملك شهرمان ابي قمر الزمان فرآه جالسا والوزير بجانبه وهما
يتحدّثان في امر قمر الزمان والملك يقول للوزير اني لم انم هذه
الليلة من اشتغال قلبي على ولدي قمر الزمان واني اخاف ان يحصل
له ضرر في هذا البرج العتيق واي شيء كان في سجنه من المصلحة
فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شيء ابدا فاتركه مسجونا
شهرزمان حتى تلين عريكته وتنكسر نفسه ويهدي خلقه فبينما هما
في الكلام واذا بالخادم دخل عليهما وهو في تلك الحالة
فانزعج الملك منه فقال له الخادم يا مولانا السلطان ان ولدك
طار عقله وصار مجنونا وقد فعل بي كذا وكذا حتى صرت
كما تراني وهو يقول لي ان صبية باتت عندي في هذه الليلة وذهبت
بخفية فاين هي ويكلفني اني اخبره لها وبمن اخذها وانا لا رأيت
صبية ولا صبيا والباب طول الليل مغلوق وانا نائم على بابه والمفتاح
تحت رأسي وفتحت له في الصبح بيدي فلما سمع الملك شهرمان
هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلا واولداه وغضب
على الوزير الذي كان سببا في هذه الامور غضبا شديدا وقال له
قم اكشف لي خبر ولدي وانظر ما جرى في عقله فقام الوزير
وخرج وهو يتعثر في اذياله من خوفه من سطوة الملك وراح
مع الخادم الى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على

قمرالزمان فوجده جالسا على السرير يقرأ القرآن فسلّم عليه الوزير
و جلس الى جانبه و قال له ياسيّدي ان هذا الخادم السوء اخبرنا بخبر
شوّش علينـــا وازعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان
وما الذي قال لكم عنّى حتى شوّش علي ابي وفى الحقيقة هو ما شوّش الا عليّ
فقال له الوزير انه جاء الينا بحالة منكرة وقال لوالدك قولا حاشاك
منه وكذب علينا هذا العبد بما لاينبغي ان يذكر في شأنك فسلامة
شبابك وسلامة عقلك الرجيح ولسـانك الفصيح وحاشا ان يظهر
منك قبيح فقال له قمر الزمان ايّها الوزير فايّ شيءٍ قاله هذا العبد
النحس عنّي فقال له الوزير انه اخبرنا انّ عقلك ذهب وقلت له انه
كان عندك صبيّة فى الليلة الماضية وكلّفته انه يخبرك اين ذهبت
وعذّبته على ذلك فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا
وقال للوزير تبيّن لي انكم علّمتم الخـــادم الفعل الذي صدر منه
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سمع كلام الوزير
اغتـــاظ غيظا شديدا ثم قال للوزير تبيّن لي انكم علّمتم الخـــادم
الفعل الذي صدر منـه و منعتموه من ان يخبرني بامر الصبيّة التي
كانت نائمة عندي في هذه الليلة وانت ايّها الوزير اعقل من الخادم
فاخبرني في هذه الساعة اين ذهبت الصبيّة التي كانت نائمة في حضني
تلك الليلة فانتم الذين ارسلتموها عندي وامرتموها ان تنام في حضني
ونمت وايا ها الى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فاين هي الآن
فقال له الوزير ياسيدي قمر الزمان اسم الله حواليك والله ما ارسلنالك

في هذه الليلة احدا وقد نمتَ وحدك والباب مقفول عليك والخادم نائم من خلف الباب وما اتى اليك صبيّة ولا غيرها فثبّت عقلك وارجع اليه ياسيدي ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه ايها الوزير ان تلك الصبيّة معشوقتي وهي المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التي عانقتها في هذه الليلة بطولها فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل انت رأيت تلك الصبية في هذه الليلة بعينك فى اليقظة ام فى المنام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس اتظنّ اني رأيتها باذني انما رأيتها بعيوني فى اليقظة وقلبتها بيدي وسهرت معها نصف ليلة كاملة وانا اتفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وانما انتم قد علّمتموها واوصيتموها انها لا تكلمني فجعلت روحها نائمة فنمت بجانبها الى الصباح فتنبّهت من منامي فلم اجدها فقال له الوزير ياسيدي قمر الزمان ربما تكون انت رأيت هذا الامر فى المنام فيكون اضغاث احلام او تخيلات من اكل مختلف الطعام او وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس كيف تهزأ بي انت الآخر وتقول لي لعلّ هذا اضغاث احلام مع ان هذا الخادم كان قد اقرّ لي بتلك الصبيّة وقال لي في هذه الساعة اعود اليك واخبرك بقصّتها ثم ان قمر الزمان قام من وقته وساعته وتقدّم الى الوزير وقبض لحيته في يده وكانت لحيته طويلة فاخذها قمر الزمان ولفّها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير والقاه على الارض فحسّ الوزير ان روحه طلعت من شدة نتف لحيته ولا زال قمر الزمان يرفص الوزير برجليه ويلكمه في صدره وعلى اضلاعه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد ان يهلكه فقال الوزير في نفسه اذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبي المجنون بكذبه فانا اولى بذلك منه

واخلص نفسي انا الآخر بكذبة والاّ يهلكني فها انا اكذب واخلص نفسي
منـــه فانه مجنون لاشكّ في جنونه ثم ان الوزير التفت الى قمر الزمان
وقال له يا سيدى لا تؤاخذني فان والدك قداوصاني اني اكتم عنك
خبر هذه الصبيّـة وانا الآن عجزت وكلّيت وتالّمت من الضرب لانى
رجل كبير وليس لي جلد ولاقوة على تحمـــل الضرب فتمهّل عليّ
قليلا حتى احدثك واخبرك بقصة الصبية فعندما سمع منه ذلك
بطل عنه الضرب وقال له لايّ شيءٍ لم تخبرني بخبر تلك الصبيّة الاّ بعد
الاهانة والضرب فقم يا ايها الشيخ النحس واحكِ لي عن خبرها فقال له
الوزير هل انت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد
الرجيح فقال له قمر الزمان نعم اخبرني ايها الوزير من الذي اتى بها
اليّ وانا معها بجانبي ومن الذي اخذها من جانبي فى الليل واين
ذهبت هي في هذه الساعة حتى اروح انا اليها بنفسي فان كان ابي الملك
شهرمان فعل معي هذه الفعال وامتحنني بتلك الصبيّـة المليحة من
اجل زواجها فانا رضيتُ ان اتزوج بهـــا واريح نفسي من هذا فانه
مافعل معي هذا الامر كلّه الّا من اجل امتناعي من الزواج فهـا
انا رضيت بالزواج ثم رضيت بالزواج فاعلم والدي بذلك ايها الوزير
واشر اليـــه ان يزوجني بتلك الصبيّـــة فاني لااريد سواها وقلبي
لايحبّ الاّ اياها فقـــم واسرع الى ابي واشر اليـــه بتعجيل زواجي
ثم عد اليّ بالجـــواب في هذه الساعـــة فقال له الوزير نعم وما
صدق انه يخلص من يديـــه ثم قام من عنده وخرج من البرج
هو يمشي و يعثـــر من شدة الخوف والفزع ولم يزل يجري الى
ان دخل على الملك شهرمان وادرك شهرزاد الصبـــــاح فسكتت
عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان الوزير خرج من البرج ولم يزل يجري الى ان دخل على الملك شهرمان فلمـــا وصل اليـــه قال له الملك ايها الوزير ما الذي دهاك ومن الذي بشرّه رماك و مالي اراك في ارتباك حتى جئت مرعوبا فقال له ايها الملك اني قد جئتك ببشارة فقال له الملك و ما هي قال له اعلم ان ولدك قمرالزمان ذهب عقله و حصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهـــه ظلاما وقال له ايها الوزير اوضح لي صفة جنونه قال له ياسيّدي سمعا وطاعة ثم اعلمه انه قد جرى منه كذا وكذا و اخبره بمـــا تمّ له معه فقال له الملك ابشر ايهـــا الوزير فاني اعطيك في نظير بشارتك اياّي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعمة عنك يا انحس الوزراء و انجس الامراء لانني اعلم انك سبب جنون ولدي بمشورتك ورأيك الفاسد التعيس الذي اشرت به عليّ في الاول و الآخر و الله ان كان ياتي على ولدي شيء من الضـرر او الجنون لاسمرنّك على القبة و اذيقك النكبـــة ثم ان الملك نهض قائمـــا على اقدامه و اتى به الى البرج ودخل فيـــه على قمرالزمان فلما وصلا اليه وثب قمرالزمان على الاقدام و نزل سريعا من فوق السرير الذي هو جالس عليه و قبـــل يدي والده وتأخر وراءه و اطرق برأسه الى الارض وهو مكتف اليدين الى ورائه قدام ابيه و لم يزل كذلك ساعة زمانية و بعد ذلك رفع رأسه الى والده وفرت الدموع من عينيه وسالت على خدّيه و انشد يقـــــول

إنْ كُنْتُ قَدْ اَذْنَبْتُ ذَنْبًا سَالِفًا ... فِي حَقّكُمْ وَ اَتَيْتُ شَيْأً مُنْكرًا

أَنَا تَائِبٌ عَمَّا جَنَيْتُ وَعَفْوُكُمْ   يَسَعُ الْمُسِيءَ اِذَا اَتَى مُسْتَغْفِرَا

فعند ذلك قام الملك و عانق ولده قمر الزمان و قبّله بين عينيه واجلسه الى جانبه فوق السرير والتفت الى الوزير و نظر اليه بعين الغضب وقال له يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدي قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبي عليه ثم التفت الملك الى ولده وقال له يا ولدي ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدي هذا يوم السبت وغدا يوم الاحد و بعده يوم الاثنين وبعده الثلثاء وبعده الاربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدي يا قمر الزمان الحمد لله على سلامة عقلك ما اسم هذا الشهر الذي علينا بالعربي فقال اسمه ذوالقعدة ويليه ذوالحجة وبعده المحرّم وبعده صفر وبعده شهر ربيع الاول و بعده شهر ربيع الآخر و بعده جمادي الاولى وبعده جمادي الاخرى و بعده رجب و بعده شعبان و بعده رمضان و بعده شوال ففرح بذلك الملك فرحا شديدا وبصق في وجه الوزير وقال له يا شيخ السوء كيف تزعم ان ولدي قد جنّ والحال انه ماجنّ الا انت فعند ذلك حرّك الوزير برأسه واراد ان يتكلم ثم خطر بباله ان يتمهّل قليلا لينظر ما ذا يكون ثم ان الملك قال لولده يا ولدي اي شيء هذا الكلام الذي تكلّمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما اني كنت نائما مع صبيّة مليحة في هذه الليلة فما شان هذه الصبيّة التي ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام ابيه و قال له يا ابي اعلم انه ما بقي لي قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا عليّ شيئاً ولا بكلمة واحدة فقد ضاق خلقي مما تفعلونه معي واعلم يا ابي علما يقينا اني قد رضيت بالزواج و لكن بشرط ان تزوّجني تلك الصبية

التى كانت نائمة عندي في هذه الليلة فاني اتحقق انك انت الذي ارسلتها اليّ و شوّقتنى اليها و بعد ذلك ارسلت اليها قبل الصبح واخذتها من عندي فقال الملك اسم الله حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان اسم الله حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون فايّ شيءٍ هذه الصبيّة التي تزعم اني ارسلتها اليك في هذه الليلة ثم ارسلت آخذها من عندك قبل الصباح فوالله يا ولدي ليس لي علم بهذا الامر فبالله عليك ان تخبرني هل ذلك اضغاث احلام اوتخيلات طعام فانك بتّ في هذه الليلة وانت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره فلعن الله الزواج وساعته ولعن من اشاربه ولا شكّ ولا ريب انك متكدّر المزاج من جهة الزواج فرأيتَ فى المنام ان صبيّة مليحة تعانقك وانت تعتقد في نفسك انك رأيتها فى اليقظة وهذا كلّه يا ولدي اضغاث احلام فقال له قمر الزمان دع عنك هذا الكلام واحلف لي بالله الخالق العلّام قاصم الجبابرة ومبيد الاكاسرة انه لم يكن عندك خبر بالصبيّة ومحلّها فقال له الملك وحق الله العظيم الّه موسى و ابراهيم انه لم يكن لي علم بذلك ولا عندي منه خبر وانما ذلك اضغاث احلام رأيته انت فى المنام فقال قمر الزمان لوالده انا اضرب لك مثلا يبيّن لك ان هذا كان فى اليقظة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال لوالده انا اضرب لك مثلا يبيّن لك ان هذا كان فى اليقظة وهو اني اسألك هل اتفق لاحد انه رأى نفسه فى المنام يقاتل وقد قاتل قتالا شديدا وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد في يده سيفا ملوّثا بالدم فقال له والده لا والله ياولدي لم يتّفق هذا فقال قمر الزمان لوالده انا اخبرك بما حصل لي وهو اني رأيت في هذه الليلة كأني استيقظت من منامي نصف الليل فوجدت بنتا نائمة بجانبي قدها كقدّي وشكلها كشكلي فعانقتها وقلبتها بيدي واخذتُ خاتمها ولبسته في اصبعي وقلعت خاتمي والبسته في اصبعها ونمت بجنبها وامتنعت عنها حياء منك وخوفا ان تكون انت ارسلتها تمتحنني بها وظننت انك مختفي في مكان لتنظر ما افعل بها واستحييت من اجل ذلك ان اقبلها في فمها حياء منك وظننتُ انك ترغبني فى الزواج وبعد ذلك انتبهتُ من منامي في وجه الصبح فلم اجد للصبيّة اثرا ولا وقفت لها على خبر وجرى لي مع الخادم والوزير ماجرى فكيف يكون هذا الامر مناما وكذبا وامر الخاتم صحيح ولولا الخاتم كنت اظن انه منام وهذا خاتمها في خنصري فانظر ايها الملك الى الخاتم كم يساوي ثم ان قمر الزمان ناول الخاتم لابيه فاخذه وتامّله وقلّبه ثم التفت الى ولده وقال له ان لهذا الخاتم نبأ عظيما وخبرا جسيما وان الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبيّة امر مشكل ولا اعلم من اين دخل علينا هذا الدخيل وما سبب هذه الفتنة كلها الا الوزير فبالله عليك يا ولدي اصبر حتى يفرج الله عنك هذه الكربة

و يأتيك بالفرج العظيم فان بعض الشعراء قال

عَسَى وَلَعَلَّ الدَّهْرُ يَلْوِي عِنَانَهُ ... وَيَأْتِي بِخَيْرٍ فَالزَّمَانُ غَيُورُ
وَتُسْعِدُ آمَالِي وَتَقْضِي حَوَائِجِي ... وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الأُمُورِ أُمُورُ

فيا ولدي اني تحققت في هذه الساعة ان مابك جنون و لكن قصتك غريبة لا يجليها عنك الا الله تعالى فقال له قمر الزمان بالله يا والدي انك تفعل معي جميلا وتفحص لي عن هذه الصبيّة وتعجّل بقدومها والامتُّ كمدا لم يدر بموتي احد ثم ان قمر الزمان اظهر الوجد والتفت الى ابيه وانشد هذين البيتين

إِنْ كَانَ وَعْدُ كُمُ بِالْوَصْلِ تَزْوِيرُ ... فَفِي الْكَرَى وَاصِلُوا الْمُشْتَاقَ أَوْزُورُوا
قَالُوا وَكَيْفَ يَزُورُ الطَّيْفُ جَفْنَ فَتًى ... مَنَامُهُ عَنْهُ مَمْنُوعٌ وَمَهْجُورُ

ثم ان قمر الزمان بعد انشاد هذه الاشعار التفت الى ابيه بخضوع وانكسار وافاض العبرات وانشد هذه الابيات و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما انشد لابيه هذه الابيات بكى واشتكى وتأوّه من كبد مجروح وانشد ايضا هذه الابيات

خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ طَرْفِهَا فَهُوَ سَاحِرُ ... وَلَيْسَ بِنَاجٍ مِنْ رَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ
وَلَا تَخْدَعُوا مِنْ رِقَّةٍ فِي كَلَامِهَا ... فَإِنَّ الْحُمَيَّا لِلْعُقُولِ تُخَامِرُ
مُنَعَّمَةٌ لَوْلَامَسَ الْوَرْدُ خَدَّهَا ... بَكَتْ وَجَرَتْ مِنْ مُقْلَتَيْهِ الْمَوَاطِرُ
فَلَوْ فِي الْكَرَى مَرَّ النَّسِيمُ بِأَرْضِهَا ... سَرَى أَبَدًا مِنْ أَرْضِهَا وَهُوَ عَاطِرُ
قَلَائِدُهَا تَشْكُو رَنِينَ وِشَاحِهَا ... وَقَدْ خَرِسَتْ مِنْ مِعْصَمَيْهَا الْأَسَاوِرُ

إِذَا مَا اشْتَهَى الْخَلْخَالُ تَقْبِيلَ قُرْطِهَا بَدَتْ لِعُيُونِ الْوَصْلِ مِنْهَا الضَّمَائِرُ
وَلِي عَاذِلٌ فِي حُبِّهَا غَيْرُ عَاذِرٍ وَمَا تَنْفَعُ الْاَبْصَارُ لَوْلَا الْبَصَائِرُ
عَذُولِي لَحَاكَ اللّٰهُ مَا اَنْتَ مُنْصِفٌ فَعَنْ حُسْنِ هٰذَا الظَّبْيِ تَثْنَى النَّوَاظِرُ

فلما فرغ من شعره قال الوزير للملك يا ملك العصر والاوان الى متى انت تقعد عند ولدك وانت محجوب عن العساكر فربما ينفسد عليك نظام مملكتك بسبب بعدك عن ارباب دولتك والعاقل اذا كان بجسمه جراحات مختلفات فليداوي الاخطر منها والرأي عندي ان تنتقل ولدك من هذا المكان الى القصر الذي فى السراية المطل على البحر وتنقطع عند ولدك فيه وتجعل للديوان والموكب في كل جمعة يومين يوم الخميس ويوم الاثنين فيدخل عليك فيهما الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة وخواص المملكة وبقية العسكر والرعية ويعرضون عليك احوالهم فتقضي لهم حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانه بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولم تزل على تلك الحالة حتى يفرج الله عنك وعنه ولاتأمن ايها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فان العاقل دائما محاذر وما احسن قول الشاعر

حَسَّنْتَ ظَنَّكَ بِالْاَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مَنْ كَانَ الزَّمَانُ لَهُ مُسَاعِدًا فَلْيَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ الْحَذَرُ

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رأه صوابا ونصيحة له في مصلحته فاثر عنده وخاف ان ينفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته

وساعته وامر بتحويل ولده من ذلك المكان الى القصر الذي في السراية
المطل على البحر وهذا القصر كان في وسط البحر يمشون اليه على
ممشاة عرضها عشرون ذراعا وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر
وارضه مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بانواع الدهانات
وافخرها ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمرالزمان فيه الفراش
الحرير الفاخر والبسط المطرز والبسوا حيطانه خاص الديباج وارخوا
عليه الستارات المكللة بالجواهر واجلسوا فيه قمر الزمان على سرير
من العرعر مكلل بالدّر والجوهر فجلس قمر الزمان عليه الّا انه من
شدة اشتغاله بالصبيّة وعشقه لها تغير لونه ونحل جسمه وصار لا يأكل
ولا يشرب ولا ينام وصار كالمريض الذي له عشرون سنة مريضا
فجلس والده عند رأسه وحزن عليه حزنا عظيما وصار الملك في
كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن بدخول الامراء والحجّاب والنوّاب
وارباب الدولة والعساكر والرعية في ذلك القصر فيدخلون عليه ويؤدّون
وظائف الخدمة ويقيمون عنده الى آخر النهار ثم ينصرفون الى حال
سبيلهم ثم يدخل الملك عند ولده في ذلك المكان ولا يفارقه ليلا
ولا نهارا ولم يزل على تلك الحالة مدة ايام وليالي من الزمان هذا
ما كان من امر قمر الزمان بن الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة
بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فان الجن
لما حملوها ووضعوها في فراشها لم تزل نائمة الى ان طلع الفجر
فانتبهت من منامها وجلست على حيلها والتفتت يمينا وشمالا
فلم ترالشابّ الذي كان في حضنها فرجف فؤادها وزال عقلها وصرخت
صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن
عليها فتقدمت اليها كبيرتهن وقالت لها ياسيدتي ما الذي اصابك

فقالت لها ايتها العجوز النحس اين معشوقي الشاب المليح الذي كان نائما
هذه الليلة في حضني فاخبريني اين راح فلما سمعت منها القهرمانة
هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما وخافت من باسها خوفا عظيما
وقالت ياستي بدور اي شيء هذا الكلام القبيح فقالت الست بدور ويلك
يا عجوز النحس اين معشوقي الشاب المليح صاحب الوجه الصبيح
والقد الرجيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذي كان بائتا
عندي في هذه الليلة من العشاء الى قرب طلوع الفجر فقالت والله
ما رأيت شابا ولا غيره فبالله ياسيدتي لا تمزحي هذا المزاح الخارج
عن الحد فتروح ارواحنا وربّما يبلغ اباك هذا المزاح فمن كان
يخلصنا من يده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القهرمانة قالت للسيدة بدور
بالله عليك ياسيدتي لاتمزحي هذا المزاح الخارج عن الحد فانه
ربّما يبلغ اباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده فقالت لها الملكة
بدور انه كان غلام بائتا عندي في هذه الليلة وهو من احسن الناس
وجها فقالت لها القهرمانة سلامة عقلك ما كان احد بائتا عندك
في هذه الليلة فعند ذلك نظرت بدور الى يدها فوجدت خاتم
قمر الزمان في اصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانة ويلك يا ملعونة
يا خائنة اتكذبين عليّ وتقولين ما كان احد بائتا عندي وتحلفين
لي بالله باطلا فقالت القهرمانة والله ماكذبت عليك ولا حلفت
باطلا فاغتاظت منها الست بدور وسحبت سيفا كان عندها وضربت به
القهرمانة فقتلها فعند ذلك صاح الخادم والجواري والسراري عليها

وراحوا الى ابيها واعلموه بحالها فاتى الملك الى ابنته الست بدور
من وقتـه وساعـته وقال لها يا بنتي ما خبرك فقالت يا ابي اين
الشابُ الذي كان نائما بجانبي في هذه الليلة وطار عقلها من دماغها
وصارت تلتفت بعينها يمينا وشمالا ثم شقت ثوبها الى ذيلها فلما رأى
ابوها تلك الفعـال امر الجواري ان يمسكوها فمسكـوها وقيّدوها
وجعلوا في رقبتها سلسلة من حديد وربطوها فى الشباك الذي فى القصر
وتركوها هذا ماكان من امر الملكة بدور واما ماكان من امر ابيها
الملك الغيور فانه لما رأى ماجرى على ابنته الست بدور ضاقت عليه
الدنيا لانه كان يحبّها وماهان عليه امرها فعند ذلك احضر الحكماء
والمنجمين واصحاب الاقلام وقال لهم كل من ابرأ بنتي مماهي فيه
زوجته بها واعطيته نصف مملكتي ومن تقدم اليها ولم يبرئهـا
اضرب عنقه واعلق رأسه على باب قصرها فصار كل من دخل عليها
ولم يبرئها يضرب عنقـه ويعلق رأسه على باب القصر الى ان قطع
من اجلهـا اربعين راس رجل من الحكماء وصلب اربعين رجلا
من المنجّمين فتوقفت جميع الناس عنهـا وعجزت جميع الحكماء
عن دوائها واشكلت حكايتهـا على اهل العلوم وارباب الاقلام
ثم ان الست بدور لما زاد بها الوجد والغرام واضرّبها العشق والهيام
اجرت العبرات وانشدت هذه الابـيـات

غَرَامِي فِيكَ يَا قَمَرِي غَرِيمِي ... وَذِكْرُكَ فِي دُجَى لَيْلِي نَدِيمِي
أَبِيتُ وَأَضْلُعِي فِيهَا لَهِيبٌ ... يُحَاكِي حَرُّهُ نَارَ الْجَحِيمِ
بُلِيتُ بِفَرْطِ وَجْدٍ وَاحْتِرَاقٍ ... عَذَابِي مِنْهُمَا أَضْحَى أَلِيمِي

ثم انها تأوّهت وانشدت ايضا تقـول

سَلَامِي عَلَى الْاَحْبَابِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ فَاِنِّي اِلَى نَحْــوِ الْحَبِيبِ اُرِيدُ
سَلَامِي عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ سَلَامٌ كَثِيرٌ لَا يَزَالُ يَزِيــدُ
وَاِنِّي لَاَهْوَا كُمْ وَاَهْوَى دِيَارَكُمْ وَلٰكِنَّنِي عَمَّــا اُرِيدُ بَعِيــدُ

فلمـا فرغت الست بدور من انشاد هذه الاشعار بكت حتى مرضت عيناها وتغيرت وجناتها ثم انها استمرت على هذا الحال ثلث سنين وكان لها اخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر الى اقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبّها محبة زيادة على محبة الاخوة فلماحضر دخل على والدته وسألها عن اخته الست بدور فقالت له يا ولدي ان اخيك حصل لها جنون ومضى لها ثلث سنين وفي رقبتها سلسلة من حديد وعجزت جميع اهل الطب واهل الحكمة عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولي عليها لعلي اعرف ما بهــا واقدر على دوائها فلما سمعت امه كلامــه قالت لابد من دخولك عليها ولكن تمهّل الى غد حتى اتحيّل في امرك ثم ان امه ترجّلت الى قصر الست بدور واجتمعت بالخــادم الموكّل بالبـــاب واهدت له هدية وقالت له ان لي بنتا وقد تربت مع الست بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ماجرى صار خاطرها متعلقا بها وانا اقصد من فضلك في ان بنتي تأتي عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولايعلم بها احد فقال الخادم لايمكن ذلك الا في الليل فبعد ان يأتي السلطان ينظر ابنتــه ويخرج فادخلي انت وابنتك فقبلت العجوز يد الخادم وخرجت الى بيتهـا فصبرت الى ثاني يوم العشاء فلما جاء وقته قامت من وقتها وساعتها واخذت ولدها مرزوان والبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده في يدها وادخلته القصر

ولا زالت تمشي به حتى اوصلته الى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رآها الخادم قام واقفا وقال لها ادخلي ولا تطيلي القعود فلما دخلت العجوز بولدها راى مرزوان الست بدور في تلك الحالة فسلم عليها بعد ان كشفت عنه امه ثياب النساء فاخرج مرزوان الكتب التي معه واوقد شمعته وقرأ بعض اقسام فنظرت اليه الست بدور فعرفته وقالت له يا اخي انت كنت سافرت وانقطعت اخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردّني الله بالسلامة واردت السفر ثانيا فما ردّني عنه الا هذا الخبر الذي سمعته عنك فاحترق قلبي عليك وجئت اليك لعلي ان اخلصك مما انت فيه فقالت له يا اخي هل انت تظن ان الذي اعتراني جنون قال نعم قالت لا والله وانما هو كما قال الشاعر

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ	مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
الْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ	وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ
نَعَمْ جُنِنْتُ فَهَاتُوا مَنْ جُنِنْتُ بِهِ	إِنْ كَانَ يَشْفِي جُنُونِي لَا تَلُومُونِي

فعند ذلك علم مرزوان انها عاشقة فقال لها احكي لي على قصتك وما اصابك لعل ان يكون بيدي شئ افعله ويكون فيه خلاصك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان قال للسيدة بدور اخبريني بقصتك وما اتفق لك لعل الله ان يطلعني على ما فيه خلاصك فقالت له الست بدور يا اخي اسمع قصّتي وذلك اني استيقظت من

منامي ليلة فى الثلث الاخير من الليل وجلست على حيلي فنظرت الى جانبي شابّا احسن مايكون من الشباب يكلّ عن وصفه اللسان كانه غصن بان اوقضيب خيزران فظننت ان ابي هو الذي امره بهذا الامر ليمتحنني به لانه راودني عن الزواج لما خطبنى منه الملوك فابيت فهذا الظن هو الذي منعني من ان انبهه وخشيت اني اذا عملت شيأ اواعانقه ربما يخبر لابي بذلك فلما اصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضا عن خاتمي الذي اخذه مني فهذه حكايتي وسبب جنوني وانايا اخي قد تعلق قلبي به من حين رؤيته ومن كثرة عشقي والغرام لم اذق طعم المنام ومالي شغل غير الدموع والبكاء وانشاد الاشعار بالليل والنهار ثم افاضت العبرات وانشدت هذه الابيات

اَبَعْدَ الْحِبِّ لَذَّاتِيْ تَطِيبُ	وَذَاكَ الظَّبْيُ مَرْتَعُهُ الْقُلُوبُ
دَمُ الْعُشَّاقِ اَهْوَنُ مَا عَلَيْهِ	وَفِيهِ مُهْجَةُ الْمُضْنَى تَذُوبُ
اَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ نَظَرِي وَفِكْرِي	فَمِنْ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي رَقِيبُ
وَاَجْفَانٍ لَهُ تَرْمِي سِهَامًا	فَوَاتِكَ فِي الْقُلُوبِ لَنَا تُصِيبُ
فَهَلْ لِي اَنْ اَرَاهُ قُبَيْلَ مَوْتِي	اِذَا مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا نَصِيبُ
وَاَكْتُمُ سِرَّهُ فَيَنِمُّ دَمْعِي	بِمَا قَلْبِي وَيَعْلَمُهُ الرَّقِيبُ
قَرِيبُ وَصْلُهُ مِنِّي بَعِيدُ	بَعِيدُ ذِكْرُهُ مِنِّي قَرِيبُ

ثم ان الست بدور قالت لمرزوان انظر يا اخي ما الذي تعمل معي في الذي اعتراني فاطرق مرزوان رأسه الى الارض ساعة وهو يتعجب وما يدري مايفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ماجرى لك صحيح وان حكاية هذا الشاب اعيت فكري ولكن اني ادور في جميع البلاد وافتش على دوائك لعل الله يجعله على يدي ولكن اصبري ولاتجزعى

ثم ان مرزوان ودّعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها وهي
تنشد هذه الابيات

وَيَخْطُو لِي خَيالُكَ فِي ضَمِيرِي ... عَلَى بُعْدِ الْمَكَانِ خُطَى مَزُورِ
وَتُدْنِيكَ الْاَمَانِي مِنْ فُؤَادِي ... وَاَيْنَ الْبَرْقُ مِنْ لَمْحِ الْبَصِيرِ
فَلَا تَبْعُدْ لِاَنَّكَ نُورُ عَيْنِي ... اِذَا مَا غِبْتَ لَمْ تَكْحَلْ بِنُورِ

ثم ان مرزوان تمشي الى بيت والدته فنام تلك الليلة فلما اصبح
تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافرا من مدينة الى مدينة ومن
جزيرة الى جزيرة مدة شهر كامل فدخل مدينة يقال لها الطيرب
ومشى يستنشق الاخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان
كلما يدخل مدينة او يمرّ بها يسمع ان الملكة بدور بنت الملك
الغيور قد حصل لها جنون الى ان وصل الى مدينة الطيرب فسمع
خبر قمر الزمان ابن الملك شهرمان بانه مريض وانه اعتراه وسواس
وجنون فسأل مرزوان عن اسم مدينته فقالوا له انه في جزائر خالدان
وهي من مدينتنا هذه مسيرة شهر كامل فى البحر واما فى البر فستة
اشهر فنزل مرزوان في مركب كانت متوجهة الى جزائر خالدان فطاب
لها الريح مدة شهر فاشرفوا على جزائر خالدان ولما اشرفوا عليها
ولم يبق لهم الا الوصول الى الساحل واذا بريح عاصف خرج عليهم ورمى
الصواري ومزق القماش ووقعت القلوع فى البحر وانقلبت المركب
بجميع ما فيها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المركب لما انقلبت بجميع ما فيها

اشتغل كلواحد بنفسه واما مرزوان فان الموج قذفه حتى اوصله الى تحت قصر الملك الذي فيه قمر الزمان وكان بالامر المقدر كان هذا اليوم الذي يجتمع فيه على الملك شهرمان اهل دولته وارباب مملكته للخدمة والملك شهرمان جالس ورأس ولده قمر الزمان في حجره وخادم ينشّ عليه وكان قمر الزمان مضى له يومان ما تكلّم ولا اكل ولا شرب وصار انحف من المغزل والوزير واقف عند رجليه قريب الشباك المطلّ على البحر فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد اشرف على الهلاك من التيّار وبقي على آخر نفس فرقّ عليه قلب الوزير فتقرب الى الملك ومدّ رأسه اليه وقال له استأذنك ايها الملك في ان انزل الى ساحة القصر وافتح بابها لا نقذ انسانا قد اشرف على الغرق فى البحر واطلعه من الضيق الى الفرج لعلّ الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال له الملك ايها الوزير يكفي ماجرى على ولدي منك وبسببك وربما انك اذا اطلعت هذا الغريق يطلّع على احوالنا وينظر الى ولدي وهو فى هذه الحالة فيشمت بي ولكن اقسم بالله ان طلع هذا الغريق ونظر الى ولدي وخرج يتحدّث مع احد با سرارنا لاضربنّ رقبتك قبله لانك ايّها الوزير سبب ما جرى لنا اوّلا وآخرا فافعل ما بدالك فنهض الوزير وفتح باب سر القصر النافذ الى البحر ونزل فى الممشاة عشرين خطوة ثم خرج الى البحر فرأى مرزوان مشرفا على الموت فمدّ الوزير يده اليه ومسكه من شعر رأسه وجذبه منه فخرج من البحر وهو فى حال العدم وقد امتلأ بطنه ماء وبرزت عيناه فصبر الوزير عليه حتى ردّت روحه اليه ثم نزع عنه ثيابه والبسه ثيابا غيرها وعمّمه بعمامة من عمائم غلمانه وقال له اعلم اني كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت سببا لموتي

و موتك و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل قال له اعلم اني كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت سببا لموتي وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لانّك في هذه الساعة تطلع وتشقّ بين امراء و وزراء و الكل ساكتون لايتكلمون لاجل قمر الزمان ابن السلطان فلما سمع مرزوان ذِكر قمر الزمان عرفه لانه كان يسمع بحديثه في البلاد و اتى في طلبه ولكنه تجاهل وقال للوزير و مَن قمر الزمان فقال الوزير هو ابن السلطان شهرمان و هو ضعيف ملقى على الفراش ليس له قرار ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد اشرف على الموت ويئسنا من حيٰوته و ايقنّا بوفاته و اياك ان تطيل النظر اليه او تنظر الى غير الموضع الذي تحطّ فيه رجلك و الّا فتروح روحك وروحي فقال له بالله عليك ايها الوزير ارجو من تفضلاتك ان تخبرني عن هذا الشاب الذي وصفته لي ما سبب هذا الامر الذي هو فيه فقال له الوزير لا اعلم له سببا الّا ان والده من منذ ثلث سنين سأله ان يتزوج فابى فغضب عليه وسجنه فاصبح وهو يزعم انه كان نائما فرأى بجنبه صبيّة بارعة الجمال يعجز عن وصف حسنها اللسان وذكر لنا انه نزع خاتمها من اصبعها و لبسه والبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدي اذا طلعت معي الى القصر لا تنظر الى ابن الملك ورح الى حال سبيلك فان السلطان قلبه ملآن عليّ غيظا فقال مرزوان في نفسه والله ان هذا هو المطلوب ثم طلع

مرزوان خلف الوزير الى ان وصل الى القصر فجلس الوزير تحت رجلي قمر الزمان و اما مرزوان فانه لم يكن له دأب الا انه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان و نظر اليه فمات الوزير في جلده من الخوف و صار ينظر الى مرزوان و يغمزه ليروح الى حال سبيله و مرزوان يتغافل وينظر الى قمر الزمان فتحقق وعلم انه هو المطلوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلماكانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان لما نظر الى قمر الزمان وعلم انه هو المطلوب قال سبحان الله الذي جعل قدّه مثل قدّها وخدّه كخدّها ولونه كلونها ففتح قمر الزمان عينيه وصغى باذنيه الى كلامه فلما رآه مرزوان صاغيا الى ما يلقيه من الكلمات انشد يقول هذه الابيات

أَرَاكَ طَرُوبًا ذَا شَجِي وَتَرَنُّمِ ... تَمِيلُ إِلَى ذِكْرِ المَحَاسِنِ بِالفَمِ
أَصَابَكَ عِشْقٌ أَمْ رُمِيتَ بِأَسْهُمٍ ... فَمَا هٰذِهِ إِلَّا سَجِيَّةُ مَنْ رُمِي
أَلَا فَاسْقِنِي كَاسَاتِ خَمْرٍ وَغَنِّ لِي ... بِذِكْرِ سُلَيْمَى وَالرَّبَابِ وَتَنْعَمِ
وَشَمْسَةَ كَرْمٍ بُرْجُهَا قَاعُ دَنِّهَا ... وَمَشْرِقُهَا السَّاقِي وَمَغْرِبُهَا فَمِي
أَغَارُ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... إِذَا لَبِسَتْهَا فَوقَ جِسْمٍ مُنَعَّمِ
وَأَحْسُدُ كَاسَاتٍ تُقَبِّلُ ثَغْرَهَا ... إِذَا وَضَعَتْهَا مَوْضِعَ اللَّثْمِ فِي الفَمِ
فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي قُتِلْتُ بِصَارِمٍ ... وَلٰكِنْ لِحَاظٌ قَدْ رَمَتْنِي بِأَسْهُمِ
وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَجَدْتُ بَنَانَهَا ... مُخَضَّبَةً تَحْكِي عُصَارَةَ عَنْدَمِ
فَقُلْتُ خَضَبْتِ الكَفَّ بَعْدِي هٰكَذَا ... يَكُونُ جَزَاءُ المُسْتَهَامِ المُتَيَّمِ

فقالت والقت في الحشا لاعج الجوى ⁂ مقالة من للحب لم يتكتم
وعيشك ما هذا خضاب خضبته ⁂ فلا تك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيتك راحلا ⁂ وقد كنت لي زندي وكفي ومعصمي
بكيت دما يوم النوى فمسحته ⁂ بكفي فاحمرت بناني من دمي
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ⁂ لكنت شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيجني البكا ⁂ بكاها فقلت الفضل للمتقدم
فلا تعذلوني في هواها لانني ⁂ وحق الهوى فيها كثير التألم
بكيت على من زين الحسن وجهها ⁂ وليس لها مثل بعرب واعجم
لها علم لقمان وصورة يوسف ⁂ ونغمة داود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب وحسرة يونس ⁂ وبلوة ايوب وقصة آدم
فلا تقتلوها ان قتلت بها جوى ⁂ بلى فاسألوها كيف حل لها دمي

فلما انشد مرزوان هذه القصيدة نزل على قلب قمرالزمان بردا و سلاما و تنهد ودار لسانه في فمه و قال لوالده يا ابي دع هذا الشاب يأتي ويجلس الى جانبي و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان قال لوالده يا ابي خل هذا الشاب يأتي و يجلس في جانبي فلما سمع السلطان من ولده قمرالزمان ذلك فرح فرحا شديدا بعد ان كان قلبه تغير من جهة مرزوان و اضمر في نفسه انه لا بد ان يرمى رقبته فلما سمع ولده تكلم زال مابه و نهض قائما وجذب الغلام مرزوان واجلسه بجانب

قمرالزمان واقبل الملك على مرزوان وقال له الحمد لله على سلامتك
فقال له سلم الله لك ولدك ودعا للملك فقال له الملك من
اي البلاد انت قال من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب
الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملك شهرمان عسى ان يكون
قدومك مباركا على ولدي وينجيه الله مما هو فيه فقال ان شاء الله
تعالى ما يكون الا الخير ثم ان مرزوان اقبل على قمرالزمان وقال له
في اذنه في غفلة الملك واهل الدولة يا سيّدي شدّ روحك وقوّ
قلبك وقرّ عينك فان التي صرت من اجلها هكذا لا تسأل عما هي
فيه من اجلك ولكنك كتمت امرك فضعفت واما هي فانها اظهرت
امرها فقالوا انها جنّت وهي الآن مسجونة وفي رقبتها سلسلة من
الحديد وهي في اسوء حال وان شاء الله تعالى يكون دواؤكما
على يدي فلما سمع قمرالزمان هذا الكلام ردت روحه اليه واشتد قلبه
وحصل عنده نشاط واشار الى ابيه ان يجلسه فكاد الملك ان يطير
من الفرح ونهض الى ولده واجلسه فجلس قمرالزمان فنفض الملك
المنديل من خوفه على ولده فانصرفت جميع الامراء والوزراء
ووضع له مخدتين فجلس متكئا وامر الملك ان يطيب القصر
بالزعفران ثم امر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله يا ولدي
ان طلعتك سعيدة مباركة ثم اكرمه غاية الاكرام وطلب له الملك
الطعام فقدموه له فتقدم مرزوان وقال لقمر الزمان تقدّم كل معي
نطاوعه وتقدّم واكل معه كل هذا والملك يدعو لمرزوان ويقول
ما احسن قدومك يا ولدي فلما رأى والده اكل ولده زاد به الفرح
والسرور وخرج من وقته واخبر امه واهل القصر فضربت
البشائر في القصر لسلامة قمر الزمان ونادى الملك بالزينة

فزيّنت المدينة و فرحت الناس وكان يوما عظيمـا ثم ان مرزوان بات تلك الليلة عند قمر الزمـان و بات الملك عندهما من فرحته وهو مسرور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولده فلما اصبح الصبـاح وانصرف الملك شهرمان وخلا مرزوان بقمر الزمان حدّثه بالقصة من اولها الى آخرها وقال له اعلم انّني اعرف التي اجتمعت بها واسمها الست بدور بنت الملك الغيور ثم حدثه بماجري للسيدة بدور من الاول الى الآخر واخبره بفرط محبتها له وقال له جميع ما جرى لك مع ابيك جرى لها مع ابيها وانت من غير شك حبيبها وهي حبيبتك فشدّ عزمـك وقوّ قلبك فها انا اوصلك اليهـا واجمع بينـك و بينها قريبا واعمل معكما كما قال الشـــــاعر

إذَا صَـدِيقٌ صَـدَّ عَنْ إِلْفِهِ وَلَـمْ يَزَلْ فِي فَرْطِ إِعْـرَاضِ
أَلَّفْتُ وَصْلًا بَيْنَ شَخْصَيْهِمَـا كَأَنَّنِي مِسْمَـارُ مِقْرَاضِ

ولم يزل مرزوان يقوّي قمر الزمان ويشجّعه و يسلّيه و يحثّه على الاكل والشرب حتى اكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه اليه وعادت اليـه قوّته ونجا ممـا كان فيه كل ذلك و مرزوان يسلّيه بالاشعار والحكايات حتى ان قمر الزمان وقف على حيله وطلب ان يروح الى الحمام فاخذ مرزوان بيده ودخلا الى الحمام فغسلا ابدانهما وتنظّفا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة الموفية للمائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما ذهب الى الحمّام امر والده باطلاق المحابيس فرحا بذلك وخلع الخلع السنيّة على ارباب دولته وتصدق على الفقراء وامر بزينة البلد فزينّت المدينة سبعة ايام ثم ان مرزوان قال لقمر الزمان اعلم ياسيدي اني ما جئت من عند الست بدور الا لهذا الامر وهو سبب سفري لاجل ان اخلصها مما هي فيه وما بقي لنا الا اننا ندبر حيلة في ذهابنا اليها لان والدك لايقدر على فراقك والرأي عندي انك في غد استأذن والدك في انك تخرج الى الصيد في البرية وخذ معك خرجا ملآنا من المال واركب الجواد وخذ معك جنيبا وانا الآخر مثلك اركب معك وقل لوالدك اني اريد ان اتفرج في البرية واتصيد وانظر الفضاء وابيت هناك ليلة واحدة فاذا خرجنا ذهبنا الى حالنا ولا تخلي احدا يتبعنا من الخدم فقال قمر الزمان نعم هذا الرأي وفرح بذلك فرحا شديدا واشتد ظهره ودخل على والده فاخبره بذلك فاذن له والده في الخروج الى الصيد وقال له يا ولدي الف يوم مبارك الذي قواك وانا لا اكره ذلك ولكن لاتبت الا ليلة واحدة وفي غد تأتي وتحضر عندي فانك تعلم انه ما يطيب لي عيش الا بك وانني ما صدقت انك شفيت مما كنت فيه وانت عندي كما قال فيه الشاعر

وَلَوْ اَنَّ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... بِسَاطُ سُلَيْمَانٍ وَمُلْكُ الْاَكَاسِرَةْ
لَمَا سَوِيَا عِنْدِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ... اِذَا لَمْ تَكُنْ عَيْنِي لِشَخْصِكَ نَاظِرَهْ

ثم ان الملك جهّز ولده قمر الزمان وجهّز معه مرزوان وامران يهيّئ لهما اربعة من الخيل وهجينا برسم المـال و جملا يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان ان يخرج معه احد في خدمته فودّعه ابوه وضمّه الى صدره و قبّلـه وقال له سألتك بالله لا تغب عني غير ليلة واحدة وحرام عليّ المنام فيها فانّي كمـا قال الشـاعر

وِصَالُكَ عِنْـدِيْ نَعِيمٌ نَعِيمْ ... وَصَبْرِي عَنْـكَ اَلِيمٌ اَلِيمْ
فَدَيْتُكَ اِنْ كَانَ ذَنْبِي الْهَوَى ... اِلَيْكَ فَذَنْبِـي عَظِيمٌ عَظِيمْ
اَعِنْدَكَ مِثْلِي نَارُ الْجَوَى ... فَاَصْلَى بِذَاكَ عَذَابَ الْجَحِيمْ

فقال يا ابي ان شاء الله لا ابيت غير ليلة ثم ودّعه وانصرف و خرج قمر الزمان و مرزوان وركبا الخيل و معهمـا الهجين عليه المـال والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البـر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـبـاح

فلما كانت الليلة الاولى بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ومرزوان سارا واستقبلا البر وسافرا من اول النهـار الى المساء ونزلا واكلا و شربا واطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا ومازالا سائرين الى ثلثة ايام وفي رابع يوم بان لهما مكان متّسع فيـه غاب فنزلا فيـه فاخذ مرزوان جملا وفرسا وذبحهما وقطع لحمهما قطعا ونجر عظمهـا واخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعا ولوّثهما بدم الفرس واخذ جبّة قمر الزمان ومزّقها ولوّثها بالدم ورماها في مفرق الطريق ثم اكلا وشربا وركبا وسافرا فسأله قمر الزمان عما فعله

فقال له ما هذا يا اخي الذي فعلته و ما ذا يفيد ذلك فقال له اعلم انّ والدك الملك شهرمان اذاغبنا عنه ليلة بعد الليلة التي اخذنا بها منه الاذن ولم نحضرله فيها يركب و يسافر في اثرنا فاذا وصل الى هذا الدم الذي فعلته ورأى قميصك ولباسك مقطّعا وعليه الدم فيظنّ في نفسه انه جرى لك امر من قطاع الطريق او وحوش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع الى المدينة ونبلغ بهذه الحيلة ما نريد فقال قمرالزمان والله ان هذه حيلة مليحة نعم ما فعلت ثم انهما سارا اياما وليالي كل ذلك وقمرالزمان يشتكي اذا انفرد بنفسه و يبكي الى ان استبشر بقرب الديار فانشد يقول هذه الاشعار

أَتَجْفُو مُحِبًّا مَاسَلَا عَنْكَ سَاعَةً ... وَتَزْهَدُ فِيهِ بَعْدَمَا كُنْتَ رَاغِبَا
حُرِمْتُ الرِّضَى إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي الْهَوَى ... وَعُوقِبْتُ بِالْهِجْرَانِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا
وَمَا كَانَ لِي ذَنْبٌ فَاسْتَوْجِبُ الْجَفَا ... وَإِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَقَدْ جِئْتُ تَائِبَا
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنَّكَ هَاجِرِي ... وَمَازَالَتِ الْأَيَّامُ تُبْدِي الْعَجَائِبَا

فلما فرغ قمرالزمان من شعره قال له مرزوان انظر هذه جزائر الملك الغيور قد لاحت ففرح قمرالزمان فرحا شديدا وشكر مرزوان على فعله وقبّله بين عينيه وضمّه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمرالزمان لما قال له مرزوان انظر هذه جزائر الملك الغيور فرح و شكر على فعله و قبّله وضمّه الى صدره فلما و صلا الى الجزائر دخلا المدينة و انزله مرزوان

في خان و استراحا ثلثة ايام من السفر و بعد ذلك اخذ مرزوان
قمر الزمان و دخل به الحمام و البسه لبس التجّار و عمل له تخت
رمل من ذهب و عمل له عدّة وعمل له اسطرلابا من فضة مطلى
بالذهب و قال له قم يا مولاي وقِف تحت قصر الملك و نادِ انا
الحاسب انا الكاتب انا الذي اعرف المطلوب و الطالب انا الحكيم
الماهر انا المنجم الباهر فاين الطالب فان الملك اذا سمعك يرسل
خلفك و يدخل بك على ابنته الملكة بدور محبوبتك فاذا دخلت
عليها قل له اعطني مهلة ثلثة ايام فان طابت زوّجني بها وان لم
تطب افعل بي كما فعلت بالذين قبلي فانه يقبل منك ذلك فاذا
صرت عندها عرّفها بنفسك فانّها تشتدّ لما تراك و يزول ما بها من
الجنون وهي تطيب في ليلة فاطعمها و اسقها و يفرح ابوها بسلامتها
و يزوّجك بها و يقاسمك في ملكه لانه شرط على نفسه هذا الشرط
والسلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام قال له لا عدمت فضلك
و اخذ منه العدّة وخرج من الخان وهو لابس البدلة واخذ معه
العدة التي ذكرناها وسار الى ان وقف تحت قصر الملك الغيور
ونادى انا الكاتب الحاسب انا الذي اعرف المطلوب و الطالب
انا الذي افتح الكتاب و احسب الحساب وافسّر الاحلام واخطّ
با قلام المطالب فاين الطالب فلما سمع اهل المدينة هذا الكلام
جاؤا اليه لان لهم مدة مارأوا كاتبا ولا منجّما فوقفوا حوله و صاروا
يتأمّلونه فرأوه على غاية من الجمال و اللطف والظرف والكمال فوقفوا
يتعجّبون من حسنه وجماله و قدّه واعتداله فتقدم اليه واحد وقال له
بالله عليك ايها الشاب المليح صاحب اللسان الفصيح لا تخاطر بنفسك
و ترمي روحك في الهلاك طمعا في زواج الملكة بدور بنت الملك

الغيور وانظر بعينك الى هذه الروؤس المعلّقة فان اصحابها كلهم قُتلوا بسبب ذلك فلم يلتفت قمر الزمان الى كلامه ونادى باعلى صوته انا الحكيم الكاتب انا المنجم الحاسب فصار كل من اهل البلد ينهاه عن هذا الفعل فلم يلتفت اليهم ابدا وقال في نفسه ما يعلم الشوق الّا من يكابده وصار ينادي باعلي صوته انا الحكيم انا المنجم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لم يلتفت الى كلام اهل المدينة وصار ينادي انا الكاتب انا الحاسب انا المنجم فاغتاظ جميع اهل المدينة منه وقالوا له ما انت الاشاب بليد مكابر احمق ارحم شبابك وصغر سنّك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال انا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما قمر الزمان ينادي والناس ينهونه اذ سمع صوته الملك الغيور وسمع ضجّة الناس فقال الملك للوزير انزل أتنا بهذا المنجم فنزل الوزير سريعا واخذ قمر الزمان من وسط الناس واطلعه الى الملك فلما صار بين يدى الملك الغيور قبّل الارض وانشد يقول

ثَمَانِيَةٌ فِي الْمَجْدِ حُزْتَ جَمِيعَهَا ... فَلَا زَالَ خُدَّامًا بِهِنَّ لَكَ الدَّهْرُ
يَقِينُكَ وَالتَّقْوَى وَمَجْدُكَ وَالنَّدَى ... وَلَفْظُكَ وَالْمَعْنَى وَعِزُّكَ وَالنَّصْرُ

فلما نظر الملك الغيور اليه اجلسه الى جانبه واقبل عليه وقال له بالله يا ولدي ان لم تكن منجّما فلا تخاطر بنفسك ولا تدخل على شرطي فاني شرطت على نفسي ان كل من دخل على بنتي ولم يبرئها مما اصابها

ضربت عنقه وكل من ابرأها زوّجته بها فلا يغرّنك حسنك وجمالك
والله والله ان لم تبرئها لاضربنّ عنقك فقال قمر الزمان لك ذلك وانا راض
وعندي علم هذا قبل ان آتيك فاشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلّمه
الى الخادم وقال له اوصل هذا الى الست بدور فمسكه الخادم
من يده ومشى به في الدهليز فسابقه قمر الزمان فصار الخادم يجري
ويقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فاني مارأيت
منجما يستعجل على هلاك نفسه غيرك ولكنّك لم تعرف ايّ شيءٍ قدّامك
من الدواهي فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لقمر الزمان اصبر ولا
تستعجل فاعرض بوجهه عنه وانشد يقول هذه الابيات

أَنَا عَارِفٌ بِصِفَاتِ حُسْنِكَ جَاهِلٌ ... مُتَحَيِّرٌ لَمْ أَدْرِ مَا أَنَا قَائِلُ
لَوْ قُلْتُ شَمْسًا كَانَ حُسْنُكَ لَمْ يَغِبْ ... عَنْ نَاظِرِي إِنَّ الشُّمُوسَ أَوَافِلُ
كَمُلَتْ مَحَاسِنُكَ الَّتِي فِي وَصْفِهَا ... عَجَزَ الْبَلِيغُ وَحَارَ فِيهَا الْقَائِلُ

ثم ان الخادم اوقف قمر الزمان خلف الستارة التي على الباب
فقال له قمر الزمان ايّ الحالتين احب اليك اكون اداوي سيّدتك وابرؤها
من هنا او ادخل اليها فابرؤها من داخل الستارة فتعجب الخادم
من كلامه وقال له ان ابرأتها من هنا كان ذلك زيادة في فضلك
فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة واخرج الدواة والقلم
واخذ ورقة وكتب فيها هذه الكلمات هذا كتابُ مَن برح به الجوى *

واتلفه الهوى * واهلكه الاسى * والبلاء لمن يئس من الحياة * وايقن بحلول الوفاة * وما لقلبه الحزين * من مسعف ولا معين * وما لطرفه الساهر * على الهم ناصر * فنهاره في لهيب * وليله في تعذيب * وقد انبرى جسمه من كثرة النحول * ولم يأته من حبيبه رسول * ثم كتب هذه الابيات

كَتَبْتُ وَلِي قَلْبٌ بِذِكْرِكِ مُولَعُ ... وَجَفْنٌ قَرِيحٌ مِنْ دِمَائِي يَدْمَعُ
وَجِسْمٌ كَسَاهُ لَاعِجُ الشَّوْقِ وَالاسَى ... قَمِيصَ نُحُولٍ فَهُوَ فِيهِ مُضَعْضَعُ
شَكَوْتُ الْهَوَى لَمَّا اضَرَّ بِيَ الْهَوَى ... وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي لِلتَّصَبُّرِ مَوْضِعُ
إِلَيْكِ فَجُودِي وَارْحَمِي وَتَعَطَّفِي ... فَإِنَّ فُؤَادِي بِالْهَوَى يَتَقَطَّعُ

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات شفاء القلوب * لقاء المحبوب * من جفاه حبيبه * فالله طبيبه * من خان منكم ومنّا * لا نال مايتمنّى * ولا اظرف من المحب الوافي * الى الحبيب الجافي * ثم كتب فى الامضاء من الهائم الولهان * العاشق الحيران * مَن اقلقه العشق والغرام * اسير الوجد والهيام * قمر الزمان * ابن شهرمان * الى فريدة الزمان * ونخبة الحور الحسان * السيدة بدور * بنت الملك الغيور * اعلمي انّني في ليلي سهران * وفي نهاري حيران * زائد النحول والاسقام * والعشق والغرام * كثيرا لزفرات * غزير العبرات * اسير الهوى * قتيل الجوى * والهجر لقلبه كوى * غريم الغرام * نديم السقام * فانا السهران الذي لا تهجع مقلته * والمتيّم الذي لا ترقأ عبرته * فنار قلبي لاتطفى * ولهيب شوقي لا يخفى * ثم ان قمر الزمان كتب في حاشية الكتاب هذا البيت المستطاب شعر

سَلَامٌ مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِ رَبِّي ... عَلَى مَنْ عِنْدَهَا رُوحِي وَقَلْبِي

وكتب ايضـــــــــــــــــــــــا

هَبُوا لِي حَدِيثًا مِنْ حَدِيثِكُمْ عَسَى ... بِهِ تَرْحَمُونِي أَوْ يَقِرُّ جَنَانِي
وَمِنْ شَغَفِي فِيكُمْ وَوَجْدِي أَنَّنِي ... أُهَوِّنُ مَا أَلْقَاهُ وَهُوَ هَوَانِي
رَعَى اللّٰهُ قَوْمًا شَطَّ عَنِّي مَزَارُهُمْ ... كَتَمْتُ هَوَاهُمْ فِي أَعَزِّ مَكَانِ
وَهَا أَنَا قَدْ جَادَ الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ ... وَفِي قُرْبِ أَعْتَابِ الْحَبِيبِ رَمَانِي
رَأَيْتُ بُدُورًا فِي الْفِرَاشِ بِجَانِبِي ... زَهَا قَمَرِي مِنْ شَمْسِهَا بِزَمَانِي

ثم ان قمر الزمان بعد ان ختم الكتـــاب كتب في عنوانه هذه الابيــــــــــــــــــــــــات

سَلِي كِتَابِي عَمَّا خَطَّهُ قَلَمِي ... فَالرَّسْمُ يُخْبِرُ عَنْ وَجْدِي وَعَنْ أَلَمِي
يَدِي تَخُطُّ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِلٌ ... وَقَدْ شَكَى الشَّوْقَ لِلْقِرْطَاسِ مِنْ قَلَمِي
مَازَالَ دَمْعِي عَلَى الْقِرْطَاسِ مُنْسَكِبًا ... إِنِ انْقَضَتْ أَدْمُعِي أَتْبَعْتُهَا بِدَمِي

ثم كتب ايضا في آخر الكتـــــــــــــــــــــــاب

أَرْسَلْتُ خَاتَمَكِ الَّذِي اسْتَبْدَلْتُهُ ... يَوْمَ التَّوَاصُلِ فَأَرْسِلِي لِي خَاتَمِي

ثم ان قمر الزمان جعل خاتم الست بدور فى طيّ الورقة وناولهـــا للخادم فاخذها منه وادخل بها على سيدته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائتين

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان قمر الزمان لما وضع الخـــاتم فى الورقة وناولها للخادم فاخذها ودخل بهـــا الى الست بدور فاخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها فيها بعينه فقرأت

الورقة فلما عرفت المقصود علمت انه معشوقها وانه هو الواقف خلف الستارة فطار عقلها من الفرح وانشرح صدرها واتسع ومن فرط المسرات انشدت هذه الابيات

وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى تَفَرُّقِ شَمْلِنَا ... نَدَماً وَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ اَجْفَانِي
وَنَذَرْتُ اِنْ عَادَ الزَّمَانُ يَلُمُّنَا ... مَا عُدْتُ اَذْكُرُ فُرْقَةً بِلِسَانِي
هَجَمَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى اَنَّهُ ... مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ سَرَّنِي اَبْكَانِي
يَا عَيْنُ صَارَ الدَّمْعُ مِنْكِ سَجِيَّةً ... تَبْكِينَ مِنْ فَرَحٍ وَمِنْ اَحْزَانِي

فلما فرغت الست بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها فى الحائط واتّكأت بقوتها على الغلّ الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت نفسها على قمرالزمان وقبّلته في فمه مثل زقّ الحمام وعانقته من شدّة مابها من الوجد والغرام وقالت له يا سيدي هل هذا يقظة ام منام وهل قد منّ الله علينا بالقرب بعد البعاد فالحمد لله على جمع شملنا بعد اليأس فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجري حتى وصل الى الملك الغيور فقبّل الارض بين يديه وقال له يا مولاي اعلم ان هذا المنجم شيخ المنجمين واعلمهم كلهم فانه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال له الملك انظر جيدا اصحيح هذا الخبر فقال له الخادم ياسيدي قم وانظر اليها كيف وجدتْ فيها قوة حتى قطعت السلاسل من الحديد وخرجت الى المنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على بنته فلما رأته نهضت قائمة وغطّت رأسها وانشدت هذين البيتين

لَا اُحِبُّ السِّوَاكَ مِنْ اَجْلِ اَنِّي ... اِنْ ذَكَرْتُ السِّوَاكَ قُلْتُ سِوَاكَا

وَاُحِبُّ الْاَرَاكَ مِنْ اَجْلِ اَنّي اِنْ ذَكَرْتُ الْاَرَاكَ قُلْتُ اَرَاكَا

فعند ذلك فرح ابوها بسلامتها حتى كاد ان يطير وقبّلها بين عينيها لانه كان يحبّها محبّة عظيمة واقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من ايّ البلاد انت فاخبره قمر الزمان بنسبه وشانه واعلمه ان والده الملك شهرمان ثم ان قمر الزمان قصّ عليه القصة من اولها الى آخرها واخبره بجميع ما اتفق له مع الست بدور وكيف اخذ الخاتم من اصبعها والبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال له ان حكايتكما ينبغي ان تؤرخ فى الكتب وتقرأ بعدكما جيلا بعد جيل ثم ان الملك الغيور احضر من وقته القضاة والشهود وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وامر بتزيين المدينة سبعة ايام ثم مدوا السماط والاطعمة وعملت الافراح وتزيّنت المدينة وجميع العساكر بافخر الثياب واقبلت البشائر ودقّت الطبول ودخل قمر الزمان على الست بدور وفرح ابوها بعافيتها وزواجها وحمد الله الذي رماها في حب شاب مليح من ابناء الملوك فجلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما فى الحسن والجمال والظرف والدلال فنام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ اربه منها وهي بلّت شوقها منه وتمتّعت بحسنه وجماله وتعانقا الى الصباح وفى اليوم الثاني عمل الملك وليمة وجمع فيها جميع اهل الجزائر الجوانيه والبرانية وقدّم لهم الاسمطة والطعام الفاخر وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ان استهدى سرّ قمر الزمان وبلغ اربه ومكث في هذا الحال مع الست بدور مدة تفكر والده الملك شهرمان فرآه فى المنام وهو يقول له يا ولدي اهكذا تفعل معي هذه الفعال وانشده فى النوم هذين البيتين

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُ الدُّجَى بِصُدُودِهِ ... وَوَكَّلَ اَجْفَانِي بِرَعْيِ كَوَاكِبِهْ
فَيَا كَبِدِي مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي ... وَيَا مُهْجَتِي صَبْرًا عَلَى مَاكَوَاكِ بِهِ

ثم ان قمر الزمان لما رأى والده فى المنام و هو يعاتبه اصبح مغموما حزينا فسألته الست بدور فاخبرها بما رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما اخبر الست بدور بما رآه فى النوم دخلت هي واياه على والدها و اعلماه بذلك و استأذناه فى السفر فاذن له بالسفر فقالت له الست بدور يا والدي انا لا اصبر على فراقه فقال لها والدها سافري معه واذن لها بالاقامة معه سنة كاملة و بعدها تأتي لتزور والدها في كل عام مرة فقبّلت يد ابيها وكذلك قمر الزمان ثم شرع الملك الغيور في تجهيز ابنته و زوجها وهيّأ لهما المؤنة و ادوات السفر واخرج لهما الخيول المسوّمة والهجن العشاري واخرج لابنته محفّة وحمل لهما البغال والهجن واستخدم لهما العبيد والرجال واخرج لهما كلما يحتاجان اليه فى السفر وفي يوم المسير ودّع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه عشر خلع سنّية من الذهب مرصّعة بالجواهر و قدّم له عشرة خيول وعشر نياق وخزنة مال واوصاه على بنته الست بدور وخرج معهما الى اقصى الجزائر ثم ودّع قمر الزمان ودخل على ابنته الست بدور وهي في المحفة وضمها وقبلها وصار يبكي و يقول

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلًا ... تُمْتِعَةُ الْعَاشِقِ الْعِنَاقُ
مَهْلًا فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ ... وَآخِرُ الْعِشْرَةِ الْفِرَاقُ

ثم خرج من عند ابنته واتى الى زوجها قمر الزمان فصار يودّعه ويقبّله ثم فارقهما ورجع الى مملكته بعسكره بعد ان امرهما بالرحيل فسار قمر الزمان وزوجته الست بدور ومن معهم من الاتباع اول يوم والثاني والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر كامل فنزلوا في مرج واسع الفلا كثير الكلاء وضربوا خيامهم فيه واكلوا وشربوا واستراحوا ونامت الست بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بدنها قميص مشمشي من الحرير يبين منه كل شيءٍ وفوق رأسها كوفية من الذهب مرصعة بالدر والجواهر وقد رفع الهواء قميصها فطلع فوق سرتها وبانت نهودها وظهر لها بطن ابيض من الثلج وكل عكنة من عكن طياته تَسَعُ اوقية من دهن البان فزاد محبة وهياما وانشد يقول

لَوْ قِيلَ لِي وَزَفِيرُ الحَرِّ يَتَّقِدُ ... وَالنَّارُ فِي القَلْبِ وَالْاَحْشَاءِ تَضْطَرِمُ
اَهُمْ تُرِيدُ وَتَهْوَى اَنْ تُشَاهِدَهُمْ ... اَوْ شَرْبَةً مِنْ زُلَالِ المَاءِ قُلْتُ هُمُ

فحطّ قمر الزمان يده في دكة لباسها فجذبها وحلّها لما اشتهاها خاطره فرأى فيها فصًّا احمر مثل العندم مربوطا على دكتها فحلّه ونظر فيه فرأى عليه اسماء منقوشة سطرين بكتابة لا تقرأ فتعجّب قمر الزمان وقال في نفسه لولا ان هذا الفص امر عظيم عندها ما ربطته هذه الربطة على دكة لباسها وما خبأته في اعز مكان عندها حتى لا تفارقه فيا ترى ماذا تصنع بهذا وما السرّ الذي هو فيه ثم اخذه وخرج من الخيمة ليبصره في النور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اخذ الفص ليبصرة فى النور صار يتأمل فيه وهو في يده واذا بطائر انقض على قمر الزمان وخطف الفص من يده وطاربه وحط به على الارض فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خلف الطائر فصار الطائر يجري على قدر جري قمر الزمان فلم يزل قمر الزمان يتبعه من محل الى محل ومن تل الى تل الى ان دخل الليل واظلم الجو فنام الطائر على شجرة عالية فوقف قمر الزمان تحتها وصار متحيرا وقد ساخت روحه من الجوع والتعب وحسّ انه هالك واراد ان يرجع فما عرف الموضع الذي جاء منه وهجم عليه الظلام فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ثم نام تحت الشجرة التي فوقها الطائر الى الصباح وانتبه قمر الزمان من نومه فرأى الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشى قمر الزمان خلفه وصار ذلك الطائر يطير قليلا بقدر مشي قمر الزمان فتبسم قمر الزمان وقال ياللّه العجب ان هذا الطائر كان بالامس يطير بقدر جريتي وفي هذا اليوم علم اني اصبحت تعبانا لا اقدر اجري فصار يطير على قدر مشيتي والله ان هذا عجيب ولكن لابد ان اتبع هذا الطائر فاما ان يكون هذا الطائر يقودني لحيوتي او لمماتي فانا اتبعه اينما يتوجه لانه على كل حال لايقيم الا فى البلاد العمار ثم ان قمر الزمان جعل يمشي تحت الطائر والطائر يبيت في كل ليلة على شجرة ولم يزل تابعه مدة عشرة ايام وقمر الزمان يتقوّت من نبات الارض ويشرب من انهارها وبعد عشرة ايام اشرف على مدينة عامرة فمرق الطائر مثل لمح البصر ودخل تلك

المدينة وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف خبره ولا يعلم اين ذهب فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله الذي سلمني حتى وصلت الى هذه المدينة ثم جلس على نهر وغسل يديه ورجليه ووجهه و استراح ساعة فتذكر ما كان فيه من الراحة والهنا واجتماع الشمل ونظر الى ما هو فيه من التعب و الهمّ والغربة و الجوع و الفرقة ففاضت دموعه و انشد يقول

أَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْكَ وَقَدْ ظَهَر ... وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَر
نَادَيْتُ لَمَّا أَوْهَنَتْ قَلْبِي الْفِكَر ... يَا دَهْرُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَر
هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَر
لَوْ كَانَ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ مُنْصِفِي ... مَا كَانَ نَوْمِي مِنْ عُيُونِي قَدْ نُفِي
يَا سَادَتِي رِفْقًا لِصَبٍّ مُدْنِفٍ ... وَتَعَطَّفُوا لِعَزِيزِ قَوْمٍ ذَلَّ فِي
شَرْعِ الْهَوَى وَغَنِيِّ قَوْمٍ افْتَقَر
لَجَّ الْعَوَاذِلُ فِيكَ مَا طَاوَعْتُهُمْ ... وَسَدَدْتُ كُلَّ مَسَامِعِي وَصَمَمْتُهُمْ
قَالُوا عَشِقْتَ مُهَفْهَفًا فَأَجَبْتُهُمْ ... اخْتَرْتُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَتَرَكْتُهُمْ
كُفُّوا إِذَا وَقَعَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَر

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح قام يمشي قليلا قليلا حتى دخل المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة وهو لا يعلم اين يتوجّه فشق المدينة من اولها الى آخرها وكان قد دخل من باب البر ولم يزل يمشي

حتى خرج من باب البحر فلم يقابله احد من اهلها وكانت مدينة
على شاطئ البحر ثم انه بعد ان خرج من باب البحر مشى ولم يزل
ماشيا حتى وصل الى بساتين المدينة واشجارها فدخل بين الاشجار
ومشى فاتى الى بستان فوقف على بابه فخرج اليه الخولي فسلّم عليه
فرد عليه السلام فرحّب به الخولي و قال له الحمد لله الذي اتيت
سالما من اهل هذه المدينة فادخُل الى هذا البستان سريعا قبل
ان يراك احد من اهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان الى ذلك
البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولي ما حكاية اهل هذه المدينة
وما خبرهم فقال له اعلم ان اهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله
عليك اخبرني كيف اتيت الى هذا المكان وما سبب مجيئك الى
بلادنا فاخبر قمر الزمان الخولي بجميع ما جرى له من اوله الى آخره
فتعجب الخولي غاية العجب و قال له اعلم يا ولدي ان بلاد الاسلام
بعيدة من هنا وبينها و بيننا اربعة اشهر في البحر و اما في البر
فسنة كاملة وان عندنا مركبا تقلع وتسافر كل سنة ببضائع الى اول
بلاد الاسلام وتسير من هنا الى بحر جزائر الآبنوس ومنها الى
جزائر خالدان التي ملكها الملك شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان
في نفسه ساعة وعلم انه لا اوفق له من قعوده في البستان عند الخولي
ويعمل عنده مرابعا فقال للخولي هل تقبلني عندك لاجل المرابع
في هذا البستان فقال له سمعا وطاعة فعلّمه الخولي تحويل الماء
على بيوت الاشجار فصار قمر الزمان يحوّل الماء ويقطع الحشيش
بالفاس والبسه الخولي بشتا قصيرا ازرق الى ركبتيه وصار عنده
يسقي الاشجار ويبكي بدموع غزار ولا يقر له قرار بالليل ولا بالنهار
من اجل غربته وفي محبوبته ينشد الاشعار فمن جملة ذلك هذه الابيات

لَنَا عِنْدَكُمْ وَعْدٌ فَهَلَّا وَفَيْتُمُ ... وَقُلْتُمْ لَنَا قَوْلًا فَهَلَّا فَعَلْتُمُ
سَهِرْنَا عَلَى حُكْمِ الغَرَامِ وَنِمْتُمُ ... وَلَيْسَ سَوَاءٌ سَاهِرُونَ وَنُوَّمُ
وَكُنَّا عَهِدْنَا أَنَّنَا نَكْتُمُ الهَوَى ... فَأَغْرَاكُمُ الوَاشِي وَقَالَ وَقُلْتُمُ
فَيَا أَيُّهَا الأَحْبَابُ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَى ... عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْتُمُ القَصْدُ أَنْتُمُ
وَلِي عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ قَلْبٌ مُعَذَّبٌ ... فَيَا لَيْتَهُ يَرْثِي لِحَالِي وَيَرْحَمُ
وَمَا كُلُّ عَيْنٍ مِثْلُ عَيْنِي قَرِيحَةٌ ... وَلَا كُلُّ قَلْبٍ مِثْلُ قَلْبِي مُتَيَّمُ
ظَلَمْتُمْ وَقُلْتُمْ إِنَّمَا الحُبُّ ظَالِمٌ ... صَدَقْتُمْ كَذَا كَانَ الحَدِيثُ صَدَقْتُمُ
سَلُوا مُغْرَمًا لَا يَنْقُضُ الدَّهْرَ عَهْدَهُ ... وَلَوْ كَانَ فِي أَحْشَائِهِ النَّارُ تَضْرَمُ
إِذَا كَانَ خَصْمِي فِي الصَّبَابَةِ حَاكِمِي ... لِمَنْ أَشْتَكِي حَالِي لِمَنْ أَتَظَلَّمُ
وَلَوْلَا افْتِقَارِي فِي الهَوَى وَصَبَابَتِي ... لَمَا كَانَ لِي فِي العِشْقِ قَلْبٌ مُتَيَّمُ

هذا ما كان وما جرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان واما ما كان من امر زوجته الست بدور بنت الملك الغيور فانها لما انتبهت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولا فانتقدت العقدة التي عليها الفص فوجدتها محلولة والفص معدوما فقالت في نفسها يا لله العجب اين زوجي كأنه اخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذي هو فيه فيا ترى اين ذهب ولكن لابد له من امر عجيب اقتضى رواحه والا ما كان يقدر ان يفارقني ساعة فلعن الله الفص ولعن ساعته ثم ان الست بدور تفكرت وقالت في نفسها ان خرجت الى الحاشية واعلمتهم بفقد زوجي يطمعوا فيّ ولكن لابدّ من الحيلة فقامت ولبست ثيابا من ثياب زوجها قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته ولبست الخف وضربت لها لثاما وحطت في محفتها جارية وخرجت من خيمتها ونادت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وامرت

بشدّ الاحمال فشدّت وامرت بالرحيل فسافروا واخفت امرها فلم يشك احد انها قمر الزمان لانها كانت تشبهه في قوامه ووجهه ومازالت مسافرة هي واتباعها اياما وليالي حتى اشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لاجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها هذه مدينة الآبنوس وملكها الملك ارمانوس وله بنت اسمها حيوة النفوس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الست بدور لما نزلت على ظاهر مدينة الآنبوس لاجل الاستراحة ارسل الملك ارمانوس رسولا من عنده يكشف له خبر هذا الملك النازل على ظاهر مدينته فلما وصل اليهم الرسول سألهم فاخبروه انه ابن ملك تايه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالدان للملك شهرمان فعاد الرسول الى الملك ارمانوس واخبره بالخبر فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام نزل في خواص دولته الى مقابلته فلما قدم على الخيّام ترجلت الست بدور وترجّل الملك ارمانوس وسلما على بعضهما واخذها ودخل بها الى مدينته وطلع بها الى قصره وامر بمد السماطات وموائد الاطعمة والمآكل وامر بنقل جيش الست بدور الى دار الضيافة فمكثوا هناك ثلثة ايام وبعد ذلك اقبل الملك على الست بدور وكانت دخلت في ذلك اليوم الحمام واسفرت عن وجه كانه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الناس عند رؤيتها فعند ذلك اقبل الملك ارمانوس عليها وهي لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها

يا ولدي اعلم اني صرت شيخا كبيرا هرما وعمري مارزقت ولدا غير
بنت وهي تشبهك في الحسن والجمال وانا الآن عجزت عن تدبير
المملكة فهي لك يا ولدي فان كانت ارضي هذه تعجبك وتقيم بها
وتسكن بلادي فانا ازوّجك بها واعطيك مملكتي واستريح انا فاطرقت
الست بدور برأسها وعرق جبينها من الحياء وقالت في نفسها كيف
يكون العمل وانا امرأة وان لم ارض وسرت من عنده لم آمن
فربما يرسل خلفي جيشا يقتلني وان اطعته ربما افتضح وايضا
فقدت محبوبي قمر الزمان ولم اعرف له خبرا ومالي خلاص الآن
اسكت وارضى واقيم عنده حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ثم ان
الست بدور رفعت رأسها واذعنت للملك ارمانوس بالسمع والطاعة
ففرح الملك بذلك وامر المنادي ان ينادي في جزائر الآبنوس
بالفرح والزينة وجمع الحجّاب والنوّاب والامراء والوزراء
وارباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وسلطن
الست بدور والبسها بدلة الملك ودخلت الامراء جميعا
على الست بدور وهم لا يشكّون في انها شاب ذكر وصار كل من نظر
اليها منهم جميعا يبلّ سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت
الملك بدور ودقت لها البشائر بالسّرور وجلست على كرسيها شرع
الملك ارمانوس في تجهيز ابنته حيوة النفوس وبعد ايام قلائل
ادخلوا الست بدور على حيوة النفوس فكانتا كانهما قمران في وقت
طلعا او شمسان قد اجتمعا فردّوا عليهما الابواب وارخوا الستائر
بعد ان اوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست
السيدة بدور مع السيدة حيوة النفوس فتذكرت محبوبها قمر الزمان
واشتدت بها الاحزان فبكت على فراقه وغيابه وانشدت تقول

يا غائبين وقلبي زائد القلق　　لم يبق من بينكم في الجسم من رمق
وكان لي مقلة تشكو السهاد وقد　　اذابها الدمع ياليت السهاد بقي
لما رحلتم اقام الصب بعدكم　　لكن سلوا عنه ماذا في البعاد لقي
لولا جفوني وقد فاضت مدامعها　　توقدت عرصات الارض من حرقي
اشكو الى الله احبابا عدمتهم　　لم يرحموا صبوتي فيهم ولا قلقي
لا ذنب لي عندهم الا الغرام بهم　　والناس بين سعيد في الهوى وشقي

ثم ان الست بدور لما فرغت من انشادها جلست الى جانب السيدة حياة النفوس وقبّلتها في فمها ونهضت من وقتها وساعتها توضّأت ولم تزل تصلّي حتى نامت الست حياة النفوس فدخلت الست بدور معها في الفراش وادارت ظهرها لها الى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك وزوجته الى ابنتهما وسألاها عن حالها فاخبرتهما بما رأت وما سمعته من الشعر هذا ما كان من امر حياة النفوس وابويها واما ما كان من امر الملكة بدور فانها خرجت وجلست على كرسي المملكة وطلعت اليها الامراء وجميع الرؤساء وارباب الدولة وهنّوها بالملك وقبّلوا الارض بين يديها ودعوا لها فتبسمت واقبلت عليهم وخلعت عليهم وزادت في اكرام الامراء وارباب الدولة واقطاعهم والجيوش فاحبّوها ودعوا لها جميع الخلق بدوام الملك وهم يعتقدون انها ذكر فامرت ونهت وحكمت واطلقت من في الحبوس وابطلت المكوس ولم تزل قاعدة في مجلس الحكومة الى ان دخل الليل فدخلت الى المكان الذي اعدّ لها فوجدت الست حياة النفوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولاطفتها وقبّلتها بين عينيها وانشدت تقول هذه الابيات شعر

قَدْ صَارَ سِرِّي بِالدُّمُوعِ عَلَانِيَهْ وَنُحُولُ جِسْمِي فِي الْغَرَامِ عَلَانِيَهْ
أُخْفِي الْهَوَى وَيُذِيعُهُ يَوْمَ النَّوَى حَالِي عَلَى الْوَاشِينَ لَيْسَتْ خَافِيَهْ
يَا رَاحِلِينَ عَنِ الْحِمَى خَلَّفْتُمُ جِسْمِي بِكُمْ مُضْنًى وَنَفْسِي بَالِيَهْ
وَسَكَنْتُمُ غَوْرَ الْحَشَى فَنَوَاظِرِي تَجْرِي مَدًى مَدْمَعُهَا وَعَيْنِي دَامِيَهْ
وَأَنَا فِدَاءُ الْغَائِبِينَ بِمُهْجَتِي أَبَدًا وَأَشْوَاقِي إِلَيْهِمْ بَادِيَهْ
لِي مُقْلَةٌ إِنْسَانُهَا فِي حُبِّهِمْ رَفَضَ الْكَرَى وَدُمُوعُهَا مُتَوَالِيَهْ
ظَنَّ الْعِدَى مِنِّي عَلَيْهِ تَجَلُّدًا هَيْهَاتَ مَا أُذْنِي إِلَيْهِمْ وَاعِيَهْ
خَابَتْ ظُنُونُهُمُ عَلَيَّ وَإِنَّمَا قَمَرُ الزَّمَانِ بِهِ أَنَالُ أَمَانِيَهْ
جَمَعَ الْقَضَا كُلَّ مَا حَوَاهَا قَبْلَهُ أَحَدٌ سِوَاهُ مِنَ الْمُلُوكِ الْخَالِيَهْ
أَنْسَى الْأَنَامَ بِجُودِهِ وَبِعَفْوِهِ كَرَمَ ابْنِ زَائِدَةٍ وَحِلْمَ مُعَاوِيَهْ
لَوْلَا الْإِطَالَةُ وَالْقَرِيضُ مُقَصِّرٌ عَنْ وَصْفِ حُسْنِكَ لَمْ أَدَعْ مِنْ قَافِيَهْ

ثم ان الملكة بدور نهضت قائمة على اقدامها ومسحت دموعها و توضأت وصلت ولم تزل تصلّي الى ان غلب النوم على الست حياة النفوس فنامت فجاءت الست بدور ورقدت بجانبها الى الصباح ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسي المملكة وامرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر الملك ارمانوس فانه دخل على ابنته وسألها عن حالها فاخبرته بجميع ماجرى لها وانشدت له الشعر الذى قالته الملكة بدور ثم قالت يا ابي مارأيت احدًا اكثر عقلا وحياء من زوجي غير انه يبكي ويتنهّد فقال لها ابوها يا بنتي اصبري عليه فمابقي غير هذه الليلة الثالثة فان لم يدخل بك ويزيل بكارتك يكن لنا معه رأي وتدبير واخلعه من الملك وانفيه عن بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا

الرأي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ارمانوس لما اتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا الرأي واقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة الى القصر ودخلت المكان الذي هو معدّ لها فرأت الشمع موقودا و السيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى لهما من الفرقة بينهما في تلك المدة اليسيرة فبكت وتنهّدت ووالت الزفرات و انشدت تقول هذه الا بيـــات

قَسَمًا لَقَدْ مَلَأَتْ أَحَادِيثِي الْفَضَا ... كَالشَّمْسِ مُشْرِقَةً عَلَى ذَاتِ الْغَضَا

نَطَقَتْ إِشَارَتُهُ فَأَشْكَلَ فَهْمُهَا ... فَلِذَاكَ شَوْقِي فِي الْمَزِيدِ وَمَا انْقَضَى

أَبْغَضْتُ حُسْنَ الصَّبْرِ مُذْ أَحْبَبْتُهُ ... أَرَأَيْتَ صَبًّا فِي الصَّبَابَةِ مُبْغِضَا

وَمُمَرِّضِ اللَّحَظَاتِ صَالَ بِفَتْكِهَا ... وَاللَّحْظُ أَقْتَلُ مَا يَكُونُ مُمَرِّضَا

أَلْقَى ذَوَائِبَهُ وَحَطَّ لِثَامَهُ ... فَرَأَيْتُ مِنْهُ الْحُسْنَ أَسْوَدَ أَبْيَضَا

سُقْمِي وَبُرْئِي فِي يَدَيْهِ وَإِنَّمَا ... يَشْفِي سَقَامَ الْحُبِّ مَنْ قَدْ أَمْرَضَا

هَامَ الْوُشَاحُ بِرِقَّةٍ فِي خَصْرِهِ ... وَالرِّدْفُ مِنْ حَسَدٍ أَبَى أَنْ يَنْهَضَا

وَكَأَنَّ طُرَّتَهُ وَضَوْءَ جَبِينِهِ ... لَيْلُ دُجًى فَاعْتَاقَهُ صُبْحٌ أَضَا

فلما فرغت من انشادها ارادت ان تقوم الى الصلوة و اذا بحياة النفوس مسكتها من ذيلها وتعلقت و قالت لها ياسيدي اما تستحي من والدي و ما فعل معك من الجميل و انت تتركني الى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست على حيلها في مكانها وقالت ياحبيبتي ما الذي تقولينه قالت الذي اقوله اني ما رأيت احدا معجبـا بنفسه

مثلك فهل كل من كان مليحا يعجب بنفسه هكذا ولكن انا ما قلت هذا
الكلام لاجل ان ترغب فيّ وانما قلته خيفة عليك من الملك ارمانوس فانه
اضمر ان لم تدخل عليّ في هذه الليلة وتزيل بكارتي فانه يصبح
ينزعك من المملكة و يسفرك من بلاده و ربما يزداد به الغيظ
فيقتلك و انا يا سيدي رحمتك ونصحتك و الرأي رأيك فلما سمعت
الملكة بدور منها ذلك الكلام اطرقت براسها الى الارض و حارت في
امرها ثم قالت في نفسها ان خالفته هلكت وان اطعته افتضحت ولكن
انا في هذه الساعة ملكة على جزائر الآبنوس كلها وهي تحت حكمي وما
اجتمع انا وقمر الزمان الا في هذا الموضع لانه ليس له طريق
الى بلاده الامن جزائر الآبنوس و اني حرت في امري وفوضت
امري الى الله فهو نعم المدبّر وما انا ذكر حتى اقوم افتح هذه البنت
البكر ثم ان الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتي ان تركك
و امتناعي عنك كله بالرغم عني وحكت لها على ما جرى لها من
الابتداء الى الانتهاء و ارت لها نفسها وقالت لها سألتك بالله الّا ما سترت
عليّ و اخفيت امري حتى يجمعني الله بمحبوبي قمر الزمان و بعد
ذلك يكون ما يكون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما اعلمت
حياة النفوس بقصتها و امرتها بالكتمان فسمعت حياة النفوس كلامها
و تعجبت من قصتها غاية العجب و رقت لها ودعت لها بجمع شملها
على محبوبها قمر الزمان وقالت لها يا اختي لا تخافي ولا تفزعي واصبري الى
ان يقضي الله امرا كان مفعولا ثم ان حياة النفوس انشدت تقول

اَلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالْبَيْتُ مَخْتُومُ
مَا يَكْتُمُ السِّرَّ اِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ

فلما فرغت من شعرها قالت لها يا اختي ان صدور الاحرار قبور الاسرار وانا لا افشي لك سرا ثم لعبتا وتعانقتا وتباوستا ونامتا الي قريب الاذان ثم قامت حياة النفوس واخذت فرخ حمام وذبحته على قميصها و تلطّخت بدمه وقلعت سروالها و صرخت فدخل لها اهلها و زغرتت الجواري و دخلت عليها امها و سألتها عن حالها ودارت حواليها و اقامت عندها الى المساء و اما الملكة بدور فانها لما اصبحت قامت وذهبت الي الحمام واغتسلت و صلت الصبح ثم توجهت الى دار الحكومة وجلست على كرسي المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك ارمانوس الزغاريت سأل عن الخبر فاخبروه بافتضاض بنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح واولم وليمة عظيمة ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ماكان من امرهما واما ماكان من امر الملك شهرمان فانه بعد خروج ولده للصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى اقبل الليل عليه بعد خروجهما فلم يجئ ولده فلم ينم تلك الليلة وطال عليه الليل وقلق غاية القلق و زاد وجده و ماصدق ان الفجر يطلع فلما اصبح انتظر ولده الى نصف النهار فلم يجئ فحسّ قلبه بالفراق والتهب على ولده بالاشفاق وقال واولداه ثم بكى حتى بلّ ثيابه بالدموع وانشد من قلب مصدوع

مَازِلْتُ مُعْتَرِضًا عَلَى اَهْلِ الْهَوَى حَتَّى بُلِيتُ بِحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ
وَشَرِبْتُ كَاسَ صُدُودِهِ مُتَجَرِّعًا وَذَلَلْتُ فِيهِ لِعَبْدِهِ وَلِحُرِّهِ
نَذَرَ الزَّمَانُ بِاَنْ يُفَرِّقَ شَمْلَنَا وَالْآنَ قَدْ اَوْفَى الزَّمَانُ بِنَذْرِهِ

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى في عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن وجدّوا في سيرهم وفرّق الملك جيشه يمينا وشمالا واماماً وخلفاً ست فرق وقال لهم الاجتماع غدا عند مفرق الطريق فعند ذلك تفرقت الجيوش والعساكر وسافروا ولم يزالو مسافرين بقية النهار الى ان جن الليل فساروا جميع الليل الى نصف النهار حتى وصلوا الى مفرق اربع طرق فلم يعرفوا اي طريق سلكها ثم رأوا اثر اقمشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعا ونظروا اثر الدم باقيا وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم في ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم قلبه وقال واولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزّق اثوابه وايقن بموت ولده وزاد في البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم ايقنوا بهلاك قمر الزمان وحثّوا على رؤسهم التراب ودخل عليهم الليل وهم في بكاء ونحيب حتى اشرفوا على الهلاك واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات وانشد هذه الابيات

لَاتَعْذُلُوا الْمَحْزُونَ فِي اَحْزَانِهِ فَلَقَدْ كَفَاهُ الْوَجْدُ مِنْ اَشْجَانِهِ
يَبْكِي لِفَرْطِ تَاَسُّفٍ وَتَوَجُّعٍ وَغَرَامُهُ يُنْبِيكَ عَنْ نِيرَانِهِ
يَا سَعْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ حِلْفِ الضَّنَى اَنْ لَايُزِيلَ الدَّمْعَ مِنْ اَجْفَانِهِ
يُبْدِى الْغَرَامَ لِفَقْدِ بَدْرٍ زَاهِرٍ بِضِيَائِهِ يَزْهُو عَلَى اَقْرَانِهِ
وَلَقَدْ سَقَاهُ الْمَوْتُ كَاسًا مُتْرَعًا يَوْمَ الرَّحِيلِ فَشَطَّ عَنْ اَوْطَانِهِ
تَرَكَ الدِّيَارَ وَسَارَعَنَّا لِلْبَلَا لَمْ يَحْظَ بِالتَّوْدِيعِ مِنْ اِخْوَانِهِ
وَلَقَدْ رَمَانِي بِالْبِعَادِ وَبِالْجَفَا وَالصَّدِّ وَالتَّبْرِيحِ مِنْ هِجْرَانِهِ

وَلَقَدْ مَضَى عنّا وَسَارَ مُودِّعاً لَمَّا حَبَاهُ رَبُّهُ بِجِنَانِهِ

فلما فرغ الملك شهرمان من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهزمان لما فرغ من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وايقن بهلاك ولده وعلم انه على عليه و افترسه اما وحش واما قاطع طريق ثم نادى في جزائر خالدان ان يلبسوا السواد من الاحزان على ولده قمرالزمان وعمل له بيتا وسماه بيت الاحزان و صاركل يوم خميس و اثنين يحكم في مملكته بين عسكره ورعيته و بقية الجمعة يدخل الى بيت الحزن وينعى على ولده و يرثيه بالاشعار فمن ذلك قوله

فَيَوْمُ الْاَمَانِي يَوْمَ قُرْبِكُمْ مِنِّي وَيَوْمُ الْمَنَايَا يَوْمَ اِعْرَاضِكُمْ عَنِّي
اِذَا بِتُّ مَرْعُوبًا اُهَدَّدُ بِالرَّدَى فَوَصْلُكُمْ عِنْدِي اَلَذُّ مِنَ الْاَمْنِ

ومن ذلك قوله

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِظَاعِنِينَ رَحِيلُهُمْ اَنْكَى وَاَفْسَدَ فِي الْقُلُوبِ وَعَاثَا
فَلْيَقْضِ عِدَّتَهُ السُّرُورُ فَاِنَّنِي طَلَّقْتُ بَعْدَهُمُ النَّعِيمَ ثَلَاثَا

هذا ماكان من امر الملك شهرمان واما ماكان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور فانها صارت ملكة في بلاد الآبنوس و صار الناس يشيرون اليها بالبنان و يقولون هذا صهر الملك ارمانوس وكل ليلة تنام مع الست حيوة النفوس وتشتكي وحشة زوجها قمرالزمان وهي تبكي و تصف لحيوة النفوس حسنه وجماله وتتمنى ولو في

المنام و صاله و تنشد و تقول

أَللّهُ أعلمُ إنّي بعدَ فُرقتِكُم   بَكَيتُ حتّى اِستَلَفتُ الدَّمعَ بِالدَّينِ
وَقالَ لِي عاذِلِي اِصبِرْ تَنالُهُمُ   فَقُلتُ يا عاذِلِي الصَّبرُ مِنْ أينِ

هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر قمر الزمان فانه اقام عند الخولي فى البستان مدة من الزمان وهو يبكي بالليل والنهار و ينشد الاشعار و يتحسّر على اوقات الهنا و ليالي المنا والخولي يقول له في آخر السنة تسير المركب الى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة الى ان رآى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولي وقال له يا ولدي بطِّل الشغل في هذا اليوم ولا تحوّل الماء الى الاشجار لان هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضا فاسترح واجعل بالك الى الغيط فاني اريد ان ابصر لك مركبا فما بقي الا القليل وارسلك الى بلاد المسلمين ثم ان الخولي خرج من البستان وبقي قمر الزمان وحده وتفكر في حاله فانكسر خاطره وجرت دموعه ثم ان قمر الزمان بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فلما افاق قام يتمشى فى البستان وهو متفكّر فيما فعل فيه الزمان وطول البعد والهجران غائب العقل ولهان نعثر فوقع على وجهه فجاءت جبهته على جذر شجرة فبطحته وجرى منه الدم واختلط بدموعه فمسح دمه ونشف دموعه وشدّ جبهته بخرقة وقام يتمشى في ذلك البستان وهو في فكره ذاهل العقل فنظر بعينه الى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فقام احدهما الى الآخر ونقره في رقبته فخلصها من جثته واخذ رأسه وطار به ووقع المقتول فى الارض قدام قمر الزمان

فبينمــا هو كذلك و اذا بطائرين كبيرين قد انقضّا عليه ووقف
احدهما عند رأسه و الآخر عند ذنبه وارخيا اجنحتهما و منا قيرهما
عليه ومدّا اعناقهما اليه وبكيا فبكى قمرالزمان على فراق زوجته
وتذكّر والده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما وادرك شهر
زاد الصباح فسكتت عن الكلام المــــــــبــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمرالزمان بكى على فراق زوجته
ووالده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما ثم ان قمرالزمان
نظر الى الطائرين فرآهما قد حفرا حفرة و دفنا الطائر المقتول فيهـا
وطارا الى الجوّ وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلابه على
قبر المقتول وبركا على القاتل حتى قتلاه و شقّاجوفه و اخرجا امعاءه
واراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نثرا لحمه و مزّقا جلده و اخرجا ما
في جوفه وفرقاه الى اماكن متفرّقة هذا كلـــه جرى وقمر الزمان
ينظر و يتعجّب فلاحت منه التفاتة الى الموضع الذي قتلا فيه الطائر
فوجد شيأ يلمع فدنى منه فوجده حوصلة الطائر فاخذها و فتحها
فوجد فيها الفص الذي كان سبب فراقه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع
علي الارض مغشيا عليه من فرحته فلما افاق قال الحمد للـــه هذه
علامة الخير و بشارة الاجتماع بمحبوبتي ثم تأمّله ومرّبه على عينه
و ربطه على ذراعـــه و استبشر بالخير و قام يتمشّى ينتظر الخولي الى
الليل فلم يأت فبات قمرالزمان في موضعه الى الصباح ثم قام الى شغله
و شدّ وسطه بحبل من الليف واخذ الفاس والقفّة وشقّ فى البستان
فاتى الى شجرة خروب وضرب الفاس في جذرها فطنّت الضربة فكشف

التراب عن موضعها فوجد طابقا ففتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق
وجد بابا وسُلّما فنزل فيه فوجد قاعة قديمة من عهد عاد وثمود
وهذه القاعة منقورة من الحجر ولها دوائر سما ويات ووجدها
مملوءة من الذهب الاحمر الوهاج فقال في نفسه لقد ذهب التعب
وجاء الفرج والسرور ثم ان قمر الزمان طلع من المكان الى ظاهر البستان
وردّ الطابق كما كان ورجع الى البستان وحوّل الماء على الاشجار
الى آخر النهار فجاء الخولي وقال له يا ولدي ابشر برجوعك الى
الاوطان فان التجار تجهّزوا للسفر والمركب بعد ثلثة ايام مسافرة
الى مدينة الابنوس وهي اول مدينة من مدائن المسلمين فاذا
وصلت اليها تسافر في البرّ ستة اشهر حتى تصل الى جزائر خالدان
التي فيها الملك شهرمان ففرح بذلك وانشد يقول

لَاتَهْجُرُوا مَنْ لَا تَعَوَّدَ هَجْرَكُمْ وَتُعَلِّبوا بِصُدُودِكُمْ مَنْ لَاجَنَا
غَيْرِي إِذَا طَالَ الْبِعَادُ سَلَاكُمُ وَتَغَيَّرَتْ اَحْوَالُهُ اِلَّا اَنَا

ثم ان قمر الزمان قبّل يد الخولي وقال له يا والدي كما انك بشّرتني
فانا الآخر ابشّرك بشارة عظيمة ثم انه اخبره بخبر القاعة التي رآها
ففرح الخولي وقال له يا ولدي اني في هذا البستان من ثمانين عاما
ما وقفت على شيء وانت لك عندي دون السنة وقد رأيت هذا الامر
فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك الى اهلك

وجمع شملك بمن تحب فقال قمر الزمان لا بد من القسمة بيني وبينك ثم اخذ الخولي ودخل به الى ذلك المكان واراه الذهب وكان في عشرين خابية فاخذ عشرة والخولي عشرة فقال له الخولي يا ولدي عبّ لك امطارا من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فانه معدوم في غير بلادنا وتجلبه التجار الى جميع البلدان واخلطه مع الذهب ولبّسهم واجعل الذهب في الامطار والزيت فوق الذهب ثم سدّها وخذها معك في المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبّى خمسين مطرا ووضع الذهب فيها وسدّ عليه ولبّس عليهم بعد ان جعل الزيتون فوق الذهب وحطّ الفص معه في مطر وجلس هو والخولي يتحدّثان وايقن بجمع شمله وقربه من اهله وقال في نفسه اذا وصلت الى جزيرة الآبنوس اسافر منها الى بلاد ابي واسأل عن محبوبتي بدور فيا ترى هل رجعت الى بلادها اوسافرت الى بلاد ابي اوحدث لها حادث في الطريق ثم انشد يقول

اَقَامُوا الوَجْدَ فِي قَلْبِي وَسَارُوا	وَقَدْ شَطَّتْ بِمَنْ اَهْوَى الدِّيَارُ
نَأَتْ عَنِّي الرُّبُوعُ وَسَاكِنِيهَا	وَقَدْ بَعُدَ الْمَزَارُ فَلَا مَزَارُ
وَبَانَ تَجَلُّدِي مِنْ حَيْثُ بَانُوا	وَفَارَقَنِي هُجُوعٌ وَاصْطِبَارُ
وَمُذْ سَارُوا سَرَى عَنِّي سُرُورِي	وَقَدْ عُدِمَ الْقَرَارُ فَلَا قَرَارُ
وَاَجْرَوْا بِالْفِرَاقِ دُمُوعَ عَيْنِي	فَادْ مَعُهَا بِبَيْنِهِمُ غِزَارُ
إِذَا مَا اشْتَقْتُ يَوْمًا اَنْ اَرَاهُمْ	وَزَادَ بِهِمْ حَنِينِي وَانْتِظَارُ
اُمَثِّلُ شَخْصَهُمْ فِي وَسْطِ قَلْبِي	غَرَامٌ وَاشْتِيَاقٌ وَادِّكَارُ

ثم جلس قمرالزمان ينتظر انقضاء الايام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجّب الخولي من ذلك ثم ناما الى الصباح فاصبح الخولي

ضعيفا واستمرّ على ضعفه يومين وفي ثالث يوم اشتدّ به الضعف حتى يئسوا
من حيوته فحزن عليه قمر الزمان حزنا كثيرا فبينما هو كذلك واذا
بالرئيس والبحرية معه قد اقبلوا وسألوا عن الخولي فاخبرهم انه
ضعيف فقالوا اين الشاب الذي يريد السفر معنا الى جزيرة الآبنوس
فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذي بين ايديكم ثم امرهم بتحويل
الامطار الى المركب فنقلوها الى المركب وقالوا لقمر الزمان اسرع
فان الريح قد طاب فقال لهم سمعا وطاعة ثم نقل زوادته الى المركب
ورجع الى الخولي يودّعه فوجده في النزع فجلس عند رأسه
وغمّضه ففارقت روحه جسده فجهّزه وواراه في التراب الى رحمة
الله تعالى ثم توجّه وجاء الى المركب فوجدها ارخت القلوع وسارت
ولم تزل تشقّ البحر حتى غابت عن عينه فصار قمر الزمان مدهوشا
حيرانا لايردّ جوابا ولا يبدي خطابا ثم رجع الى البستان فجلس
مهموما مغموما يحثو التراب على رأسه ويلطم على وجهه وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سافرت المركب
رجع الى ذلك البستان وجلس مهموما مغموما واستاجره من
صاحبه واقام تحت يده رجلا يعاونه على سقي الشجر وتوجه
الى الطابق ونزل الى القاعة وعبى الذهب الباقي في خمسين مطرا
ورمى فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا له انها لا تسافر الا
في كل سنة مرة واحدة فزاد به الوسواس وتحسّر على ما جرى له
لاسيما فقد الفص الذي هو للست بدور فصار يبكي بالليل والنهار

وينشد الاشعار هذا ما كان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر
المركب فانّها طاب لهـا الريح ووصلت الى جزيرة الآبنوس وكان
بالامر المقدّر ان الملكة بدور كانت جالسة فى الشبـاك المطلّ
على البحر فنظرت الى المركب وقد ارست فى الساحل فخفق فؤادها
وركبت هي والامراء والحجّاب والنّواب وجاءت الى السـاحل
ووقفت على المركب وقد دار الشيل والنقل في البضائع الى المخازن
فاحضرت الرئيس وسألته عما معه فقال ايهـا الملك معي في هذه
المركب من العقاقير والاكحال والسفوفات والادهان والمراهم والاموال
والبضائع النفيسة والاقمشة الفاخرة والانطاع اليمانية ما يعجز عن حمله
الجمال والبغال ومن اصناف العطر والبهار ومن العود القاقلي والتمر
الهندي والزيتون العصافيري ما يندر وجوده في هذه البلاد فلمـا
سمعت الملكة بدور بذكر الزيتون العصافيرى اشتهى قلبهـا ذلك
وقالت لصاحب المركب كم معك من الزيتون قال معي خمسون
مطرا ملآنة ولكن صاحبها ما حضر معنا والملك يأخذ ما اشتهـاه
منهـا فقالت اطلعوها فى البرّ لانظر اليهـا فصاح الرئيس على البحرية
فطلعوا بالخمسين مطرا ففتحت واحدا ونظرت الزيتون وقالت انا
آخذ هذه الخمسين مطرا واعطيكم حقها مهما كان فقال الرئيس هذا
ماله في بـلاد ناقيمة والذي عبّاها تأخّر عنا وهو رجل فقير فقالت
وما مقدار ثمنها هنـا فقال الف درهم قالت انا آخذها بالف درهم
وامرت بنقلهـا الى القصر فلما جاء الليل امرت باحضار مطر واحد
فكشفته وما فى البيت غيرها وحياة النفوس ثم حطّت بين يديهـا
طبقا وقلبت المطر فيه فنزل فى الطبق كوم ذهب احمر فقالت للسيدة
حياة النفوس ما هذا الّا ذهبـا ثم انها احضرت الجميع واختبرتهـا

فوجدتهـــا كلها ذهبا والزيتون كله لم يملأ مطرا واحدا ونفّشت في الذهب فوجدت الفصّ فيه فاخذته وتأملته واذا هو الفصّ الذي كان مربوطا على دكة لباسها واخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحت من فرحتها وخرّت مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصبــاح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت الفصّ صاحت من فرحتها وخرّت مغشيا عليها فلما افاقت قالت في نفسها ان هذا الفصّ كان سبب فراقي من محبوبي قمر الزمان ولكن هذا بشير الخير ثم اعلمت الست حيوة النفوس بان وجوده بشارة الاجتماع فلما اصبح الصباح جلست على كرسي المملكة واحضرت رئيس المركب فلما حضر قبّل الارض بين يديها فقالت اين تركت صاحب هذا الزيتون قال ياملك الزمان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان فقالت له ان لم تأت به فــلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضــرر ثم امرت بالختم على مخازن التجّار وقالت لهم ان صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وان لم تاتوا به لاقتلنّكم جميعا وانهب تجارتكم فاقبلوا على الرئيس ووعدوه باجرة مركبه ويرجع ثاني مرة وقالوا له خلّصنا من هذا الظالم الغاشم فنزل الرئيس في المركب وحلّ قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع الى البستان وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبتـــه وجلس يبكي على ماجرى له وافتكر محبوبته وانشد يقــــــــــــــــــــــــــول

وَلَيْــلٍ كَوَاكِبُــهُ لَا تَسِيْــر وَلَاهُوَ مِمَّــنْ يُطِيقُ بَــرَاحَا

كَيَوْمِ القِيمَـــةِ فِي طُــوْلِهِ عَلَى مَنْ يُرَاقِبُ فِيهِ الصَّبَاحَا

ثم انّ الرئيس دقّ الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج اليه فحمله البحرية ونزلوا به الى المركب وحلّوا القلوع وساروا ولم يزالوا سافرين ايا ما وليالي وقمر الزمان لايعلم ما سبب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له انت غريم الملك صاحب جزائر الآبنوس صهر الملك ارمانوس وقد سرقت ماله يا منحوس فقال والله عمري ما دخلت هذه البلاد ولا اعرفها فساروا به حتى اشرفوا على جزائر الآبنوس وطلعوا به على الست بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمّام وافرجت عن التجّار وخلعت على الرئيس خلعة تساوي عشرة آلاف دينار ودخلت تلك الليلة فى القصر واعلمت حيوة النفوس بذلك وقالت لها اكتمي الخبر حتى ابلغ مرادي واعمل عملا يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين امرت ان يدخلوا بقمر الزمان الحمّام فدخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمر الزمان من الحمام صاركانه غصن بان اوكوكب يخجل بطلعته القمران وردّت روحه اليه ثم توجه اليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتمّ مرادها وانعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال واعطته خزانة مال ولم تزل ترقّي قمر الزمان من درجة الى درجة حتى جعلته خازندار وسلّمت اليه الاموال واقبلت عليه وقرّبته منها واعلمت الامراء بمنزلتـه فاحبّوه جميــعهم وصارت الملــكة بدوركل يوم تزيد له فى المرتبات وقمر الزمان لا يعرف ماسبب تعظيمها له ومن كثرة الاموال صاريهب ويتكرّم ويخدم الملك ارمانوس حتى احبّه وكذلك احبّته الامراء والخواص والعوام وصاروا يحلفـون بحيوته كل ذلك

قمر الزمان يتعجّب من تعظيم الملـكة بدور له و يقول في نفسه والله ان هذه المحبة لا بدّ لها من سبب وربمـا يكون هذا الملك انما يكرمني هذا الاكرام الزائد لاجل غرض فاسد فلا بد ان استأذنه و اسافر من بلاده ثم انه توجّه الى الملكة بدور وقال لها ايها الملك انك اكرمتني اكراما زائدا ومن تمام الاكرام ان تأذن لي في السفر وتأخذ منّي جميع ما انعمت به عليّ فتبسمت الملكة بدور وقالت له ما حملك على طلب الاسفار واقتحام الاخطار وانت في غاية الاكرام وتزايد الانعام فقال لها قمر الزمان ايهـا الملك ان هذا الاكرام اذا لم يكن له سبب فانـه من اعجب العجب خصـوصا وقد اوليتني من المراتب ما حقّه ان يكون للاختيار مع انني من الاطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك اني احبّك لفرط جمـالك الفائق وبديع حسنك الرائق وان مكّنتني مما اريده منك ازدك اكراما و عطاء وانعاما واجعلك وزيرا على صغر سنّك كما جعلني الناس سلطانا عليهم وانا في هذا السنّ ولا عجب اليوم في رآسة الاطفال ولله در من قـــــــــال

كَأَنَّ زَمَانَنَـــا مِنْ قَوْمِ لُوطٍ لَهُ شَغَفٌ بِتَقْـدِيمِ الصِّغَــارِ

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل واحمرّت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لي بهذا الاكرام المؤدّي الى ارتكاب الحرام بل اعيش فقيرا من المال غنيّا بالمروة والكمال فقالت له الملـكة بدور انا لا اغترّ بورعك الناشي عن التيه والدلال ولله در من قال

ذَاكَرْتُهُ عَهْدَ الْوِصَالِ فَقَالَ لِي كَمْ ذَا تُطِيلُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُؤْلِمِ
فَأَرَيْتُهُ الدِّينَــارَ انْشَدَ قَائِلًا اَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَضَــاءِ الْمُبْرَمِ

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال ايها الملك انه لا عادة لي بهذه الفعال ولا طاقة لي على حمل هذه الاثقال التي يعجز عن حملها اكبر منّي فكيف بي على صغر سنّي فلما سمعت كلامه الملكة بدور تبسّمت وقالت ان هذا لشيء عجاب كيف يظهر الخطأ من خلال الصواب اذا كنت صغيرا فكيف تخشى من الحرام وارتكاب الآثام وانت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة في ذنب الصغير ولا تعنيف فقد الزمت نفسك الحجة بالجدال وحقّت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعا ولا نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا فانا احق منك بخشية الوقوع فى الضلال وقد اجاد من قال

أَيْرِي كَبِيرٌ وَالصَّغِيرُ يَقُولُ لِي ... اِطْعَنْ بِهِ الْاَحْشَا وَكُنْ صِنْدِيدًا
فَاَجَبْتُهُ ذَا لَا يَجُوزُ فَقَالَ لِي ... عِنْدِي يَجُوزُ فَنِكْتُهُ تَقْلِيدًا

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدّل الضياء في وجهه بالظلام وقال ايها الملك انه يوجد عندك من النساء والجوارى الحسان ما لا يوجد له نظير في هذا الزمان فهلّا استغنيت بذلك عنّي فمل الى ماشئت منهن ودعني فقالت ان كلامك صحيح ولكن لا يشتفي بهن من عشقك الم ولا تبريح واذا فسدت الامزجة والطبيعة فهي لغير النصح سميعة مطيعة فاترك الجدال واسمع قول من قال

أَمَا تَرَى السُّوقَ قَدْ صُفَّتْ فَوَاكِهُهُ ... لِلتِّينِ قَوْمٌ وَلِلْجُمَّيْزِ اَقْوَامُ

وقول الآخر

وَصَامِتَةِ الْخَلْخَالِ رَنَّ وُشَاحُهَا ... فَهَذَا قَدِ اسْتَغْنَى وَذَا يَشْتَكِي الْفَقْرَا
تُرِيدُ سُلُوِّي عَنْكِ جَهْلًا بِحُسْنِهَا ... وَمَا كُنْتُ اَرْضَى بَعْدَ اِيمَانِي الْكُفْرَا
وَحَقِّ عِذَارٍ يَزْدَرِي بِعِقَاصِهَا ... لَمَا خَدَعَتْنِي عَنْكِ غَانِيَةٌ عَذْرَا

وقول الآخر

يَا فَرِيدَ ٱلْجَمَالِ حُبُّكَ دِينِي ... وَاخْتِيَارِي عَلَى جَمِيعِ المَذَاهِبْ

قَدْ تَرَكْتُ النِّسَا لِأَجْلِكَ حَتَّى ... زَعَمَ النَّاسُ أَنَّنِي ٱلْيَوْمَ رَاهِبْ

وقول الآخر

لَا تَقِسْ أَمْرَدًا بِأُنْثَى وَلَا تُصْغِ ... لِوَاشٍ يَقُولُ ذٰلِكَ فِسْقُ

بَيْنَ أُنْثَى يُقَبِّلُ الوَجْهَ رِجْلًا ... وَغَزَالٍ يُقَبِّلُ ٱلْأَرْضَ فَرْقُ

وقول الآخر

فَدَيْتُكَ إِنَّمَا ٱخْتَرْ نَاكَ عَمْدًا ... لِأَنَّكَ لَا تَحِيضُ وَلَا تَبِيضُ

وَلَوْ مِلْنَا إِلَى وَصْلِ ٱلْغَوَانِي ... لَضَاقَ بِنَسْلِنَا ٱلْبَلَدُ ٱلْعَرِيضُ

وقول الآخر

تَقُولُ لِي وَهْيَ غَضْبَى مِنْ تَدَلُّلِهَا ... وَقَدْ دَعَتْنِي إِلَى شَيْءٍ فَمَا كَانَا

إِنْ لَمْ تَنِكْنِي نَيْكَ ٱلْمَرْءِ زَوْجَتَهُ ... فَلَا تَلُمْنِي إِذَا أَصْبَحْتَ قَرْنَانَا

كَأَنَّ أَيْرَكَ مِنْ شَمْعٍ رَخَاوَتُهُ ... فَكُلَّمَا عَرَّكْتُهُ رَاحَتِي لَانَا

وقول الآخر

قَالَتْ وَقَدْ أَعْرَضْتُ عَنْ غِشْيَانِهَا ... يَا أَحْمَقًا فِي جَهْلِهِ يَتَنَاهَى

لَمْ تَرْضَ مِنْ قُبُلِي لِوَجْهِكَ قِبْلَةً ... لَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا

وقول الآخر

* جَادَتْ بِكُسٍّ نَاعِمٍ * * فَقُلْتُ إِنِّي لَمْ أَنِكْ *

* فَانْصَرَفَتْ قَائِلَةً * * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكْ *

* أَلنَّيْكُ مِنْ قُدَّامُ فِي * * هٰذَا الزَّمَانِ قَدْ تُرِكْ *

* وَدَوَّرَتْ لِي فَقْحَةً * * مِثْلَ اللُّجَيْنِ ٱلْمُنْسَبِكْ *

* أَحْسَنْتِ يَا سَيِّدَتِي * * أَحْسَنْتِ لَا فُجِعْتُ بِكْ *

* اَحسَنتِ يا اَوسَع مِن * * فُتوحِ مَولانَا المَلِك *

وقول الآخر

يَستَغفِرُ النَّاسُ بِاَيدِيهِم ... وَهُنَّ يَستَغفِرنَ بِالاَرجُلِ
يَا لَهُ مِن عَمَلٍ صَالِحٍ ... يَرفَعُهُ اللّٰهُ اِلى اَسفَلِ

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الاشعار وتحقق انه ليس له مما ارادته فرار قال يا ملك الزمان ان كان ولا بدّ فعاهدني على انك لاتفعل بي هذا الامر غير مرة واحدة وان كان ذلك لا يجدي في اصلاح الطبيعة الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الا بد لعلّ الله يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجيا ان الله علينا يتوب ويمحو بفضله عنّا عظيم الذنوب فان نطاق افلاك المغفرة لا يضيق عن ان يحيط بنا ويكفّر عنا ما عظم من سيّأتنا ويخرجنا الى نور الهدى من ظلام الضلال وقد اجادوا حسن من قال

تَوَهَّمَ فِينَا النَّاسُ شَيأً وَصَمَّمَت ... عَلَيهِ نُفُوسٌ مِنهُمُ وَقُلُوبُ
تَعَالِي نُحَقِّق ظَنَّهُم لِنُرِيحَهُم ... مِنَ الاِثمِ فِينَا مَرَّةً وَنَتُوبُ

ثم اعطته المواثيق والعهود وحلفت له بواجب الوجود انه لا يقع بينهما وبينه هذا الفعل الّا مرّة في الزمان وان الجاها غرامه الى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط الى محل خلوتها لتطفئ نيران لوعتها وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حلّ سراويله وهو في غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسّمت واطلعته معها على السرير وقالت له لا ترى بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مدّ يدك بين فخذيّ الى المعهود

لعلّه ينتصب الى القيام من السجود فبكى و قال انا لا احسن شيأ من ذلك فقالت بحياتي ان تفعل ما امرتك به مما هنالك فمدّ يده وفؤاده في زفير فوجد فخذها الين من الزبد وانعم من الحرير فاستلذّ بلمسهما وجال بيده في الجهات حتى وصلت الى قبّة كثيرة البركات والحركات فقال في نفسه لعلّ هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا انثى ثم قال ايها الملك اني لم اجد لك آلة مثل آلات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها و قالت له يا حبيبي ما اسرع ما نسيت ليالينا بتناها وعرّفته بنفسها فعرف انها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبّلها وقبّلته ثم اضطجعا على فراش الوصال وتناشدا قول من قال

لَمَّا دَعَتْهُ اِلَى وِصَالِي عِطْفَةٌ ... مِنْ مَعْطَفٍ بِتَعَطُّفٍ مُتَوَاصِ
وَسَقَتْ قَسَاوَةَ قَلْبِهِ مِنْ لِينِهَا ... فَاَجَابَ بَعْدَ تَمَنُّعٍ وَتَعَاصِ
خَشِيَ الْعَوَاذِلَ اَنْ تَرَاهُ اِذَابَدَا ... فَاَتَى بِعُدَّةِ آمِنِ الْاِرْهَاصِ
شَكَتِ الْخُصُورُ رَوَادِفًا قَدْ حَمَلَتْ ... اَقْدَامَهُ فِي الْمَشْيِ حِمْلَ قِلَاصِ
مُتَقَلِّدُ الصَّمْصَامِ مِنْ اَلْحَاظِهِ ... وَمِنَ الدُّجَى مُتَدَرِّعًا بِدِلَاصِ
وَشَذَاهُ بَشَّرَنِي بِسَعْدِ قُدُومِهِ ... فَفَرَرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ مِنْ اَقْفَاصِ
وَفَرَشْتُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لِنَعْلِهِ ... فَشَفَى بِاِثْمِدِ تُرْبِهَا اَرْمَاصِي
وَعَقَدْتُ اَلْوِيَةَ الْوِصَالِ مُعَانِقًا ... وَفَكَكْتُ عُقْدَةَ حَظِّيَ الْمُتَعَاصِي
وَاَقَمْتُ اَفْرَاحًا اَجَابَ نِدَائَهَا ... طَرَبٌ صَفَا عَنْ شَائِبِ الْاَنْغَاصِ
وَالْبَدْرُ نَقَّطَ بِالنُّجُومِ الثَّغْرَ مِنْ ... حَبَبٍ عَلَى وَجْهِ الطِّلَا رَقَّاصِ
وَعَكَفْتُ فِي مِحْرَابِ لَذَّتِهَا عَلَى ... مَا مِنْ تَعَاطِيهِ يَتُوبُ الْعَاصِي

قَسَمًا بِآيَاتِ الضُّحَى مِنْ وَجْهِهِ لَمْ أَنْسَ فِيهِ سُورَةَ الإِخْلَاصِ

ثم ان الملكة بدور اخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الاول الى الآخر وكذلك هو اخبرها بجميع ماجرى له وبعد ذلك انتقل معها الى العتاب وقال لها ما حملكِ على ما فعلتهِ بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فان قصدي بذلك المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ارسلت الملكة بدور الى الملك ارمانوس والد الملكة حياة النفوس واخبرته بحقيقة امرها وانها زوجة قمر الزمان واخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما من بعضهما واعلمته ان ابنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك ارمانوس صاحب جزائر الآبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجّب منها غاية العجب وامر ان يكتبوها بماء الذهب ثم التفت الى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك ان تصاهرني وتتزوج بنتي حياة النفوس فقال له حتى اشاور الملكة بدور فان لها عليّ فضلا غير محصور فلما شاورها قالت له نعم هذا الرأي فتزوّجها واكون انا لها جارية لان لها عليّ معروفا واحسانا وخيرا وامتنانا وخصوصا نحن في محلّها وقد غمرنا احسان ابيها فلما رأى قمر الزمان ان الملكة بدور مائلة الى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتّفق معها على هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الامر واخبر الملك ارمانوس بما قالته الملكة بدور

من انها تحبّ ذلك وتكون جارية لحياة النفوس فلما سمع الملك
ارمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحا شديدا ثم خرج
وجلس على كرسيّ مملكته واحضر جميع الوزراء والامراء والحجّاب
وارباب الدولة واخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من
الاول الى الآخر وانه يريد ان يزوّج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان
ويجعله سلطانا عليهم عوضا عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعا حيث
كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطانا علينا قبله
ونحن نظن انها صهر ملكنا ارمانوس فكلّنا نرضاه سلطانا علينا و
نكون له خدما ولانخرج عن طاعته ففرح الملك ارمانوس بذلك فرحا
شديدا ثم احضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد
قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم انه اقام
الافراح واولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع
الامراء ورؤساء العساكر وتصدّق على الفقراء والمساكين واطلق
جميع المحابيس واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا
يدعون له بدوام العز والاقبال والسعادة والاجلال ثم ان قمر الزمان
لماصار سلطانا عليهم ازال المكوس واطلق من بقي في الحبوس
وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته على هناء وسرور ووفاء وحبور
يبيت عند كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان
وقد انجلت عنه الهموم والاحزان ونسي اباه الملك شهرمان و
ماكان له عنده من عزّ وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه
بولدين ذكرين مثل القمرين النيّرين اكبرهما من الملكة بدور و
كان اسمه الملك الامجد واصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمه
الملك الاسعد وكان الاسعد اجمل من اخيه الامجد ثم انهما تربّيا

فى العزّ والدلال والادب والكمال وتعلّما الخط والعلم و السياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال و صارلهما من العمر نحو سبعة عشر عاما وهما متلازمان فيأكلان سواء و يشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتا من الاوقات و جميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغا مبلغ الرجال واتّصفا بالكمال صار ابوهما اذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوما بين الناس واتفق بالقدر المبرم والقضاء المحتم ان محبة الاسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجة ابيه وان محبة الامجد الذى هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة ابيه فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرّتها وتقبّله وتضمه الى صدرها واذا رأت ذلك امّه تظنّ انه من الشفقة ومحبة الامّهات لاولادها وتمكّن العشق من قلوب المرأتين وافتتنتا بالولدين فصارت كل واحدة منهما اذا دخل عليها ابن ضرّتها تضمه الى صدرها وتودّ انه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم تجدا سبيلا الى الوصال امتنعتا من الشراب و الطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم ان الملك توجّه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا في موضعه للحكم كل واحد منهما يوما على عادتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك توجّه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا في موضعه للحكم كل واحد يوما على عادتهما

فجلس للحكم فى اليوم الاول الامجد بن الملكة بدور فامر ونهى وولّى وعزل واعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس امّ الاسعد مكتوبا تستعطفه فيه وتوضح له انها متعلقة ومتعشقة فيه وتكشف له الغطا وتعلمه انها تريد وصاله فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات

من المسكينة العاشقه * الحزينة المفارقه * التي ضاع بحبك شبابها وطال فيك عذابها * ولو وصفت لك طول الاسف * وما اقاسيه من اللهف * وما بقلبي من الشغف * وما انا فيه من البكاء والانين * وتقطّع القلب الحزين * وتوالى الغموم * وتتابع الهموم * وما اجده من الفراق * والكآبة والاحتراق * لطال شرحه فى الكتاب * وعجزت عن حصره الحساب * وقد ضاقت عليّ الارض والسماء * ولالي في غيرك امل ولارجاء * فقد اشرفت على الموت * وكابدت اهوال الفوت * وزاد بي الاحتراق * والم الهجر والفراق * ولو وصفت ماعندي من الاشواق * ما وسعتها الاوراق * ومن كثرة البلوى والنحول ها انا انشد واقول

لَوْ كُنْتُ اَشْرَحُ مَا اَلْقَاهُ مِنْ حُرَقِ وَمِنْ سَقَامٍ وَمِنْ وَجْدٍ وَمِنْ قَلَقِ
لَمْ يَبْقَ فِى الْاَرْضِ قِرْطَاسٌ وَلَا قَلَمٌ وَلَا مِدَادٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْوَرَقِ

ثم ان الملكة حياة النفوس لفّت تلك الورقة في رقعة من غالى الحرير مضمّخة بالمسك والعبير ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الاموال بسعرها ثم لفّتها بمنديل واعطتها لخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها اعطت ورقة المراسلة للخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ماخفي له فى الغيب وعلّام الغيوب يدبّر الامور كيف يشاء فلما دخل الخادم على الملك الامجد قبّل الارض بين يديه وناوله المنديل وبلّغه الرسالة فتناول الملك الامجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها فلما فهم معناها علم ان امرأة ابيه في عينها الخيانة وقد خانت اباه الملك قمر الزمان في نفسها فغضب غضبا شديدا وذمّ النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلا ودينا ثم انه جرّد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء أتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله انه لا خير فيك يا اسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف في عنقه فعزل رأسه عن جثّته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه في جيبه ثم دخل على امّه واعلمها بماجرى وسبّها وشتمها وقال كلكنّ انحس من بعضكنّ والله العظيم لولا انّي اخاف اساءة الادب في حق والدي قمر الزمان واخي الملك الاسعد لادخلن عليها واضربن عنقها كما ضربتُ عنق خادمها ثم انه خرج من عند امّه الملكة بدور وهو في غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة ابيه مافعل بخادمها سبّته ودعت عليه واضمرت له المكر فبات الملك الامجد في تلك الليلة ضعيفا من الغيظ والقهر والفكر ولم يلذّ له اكل ولا شرب ولا منام فلما اصبح الصباح خرج اخوه الملك الاسعد وجلس في مجلس

ابيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وقدا صبحت امّه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الامجد من قتله للخادم ثم ان الملك الاسعد لما جلس للحكم في ذلك اليوم حكم وعدل وولّى وعزل وامرونهي واعطى ووهب ولم يزل جالسا في مجلس الحكم الى قرب العصر ثم ان الملكة بدورام الملك الامجد ارسلت الى عجوز من العجائز الماكرات واظهرتها على ما في قلبها واخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الاسعد بن زوجها وتشكو اليه كثرة محبتها له ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقا * الى احسن الناس خَلقا وخُلقا * المعجب بجماله * التائه بدلاله * المعرض عن طالب وصاله * الزاهد في القرب ممن خضع وذلّ * الى من جفا وملّ * من العاشق المكمد * الى الملك الاسعد * صاحب الحسن الفائق * والجمال الرائق * والوجه الاقمر * والجبين الازهر * والضياء الابهر * هذا كتابي الى من حُبّه اذاب جسمي * وفرّق جلدي وعظمي * اعلم انني قد عيل صبري * وتحيّرت في امري * واقلقني الشوق والسهاد * وجفاني الصبر والرقاد * ولازمني الحزن والسُهاد * وبرح بي الوجد والغرام * وحلول الضنى والسقام * فالروح تفديك * وان كان قتل الصب يرضيك * والله يبقيك * ومن كل سوء يقيك * ثم بعد تلك السجعات كتبت هذه الابيات

حَكَمَ الزَّمَانُ بِاَنَّنِي لَكَ عَاشِقٌ ... يَا مَنْ مَحَاسِنُهُ كَبَدْرٍ يَشْرِقُ
حُزْتَ الْمَلَاحَةَ وَالْفَصَاحَةَ كُلَّهَا ... وَعَلَيْكَ مِنْ دُونِ الْبَرِيَّةِ رَوْنَقُ
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِاَنْ تَكُونَ مُعَذِّبِي ... فَعَسَى عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ تَتَصَدَّقُ
مَنْ مَاتَ فِيكَ صَبَابَةً فَلَهُ الْهَنَا ... لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ

ثم كتبت ايضا هذه الابيات

اِلَيكَ اَسْعَدُ اَشْكُو مِنْ لَهِيبِ جَوًى فَارْحَمْ مُتَيَّمَةً بِالشَّوْقِ تَلْتَهِبُ
اِلى مَتَى وَاَيَادِي الْوَجْدِ تَلْعَبُ بِي وَالْعِشْقُ وَالْفِكْرُ وَالتَّسْهِيدُ وَالنَّصَبُ
طَوْرًا ببحرٍ وَطَوْرًا اَشْتَكِي لَهَبًا فِي مُهْجَتِي اِنَّ ذَا يَا مُنْيَتِي عَجَبُ
يَالَائِمِي خَلِّ لَوْمِي وَالْتَمِسْ هَرَبًا مِنَ الْهَوَى فَدُمُوعُ الْعَيْنِ تَنْسَكِبُ
كَمْ صِحْتُ وَجْدًا مِنَ الْهِجْرَانِ وَاحَرَبًا فَلَمْ يُفِدْنِي بِذَاكَ الْوَيْلُ وَالحَرَبُ
اَمْرَضْتَنِي بِصُدُودٍ لَسْتُ اَحْمِلُهُ اَنْتَ الطَّبِيبُ فَاَسْعِفْنِي بِمَا يَجِبُ
يَا عَاذِلِي كُفَّ عَنْ عَذْلِي مُحَاذَرَةً كَيْلَا يُصِيبُكَ مِنْ دَاءِ الْهَوَى عَطَبُ

ثمّ ان الملكة بدور ضمّخت ورقة الرسالة بالمسك الاذفر ولفّتها في جدائل شعرها وهي من الحرير العراقي وشراريبها من قضبان الزمرد الاخضر مرصّعة بالدر والجوهر ثم سلّمتها الى العجوز وامرتها ان تعطيها للملك الاسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من اجل خاطرها ودخلت على الملك الاسعد من وقتها وساعتها وكان في خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر ردّ الجواب فعند ذلك قرأ الملك الاسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لفّ الورقة في الجدائل ووضعها في جيبه وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم انه نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على امّه حياة النفوس فوجدها راقدة في الفرش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الامجد فشتمها الملك الاسعد ولعنها ثم خرج من عندها فاجتمع باخيه الملك الامجد وحكى له جميع ما جرى له مع امّه الملكة بدور

واخبره بانه قتل العجوز التي جاءت له بالرسالة ثم قال له والله يا اخي
لولا حيائي منك لكنت دخلت في هذه الساعة اليها وقطعت رأسها من
بين كتفيها فقال له اخوه الملك الامجد والله يا اخي انه قد جرى لي
بالامس لما جلست على كرسيّ المملكة مثل ما جرى لك في هذا اليوم
فان امّك ارسلت اليّ رسالة بمثل مضمون هذا الكلام ثم اخبره بجميع
ما جرى له مع امه الملكة حياة النفوس وقال له والله يا اخي لولا حيائي
منك لدخلت اليها وفعلتُ بها مثل ما فعلتُ بالخادم ثم انهما باتا
يتحدّثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات ثم تواصيا بكتمان هذا
الامر لئلا يسمع به ابوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا
في غم تلك الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل الملك بجيشه
من الصيد وجلس ساعة على كرسيّ المملكة ثم طلع الى قصره وصرف
الامراء الى حال سبيلهم وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على
الفراش وهما في غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقتا على تضييع
ارواحهما لانهما قد فضحتا انفسهما معهما وقد خشيتا ان يصيرتا تحت
ذلّتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما ما لكما فقامتا اليه
وقبّلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم ايها الملك ان ولديك
اللذين قد تربّيا في نعمتك قد خاناك في زوجتيك واركباك العار فلما
سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتاظ
غيظا شديدا حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه اوضحا لي هذه
القيضة فقالت له الملكة بدور اعلم يا ملك الزمان ان ولدك الاسعد بن
حياة النفوس له مدة من الايام وهو يراسلني ويكاتبني ويراودني على
الزنا وانا انهاه عن ذلك ولم ينته فلما سافرتَ انت هجم عليّ وهو
سكران والسيف في يده مسلول فضرب به خادمي فقتله وركب على

صدري و السيف في يده فخفتُ ان يقتلني اذا مانعته كما قتل
خادمي فقضى اربه مني غصبا و ان لم تخلص حقي منه ايها الملك
قتلت نفسي بيدي وليس لي حاجة بالحيوة في الدنيا بعد هذا الفعل
القبيح واخبرته حياة النفوس وهي مفجوعة بالبكاء ايضا بمثل مااخبرته
به ضرّتها بدور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

وبقيّة حكاية الامجد والاسعد فى الربع الثاني

وهذا آخر الربع الاول من كتاب الف ليلة و ليلة قد استتبّ بعون الملك
القدير طبعه بتصحيح الفقير الحقير * احمد بن محمد الشهير باحمد كبير *
باعانة الفاضل البليغ الذي خطّ الطروس ووشّح برودها بالاقلام * وكتب الانشاء
فاخى من كلامه بين الجواهر والنظام * فلو رآه ابن بسّام عبس وقطّب *
و جلس بين يديه و تأدّب * ولو عاينه البديع لفّ ما نشر من انشائه *
ورمى قلم المكاتبة بدائه * العالم النبيه اللوذعي * المولوي صاحبعلي
خان * حماه الله العلي المنان * بحكم النحرير الشهم النبيل * الامير
الجهبذ الجليل * الذى كان يصحّح ويحكم بتصحيحي * ويصلح ويجبر
ما يفرط مني في تنقيحي * قدوة رؤساء الانام * عمدة امراء الاعلام *
الفائق فى العلوم العربية على الامثال والاقران * البارع فى الفنون
الادبيه على الاقيال والاعيان * العارف بصنوف الالسنة و اللّغات *
الواقف على فنون البراعات * جامع الكمالات الانسيّة * حاوي الفضائل
القدسيّة * صاحب التحرير و البيان * والتقرير و التبيان * البالغ في
اشاعة العلوم باقصى الغايات * الراغب في ترويج الفنون بمنتهى
النهايات * ملجأ الافاضل و العالمين * ماوى الخلائق و العالَمين * الرافع
لاصحاب العلم مراتب الكمال * الناصب لارباب الفضل مناصب الاجلال *

المعروف في كل مواطن * مسطر وليم حي مكناطن * بهادر ادام الله
ظلال رأفته على مفارق الانام * و زاد حشمته ما دامت الليالي والايام *
ولازال اعلام العلوم بتهذيبه عاليه * وما برح اسعار الفنون بترتيبه
غاليه * في اليوم المتمم للعشر الرابع من النصف الثاني من السدس
الرابع * من العشر الرابع من النصف الثاني من الخمس الثالث من العشر
الثالث من الالف الثاني من السنين الهجرية اي في اثنا عشر من شهر
شعبان سنة اربع و خمسين بعد الالف و المائتين موافقا لمبدء الثلث
الثاني من الربع الرابع * من العشر الثامن من الخمس الرابع من النصف
الاول من العشر التاسع من الالف الثاني بعد الالف الاول من السنين
العيسوية اي الاول من شهر نومبر سنة الف وثمان مائة وثمانية و ثلثين *
ثم اعلموا ارباب الفضل والعرفان * انه قد بولغ في تصحيحه غاية الجهد
والامكان * ومع هذا لاندعي ان كله صحيح * ولم يبق فيه غلط وشيء قبيح *
فانه لا غرو ان زلّ انظار الطابعين * او وقع سهو من المقابلين * فالمأمول
منكم ان تنظروا عليه بناظر الانصاف * ولا تمعنوا بعين الاعتساف *
و اذا عثرتم على العثرات * او اطّلعتم على الزلّات *
فاسعوا في اصلاح مافات عنّي * ولا تلوّثوا السنتكم
بفرط ما صدر منّي * بل المرجوّ من اخلاقكم
ان تسبلوا ذيل الستر و الاحسان *
و لا تطعنوا على المعتنين
كما هو داب ابناء
هذا الزمان *

CALCUTTA:

PRINTED AT THE BAPTIST MISSION PRESS.

1839.

THE

ALIF LAILA

OR

K OF THE THOUSAND NIGHTS

AND

ONE NIGHT,

monly known as 'The Arabian Nights' Entertainments;'

NOW, FOR THE FIRST TIME, PUBLISHED COMPLETE IN

IE ORIGINAL ARABIC,

FROM AN EGYPTIAN MANUSCRIPT

'O INDIA BY THE LATE MAJOR TURNER MACAN, EDITOR OF

THE SHAH-NAMEH.

EDITED BY

W. H. MACNAGHTEN, Esq.

Bengal Civil Service.

IN FOUR VOLUMES.

VOL. I.

CALCUTTA:

Major Genl. Sir H. M. Durand